

# مجلة الأزهر

المجلد الحادى والعشرون

١٤  
٢٠٠٠  
سوريات

مدير المجلة  
ورئيس تحريرها  
محمود فؤاد حجازى

الاشتراك السنوى  
٤٠ مصر والسودان  
٥٠ مخارج القطر المصرى

ثمن المند ٤٠ مليا

الإدارة المحررة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة



مطبعة الأزهر

١٩٤٩



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فاتحة السنة الحادية والعشرين

لمجلة الأزهر

نحمدك اللهم على ما أسديت إلينا من سداد فيما نحن بسبيله من خدمة دينك الحق ، الذي شرعته هداية للخلق ، ونصلي ونسلم على رسولك محمد خاتم النبيين ، المبعوث الى الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومتبعيه الى يوم الدين .

أما بعد : فإننا بهذا العدد من مجلة الأزهر نفتتح السنة الحادية والعشرين لوجودها عاملة على خدمة الإسلام ، ماضية في سبيلها 'قدما لا تني ولا تفر' ، رافعة عليه عاليا في الخافقين ، ملاقية من المسلمين في جميع بقاع الأرض تأهيلا وترحيا . فمن كان من أهل تلك البقاع يفهم العربية ويقرؤها قصد حظي منها بأمنية كان يتشهاها من قبل ولا يجدها ، فلما تحققت أقبل عليها إقبال الهيم على المورد العذب . ومن كان منهم لا يفهم العربية ولا يقرؤها ، يترقب ما يترجمه بعض كتابهم منها وينشرونه في مجلاتهم . فكانت هذه المجلة من أسباب إيقاظ القلوب في العالم الإسلامي كله .

ويرى القراء بما تنوخاه هذه المجلة من الإكثار من نشر مقالات لنظام الأزهريين ، أن الأزهر أصبح لا يقل عن أية جامعة أخرى في تنشئة كبار المفكرين الذين يستطيعون أن يؤدوا واجبهم الديني على أتم ما يجب أن يكون عليه من بلاغة وتدليل .

وقد زدنا في عنايتنا باللغة العربية التي خصص لها الأزهر كلية خاصة حفظاً لها من الضعف الذي كانت تنيت به ، فنتينا بنشر مواضيع شتى لكثير من تبحرنا ، ويرى القراء أنهم قد تفوقوا في هذا المجال على سواهم ، وفي حفظ مكانة اللغة العربية حفظ للدين .

ولم في هذا المقام أرى من واجبي أن أنوه بما لجلالة الملك فاروق الأول من الفضل في هذه النهضة الأزهرية؛ فقد حاطها بجلالته بعنايته، وتمهدها برعايته، ورفع من شأنها بتوجيهاته، فكانت ثمرة هذه العناية الملكية ما هي فيه اليوم من تقدم وارتقاء. ولما لالرجو أن يبلغ الأزهر الشأو الذي يريده له بفضل الله وكرمه.

وأنا لا أنسى أن تنوه بما لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر من العناية بإبلاغ الأزهر إلى الغاية المرجوة له، بما أوتي من الكياسة النادرة، والرعاية القويمة.

ولا يجوز أن أنفل هنا التنويه بذكر حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الأعلام الذين يساهمون في تحرير مجلة الأزهر، فإنهم يبذلون أحسن ما عندهم من المواهب العقلية والعلمية للإشادة بذكر الإسلام وبيان فضائله وبيئاته؛ ويسرنا أن نخبرهم أن ما يكتبونه يقدر قدره في البلاد الإسلامية كافة، ويقفل بعضه إلى لغات أهلها وينتفع به، وينشر بين ظهرانهم محوطاً بالتقدير العظيم والعناية التامة.

فإنه فسأل أن يسدد خطواتنا، وأن يهبنا من فضله قوة على القيام بحقها، فإنها وأيم الحق مهمة يجب أن يبذل فيها كل جهد، وأن ترقف عليها كل قوة منا ومن الذين يعملون معنا، والله يهدينا إلى سواء السبيل.

محمد فريد وجرى

## احتفال الازهر بالعام الهجرى

احتفل الازهر فى يوم الاحد الثالث والعشرين من شهر أكتوبر الجارى بأول العام الهجرى لسنة ١٣٩٦ ، فاحتشد ألوف من المحتفلين يتقدمهم سعادة المحافظ ، وكان يستقبلهم صاحباً الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الازهر ، والشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام . فألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى كلمة جامعة ، تجلّت فى ثوب من البيان الرفيع ، فذكر الهجرة النبوية وما دعا إليها وما آلت إليه . فوقمت من الحاضرين أجمل موقع ، وهنئوا بجماعة جلالة الملك المحبوب ، ثم انصرفوا شاكرين . وهذا نصها :

### بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذى هدانا الى صراطه المستقيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذى بلّغ رسالات ربه فكان رحمة للعالمين .

أما بعد : فيستقبل المسلمون اليوم فى جميع بقاع الأرض عامهم الهجرى الجديد فرحين مستبشرين ؛ لأنهم إذ يحتفلون به إنما يحتفلون بذكرى بحيدة عزيزة على المؤمنين ؛ ذكرى الهجرة النبوية المباركة التى جعلها الله فائحة خير للإنسانية . فقد خرجت بالإنسانية من ظلمات الجهل الى نور الهداية ، وقضت هلى الشرك وأهله ، فعمّت المعرفة ، وعزّ الحق ، وتحررت النفوس من ذل العبودية .

وهم إذ يذكرون الهجرة المباركة يذكرون حادثاً من أهم الحوادث خطراً فى مغزاه وفى أثره ؛ حادثاً تجلّت فيه البطولة الخالدة للنبي الأمين ، وتجلّت صفات الإيثار والصبر والإيمان ، فغلب شعبا بأكمّله على أمره ، وردّه عن زيف معتقداته الى الحق واليقين .

ظلت الجزيرة العربية تسودها الأوهام والضلالات ، وتتخبط فى دياجير الشرك والجهالة ، الى أن أراد الله بها خيراً ، فبعث فيها سيدنا محمداً صلى الله عليه

وسلم بدين الهدى ودين الحق ، يدعو الناس الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأخذها من ضلالها ، وأقالها من عثارها ، ومداها سواء السبيل . ولكن على ما جلبه لها من خير ، لم يلق من قومه وعشيرته إلا جحودا ونكرانا ، فجاءهم على غيهم ، وكأفهم في سبيل تحقيق دعوته ، واحتمل أذاهم بصبر جميل .

ولقد بدأ عليه الصلاة والسلام يدعو من الناس من يتوسم فيه الخير سراً ، حتى إذا أمر بالجهر جهر بدعوته ؛ وقد استجاب لها نفر قليل ممن أثار الله بصائرهم وشرح صدورهم للإيمان ، فأمنوا بما أنزل إليه ، ووقفوا إلى جانبه يشدون أزره . أما سواد الناس من قريش فقد عميت بصائرهم ، وران على قلوبهم غيهم ، فاشتدوا في الحملة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكادوا له ، وأسرفوا في إيذائه يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقابل كيد الكائدين ، واعتداء المعتدين وظلم الباغين ، بإيمان قوى مكين ، فلم يزد أذاهم إلا استمساكاً بدعوته ، ومناخلة عن عقيدته ، حتى إذا عدل المشركون عن الشدة إلى الملاينة ، وعن العداوة إلى المصانعة ، وبذلوا له الوعود ، ومنوه بالآمال والجاه والملك والشرف ، أجاهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله المأثور واقفياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه . فزاد ذلك الموقف الكريم المشركين عناداً ، وغيا على غيهم ، وضلالاً على ضلالهم ، وقالوا المسلمين بأذاهم ، غير متورعين ولا متعفين .

فلما اشتد بالمسلمين الكرب ، وعظمت عليهم البلية ، أمرهم بالهجرة من إيذاء قريش وغيرها . ولكن قريشا أبى عليها شيطانها إلا أن تزداد أذىً لمحمد ، حتى بلغ بهم الكيد أن اتهموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فيطفئوا نورا أراد الله له الإفراق ، ويقضوا على دعوة قضى الله لها القيام والانتشار .

دبروا وأحكوا التدبير ، واتمى رأيهم على أن يقتلوه — صلى الله عليه وسلم — واتفقوا على أن يقوم بالقتل جماعة من فتيانهم الأشداء من جميع القبائل ، فيقتضوا عليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ،

ولا يقدر بنو عبد المطلب على النار له ، فأطلعه الله تعالى على ما بيئوا له ، وأمره بالهجرة في الليلة التي حصدتها المشركون لقتله ؛ فدير الرسول صلى الله عليه وسلم أمر خروجه ، وبصحبته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأعانته الله على من اتبعوا به ، فنشئ على أبصارهم فلم يروه . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه طريقه الذي رسم حتى بلغا غار ثور ، فأقاما فيه أياما ، جددت قریش في طلبه والبحث عنه ، وبذلت غاية جهدهما للتحاق به ؛ ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره ، إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينة عليه ، وأيده بمحمود لم تزوها ، وجعل كلمة الدين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم .

ثم اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله إلى المدينة تحفته عنابة الرحمن ، حتى إذا وصل إليها استقبله أهلها مؤمنين بدعوته ، ناصرين لدين الله . وبهذا تمت هجرة الرسول إلى المدينة ، ودخلت الدعوة الإسلامية في دور جديد ، أساسه المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، فربط الله بين قلوبهم ، ونضامت صفوفهم في عزة ومنعة ، عزت على قوة قریش وصولها ، وعم نور الله الآفاق ، وقاض على الجزيرة العربية حتى ملأ البقاع ، وكذكت معالم الشرك ، وانمحت الوثنية ، وأصبحت كلمة الله هي العليا . وهكذا تمت الهجرة المحمدية التي حفظ الله بها دينه ، وانتشر على أعقابها نور الإسلام .

وهذا هو المثل الرفيع الذي ضربته النبي الكريم في التضحية والإبثار ، والمثابرة والاحتمال ، والصبر على الأذى .

وإني إذ أهنئ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الذكرى المباركة ، أرجو مخلصا أن يتخذ إخواني وأبنائي المسلمون منها عظة تفنعا ، وتقوى إيمانا ، وترابط بين قلوبنا ، وتوحد صفوفنا ، حتى نستطيع أن نستعيد مجدها ، ونحيي آثار أسلافنا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

وتتوجه إلى الله تعالى بقلوبنا ، وبصدق نيائنا ، أن يجعل عامنا الجديد ، سعيد الطالع ، مبارك النقية ، مهيئاً للعالم فيه رخاء عظيم ، وسلام مقيم ،

وأن يتقيا فيه المسلمون وحدة تجمع بين قلوبهم ، وتهوى شعري روابطهم ،  
فيستعيدوا في حاضرهم مجد الغابر ، وهزم التالد .

ونضرع اليه سبحانه أن يكلا وادينا بعين رعايته ، وأن يوفق أبنائه ويؤلف  
بين قلوبهم الى ما فيه صالح البلاد ومجد الوطن ، في ظل حضرة صاحب الجلالة  
مولانا الملك المعظم ، فاروق الاول ، أعز الله ملكه ، وأيده بروح من عنده .  
اللهم اشرح صدره ، ويسر أمره ، وأحبه حياة طيبة مباركة تم بنفعها العباد  
والبلاد .

ونسألك اللهم يا واسع الفضل والإحسان ، أن تتغمد برحمتك ورضوانك  
الراحل الكريم ، مولاي الملك العظيم ، المغفور له ، الملك فؤاد الأول ، .  
اللهم اجمله في أعلى عليين ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين  
والشهداء والصالحين .

اللهم وفق حكومة جلالة الملك الى ما فيه الخير العميم ، إنك نعم المولى ونعم  
النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## الناموس الأدبي العام

يرى المتأمل في الوجود أن الشؤون العالمية تجري كلها متبعة متناظرة لا يعترضها أقل انحراف . فالشموس في السماء تحيط بها الكواكب تحترق مواكبها الفضاء بسرعة لا يدركها العقل ؛ وفيها من الكائنات ما لا يدخل تحت حصر ؛ وجميعها محكوم بنواميس طبيعية لا تتخلف عن عملها بأى مؤثر من المؤثرات . ويرى الرائي رأى العين أنها من النظام والإحكام والاستمرار بحيث يقف العقل حيا لها دهشا ، ولا يرى بدا من الاعتراف بأنها من وضع بارئ الكون الذى وسع كل شيء علما .

هذه النواميس قد أحس بوجودها الإنسان من أول عهده بالنظر والتفكير ، واعتبر ما تحدثه أعمالا صادرة من خالق الوجود ، وهى كذلك عند المحققين ، ولكن الطائفة التى حاولت أن تنكر وجوده جل وعز ، من قدماء الفلاسفة ومحدثيهم ، اعتبروها نواميس طبيعية ، وجدت مع الكون من أزل للأزال ، وهو وهم خطير استنكره كبار المتأملين .

لسنا هنا بصدد البحث في حقيقة النواميس ، ولا في إثبات وجودها ، فهى ماثلة أمام أعيننا تدبر الوجود ، وتهيمن عليه ، وتحفظه من الخطب والتخاذل ؛ وإنما نحن بصدد إثبات وجود ناموس أدبي عام ، الى جانب النواميس المادية ، يقود الأعمال الإنسانية وبربها وبرقيها ، ويدأب على توجيهها الى المثل الأعلى من الوجود الإنساني .

وجد الإنسان على هذه الأرض عاريا وبغير سلاح ، فكان همه الأول أن يقي نفسه من غوائل الوحوش الضارية ، والثقلبات الجوية المهلكة ، وأن يحصل ما يقيم أوده من ثمرات الأرض . هذه الأمور كانت شغله الشاغل أمدأ حتى هداه عقله الى بناء الأكواخ ، وعمل بعض ضروب السلاح من الأحجار . كل هذا كان تحت هداية مواهبه الذاتية ، وتديره المحدود ، وعلى طريقة التدرج

خلافا للحيوانات ، فقد خلقت في أجسادها القوى والأسلحة التي تكفيها مؤنة الإنشاء والتدمير .

لسنا بسيل الكلام في هذا الموضوع ، ولكن بصدد الرقي الأدبي الذي حصله الإنسان في مدى بضعة ألوف من السنين التي عاشها على الأرض . فقد وجد على الأرض وليس لديه أثر من أدب أو مجاملة أو حياء أو سياسة أو نزوع الى تكل في الأخلاق والتقاليد الخ ، مما شغل العقل الإنساني واستوعب تفكيره آماداً طويلة ، حتى أصبح بعد أن كان على نحو ما عليه الى الآن متوحشوا استراليا و افريقيا من العرى المطلق والحيوانية الباحثة ، والبهيمية الصرفة ، متجملا بأدب راق ، وتقاليد سامية ، ومعاملة مبنية على التعاطف الأخوى ، وترفع عن إثبات المنكرات علانية ، وتعال عن ركوب الحنا جهرة . وقد وصل كثير من أحاده الى درجة الإيثار ، فيجوعون أنفسهم ليثبوعوا الجائع المحتاج ، ويمرضون أنفسهم للخطر ليدفعوا الأذى عن ضعيف لا جبرية له . بل ويلقون بأنفسهم للهلاك صيانة لعرضهم أن يذنس .

هنا تتساءل : ما الذي أدى بالإنسان الى هذه الدرجة من التصون والعفاف والورع ، إن لم يكن يوجد ناموس طبيعي يدعى بالناموس الأدبي ، حاصل على جميع مميزات النواميس الطبيعية ونبماتها ؟

نما يدللك على أنه ناموس طبيعي ، تأثيره العام على جميع النوع البشرى في جميع قارات العالم . فالصفات الادبية من الحلم والوداعة والكرم والإيثار والنجدة والقناعة والترف والحياء والتصون وحسن المعاملة والاستقامة الخ ، كلها صفات معتبرة في جميع كتب الاخلاق عند جميع الأمم ، شرقيا وغربيا شماليا وجنوبيا ايضها وأسودها ، وليس بعد هذا دليل على أن هذه الآداب البشرية صادرة عن ناموس طبيعي عام ، مثله كمثل جميع النواميس الطبيعية .

وإذا كان الامر كما ذكرنا فإن على مخالفة مقتضيات هذا الناموس الطبيعي العام ، نتائج سيئة تقع على الهيئات التي تتصرف عنها .

إذا تقرر هذا كله فإن ما نراه من حيد الناس عن الآداب الموروثة ، وميلهم

الى التحلل منها ، يفضى الى حدوث فتن اجتماعية تفتاب الجماعات على صور شتى ،  
وفي فواح متعددة من مقومات حياتها .

وإذا كان هذا كله حقاً لا مرية فيه ، فلا يجوز لامة من الامم أن تترك هذه  
الناحية الخطيرة من وجودها الاجتماعي لدوى الميول الحيوانية ، والزغات  
الشهوانية ، فيسئروا للناس في ألبستهم واجتماعاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ،  
سناً تملها عليهم الإباحة المطلقة ؛ فان هذه الإباحة المطلقة لا تستند إلا على أصل  
واحد ، وهو إشباع الشهوات البهيمية الى أقصى حد ، وفي أسلوب تمويهى مفضوح ،  
أو ذهاباً مع مبادئ الحادية وقعوا فى حيا ولم يفظنوا لمغبتها .

على أن المسألة ليست مسألة إيمان أو كفر ، فهي مسألة اجتماعية باحة .  
فإن الامم التى تريد أن تبقى وأن تزداد قوة وقوة ، وأن تبلغ أقصى غايات المدنية ،  
يجب أن تنجب ما يمدو على كيانها ، وما يؤثر على سرعة تقدمها ، وخاصة إذا  
كانت متحلقة عن غيرها فى ميدان الحضارة والعلم .

فإذا ظلت تنخيل أن الناموس الأدبي استعارة بيانية ، لا حقيقة عالمية ، وأن  
ليس وراء مخالفته من نبعة مادية ، وألقت بعضها فى تيار التقليد لمن سبقتها  
فى الوجود ، واعتبرت ما هى عليه من الامور المادية لهذا الناموس من لوازم  
المدنية ، فان هذه بنسكها فى أهوائها ، وتماديها فى باطلها ، إن حصلت على شئ  
فلن يكون إلا مظهراً خداعاً من الملابس والمأكل والعادات التى تقتبسها من الامم  
التي تمنحك بها : أما فى الواقع فإنها بهذا التقليد الاعمى إنما تعمل لهلاكها ، وتهاقت  
على مييداتها .

إنى أرى أول ما يجب على المصلحين فى مثل هذا الدور الذى تكون فيه  
الجماعات ، أن يعملوا على تجميعها فى درر نهوضها ، ناحية اللهو والترف والإباحة  
الشائعة فى الامم المتعمدة . وذلك بالتدليل لها على أن هذه الامم لما بدأت ترتقى لم  
تكن على ما هى عليه اليوم من هذه الموبقات الاجتماعية ، وإلا لما وصلت الى  
هذه الدرجة من المدنية والعلم ، ولهلكت قبل أن تصل الى شئ منها .

ولها حقيقة يمكن التدليل عليها ؛ فإن الدولة الرومانية كانت إبان نهوضها على أخلاق وفضائل ووطنية لم تكن لها حين اعتراها الهرم ، واعتراها الضعف ، فانتشرت فيها الرذائل ، وفشت الفحشاء ، وسادت حكمها الرشوة ، واعوجاج السيرة . وانحطاط النفس ، فأضاعت هذه السفالات دولتهم ، وجعلتهم أحاديث لمن بعدهم .

وبعد هذا الاستطراد أقول : إن مارميت إليه بمقال هذا ، ولعل أول قائل به ، من الناحية العلمية ، هو : وجود ناموس على مثال جميع النواميس ، يدعى بالناموس الأدبي ، ينظم العلاقات بين بني الإنسان على قواعد العقل والحكمة والأدب العالي ، وإن الدليل على وجوده نشوء آثاره في جميع الشعوب والجماعات البشرية بعد أن لم تكن ، وأن السعى لقلب أوضاعه في الجماعات يقابل بعقاب يعم الجماعة التي تقرر هذا القلب وتعمل به ، وهذا العقاب مشاهد محسوس ممن يدرس المآسي البيئية ، والخسائر المالية ، والمفاسد الاجتماعية ، التي تخرج عظام كل هيئة اجتماعية في جميع العصور الإنسانية ، وهي في هذا العصر أشد منها في جميع العصور السابقة ، وقد وصلت إلى درجة احتمال تلاشي الوعي الإنساني كله بتأثير القلاقل الموجودة في جماعاته ، والاضطراب المناجحة بين حكوماته . فالذين يدفعون منا الرجال للإباحة الحيوانية ، والنساء للتجرد من الخمر والتعمد على الآداب النسوية ، ويربون أطفالهم على عدم احترام أبويهم الخ الخ ، سيلاقون وبال أمرهم في نشوء أجيال لا تقف من الطغيان عند حد ، وتجد من العقوبات الطبيعية على تعدى حدود الناموس الأدبي ، مثل ما تجده من التعمد على أي ناموس طبيعي . والفعال في هذا كله مدبر الوجود الأعظم ، فإنه سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ؟

محمد فريد وجدي

# حكم الشريعة

## في استبدال النقد بالهدى

لحضرة صاحب الفصيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت  
عضو جماعة كبار العلماء

قال الله تعالى : وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَهَ، فَإِنْ أَصْرْتُمْ فَأَسْتَيْسِرْ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِهِ وَصَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا، أَوْ بِهِ آدَى مِنْ رَأْسِهِ فَقَدِيدَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ نُسُكٌ، فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَأَسْتَيْسِرْ مِنَ الْهَدْيِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : وَادْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيُشْهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَوَائِلَ الْفَقِيرِ<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ، وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًّا جَزَاءً مِثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ الدَّيْمِ، يُحْكَمُ بِهِ دَوَاءً عَدْلٍ مِنْكُمْ، عَدِيًّا بَالِغِ الْكَتْبَةِ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ، أَوْ هَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : « وَالْبَدَنَ جَمَعْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ، فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكَاوُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُحَرَّرِ ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . (١)

وقال تعالى : « ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ » . (٢)

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ، وَلَا الشُّهُورَ الْحَرَامَ ، وَلَا الْهُدًى ، وَلَا الْقَلَائِدَ ، وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ » . (٣)

بهذه الآيات الكريمة ، وبما صح من أحاديث الاصححة ، تقرر في الإسلام أن إراقة الدم نوع من أنواع القربى الى الله ، وأن هذه القرية لا تقوم إلا بذبح الحيوان وإراقة دمه ، وأن التصديق بثمنه لا يغنى ولا يقع عند الله موقع القبول في القيام بهذا المطلوب .

وقد تضمنت الآيات الكريمة النص على الهدى تارة على سبيل التعيين دون أن يكون له بدل ، وتارة على سبيل التعيين مع الاتجاه الى البدل عند العجز عن الهدى ، وثالثة على سبيل التخيير بينه وبين غيره .

كما تضمنت أن مكان الذبح فيما وجب ذبحه هو الحرم : « حتى يبلغ الهدى محله » ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، « هدياً بالغ الكعبة » ، وكذلك تضمنت اعتبار البدن والذبايح في هذه الأماكن من شعائر الله التي يجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها أو إغفالها . وحسبنا « لا تحلوا شعائر الله » . والشعائر هي العلامات الواضحة الظاهرة التي اعتبرها الدين مظهراً من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق إلا بعمل ظاهر يراه الناس في مناسبات خاصة . وإذا أردت زيادة في الإيضاح

فانظر الى موقف الشريعة من الأذان : إذ اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض .

ألا وإن للشعائر في نظر الإسلام مكانة العروض المقدسة . وعلى هذا انفتحت كلمة الفقهاء في ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافاً في ذلك ، نزولاً على حكم هذه الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقاً للغرض المقصود ، وهو التقرب إلى الله بإراقة الدم ؛ والله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون . وما كان اختلاف الفرائض في عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات ، واختلاف مقادير الزكاة ، والكفارات ، وسائر ما دخله العد ، أو اعتبرت فيه الكيفية - إلا نوعاً من هذا التعبد الذي يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الخفية ، وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أو لم يعقل .

والعلماء يذكرون في هذا المقام أن هذه القرية تذكر بمحادث الفداء الذي حصل لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام ، وتنبه النفوس المؤمنة إلى مبدأ التضحية في سبيل الله وطاعته بأعز شيء لديهم . وفديناه بذبح عظيم .

على أن في العمل بهذه القرية سراً اقتصادياً يرجع إلى سكان البادية ، ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : « ربما إلى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجمل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ، ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التي تنفق فيه هذه السلعة ، عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ، ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا المن والعطاء .

من هذا يتضح جلياً أنه لا يجوز للسليين أن يفكروا في استبدال القود بالهدى أو الاضاحي التي طلبها الشارع بذاتها ، إقامة للتصدق بشئها مقامها ؛ إذ ليس القصد هو التصديق ، وإنما القصد - كما قلنا - التقرب بها نفسها . وإتنا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير - بناء على ما نظن من حكم التشريع - لانتفتح علينا باب التفكير في التخلي عن الأعداد والكيفيات التي طلبت في كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن

يقول : إن الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله ، وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة 1 فليست هناك حاجة إلى ركوع أو سجود أو غيرها من كفايات الصلاة الخاصة ؛ وبذلك يفتح باب الشر على مصراعيه ، ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج .

أما ما يبررون به مثل هذا التفكير من أن لحوم الذبائح تسكرس في منى ، وترك التعفن المفسد للجو ، أو قمار المذمومة للأموال : فهذه الحالة - إن صحت - ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وإنما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الإلزام بأحكام الشرع ؛ فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح ، ولم يوجب أن يكون الذبح - فيما يطلب فيه الذبح - فى خصوص منى ولا بجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا إلا فى حالات مخصوصة ، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحجاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء ، فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وهرقوا الدم على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى ، وهيموها بالسبخ والتقطيع - لما كان لهذه الشكوى موضع ؛ ولكن جرت سنتنا فى التفكير أن نعد الوضع الذى جرت إليه العادات - وإن كانت فاسدة - صورة للتشريع ، فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلي عنه بالنقض على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التمييز والتبديل فى أحكام الله ، ولانلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانبا ، باستحساننا العاسد المبني على واقع جرت إليه الجبل وعدم التنظيم .

ونعد : فإن الكلام فى هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الحلباوى بك مع فضيلة المعفور له أستاذنا الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فعدت إلى فضيلته بعد البحث الطويل بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد فى هذه المسألة بإراقة الدماء ، دون أن أرى فى كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - إلى جواز استبدال التقود بها ؛ فاطمأن فضيلته إلى هذا وأقره ، وقد عرضت على فضيلته اقتراحا هو :

أه على فرض تكديس اللحوم — كما يقولون ، بعد مراعاة الأحكام الشرعية في زمان الدبح ومكانه ، وطلبه وعدم طلبه — يجب على المسلمين — وفيهم والحمد لله موسرور كثير — أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء المحتاجين في جميع الأقطار الإسلامية إن ضاق بها الفطر الحجازي ، أو يبيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين ، أو في سبيل الله العامة . وإن أعتقد أن هذا المشروع متى كفله العاملان العظيمان المؤمنان : عاهل مصر ، وعاهل الحجاز ، رأينا آثاره ، وانتفع الناس بشمراته ، في الموسم المقبل ، إن شاء الله .

هذا ما يجب أن ينزل عليه المسلمون في فهم أحكام دينهم ، وفي تنظيم العمل بها ، والمحافظة عليها ، والسلام على من اتبع الهدى .

( مجلة الأزهر ) الدين اعتقادات وتكاليف . فتاحية الاعتقادات يشترط فيها عندما تحكيم العقل ، فهو الرادع القوي للخيالات أن تسيطر على المعتقدات ، وما سمح لزعماء الأديان السابقة على الإسلام أن يُدخلوا فيها ما شامت لهم الأهواء إلا لغفلهم تحكيم العقل ، بل زعم هؤلاء الرؤساء أن الدين لا يصح أن يخضع لحكم العقل . وما علموا أن هذا يفتح لهم باب الخيالات على مصراعيه فيحملهم رؤسؤهم ما يروق لهم أن يحملوه من الخرافات ليقنادوم لطاعتهم كما يقنادون العجارات . ولكن التكاليف لا يمكن أن يشترط فيها هذا الشرط : لأن من المتدينين جهالا وأنصاف متعلمين لا يتجاوز تفكيرهم ما ألفوه في محاولاتهم المحدودة ؛ بل المتعلمون لم يصلوا من العلم إلى نهايته ليدركوا حكم جميع التكاليف الدينية ، فاستنته الشريعة الإسلامية من هذه التكاليف يجب قبولها بدون مناقشة فيها ؛ ألا ترى أن الطفل لا يعقل حتى فائدة الدواء فيهرب من تعاطيه ؛ بل ربما استنكر بعض القيود الصحية وعدما من أبويه تحكما ، فلما يكبر يدرك أن أبويه كانا على حق فيما ألزاماه به منها .

وقد رأينا أن نذيل هذه المقالة القيمة لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت تأييدا لقوله . والله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء ، بما يدركون حكمته وبما لا يدركون .

من ذخائر السنة

## أهداف الهجرة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ، .

\*\*\*

تواتر النقل عن الأئمة في فضل هذا الحديث ، وتعظيم قدره ، وكثرة فوائده ، وقد صدر به الإمام البخاري كتابه الصحيح اتباعاً لما كان يستحبّه السلف الصالح من تقديمه أمام كل شيء يبدأ من أمور الدين ، لعموم الحاجة إليه ، ولتنبيه على مزيد الاعتناء بحسن النية ، والاهتمام بالإخلاص في الأعمال ، وللإشارة إلى أن كل عمل لا يُراد به وجه الله ، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة .

وافق كثير من الأئمة على أنه أحد الأحاديث التي يسلو الدين عليها ، وأنه أصل عظيم من أصول الإسلام .

وقال عنه الحافظ ابن مهيدي : لو صُنِّفَت كتابا في الأبواب ، لجعلت حديث عمر بن الخطاب في الأعمال بالنيات رأس كل باب ، وينبغي لمن أراد أن يصنف كتابا أن يبدأ بهذا الحديث .

وقد قيل في سببه ومورده : إنه لما أمر بالهجرة من مكة الى المدينة ، تخلف جماعة عنها ، فذمهم الله بقوله : « إن الدين توفاكم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كما مستضعفين في الارض » قالوا . ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا ، ولم يهاجر جماعة آخرون لفقد استطاعتهم ، فمذرم الله ، واستشاهم بقوله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا ، « وهاجرت جماعة ثالثة ، فدحها الله في غير موضع من كتابه . واشتهر أنه كان بين المهاجرين رجل أراد أن يتزوج امرأة يقال لها : أم قيس ، فأبى أن تزوجه حتى يهاجر ، فهاجر لاجلها ، وتزوج بها ، وكانوا يسمونه مهاجر أم قيس ، فمعرض به ، تفيراً عن مثل قصده .

وهذا السبب ، وإن كان خاص المورد ، لكن العبرة بعموم اللفظ . وذكر الدنيا مع المرأة من باب زيادة النص على السبب .

\*\*\*

صدر الحديث بكلمتين جامعتين ، وقاعدتين شاملتين ، هما : إنما الأعمال بالنيات ، و : إنما لكل امرئ ما نوى ، ويراد من الجملة الأولى الإخبار عن الأعمال الاختيارية بأنها لا تقع من العامل إلا عن قصد هو سبب عملها ووجودها ، وبأن صلاح العمل وفساده إنما هو بحسب النية المفتضية لإيجاده : ويراد من الجملة الثانية الإخبار عن المرء بأنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به ، فإن نوى خيراً ، حصل له خير ، وإن نوى شراً ، حصل له شر : وبأن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة ، وعقابه عليه بحسب نيته الفاسدة .

وليس المراد في الجملة الأولى نفي ذات العمل ، لأن الذوات غير منفية ، إذ تقدير إنما الأعمال بالنيات : لا عمل إلا بالنية ، ولأن ذات العمل الخالي عن النية موجودة ، وإنما المراد نفي أحكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والسكال على اختلاف التقدير فيها ، فقد قال الأئمة الثلاثة بأن التقدير فيها : إنما صحة الأعمال

باليات ، وأدخلوا جميع الأعمال من الصلاة والصوم والزكاة والحج والوضوء ، وغير ذلك مما تطلب فيه النية ، عملاً بقضية العموم . وذهب أبو حنيفة وأصحابه الثلاثة ، والنورى ، والأوزاعى وغيرهم : إلى أن التقدير : إنما كمال الأعمال ، أو ثوابها ، أو نحو ذلك بانيات ، لأنه هو الذى يطرُد ؛ فإن كثيراً من الأعمال يوجد ويعتبر شرها بدونها .

وجعل بعضهم المقدور فى الجملة هو القبول ، فقال : إنما قبول الأعمال باليات ، لكنه تردد فى أن القبول هل ينفك عن الصحة أولاً ؟ فعلى أنه ينفك هو كتقدير الكمال ، وعلى أنه لا ينفك هو كتقدير الصحة .

وقال بعضهم : لا حاجة إلى إضمار محذوف من الصحة أو الكمال ، أو نحوهما ، إذ الإضمار خلاف الأصل ، وإنما المراد حقيقة العمل الشرعى ، فلا يحتاج حينئذ إلى إضمار .

وعلى هذه التقادير جميعها ، فإن الخلاف ليس فى اشتراط النية فى المقاصد ، وإنما الخلاف فى اشتراطها فى الوسائل ، ومن ثم لم يشترطها الحنفية فى الوضوء مثلاً ، لأنه مقصود لغيره لا لذاته ، فكيفما حصل ، حصل المقصود ، وصار كستر العورة ، وباقي شروط الصلاة التى لا تقتصر على النية .

وليس هناك تكرار بين الجملتين ؛ فإن الحكم قد ذكر بالأولى ، وأكد بالثانية ، تنبيهاً على شرف الإخلاص ، وتحذيراً من الرياء المانع من الخلاص ؛ وإن الجملة الثانية دلت على أن الأعمال العادية التى لا تتوقف على النية ، قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلها القربة ، كما دلت على أن من نوى شيئاً يحصل له ثوابه ، وإن لم يعمل له مانع شرعى كريض تخلف عن الجماعة .

ولما كان فى تينك الجملتين نوع إجمال ، ساق الحديث عقبهما مفرعاً عليهما تفصيل بعض ما تضمنته زيادة للإيضاح ، ونصاً على صورة السبب الباعث على هذا الحديث ، فذكر مثلاً من الأمثال والأعمال المتحدة فى الصورة ، المختلفة صلاحاً وفساداً باختلاف المقاصد والأهداف ؛ وقد بين فيه أن من هاجر إلى دار الإسلام حباً لله ورسوله ، ورغبة فى تعلم دين الإسلام وإظهاره حيث كان

يعجز عنه في دار الشرك، فهذا هو المهاجر حقا إلى الله ورسوله، وأن من كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام، ليطلب دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها في دار الإسلام، فهجرته إلى ما هاجر إليه من ذلك؛ فالأول تاجر، والثاني خاطب، وليس واحد منهما بمهاجر.

والأهداف المنشودة من الهجرة كثيرة، وهي تتنوع بتنوع الغرض منها، فالهدف في الهجرة إلى الله ورسوله هو اتباع أمرهما، وامتنال حكمهما، وابتغاء مرضاتهما، وهو كما ترى هدف واحد، يتناول سائر أقسام الهجرة: من هجرة إلى الحبشة والمدينة، وهجرة القبائل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهجرة مانه إلى الله عنه؛ ومن ثم اقتصر في جواب الشرط على إعادته بلفظه. أما الأهداف في الهجرة لأموال الدنيا، فكثيرة لا تنحصر ومتعددة لا تقف عند حد، ولا يجمعها غرض واحد؛ فقد يهاجر الإنسان من أجل تجارة، أو إعاره، أو زيجه، أو تراث، أو ثار، أو أى شأن آخر غير ذلك من شئون الدنيا ومطالب الحياة؛ ولهذا عبّر في الجواب بقوله: فهجرته إلى ما هاجر إليه، إشارة إلى تحقير ما طلبه من أمور الدنيا، واستهانة به، كما أشار بالأول إلى تعظيم الهجرة والمهاجر إليه.

وليس كل هجرة لأموال الدنيا مذمومة مطلقا، فإن من نوى بهجرته مفارقة دار الكفر، وتزوج المرأة معا، لا تكون هجرته قبيحة، ولا غير صحيحة، بل هي نافعة بالنسبة إلى من كانت هجرته خالصة، وإنما المذموم هو طلب المرأة في صورة الهجرة الخالصة، فأما من طلبها مضمومة إلى الهجرة، فإنه يثاب على قصد الهجرة، لكن دون ثواب من أخلص، وكذا من طلب الزوج فقط لا على صورة الهجرة إلى الله، لأنه من الأمور المباحة التي قد يثاب فاعلها إذا قصد بها القرية كالإعفاف.

\*\*\*

إنما: هي لتقوية الحكم الذي في حيزها اتفاقا، ولإفادة الحصر عند المحققين، وهو إثبات الحكم للذكور، وصرفه عما عداه؛ واختلفوا في إفادتها الحصر،

هل هو بالمطوق، أو بالمفهوم، أو بالوضع، أو بالعرف، أو بالحقيقة، أو بالمجاز، ورتجح بعضهم أنها بسيطة، ورتجح آخرون أنها مركبة من إن التوكيدية، وما الكافة، وهي حرف زائد.

والأعمال: جمع عمل، وهو حركة البدن بأكمله أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، وآثر ذكر الأعمال على ذكر الأفعال، لأن لفظ العمل أخص من لفظ الفعل، فالفعل ينسب إلى الهائم والجسادات، كما ينسب إلى ذوى العقول، بخلاف العمل، فإنه يعتبر فيه القصد؛ وأما الصنع فهو أخص من العمل، لأنه لا يقال إلا لما كان من الإنسان بقصد واختيار بعد فكر وتحرر.

والنيات: جمع نية، وهي لغة القصد، وشرعا: قصد الشيء مقترنا بفعله، فإن تراخى عنه كان عزمًا، أو يقال: قصد الفعل ابتغاء وجه الله، وأمثالا لأمره؛ وهي هنا محمولة على معناها اللغوي، ليطابق ما بعده من التقسيم. وجمعت باعتبار تنوعها، لأن المصدر إذا اختلفت أنواعه جمع كالعلوم، أو باعتبار مقاصد النಾಯ كقصده تعالى، أو تحصيل موعوده، أو اتقائه وعيده.

والنية في كلام العلماء تقع بمعنىين: أحدهما: تمييز العبادة بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظيف، وهذه النية هي التي ترد كثيرا في كتب الفقهاء؛ والمعنى الثاني تمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده، أو لله وغيره؟، وهذه النية هي التي يتكلم فيها العارفون، وتوجد كثيرا في كلام السلف.

والامرؤ: الرجل خاصة، وخصه بالذكر لشرفه وأصله، وغلبة دوران الأحكام عليه؛ وقيل: يشترك فيه الرجل والمرأة، وفيه لغتان: امرئ، كزبرج، ومرتء، كفلس، ولا جمع له من لفظه، وعينه تابعة للامه في الحركات الثلاث، قال تعالى: «إن امرؤ هلك»، وقال: «ما كان أموك امرأة سوء»، وقال: «لكل امرئ»؛ وفي مؤنثه أيضا لغات: امرأة، ومراة، ومرة؛

وفي الحديث استعملت اللغة الأولى منهما من كلا النوهين ، حيث قال : « لكل امرئ ، ، و : « الى امرأة » .

والهجرة : الانتقال من محل الى محل ، وأصلها هجران دار الشرك الى دار الإسلام ، كما كان يفعل المهاجرون قبل فتح مكة ، حيث كانوا يهاجرون الى الحبشة ، والى مدينة الرسول ؛ والمراد بها هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شيء الى شيء صوريا أو معنويا . والهجرة انى الله معناها فى حقه تعالى ، إما على التشبيه البليغ ، أى كأنه هاجر إليه ، أو على حذف مضاف ، أى هاجر إلى محل رضاء وثوابه ورحمته ، أو يقال : إن الانتقال إلى الشيء عبارة عن الانتقال الى محل يحده فيه ، ووجدان كل أحد على ما يليق به ، فالمراد الانتقال الى محل قربه المعنوى وما يليق به .

والدنيا : هى ما على الأرض من الجو والهواء ، أو هى كل المخلوقات من الجواهر والأهراض الموجودة قبل الدار الآخرة ؛ وهى بضم الدال مقصورة غير متونة ، وقد تكسر وتون ، وأنكر التنوين على القائل به ، وقيل : إنه لا يعرف فى اللغة ، والصحيح جوازه ؛ قال فى القاموس : والدنيا نقيض الآخرة ، وقد تون ، وجمعها دُنَى .

وسميت بذلك ، لدنوها إلى الزوال ، أو لسبقها الآخرة ، أو لدناءتها وخصتها .

وقد ذكرت المرأة فى الحديث مع الدنيا ، وجعلت قسما قائما بذاته مقابلها مع أنها داخلة فى مسماها باعتبارها من أفضل متعها ؛ إشارة إلى سبب ورود الحديث من الهجرة إلى المدينة للتزوج بها ، وإيفادنا بشدة فتنة المرأة ، وزيادة فى الحث على اتقاء ضررها ؛ روى البخارى ومسلم وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما تركت فى الناس بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء ، .

# بين الشريعة والقانون

## نظرات في توثيق المعاملات المالية

فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي  
المفتش بالأزهر

### التوثيق بالكتابة :

قلنا فيما سلف : إن علماءنا — أحسن الله إليهم — وقفوا من آية التوثيق في الدين عند رأيين ؛ ففريق يرى وجوب التوثيق على وجه الإطلاق ، وفريق يرى نذب التوثيق كذلك .

وقلنا : إن كلا من الرأيين مع ما استند إليه من أدلة ، لم يسلم من التوهين ، وإن المسألة لم تنزل بحاجة إلى الاجتهاد وال ترجيح لأحد الرأيين ، أو لما يبدو من رأى ثالث .

ونحن إذا لم تتأثر بنزعة التعصب لفريق أو التحيز لأحد المذهبين ، وإذا وقفنا أمام النصوص وجهها لوجه ، واستأنسنا بروح التشريع ، وما يقصد إليه من الخير للناس ، لجأنا أن نتهدى إلى رأى تستريح إليه النفس .

وقد تحدثنا في مطلع هذه البحوث عن شأن المعاملة المالية في حياة الناس ، ونحن نعلم إلى جانب ذلك أن الشريعة نهت عن التبذير ، وعن تعريض المال للضياع في مثل قوله تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، وفي مثل قوله عليه السلام : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات - إلى قوله - وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة الأموال » ( ص ٣١٣ ج ٤ تفسير الوصول ) . فإذا جاءت آية الدين صريحة في الأمر بالكتابة والإشهاد ، محافظة على المال ، ومنعاً من التنازع ، وجب أن تسيرها فيما وجهتا إليه صراحة ، وأن تنزل بها عند ما قصدت إليه من الأغراض ، وأن تبعد بها عما يوهن مغزاها .

بدأ الله سبحانه آية الدين بصيغة النداء « يا أيها » التي يستعملها العرب في مناداة البعيد حقيقة ، أو المنزل منزلة البعيد ، لزيادة التثنية إلى المقصود ، ثم وصف الله عباده في النداء بوصف الإيمان ، وفي هذا الوصف استنهاض لهم أن يحرصوا على ما وجه اليهم من التكليف ؛ فإن الإيمان الصحيح يقضى عليهم بذلك ؛ وكان ممكناً أن يحاط بهم بوصف غير ذلك مثل « يا بني آدم » ، « يا عبدي » ، « يا أيها الناس » الخ ، ولكنه عدل إلى خطابهم بوصف الإيمان لإيقاظ شعورهم ، وإزالة العفلة عن مداركهم ، ليزدادوا إقبالا على ما وراء النداء .

ثم ساق الله تعالى بعد النداء في عرض الآية نحو اثنتي عشرة صيغة من صيغ الأمر والنهي في صدد كتابة الدين ، ومن الذي يكتب ، ومن يشهد ، ومن يمل على الكاتب من المدين أو وليه إذا كان هو ضعيفا الخ ، وكل هذه الصيغ واضحة بين في مدلوله ، فلا إجمال ، ولا تشابه ، ولا سوى هذين مما قد يخفى معه المراد .

ثم ختم الله الآية بثلاث صيغ يعتبر كل منها توجيها لما ساق من أمر ونهي ، وهي قوله تعالى « ذلكم أقسط عند الله » ، « وأقوم للشهادة » ، « وأدنى الأرتابوا » .

ومن هذا الأسلوب يتجه ذهن انجما أوليا إلى أن الاستيثاق الكتابي في الدين واجب شرعا وإن لم يكن شرطا في صحة التعامل . وليس في الآية نص له من القوة ما لهذه النصوص أو ما يقرب من ذلك يصرفها عن الوجوب ، فإذا رأيت فقهاء المذاهب أو كثيرا من المفسرين يتجهون بعد ذلك إلى القول بالدب كان قولهم - عندى - موضع الكثير من التردد ، وإن كان من بينهم علماء مذهبي - مع إجلالى لهم جميعا - وقد أسلفنا ما استند إليه القائلون بالدب . وما زاده الحنابلة عن سوامم في التخلص من القول بالوجوب أن عللوا للدب بقولهم : إنه أقطع للزراع ، وأبعد من التجاحد ، ثم زادوا ثانيا فقالوا : إن الدب في الكتابة والإشهاد خاص بماله خطر ، فأما الأشياء القليلة الخطر كعوائج البقال والبطار وشبهها فلا يستحب فيها ذلك ؛ لأن العقود فيها تكثر ، فيشق الإشهاد عليها ، وتصح إقامة البينة عليها ، والارتفاع إلى الحاكم من أجلها ، بخلاف الكثير . انتهى (ص ٣١١ ج ٤ معنى) .

ولست هذه التوجيهات عندى بكافية في التغلب على ما تعطيه الآية في قوة من الدلالة على الوجوب .

وتوضيح ما أقول من وجهين يطول فيهما السياق .

( الوجه الأول ، وفيه استطراد ) : أن قوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته » جزء أخير من الآية : إذ الآية ذات شقين : أحدهما في الكتابة ، والثاني في الرهن .

والجزء الذي معنا من الشق الثاني ، جاء بعد ذكر الرهن ، فهو بعيد نوعا عن سياق الأمر بالكتابة ، وهو من أجل موقعه هذا مؤد - فيما أفهم - لاحتالات ثلاثة : ( ١ ) أن يكون كما قال الجمهور نسخا للوجوب أو بيانا من أول الأمر لأن المراد التدب ، ومع أن هذا ملحق بنظر الكثيرين ، فيمده أن هذا الجزء جرى به بعد الانتقال من صدر آية فسيحة إلى عجزها ، وبعد استثناء التجارة الحاضرة بما يكتب ، وبعد الأمر بالاستشهاد على الكتابة ، والأمر كذلك بالإشهاد على البيع ، أي بعد الانتقال من هذا كله إلى الكلام على الرهن ؛ والرهن طريق آخر من طرق التوثيق ، وذلك بما يبعد عن الذهن ارتباط هذا الجزء بما سبق أولا : لا على جهة النسخ ، ولا على جهة البيان للرداد .

( ب ) الاحتمال الثاني ، وهو أوجه من سابقه : أنه للحض على الامانة في الرهن بخصوصه إذا وقع به الاستيثاق ، إذ المفروض أن الرهن عين مالية كفيلة بسداد الدين ، وقد ترتفع قيمتها عن مقدار الدين يوما ما فيقطع فيها المرتهن ويحدها مؤثرا حط نفسه على مصلحة صاحبها .

وقديبط ثمها عند الحلول عن مقدار الدين ، فيتخلى عنها صاحبها متكررا أنه مدين وأنها مرهونة من قبله . ولا يمنع من هذا الغرض تقدير وجود الشهود ، فإن الجمهور الذين تنجهم إليهم بتلك الاحتمالات لا يرون الاستشهاد واجبا ، وعلى أصلهم هذا يجوز ألا يكون مع الرهن شهود ، أو كانوا وانعدموا ؛ فالتوثيق بالرهن مع كونه تأمينيا لا يمنع احتمال التجاحد على ما صورته من جانب أحد المتعاملين ، ولا يكون الرهن كافيا في حسن القضاء من المدين ، ولا في حسن الاقتضاء من الدائن ، فكلاهما بحاجة إلى التذكير بالأمانة التي في عهده ؛ وهي الدين عند الأول ، والرهن عند الثاني ؛ وكل منهما مؤتمن من جانب صاحبه ، ومقصود بقوله تعالى : « فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » فلا يحيف الواحد بالآخر . ويساعدني

على هذا التوجيه أن الله عبر بالموصول وهو صفة لغير مذكور، ويصح تفسيره بكل منهما أو بما يشملهما جميعاً بأن يقال: فليؤد المدين الذى أؤتمن على الدين أمانته، أو فليؤد الدائن الذى أؤتمن على الرهن أمانته، أو فليؤد المؤتمن أمانته، وكلاهما مؤتمن ولا ريب؛ فتكون صلة الموصول وهى جملة «أؤتمن» موصوفاً بها كل منهما، وحيث كان الوصف الذى نيط به الأمر وتعلق به الحكم عالقاً بكل منهما، يكون التعميم مقصوداً؛ ولو لم يكن كذلك لقال: فليؤد المدين - مثلاً - أمانته. وعلى هذا الاحتمال يكون ذلك الجزء من الآية قاصراً على الرهن المقرون به فى الذكر، ولا شأن له بفسخ الأمر أولاً، ولا ببيان أنه للندب كما يريد القائلون فى تكلف.

الاحتمال الثالث: أن تتوسع فى توجيه ذلك الجزء من الآية، فلا نجعله خاصاً بالكتابة كما ذهب القائلون بالندب، ولا نجعله خاصاً بالرهن كما قلت فى الاحتمال الثانى، ولنا فى هذا التوسع أفهام ثلاثة:

الفهم الأول - وقد قال به ابن جرير والضحاك، واختاره الشيخ محمد عبد - أن نجعل هذا الجزء محمولاً على حالة الضرورة التى لا يتيسر فيها كتابة ولا رهن، فتكون المدافنة مستندة إلى مجرد الأمانة للضرورة التى أباحت عدم الاستيثاق.

الفهم الثانى: أن الآية اشتملت على الأمر بالاستيثاق وجوباً بالكتابة أو بالرهن بدلاً منها، ولم يقف التكليف عند هذا الحد، بل أمر كل من المتعاملين فى الجزء الذى نتحدث عنه أن يودى الأمانة التى ارتبط بها التعاقد على وجه السكال، وأن يتقى الله ربه فى الوفاء بها كذلك؛ والمعنى: إذا تم بينكم التعاقد والاستيثاق الواجب بالكتابة أو بالرهن أو بهما معاً، فعليكُم واجب آخر بعد هذا، وهو أن يرعى كل منكم حق الأمانة فيؤدى المدين دينه، ولا يماطل ولا يتصل من الوثيقة بتزييفها أو الطعن عليها بأن صاحبه تلاعب فيها أو عبث بها، ولا يتركها إن كانت عيناً، ويحصد ما عليه سكرناً أصل التعامل.

وكذلك الدائن، عليه أن يودى الأمانة التى عنده، وهى الوثيقة الكتابية أو العين المرهونة، فلا يحرف الكتابة، ولا يقص العين المرهونة، ولا يخون باستعمالها استعمالاً غير مسموح به، ولا يتلصق فى تسليم الوثيقة إلى صاحبها حين

الوفاء ، مخافة أن يثير التلکؤ نزاعا بينهما ، أو مخافة أن تبقى حتى تنتقل إلى ورثة الدائن ، فيعودوا إلى المطالبة بالدين ، أو يدعوا ملكها إن كانت عيا .

ذلك كله ، لأن المعاملة وإن كانت موثقة بكتابة أو رهن ، مبنية على فرض الأمانة في الجانبين ابتداء ودواماً ؛ فإن الله تعالى يأمر المتعاملين أن يؤديا الأمانة ويتقيا الله ربهما .

الفهم الثالث ، الذى يصح أن نأخذ به وهو يتفق نوعاً مع توجيه حسن للشيخ رشيد رضا : أن يكون هذا الجزء من الآية مراداً منه عموم الأمانات التى تشمل ما نحن فيه وغيره ، فكان الله عز شأنه بمعد أن بين حكم الاستيثاق بالكتابة والإشهاد والرهن ، عمم فى أمره بالأمانة فى المعاملة ليشمل ما كان موثقاً وما لم يتيسر توثيقه ، وما كان مؤجلاً وما كان حالاً ، وما كان معاوضة ، وما لم يكن معاوضة .

وفى هذا العموم تدخل الوديعة والعارية واللقطة ، وكل ما تناولته اليد بغير تعاقد ، كما دخل القرض والبيع المؤجل والناجز لما فيه من ضمان الدرك ، فكل واحد من هذه الأنواع بحاجة إلى الصدق حتى يؤدي المدين دينه فى كرم ووفاء ، ويتقاضى المستحق حقه فى رفق وحسن اقتضاء ؛ وحتى لا يكون فى البيع خلافة - غش - ولا تدليس ، ولا يتقدم أحد المتبايعين إلى صاحبه بشئ مستحق لغيره لیسكون كلاهما ضامناً لعهدة ما بذله من ثمن أو مئونة ضماناً صحيحاً .

وإلى هذا كله أرشدنا النبى صلوات الله عليه بما فعل فى الوثيقة التى كتبها للعداء بن خالد ، وقد باع النبى عليه السلام عبداً ، أو أمة ، على ما تقدم نقله عن الترمذى ، فكانت الوثيقة لصمان العهد فى المبيع ؛ وأرشدنا كذلك عليه السلام بقوله فى حديث جابر ، رحم الله رجلاً سمعاً إذا باع وإذا اشترى ، وإذا اقتضى ، ويقول : إذا تبايعت فقل لا خلافة ، أى اشترط عدم الغش ، وهكذا فى غير حديث .

وبذلك كله أمرنا الله سبحانه وتعالى أمراً عاماً فى قوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، ولهذا الإسهاب خلاصة سنعرض لها إن شاء الله وكان فى الأجل بقية .

## عبرة وعظة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار  
المدرس بكلية أصول الدين

تلك الحوادث والقوارع التي تزل بالافراد والجماعات ، من زاعت قلوبهم وعميت بصائرهم ، وانحدروا عن جادة الصواب ، وابعدوا عن الحق ، جزاء وفاقا لما اكتسبت أيديهم ، وزينته لهم نفوسهم الخبيثة ، وأهواؤهم العاسدة - عبرة لدوى الآلالباب وعظة ، لأنها ترك في نفوس من يعلمونها مشاهدة أو سمعا أثرا يوقظهم من سباتهم ، وينبهم من غفلهم ، ونورا يسرى بين أيديهم وأرجلهم ، ومرشدا يصرفهم عن المثالب والمهالك ، ويهديهم إلى هي أقوم وأجدى عليهم وأنفع .

من أجل ذلك ترى المزعجات والكوارث ، والآفات التي تصيب الانفس والشرات ، لا تكاد تعدو جيلا من الأجيال ، ولا عصرا من العصور ، ولا تكون من ساحته بمنجاة ، بل أصبحت متآحية مع الزمن ومتخالفة معه ، لا تتعد عنه ولا يتعد عنها ، نذيرا لأهله ، وآية لهم زاجرة ، علمهم يعتبرون ويتعظون .

وترى كتاب الله الذي لا ينطق إلا بالحق ، يحدث كل العصور بما كانت عليه بعض الأمم السابقة : من حضارة وعمران ، وتطاؤل في البنيان ، وجنات معروشات وغير معروشات ؛ وما أجمل هذا الحديث وأحلاه ؛ فهو حديث مستطاب ، يلقى السامع له بالآذان صاغية ، وقلب واع ، وشعور مرهف ، لأنه حديث تعلق بمحبوبه وقررة عينه وأشهى مرغوب فيه ؛ تعلق بما هو زينة الحياة الدنيا وبهجتها ، وأشرب في كل قلب حبه والحرص عليه ، والتماس كل الطرق في سبيل الوصول إليه ، مهما كلفه ذلك من جهد ونصب وإعياء وكل ؛ لذلك تراه ينطبع في نفسه ، ويستقر في ذهنه ، ويحسب أنه بين أحضانهم يماصرهم ويعيش معهم ، وكأنه ينعم بما ينعمون ، يستنشق طيب الهواء ، ويشرب من نعيم الماء ، ويأكل فاكهة تم نضجها

وطالب مذاقها، وبينما هو معهم في نعمة فاكهين إذ يقرع سمعه أنهم يُبدلوا بنعيمهم يؤسا وشقاء، ويخبرهم شرا وضرا وطعاما غير مستساغ، جزاء لهم على كفرهم وعدم شكرهم لمن أنعم عليهم بتلك النعم الجيزة .

إذ ذاك يفيق من سباته، ويدرك أن الحديث بشأن قوم سابقين بيطروا النعمة وجحدوها، فأزالها عنهم وأذاقهم لباس الجوع والخوف، وحالفهم صروف الليالي وقوارعها، ونوائب الأيام ونوازها . وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

إذ ذاك يعلم علم يقين أن كفر النعمة يوجب زوالها، وما أحرص الناس عليها ! ويترك في النفس أسى ولوعة، وما أشد ذلك على النفس وأمره .

وامك لتجد هذا يتجلى بصورة واضحة في مثل قول الله تعالى : لقد كان لسيا في مكنتهم آية : جنتان عن يمين وشمال، كماوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم، وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي آكل يخطن وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزياهم بما كفروا، وهل يجازى إلا الكفور<sup>(١)</sup> .

جعلهم الله أحداثنة سائرة، وعظلة زاجرة، ومثلا مضروبا، ولساما للحق، وحجة على الباطل، وهداية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولذلك لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين من الإعراض والتكذيب والاستهزاء، في الآيات الرابعة والخامسة والسادسة من سورة الأنعام، وعظم بالقرون الماضية، فقال عز من قائل : ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم، فأهلكناهم بذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين .

(١) سيا : اسم قرية . ومكنتهم مأرب باليمن . جنتان : جاعتان من البساتين . العرم : المطر الشديد . والأكل : المأكل . والخطن : ثمر سر : أي ذواتي آكل مر بشع . والآثل : نجر يشبه حجر الطرفة لا ثمر له، وهو مطلوب على أكل لا على خط لأن الآثل لا أكل له .

ومن ذا الذى لا يعتبر ولا يتعظ ، ولا يرعوى عن غيه وضلاله ، حينما يسمع قول الله فى شأن فرعون وقومه : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، وآنعة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورشالما قوما آخرين . فما بكث عليهم السماء والأرض ، وما كانوا مستظرين ، .

ولم كان العبرة فى ذلك وجلالها وعظيم أمرها ، جاء هذا النوع فى كتاب الله مستفيضاً ، وجاء فيه الحث على انصرب فى مناكب الأرض والسير فيها ، والنظر فى آثار الهالكين ، ليشاهدوا بأنفسهم الدليل المادى على سوء مغبة الزانغين كيف كان مصرعهم وهلاكهم ، فقال : « قل سبروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، « قد خلت من قبلكم سنن فسبروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » .

وكما يرشدنا القصص القرآنى الى أن كفر النعمة يوجب زوالها ، فضلاً عما أعد من العذاب الشديد ، كذلك يرشدنا الى أن طاعة الله وشكره على نعمه يوجبان حفظها والمزيد منها ، فها هو ذا داود عليه الصلاة والسلام أطاع ربه وأتاب إليه وشكره على نعمه ، فألآن له الحديد ، وعله صنعة الدروع ، وأنمر عليه بابه سليمان الذى ورثه ملكه وعله وحكمته ، ولقد آتينا داود ما فضلاً يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير <sup>(١)</sup> ، « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » .

وعلى الجملة فالقصص القرآنى يقطع نياط قلوب المستهزئين ، ويخلع أئمة المتاة المستكبرين ؛ شهر سيف التخويق والوعيد فى وجوههم ، ولوح بغضن الزيتون ولبن العيش للبعيرين المتعطين .

---

(١) أوبى منه : أى رجبى معه التسيح . ونصب الطير بالطيف على فضلاً . ألنا له الحديد أى جعلناه لبنا كالسمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير إحما . يار ولا ضرب بمطرقة . سابغات : دروعا واسعات . وهو أول من اتخذها على ما قيل . وقدر فى السرد : أى قدر فى مساميرها فلا تعملها دقاً ولا غلاظاً .

فهو يعلم دماثة الأخلاق، ويعنى النفوس، ويهذب الطباع، ويحشد سورة الغضب، ويلين العريكة، وهو المثل الأعلى في نشر مطارف الحكمة والآداب العالية، وإنارة طريق الخير لمن أراد سلوكا.

هذا وإن القصة الواحدة لتذكر غير مرة في مواطن كثيرة وفي غير سورة واحدة، ولا يحتملك هذا على أن يأخذك العجب من تكرار في كتاب أحسكت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، لأن ذلك لمزايا وحكم سامية قصدتها حكم الآيات مدبر الكائنات، العالم بيواطن الأمور وخفيات الأسرار.

قد تذكر القصة مشتملة على زيادة في سورة ومكان لاقتضاء الحال والمقام ذلك، وتأتي في سورة أخرى أو في مكان آخر من غير هذه الزيادة لاقتضاء الحال عدم ذكرها. وقد تذكر القصة في موطن على طريق الإطباب، وفي موطن آخر على طريق الإيجاز، ليتجلى إعجاز القرآن وبلغ فصاحته، ورصانة لفظه، وجودة نظمه على كلتا الطريقتين. وإنك لتقرأ القصة في موضع، ثم تقرأها في آخر وآخر، وفي كل هذا تشعر كأنك تنتقل من روضة إلى روضة، تشاهد زهورا ذات ألوان تأخذ بالابصار، تشاهد تفسيرات بديعة تسحر العيون وتلك الأبواب، تفتطف من يافع الثمار، وتجنى من كل مائد وطاب، وفي كل هذا لا يمل القارئ، ولا يسأم السامع، بل تزداد الحلاوة وتظهر الطلاوة، وتتفتح غشاوات الأبصار، وتستدير القلوب، وتصفو النفوس، وتذعن العقول الجبارة، بأن هذا كلام خلاق القوى والقدر، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

## رفض النصيحة

قال سبيع لاهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم:

يا بني خيفة: بعدا لكم كما بعدت عاد وثمود، والله لقد أنبأتكم بالامر قبل وقوعه، كأنى أسمع تجربته، وأبصر غبه، ولكنكم أينتم النصيحة، فاجتئتم الدامة. وإنى لما رأيتم تهمون النصيح، وتسقمون الحليم، استشعرت بكم البأس، وخفت عليكم البلاء. والله ما منعكم التوبة، ولا أخذكم على غرة. ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ، وهزى الموعوظ.

## دين

لقضية الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين

## أولا — في الفرنسية :

١ — قد يراد بهذا الاصطلاح نظام اجتماعي تأخذ به أنفسها طائفة من الناس  
يوحد بينها :

أولا — القيام بأنواع خاصة من الشعائر والأعمال المطردة .

ثانياً — الاعتقاد في قوة أو قيمة مطلقة ، أى حقيقة بمعنى الكلمة حتى  
لا يمكن أن يوازن شيء مما بها ، ويكون هذا الاعتقاد هو العرض الذي تعمل  
الطائفة على تمكيته دائماً في القلوب .

ثالثاً — الاتصال بقوة روحية يراها المرء أعلى منه ، قوة يمثلها منتشرة في  
الكون [ وهذا مذهب الحلول ] ، أو ذات كثرة ، أو متوحدة وهي حينئذ : الله .

ب — وقد يراد به نظام يصطنعه الفرد لنفسه ، أو بعبارة أوجز : نظام  
فردى : من العواطف والاعتقادات والأعمال التي تتخذ الله موضوعاً لها . وفي  
هذا المعنى يقول إميل بوترو E. Boutroux في كتابه « العلم والدين » ص ٣٩٢ :  
الدين على التحقيق هو أن يتخذ المرء ، بجانب وجهة نظر العلم ، وجهة نظر العاطفة  
والإيمان La foi .

وتعبر « الدين الطبيعي » ( وكان يستعمل خاصة في القرن الثامن عشر )  
يراد به الاعتقاد في وجود الله وروحانية النفس وخلودها ، وطابع الالتزام للعمل

الأخلاقي، على أن يكون مصدر ذلك كله وحى الضمير والنور الداخلى الذى ينير كل إنسان . ولهذا يتقد جان جاك روسو فى كتابه « إميل »، المسيحيين الذين يتكفون أن يخلطوا بين هذا الاعتقاد، أو الدين الطبيعى، وبين الإلحاد أو عدم الدلية .

( ج ) وأخيرا، قد يراد بكلمة « دين » احترام يمنح الى المبالغة لمبدأ أو عادة أو عاطفة أو نحو ذلك؛ ومن ثم يقال : « دين الكلمة المعطاة » . وهذا المعنى الذى هو أقدم معانى كلمة « دين »، على الاحتمال العالى، كان فى الماضى أكثر استعمالا منه اليوم .

( د ) وإذا تركنا « لالاند » وقاموسه الضخم فى المقدمات الفلسفية، نجد القسيس إيلي بلان « Elie Blanc »، فى معجمه العلمى يذكر أن الدين مجموع مذاهب وعقائد تتعلق بعلاقة الإنسان بالله . وهذه المذاهب اختلفت باختلاف الأزمان والشعوب، بل تعارضت فيما بينها فى مسائل هامة، ومن ثم كان ما تعرف من ديانات عديدة : الوثنية، اليهودية، المسيحية، والإسلام . ثم يعقب المؤلف على هذا بقوله بأنه لا يوجد فى الحق بين هذه الأديان إلا دين حق واحد؛ وهذا الدين لم يولد كاملا، بل كمل مع الزمن، مثله فى ذلك مثل كثير من المذاهب المختلفة .

#### تعليقات :

١ — اشتقاق كلمة « دين » مختلف فيه؛ فأغلب القدامى، ومنهم القديس أغسطينوس المتوفى عام ٤٣٠ م، يرجعون هذه الكلمة إلى كلمة « ربط »، ومن ثم يرون فيها معنى الصلة . والرباط سواء كان رباطاً فيه معنى الإلزام ببعض الشعار، أو فيه معنى الصلة بين الناس بعضهم ببعض، أو بين الناس والآلهة أو الإله .

وفى اللغة اللاتينية، قد تدل كلمة « دين » بصفة عامة، على عاطفة الخوف والخشية فيما يحس به الإنسان من التزام نحو الآلهة، والقول فى ذلك العصر بآله متعددين جعل عدم كثرة فى الأديان؛ وحين وصل الإنسان الى الاعتقاد فى إله واحد، جرت حتماً إلى القول بدين واحد هو وحده فى نظر أصحابه الدين الحق .

ومنذ هذا اليوم صارت كلمة «دين» تدل على هذه التواحي الثلاث : مجموعة الحقائق التي يؤكدُها الدين ، مجموعة الأعمال الشعائرية ، العلاقة المباشرة بين الروح و الله . وهذا المعنى صار ، في أيامنا هذه يعدل المعنى الأول والثاني . ج . لاشيليه J. Lachelier عن « لا لاند » .

٢ — إن الذي يكونُ حقاً ماهية الدين هو التمييز بين نوعين من الوجود بين عالمين يختلف الواحد منهما عن الآخر . وهذا على ما يلوح ، هو فكرة إيكين Eucken حينما يذهب إلى أن ما هو أساس أو داني في الدين ، في كل صورهِ وأشكالهِ ، هو أن نرى في مقابل العالم الذي يحيط بنا نوعاً آخر من الوجود . ومن الممكن — كما يقول — أن يكون دين تغير العقيدة في إله ، كما يثبت هذا الدينُ البوذي القديم ، ولكن كلمة «دين» تكون كلمة لا معنى لها إذا لم نقر بوجود عالمين ، وبوجود نوع آخر من الوجود أسمي ، بما لا يقدر ، من الوجود الذي نحسه . ج . بنرubi J. Benrubi عن « لا لاند » أيضاً .

### ثانياً — في اللغة العربية :

- ١ — في لسان العرب : أن الدين هو الجزاء والطاعة والعادة والإسلام .
- ٢ — وفي مفردات الاصفاقي : أن الدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشرعة ، والدين كالملة .
- ٣ — ويرى الشهرستاني ( ١ : ٤٦ - ٤٧ ) أن الدين الطاعة والانقياد ، وأنه قد يرد بمعنى الجزاء والحساب ، وأن الملة والشرعة يتفرعان عن اجتماع الناس وحاجتهم في سبيل خيرهم للثنايف والتعاون .
- ٤ — والجرجاني في التعريفات ( ص ٧٢ - ٧٣ طبع استانبول ) يذهب إلى أن الدين والملة متعديان بالذات ، مختلفان بالاعتبار ؛ فالشرعة من حيث إنها تطاع تسمى ديناً ، ومن حيث إنها تجمع ( أي تجمع الناس على الأخذ بها ) تسمى ملة . وقيل بينهما فرق ، وهو أن الدين من الله والملة من الرسول .

٥ — وبعد هؤلاء جميعا نجد النّهائى (الكشاف - مادة دين) بعد ما بين معانى الدين اللغوية ، يقول بأن الدين وضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل . ويطلق على ملة كل نبى ، وقد يختص بالإسلام . ويضاف إلى الله لصدوره عنه ، وإلى النبى لظهوره منه ، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له .

هذا ، والدين إذا لم يقيد بأنه وضع إلهى ، أى إذا لوحظ من الناحية اللغوية وحدها ، يطلق على الدين الحق وعلى الأديان الباطلة أيضا ، ما عدا ما لا يقر بالبحث والجزاء منها ، لأن معنى الجزاء ملاحظ فى أصل اشتقاق كلمة دين ، من دان ، على ما هو معروف . والقرآن ، حين يقول : لكم دينكم ولى دين ، يفيد تحول كلمة دين ، للباطل أيضا من الأديان . لكن الدين الحق ليس فى رأى الشرع ، إلا ما كان وحيا من الله للمصطفين من خلقه لهداية الناس الصراط المستقيم ، بما يحى به من العقائد والأصول التى لا يختلف فيها الرسل . ويدل لذلك قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا به » . أى أوصيناك يا محمد وسائر الأنبياء دينا واحدا .

وبعد : من هذا الذى رأيناه فى معنى كلمة دين ، عن المفكرين العربيين والعلماء المسلمين ، نستطيع أن نؤكد أنه ليس من اليسير تحديد هذه الكلمة تحديدا جامعا مانعا كما يقولون ، تحديدا يرضاه جميع من عرض لبيان معناها . إذا ، لنا أن نكتفى بالقول بأن التحديد الذى نستخلصه مما سبق ونرضاه ، يجب أن يلاحظ فيه شعور المرء أو إحساسه بقوة عليا ، أو كائن أعلى علواً مطلقا ؛ وعاطفة تدفعه للإيمان به وتجعل بينه وبينه صلة وثيقة حتى تلزمه بعبادته على مظاهر مختلفة ؛ وبعد هذا وذاك ، يقين المتدين بأن هذا الكائن الأعلى ، أو الإله ، سيدبته فى اليوم الآخر بما فعل فى هذه الحياة الدنيا .

# الركن الشرعى للجريمة

فى الشريعة الاسلاميه وفى القوانين الوضعيه

مريان القانون على المكان

لحصرة الاستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم

القاضى بمحكمة الدنيا الوطنيه

القاعدة العامة فى التشريعات الحديثه ، هى : أن القوانين الجنائية إقليمية ؛ بمعنى أنها تسرى على كل من يرتكب جريمة على أرض الدولة بصرف النظر عن جنسيته ، فيستوى أن يكون من رعايا الدولة التى وقعت فيها الجريمة ، أو من رعايا دولة أخرى . وهذا المبدأ لم يبدأ إلا حديثاً ؛ وكانت القاعدة القديمة هى : أن القوانين الجنائية شخصية ؛ أى أن قانون الدولة يسرى على رعاياها دون سواهم ، ويسرى عليهم فى أى مكان وجدوا ؛ فهو ينطبق عليهم إذا ارتكبوا جريمة فى دولتهم ، كما يسرى عليهم إذا ارتكبوا الجريمة فى دولة أخرى . فإذا افترضنا أن انجلترا ارتكب جريمة فى مصر ، وحيت محاكمة فى مصر ، وخضوعه للقضاء المصرى وللقروانين المصرىة ، ما دما مأخذ بقاعدة إقليمية القانون . أما إذا أخذنا بمبدأ شخصية القانون فليس من حق مصر أن تحاكمه ؛ بل تختص بمحاكمة الدولة التى يتبعها دون سواها .

ويرجع الاخذ بمبدأ إقليمية القانون الجنائى إلى أنه مفروض على كل شخص العلم بقانون الدولة المقيم على أرضها ؛ فإذا خالفه استحق العقاب ؛ كما أن الجريمة لا تخفى إلا بأمن الدولة التى وقعت فيها ؛ ولكى يكون للعقوبة أثرها الرادع لا بد من محاكمة الجانى حيث ارتكب جريمته ؛ أما إذا عوقب فى الخارج فإن هذا الأثر قد ينعدم ، فالعالب أنه لن يشعر أحد بمحاكمته أو بالعقوبة التى وقعت عليه . وفضلاً عن ذلك فإن الجريمة لا يسهل إثباتها على الجانى إلا إذا تمت المحاكمة

في مكان ارتكابها ، حيث آثار الجريمة وشهودها ، ولو جازت محاكمة الجاني في الخارج لتعذر إثبات الجريمة في كثير من الأحيان .

ويترب على الأخذ بمبدأ إقليمية القانون الجنائي أن كل دولة تختص بالعقاب على كل الجرائم التي تقع على إقليمها مهما كانت جنسية مرتكبها ، وعلى العكس من ذلك لاسلطان لها على من يرتكب جريمة خارج حدودها ولو كان من رعاياها . ولكن هذا المبدأ يتأخر لا يؤخذ به على إطلاقه ، فكل دولة ترى أن من الواجب على رعاياها في الخارج أن يكونوا حسي السمعة ، وأيس مما يشرفها أن يكونوا من المجرمين ؛ ولذا فإنها تعاقب رعاياها الذين يرتكبون جرائم خطيرة في الخارج متى عادوا إليها . ومن جهة أخرى فإن سهولة المواصلات بين الدول جعلت من الممكن أن يرتكب بعض الأجانب جرائم ضد دولة من الدول دون أن يدخلوا إقليمها . وقد استدعى ذلك من الدول أن تعاقب من يرتكب نوعا معينا من الجرائم المخلة بأمنها وسلامتها ، أيا كانت جنسية مرتكب الجريمة ، ولو كانت الجريمة لم ترتكب إلا خارج إقليمها .

وبذكر على سبيل المثال للقوانين الحديثة نصوص قانون العقوبات المصري في هذا الموضوع :

مادة ١ - تسرى أحكام هذا القانون على كل من يرتكب جريمة من الجرائم المنصوص عليها فيه .

مادة ٢ - تسرى أحكام هذا القانون أيضا على الأشخاص الآتي ذكرهم :

أولاً : كل من ارتكب في خارج القطر فعلا يجمعه فاعلا أو شريكا في جريمة وقعت كلها أو بعضها في القطر المصري .

ثانيا : كل من ارتكب في خارج القطر جريمة من الجرائم الآتية .

(١) جنائية مخلة بأمن الحكومة مما نص عليه في البابين الأول والثاني من الكتاب الثاني من هذا القانون (١) .

(١) الباب الأول خاص بالحمايات المضرة بالحكومة من جهة الخارج . والباب الثاني خاص بالجنايات والبلع المضرة بالحكومة من جهة الداخل .

(ب) جناية تزوير بما نص عليه في المادة ٢٠٦ من هذا القانون .

(ج) جناية تزيف مسكوكات مما نص عليه في المادتين ٢٠٢ و ٢٠٣ من هذا القانون ، بشرط أن تكون المسكوكات متداولة قانونا في القطر المصرى .

مادة ٣ - كل مصرى ارتكب وهو خارج القطر فعلا يعتبر جناية أو جنحة في هذا القانون ، يعاقب بمقتضى أحكامه إذا عاد الى القطر المصرى ، وكان الفعل معاقبا عليه بمقتضى قانون البلد الذى ارتكب فيه .

فالمادة الاولى : تقرر القاعدة العامة وهى إقليمية القانون الجنائى ، فتقتضى بأنه يسرى على كل من يرتكب جريمة نص عليها فيه ، ولم تفرق بين جنسية وأخرى ؛ فالجنائى يعاقب مهما كانت جنسيته . وأما المادة الثانية : فتحدد بعض الجرائم الخطيرة وأعطت النولة حق عتاب مرتكبها ولو ارتكب جريمة خارج مصر . والمادة الثالثة : تقتضى بخضوع المصرى لقانون دولته إذا ارتكب جريمة فى الخارج يمكن وصفها فى مصر بأنها جناية أو جنحة ، فإذا كانت مخالفة فلا محل لعقابه ، ويشترط أن يكون الفعل الذى وقع من المصرى معتبرا جريمة فى الدولة التى وقع فيها ، أما إذا كان الفعل مباحا هناك فلا محل لعقاب المصرى ولو كان هذا الفعل معاقبا عليه فى مصر ، اللهم إلا إذا خضع المصرى بهجريمته لأحكام المادة الثانية . ويشترط وفقا لأحكام المادة الثالثة ، أن المصرى لا يعاقب على فعله الذى وقع منه فى الخارج إلا إذا عاد الى مصر ، فطالما كان فى الخارج فلا شأن لدولته به .

واضح مما سبق أن أحكام القانون المصرى مزيج من مبدأى إقليمية القانون وشخصيته ؛ فهو إقليمى إذ أنه يسرى على كل القاطنين فى مصر ، وهو شخصى إذ يسرى على المصريين فى الخارج إذا توافرت الشروط التى تطلبها المادة الثالثة . بل وأكثر من ذلك فإن القانون المصرى يمد سلطانه على رعاياه وغير رعاياه الموجودين فى الخارج ، متى وقعت منهم جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى المادة الثانية .

بقى علينا أن نبين معنى إقليم الدولة ؛ ويقصد به الارض التى تتكون منها

بمحدودها السياسية المعروفة بها لدى الدول ؛ وسيادة الدولة لا تشمل أرضها بحسب ، بل تشمل الجو الذى يطلها ، وكذلك مياهها الإقليمية إذا كانت متصلة ببحر من البحار العامة . والمياه الإقليمية مقدرة فى القانون الدولى العام بثلاثة أميال بحرية .

والسفن تعد جزءا من إقليم الدولة التابعة لها السفينة طالما لم تكن فى المياه الإقليمية لدولة أخرى ، وكل إخلال بالقانون يضع على ظهرها يعتبر إخلالا بقانون الدولة التابعة لها السفينة . والملة فى تقرير هذه القاعدة هى أن البحار العامة لا مالك لها ، وليس لدولة دون أخرى أى سلطان عليها ، وإزاء ذلك فإن القانون الذى يمكن تطبيقه على من يرتكب جريمة فى السفينة هو قانون الدولة التابعة لها السفينة ، ولا يوجد ما يرجح تطبيق قانون آخر عليه . وقد ترتب على ذلك أنه إذا كانت السفينة وقت ارتكاب الجريمة فى المياه الإقليمية لدولة من الدول فإن قانون هذه الدولة هو الذى يسرى لا قانون الدولة التى تتبعها السفينة .

هذه هى الأحكام الوضعية فى حكم سرىان القانون على المسكان ، ذكرناها بإيجاز ، وننتقل بعد ذلك الى بيان أحكام هذا الموضوع فى فقه الشريعة .  
« يتبع »

ملاحظة (١) أثناء طبع الأجزاء السابقة من هذا البحث نشر اعصها بنددى ربيع الأول ص ٢٤٣ و ربيع الثانى ص ٣٣٤ تحت عنوان مسئولية الأطباء مع أن العنوان الصحيح هو : الركن الشرعى للجريمة فى الشريعة الإسلامية وفى القوانين الوضعية .

ملاحظة (٢) وقعت بعض أخطاء مطبعية فى بحثنا « حول ميراث القاتل » المنشور بعدد رمضان الماضى ترتب على بعضها تغيير المعنى ، ومن أهمها ما وقع بالصفحة ٨٠٠ سطر ١٢ فكتب « مع بعض محارمها » والصواب على بعض محارمها . كما أنه بالسطر العشرين كتب « المجنى عليه هذه النية » والصواب « هذه النية » بخذف كلمتى المجنى عليه .

## في إيجاز القرآن :

### مذهب الصرفة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ علي محمد حسن الهامري  
مبعوث الأزهر إلى السودان

—

كان العرب حين أنزل القرآن كأنما أُشدوا بأمراس كتان إلى صم جندل ؛ فهم يسمعون القرآن ، ويعجبون به ، ويكادون يسجدون لفصاحته ، ويوقنون - يقين العارف الخبير - أنه ليس من قول البشر ، ولكنهم يحاولون أن يحطوا من شأنه ، وأن يهونوا من أمره ، ويودون لو استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثله تهرم روعته ، ويروغهم عجزهم عن معارضته ، والكبرياء تغسلط عليهم ، وخوف غلبة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم تملأ نفوسهم ، وبوادئ الإقرار بنبوته ، والإذعان لرسالته ، تبدو قريحة من نفوسهم كل القرب ، فيحاولون أن يجعلوها بميدة كل البعد .

والعاجز المكابر ، والمأخوذ المعاند ، لا يسلك إلا ما سلكه هؤلاء الجاحدون . وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراء وأعانه عليه قوم آخرون . فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيل . وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهكذا أخذوا ينقصون القرآن بهذه الكلمات الفضفاضة ، فرة هو صحر ، وأخرى هو شعر ، وثالثة هو أساطير الأولين ؛ ثم كانت هذه الدعوى العريضة التي لا يصدقها العقل ، ولا تسعها القوة ، وهي دعوى العاجز دائماً . لو نشاء لقلنا مثل هذا . ولم لا نشاءون ؟ إنهم كانوا كالقمي الهزيل أمام العملاق المفتول العضلات ، القوي البنية ، يدعوهم هذا إلى الزوال ، فيجيب ذاك ، بصوت

يلأفه ، ويحرق الاسماع ، ولا شيء غير الصوت . فهم - في الحق - كانوا مذنبين في قرارة أنفسهم ، بأنهم عاجزون ، ومدرकिन هذا الإعجاز في أذواقهم ، وعلى أطراف ألسنتهم ، وربما صرح بعضهم بشيء من ذلك ، فلا يعدو الكلام الواسع الفضفاض أيضا . يقول الوليد بن المغيرة لقومه ، وكانوا بعثوه ليسمع القرآن ، ويقول فيه قالة سوء ، غير أنه انساق مع فطرته ، ونسى كفره لحظته ، وقال : « والله ما فيكم رجل أعلم بالعرمني : لا برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعمل عليه ، وإنه ليحطم ماتمته ، ١ .

ومضى القرن الأول ، وتبعه القرن الثاني ، والعلماء يمسون نواحي الإعجاز مساً خفيفاً ، فلما كان القرن الثالث ، واتسعت دوائر البحوث العلمية ، وكثرت الخلافات المذهبية ، وتعددت النحل ، وتفرقت الآهواء والسبل ، احتدمت المعارك ، وقويت الخصومة ، وعنف الجدل ، حول الآراء الكلامية ، وكان إعجاز القرآن أحد الميادين الكثيرة التي تبارت فيها الفحول ، وتداولت في رحابها الوسيعة القروم ، ونازل عقل عقلا ، وناضل لسان لسانا ، وظفرت العربية بثرات صالح من القول في القرآن ، وبطائفة من الكتب في الإعجاز .

وليس يعني في هذا الحديث أن أسرد الوجوه التي قال بها العلماء في الإعجاز ، وإنما يعني أن أرسم صورة مقربة لوجه واحد منها ، كان له أثر كبير في نشأة علوم البلاغة ، وفي تأليف كتبها .

ومنذ بدأت أقرأ في كتب الكلام وأنا أحمل البغض والحقد لهذا المذهب والقائلين به ، وكنت أعجب أشد العجب أن يقول عالم من علماء المسلمين هذه المقالة في القرآن الكريم ، وكنت أحسب أن هذه الزلة زلة إبراهيم النظام وحده ، ولكن كان عجبى يزدد : رأيت عالماً آخر يتابع النظام في رأيه ومذهبه ، وعرفت أن الجاحظ والشريف المرتضى من الشيعة ، والقاضي أبا إسحق الإسفرائيني من الأشاعرة ، والإمام محمد بن حزم الظاهري ، عرفت أن هؤلاء على رأى النظام ،

ورأيت هذا العالم الأخير يقول في كتابه ( الفصل في الملل والاهل ) حين يحكى هذا المذهب : « وقالت طوائف ، فالتفتون به — إذن — طوائف ، لا طائفة واحدة ، ولا فرد واحد . وكنت في بادى الامر أظن أن أحداً من الاشاعرة لا يقول بهذا المذهب ، وإنما هو رأى اعتزالي ، حتى رأيت في كتاب الشهرستاني ( الملل والنحل ) هذا النص « والقرآن عنده — يريد الأشعري — معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة ، إذ خسر العرب بين السيف وبين المعارضة فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ، ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي ، وهو المع من المعتاد ، ومن جهة الإخبار عن الغيب . » ورحلت أبحث عن هذا الأشعري فرأيت في المواقف لعبد الدين الأيبكي ، وهو يحكى الأقوال في الإعجاز . وقيل بالصرقة ، فقال الأستاذ والظام : صرفهم الله مع قدرتهم ، وقال المرتضى : بل سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ، وبصر السيد الشريف الجرجاني كلمة الأستاذ بأنه أبو إسحق الإسفرائيني .

عرفت أن هؤلاء العلماء الاعلام ، وهم لا يحتاجون إلى تعريف ، يقولون بهذا القول ، ثم رأيت المرحوم مصطفى صادق الرافعي يقول في كتابه ( إعجاز القرآن ) عن هذا المذهب : « وهو عندنا رأى لو قال به صبية المسكاتب ، وكاوام الذين افتتحوه وابتدعوه لكان ذلك مذهبا من تخاليطهم في بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليومهم أنهم قد عرفوا . . وعلى الجملة فإن القول بالصرقة لا يختلف عن قول العرب فيه . إن هو إلا بهر يؤثر . . وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه ، وجعل القول به ضربا من العمى : « أفسح هذا أم أتم لا تبصرون . » فاعتبر ذلك بعينه ببعض فهو كالشيء الواحد . . أقول : قرأت هذا فذكرت ما كنت لفته من بعض شيوخي في عهد الطلب ، من أن الثقاتين بهذا المذهب كفار ، لأنهم يجعلون القرآن في مستوى كلام البشر ، ولكنني ذكرت أولئك العلماء القائلين به ، فوجدت المسألة لا تخلو من غرابة .

لذلك رأيت أن أعرف كيف نشأ هذا المذهب ، وما حقيقته ، وكيف دافع عنه أصحابه ، وكيف فهمه العلماء ، وكيف ردوا عليه وناقشوه ؟ وقد خرجت من هذا البحث مقتنعاً بأن هذا المذهب عليه غبار كثيف ، وأن من الإنصاف أن نعرضه مفصلاً ، لا لدافع عنه ، ولا لنقول إنه المذهب الحق ، ولكن لرفع شيئاً من الظلم عن القائمين به . ولا بادر القارىء فأقول : إني لا أعتقد هذا مذهباً في الإعجاز ، ولا أقول إنه الصواب ، وما عداء من المذاهب خطأ ، ولكني أقول : إنه سبى من هذا البحث أن النظام والجاhez والإسفرائيل والمرضى وابن حزم كانوا بعيدين عن الكفر كل البعد ، وكانوا بعيدين عن السفه ، وإنما اعتقدوا هذا المذهب تديناً ، ومبالغة منهم في الابتعاد بالقرآن عن أن يطمع طامع في معارضته .

كان لهذا المذهب أثره في نشأة البلاغة العربية ، فذ ظهر القول به والعلماء ينظرون في القرآن باحثين ومدققين ، يريدون أن يبينوا أسرار إعجازه ، وأن يضعوا أمام الناس دلائل إعجازه ، فكان من ذلك مؤلفات في الإعجاز لها مكاتبا ، وكان من ذلك أقوال مبسطة في كتب الكلام وكتب التفسير ، وهي ثروة وفيرة ، هل أن أصحاب هذا المذهب لم يبق لهم في الكتب إلا القول به ، أما أدلتهم ، وأما وجهة نظرهم قبلنا نعتز على شيء من ذلك . مرةً الجاهظ عليه في موضع واحد من كتابه الحيوان ، وذكره ابن حزم ، ولعله الوحيد الذي أطال فيه ، أما خصوصهم فلا يخلو كتاب من كتبهم من مناقشة المذهب والرد عليه ، وإنك لتعجب بعد كل هذا من قول الرافعي : « على أن القول بالصرقة هو المذهب الفاشي من لدن قال به النظام ، يصوبه فيه قوم ، ويشايه عليه آخرون ، ولولا احتياج هذا البلغ لصحته ، وقيامه عليه وتخلده أمره ، لمكان لنا اليوم كتب ممتعة في بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه القوي ، وما إلى ذلك ، . وسنعرض - إن شاء الله - في مقالاتنا الآتية إلى كل ما أوامنا إليه آنفاً ، والله الموفق للصواب .

# الامام البخارى

## منزلة السنة من الدين

كيف دونت السنة — نشأة البخارى وسيرته

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمود الراوى  
وكيل معهد فؤاد الاول بأسسوط

جدير بالمسلمين أن يذكروا لذلك الإمام الكبير فضله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس. لقد حفظ الله به على الأمة السنة الثابتة الصحيحة؛ والسنة المحمدية هي الهداية العظمى، والحكمة البالغة، والدين الخالص، والعلم النافع. وقد اعتبرها الأئمة الاعلام المرجع والإمام الذى لا يقبل غيره، ونوه بها الإمام الشافعى فى قوله :

كل المعلوم سوى القرآن معولة إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين فلم يكن أحد من الأئمة يستطيع أن يتعدى حدودها فى مسألة من الدين حتى يعدم فيها توجيها. وقد حفظ عن كل إمام من الأربعة أنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

فزارتها من الإسلام منزلة الروح من الجسد؛ لا إسلام لمن لم يعرفها، ولا دين لمن تكب عنها. لقد تكفلت ببيان بحمل الكتاب، وتقييد مطلق منه، وإحكام متشابه فيه .

وهي التى علمتنا مواقيت الصلوات، وأعداد الركعات؛ وكذلك كانت فى كثير من الشعائر .

يقول الله سبحانه ، والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . . ولكن ما السرقة التي توجب القطع ؟ وكيف يكون ذلك القطع ؟

ويقول سبحانه ، كتب عليكم الصيام ، الخ الآيات ، ولكن ماذا يفعل من زل بالفطر ؟ وهل له كعارة ؟ وما تلك الكعارة ؟

ذلك وأمثاله بئين وأصح في السنة الكريمة : فهي بيان الكتاب وتفسيره . والوحي قسبان . معجز متلو وهو القرآن ، وغير معجز وهو السنة .

وفي صحيح البخارى قال عمر ولقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أزله الله : ألا وإن الرجم على من زنا وقد أحسن إذا قامت البينة . . وفي مسند أحمد ، يوشك أحدكم أن يكذبني وهو منكى على أريكته يحدث بحديثي فيقول : يبسا وبينكم كتاب الله . ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله . .

لاجرم أن "تافس رجال الدين في حفظها والدود عنها ، حتى يبنى عليها الدين الخالص ، وحتى يكون بما من من وعيد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر من كذب متعمدا فليقبوا مقدمه من النار . .

هذا وقد اعتمد الصحابة رضي الله عنهم في نقل السنة على الحفظ والضبط لجودتهما إذ ذاك ، ولا سيما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينههم أن يكتبوا عنه غير القرآن خوف الالتباس بالقرآن على مر الزمن .

ولما اتسع الإسلام ، وتفرق الصحابة وأتباعهم ، ومات الكثير منهم في الفتوحات . . وقل الضبط ، وكاد الباطل يتلبس بالحق في عدة عوامل مختلفة . احتجج الى تدوين الحديث ، وابتدأ التصنيف ، فكان عمر بن عبد العزيز الإمام العادل أول من أمر بتدوينه .

وفي مقدمة الفتح لابن حجر : إن أول من جمع في ذلك الربيع بن صبيح وسعد بن أبي عروبة وغيرهما ، يصنفون في كل باب على حدة ، فلما انتهى الأمر الى كبار الطبقة الثالثة ، صنف مالك الموطأ بالمدينة ، وألف ابن جريج بمكة ،

والأوزاعى بالشام . ثم تلام كثير من الأئمة كل بحسب ما سنع له ، فمنهم من رتب على المسانيد كأحمد وابن راهويه ، ومنهم من رتب على العلل ، ومنهم من رتب على الأبواب الفقهية ، وهؤلاء منهم من تهيد بالصحيح كالشيخين البخارى ومسلم ، ومنهم من لم يتقيد كباقي أصحاب السنن . فالبخارى أول من صنف فى الصحيح على أبواب الفقه ، وكان معروفاً بالفقه فى الدين وقوة الاستنتاج ، كما تشهد بذلك عناوينه الدقيقة فى كتابه الجامع الصحيح .

نشأ البخارى وقد تمهد سبيل الرواية ، فدقق فى بعض الاشتراط بما لم يكن لغيره ؛ ولذلك كان جامعه هذا أصح الكتب بعد كتاب الله ، وتلقته الأمة بالقبول ، حتى وصف بأنه متوازن معنى .

ونشأ البخارى فى عهد قامت فيه الحركة العلمية على ساقها ، ونفقت سوقها ، وتنافس الرجال على التجارة فيها على اختلاف نزعاتهم وتنوع أصنافها ، فشهد حيناً من آخريات عهد المأمون الذهبى صيباً ، إذ كانت ولادته يوم الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ ، ولا بد أن الوسط ظل متأثراً بتلك الروح العظيمة المأمونية حيناً من الدهر فى عهد المعتصم الذى بدأ البخارى يطلب فيه العلم ، وقد تغلغل فى نفسه حب العلم الدينى بالوراثة عن أبيه الصالح التقي اسماعيل بن ابراهيم ، الذى روى عن حماد ومالك ، وصحب ابن المبارك ، والذى روى عنه المراقبون ، وكانت له سمعة طيبة كريمة فى الورع والزهادة ، وكان البخارى من آيات الله فى دكانه ، وحفظه وتحريه وشدة حرصه ، وتقله من الدنيا ومن الإحابة منها والتنافس على جمعها ، يحدوه توفيق وتيسير عجيب ، فضلاً من الله الذى رد عليه بصره ليحفظ به سنة نبيه .

حدث البغدادى الخطيب بسنده الى السجاد قال : سمعت شيخى يقول : ذهب عينا محمد بن اسماعيل فى صغره ، فرأت والدته فى المنام ابراهيم الخليل عليه السلام يقول : يا هذه قد رد الله على ابيك بصره لكثرة بركاتك أو لكثرة دعائك ... فأصبح وقد رد الله بصره !

وأظن أن فى الطب الآن متسعاً لمثل هذا الذى كان يعد من الخرافات . على أن فى قدرة الله ما لا يعلم الناس ولا يحسبون .

وقد حدث البخارى عن نفسه ببعض قصة حياته، وقد سأله محمد بن أبي حاتم: كيف كان بدء أمرك؟ قال: أهتمت حفظ الحديث وأنا في المكتب، قال: ولم أتى عليك إذ ذاك؟ قال عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخل وغيره، وقد جرى بيني وبين الداخل أنه قال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فاتهرني، فقلت: أرجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه ثم خرج وقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت هو الزبير عن عدى ابن إبراهيم، فأخذ القلم مني فأحكم كتابه. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت؟ قال ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت أمي بي وبأخي أحمد إلى مكة، فلما حبيبت رجع أخي بها وتخلقت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم، وصفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقال: قل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أنني كرهت التطويل.

ويظهر أن هذا الكتاب كان من آيات غزارة علم الرجل وسعة اطلاعه إلى حد جعل الناس تفتن به حتى في وضعه وجعل البخارى يعجب به، فهو يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنف كتاب التاريخ ولا عرفوه: صنفته ثلاث مرات.

وقد حدث البخارى أن شيخه ابن راهويه دخل بالكتاب على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير ألا أريك محمرا؟ فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال: لا أفهم تصنيفه<sup>١</sup>. وقال العباس بن سعيد: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ البخارى.

وأما جمعه لهذا الجامع الصحيح فيرجع إلى ما حدث به عن نفسه، قال: كنت عد إسماعيل بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>١</sup>. فوقع ذلك في قلبي، فأخذت أجمع هذا الكتاب وجمعته من ستمائة ألف. وفتح هذا الإمام الحافظ الخطير<sup>١</sup> ما كان أصنى نفسه وأقدره على

الجمع والحفظ والفقه ، ونحل النصيحة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ١. وحدث البخارى وهو الثقة الثبت أنه ما أدخل فى كتابه إلا ما صح ، وترك من الصحاح خوف الإطالة ، وأنه ما وضع فى هذا الصحيح حديثا إلا اعتزل قبل ذلك وصلى ركعتين ... والحديث عن هذا الجامع يطول .

وكذلك الحديث ٤٦ كان من امتحانات البخارى ونجمهم كثير من البلاد لتحديه فى الحفظ والضبط ؛ فذلك أمر قد يدخل فيما يقرب من الإعجاز . ومن شاء علم ذلك فليرجع إلى مقدمة الفنح وإلى تاريخ بغداد وغيرهما . وها نشر إلى أن للبخارى هذا الكتابين العظيمين كتبهما أخرى ، كالآداب المفرد ، وبر الوالدين ، وخلق الأعمال ، والضعفاء ، والمسد الكبير ، والتفسير الكبير ، وكتاب الفوائد .

ثم نعود بك الى بعض صفاته العظيمة التى فتحت له ذلك الفتح المبين ، وجعلته فى ذلك الوضع النادر .

فقد قالوا : إنه كان غاية فى السحاء وبذل الدنيا ، وكان آية فى عفة اللسان ونزاهة القول ، حتى إنه قال يوما : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنى اغتبت أحدا فقال له بعض الشهود : إنك جرحت بعض الرواة ، فقال : ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال صلى الله عليه وسلم : بئس أخو العشير

على أنه قد كان من دأبه أن يقول فى الساقط والمزك فيه نظر أو سكتوا عنه . وكان البخارى صبورا غفورا ، حتى إن الجارية أراقت حبره يوما فلما سأها قالت : إنه فى طريقى ! فقال - أنت حرة لوجه الله ! .

فأما أحاديث النكس والعبادة والاستمرار فى ذكر الله وتلاوة القرآن ، فقد كان فى ذلك كله المثل الأعلى للؤمن الناسك القانت الخاشع : صلى الظهر يوما فى بستان مع جماعة من أصحابه ثم قام الى التطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع ديل قميصه فاذا زنبور قد أثر فى ستة عشر موضعا حتى تورم جسده ، فلما سئل فى إطالته ، قال كنت فى سورة فأحببت أن أتمها . وها أترك للقارىء الكريم التعليق على هذا الحادث الجسم ، وكيف أن ذلك الإمام الذكى كان يؤثر الروح

ولادتها ، ويقدر الكتاب الكريم ويقدر آياته . وقد كان في شهر رمضان يعني بالقرآن نهاية خاصة مع تسميته في عبادة الله ، فكان يجمع أصحابه منذ أول ليلة منه فيصلح بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن . وكان يقرأ في السحر ما بين نصف القرآن وثلثه ، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال ، وكان يختم في كل يوم ختمة عند الإفطار ويقول : عند كل ختم دعوة مستجابة . على أن البخاري كان يعتمد العمل في ليلة مع ذلك الفتوة والتهجد . الذين هلت من خبرهما ، وقد حفظ عنه ذلك وعرفه أصحابه في السفر .

قال أبو الوراق : كان أبو عبد الله ( البخاري ) إذا كنت معه في سفر يجمعنا في بيت واحد أحيانا فيقوم في ليلة خمس عشرة مرة إلى عشرين ، في كل ذلك يأخذ القداحة ثم يورى ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها . وكان يصلي في السفر ثلاث عشرة ركعة .

فهذا شأن من شغله التفكير في العلم وتصحيح القل والامانة في الرواية عن نوم الغافلين المكسالي ، فهذا نوم الإغفاء والتفكير لا نوم الإغناء والشخير . وكذلك النفوس الكبيرة :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ونقل ما يشبه ذلك تليذه الفريرى ، ولم يكن ذلك في السفر ، قال : كنت عند محمد بن اسماعيل بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت أنه قام وأسرج يستذكر أشياء ثمانى عشرة مرة . فليس كثيرا على مثله أن يصنف هذا الجامع الصحيح في ست عشرة سنة ، لأنه المتحرى المحتاط الذى استطاع أن يخرج من ستمائة ألف حديث هذا الجوهر الثمين والكثير العظيم الذى جعله حجة بين الله وبين عباده . نفع الله الأمة بإخلاصه وبجامعه الصحيح .

فأما الخوض في طريقة تصنيفه ، ودقة استنتاجه ، وقوة نظره ، وعلو كعبه ، وبعده مراميه في فهم السنة والتفريع منها ، فلذلك مجال غير هذا ، وإنما قصدت توجيه الانظار إلى ذلك الذخر العظيم ، وتلك الفحات الربانية الكريمة . وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

# حرية الرأي

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

أما أن الحرية هي الحياة، أو هي أقصى ما يتشبهى الأحياء أن ينالوه، فذلك مما لا شك فيه . ولهذا نجد الأفراد والجماعات يذلون ما يملكون، وينفقون أمن ما يقتنون، للحصول على هذه الغاية، والوصول إلى تلك الثمرة، فإن انتهوا إليها حدوا الشرى، وشكروا للمقادير ما أناحت، ولل قضاء ما وهب . وإن رجعوا من المسمى بالحياة، ومن الدأب بالإخفاق، سخطوا على الزمان والمكان، وبرموا بالكون وما فيه من باغم وناغم، وصادح وناصح، وصار الفضاء هلى سعة في نظرم أضيق من حباله الصياد، وأظلم من حلك العراب، واعتبروا أن العيش الذى يمشونه على هذا النمط خير منه قاع جهنم، حيث النار دات اللهب، والحجارة والخطب، والدخان الذى يكبت الانفاس، ويؤلم الإحساس . . .

وربما كانت عبودية الأجسام على حطر شأنها، وعظم قدرها، وإن كانت بجنا مردولا، وحداً من النشاط ممقوتا، ليست شيئاً مذكورا إلى جانب عبودية الرأى والحظر عليه، وإقامة الأسوار والأشواك فى وجه صاحبه .

والرجل ذو الهمة الآلية، والنفس العالية، والطموح البعيد، قد يقبل أن يطوّح به فى المنى، وأن يُرَجَّح به فى الدرك الأسفل من الكهوف والمعارات، وأن يرى به فى المفازات والادغال مع الوحوش والهوام، ثم لا يقبل أن يحال بينه وبين الرأى الصريح، والمنزع الصحيح، والعقيدة التى يذعن لها قلبه، ويطمئن إليها وجدانه، ولو أكره على خلاف ما يرى، أو حمل على ما يتناقى مع هواجس نفسه، وهو آف حسه، لم يسهه إلا أن يدعو بدعوة يوسف عليه السلام، حينما اضطربت به المسالك، وضاعت عليه المسآرق: « ربّ السجن أحبّ إلىّ مما يدعوننى إليه . »

ولا يكون الحجة على الآراء ، والحيلولة دون الأفكار ، ومحاربة العقول ، وإطفاء مصابيح الفكر الصحيح ، إلا حين تكون طفولة الأمم ، وتخبطها في ظلمات الجهالة ، وغيايات الخيرة والعمى ، ولا يمكن أن يكون حينئذ نهوض ولا رقي ، وبقطة أو تقدم ، وإنتاج نافع ، أو إصلاح مرموق ، وإنما يكون الفناء والهدم ، والتدمير والتأخر ...

ولذا رأينا الإسلام يشيد بهذه الحرية ، ويقدمها ، ويؤمل من قدرها إلى درجة ليس بعدها ؛ وينهى على من يهمل بصره ، ويُعَسِّطِل حواسه ، ولا يستفيد من تلك المواهب التي خلقها الله له ، ليستخدمها وينتفع بها ، ويرى فيمن يتهجون ذلك النجس ، ويهيشون بهذا الأسلوب ، أنهم كالأنعام بل هم أضل .. ولم تهم دعوته على العنف ، أو تستعن بالنموة ، أو تلجئ إلى السيف والإرهاب ، وإنما تركت للناس حرية النظر والتفكير ، والتروى المشوب بالبحث والمقارنة ، والترجيح والتفضيل ، لتتركز العقيدة ، ويكون الدين خالياً من اللجاجة والضك ، والاضطراب والتردد ، وهو لهذا يذكر الحكم مقترنا بعلمه ، والقضية مصحوبة بدليلها ؛ والشواهد لذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى أو تستقصى ...

وليس أسرح في حرية الاختيار ، وأبلغ في اعتبار إذعان القلب ، وميل الوجدان ، من تلك الصورة الرائعة التي تمثلها الآية : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ، فإنها تضرب الرقم القياسي — كما يقولون — للديموقراطية الفكرية في أجلى مظاهرها ، وأحسن صورها ... ولو أن دولة من الدول ، أو جماعة من الجماعات ، وضعت يدها على من يحاربها في رأي ، أو يناقضها في عقيدة ، أو يخالفها في مبدأ ، وكان منها إليه ذلك الصنيع ، دون أن تجعل الظاهر مدعاة الامتنان ، أو وسيلة النيل منه ، لقام لها التاريخ وقعد ، وطاولت بعقها السماء كبرا وخيلاء ...

وحسب المتحدث عن حرية الرأي ، في الإسلام ما يقرؤه في الكتاب الكريم من الآيات الداعية إلى النظر ... وأن من منابع التشريع فيه الاجتهاد حتى حين كان ينزل الوحي ، وأن اختلاف الصحابة كان مع وجود النبي

صلى الله عليه وسلم ، وأن عمر كان إذا لم يطمئن الى الحكم راجع فيه الرسول ، وأبى أن يتلقته من أول الأمر ، إلا أن يقدح في نفسه ، أو يتجلى لعينه ... وأظن أن تباين القضايا عند الأئمة وتصارب الفهوم في المسائل ، برهان لاشك فيه ، ودليل لا شبهة معه ، على أن الرأي مقدس ، والنظر معتبر ...

ومن المسلم به أن الإنسان إذا عبده الله سبحانه وتعالى بما رجع دليله لديه كان من الناجين من عقابه ، البعيدين عن سخطه ، ولو كان ذلك الذي رجع لديه خطأ في الواقع ...

إلا أن حرية الرأي هذه لا يقبلها الدين . قضية مسلمة ، بل يراها أقرب الأشياء شها بما يسمونه السلاح ذا الحدين ، فالحرية للمسلمين مكفولة ، والرأي له قداسته واحترامه ، ما دام ذلك كله لا يصل بصاحب النظر الى تقيض ما أجمعوا عليه في أصل من الأصول ، أو ما دام غير متعارض مع نص ظاهر الدلالة ... ولذلك كان المأثور عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما إذا اشتبه عليهما أمر الكتاب والسنة ، وخفى عليهما أخذ الحكم منهما ، لم يريا الرأي من تلقاء أنفسهما ، ولكن يجمع أحدهما أهل الذكر ، فإن أجمعوا على حكم أخذ به ، وحمل الناس عليه ، وفي ذلك بُعد عن الهوى ، وبجانبه لمظة التحييف ، خصوصا إذا كانت الفتنة ، أو شاعت الضلالة ، أو شك المعاصرون في نزاهة المفتي ، ورامته من الغرض ...

ولأن علم المنطق من العلوم التي تسمى ملكة الرأي ، وتشجع على حرية النظر ، كان بعض العلماء لا يقول بجواز الاشتغال به ، ولا سيما إذا لم يكن عند المرء حصانة من الدين ، ومناعة من العقيدة الصحيحة . وقد رأينا صواب ذلك الرأي حينما شاهدنا أولئك الذين لم يأخذوا بقسط من الهداية السليمة يتخبطون في النظر ، ويريفون في الفكر ، ويمسرون كما تسير العشواء ، وجعلوا من معارفهم التي درسوها معاول يهدمون بها ما أجمع المسلمون عليه . وهم وإن كانوا كنتاج صخرة يوما ليونها ، إلا أنهم يمتصمون عقول الناشئين ، ويصيون أحلام المبتدئين ... والشباب في جيلنا الذي نعيش فيه يفره البريق ، ويخضعه الهرج ، وتسويه مظاهر الأشياء ، لذلك

يجب من الكلمات ما كان فيه تجديد ، أو دعوة الى حرية ، أو اشتغال على مذهب مستحدث ، أو رأى غريب ... وعذرهم في ذلك كله واحد من أمرين : قلة محصولهم العلمي ، وكثرة الدوى الذى يطن في آذانهم من الصحافة المستهتره ، والكتاب المسائعين ، وساعد على هذا وهذا تحلل عام ، وتفكك شامل ، وانحدار خلق طاح بالاخضر واليابس ، الى حد أن صارت كلمة الجلود أو التأخر أقرب ما ينال المنصف من الداعين ، والمعتدل من الهداة المرشدين ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ...

وإذا كان من أدب القرآن الذى أدب به أهله إذا اشبهت عليهم معالم الطريق أن يسترشدوا بمن يعرف مسالكه ، ويذكرى مهالكه ، وأن يشاوروا من يتبصر الور ، حين لاتبين الأمور ... فإن من أدب أولئك الاغرار قوله ابن أبى ربيعة : إنما العاجز من لا يستبد ، عصمنا الله من اللجاجة ، وحفظنا من الهوى ، وجعلنا من الداعين إليه ، الذائدين عن دينه ، المتمسكين بيقينه ؟

## مخاطرات

قام رجل إلى عمرو بن العاص وإلى مصر وهو يخطب يوم الجمعة ، وقال له : يا أيها الأمير من أهلك ؟ فأجابه عمرو قائلاً : هى الباغية بنت عبد الله أصابته رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ا فإل كانوا جعلوا لك شيئاً غلظه ا .

وقام رجل إلى هرون الرشيد وهو يخطب بمكة فقال : كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، فأمر به فضرب مائة صوت : فبات هذا الرجل بين الليل كله من ألم الضرب وهو يقول : الموت الموت ا . فأخبر بذلك أمير المؤمنين هرون وقيل له إنه رجل صالح . فأرسل اليه يعتذر اليه ويستحله ، فأحله .

# من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد النبي عوض الراجعي  
مبعوث الأزهر الى كلية المقاصد الإسلامية بصيدا — لبنان

الألفاظ أوعية المعاني، ولكل معنى لفظ يدل عليه ويعبر عن طريقه الى الذهن. والألفاظ بما تحمل من المعاني ثروة بين الجميع على سواء، لا يمكن لمكلم معنى من المعاني يريد التعبير عنه إلا وفي ألفاظ اللغة ما يسمفه. وقد كان ذلك مدعاة أن لا يفضل كلام كلاماً أن لو كان الأمر في الألفاظ المجمعة كمثلها في الألفاظ المفردة؛ لكن لما كان اجتماع الألفاظ مجالاً لخصائص وزيادات تحدث في أصول المعاني، كان تفاضل الكلام بحسب تفاوته في اشتماله على هذه الخصائص والزيادات، فلا يزال الكلام يترقى بها الى أن يبلغ حد الإعجاز أو ما يقرب منه، ولا يزال يسفل بفقدائها الى أن يلتحق بأصوات العجاوات عند البلغاء، وإن كان صحيح الإعراب عند النحاة.

لم يقتصر القرآن في حلالته وطلاوته وبلوغه درجة الإعجاز على أدائه المعاني مشتملة على أعلى هذه الوجوه والخصائص التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال؛ بل إنه أتى في هذا الباب بشيء عجيب طريف لا يتأتى في غيره إلا متابعة له أو اقتباساً منه، تمكن المعنى بوضع الجملة وحسن الكلمة وهيئة التراكيب وأجراسها الصوتية، وفواصل الآيات ومقاطعها، حتى ليتناسب التعبير مع المعنى عنه، وتساعد الجمل والكلمات بوضعها وكيفياتها على تصوير المعاني وتجسيمها.

انظر مثلاً الى قوله تعالى في سورة الرحمن: أن لا تطفوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط، ولا تخسروا الميزان، الطفيان في الميزان: الزيادة فيه، والإخسار له:

التقص منه ؛ وبين الزيادة والنقص طريقة وسطى هي إقامته بالقسط . المجلة الأولى نهى عن الطفيلان ، والمجلة الثالثة نهى عن الإخسار ، والمجلة الوسطى أمر بالقسط ، وفي مجيئها وسطى في الوضع مع أمرها بالطريقة الوسطى موافقة الوضع للمعنى ، ومحاذاة في صورة التعبير لصورة المعبر عنه .

وقريب منه ما في سورة هود من قول شعيب لقومه : ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إنى أراكم بخير ، وإنى أخاف عليكم عذاب يوم عيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ، ولا تبحدوا الناس أشياءهم ، حيث وقعت جملة الأمر بالقسط والمكيال والميزان وسطى بين جملى النهى عن التقص .

وانظر مثلاً آخر قول الله سبحانه في سورة الشورى ، يهب لمن يشاء إماماً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً ، كيف جاء لفظ الإناث والذكور على التكرير في سائر الالفاظ إلا في موضع واحد وقع فيه تعريف الذكور بأل . قد يقال إنها الفاصلة . نعم ووراء الفاصلة سر آخر : حجر الأساس ، وجيب الزاوية في هذا الوجود ، هم الذكور : الرسائل ، الملك ، العلم ، قيادة القافلة الإنسانية ؛ يدور الأمر في ذلك كله على كامل الذكور . خلق الله آدم قبل حواء ، الرجال قوامون على النساء ، للذكر في الميراث مثل حظ الأنثيين . لا بدع بعد ذلك أن يكون الذكور أعرف من الإناث ، وأن يكون تعريف هذا اللفظ خاصة للإشارة إلى ما ذكر من متعلقات مدلوله .

وانظر مثلاً آخر قول الله تعالى في سورة الانعام الآية ٩٩ ، والزيتون والارمان مشتهاً وغير متشابه ، مع قوله تعالى في السورة نفسها الآية ١٤١ : ، والزيتون والارمان متشابهاً وغير متشابه ، ففي هاتين الآيتين دلالة على أن الزيتون والارمان متشابه وغير متشابه ؛ متشابه في اللون والحجم ، غير متشابه في المذاق والطعم ، أو ما شئت قل في سائط التشابه وعدمه ؛ فالركيبان في الآيتين لمعنى واحد ، وألفاظهما واحدة ، إلا ما كان في الآية الأولى من الاشتباه بدل التشابه ؛ والاشتباه غير التشابه في اللفظ ونظام الحروف ، لكنه عينه في الأصل والمعنى ، بدليل المقابلة بينهما ، وهذه المعاصرة اللفظية أوجدت شها بين اللفظين

في تركيب واحد ، وشبها بين التركيبين في الآيتين لمعنى واحد ، فكانت الكلمات الدالة على تشابه الزيتون والزمان نفسها متشابهة ، فكان ذلك من تصوير التعبير بصورة المعبر عنه ، ومحاذاة الصورة اللفظية للصورة المعنوية حدوثك الشيء بالشيء .

وانظر مثلاً آخر إلى الكلمات الأربع : اثأقلتم ، في قوله تعالى في سورة التوبة : يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقلتم إلى الأرض ، ، ، أنلزمكموها ، في قوله تعالى في سورة هود : يا قوم أرايتم إن كنت على يدة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ، ، ، يصطرخون ، في قوله تعالى في سورة فاطر في أهل جهنم : وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا فعلم صالحا غير الذي كنا نعمل ، ، ، مصيطر ، في قوله تعالى في سورة العاشية : فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر ، .

كيف أن اللفظة الأولى بما فيها من إعدام وإبدال واجتلاب همز الوصل للتعاقب بالساكن وثقلها في النطق بعد ذلك كله — كانت خير تصوير لهذا الثقل المراد تصويره : ثقل البطيء الذي لا يخف لما يؤمر به ، هذا التصوير الذي لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : ثأقلتم ؟ .

وكيف أن الثانية بكثرة حركة الضمة فيها — وهي أثقل الحركات — وتكرر بعض حروفها ، كانت خير تصوير لما يكون من الثقل على الملزم بشيء هو له كاره لا تستجيب له نفسه ولا تخف ؛ هذا التصوير الذي لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : أنلزمكم إياها (١) ؟ .

وكيف أن الثالثة بقلط جرسها وقوة منطقتها وحروفها ، تصور قوة الصراخ المبعث من جوف جهنم وأهلها هولاء وفزعا ؛ هذا التصوير الذي لم يكن ليكون أن لو كان التعبير بقوله : يصرخون ؟ .

وكيف أن الرابعة تصور بقوة جرسها وحروفها ، هيمنة المسيطر على المسيطر عليه ؛ هذا التصوير الذي أعان عليه إبدال السين صاداً ، والصاد أقوى من السين . وانظر مثلاً قوله تعالى في سورة النجم : ألمكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن

قسمة هيزي . فإن الكلمة الأخيرة في أصلها غريبة ثقيلة على اللسان ، لكن مجيئها هذا المجيء جعلها من الروعة والرواق في الذروة والسماء ، حيث كانت غرابتها أشد الأشياء ملاءمة لغرابية هذه القسمة التي أنكرت ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الثانية ، وكان هذا التصوير أبلغ البلاغة وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفاصلة ، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى أسفل وإلى أعلى ، وجمعت إلى كل ذلك غرابية الإنكار بغرابيتها اللفظية ،<sup>(١)</sup>

ومثله قوله تعالى في سورة آل عمران : فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك ، فإن النعابة يقولون إن : ما ، زائدة أي في الإعراب ، فيظن من لا يبصر له أنها كذلك في النظم مع أن في هذه الزيادة لوناً من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته ، فإن المراد بالآية تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه ، وأن ذلك رحمة من الله ، لجاء هذا المد في : ما ، وضاعاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويغضمه ، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانهطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منها في بلاغة السياق ، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها وهو لفظ برحمة مما يلفت النظر إلى تدرج المعنى ، وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه ، وذلك كله طبيعي في بلاغة الآية كما ترى ،<sup>(٢)</sup>

وانظر مثلاً آخر إلى القرآن كله نظرة إجمالية تتفحص فيها مدنيه نارة ومكيه أخرى ، فإنك واجد أن لكل قبيل في أغلب أمره مسحة تغلب عليه ، وظاهرة تنتظمه ؛ فالمدني طويل السور ، طويل الآيات ، هادئ الأسلوب ، رقيق العبارات ، لين الفواصل والمقاطع ، وذلك أنسب شيء بما يتضمنه من الأحكام الشرعية ، والقوانين الفقهية والجداولات العلمية مع أهل الكتاب . . . والمكي قصير السور ، قصير الآيات ، عفيف الأسلوب ، قوى الفواصل والمقاطع ، العاطفه شديدة الجرس ، صاحب يدوى كأنه موج يهدير أو سيل يسعد من قم الجبال ، وذلك أنسب شيء بما تضمنه من التذر القارعة ، والزواجر الرادعة ، والمواعظ الجامعة التي يقتضيها

(١) راجع كتاب : الصور التي في القرآن ، للأديب سيد قطب .

(٢) ما بين قوسين من كلام الراعي في كتابه : إعجاز القرآن .

حال أهل مكة ، أهل العناد والمجود ، وقسوة القلب وجفاء الطبع . ومن عجب أن اللفظ يكون واحداً في معنى واحد وقصة واحدة ، لكن يرد في سورة البقرة المدنية على جهة التخفيف ، ويرد في سورة طه المكية على جهة التشديد ، فيقول تعالى في السورة الأولى - قصة آدم : « فن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ويقول في السورة الثانية في القصة نفسها ، « فن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

وانظر مثلاً آخر هذه الفواصل القرآنية<sup>(١)</sup> التي توعت واختلف الصنيع فيها بين السورة والأخرى ، وبين آيات السورة الواحدة بعضها وبعض . أما السورة الواحدة ذات الفاصلة الواحدة فإنك تجدتها وفاصلتها بمقطعها وجرسها الصوق أنسب شيء بمعناها وأسرع حظوراً بالبال إذا ذكرت السورة أو ذكرت بعض آياتها ، حتى لتعتقد في قرارة النفوس الحافظة عملية من التداعي والارتباط بين السورة وفواصلها ، بل بين سائر الآيات والفواصل فيها ، حتى ليكون ذلك كله من عوامل استذكار الحافظ لما يوشك أن ينساه .

هذه سورة الناس تقرؤها فتكاد تصور لك بجرسها وفاصلتها وتكرر حرف السين فيها ، هذه الوسوسة التي سبقت لها السورة : وسوسة الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

ومعه سورة القمر تقرؤها فتعطيك بجرسها وفواصلها والتزام حرف الراء الساكنة فيها وتكرر كلمة النذر ما تعطيك بمعانيها من تهديد أهل مكة وإلذارهم وقرع العصا لهم مراراً ومرات<sup>(٢)</sup> .

وأما السورة الواحدة ذات الفواصل المتنوعة في آياتها فغالبا ما يكون هذا التنوع عند تنوع المعاني وانتقال الكلام من غرض إلى غرض ومن طريقة إلى أخرى ، كأنما يرمن بتغيير الفاصلة إلى تغيير ذلك .

(١) الفاصلة كلمة آخر الآية كغاية الشعر وغربة السجع . وقال الهادي : كلمة آخر الآية . وقال الفاضل : الفواصل حروف متشابهة في المقاطع يضع بها إلهام المعاني - الانشقاق ٢٥ ص ٩٩ ط الحاي .

(٢) الكوثر ، الاحلاس ، القيل ، العصر ، الشمس ، القدر ، التين ، الفتح ، محمد ، المرسلات ، الجن ، الانسان ، كلها سور واحدة الفواصل وغريب منها غيرها كثير كالسور : الأحزاب ، الاسراء ، الشكف ، النساء ، الفرقان .

هناك سور بدئت بتسم ومقسم عليه ، ولا يخفى ما بين القسمين من تنوع غالبا ما تكون الفاصلة في القسم غيرها في المقسم عليه لاسيما إذا كان في القسم طول والسورة أيضا طويلة كما كان عليه الحال في السور : الذاريات ، الطور ، الصافات ، المرسلات ، النازعات ، العاديات .

أما إذا كان في القسم قصر أو كانت السورة قصيرة ، فغالبا ما تكون الفاصلة في القسم والمقسم عليه واحدة كما كان عليه الحال في السور ، الجم ، الضحى ، الشمس ، التين ، العصر ، البلد .

وهذه سورة (ص) تستمر فيها الفاصلة على وتيرة متشابهة حتى الآية ٦٧ فتغير الى وتيرة أخرى تستمر عليها حتى ختام السورة ، وفي هذا القدر الأخير من الآيات يتمحض الحديث عن قصة آدم ، وهى من التفهيم الى ما في القرآن من حق وعظمة .

وهذه سورة غافر ترى الفاصلة فيها على وتيرة واحدة من الآية ٢٤ الى الآية ٥٥ وترى هذه الآيات خاصة بالحديث عن رسالة موسى الى فرعون وهامان وقارون وما أجابوه به وما آل إليه أمرهم ، وما قيل هذه الآيات وما بعدها من السورة غير متخصص لا في موضوعه ولا في فاصلته .

وهذه سورة نوح التى وإن كانت كلها من قصة نوح إلا أنه من الآية الخامسة فيها الى نهاية السورة حلص الكلام لحكاية رفع نوح الامر الى ربه يشكو إليه قومه وإصرارهم واستكبارهم ، يدعوه أن لا يذر على الأرض منهم ديارا ، فكان كله ذا فاصلة واحدة فيها قوة وشدة جرس مناسبة لحال غضبه على قومه .

وهذه سورة النازعات تراها من الآية ١٥ الى الآية ٢٦ ذات فاصلة تكاد تكون واحدة متميزة عما قبلها وبعدها في نفس السورة ، كتميز الآيات نفسها بتخصيصها للحديث عن موسى وفرعون ، وهناك سور أخرى كثيرة فيما ذكرته هنا مثال لها يحتذى ومثال يفسج عليه ، وكفى .

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

### الحب العفيف للزوج

• هل الحب بعد حراماً ، الحب الذي يمد لصاحبه الطريق لكي يتزوج في النهاية من التي يريد ما حتى يتم تعليمه مثلاً إذا كان طالباً وبعد ذلك يتزوج بمن أراد ، وفي أثناء هذا الحب لا يمسا بما يفضب الله ؛ فهل يعتبر هذا الحب حراماً ؟

عبد الرحمن طلعت متولى

طالب بمدرسة النهضة الحديثة الثانوية

فاقوس — شرقية

### الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن الحب ميل قلبي لا اختيار للبر فيه ، فلا يتعلق به حكم شرعي بالحل أو الحرمة ؛ إنما الحكم يتعلق بسببه وبما يترتب عليه من الأعمال الاختيارية ، فإن كان سببه محرماً أو ترتب عليه محرم كالخلوة بالمحبوبة قبل الزواج بها ، والسير معها في الطرقات ، والسهر معها في محل السهر ، وما إلى ذلك من الأشياء المحظورة شرعاً - كان الشخصان آثمين ، يستحقان عقاب الله تعالى . وإن لم يكن سببه كذلك ولم يترتب عليه شيء من ذلك وإنما كان بينهما ارتباط قلبي بقصد الزواج في وقت مخصوص فلا شيء على واحد منهما شرعاً . وبذلك علم الجواب . والله أعلم ؟

## المسبحة من عظم الفيل

وجاء الى لجنة الفتوى أيضا الاستفتاء الآتي :

نرجو الإفادة عن الحكم الشرعي في المسبحة المصنوعة من عظم الفيل ( السن ) ، أو من عظم الحيوانات غير مأكولة اللحم ، وذلك من حيث الطهارة والنجاسة ، وهل يؤثر حملها - إن قلنا بنجاستها - في صحة الصلاة ؟ فإن عندنا شخصا له معرفة يبررة ببعض المسائل العلمية يقول : إن السن والعظم يطهر بالار ولا حرج في حمله أثناء الصلاة ، فاعتمدنا قوله أزمانا ، ثم رأينا بعد إراء للذمة أن نعرف الحكم عن طريق لجنة الفتوى . ونرجو الإجابة على وفق مذهبي الإمامين مالك والشافعي .

كفور بلشاي — عبد الحليم حماد

### الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن مذهب المالكية أن المسبحة المصنوعة من عظم الحيوان الذي يحرم أكله كالبعال - نجسة ، ولو ذكي الحيوان الذي أخذ منه العظم ، لأن الذكاة لا تفيد في محرم الاكل . أما الفيل فيكره أكله ، فإن ذكي لا كل منه طهر بالذكاة بجميع أجزائه ومنها العظم . أما إذا ذكي للانتفاع بجلده فلا يطهر منه ؛ وإذا يكون عظمه نجسا ، ومتى كانت المسبحة مأخوذة من عظم حيوان محرم الاكل مطلقا ، أو مكروه الاكل إلا أنه لم يذك ، أو ذكي لأخذ جلده ، فهي نجسة ، والصلاة بها باطلة .

وأما مذهب الشافعي فهو أن المسبحة المأخوذة من عظم الحيوان الذي يحرم أكله سواء ذكي أم لا - نجسة ، ومن هذا الحيوانات المحرم أكلها كالفيل . وإذا فتكون الصلاة بهذه المسبحة باطلة ، ولا يجوز الدخول فيها شرعا بالمسبحة .

هذا ومذهب الحنفية أن سن الفيل أو عظم الحيوان غير المأكول ما عدا

الخنزير : طاهر ، لأنه لا يحمله الدم . وعلى ذلك فالمسبحة المسخوذة من سن الفيل أو عظم الميتة ، طاهرة ، والصلاة معها صحيحة . والله أعلم ؟

## تبني المسيحي للطفل المسلم

وجاء الى اللجنة أيضا هذا الاستفتاء :

دات يوم من أيام عام ١٩٢٩ ميلادية وجد رجل مسيحي على غير ملة الإسلام طفلا حديث الولادة أمام باب منزله ، وفي قبضة يد الغلام ورقة صغيرة مكتوب بها أن اسم الطفل محمد جمعه . فتقدم صاحب الدار المسيحي الى قسم البوليس وأخطره عن الحادث ، وأظهر رغبته في تربيته وأنه يود أن يتباه ، فأرسل قسم البوليس الطفل الى مستشفى القصر العيني الذي قام بتسليم الطفل الى الرجل المسيحي بمقتضى طلب ثابت به أن اسم الطفل محمد جمعه ، ويلاحظ أنه لم يتقدم أى شخص للبحث عن هذا الطفل إطلاقا ، وأصبح مستشفى القصر العيني هو الذى يتولى من قبله السؤال دوريا في فترات منتظمة عن الطفل محمد جمعه . قام الرجل المسيحي بتعميد الغلام بعد بلوغه العام الاول وتغييره حسب أصول قواعد الديانة المسيحية ، وسماه باسم مسيحي ، كما أنه قام بدفع الكفالة العسكرية لإعفائه في حينها . ولما كان هذا الرجل المسيحي عديم الذرية ، ولم يرزق بأولاد ، ولما كانت جنسيته يونانية ، فإنه تقدم للقنصلية اليونانية بعد بلوغ الغلام خمسة عشر عاما بإقرار يثبت به أنه تبني هذا الغلام ، وأنه منحه اسم العائلة التى ينسب اليها ، وأنه جرده من الاسم الاصلى وهو محمد جمعه ، وأنه أضفى مسيحي الديانة . ولقد مرت الاعوام وإذا بهذا الرجل المسيحي يتنكر لهذا الغلام .

١ — فهل يعتبر التبني للرجل المسيحي حسب الوقائع السابقة مع علمه بأن المتبني له نسباً هو محمد جمعه تنبياً صحيحاً شرعاً وبقره الإسلام ؟

٢ — وهل في مكنة المتبني ( الرجل المسيحي ) أن يحسر عن نسبة هذا الغلام ويرده الى ملة الإسلام ؟

٣ — وهل من الجائز رفع دعوى حاسبة بهذا الصدد ؟

٤ — وهل للفتى المتبني أن يطلب رده للإسلام وخلاصه من التبني ، سواء تمكن من الاحتذاء الى نسبة الاصلى والتحقق منه أم لا ؟ سيد بغدادى المحامى

## الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن النبي على الوجه المفهوم من السؤال لا يجوز في نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة الولد المتبنى لمن تبناه ، بل لا يزال هذا الولد أجنبيا منه ليس عليه ما يجب على الولد لأبيه من الحقوق ، وليس له على من تبناه شيء من حقوق الابناء على الآباء . قال الله تعالى : وما جعل أدياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأموالكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . أدعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعدوا آبائهم فأخوانكم في الدين ، أى فهم إخوانكم في الدين ، فادعواهم إخوانا مادام لم يعرف لهم آباء ، والولد في نظر الإسلام مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم الى المحكمة الشرعية ليسجل إسلامه في سجلاتها حتى لا يكون لمن تبناه سلطان عليه .

ويجب على المسيحي الذى تبناه أن يبين الحقيقة بالنسبة لهذا الولد ، ويحلى سبيله ليسجل إسلامه كما قلنا . وأما رفع قضية حبة في هذا الموضوع فهو أمر يرجع فيه الى نظام القضاء الشرعى . والله أعلم .  
رئيس لجنة الفتوى  
عبد المجيد سليم

## العدل

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال الزهرى . وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثونا أن الله إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات .

قال الزهرى . هذا باطل يا أمير المؤمنين ، أنى خليفة أكرم على الله ، أم خليفة غير نبى ؟ قال : بل خليفة نبى : قال الزهرى : فإن الله يقول لنبيه داود : يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فأحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضالك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبى ؟ قال أمير المؤمنين : إن الناس ليغرونا عن ديننا .

## أبو تمام يصف

بغلم سيادة الأستاذ اليلعي الجليل ، السيد .

صدر قصيدة من الشعر الوصفي ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي يصف  
به الروض ، ثم يمدح بسائرها الخليفة المعتصم العباسي ، يذكرنا سحر الشاعرية فيه  
بطرار الأدب العربي ، في صدق الوصف ، وجدة التشبيه .

يُشَدُّ أَنْ تَنُورَ التَّلَاحِمُ الشَّعْرَى بَيْنَ أَجْزَاءِ الْقَصِيدَةِ - إِلَّا فِي وَحْدَةِ الْقَصْدِ -  
بَاعِدَ - فِيمَا أَحْسَبَ - بَيْنَ التَّنْذُوقِ ، وَبَعْضِ الطَّلَاوَةِ فِي الشَّعْرِ !!!

بدالي من أجل هذا أن أنثر صدر قصيدة أبي تمام هذه ، وأن أخلع عليها  
حلة من الكتابة ، تخلع بها حلة الظم ، ليستبين المعنى في دلّ النثر ، أجل منه  
في عقد الشعر !!!

قال أبو تمام :

رَفَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ فَمِى تَمَرُّمُ	وَعَدَا الثَّرَى فِي حَلْيِهِ يَتَكَسَّرُ
نَزَلَتْ مَقْدَمَةُ الشَّتَاءِ حَمِيدَةً	وَبَدَأَ الشَّتَاءُ جَنِيدَةً لَا تُنْكَفَرُ
لَوْلَا الَّذِي غَرَسَ الشَّتَاءُ بِكَفِّهِ	قَامِيَ الْمَصِيفُ هَشَامًا لَا تُتَمَرُ
كَمْ لَيْلَةٌ آسَى الْبِلَادَ بِنَفْسِهِ	فِيهَا وَيَوْمَ وَبَلَاءُ مُتَعَسِّجِرِ
مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحُومَةَ وَبَعْدَهُ	صَحْوٌ يَكَادُ مِنَ الْغَضَارَةِ يَقْطُرُ
غَيْثَانِ ، فَالْأَنْوَاءُ غَيْثٌ ظَاهِرٌ	لَكَ وَجْهٌ وَالصَّحُومَةُ مُضْمَرُ
وَنَدَى إِذَا ادَّهَمَّتْ بِهِ لَمْ الثَّرَى	خَلَّتِ السَّحَابُ أَنَاةً وَهُوَ مُعَذَّرُ

أربعينا في تسع عشرة حجة  
ما كانت الأيام تسلب بهجة  
أولا ترى الأشياء إن هي غيّرت  
يا صاحبي قمصيا نظريكمنا  
تربا نهارا مشمساً قد شابه  
دنيا معاش للورى حتى إذا  
أضحت تصوغ بطونها لظهورها  
من كل زاهرة تفرق بالندى  
تبدو ويحجبها الجميم كأنها  
حتى غدت ومدهاتها ونجمادها  
مصفرة حمرة فكأنها  
من فاقع غصن النبات كأنه  
أوساطيع في حمرة فكأنما  
صنع الذى لولا بدائع لطفه  
خلق أطل من الربيع كأنه

خفاً لهنك لتربيع المزهر  
لو أن حسن الروض كان يمسر  
سجبت وحسن الأرض حين تغير  
تربا وجوه الأرض كيف تصور  
زهر الربى فكأنما هو مقرر  
حل الربيع فإنما هي منظر 111  
تورا تكاد له القلوب تنور 111  
فكأنها عين إليك تنحدر 111  
عذراء تبدو قارة وتخفر 111  
فتين في حل الربيع تبخر  
عصب تيمن قارة وتمضر  
كدر تشفق قبل ثم تزفر  
يدنو إليه من الهواء معصفر  
ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر  
خلق الإمام وهدية المنتشر

هذا صدر قصيدة أبي تمام ، وقد قلت في حله ما يأتي :

رقت طلاوة الربيع ، ورفقت حواشي الدهر فهي تمرمر : رفاة ، وألبس  
الثرى حليه من الحسن ، ففدا يتكر في حلية الترف ، أو يرف .

نزلت بواكير المصيف ومقدماته ، فاقة حميدة ، ويد الشتاء برة بعد غضة ،  
فهي تشكر ، ولا تكمر 111

أجل إنه لولا الذى غرسه بكفه الشتاء من الغضارة والنضرة ، لقامى المصيف  
من الجذب ، وفرقة الحصب ، هتائما من المراس ، قلنا ثمر ، أو ترهر 111

كم ليلة آسى الشتاء فيها بلاده بنفسه ، وكم يوم تسمعت فيه سماؤه ، بغيث  
يتفجر وبله المتعرج ، أو يقطر .

مطر سمح ، يذوب الصحو منه ، يعقب بعده صحواً يكاد يقطر نضارة ،  
ويعتصر نعمة وترفاً .

هما غيثان : أما الانواء فبى غيث ظاهر ، يتسم لك ثغره ، وأما الصحو فهو  
غيث مضمحل ١١١

ذلك الى ندى بلبيل ، إذا ادهنت به لم الثرى ، خلعت السحاب إنما لاقى الثرى  
وهو معذّر ، كالمقصر ١١١

إليه ربيعتا النض في تسع عشرة حجة ، أجل لك للربيع المزهري ، والعمد الأفسر  
ما كانت الايام تسلب بهجة ، أو تشكل فتنة ، لو أن حسن الروض فيها كان  
يعمر ، فلا يتغير .

إن الأشياء لتسبح كلها إذا هي تغيرت ، سوى الحسن المحض ، من الأرض  
فإنما ينظر حين تغير ١١١

أعلا فكريكا يا صاحبي ، وتقصيا نظريكا ، فإنكما سريان وجوه الأرض  
كيف تصور ، ففسر .

نهار مشمس ، ساحر الجلوة ، قد شاب إشراقته الزهر المنور ، نكأه  
ليل مقمر ١١١

دنيا أيها الصاحبان معاش للورى ، حتى إذا وفد الربيع الطلق ، فإنما هي  
حسن أسفر ، في منظر ١١١

هذه بطون الأرض ، تصوغ لظهورها أزهير أو تتورأ ، تشرق له القلوب  
حتى تكاد من حلاوة المنظر ، تورأ ١١١

كل زاهرة باسمة من الشوار ، تفرق بالندى ، وترف بالنعمة ، فكأنها عين  
تغازل عينيك ، وتحذر اليك ١١١

إن الأزاهر ليجلوها الروض آونة ، ويحببها الجيم آونة ، فكأنها حين تظهر  
ثم تخفى ، خفرة عذراء تبدو مرة ، وتخب حرة ١١١

لقد غدت وهدايا الروض ونجاده فتين : تمشي كلتاها في حلل الربيع تياها  
مزهوة ، تتمطر ، ثم تنخطر ١١١

خنايل تلك من النبات مصفرة بحرة ، كأنها حلل تفسر ، وعصب من الوشي  
يمن تارة وتمضر ، أو تمصر .

تلك : أو أصفر فاقع غض النبات ، كأنه درر تشقق ، ثم ترعفر ، فزهر ١١١  
أو ساطع من الأزاهر في حمرة ، كأنما يشي إليه معصر من الهواء ،  
أو السماء ١١١

صنع الخلاق البديع ، الذي لولا بدائع لطفه مارف الزهر في ثوبه الأصفر ،  
بعد إذ هو أخضر ١١١

خلق ساحر يُطل علينا من الربيع ، كأنه خاق الخليفة أو عبياء الأزهر ،  
وهديه المنتشر ؟

### الحسد

الحسد : تمنى زوال نعمة المحسود وحصول الحاسد على مثله . ومن أحسن  
ما قيل فيه من الشعر قول الشاعر :

إن يحسدوني فإني غير لائهم      غيرى من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم      ومات أكثرنا غيظا بما يحسد  
وقال شاعر آخر :

أصبر على حسد الحسو      فإني صبرك قاتله  
النار تأكل بعضها      إن لم نجدها تأكله

## في ذكرى المولد

الكلمة التي ألفها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود جيلة  
مبعوث الأزهر إلى العراق ، بقاعة فيصل ، في ذكرى  
المولد النبوي ، وأذيت على الشعب العراقي .

سيدى رسول الله ! سلام عليك يوم ولدت ، و سلام عليك يوم بعثت ،  
وسلام عليك يوم مت ، و سلام عليك يوم تبعث حيا .

سلام عليك فى الأولين ، و سلام عليك فى الآخرين ، سلام لا يحده حد ،  
ولا تحويه عبارة ، ولا يقيد زمان ، ولا يشمله مكان . . فلقد كنت يا خير خلق الله  
سلاماً على الدنيا حين برغت شمسك على الوجود فأنارت بنجاة ، وأوضحت سبيله ،  
وذلك مسالكه ، وسهلت أوديته ، وجعلته منة ونعمة ، وعلماً ورشاداً .

ولدت يا رسول الله والمرب أسرى خرافات وعبداء أو هام ، يدينون بالباطل ،  
ويتعلقون بالثرعات ، ويؤمنون بالخرافات ، ويقعون فى جهالة جملاء وضلالة عيياء ،  
يا كل القوى الضعيف ، ويظلم المبطل المحق ، ويسود المفسد المصلح ، ويتحكم جهل  
الجاهلين ، وإسراف المسرفين ؛ لا يعرفون عن الحق إلا ما اتصل بأنفسهم ،  
ولا من الإنصاف إلا ما تعلق بذريهم ، غلاظ الأكباد ، غلف القلوب ، كأما  
شقت نفوسهم من الصخور ، أو قتلت من الحديد .

ولدت يا رسول بين قوم التاث عليهم الامر ، واشتبهت أمامهم الحقائق ،  
وأظلمت هم الدنيا ، فلا فضيلة جامعة ، ولا عقيدة موحدة ، ولا غاية مرموقة  
يدفعون عنها ويرمون من ورائها إلى مجد يرجى أو عز يراد ؛ وإنما هى عصية  
جامعة يوقظها العاد والمكابرة ، ويغريها الحقد والمهاترة ، ويذكر أوارها ، وينشر

لهيها، تنأصر بالباطل، واعتزاز بالخرافة، وإهدار للعقول، وتجاوز عن المعقول والمقبول . فضياؤك الساطع أنار الآثام، وبدد الظلام، وعما الوثنية، وعحق الأصنام، وزلزل إيوان كسرى، وقضى على العصية الصماء، ونادى بالسلام، وثبت الفضيلة، وقرر الوحشية، وأقام دعائم الإيمان .

سيدى رسول الله 1 لقد نبئت نبئتك الطاهرة الزكية المحجوبة عن دنس المدنسين، والمصونة عن رجس الآثمين، منذ أن خلقت وتناقلتك الظهور والبطون، إلى أن طلع فجرك الصادق على الوجود، وشع نورك الوضاء على الأصقاع، فى أرض قاحلة يعز فيها الإنبات، ويقل فيها النبات، لا ماء يروى، ولا خصب يروى. ولكن نبئتك العزيزة على القدر أبت إلا أن تكون عارقة معجزة، فدت عروقها فى الصخور، وأرسلت أفنانها على الرمال المترامية، ثم مدت طولها الباسق وظلها الوارف، ناشرة أريجها الطيب، باذلة ثمرها الشهيلى من فى الأرض جميعا.

فيا خير نبتة نبئت فى الدنيا فى أفضل أرض عرفها الإنسان، نريد أن نطوى إليك القرون، ونستوقف من أجلك الفلك، عله يعود بنا رجعة إلى الماضى المجيد والعهد السعيد، فنستلهم المجد من الماجد، والهدى من الهادى، ونفدى النفس بوقفة عزيزة، وسط نشأة مؤمنة، وعمود موقرة، ضربت المثل العليا فى الفدائية والإخلاص والعدالة والإنصاف .

سيدى رسول الله 1 لقد ولدت فى خير أرومة، وانبثت من أكرم عرق، فكنت خير مولود عرفته الأرض والسماوات .

ولدت يتيما، لا ضنا من القدر بوالديك عليك، ولكن لتكون معجزة فى طفولتك كما كنت معجزة فى ولادتك، فأريتنا فى اليتيم عبقرية لم تكن معروفة فى اليتامى، واليتيم مضيفة منبهة، فلما وجدت يتيما، لم تقهر يتيما، وجاءت شريعتك معظمة لشئون اليتامى، منظمة لمفوقهم .

غذيت بلبن حليلة وثوية، ونشأت فى بنى سعد، وأدركتك العناية وأظفارك ناعمة، وعودك لذن طرى، فأزالت حظ الشيطان من نفسك، وأبدلتك به رافة ورحمة، فبقيت للؤمنين رهوا رحيا، فلما ترعرع عودك الذكى، وترعرعت معه

فضائلك : فضائلك النقية الطاهرة ، واشتد ساعدك ، واشتد معه كلالتك  
وكراماتك ، كنت ديناً قبل أن يرسلك الله بالدين ، وكنت عقيدة قبل أن تأمر  
الناس بالعقيدة .

لقد جفتك الهنات ، وجانبتك الهيئات ، فلم تنق نفسك إلى متابعة ما أحاط  
بالقوم من وزر وما حل بهم من عوج ، لم تنترف ما اقترفه الناس حولك ، ولم تغمس  
يدك في مآثم الجاهلية ، والجاهلية لجل ما فيها مآثم ، فلم تشرب خمرأ ، ولم تعبد صنماً ،  
صيانة لعقلك ، وحفظاً لنفسك ، وتحقيقاً لإنسانيتك ، وتحققاً لأنك المقترفين  
والمتابعين ، وشعوراً بما ينتظرك من مهام ، وما يترقبك من إصلاح ، فسفدت  
أحلام قومك بفعلك قبل قولك ، ونشرت الحق بصمتك قبل نطقك ، فأرغمت  
الجميع على تقديرك ، فأمنوا بنبلك ، وأيقنوا بصدقك ، وأجمعوا على أماتك ، فأنت  
بينهم الصادق الأمين .

هذا بيت الله المحجوج تداعت أركانه ، وتصدع بنيانه ، من تطاول الأيام ، وبعد  
العهود ، لا من الفيل وأصحابه ، فقد جعل الله كيدهم في تضليل ، والبيت رمز العزة  
العربية ، وانجد القرشي ، فتزاحمت البطون لرفع قواعده وإقامة بنيانه ورتق صدعه ،  
يريد كل قبيل أن يمد في مجده ، وأن يزرع لعزته ، وأن ينال شرف الدنيا في هذا  
الموقف الجليل . ثم ما هو ذا الحجر الأسود كريم أحجار الأرض على الله ،  
ترنو إليه الانظار ، وتقف عنده الاطباع ، ويطلب كل فريق أن يكون له  
شرف حمله ومجد وضعه ، وتزاحمت البطون واشتعلت نار التنافس ، وتولاهما هواء  
المصيبة ، وكادت تقع الملاحم المهلكة والحروب المفضية الفاطحة ، لولا أن ساق القدر  
محمد بن عبد الله إلى القوم ، فوضعوا قضيتهم في يده ، وانتظروا منه عدلاً وإنصافاً ،  
فهو بينهم الفصيل الذي لا يرتاب في نزاهته وطهره .

حسم محمد الأمر ، ووزع الشرف بين البطون ، ومكن جميع القبائل من  
حمله ، فاقصأت أفراس القوم ، وانقضت عنهم غمة الفرقة والنزاع بحسن توجيهه  
وبمن تصريفه .

سيدى رسول الله ! لقد كنت مثلاً من أمثلة الخير : وصورة من صور الفضائل ، فلا أتى منك ولا أتى ، ولا أشجع منك ولا أكرم ، فأين منك الريح المرسل في العطاء ، وأين منك الليث في الشجاعة والإقدام ! . نشأت سيداً وفيّاً ، وجاراً بحيراً ، وقرياً رحيماً ، وعزيراً متواضعاً ، ومنصفاً حكيماً ، لا أشراً ولا بطراً ، ولا متكبراً ولا مراثياً . فهذا عمر بن الخطاب ينهر يهودياً أخذ بتلاييك يطلب دينا لم تطله فيه ، فتوجه إلى عمر قولك الخالدة : كان عليك أن تأمرنى بحسن الأداء ، وأن تأمره بحسن الطلب . .

أحببت المساكين وقربت الفقراء ، ورغبت عن الدنيا وقد راودتك جبالها أن تكون ذهباً ، واخترت الباقية الخالدة عن الزائلة الفانية ، فقرت عيون لانحصى من الناس باصطحابك ، وهدأت نفوس لاتعد باقترابك ، فلم تشأ أن تجفف قلبك اللين السليم بالترف والنعيم ، وإنما شئت أن تكون فى صفوف المتقين والمعدمين ، لتشعر بأحاسيس نفوسهم وظلمات قلوبهم ، فعمل على إقتادهم ، وترفع من شأنهم ، بتحديد موقعهم من أغنيائهم .

جاءت شريعتك الالامة مقررّة حقوق الفقراء فى أموال الأغنياء ، وتفضل مولاك ومولانا وهو المنعم ، فجعل حقّ الفقير حقّه ، والتزمه دينا يوفيه مضاعفاً وهو المالك ، ليخفف لوعة الفقر على نفوس الفقراء ، ويحتلج رائز الحقد والحسد من قلوبهم للأغنياء ، ويجعل من الدنيا دار تعاون وتحاب وسلام ، لا دار قطيعة وكراهة وخصام .

نظرت إلى المرأة ، وهى نصف المجموعة البشرية ، فوجدتها مهددة الحقوق تعامل معاملة السوائم والمتاع ، ففككت قيدها وأطلقت أسرها ، وجعلت لها مثل ما عليها . ومكنتها من مالها ، وقبلت تصرفاتها وشهاداتها فيما يناسبها ، وسويتها بالرجل فى تمكليفها وتبليغها خبر ربها ، ثم اخترت لها أن تكون مصنوعة من العيث بعيدة عن الابتذال ، حرصاً على مكانها من المجتمع وهى أمه ، والعرف محبب والأنساب عزيزة ، تفرق بين الحيوانية الناطقة والحيوانية الناهقة .

جئت بشريعة حددت حقوق الأفراد والجماعات ، وأوضحت العلاقة بين

المتبعين والاتباع ، كل له وكل عليه ، لا ضرر ولا ضرار ، ولا عربي ولا عجمي ، ولا مصري ولا عراقي ، فالمسلم أخو المسلم . إن هذه أممكم أمة واحدة ، فلا حدود مقامة بين المسلمين ، فإن أثبت الحوادث الطيبة إلا أن تفرق فصلة السماء بينهم . واحدة وكلية الله فيهم جمعة ، إلههم واحد ، ونبيهم واحد ، وديهم واحد ، ودستورهم كتاب الله . قرر عقيدة الدولة وقواعد تقويمها وتقويتها ، وأسس نظامها ومبادئ عمرانها وصيانتها من عبث العابثين وإثم الآثمين .

سيدى رسول الله :

يوسفى أن أتجاوز القرون إلى قرنك الطاهر ، فأقف بين الأولين السابقين من المهاجرين والأنصار فأريهم صورة من صور المسلمين اليوم ، وقد انحرفوا عن سبيلك ، وأهملوا تعاليمك ، فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وتحللوا من كل فضيلة ، واتبعوا كل ناعق ، وفسدت رموسهم كآفست أجسامهم ، فالتفت بهم حشرات الأرض من كل جانب تهب أرضهم وتسلب أموالهم وتفسد أخلاقهم وتصدم عنديهم ، لا من قلة مستضعفة ، وإنما عن كثرة مبيضة وغناء كغناء السيل لا غناء به ولا نفع فيه : فاللهم وسعت رحمتك كل شيء فاكتب لنا الهداية والتوفيق ، وارزقنا السداد والرشاد ، فإنك نعم المولى ونعم النصير .

## الغوغاء

أنظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى قوم يتبعون رجلا أخذ في رية ، فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا ترى إلا فى كل شر .

وقال دهل الشاعر :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم      الله يعلم أنى لم أقل فتدا  
إنى لأفنع عيني حين أفتحها      على كثير ولكن لا أرى أحدا

# السوفسطائيون في نظر العرب

## نقد حملة جائرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاهين

لأستاذنا الدكتور محمد غلاب مكانة بين مفكرى الشرق الحديث ، وله منزلته الملحوظة عند قراء العربية ، بفضل جهاده المشكور في النهضة الفكرية الإسلامية الحديثة . ولا غرو فالدكتور غلاب عالم أزهرى واسع الأفق ، سيال العلم ، غزير الإنتاج ؛ كما أنه شرقى نزيه لم تفقده ثقافته في أوروبا إيمانه بمدينة قومه وتاريخهم . ولعله أول باحث عربى معاصر جاهر لدينا بتلك الحقيقة المغمورة إذ أثبت بالبرهان القاطع في كتابه القيم . ( الفلسفة الشرقية ) : أن نوع التفكير الحر المنظم الذى سماه اليونان بالعلفة ، لم يكن خاصة للعقل الإغريق وحده كما زعم المفرضون من الباحثين العربيين ومقلديهم في الشرق ، بل إن هذا اللون من التفكير قد نبت وازدهر أولاً في حضارة الشرق القديم ، وأفاد منه اليونان أنفسهم .

ولقد تشرفت بالتلمذة على الدكتور غلاب سنة دراسية كاملة إذ كان يدرس لنا مبادئ الفلسفة الشرقية والفلسفة الإغريقية . وقد بقى في النفس شيء من بعض ما قرره عن مدى فهم العرب للنظريات والمذاهب الإغريقية . وهاك مقالته عن السوفسطائيين في نظر العرب وتأثيرهم في بعض آراء المتكلمين الإسلاميين آثرنا مناقشته فيه على صفحات ( مجلة الأزهر الخراء ) ليكون التحقيق فيه أتم والنفع به أعم . وما زلنا على البعد تلامذة للدكتور غلاب نتلقى عليه في الصحف وفي مصنفاته القيمة الكثيرة ، بعد أن تلقينا عليه في مدرجات الجامعة الأزهرية .

في الجزء الأول من كتاب العلفا الإغريقية عرض الأستاذ لتحقيق آراء تلك المدرسة الإغريقية التى ظهرت في القرن الخامس قبل المسيح وسموا أنفسهم بالسوفست ، وسمام غيرهم بالسوفسطائية ، فأثبت أنهم على اختلاف مباحثهم قد أجمعوا على حقيقة واحدة هى إنكار الحقيقة المطلقة ، وبطلان الحكم العام .

ثم قال ص ١٤٨ :

• ولقد هاجم سقراط هذا الرأي في عف وأثبت أن المفاهيم وليدة الألفاظ وإنما هي مدركات ذهنية ثابتة لا تتغير تبعاً للكلمات، وزاد أفلاطون على ذلك أنها كانتات حقيقية لها وجود ذاتي مستقل عن الأذهان وعن المحسّات، وأنها وجدت قبلهما، ويسمى هذا المذهب ( الحقيقة )؛ ولما جاء أرسطو قرر أن المفاهيم الذهنية وجودات حقيقية ولكنها تظل كائنة في المحسّات إلى أن تقع عليها الحواس فتنتقل صورتها إلى الأذهان، وليس لها في غير هذين الموقفين وجود. ويجب أن يسبق وجودها في الموضع الأول وجودها في الثاني، ويعرف هذا المذهب ( بالمفهومية ). وهذا المذهب الأخير هو الذي ذاع بين فلاسفة المسلمين ومتكلميهم، فحملهم على الجزم بأن كل المفاهيم الذهنية منتزعة من المحسّات، وهو رأى خاطيء.

• ونحن نرى بهذه المناسبة من الحق علينا للعلم أن نعلن هنا إذا عذرنا الفلاسفة في اندفاعهم وراء أرسطو، فلا نعذر المتكلمين الذين كان من الطبيعي أن تحول بينهم وبين اعتناق هذا الرأي الخاطيء عقيدتهم بتعلق علم الله وإرادته بالكائن قبل أن تتعلق به القدرة التمييزية، وسابقة تعلق العلم والإرادة على تعلق القدرة التمييزية تقتضى سابقة الكائن المعنوي الذي يتعلق به العلم على الكائن المحس، وهو على عكس رأى أرسطو.

• وبالنسبة الأمر وقف بأولئك المتكلمين عند هذا الحد، بل إن بعضهم حين أخرجهم منكرو الصفات بأنها تقتضى في ذات الباري تركباً وتكثراً، قالوا إنها لا تقتضى ذلك لأنها أمور اعتبارية؛ ولا ريب أن القائلين بهذا قد هروا في مذهب السوفسطائيين وهم لا يشعرون، ولو كان الأمر الذي هروا فيه غير صفات الباري لكان الأمر نوعاً، ولكن هذا هو الذي كان! على أنى لأدرى كيف سوغ هؤلاء القوم منطقهم أن يتعللوا صدور هذه الحقائق الكونية عن أمور اعتبارية مع انعقاد إجماع كل العقلاء في الشرق والغرب على أن العلة الفاعلة يجب أن تكون أحق وأقوى وأكمل من جميع متعلقاتها المتأثرة بها، كما هو منعقد على أن الحقائق الذاتية أسمى بكثير من الأمور الاعتبارية...، اهـ.

هكذا استطرد الدكتور غلاب في عرض المذاهب المختلفة في حقيقة الكليات

ووجودها حتى حل بلا حق على المتكلمين القائلين بأن وجود الكليات اعتباري ، كما تحامل على مؤرخي الثقافة العربية لعدم السوفسطائية ثلاثة مذاهب مختلفة . ولت شعري بأي المذاهب كان ينبغي على المتكلمين أن يأخذوا إذا كان اختيارهم لمذهب أرسطر الصحيح المطابق للواقع أمراً معيماً ومناقضاً لعقيدتهم بتعلق العلم والإرادة قديماً ، كما يدعى الدكتور غلاب ١ .

هنالك أربعة مذاهب في المفاهيم الكلية ، وقد فصل القول فيها الدكتور بوضوح : فأما مذهب السوفسطائية فبدى البطلان ، وأما سقراط فلا فرق بينه وبين أرسطو في الموضوع ؛ لأنه لا يجعل للكليات وجوداً في غير الأذهان والمخسآت . لم يبق إذن سوى مذهب الحقيقة الأفلاطونية ، وهو ما أوجبه الدكتور على المتكلمين ليطابق عقيدتهم بتعلق الصفات الإلهية قديماً ، كما يتبين من قوله ، وسابقة تعلق العلم والإرادة على تعلق القدرة التجيزية تقتضى سابقة الكائن المعنوي الذي يتعلق به العلم على الكائن المحس . . . الخ .

وفي هذه العبارة لتواء وغموض ؛ إذ كيف اقتضى علم الله وإرادته سابقة الكائن المعنوي وحده ؟ وهل لم يتعلق العلم القديم بالجزئيات المحسوسة كذلك ؟ . إن تعلق العلم والإرادة قديماً بكليات الممكنات لا يعد تعلقاً بجزئياتها ، لتجرد الأولى من الشخصيات في الثانية ، ولأنهما عند أفلاطون الذي تابعه الأستاذ متغايران مغايرة الظلال للأشكال . وكأني بالاستاذ يريد ترديد الرأي الباطل القائل بأن علم البارئ سبحانه قاصر على الكليات .

ولا مرأ في أن المفاهيم الكلية لا تدخل إلى الأذهان إلا بطريق استقراء الجزئيات المحسوسة وانتزاع ما بها من الصفات المشتركة لتأليف المبادئ الذهنية منها ، وهذه عملية يشترك فيها العقل مع الحواس وهي أصل المعارف كلها ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون . .

إذن فالقول بأن كافة المفاهيم الذهنية مصدرها الجزئيات المحسوسة ، وأنها في الحس سابقة على وجودها في الأذهان - قضيتان صادقتان برهانهما الواقع نفسه ، ولا يرد عليها تعلق العلم والإرادة بالأشياء قديماً ، لأن ما في علم الله لا يسمى

بالمفاهيم الذهنية؛ وإن سبق تعلق العلم والإرادة بالحوادث لا يقتضى لكليتها وجودا سابقا؛ لأن أثر القديم لا يلزم بالضرورة أن يكون قديما، وإما تعلق العلم والإرادة بالكائنات الحادثة على أنها كائنة في مواقيت معينة، فالطرف الزمنى جزء من سبب وجودها. وينتهى أنه لا وجود للشيئات إلا بتمام أسبابها.

لو صح جدلا أن تعلق العلم والإرادة قديما بالممكنات يقتضى وجودا سابقا لكليتها، فإن هذا الوجود لا يحلو إما أن يكون شرطا للتعلق أو يكون أثرا له... لا جائز أن يكون الأول، لأنه لو كان لزم أحد محالين: هما انتفاء علم البارئ قديما بالجزئيات الحادثة لاتفاء شرط التعلق، أو قدم تلك الجزئيات، وكلاهما باطل بالعقل والمشاهدة... ولا جائز أن يكون الثانى؛ لأنه لو صح لبطل أثر القدرة التجيزية حيث استفادت تلك المتعلقة بوجودها من التعلق القديم.

أما القول بأن صفات البارئ أمور اعتبارية، فإنه الحل المستقيم لمشكلة الصفات المعقدة؛ لأن الله سبحانه وصف نفسه في القرآن بكثير من صفات التنزيه والكمال؛ وبما أن القرآن كتاب عربى غير ذى عوج، فقد وجب فهمه وتخريج نصوصه على مقتضى قوانين اللغة، ومن قوانينها الثابتة أن الوصف بالمشتقات يمد قيام الصفات بالذوات، فقد ثبت أن الله صفات، وقد اختلف فيها المتكلمون فتعالى قوم حتى لزمهم التكثر فى الذات الإلهية والقول بتعدد القدماء، وبالغ المعتزلة فى التجريد فلم يسلّم مذهبهم من القدر والعيوب. لهذا قال أهل الحق بأن الصفات أمور اعتبارية. وأما دعوى الاستاذ أنهم بهذا وقعوا فى السفه وهم لا يشعرون فردود، لأن بين الاعتبارية عندهم والاعتبارية عند السوفسطائية فرقا كبيرا إذا اعتبارية الشيء لديهم مع ما عديم زيادة الشيء على محله بوجوده زائد أو منقك؛ مثله صفة الوجود فى الوجود. وأما اعتراضه بأن العلة ما هنا تكون دون المعلول فى الوجود فردود أيضا؛ لأن الصائنين باعتبارية الصفات لا يحملونها وحدها مصدر الممكنات وعلاقتها، بل الممكنات لديهم صادرة عن الذات الموصوفة بهاتيك الصفات الاعتبارية، والفرق بينهما كبير. قال الأمير فى حاشيته على الجوهرية عند تعريف صفة القدرة «التأثير حقيقة للذات، وقولهم القدرة فعالة مجاز لا كفر...»، إلخ.

وبعد فليست حملة الاستاذ على المتكلمين بأقل جورا من حملته على مؤرخى الثقافة العربية، لعدم السوفسطائية ثلاثة مذاهب مختلفة.

## الحجة الخالصة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اتواب  
مفتش الوعظ والإرشاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله ناساً ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله . قالوا : يا رسول الله فتخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ؛ فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعل نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس . » .  
يبين رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم فضل طائفة من الناس ، اجتمعت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ، وزكت أرواحهم .

اجتمعت قلوبهم تخففت بالحب البريء ، وصفت نفوسهم فأشرقت بالنور الساطع ، وزكت أرواحهم فسمت إلى ذروة الفصل ، وسيحت في عالم الأمل .  
طائفة من الناس لم ير على أفئدتهم خبث النفاق والرياء ، ولم يطس بصائرهم الحموى الزائفة ، والزيف الأليم ، بل أحبوا مخلصين ، وآلفوا مستبشرين ، واستمسكت روابطهم بعروة من الحق لا تنفصم ، وبسب من العزم لا ينقطع ، وبوشائج من الطهر لم تشبها الأدناس ، ولم تلوثها الأكدار .

طائفة من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، ولكن مكانهم عند الله ، ومنزلهم في البررة الاختيار يعبطهم عليها الأنبياء والشهداء ، يبطونهم في عجب وإعجاب ، وفي تساؤل واستشراف : هم نال هؤلاء مكانهم ، وهم أظفروا غايتهم ، وهم طابوا واستطابوا ؟ ؟

والغبطة ليست بالحسد ، في إثمه ورجسه ، فانه تمنى ذوال نعمة الغير ، وإنه كما يقول سيدنا رسول الله ﷺ يأكل الحسانات كما تأكل النار الحطب ، أما الغبطة فهي أن تفرح — أيها الغايط — للنعمة يفيضها الله على المذمم عليه ، وهي دعاء وأمنية ، بأن تنال كما نال ، وتظفر كما ظفر ، وأن تظلكم نعم الله السابقة ، ففضل الله لا يحده ، وآلاؤه لا تنهى ...

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مكانة هذه الطائفة عند الله وظنهم بهذه الغاية، فاستفسر الصحابة رضوان الله عليهم، معجبين متعنين، قالوا يا رسول الله: فتخبرنا من هم، لنحذو حذوهم، ونبلغ شأوهم. فقال صلى الله عليه وسلم: هم قوم تحابوا بروح الله، وفي جلال الله، وعلى حب الله، ليس لبريق الذهب والفضة، ولا لمنعة من عرض زائل، أو غرض ذاهب، ولا لصلة الرحم أو القرابة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى أسباب المحبة التي تكون لغاية، من كسب مال، أو رابطة نسب أو قرابة، فإن شأنها لا يصل مهما عزت الرابطة، وقويت الأسباب، إلى هذا الأفق السامي الذي يجتمع فيه المتحابون في الله لغير غاية من قرابة أو مال. ثم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق والمصدق، تأكيداً لبلوغهم هذه المزية، وإكباراً لشأن هذه الغاية، بأن وجوههم نور، وأنهم لعللى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس..

أما أن وجوههم نور، فهو نور الصفاء تشرق به جباههم، وتنبسط بريقه أساريرهم، وتفيض به معالمهم بشراً، ووضاءة، وبهاء.

وأما أنهم على نور، فلأنهم على هدى في مسرام ومسعاهم، ولأنهم على تبصرة في سرهم ونجواهم، ولأنهم على وضوح من الحق في أعمالهم ونواياهم. وقد روى الترمذى عن معاذ رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يعطوهم النبيون والشهداء».

وأما أنهم لا يخافون إذا خاف الناس، فلأنهم آمنوا الناس فأمنوا، وسالموهم فسلموا، وتولوهم بالحنو والسمو، فكأنت حياتهم إحساناً، ودعاؤهم أماناً، وغايتهم سلاماً، فكرمهم الناس، وأكبرهم الناس، وأحبهم الناس، ومن أحبه الناس أحب الله. روى الإمام مالك في الموطأ بإساده الصحيح عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله، قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتي يراق الثياب، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسدوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل، رضى الله عنه، فلما كان من الغد هجرت (يعنى بكرت) فوجدته قد سبقتني بالتهجير ووجدته يصلى، فانتظرت حتى قصى صلاته، ثم جئته

من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إنى لأحبك ! فقال : آله ؟ ( يعنى هل حبك لله ) فقلت : لله . فقال آله ؟ فقلت : لله . فأخذنى بحبوة ردائى فجذبنى إليه فقال : أبشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين فى » ، والمتجالسين فى » ، والمتزاورين فى » ، والمتبادلين فى » . ورى أبو داود بإسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فر رجل به فقال : يا رسول الله إنى لأحب هذا ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أأعنته ؟ قال لا ؛ قال : أعلفه . فلعنه فقال : إنى أحبك فى الله ، فقال : أحبك الله الذى أحببتنى له . . .

وبعد : فلو أن الناس صدقوا فى حبهم ، وأخلصوا فى ولائهم ، وجعلوا لله وجهتهم ، لنساموا بمكانهم من الله ، ولحفنهم أنوار الله ، من فوقهم ومن تحتهم ، وعن أيانهم ، وعن شئائهم ، ولكانوا موضع الغبطة حتى من الأنبياء والشهداء . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

## الحرب

قيل لمنيرة : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

وقال ابن عبد ربه مؤلف المقد الفريد : هى رضى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، ونفاقها الأناة ، وزمامها الحذر . ولكل شئ من هذه ثمرة ؛ فثمره المكر الظفر ، وثمره الصبر التأيد ، وثمره الاجتهاد التوفيق ، وثمره الأناة البين ، وثمره الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس بحال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

وسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفارس المغوار عمرو بن معد يكرب أن يصف له الحرب ، فقال : مرة المذاق ، إذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن نكل عنها تلف . ثم أنشد :

الحرب أول ما تكون فتية	تسمى بزيبتها لكل جهول
حتى إذا حيت وشب ضرامها	عادت عجوزا غير ذات حليل
شيطاء جزت رأسها وتسكرت	مسكرومة للشم والتفصيل

# الاسلام والمثل العليا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي  
المدرس بكلية اللغة العربية

لا نجد ديناً يدعو الى المثل العليا في الحياة كما يدعو إليها الإسلام ؛ ولا عجب فهو دين البشرية الخالد ، وعقيدة الفكر الحر المثوب ، وخلاصة المثل الإنسانية الكريمة ، التي ترنو إليها البشرية ، وتهدف نحوها الحياة ، وتتلاقى مع تيارات التفكير الحديث ، وتتجمع مع مبادئ الحضارة والمدنية ، الصافيتين من شوب الأهواء ، وجوهر الشهوات .

ولقد جاء الإسلام والعالم يعيش في ظلام دامس ، وجهل مطبق ، ونظم عتيقة فاسدة ، وعقائد محرقة مضللة : فبدل ظلام الحياة ضياء ونورا ، وجهل الناس ثقافة وعلماً وعرفاناً ، وبما هذه النظم البالية من كل نواحي الحياة ، وجاء بأصول اجتماعية إنسانية تربط الإنسان بالمجتمع والحياة ، وتسير به الى حضارة مهذبة رائعة ، وتجمع بين المادة والروح والدين والدنيا والاولى والآخرة ؛ كما دعا الى عقيدة تجمع بين أصول العقائد والأديان السماوية الصحيحة ، وتمشى مع الفطر السليمة ، والإنسانية الكريمة ، والمقول والقلوب والوجدانات ، التي لم تضلها تقاليد موروثة ، أو عادات شائعة ، أو أهوام زائفة ، أو تفكير ينأى به الخطأ عن جادة المنطق السليم .

ولقد أمت الروح الإسلامية الأولى بالمعجزات : في الاجتماع والسياسة ،

وفي الأدب والعلم والفن ، وفي التمسك والتنظيم ، وفي شتى نواحي الحياة والحضارة . ومن أولى بذلك من الإسلام ، دين الله ، وشريعة رسوله محمد صلوات الله عليه ، ودستوره القرآن ، ومنطقه العقل والحجة والبرهان ؛ وأساسه الفضيلة والإيثار والحق والصدق والخير وروح الجماعة والإنسانية العالية ، والتجردُ من الآوهام والرذائل والمادية القاتلة ، ومن كل ما هو منكروفيج ؟ .

لقد سنَّ الإسلام القوانين الصالحة لكل العصور والجماعات ، والكفيلة برق الفرد والأسرة ، وتقديم المجتمع والأمة والإنسانية ، على نحو يرضاه العقل ، ويطمئن إليه القلب والوجدان ؛ فلم لا يكون مع ذلك الداعي إلى المثل الأعلى في النظام والتشريع ؟ .

ووجه الإسلام الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، له مقاليد السموات والأرض ، يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ؛ وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الحكيم : « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » ، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ، كما دعا الإسلام الناس إلى دين واحد ، يصدق به العقل والروح ، ويجمع بين خير الدنيا والآخرة ، ويرشد إلى أمثل ما في الحياة من عدالة وخير ورحمة . وجمعهم على كتاب واحد ، ودستور خالد ، هو القرآن ، كتاب الله العظيم ؛ وعلى رسالة واحدة ، هي رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وهي الرسالة التي تنفق مع دعوات الأنبياء وشرائع المرسلين . شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . فلم لا يكون الإسلام مع ذلك كله مثلاً أعلى في العقيدة والإيمان ؟ .

وحارب الإسلام العصيات وأفكار الجاهلية الأولى ، التي تفضل جنسا على جنس ؛ يقول الله عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول رسوله صلوات الله عليه : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ؛ حاربها الإسلام لأنها نادى بالتنازع والبغضاء ، وتفرق بين الناس وقد ضمهم أصل واحد ؛ يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . .

وعما الإسلام الفروق الاجتماعية الواسعة بين الطبقات ، التي كثيرا ما تستند الى الحسب أو الجاه أو المال ؛ وجعل الفقير أخا الغني والفقير أخا الفقير ، ودعا الاغنياء الى اليزل والجود والصدقة والإحسان وأداء الزكاة وإنفاق المال في كل حق وخير ومعروف ؛ كما دعا الفقراء الى الأمانة والعمل والزهد والقناعة والرضا بما قسم الله ، « أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون ، ؛ وقرر أن المال في أيدي الاغنياء إنما هو مال الله استحلهم عليه ، آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ، ؛ وما ينفقوه من مال على الفقراء إنما هو قرض لهم عند الله يجازيهم عليه خيرا كثيرا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، إن ترضوا الله فرضا حنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور حلیم . . فكيف لا يكون الإسلام مع ذلك ديننا عاما هو المثل الأعلى في الاجتماع والروح الإنسانية العامة ؟

والاصول الأولى في الاسلام تدعو الى الحق والخير والعدل والمساواة والحرية ، وإلى التعاون والوحدة والشورى ، وإلى الاحوة العامة والزمانة الانسانية المشتركة ، وإلى الثقافة والمدنية والحضارة والرفق ، وإلى محاربة الاهواء والتقاليد الضارة ، وإلى المحافظة على الشرف والكرامة وروح الانسانية في الفرد والجماعات والامم ، كما تدعو الى السلام ، وإلى أن يقوم هذا السلام على الحق

والعدل ، وفي سبيل خدمة المثل الانسانية العليا التي يدعوا إليها الاسلام . وهو فوق ذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وصيغة الله ومن أحسن من الله صيغة ؛ ودين يجمع بين المادة والروح ، ومصالح الدنيا والآخرة ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين ، ؛ إلى غير ذلك من الاهداف والمثل العليا التي يجمعها ويدعو إليها الإسلام وكتابه الكريم .

وبعد : فقد حرر الإسلام الإنسان من الوهم والتقليد والجود والجهل والفاقة والاضطهاد والاستبداد ؛ وحرر المرأة ، لجعل لها حقها في الحياة ، وسواها بالرجل في الحقوق والواجبات ، واعترف لها بأهليتها للتصرف والتملك وتدير شئون المنزل والأسرة ، والمساهمة في أعمال الخير والبر والإحسان وفي شتى النواحي الاجتماعية التي لا غنى للمجتمع عن نشاط المرأة فيها ؛ وحرر الطبقات من طغيان العصبية والثروة والحسب ؛ وحرر المجتمعات من الخرافات والاضاليل وأوهام الكهان المترعنين ؛ وحرر الأمم لجعل أمرها شورى بينها ، وسأها بالعدل والحق والقسطن المستقيم ، وبالرحمة والإيثار وحب الخير العام ومصلحة الجماعة المشتركة ، وقضى على الرذائل والمنكرات والشهوات التي تضعف من روحها وبنيتها ، وتعصف فيها نزعات الخير ، وتقف بها عن السير والتضال في الحياة ؛ وحرر الإنسانية عامة من ربة الجهل والوحشية والتأخر والقوضى والآثرة ، ومن جوح الشهوات وتقديس الماديات والجودح إلى الشر والفساد في الأرض ، ومن التقليد الضار والإيمان بما كان يؤمن به الآباء والأجداد دون تحكيم للعقل أو وزن للأدور بميزان التفكير السليم ؛ ورفع مع ذلك كله الإنسان ومكانته في الحياة ، فجعله خليفة الله في الأرض ، ودعاه إلى أن يسير إلى أمثل ما في الحياة من حق وخير وسمو ، وإلى أن يعمل على تقدم الحياة والإنسانية بأوسع معانيها .

فاأروع الإسلام ، وما أجل شريعة تقوم على هذه المبادئ المثلى ، وتدعو إليها ، وتدفع البشر والبشرية نحوها ! .

## ذكرى شوقي:

### عجالات في الشوقيات

لفضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد مجلان  
المدرس بالازهر

لي رأى فيما يجدُّ وما ينثر من شعر الشعراء ، أو أشباه الشعراء ،  
الاجباء .

فإذا تمحضت حياتنا عن موجبات القرائح ، ومُنْجِبَاتِ لِبَنَاتِ الشعراء ،  
ونظرت في تناح الناظمين من ( المعاصرين ) رجعت لرأي الذي أعلنته غير مرة :  
وهو أننا دَكْنًا القوافي بعد ( شوقي ) ! فهل ياترى ستذكُرُه ١٩٩

ومن حق هذا العبقري على من يقدرُون فنه حق قدره ، أن يجعلوا من ذكره  
قلائد تباهى حسان الذكريات ، ويصنعوا فرائد ترشح على جبين أيامنا المشرقات .  
ونحن إذ بجلى بدع ( شوقي ) وملهماته ، لا نستطيع إلا أن نقبس بمض  
مفان القرينة ، وتحليقات النبوغ ، وسحر الصناعة ، وسمو المعنى ، ودقة الحكمة ،  
وجلال التاريخ ، ونقدس الجمال ، بما ( في الشوقيات ) .

وإنها لمفخرة ( مصر ) ومعجزة الشعر في ( الشرق ) . ومن الوفاء أن نصدق  
الرأى فيمن لا يكذب الإفصاح ، وأن نرى لشخصية براهما الله صائفة ( بيان )  
وصاغها صنعة حسن وإحسان :

ولا أكذب البارى بنى الله ميكلى

صنعة إحسان ورق حسان

أدين إذا اقتاد الجمال أزمته وأعنو إذا اقتاد الجليل عثاني  
وما خلفه من مصفى القريض ، ومنحول القصيد ، وبلغ الشيد ، خلق بما  
قلده بيته :

فلا حكمتى دعوى ولا منطقى هوى ولا مبدئى لؤم ولا قلبى وعد  
وأفصح ما يفصح عن ذلك المبقرى ، ويكشف عن صفاء نفسه ، وإحكام  
يراعته ، وإتقان براعته - ما جرى بين قوافيه فى رثاء ( حنّته ) .

وأحكم من تحكم فى براع وأبلغ من تبلى من داوة  
وابراً من تبرأ من عداة وأزهر من تزه من ثبات  
وأصون صائن لآليه عرضاً وأحفظ حافظ عهد اللدات  
وأمثل قاتل للدمر خيراً وأصبر صابر للفاشيات  
وعاطفة شوقى هى التى ساعدته على صدق الوفاء ، ورقة شوقى هى التى جودت  
وخلدت ( شوقيات ) الرثاء .

يأبها الدمع الوفى بدار نقضى حقوق الرقعة الاختيار  
أنال أنعتك فى ثرام فاهوى والعهد أن يُبكَوا بدمع جار  
عطفا عليهم بالبكاء وبالأسى فتعهد الموقى من الإيثار  
وبذلك وأمثاله سيطر شعره ، وسبق ما تخلف الشعراء عن ( شوقى ) تلوذ  
بالشوقيات ، وقطف من رباحيتها ، إن مستأطاف السراء ، أولفحننا بحير الضراء .  
كان شعرى الماء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه  
واحتفاؤه بالمعاني الإنسانية وتصوره للأمان الوطنية ، لا ينسبني تفرد  
وابتكاره وتقديسه للعالم التاريخي : فرعونية ، وشرقية ، وعربية ، وإسلامية .  
ناهيك بالآثار العالمية .

وأنا المحتنى بتاريخ مصر من يصن بحده فقد صان عرضاً  
وهو السباق الذى لا يضارع ، والوصاف الذى لا يشق له غبار ، ومن يمار  
فعليه أن يسمعه وهو يباحى ( الهرم ) أو يخاطب ( أبا الهول ) أو يقف معه  
على القصور الفرقى ، ممسكا بمصها من الذعر بعضاً .

من لي بمن يعرف البيان المصور، والأتين المنتصد، والسحر المقتى، والخلق  
المظلوم، والنغم المخبوذ؟ من لي...!

ومن يطلب إجابة بعد إجابة شوقي حين يقول على أطلال المجادة الدارسة :  
قف بلك القصور في اليم غرقى      ممسكا ببعضها من الذعر بعضا  
ويقول فيها وفي استعصائها على البلى، واستعلاء بقشها على توهين الأزمان :  
شاب من حولها الزمان وشابت      وشباب الفنون ما زال غضا  
إليه شوقي الذي صنع الخلود لما ضرب به المثل في الخلود. لقد عرف حق  
( التاريخ ) على من يمتاز بالتاريخ، وآمن بأن الأمم لا تنحيا على هباء من الماضي،  
ولكنها تعيش على الطارف والتالد : فاجلّ الذاهب، وقندس الحاضر .

هذا المقام عرفته      وسبقت فيه القائلين  
ووقفت في آثاركم      أذن الجلال وأستبين

وجمال الآثار تزأج مع جمال اللغة، وأفهما إيمان ( شوقي ) بسر ( الضاد )،  
وتدله بدقائنها وإدراك خصائصها، وتمرسه واقصامه لشواردها .  
لجام ( شعر شوقي ) خاليا من الضعف الذي منى به متحلفو ( التهوديد ) ،  
مشغلة القاعدين عن التحصيل والتسديد .

وليتهم ساروا على رسم ( شوقي ) ولم يلهم زيف المحاسن المجلوبة ! . ليتهم  
تكاثروا وتالكوا على مائدة الجلال التي كانت — ولا تزال — مراداً للأول  
والآخر :

إنها مائدة الضاد .

إن الذي ملاً للغات محاسنا      جعل الجلال وبره      في الضاد  
وما ينبغي لأحد أن يكر على القلم إطلاق العنان في الإشادة بشوقي وفنه  
الشاعري، لأنه أعطى موهبة ساقته وتساقطت مع مفاتيح السر . وما يلقاها  
إلا فو حظ عظيم .

ونحن كلما طالعتنا ذكراء تسانفنا مصر ومعها الشرق، وتلفتت البلاغة،  
وتطالبنا الأحداث : أين شوقي وهذا مكانه لما يرل شاغرا ١٤

ويجدُّ بنا الشوق الى الجواب ، وتتركنا نثنا فاذا كل ما فيها رخاوة وهزال بما  
يشبه الهراء ، وإذا الذي بيننا وبين المبالغ في التسلل تحية معذرة ورجعة الى (كرمة  
ابن هاني) ، وتختفنا على ضفاف النيل عبرات لا تجففها إلا صفحات الشوقيات من  
الدواوين والمرحيات ، وأما اللغة العربية وشاعرها وسيميرها وسامرها فلعلها  
إن سألت عنه حرية في يوم ذكراء أن تتلقى اصداً في طيها ما قاله ( شوقي )  
يرثى به صديقاً كان يسهر على إشاعة البشر في حياته ، والإيناس في وحشاته ، وإنه  
لنجيه في غدواته وروحاته :

تسألني كرمي بالنهار	وبالليل أين سميري (حسن)
وأين السديم الشبي الحديث	وأين الطروب اللطيف الأذن
نجمي البلابل في عشبها	وماهما صنعة في الفن
فقلت لها : مات واستشعرت	ليالي السرور عليه الحزن
وما هو ميت ولصكه	بشاشة دهر عهاها الزمن

### الإخوان

قال الأحنف بن قيس . خير الإخوان من إن استعنت عنه لم يردك في الهودة ،  
وإن احتجت إليه لم ينفصك منها ، وإن كوثرث عضدك ، وإن استرفدت رفدك .  
وأشده :

أخوك الذي إن تدعه لئله يجبك وإن تنضب إلى السيف ينضب  
ولما صارت الخلافة إلى المصور كتب إليه رجل من إخوانه كتاباً فيه  
هذا الأبيات :

إنا بطانتك الألى حكا تكابد ما تكابد  
ونرى قعر ف بالعداوة والبعاد لمن تباعد  
ونبت من شفق عليك ريثة والليل هاجد  
فوقع أبو جعفر على الكتاب : صدقت ، ودعا به فألقه بإخوانه .

# الإيمان

لحاضرة الأستاذ عمر طلعت زهران  
أستاذ في الأدب والصحافة

ليس الإيمان مقتصرًا على دين دون دين ، أو على جنس دون جنس ، ولكنه شعور يشعر به الفرد أيا كان دينه أو جنسه أو وطنه . وإن الكتب العربية لتزخر بوصف مشاهد الخشوع وقصص الإيمان ، وإننا نرى الكتاب يقصون علينا تلك الأنباء ، أو يخطون إحساساتهم العامة بالإيمان ، في أسلوب قوى يبلغ إشعاع إيماننا ، ويذوب وجدانا . وما أبلغ البوصيري في برده ، وهو الذي لم يشتهر إلا بها ، ولم يكن شعره في غيرها من عيون القاصد . وقد وقعت في قراءة في كتاب د في خطي المسيح ، من تأليف ه . ف . مورتون ؛ على وصف لحاج بلغاري يزور بيت المقدس ، رأيت أن أنقله إلى العربية . ولعل من نوافل القول أن أقول إن مورتون ليس من كتاب الإنجليز الممتازين ، فإن نقدتهم يرون فيه كاتبًا عاديًا ، كغيره من مئات الكتاب ، ولكنه في كتابه - الذي تنقل عنه - يمتاز بروحانية التعبير وحسن الأداء ، فهو يصف رحلة قام بها إلى بيت المقدس ليزور الأراضي المقدسة ، والأمر إن اقتصر على الوصف ، كان جافًا ، ولكنه يبتدئ خلال السطور ومشاعره ، ويبين عن إحساساته ووجدانه ، ويرجع بذكرياته الفهري ، قرونًا وقرونًا ، يذكر أو يتذكر الحوادث حين وقوعها ، فيعطينا صورة حية لعصر قد من هصور التاريخ .

أراد الكاتب أن يدخل الهيكل المقدس حيث يوجد قبر المسيح . وقبر المسيح : حجرة ضيقة مرمية ، طولها ستة أقدام ونصف ، وعرضها ستة أقدام ، لا يستطيع أكثر من شخصين أو ثلاثة أن يقفوا فيها معًا ، وفي شطرها الأيمن

لوح من المرمر الأبيض يغطي الصخرة التي وضع عليها المسيح بعد صلبه ،  
( فيما يزعمون ) .

رأى مورتون حاجا يسجد داخل القبر ، فانتظر حتى ينتهى من صلاته  
ليدخل اليه بدوره .

وطال انتظاري ونفد صبري ، فأخيت قائمتي ونظرت خلال الباب المنخفض  
فرايت أن الشخص الساجد إنما هو شيخ ، بلغ من العمر عتيا ، منحني الظهر ،  
مهمل الثياب ، يتعلم ذملا ضخما من الباد . كان حاجا بلغاريا آتى في سفينة حجاج  
ولربما كان يدخر حياته كلها لهذه اللحظة .

كان يسجد أمام القبر ، الرخامى ويقبله مرارا ، تنساقط من عينيه الدموع  
غزيرة ، فنفساب خلال تجاعيد وجهه متساقطة على الحجر ، وكانت يدها الخشتان  
الكبيرتان ، وأظافره العليظة السوداء ، من أثر عمل مكد شاق ، تلمس الرخام  
برفق وخشوع ، وفي عاطفة جياشة رقيقة ؛ ثم لا يلبث أن يستأنف صلاته .

وأخذ ينهل الى الله بصوت مرتفع مرتجف ، وأما أنظر إليه غير مستطيع  
فهم ما يقول . وأخرج من جيب سترته بضع وريقات متسخة وشريطا من القماش ،  
مسح بها جيما القبر ، ثم عاد فأودعها جيبه .

وظننت أنى قد أجد مكانا لي بجانبه ، فأخيت رأسي ودخلت الهيكل ، فلانا  
ثلاثتنا - الراهب الإغريق ، والفلاح الساجد ، وأنا - المكان الضيق وكان يمكننا  
أن نظل - رغم ضيق المكان - في راحة ودعة ، لويق الفلاح ساجدا ، ولكن لعل  
دخولى قد أزعجه ، فنهض وما زالت دموعه تنساقط ، وهمس في أذنى بعض  
الكلمات . ووقفنا - ثلاثتنا - وقد تلاصقت صدورنا ، وتلاقت أبصارنا ،  
وأيقنت أنى أرى في عينى هذا الفلاح سعادة حقة .

لقد حقق حلم الحياة ، ولم أكن قد رأيت سعادة مثل سعادته من قبل ، لم أكن قد  
رأيت السلام والرضا مجسمين على وجهه ، كما كما على وجهه ، وودت لو دفعت

الحياة وما أملك ، ثمنا لحديث أباده إياه ، ولكننا ظللنا هكذا وقوفا في قبر ، المسيح ، يمس - هو - في أذننا بحديث لا أفقه منه شيئا ، ولا أستطيع إلا أن أهزله رأسي نفيا .

ولعله ينس من محادثتي ، فتحول عني الى الراهب الإغريق وهمس له بنفس الكلمات ، ولكن الراهب ، لم يفهم قوله قط ، فبرز رأسه - أيضاً - نفياً . وعلا الضيق محيا الشيخ العجوز ورفع صوته قليلا ، ونظر إلى الدرج الرخامي نظيرة سرية ، ما لبث أن خفضها ، ثم أشار الى جبهته والى المصابيح المعلقة فوق قبر المسيح . وهنا فهم الراهب ما يريد ، فأولم إيجابا ، وخفض مصباحا ، وأخذ قطعة من القطن فبلها بزيت المصباح ثم مسح بها وجه الفلاح .

وخر الشيخ العجوز راكعا على ركبتيه محولا وجهه نحو « القبر » ، غير راغب في مبارحة المكان ، خاشعا من أثر الإيمان ، تتحسس يدها الخشتان الكبيرتان « القبر » المرمرى ، كما تما تمسحان على شعر طفل بحان .

وجلست حينئذ على مقعد حجري ، مواجها الباب المنخفض المؤدى الى القبر ، وعاهدت الله - بين وبين نفسي - أن أجلس هاهنا طيلة إقامتي في بيت المقدس . كان الجمع الذي حولي ساكنا ، يصعد الزفرات ، ويسجد في خشوع ، أو يقف على أطراف أصابعه في ضوء الكنيسة الخافت ، يتحدث فيما بينه هما ، أو يسبح الله على حبات المسابح .

وهنا تذكرت وصف ما يتلك مراد ، الرائع لهذا الجمع إذ تقول :

« كانوا يقفون كالأشباح ، لا ينظرون يمينا ولا يلهتون شمالا ، مستغرقين في صلواتهم ، ناثنين بين تأملاتهم ، غائبين في ذكرياتهم الحزينة ، كأنما قد غاب عنهم كل شيء ، إلا الرغبة الملحة في أن يدعوا الله ، في قدس الأقداس هذا ، راجين العفو ، طالبين المغفرة ممن وسعت رحمته كل شيء . وإن أفكار المتعبدين المتجهد ، في هذا الضوء الخافت ، وفي هذا المكان الساكن ، لتضمحل وتتضاءل إزاء هذا الشعور الروحي ، وهذا القلق المتسامي ، حتى لتفنى الشخصية الفردية ، وتبدو جميع المبادئ كأنما هي أشباح غير حقيقية » .

## في قصر الرشيد سيرته في ندمائه

الحضرة الأستاذ الشيخ حسن خطاب الوكيل

كان الرشيد لا يصبر عن مصاحبة ابن أبي مرزوق المدني، ولا يمل محادثته؛ لادبه وطرافته، ومعرفته أحبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف، ومكايد الخشيان، وخفة الروح، وسرعة الخاطر؛ لذلك برأه الرشيد مكاناً في قصره، وخطه ببطاقته ومواليه، واتخذته نديماً خاصاً له.

ففي ذات ليلة دخل الرشيد غرفة ابن أبي مرزوق وقت الفجر، فوجده يعط في نومه، فكشف عنه غطاءه وقال له كيف أصبحت ؟ فاستيقظ ابن أبي مرزوق قليلاً وهو يظن أن مكلمه أحد حراس أمير المؤمنين، فأجابه من غير روية : ما أصبحت بعد، اذهب يا هذا إلى عمالك ! فقال له الرشيد : ويالك قم إلى الصلاة ! فأجابه ابن أبي مرزوق من تحت الغطاء : هذا وقت صلاة أبي الجارود (١) وأنا من أصحاب أبي يوسف . فتركه الرشيد وأرسل إليه أحد الخدم ليوقظه، فقال له : أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة قم . فقام ابن أبي مرزوق وتوضأ ودخل إلى المصل فإذا الرشيد يقرأ في صلاته آية : « وما لي لأعبد الذي فطرني »، ثم أمسك عن بقية الآية . فلاحظ عليه ابن أبي مرزوق بقوله : لا أدري والله ! فمطن لها الرشيد فضحك وخرج من صلاته، والتفت إلى ابن أبي مرزوق وقال له عذراً : في الصلاة أيضاً ١٤ فأجابه ابن أبي مرزوق مغالطاً على سبيل المزاح : يا هذا وما صنعت ؟ فأجابه الرشيد : قطعت على صلاتي وأضحكتني . فقال له ابن أبي مرزوق معتذراً : والله ما قصدت ، وإنما سمعت منك كلاماً عني حين قلت : وما لي لأعبد الذي فطرني ، ثم أمسكت فقلت : لا أدري والله ، ما لك لا تعبد الذي فطرك !

(١) أبو الجارود : أحد رجال الشيعة .

فضحك الرشيد وقال له منذراً ومؤدباً : إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما ١ .

ولما طلعت العزالة ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وألحف الجو الضياء ، وغنت الأطيوار ؛ أرسل الرشيد في طلب إسحاق الموصلي فأحصر ، فقال له الرشيد : غنا يا إسحاق :

أعاذل قد نبيت فـا انتهيت      وقد طال العتاب فـا ارعويت  
الغ الايات .

ففى إسحاق وأطرب وأجاد ما استطاع إلى ذلك سبيلا . فطرب الرشيد واستعاد العناء ، فغاظ ذلك إبراهيم المهدي وكان حاضراً ، فقال لإسحاق : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت ١ . فأجابه إسحاق على الفور بقوله : ليس هذا بما تعرفه ولا تحسنه ، وإن شئت فقل أنت ، فإن لم أجذك أنك تخطيء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدى حلال .. ثم وجه كلامه إلى الرشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قربتنا منك وأوطأتنا بساطك ، فإذا نازعنا فيها أحد بلا علم ، لم نجد بداً من الإيضاح . فقال الرشيد له مطيباً خاطره : لا لوم عليك يا إسحاق . ثم قام من المجلس كأنه قام لحاجة فى نفسه .

فانتهز هذه الفرصة إبراهيم المهدي والتفت إلى إسحاق مخاطباً ومعنفاً : ويلك يا إسحاق ، أنتجرتى على فى حضرة أخى ، وتقول ما تقول يا ...

فأجابه إسحاق مغاضباً : أنت تشتمنى ولا أقدر على إجابتك ، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة .

وبينما هما على هذه الحال ، وإذا بالرشيد يعود إلى المجلس على أثر هذه المشادة الخطيرة .. فتقدم إبراهيم المهدي ، وجلس بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين شتمنى إسحاق ، واستخف بى ١ .

فغضب الرشيد ونظر إلى إسحاق ، وقال له : ويلك يا إسحاق ، ما تقول ١٤ .

فأجاب إسحاق خائفاً : لا أعلم ، وصل من حضر يا مولاي .

فتقدم مسرور وقص عليه كل ما حدث .

فالتفت الرشيد إلى إبراهيم وقال له : لا ذنب على إسحاق ، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك . ارجع إلى مكانك وأعرض عن هذا حتى أنظر في أمر إسحاق . ثم التفت إليه وقال له يا إسحاق : ويحك لا تعد لمثل هذا ! أترى لو ضربك إبراهيم أكنت أضربه وهو أخى يا جاهل ؟ أترأه لو أمر غلبانه فقتلوك أكنت أقتله بك ؟

فأجاب إسحاق وقد أوجس في نفسه خيفة : والله يا أمير المؤمنين قتلتنى بهذا الكلام ، وإن بلمه ليقتلنى ، وما أشك في أنه بلغه الآن ١ .

ففرق الرشيد وعطف على إسحاق ، فأراد أن يدرك الأمر وأن يعالجه بالحسنى قبل خطورته ، فقال لإسحاق : إلى منزلك حتى أدعوك بعد . وبعث في طلب إبراهيم المهدى ، فأحصر ، فابتدره الرشيد بموله : أتستحلف بخادمى وصنيعتى ، وابن صنيعتى وخادمى ، وصنيعتى أبى ، وتقدم على وتستحلف بمجلسى وحصرقى هاه ! هاه ! وأنت مالك وللعناء . وما يدريك ما هو ؟ ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ فيه مبلغ إسحاق الذى غنى به وعلمه وهو فى صناعته ؟ ثم تظن أنك تحبسه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليه فلا تثبت لذلك وتمنم بشتمه ! ألا تعلم أن هذا سوء أدب ، وقلة معرفة ، وعدم مبالاة بالخطأ والرد القبيح والتكذيب . والله العظيم ، وحق رسوله ، وإلا فأنا برىء من المهدى ، إن أصابه أحد بمكره ، أو سقط عليه حجر من السماء ، أو وقع عن دابته ، أو سقطت عليه سقيفة أو باب لجأ ، لأقتلك به . والله والله وأنت أعلم ، قم الآن فأخرج ولا تعرض له !

ولما كان العد أو بعده بعث الرشيد فى طلب إسحاق ثم إبراهيم فأحضرا ، فأخذ الرشيد يهد للصلح بينهما ، فصارت نظر إلى إبراهيم ويبتسم ، ثم ينظر إلى إسحاق ويبتسم ، ثم التفت إلى إبراهيم وقال له : إنى لأعلم محبتك لإسحاق ، وميلك إليه ، وإلى الأخذ عنه ، وإن هذا لا يحى من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى ، والرضا لا يكون بمكره ، ولكن أحسن إليه وأكرمه ، واعرف له حقه وصله .

ثم التفت الرشيد إلى إسحاق وقال له : قم الآن إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه . فامتل إسحاق وقبل رأس إبراهيم !

## شهادة الأيام في قضية الإمام

هذا عنوان كراسة مطبوعة تبلغ صفحاتها ثمانية وأربعين صفحة تحتوى على كلمة لصاحبها الشاعر النابه البليغ مرسى شاكر أفدى الطنطاوى ، تليها قصيدة يبلغ عدد أبياتها نحو ثلاثمائة بيت بل تزيد ، وتنتهى ببضع صفحات قيمة تبحث فى سيرة الإمام على عليه السلام والحوادث التى طرأت فى أيامه ، المحضرة الوجيه ميرزا مشكى بك رفيع مشكى .

أما القصيدة فهى كما يدل عليه عنوانها ، شهادة الأيام فى قضية الإمام ، لم تدع صغيرة ولا كبيرة من سيرته وشماله رضى الله عنه إلا أنت بها شعراً فى ألفاظ مختارة ، وصياغة معجبة ، وسبك بديع ، وعرض للحوادث الخطيرة ، فى نظام متسق . فهذه القصيدة قطعة من الأدب العصرى الذى يجب أن ينشر ، ويجب أن يدخر ويقرأ .

## حجة المنبر

إن سيادة حسن الفتاوى من أوجب المشتغلين باللغة من المعاصرين ، وهو عضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، اشتغل بالأدب على عرق ، فبلغ فيه شأواً بعيداً . وقد أهدانا برسالة مما كتبه أخيراً تحت عنوان ( حجة المنبر ) مما فيها نحواً طريفاً فى الوعظ والإرشاد ، والنهى على البدع والمبتدعين ، وأبغى بقوة على اللاهين والمتمردين ، فى عبارات تلفت الذهن للفهم ، وتوقظ النفس للاتعاظ . ليست جارية على سنن الخطباء المنبريين ، ولكنها أفضل فى لفت الأنظار ، وإيقاظ القلوب ، مما اعتاد الناس أن يسمعه فى كل جمعة حتى حفظوه . وإنا لآتون للقارىء بقطع منها ، لإدلاله على باقىها ؛ قال سيادته :

أما بعد : فإن يذهب بكم أبها المسلمون من الدين ، وسنة الهادين ؟ وكيف أنتم إلى مقتل الفضيلة ، وسطوة الرذيلة ؛ وتألفكم من الزمان بالإحسان ، وقعدت بكم جفوة الأمل ، عن العمل .

أين لا أين ؟ من يتقى الله حق تقائه ؟ ويعمل لمَرْضاته ؟ وأين من يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ؟ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، والزكاة مرحلة وقوتاً . أين الصائمون ينعمون بين شدة الصوم وحقيق ؟ والحجاج المطهرون يأتون من كل فج عميق ؟ يمثل هؤلاء يقام الدين ، ويكبر اليقين .

## كتاب النفس لأرسطو طاليس

إن كتاب النفس للفيلسوف الأشهر أرسطو الملقب بأمير الشعراء بقى مرجع جميع الفلاسفة في هذا العلم إلى القرن التاسع عشر ، وهو في الوقت نفسه أعظم كتب أرسطو قيمة . وهو يشمل ثلاث مقالات : الأولى سرد فيها أرسطو مذاهب القدامى من الفلاسفة الذين سبقوه ، والثانية في تعريف النفس هل حسب مذهبه ، والثالثة في الحس المشترك والتخيل والتفكير والنزوح

ولم يقتصر أرسطو على كتابه هذا ، فكتب في مواطن أخرى من مؤلفاته ما عني له من الأمور المتعلقة بعلم النفس . وهو يعتبر دراسة النفس جزءا من العلم الطبيعي ، لأن النفس ، كما قال : مبدأ الكائن الحي .

وعلى هذا فإن ترجمة هذا الكتاب ونشره يعتبر من الأعمال التي تخدم بها دراسة الفلسفة أجل خدمة .

نقول هذا وبين يدينا ترجمة جليلة القدر ، منقطعة الظير لهذا الكتاب الشهير قام بها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المدرس بالجامعة المصرية اعتمد فيه على ( تريكو ) الفرنسية ، ونظر الى جانبها في ترجمة ( هكس ) . وقد رأى إتماما للفائدة أن يكشف صديقه الأب فتواتى لمراجعة الاصل اليوناني لانه لم بهذه اللغة ؛ فكانا يجتمعان للمراجعة والمقابلة حتى أصلحا الترجمة ، وأصبحت أقرب الى الصحة . لجأت هذه الترجمة بعد ما بذلت لها هذه العناية العظيمة جدرة بكتاب يعتبر أكبر مرجع لعلم النفس في الفلسفة القديمة . ومن الجزاء الحسن لمحاضرة الأستاذ الدكتور الأهواني أن يوفق الى ترجمته ليكون مكافأة له على ما بذله من العناية الفاتقة بترجمة سواه من الكتب النافعة ، وإنفاق أوقاته في تمحيصها وتهذيبها .

ولسنا بحاجة لأن نقول إن الكتاب مطبوع طبعة أنيقة على ورق غاية في الجودة ، وقد وضع في ذيله معجما للمصطلحات الواردة في كتاب أرسطو بأربع لغات : الفرنسية والإنجليزية واليونانية والعربية .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مأمون الشاذلي شيخ الجامع الأزهر

في احتفال الأزهر بالذكرى المئوية

لساكن الجنان المغفور له محمد علي باشا الكبير

نحمد الله ونستهديه ، ونسأله التوفيق في القبول والعمل . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن « محمد علي ، الكبير » نضر الله وجهه ، وطيب ثراه ، وأحيا ذكره . قضيه الله لمصر في ظروف كانت أحوج ما تكون فيها الى عامل ينتشلها من وهنتها ، ويضليها من عثرتها ، ويقصي على ما نشب بين أمرائها وأبنائها من خلافات وفتن أصاعت هيبة البلاد ، وقضت على ثروتها . فكان مقدمه الى مصر طالع سعد وامن أفادت منه مصر الخير والبركات ؛ فبرز سلطانها ، وقويت شوكتها ، وارتفع ذكرها ، وذاع صوته ، وعلا نجمها ، وكثرت أموالها ، وانتظمت أحوالها ، حتى أصبحت قوية البديان ، عظيمة السلطان ، مرهوبة الجانب .

كان محمد علي عبقرى فذاً ، حياته العناية الإلهية لحل رسالة الإصلاح ، وتحقيق الخير للإنسانية .

نشأ - رحمه الله - في « قوله » نشأة إسلامية ، فاعتمد على نفسه ، وجاهد الحياة وجاهدته في جلد وصبر ، وميزته صفاته الإنسانية ، وشجاعته النادرة ، وقوة جنانته ، فبرز من بين صفوف لدائه ، واسترعى الأنظار بتقواه ، وشدة مراسه واعتداله ، وانتظم في سلك الجندية ؛ فأله احتمالاً للشدائد ، وجه المغامرة للرق السريع ؛

وتوسم الناس فيه الخير والنجاة، وتقبأوا له بمستقبل زاهر؛ ولكنه - على ما انطوت عليه جوانحه من طموح - ما كان لينطلق الى أفق الملك في مصر كسنة الله في أرضه؛ فذلك أمر خبأته العناية في لوح العيب لتكشف عنه في وقت عينته. ولم تكن مصر تعرف محمد علي، ولا دار بجملتها - وهي تقاسى مرارة الاستبداد، وذل الاضطهاد - أن الله قد أراد بها خيراً؛ فربط مصيرها بمصير ذلك البطل الذي اختصته عناية الله بالحميد والسؤدد، وجعل خلاصها وعزها على يديه.

ولم تطل بمصر فترة الانتظار؛ فقد كشفت الأقدار عن سرها، وأبى الله إلا أن يجمع قتي - قوله، الطموح بمصر المتعطشة إلى الحرية ليحقق مشيئته، ويتم نعمته على مصر ومحمد علي.

وفي الحق كانت مصر الموطن الصالح لنماء آماله، والمنبت الطيب لترعرع أمانيه، واختار الله لمقدمه فرصة خليقة بالبطولة في ميدان خليق بالأبطال.

ذلك أن جيشاً فرنسياً يقوده الجنرال بوناپرت، نزل بأرض مصر في صيف سنة ١٧٩٨، وصحمت الدولة العثمانية - التي كانت تخضع مصر لسيادتها - على إجلاء الفرنسيين عن أرضها، فاستغرت قواتها من جميع البلاد لرد هذا العدوان؛ فكان أن ساق الله محمد علي إلى مصر ضمن الحملة الألبانية التي لبث داهي السلطان لإخراج المعتدين منها.

في وسط هذا الجو المضطرب المكفر، وصل - طيب الله ثراه - إلى مصر، التي شامت إرادة الله أن تعز به وعز بها، فوجدها نهياً للعزازات والمطامع الشخصية، تنقسمها الأغراض، ويكيد فيها الممالك للشعب، وتتطاحن فيها قوى مختلفة النزعات للفوز بالسيطرة والسلطان؛ فعز عليه أن يرى هذا البلد الطيب الأمين تفرق وحدته، وتضيع صولته، وينهار بنيانه، في إحسن لا جدوى من وراثتها إلا التحكين للمستعمرين؛ فعمل بثاقب فكره، وناقد بصيرته، على أن يخلص البلاد من هذا الذل والعار، ويوجهها وجهة صالحة تنفعها وتفعه.

وما كادت مصر تخلص من الفرنسيين حتى شمر عن ساعد الجد، وقرر أن يضرب على يد الفتنة بالقضاء على الأحزاب المتنافرة ليعيد للبلاد طمأنينتها ولشعب حريته، ورأى أن يلتزم الجادة في سياسته، وأن تقوم معاملته للشعب على أساس العدل والإنصاف، وأن يدفع الحوادث من بعيد، ويرقب النتائج في حذر ونأهب؛

ويمكن الله له في مصر ، فأجبه الشعب لما رأى فيه من عدل ونصافة ، ودفاع عن حقوقه ؛ وزادته الحوادث المتتابعة قربا من الشعب ، كما زادت إيمان الشعب به وبقدرته على حل ما يستعصى من الأمور .

وكان علماء الأزهر هم أهل الرأي والمشورة في البلاد ؛ إليهم يرجع الشعب كلها حربه أمر ، أو وقعت به مظلة . وكان العلماء عند حسن الظن بهم ، يتولون عن الشعب إبلاغ مظالمهم للوالي ، ويتوسطون لديه في رفع ما يروونه من حيف وقع بالبلاد . عرف محمد علي منزلة العلماء من الشعب ، فمعد معهم أو اصر الصداقة والمودة ؛ وكان يرجع إليهم في كل الأمور ليستشيرهم ويشير عليهم ، حتى هظمت مكائنه في نفوسهم ، ورأوا فيه مخلصهم مما هم فيه ، فمقدوا إليه على أن يولوه على مصر ليخلصهم من هذه المحن والشدائد التي ما فتئت تنصب على البلاد ، وفاتحوه في الأمر ، فكان ينصح لهم بالصبر ، ويستملهم عسى الله أن يأتي بالفرج ؛ ولكن الأمور كانت تنتقل من خطر إلى خطر .

وما كاد يذاع أن ولاية «جدة» قد عقدت لمحمد علي ، وأنه على أهبة الرحيل من مصر ، حتى نفذ صبر البلاد ، وتجمع الناس معلنين بخطهم على الوالي ومطالبين بعزله وتولية محمد علي بدله ، واجتمع العلماء وعلى رأسهم شيخ الأزهر الشيخ الشرفاوى والسيد عمر مكرم وأعلنوا عزل الوالي ، وتوجهوا بجمعهم إلى قصر محمد علي ، ورايعوه بالولاية ، لما توسموا فيه من العدالة والخير . فامتنع أولا ثم رضى . فأحصروا له كركا وعليه قفطان ، وقام إليه شيخ الإسلام ، الشيخ الشرفاوى ، والسيد عمر مكرم ، وألبسوا إياه ، ونادوا به في المدينة والياً عليهم ، ولم يلبث الباب العالي أن نزل عند مشيئة علماء مصر وشعبها ، فوجه ولاية مصر إليه .

وهكذا أراد الله الخير لمصر على يد الأزهر وعلمائه ؛ فوجه قلوبهم لمحبة هذا المصلح الكبير ، حتى تمت النعمة الكبرى بولايته ، وكان لهم على الزمن غفر المشاركة فيما نالت مصر بفضل هذا العامل العظيم من حضارة وحرمان .

ومن حق الأزهر اليوم في هذه الذكرى المثوية الخالدة أن يكون له شرف التنويه بآثره . فقد عرفه الأزهر عن قرب ، واتصلت حياته بحياة علمائه الاجلاء ، وكان الأزهر وعلمائه عوناً له على تحقيق أهدافه السامية .

لم يكتف علماء الأزهر بما حققوه لبلادهم من خير باختياره والياً عليهم ؛ بل آزره وأيدوه ونصروه ، وظلوا على الولاء له حتى مكن الله له من ملك مصر .  
 وحين كاد له الكاثولون لدى الباب العالي ، وعملوا على عزله ، وقف العلماء الى جانبه ، واستنفروا الشعب لتصرته ، وكتبوا للباب العالي وثيقتهم المشهورة يستمكون فيها بولايته ، ويعددون مآثره - قالوا : « إن محمد علي باشا كافل الإقليم ، وحافظ ثغوره ، ومؤمن سبله ، وقاطع المعتدين ؛ وإن الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدالته ، والشرعية مقامة في أيامه ، ولا يرتضون خلافه ، لما رأوا فيه من عدم الظلم ، والرفق بالضعفاء ، وأهل القرى والأرياف ... » .

وكان أن نزل الباب العالي عند رأيهم ، فجدد ولايته ، لما يتمتع به من رضى الشعب والعلماء .

ونبت العلماء على ولائهم وتعظيمهم له في كل محبة تعرضت لها البلاد ، حتى صفا له الملك ، ودحر خصومه ، وهزم أعداءه .

ولما انتهى له أمر مصر ، وصفا له الجو ، أخذ البلاد بسياسة رشيدة ؛ فأنهج في الحكم مناهج جديدة حقق بها رجاء الناس فيه ، وسان أرواحهم وأعراضهم وأمواهم ، ونهض بالبلاد نهضة ترتفع بها إلى درجات الكمال ، وتبلغها شأواً من الحضارة تنافس به أمم الأرض عزة وبهاها ومنعة .

ولم يأخذ محمد علي نفسه في الإصلاح بهوادة ، بل تعجل الخير وسارع في العمل ، ولم يأل في سبيل تحقيق أهدافه جهداً ولا بذلاً . وكان يؤمن بنفسه وبقوته ، وثاقاً دائماً بأن الله قد جعل النوفيق حليفه في كل أحواله . وما يؤثر عنه قوله : لا تعجبوا إن رأيتموني أحياناً عجولاً ؛ فقد كنت في حياتي كلها موقفاً ميمون النقية . لا بد أنى ولدت والطالع سعيد والنجم مبتم ، ثم لم تفارقني بعد سعادة الطالع وابتسامة النجم . .

آمن بأن البلاد لن تهض النهضة المرجوة لها إلا إذا جمعت بين القوة والخلق والعلم والمال ؛ ولذلك أخذ نفسه بالعمل على إنشاء جيش وطنى قوى مدرب مزود

بكل ما يلزمه من عدة وعناد ، وعلى بناء أسطول بحرى عظيم يحفظ لمصر هيبتها فى البحر ويؤمن تجارتها .

وعمل على أن يكون اعتماد الجيش والأسطول فى تموينهما وعنادهما على ما تقدمه لهما مصانع البلاد ؛ فتوسع فى إنشاء المصانع ، وجلب لها الخبراء ليعلموا أبناء الوطن الصناعات المختلفة ، ويدبروهم على دقة الإنتاج .

والنفت إلى موارد البلاد فعمل على تنميتها ؛ لتواجه مطالب الوطن المتزايدة ، فعنى بالزراعة عناية كبيرة ، وأدخل زراعات مختلفة أهمها القطن ، جلبت للبلاد منتجاتها ثروة لا تقدر .

وعنى بوسائل الري والصرف ، فأنشأ الجسور والترع ، وأمر بإنشاء القناطر ؛ لضبط مياه النيل وتحويل البلاد إلى الزراعة الدائمة .

ورأى أن نجاح هذه المشروعات ونماها لا يتم على أحسن وجه وأكمله إلا إذا قام على تعهدها وتنفيذها أبناء الوطن المتفوقون ؛ فاتجه إلى العناية بالتعليم ، ففتح المدارس فى أنحاء البلاد ، وشجع أبناء الشعب على الالتحاق بها ، وكان يذعنهم - رحمه الله - إلى العلم دفعا ، فارة بالتشجيع الأدبى والمادى ، وقارة بالشدة ، حتى جعل التعليم كالجنيد إجباريا .

وقد وفقه الله فأعد للبلاد صفوة من خير المتعلمين الحاذقين لفنون الطب والهندسة والزراعة .

ولم يقتصر د محمد على ، على التعليم فى مصر ، بل بعث البعث إلى الخارج للتخصص فى الفنون الحربية والهندسية والطب والقانون والآداب ، وكان همه كله إحياء البلاد ، والنهوض بها فى جميع المرافق .

وفى هذا المضمار العلمى كان أبناء الأزهرم النواة الأولى التى اعتمد عليها فى مدارسه الفنية وبعوثه ، وكانوا هم الصفوة التى قادت حركة الأزهار العلمى فى البلاد ؛ فجمعوا بين جلال الدين وعظمة العلم .

وإن الأزهر ليفخر حين يتصفح قوائم بعوث محمد على فيجد أسماء : د رفاعة الطهطاوى ، والدكتورين ، إبراهيم بك النبراوى ، وه أحد بك حسن الرشيدى ، ، والمهندس الشيخ ، أحمد المطار ، ، والطبيب الشيخ د محمد نافع الدشوطى ، ، وغيرهم من الاعلام والبايعين .

وإذا كان محمد علي قد دعت الحاجات الفنية في المصانع والمؤسسات إلى العناية بالتعليم الفني ، وإرسال البعث إلى أوروبا ، فإنه لم يفعل شأن الأزهر ، بل والإله برعايته ، ومدته في رواق حريته ، وحافظ على نظامه التعليمي . إذ كان - رحمه الله - يدرك النفوذ الذي يتمتع به الأزهر في البلاد الإسلامية ، وأنه مهبط الثقافة الدينية للمسلمين الضاربين في أقطار الأرض ، ومصدر النور الذي يولون وجوههم شطره ليهديهم إلى الحق والخير . وكان محمد علي متدينا حريصا على أن تبقى للأزهر زعامته الدينية .

وقد لقي علماء الأزهر من محمد علي كل رعاية وتكريم ؛ فاختار صفوتهم في ديوان المشورة ، وكان يرجع اليهم في كل ما يخص الشعب من شئون ، وكان لعلماء الأزهر اليد البيضاء في إقرار الأحكام الشرعية العملية والاعتقادية وما يجب من العلوم الآلية . وكان منهم حاذقون في كثير من العلوم الأخرى ، من أمثال شيخ الإسلام ، الدهموري ، ، و الشيخ ، حسن العطار ، .

ولم يكتف محمد علي بهذه النهضة تدب في جميع النواحي ، بل فسكر في تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها ، فقام بفتح السودان ليضم شطرى وادى النيل ، وبذل في تعمير مدائنه ، وإقامة المرافق العامة ما لا يزال يذكر له بالخير ؛ وقام بكثير من الفتح الأخرى في سوريا وبلاد العرب ، ولم يكن يتفينا في كل ذلك إلا خدمة مصر وإعلاء كلمة الإسلام .

وكان - على ما ناله من نجاح وتوفيق - دائم الذكر لأنعم الله عليه . وبما يؤثر عنه أنه قال : « إن تبتنا لوطن عديم النظر كهذا هو من العدم الجسيمة ؛ وعدم القيام بالسعى والاجتهاد في عمارته يكون عين الكفران بالنعمة ؛ وهذا ما لا تقبله شيم جبلى ، وتأتى نفسى أن أكون شريكا لكم في ذلك ، .

تلك كانت الروح المسيطرة عليه في كل إصلاحاته : يرى في بناء القنطرة أو إقامة المدرسة أو إنشاء المسجد أعمالا ترتفع الى مرتبة العبادة والاعتراف بأنعم الله جللت قدرته .

قال الشيخ رفاعة رافع ، إن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل التمكن من الذات المحمدية العلوية ، وتسلطت على قلبه ، وأخذت بمجامع له ؛ فكان - طيب الله ثراه - في كل اتجاهااته العمرانية يقصد الصالح العام للمسلمين .

رحم الله محمد علي ! فقد كان علماً من أعلام الإسلام ، وبطلاً من أبطال التاريخ ؛ عرف كيف يخلد اسمه على مر الأيام ، وكيف يسمو بنفسه وببلاده الى الأوج .

تلك بعض مآثر مؤسس الأسرة العلوية ومنشئ مصر . ولعل أعظم مآثره خلودا ذلك العقد الفريد من الأحفاد الذين نشأهم محمد علي فأحسن تنشئتهم ، وأقامهم على رعاية مصر ، فكاوا لها أعظم الرعاية المفضي لسياسته في النهضة والحضارة . وإن نس قلن نسى فضل إبراهيم وإسماعيل ، ولا أبادى المغفور له الملك فؤاد ؛ فقد جدد مصر ونهض بها حتى بلغت الأوج .

وهنا نحن أولاء نتمتع برعاية مولانا الملك المعظم فاروق الأول الذى أحيا سنة أبيه ، وسار على نهجه فى الإنشاء والتعمير والنهوض بالبلاد نهضة مباركة فى كل مراقبها .

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم :

هذه قطرات من بحر فيوض الأسرة العلوية الملكية على الأزهر ورجاله ، وصفحات من تاريخها المشرق ، الفيض بالنعم والآبى البيضاء على مصر ، المغمى بالبطولة والجد والشهامة والأريحية فى إعلاء كلمة الله والنهوض بالوطن إلى الذروة ؛ فهل لى يا مولاي أن أهديها فى هذا اليوم العظيم الخالد الذى تحتفل فيه بذكرى مرور مائة عام على وفاة المغفور له محمد علي باشا الكبير رأس الأسرة العلوية الملكية ، ومؤسس مجد مصر وعظمتها - إلى أبنائى طلاب الأزهر المتفليين فى نعمتك ، المخلصين لسمتك ، ليتزودوا من هذه الذكرى العطرة مدداً يحفزهم ، ويلا قلوبهم الفنية بمحبة هذا البيت الكريم الذى أقام مجددم وأحيا تاريخهم ؟

حفظك الله يا مولاي ، وأدام عرشك لتقر به أعين البلاد .

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

وهذا دعاء للبرية شامل

والسلام عليكم ورحمة الله

## الناموس الأدبي العام

كتبنا في الجزء الماضي تحت هذا العنوان بحثاً أثبتنا فيه أنه يوجد في الكون إلى جانب التواميس الطبيعية المتصرفة في الحوادث الوجودية ، ناموس أدبي عام يجهل الشؤون الأدبية ، وهذا خاص بالنوع الإنساني وحده ، لأنه النوع الوحيد الذي خلق غير مفلطور على لزوم حالة واحدة لا يرحها في معلوماته وعاداته .

وقلنا إن الخروج على هذا الناموس بإساءة السيرة ، وإشاعة الفسوق ، والتهتك ، والإشادة بالردائل ، والجهر بالمنكرات ، يقع مرتكبها تحت طائلة عقوبات مناسبة لها ، وتصاب الأمة التي تشيع فيها هذه الخبائث بنكبات شديدة ، كالآلة التي تحيد عن الموضوع للتواميس الأخرى المادية سواء بسواء .

أول ما نذكره اليوم عن هذا الموضوع أن ننبه إلى أن الناموس الأدبي العام لم ينشأ في الجماعات طرفة ، ولكن رويدا رويدا ، وهذا أقوى دليل على أنه طبيعي استدعاه الفؤ التدريجي للحوافظ الإنسانية على توالي الأجيال ، وبقدر ما وصلت إليه العقلية البشرية من الارتقاء . ولو كان نشأ لجأ لما أمكن سريانه على المجتمعات التي كانت تتألف من آحادهم إلى الحيوانية أقرب منهم إلى الإنسانية .

ومما يدل على أن هذا التطور الأدبي للأفراد والجماعات أمر طبيعي ، دفاع أصحابه عنه بأقصى ما يمكن من حول وحيلة ، على نحو ما يبذلونه للدفاع عن شؤونهم المادية . وهذا من أقوى الأدلة على أن التسامح في الآداب المكتسبة للجمع ضرورة لحياته الاجتماعية ، كما يدل دلالة قاطعة على أنه قد كتب للإنسان أن يبلغ في عالم الآداب النفسية درجة تناسب درجته في الشؤون المادية . فإذا حدث ما يخل بهذا التوازن بين هاتين الدرجتين تعرضت الجماعة التي تقدم على هذا الإخلال لفتن من ضروب شتى تحمل بهم عقاباً على ما فرطوا في جنب آدابهم النفسية . أليس يدل ما تشهده من أحوال العالم المتحضر ، وما يحدث فيه

من صنوف المشاكل الشائكة ، على أن أولئك الأقوام الذين بلغوا مدى بعيدا في الفتوحات العلية ، والمواهب العقلية ، قد ارتكبوا في ناحية من نواحي حوافظهم الأدبية انحرافا يتناسب وما يتعرضون له من الحروب الماسخة ، والفتن الكاسحة . إن هؤلاء الأقوام بعد أن اقتتلوا أربع سنوات متتالية في حرب عامة ، عادوا قبل أن تلتئم جراحهم ، وتندمل قروحهم الى خوض غمرات حرب أخرى أشد من الأولى كان مجالها أكثر بقاع الأرض عرانا ، فأتت على ما لا تستطيع الأمم استعاضته بعد جيل من الزمان يمضي في سلام وارف الظلال . ثم ما كادوا يلقون سلاحهم حتى عادوا للكلام في الحرب والصدام ، ولكن بسلاح لا يبق ولا يذر ، يحتاج المدن والجماعات في مثل لمح البصر ، ألا وهو القنبلة الذرية . أليس هذا من الكوارث التي يسلطها قَيم الوجود على الأمم التي تنصرف عن صراطه ويخرج على قوانينه ؟

فإذا كان الناموس الأدبي العام قد أشعر الإنسان بالعدل والرحمة والمساواة والأخوة والفضيلة ، وفطره على أن يشعر بسموها ، وعلى أن يعتبرها مُثْلا مُعْليا في الحياة الفردية والاجتماعية ، وقد قرر الانسان ذلك في فلسفته وعلومه الاجتماعية ، أفلا يكون من الإجرام المتعدى حدود التمثل أن لا يعمل بها ، وأن يخطط لنفسه خطة تدبرها ، وتعمل على طمس مآلها ، والتعفية على آثارها ؟ هيئات ! فإن ما كان طبيعياً لا يمكن ملاحشته صناعياً ، وما كان ثمرته الفلاقل والفتن والشقاق ، لا يمكن أن يكون ثمرته السلام والهدوء والاستقرار .

فالأم والحالة هذه بين عاقبتين : إما التأخى والتعاقد والتحاب ، وإما التصادم والتناحر والفتناء !

نقول هذا ولنا بياضين من أن الأمم تحت تأثير عامل حفظ الذات واستكمال أسباب البقاء ، ستأدى إلى التهدى لبواهب هذه الشرور المجتاحة ، وتستقيم على الصراط من الحياة الاجتماعية ، ببذ كل ما يصد عن ذلك من رغبات وأهواء وعادات موروثه ، وقد يطول أمد ذلك التطور الخطير ، ولكنه على أية حال صائر لا محالة ، ويومئذ تكون الإنسانية قد وصلت إلى ذروة كمالها ، وغاية عظمته .

ولا يجوز لنا هنا أن نففل عن أن هذه الدرجة النهائية من السكال ، ما كانت لتأتى من أول عهد الإنسان بالحياة ، وهو لا يفترق عن الحيوانات العجم فى كبير شىء ، وأر أمامه عقبات كأداء عليه أن يجتازها واحدة بعد أخرى فى أدوار متتالية ، وتحت تأثير ثقافات من ضروب شتى . ولست أبالغ إذا قلت إن هذا المصور يخفى على الكثرة الساحقة من الناس ، وأن من يعرفه يشك فى إمكان حصوله ، ويرى أن الأرض قد تستنفد موادها الصالحة لبقاء الأحياء قبل حدوثه ؛ وأن الأمم لا تلبث بسبب حروبها المتواصلة أن ترتكس إلى همجية باحثة كما حدث للأمم كثيرة من أمم التاريخ التى ملكت زمام الأرض أجيالا ، ثم آل أمرها إلى الزوال ؛ وأن هذا هو كل حظ الإنسانية من هذه الحياة .

ليكن ما يقولون صحيحا فهذا لا ينقض مهمة الدين ، ولا يعدو على القول بصرويته ، بل يزيد هذه المهمة تأييدا . فإذا كانت الحياة الدنيا أول مراتب الحياة الإنسانية ، وأن الإنسان كلف أن يبدأ أول درجات وجوده فيها ، وأن يعمل بالمثل العليا مدة إقامته بها ؛ فيكون بحاجة ماسة إلى دستور أخلاق يجرى عليه ، وينتهى به إلى الصراط السوى الذى عليه أن يجتاز دون سائر الصرط التى تلوح له فى مدة بقائه فى هذا العالم .

• • •

وبعد فإننا بعد أن وصلنا من بحثنا إلى هذه النقطة ، فلا يحسن بنا أن نهمل الإشارة إلى تلك الكارثة العقلية التى حلت بالعالم المتمدن منذ نحو مائة سنة ، ولا يزال لها السلطان القاهر على القلوب ، ألا وهى سيادة المذهب التشؤمى Le Pessimisme . ومؤداه أن الحياة الإنسانية رديئة رداءة لا تميل إلى إصلاح ، فكل الأعمال التى توجه لإصلاحها لا تكون نتيجة إلا زيادة رداءتها . فيكون الواجب الحقيقى لكل عاقل أن يعمل على إبادة الإنسانية . وقد ساعد على انتشار هذا المذهب ما يصاب به الناس من الأعراض والأمراض وأحوال الشجوخة ، وموت الأهل والإخوان ، وسيادة العاقبة واليأس على أكثر الأحياء .

انتشر هذا المذهب لدى أكثر العلماء الأوروبيين ، وكان يعم الناس هنالك ، وتخطاهم إلى بلاد الشرق ونشرته كتبه ومجلاته ، فذاع فيه ذبوعه فى الغرب ، فأصبح مثارا لجميع ضروب الشذوذ الخلقى ، والانحراف الأدبى فى جميع بلدان

العالم، وهو أصعب ما منيت به الديانة والآداب من الصوارف عهما، وازهدات فيهما، ثقة من أهله بأنه مادام الموت نهاية كل حي، فلا موجب لأن يتكلف الإنسان آداباً لا تتفق وأدواءه، وقيوداً لا تناسب وميوله، لا سيما وقد عم هذا الشذوذ الخافقين، وأصبح المراعون لهذه الآداب قلة لا يعتد بها.

وقد تأدى بنا هذا التحليل كما ترى، إلى أن علة هذا الانحطاط الأدبي الذي يعم الناس أجمعين هو بأسهم من البقاء بعد الموت. فهم يقولون ما دام مصير الإنسان الفناء والتلاشي، فن الآفن<sup>(١)</sup> أن يضيق المرء على نفسه فيضن عليها بمشتمياتها لغير حكمة.

هذا هو السبب لكفر الإنسان بالآديان، ولاستغاثه ارتكاب جميع المنكرات، واعتبارها من الملهذات. ولو بقي الناس على ما هم عليه دون أن تأتيم من الله آية جيلاً آخر، فإن ضروب الفسوق والعصيان الموجودة الآن ستطور إلى أخش ما يتصوره العقل من الإباحة الحيوانية، وعند ذاك تنفثاً إلى جانب هذه الآدماس الشهوانية، ميول حيوانية أخرى تجعل من الإنسان وحشاً ضارياً لا يفكر في غير موى نفسه، وتضمهر وتتلاشى جميع نزعاته العلوية، فيحاول أن يتصل بالأرض؛ فتتم له لأنه ليس منها؛ فيعمل على أن يستعيض عنها بعالم متوسط بين السماء والأرض فلا يجد بعد شدة الإحفاء في طلبه.

فإذا بقي على ما هو عليه، وسبق عليه ما دام لم يجد ما يصد عنه من مثل أعلى يرتكن إليه، فسيتسنى أمره بالتلاشي لا محالة بالعلل التي أصابته بها ميوله المادية، وهو ما هو فيه اليوم من الحروب المجتاحة التي يشنها على مزاحيه في الخارج، والخلافات المذهبية التي تأتي على استقراره في الداخل. فان لم يتداركه مبدعه رحمة منه بآية تعيده إلى رشده، وتقفه عند حده، قصيره كما تنبأ به هو نفسه الفناء ولا كرامة! ولكن الذين أوتوا العلم يقولون إنه سيخرج ممازج نفسه فيه إلى حياة إنسانية طيبة، وسلام دائم، وقد بدت تبشير هذه الرحمة الإلهية كما سنبينه في العدد القادم، إن شاء الله؟

محمد فرير وجرى

(١) الأمن بفتح القاء: ضعف الرأي.

## السنة التشريعية:

# خضاب الشيب

لفضيلة الاستاذ الجليل للشيخ فكري ياسين

أخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس قال : مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجل قد خَضِبَ بالحناء ، فقال : « ما أحسن هذا » ، فمرّ آخر قد خَضِبَ بالحناء والكتم ، فقال : « هذا أحسن من هذا » . فمرّ آخر وقد خَضِبَ بالصفرة ، فقال : « هذا أحسن من هذا كله » !

\*\*\*

شغل الناس بأمر الشيب من قديم الزمان ، وأكثروا من القول فيه ، والحديث عنه ، فكثبوا فيه الفصول ، ونظموا القصائد ، ووصفوا المصنعات ، وتناولوه بالدراسة والتحليل من جميع الجوانب والتواحي .

والناس في أمر المشيب صنفان : صنف يبغضه ، وينفر منه ، ويعتبره داهية فاجمة ، ونسكة نازلة ، وطالع شؤم ، ونذير فناء ، ويعده قذى في العين ، وأذى في المظهر ، فيحاول جاهدا أن يخفيه عن الناس ، ويستره عن العيون ، ويغيره بشتى أنواع الاصباغ والادھان ، حتى يبدو لمن لا يعرف الحقيقة بشعره الملون المخضوب شابا فتيا ، وجلدا قويا ، وحتى يصم إلى هذا في زعمه حسن الصورة ، وبهاء الطلعة .

وصنف يرحب بالشعر الأبيض ، ويتمناه ، بل وقد يعمل على استعجاله ومبادرته إليه طلبا للأغراض الدنيوية المختلفة ، فقد رأينا بعض الناس يخضبون لحام بالصفرة ، ويبيضونها بالكبريت وغيره تشبها بالصالحين ، وإظهارا

للزهادة ، واستعجالا للشيخوخة ، لأجل الرياسة والتعظيم ، وإيهام الناس أنهم من كبار الشيوخ .

وقد ورد في الشيب أحاديث كثيرة تفيد مدحه وفضله ، فروى أحمد وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة ، ورفع بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة » . وروى غيرهما أنه قال : « من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة » . وذلك لأن الشيب يقارنه في العالب حالة من التمثل والازن ، والشعور بالمسؤولية ، وحسن التقدير للمواقب ، فتكون هذه الحالة سببا في أن يعمل صاحبه على فعل ما ينفعه ، وترك ما يضره : من الابتعاد عن المعاصي ، والإقبال على الطاعات ، والتقرب إلى الله ، والإخلاص في مرضاته ، فيجزيه الله على ذلك بزيادة حسناته ، ورفع درجاته ، ومحو خطيئاته ، وجعل أعماله الصالحة هداية له ، ونورا في الدار الآخرة

والحديث الذي معنا يدل على استعمال الخضاب بالحناء وحده ، وعلى أن انصيام الكتم إليه أحسن من انفراده ، وعلى أن الاختضاب بالصفرة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحسن في عينه من الحناء منفردا ، ومنه مع الكتم .

\*\*\*

خَضَبٌ : من خَضَبَه يحضبه : لونه بالحناء ونحوه ، يقال : كف خضيب ، وبنان محضوب وخضيب ومخضب ، والخضاب : ما يخطب به .

والكتم : نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر ، وهو النبت المعروف بالوسمة . وفي كتب الطب أنه نبت من نبات الجبال ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقا ، وهو يخرج الصبغ أسودا مثالا إلى الحمرة ، والحناء يخرج الصبغ أحمر ، فالصبغ بهما معا ، يجعل اللون بين السواد والحمرة .

والصفرة : هي أثر ما يصبغ به مما يتولد عنه اللون الأصفر مثل الورس والزعفران . روى أن ابن عمر كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تملأ ثيابه ، فقيل

له في ذلك ، فقال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، ولم يكن شيء أحب إليه منها ، كان يصبغ بها ثيابه حتى عمامته .

\*\*\*

السلام في موضوع خضاب الشيب ، وتغيير لونه يقع في مقامين : المقام الأول في مشروعية الخضاب ، والمقام الثاني فيما يختص به .

فأما الخضاب ، فقد رُويت بشأنه أحاديث تفيد مشروعيته ، كالحديث الذي معنا ، فإنه صلى الله عليه وسلم لا يستحسن إلا ما كان مشروعاً ، وكقوله : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون بخالفوم » ، وكرواية أحد : أن أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بحمته ، ووضع بين يديه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : لو أقررت الشيخ في بيته لآتياء - تكرمه لأبي بكر - فأسلم ولحيته ورأسه كالنقمة (١) بياضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروهما ، وجشوه السواد : فذهبوا به ، فغمره . وكرواية أم سلمة أنها أخرجت من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مخضوب بالحناء والسكتم . وكرواية ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصفر لحيته بالورد والزعفران .

ومن اختضب من الصحابة والتابعين وغيرهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبو هريرة والمغيرة وابن عمر والحسن والحسين ، وجابر الجعفي ، وعطاء ، وأبو وائل ، وطاوس ، وسعيد بن المسيب . ورأى أحمد بن حنبل رجلاً قد خضب لحيته فقال : إني لأرى رجلاً يحيي ميتاً من السنة ، وفروح به .

ولكن إلى جانب هذا رويت أحاديث وآثار تفيد كراهة الاختضاب ، والنهي عن تغيير الشيب ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « من شاب شيبة فهي له نور إلى أن ينفثها أو يخضبها » ، وحديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره خضالا ، وذكر منها تغيير الشيب ، وحديث أنس قال : « ما خضب

(١) نقمة بَاء مثناة مفتوحة ، تم غين معجمة مخففة : نبت أبيض الازهر والقر ، يقبه به بياض الشيب ، وقيل هو شعر مريض كآء قلع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لم يبلغ منه الشيب إلا قليلا ، ولو شئت أن أعد شملات<sup>(١)</sup> كن في رأسه لفعلت .

ونقل عن جماعة من السلف أنهم لم يختضبوا ، مثل أنس ، وأبي بن كعب ، وسلمة بن الأكوع ، وغيرهم .

ومن مجموع هذا نرى أننا أمام آثار متضادة في الظاهر ، ولا دليل لمن ادعى النسخ فيها ، فتعتين الجمع بينها ، وقد جمعوا بأن ذلك قد اختلف عدم بحسب اختلاف الظروف والأحوال ، فمن صبغ منهم كان اللاتق به الصبغ لاستبشاع شيبه ؛ ومن ترك كان اللاتق به الترك لعدم الاستبشاع ؛ فمن كان في مثل حال أبي قحافة استحب له الخضاب ، لأنه لا يحصل به الغرور لأحد ، ومن كان بخلافه لا يستحب له . قال الطبري : الصواب أن الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير الشيب ، وباللهي عنه ، كلها صحيحة ، وليس فيها تناقض ، بل الأمر بالتغيير لمن شبه كشيب أبي قحافة ، والنهي لمن له شبط فقط ، واختلاف السلف في فعل الأمرين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك ، مع أن الأمر واللهي في ذلك ليس لأوجب بالإجماع ، ولهذا لم ينكر بمضهم على بعض خلافه في ذلك .

وأما ما يختضب به ، فالجمهور على مشروعية الخضاب بالحرمة والصفرة ، أما السواد ، فمن العلماء من رخص فيه في الجهاد فقط ، ومنهم من مال إلى أن الأولى كراهته كراهة تنزيه ، ومنهم من جع إلى أنها للتحريم ، ومنهم من فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ، فأجازه لها دون الرجل .

وقد رخص فيه مطلقاً ، واختضب به جمهور من السلف ، منهم عثمان بن عفان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن عامر ، والحسن والحسين ، وجابر وعروة ابن الزبير ، وابن سيرين ، وغيرهم . وعن عمر بن الخطاب أنه كان يأمر بالخضاب

(١) الشمطات : الشعرات التي تظهر من اليأس ، والشمط : يأس شعر الرأس بخالطه سواده ، وقيل : هو في الرجل شيب اللحية .

بالسواد ، ويقول : هو تسكين للزوجة وأهيب العدو . وكان عنبسة بن سعيد يقول : إنما شعرك بمنزلة ثوبك ، فاصبغه بأى لون شئت ، وأحببه إلينا أحلكه . وقد اختار هذا رأى جماعة من أهل العلم ، وأجابوا عن حديث ابن عباس القائل : « يكون قوم يخضبون بالسواد ، لا يحدون ریح الجنة » - بأنه لا دلالة فيه على كراهية الخضاب بالسواد ، بل فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم ؛ وعن حديث جابر القائل في شأن أبى قحافة : « وجنبوه السواد » - بأن ذلك في حق من صار شيب رأسه مستبشعاً ، وهذا لا يطرد في حق كل أحد ؛ وعن حديث أبى الدرداء القائل : « من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة » - بأن منعه لين .

وذكر ابن الكلبي أن أول من احتضب بالسواد من العرب عبد المطلب ابن هاشم ، وقال البدر العيني في كتابه « عمدة القارى » : وأما أول من صبغ لحيته بالسواد - يعنى من الناس مطلقاً - ففرعون موسى . وهذا كله في بيان حكم تغيير لون الشعر في الرأس واللحية بالخضاب ، فأما خضاب اليدين أو الرجلين ، أو الأظافر ، بالحناء ، أو بمادة أخرى ، كما يفعل بعض الشبان والعامة ، فإن هذا لا يشرع للرجال إلا في حالة التطيب والتداوى .

## الاستئذان

استأذن رجل من بنى عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيته ، فقال : أيج ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج إلى هذا فعليه الاستئذان وقل له : يقول : السلام عليكم أأدخل ؟ وقال جابر بن عبد الله : استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ قلت : أنا ، قال : أنا أنا !! وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ، فإن أذن لك وإلا فارجع . وقال على بن أبى طالب : الأولى إذن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عزيمة ؛ إما أن يأذنوا وإما أن يردوا .

## بين الشريعة والقانون :

# نظرات في توثيق المعاملة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبيكي  
المفتش بالأزهر

مر بنا أن الجمهور يحملون على التدب ما ورد في آية الدين من الأمر بالتوثيق ، وكل ما ارتكزوا عليه أن قوله تعالى ، فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته ، إما ناسخ للوجوب المستفاد من صدر الآية ، وإما لبيان أن الأمر للتدب قصداً أولاً .

وقد ناقشت رأيهم في تفصيل مسهب ، ووعدت بإجمال ما سلف في حديث اليوم ، وقد بان للقارىء من سالف الحديث أن قوله تعالى ، فإن أمن بعضكم الخ ، ليس واضحاً في نسخ الوجوب ولا في توجيه الأمر بالكتابة الى السدب ، ولا مقروناً بشئ يؤدي الى ما ذكر ، وأن احتماله لشيء من هذين لا يعدو أن يكون احتمالاً مرجوحاً ، وإذا كان كذلك فالظاهر الأقوى أن يحمل على وجه من وجوه أخرى - أحدها : إذا لم يمكن التوثيق وتحكمت الضرورة فلا مانع من التمويل على الأمانة ، وهذا ما أخذ به ابن جرير والضحاك . الوجه الثاني : أن يحمل الكلام منوطاً بالرهن وحده لشدة الحاجة فيه إلى رعاية الأمانة من جانب الدائن والمدين كما تخيرت أولاً ، أو يحمل الكلام منوطاً بالكتابة والرهن مما كما سوغت ثانياً ، أو بهما وبسواهما من كل تعاقد ونوثيق كما توسعت ثالثاً .

وعلى أى احتمال مما قدرته يكون الوجوب المستفاد من الأمر بالكتابة أو ما يقوم مقامها في التوثيق واضحاً مسلماً ، لا مانع منه ، ولا إشكال فيه ،

ولا وجه للعدول عنه، وذلك أوفق لمقاصد الشريعة، وأليق بنظم الكتاب وسياقه، وأبعد عن التكلف في فهم الخطاب بالامر، وحمله على غير محله الأصلي عند جهرة الأصوليين من غير مقتضى لذلك. فإن جئنا إلى قول أبي سعيد الخدري بالنسخ واجتهادهم بإنكار ابن عباس للنسخ وتأكيده أن الآية محكمة، وعلى هذا عطاء وجابر والحكمي والشعبي، وابن جرير من كبار المفسرين، والأصل عدم النسخ، والنسخ القرآني يألف مع ذلك أكثر مما يألف مع ما ذهب إليه الآخرون.

وإزاء هذه التوجيهات لا ينفع القائلين بالدب على كثرتهم أن يتعللوا بأن الصحابة والتابعين لم يلزموا الاستيثاق، فعاذقه أن يرى الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوثق المتعاملين من نفسه بالكتابة، والرمي، ويوثق غيره بضمانه؛ ثم يعدلوا عن ذلك في معاملاتهم بعد، ولو كان للتعامل أيامهم ما لها اليوم من السعة وخطورة الشأن لتصافت إلينا وقائهم المثبتة للتوثيق كما عليهم أمامهم القدوة صلى الله عليه وسلم، وكأنت عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وهل كانوا يميزون إهمال التوثيق فيما لو جرى بينهم ما يجري بيننا الآن من ضيعات وعقارات تباع متاجزة أو نساء، ومن صفقات ضخمة من البضائع تتجاز بحرًا إلى بحر، وتمر من قطر إلى قطر، أو من محاصيل زراعية يستولى عليها التاجر ليلة ثم لا يبقى إلا بعد تصرّفها وقبض ثمنها، ومن قروض باعظة تسديها حكومة أو هيئة إلى مثلها؟

أليس إهمال التوثيق في هاتيك الحالات إذا لم نقل بوجوبه إلا مشامة لا تطلق ومجئبة لشر مستطير؟

إن القول بالدب مع بعده عن ظاهر الآية لم يعد عن التبصر في شئون الحياة الجارية بين الناس، ولقد ذهب الحنابلة مع الذاهبين إلى القول بالدب على إطلاقه، ومع أن الحنابلة غالبًا يعتمدون على النصوص، وأن مذهبهم أقرب المذاهب المشهورة إلى ظاهر الحديث، لم نجد لهم نصًا من كتاب ولا سنة يعتمدون عليه في الانصراف عن ظاهر الآية والسنة المثبتة لوجوب الاستيثاق، وأكثر من ذلك أن ما ذكره ابن قدامة من تعليل للدب أوفق لتعليل

الوجوب وأكثر ملاءمة له إذ يقول (ص ٣١١ ج ٤ معنى) ولأنه — أى التوثيق — أقطع للزاع وأبعد من التجاحد فكان أولى له وكذلك يقول الجصاص (ص ٤٨٢ ج ١) لأنه أى الأمر إرشاد وتنب إلى ما فيه الحظ والمصلحة والاحتياط للدين والدنيا له .

وعجيب أن يكون التوثيق عند ابن قدامة أدعى إلى قطع الزاع ومنع التجاحد وأن يكون الأمر عند الجصاص ومن إليه للإرشاد إلى ما فيه الحظ والمصلحة والاحتياط للدين والدنيا ، ثم مع ذلك كله يعتبر التوثيق مندوبا فقط عند شيخنا هؤلاء .

فإذا كان تعليلهم بهذه القوة ثم لم يقتض الوجب فتن يقتضيه ؟ ؟

وإن ألفاظهم التى حكيناها عنهم لتؤلف قياسا منطقيا ينتج ما نقول نحن لا ما يقولون ، إذ يقال التوثيق وسيلة إلى ترك المحذور من الزاع والتجاحد ، وما كان وسيلة إلى ترك المحذور وجب الأخذ به ، فالتوثيق يجب الأخذ به ، أو يقال فى التوثيق حظ ومصلحة واحتياط للدين والدنيا ، وما كان كذلك يوجب العقل والدين ، فالتوثيق يوجب العقل والدين .

ولو افترض مفترض بعد ذلك كله أن اجتهاد السلف أتاح لهم عدم التزام التوثيق ، أو تخيل أن النصوص غير قاضية بوجوب التوثيق صراحة لوجب أن يقتضيه القياس استحسانا عند أولى العلم فى عصرنا هذا ، لأن ذم الناس اليوم على غير ما كانت من قبل ، ولأن شئون التعامل قد أخذت وصفا فى الحياة الاجتماعية لا يسمح بالارتكاح إلى حسن الظن بالناس وإغفال التوثيق .

ذلك هو التطبيق الحق للنظم الإسلامية التى شرعت لمسيرة الحياة فى أزمائها وأطوارها .

ومن قبيل التأكيد لما قررت ، أسوق بعض كلمات لمن سلف ولمن خلف :  
فن كلام ابن جرير الطبرى فى رده على القول بنسخ الوجوب للكتابة : لو وجب أن يكون قوله « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة » الخ ناسخا لقوله « إذا تدابتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » لوجب أن يكون قوله

« وإن كنتم مرضى أو على سفر - إلى أن قال - فلم تجدوا ماء فتيمموا صحيدا طيبا ، فامسحوا بآثار الماء في الخضر والسفر . »

يرى ابن جرير أن الكتابة هي الواجب ابتداء ، وأن الرمن بدل عنها عند الضرورة ، فليس لقائل أن يرى أن تشريع الرمن ناسخ لوجوب الكتابة ، وإلا لوجب أن يكون التيمم وهو مرخص به حين الضرورة ناسخا للوضوء في الخضر والسفر ، ولم يقل قائل بذلك ، فكذلك ماتحن فيه من شأن الكتابة .

ومن كلام المرحوم الشيخ محمد عبده في رده على قولهم إن إيجاب الاستيثاق حرج والخرج مدفوع ، إن هذا الضيق والخرج في بادية الرأي هو عين السهولة والسعة واليسر في حقيقة الأمر ، فإن التعامل الذي لا يكتب ولا يستشهد عليه يترتب عليه مفسدات كثيرة ، منها ما يكون عن عمد إذا كان أحد المتدابين ضعيف الأمانة فيدعي بعد طول الأمد خلاف الواقع ومنها ما يكون عن خطأ ونسيان ، فإذا ارتاب المتعاملان واختلفا ولا شيء يرجع إليه في إزالة الريبة ورفع الخلاف من كتابة أو شهود أساء كل منهما الظن بالآخر ، ولم يسهل عليه الرجوع عن اعتقاده إلى قول خصمه فبلغ في خصامه وعدائه ، وكان وراء ذلك من ضرور المنازعات ما يرهقهما عسرا ويرميهما بأشد الحرج ، وربما ارتكبا في ذلك محارم كثيرة ، فهاكل ما يتكرر يكون حرجا ، »

يريد الأستاذ الشيخ عبده أنه لا حرج في كتابة الدين كما لا حرج في تكرار الوضوء على نحو ما مثل . . ثم قال :

« هبوا أن هذه الأوامر المؤكدة للدب فهل ينبغي أن يترك المسلمون جملة ما نذب إليه كتاب الله بحجة أن فيه حرجا أو بغير ذلك من الخلل حتى صار من نراه من المسلمين يعنى بكتابة ديونه ؟ فإما يفعل ذلك لضيقه بدينه لا عملا بهداية دينه . ألا إن الحرج في هذا كالحرج في تحريم جميع أنواع الشرك والمعاصي ، فكما لا يجوز أن تكون مشركا بنوع ما من أنواع الشرك لا يجوز أن تفرط في شيء من الحق ؛ والحق الذي لا مراة فيه أنه لا شيء من الحرج في الكتابة ، فإن البلد يكفيه كاتب واحد للديون المؤجلة ، وقد رخص الله لنا في ترك كتابة التجارة

الحاضرة .. ثم قال : : والحاصل أن ظاهر الآية وأسلوبها وطريقة تأديتها تدل على أن الأمر فيها للوجوب وإن كان الجمهور على خلافه ، ا هـ .

وقد علق الشيخ رشيد رضا رحمه الله على الحرج المذكور في هذا المقام بكلام طيب مسبوق الى بعضه من شيوخنا القدامى ، فقال : : ليس المراد بالحرج والعسر المتممين بالنص - يشير الى قوله تعالى : وما جعل عليكم في الدين من حرج ، وقوله : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - أنه لا مشقة ولا كلفة في شيء من التكاليف الشرعية ؛ بل المراد أنه لا شيء منها للأعناق ونجشم المشاق والإيقاع في العسر والحرج ؛ وإنما لكل حكم منها فائدة أو فوائد ترفع الحرج والعسر ويصلح بها أمر الناس في أنفسهم وفي شئونهم الاجتماعية ، فهي كسائر الأعمال التي عرف الناس فوائدها بالضرورة أو الاختيار والاستدلال ، فهم يعملونها وإن كان فيها مشقة ما ، طلبا لفوائدها التي هي أرجح وأجدر بالإيثار ، ثم إن وراء هذه المصلحة الخاصة في كتابة الدين مصلحة عامة وهي جعل المسلمين أمة كتاب ونظام ، والإسلام بدأ بالعرب وهي أمة أمية ، وقد آمن الله عليها بالرسول الذي عليها الكتاب والحكمة ، ففرض كتابة الدين عليهم هو من وسائل إخراجهم من الأمية ، ا هـ .

وعلى وجه الإجمال فذلك كلام سديد يعزز قولي بوجوب التوثيق على ما تقدم إيضاحه .

وهذه مرحلة من البحث في حكم التوثيق على ما أسلفت ، وخلق بنا أن نعرض بعدها لبيان القدر الذي يتعلق به ذلك الحكم ، وموعدها بذلك العدد القادم إن شاء الله .

## الضحك

مر الحسن البصري بقوم يضحكون في شهر رمضان ، فقال : يا قوم إن الله جعل رمضان مصبارة لخلقهم يتسابقون فيه الى رحمة ، فسق أقوام ففازوا ، وتغلف أقوام غشابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون ، وغاب فيه المتخلفون . أما واقه لو كشف الغطاء لشغل محسنا إحسانه ، ومسيئا إساءه .

# قرآنية البسملة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب حسن النجار  
المدرس بكلية أصول الدين

اختلاف الأئمة في شأن البسملة أوائل السور أمي قرآن أو ليست قرآنا مع إجماعهم على أن ما تواترت قرآنيته فهو قرآن ، وما لم تتواتر قرآنيته فليس بقرآن — يعتبر بحق من مشكلات المسائل ومعضلاتها .

حقا إنه ليتبادر إلى الذهن ، ويتسارع إلى الفهم أن مثل هذا الإجماع يسد الثلمة ويحصر الفتق ، ولا يجعل منفذاً لخلاف يفض منه ، ولا باباً يفتح منه ، لأن البسملة أوائل السور إن كانت قد تواترت قرآنيته فهي قرآن قطعا ، ولا يستغني أحد لفه أن يخالف ذلك ، وينازع فيه ؛ لأن مخالفة ذلك مروق من الدين وضلال مبين ، وإب لم تكن قد تواترت قرآنيته فليست بقرآن قطعا ، ومن يخالف ذلك يكون مبتدعا ما ليس من الدين وخارجا عليه .

وإذن لا عمل لأن يكون ذلك موضوع اجتهاد واستنباط ، وأن يكون للرأي فيه مجال حتى يكون هناك جدل وخلاف في أمر البسملة . ولكننا نجد الخلاف قائما على قدم وساق بين من يعتد بخلافهم من الأئمة الذين كرسوا حياتهم على البحث والتقيب ، والسعي الحثيث وراء تمحيص المسائل وتفتيحها من أدران الشبه وحواجز الاشواك ، وقد ضربوا أكباد الإبل حتى أنهكوها وأنهكوا ، ومشوا في مناكب الأرض طولا وعرضا ، وجابوا السهل منها والحزن ، والآمن منها والوعر ابتغاء النور على درة من درر العلم ودخيرة من ذخائرها بين كسوز العلماء في الآفاق ؛ فيلتفطونها تشييدا لصروح المسائل ، وإقامة لها على أمتن الدعام وأقوى الأركان ، وإزالة لما عسى أن يكون من شبه وغواش تسد عليهم المسالك ، وتعلق أمامهم باب البحث السليم ، والهداية إلى أقوم طريق ، غير مباليين في كل ذلك

بما يلحقهم من إعانات وإرهاق ، وركوبهم المخاوف والمخاطر؛ بل يجدون مساعدتهم في الحصول على ضالتهم المنشودة ، وغايتهم المرجوة ، وأملهم الباسم من النهوض بآمتهم إلى النعاليـم الرشيدة؛ ليعتطفوا منها ما يمكن لهم في الأرض ويبسط نفوذهم، ويجعلهم في منعة وأمن من تلاعب الأهواء . . .

اختلف مؤلف الأئمة الاعلام في شأن البسمة أوائل السور : فمن قائل إنها آية فذة أنزلت للفصل بين السور والتبرك بها ، ومن قائل إنها آية من سورة الفاتحة وغيرها للفصل ، ومن قائل إنها آية من كل سورة صدرت بها فتكون في القرآن الكريم ثلاث عشرة آية ومائة ، ومن قائل إنها في غير سورة النمل ليست قرآنا فلا تكون آية ولا بعض آية من السور التي صدرت بها .

ومن الخير أن نضيـق دائرة البحث وجعله واقفا عند الرأيـن المتقابلين : إثبات القرآنية ونفيها ؛ لأن ذلك هو الجدير بالبحث والمعالجة في هـ دوء وتريث وعدم التحامل ، كي يتيسر السبيل ويتكشف الغامض ، وتزول غشاوات الشبهات التي تكتف هذا الموضوع وتحيط بجبهاته .

نرى القائلين بالقرآنية والنافين لها متفقين على أن معيار القرآنية التواتر ، وأنه لا بد منه في ثبوت ما هو من القرآن ؛ وما قل أحادا ولم يتواتر يقطع بعدم قرآنيته ، وأن قرآنيها تواترت بعض آية في سورة النمل . .

ونراهم مخلفين في تحديد معنى شرطية التواتر : فالإمام مالك والأوزاعي وغيرهما يرون أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن في أصله ومحلّه وضما وترتبا ؛ لأن القرآن الذي هو أصل الدين وهداية العالمين ، والمرشد إلى سواء السبيل ، والمعجز بأفصر سورة منه ، مما توافر الدواعي على نقله متواترا في جملة وتفصيله .

والشافعية وكثير من الأصوليين يرون التواتر فيه بحسب الأصل في إثبات القرآنية ، وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه ، بل يكفي في ذلك نقل الأحاد . ومن ما اختلفت وجهة نظر العلماء في شأن البسمة .

فمن اشترطوا تواتر القرآنية في المحل قالوا : إن البسمة في أوائل السور ليست قرآنا ؛ لأنها لم تتواتر في أوائل السور إلا كتابة في المصحف وقراءة على الألسن

في تلك المحال ، ولم يتواتر فيها أنها قرآن . والذين لم يشترطوا التواتر في المحل قالوا : إن البسمة وأوائل السور قرآن لأنها تواترت بحسب الأصل ، وتواترت نقلها كتابة في المصحف وقراءة على الألسن في تلك المحال وذلك كاف .

وبهذا ظهر أن الخلاف في شأن البسمة مبنى على الخلاف في تحديد معنى شرطية التواتر ؛ فلم يكن ذلك مناباً لإجماعهم على أن ما تواترت قرآنيته فهو قرآن ، وما لم تتواتر قرآنيته فليس بقرآن ، ولذلك لم يرم واحد منهم الآخر بما يشينه أو يحط من مزيته وقدرها ، وكان باب الخلاف مفتوحاً على مصراعيه ، وكان للاجتهاد مجال فسيح لما يترتب على ذلك من أحكام شرعية اجتهادية ؛ كوجوب قراءتها في الصلاة أو عدم الوجوب ، وكعدم جواز قراءتها للجنب أو جوازها ، وكعدم جواز مسها للحدث أو جوازها .

وإذا ما انتبهنا من هذه المشكلة فإيه تواجهنا مشكلة أخرى وهي تعارض الأحاديث الكثيرة في هذا الشأن ، وكانت مأخذاً لكل فريق وسنداً له على دعواه . فهؤلاء الأئمة : عبد الله بن المبارك والثوري والإمام الشافعي وغيرهم ممن يرون قرآنيته يعتمدون على ما روى عن أم سلمة أنها قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب بعد بسم الله الرحمن الرحيم آية - الحديث . . وما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم ، وما روى عن جابر عن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول إذا قلت إلى الصلاة ؟ قال : أقول الحمد لله رب العالمين . قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم . وما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا قرأتم أم القرآن فلا تدعوا بسم الله الرحمن الرحيم فيها إحدى آياتها . . وما روى : أن معاوية قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر بها فقرأ أم القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والانصار أنسيت ؟ أين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحتم القرآن ؟ فأعاد معاوية الصلاة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . . وغير ذلك كثير .

فهذه النصوص كلها صريحة في أن البسمة قرآن ، وأنها آية من الفاتحة ،

وإذ ثبت أنها آية من الفاتحة ؛ فيثبت أنها آية من كل سورة ، إذ لا فرق بين سورة وسورة .

وقد رآه المدينة والبصرة والإمام مالك على أنها ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها ، ويستندون في ذلك إلى نصوص ؛ منها ما روى عن أبي هريرة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدني عبدي ، وإذا قال الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثني على عبدي ، وإذا قال مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدني عبدي ، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله تعالى هذا بيني وبين عبدي . » ووجه الاستدلال أنه عليه السلام لم يذكر التسمية ، ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها ، ولأن هذا التصيف إنما يحصل إذا قلنا إن التسمية ليست آية من الفاتحة ؛ لأنها سبع آيات ، وإذا جعلت بسم الله الرحمن الرحيم آية حصل لله أربع آيات ونصف آية وللعبد آيتان ونصف وهذا مبطل للتصيف . ومنها ما روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ، وهذا يدل على أن البسمة ليست من الفاتحة . وروى عن أنس أنه قال : صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان ، فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين .

فأنت ترى هذه الأحاديث التي اعتمد عليها الفريقان كيف يعارض بعضها بعضا ، وأنه لا سبيل إلى الخروج من هذا المأزق إلا بالترجيح أو المدول عنها إلى غيرها في الاستدلال .

وإذا ما ألقينا نظرة فاحصة على ما استند إليه الفريقان ؛ فإننا نجد ما اعتمد عليه الفريق الأول خليقا بالقبول ؛ لأنها بلغت في الكثرة مبلغا يجعلها تمنطق التواتر المعصومي بكون البسمة قرآنا منزلا في أوائل السور ؛ وذلك بتعضيد بعضها بعضا .

أما ما ركن إليه الفريق الثاني ، وألقى إليه مقاليد من حديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، الحديث ، فإن رواية أبي هريرة ، وإذا قال العبد مالك

يوم الدين يقول الله تعالى مجذني عبدي وهو بيني وبين عبدي . فإنها تفيد أن البسملة قرآن ؛ لأن قوله في مالك يوم الدين هذا بيني وبين عبدي - أي في القسمة - إنما يكون كذلك إذا حصلت ثلاثة قبلها وثلاثة بعدها ، ويحصل ثلاثة قبلها لو كانت التسمية آية من الفاتحة . على أن لفظ النصف كما يحتمل التصنيف في عدد الآيات ، فهو أيضا يحتمل التصنيف في المعنى . والدليل على قطره الاحتمال سقط به الاستدلال . وما روى عن عائشة رضي الله عنها من أنه عليه الصلاة والسلام كان يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ؛ فيحمل على أنها جعلت الحمد لله رب العالمين اسما للسورة ، والمراد أنه قرأ هذه السورة ، أو لعل الرسول صلوات الله عليه كان يسر بالبسملة فلم تسمعها . وبهذا أيضا يقال في جانب ما روى عن أنس .

فأنت ترى بعد هذا أنه قد اتضح الأمر واستبان ، واطمأنت الشبهة ، وزال التعارض بين الأحاديث ، وأخذت كلها سبيلا واحدا لا ترى فيه عوجا ولا أمنا .

هذا وإن كتابة البسملة بخط السور في مصاحف الصحابة رضوان الله عليهم مع منعهم أن يكتب فيها ما ليس من القرآن ، يذهب بكل شبهة ويقتلها من جذورها ، ولا يدع عندك شكاً في أنها قرآن .

وكيف يستجيز أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأنفسهم إثباتها بخط السور في مصاحفهم ، وهي لم تكن قرآناً بدون تمييز لها ولو بالمداد أو القلم ، مما يؤدي إلى التلبس والتفريق بالمسلمين ، وحلهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً .

ثم وكيف لم يثبتوها بين الأفعال وبراهة إذا كانت تفصل بين السور ؟

ثم وكيف يجمعون على أن ما بين دفئ المصحف كلام الله ؟

على أن للشافعية أن يمنعوا دعوى عدم تواترها في المحل ، فرب متواتر عند قوم دون آخرين ، وفي وقت دون آخر ، ولا أدل على ذلك من الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله ، والوفاق التام على إثباتها في المصاحف .

وإلى هنا قد استقام الطريق ، وأزيلت الحواجز الشائكة ، وتبددت الشبهات ، وانبجح نور الحق ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

# الركن الشرعي للجريمة

## في الشريعة الإسلامية وفي القوانين الوضعية

لحصة الأستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم

قاضي محكمة صمالوط

### سريان القانون على المكان :

ويمكن القول بصفة عامة إن القانون الجنائي إقليمي من وجهة نظر الشريعة ، فهو يسرى على كل المقيمين على أرض الدولة الإسلامية بصرف النظر عن اختلاف أديانهم<sup>(١)</sup> كما أنه شخصي من وجهة نظر جمهور الفقهاء ، فقد ذهب الشافعي ومالك وأحمد إلى أن المسلم يلتزم أحكام الإسلام ، حينما كان ؛ فإذا ارتكب ما يوجب الحد أو التعزير ؛ كأن سرق أو شرب خمرًا أو زنى أو أكل لحم خنزير ، فإنه يقام عليه الحد متى عاد إلى دار الإسلام ، سواء وقع منه ذلك في دار حرب ، أو دار بغى ؛ ويستندون في ذلك إلى عموم الآيات والأخبار . ولأن كل موضع تجب فيه العبادات في أوقاتها ، تجب فيه الحدود عند وجود أسبابها . ثم إن الذي ارتكب الجريمة : زان أو سارق أو شارب خمر أو آكل لحم خنزير ، ولا شبهة في فعله حتى يمكن القول بسقوط الحد أو التعزير عنه<sup>(٢)</sup> .

ومذهب أبي حنيفة أنه إذا زنى المسلم أو قذف أو شرب خمرًا في دار الحرب أو في دار البغي ، لا يقام عليه الحد ؛ ويستندون في ذلك إلى ما روى من أن النبي

(١) اختلف الفقهاء في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على غير المسلمين وسعر من هذا الموضوع في بحثنا القادم إن شاء الله عند الكلام عن سريان القانون على الأشخاص . نسأل الله المعونة والتوفيق .

(٢) المدونة - ١٦ ص ٩٩ . المهذب - ٢ ص ٣٥٨ . المعنى - ١٠ ص ٧١ . الشرح الكبير - ١٠

صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقام الحدود في دار الحرب » . ويضيفون إلى ذلك أن الحدود لم تجب لداتها ، وإنما وجبت للقصد منها وهو الإرجار والاستيفاء ؛ فإن استحالة إمكان استيفاء الحد فلا يجب الحد ، فلا يجب الحد لانعدام الفائدة من إجباره ؛ لأن الإمام لا ولاية له على دار الحرب حتى يستطيع أن يستوفي الحدود هناك ، وإذا امتنع الاستيفاء ، امتنع الإيجاب لعدم الفائدة . وإذا لم ينعقد الفعل موجبا للحد ابتداء فلا يتقلب موجبا له بالعودة إلى دار الإسلام <sup>(١)</sup> .

وقد ترتب على هذا الخلاف خلاف آخر فرعى ؛ ذلك أن الفقهاء اختلفوا في حكم المسلمين يخرجون غزاة في سبيل الله فيرتكب أحدهم ما يوجب الحد ؛ فذهب أبو حنيفة إلى أنه إذا غزا الخليفة أو أمير مصر ودخل دار الحرب فله أن يقيم الحد على من زنى في معسكره لأن المعسكر تحت ولايته فيقيم الحد على من زنى منهم كما يقيم في دار الإسلام . ولو زنى واحد منهم خارج المعسكر لا يقيم عليه الحد لعدم ولايته . أما إذا دخلت سرية دار الحرب فزنا رجل منهم لم يحد ، وكذا أمير المعسكر لا يقيم الحد لأن أمير المعسكر أو السرية مفوض إليهما تدبير الحرب لا إقامة الحدود <sup>(٢)</sup> .

ويرى مالك وأبو ثور وابن المنذر أن الحد يقام في كل موضع ، لأن أمر الله تعالى بإقامته عام مطلق في كل مكان وزمان <sup>(٣)</sup> .

وعند الشافعي الحكم كذلك ، غير أنه يرى أنه إذا لم يكن أمير الجيش الإمام أو أمير إقليم فليس له إقامة الحد حتى يأتي الإمام لأن إقامة الحدود إليه ، ويؤخر كذلك إن كان بالمسلمين حاجة إلى الحدود أو قوة به أو شغل به آخر . ويرى أحمد أن الفعل في دار الغزو يقع موجبا للحد ولكن يؤخر الاستيفاء مطلقا حتى العودة . وحجته في ذلك ما روى بسريين أرطاة أنه أتى برجل في الغزو قد سرق ، فقال : لو لا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقطع الأيدي في الغزاة لقطعتك . كما روى سعيد بإسناده عن الأحوص بن

(١) البدائع ٧٣ ص ١٣١ - ٨٠ وتبيين الحقائق ٣٣ ص ١٨٢ . ونلاحظ أنه جاء في هامش تبيين الحقائق نقلا عن الكمال أنه قال عن الحديث : لا تقام الحدود في دار الحرب ، لم يعلم له وجود .  
(٢) البدائع ٧٣ ص ١٣١ و ١٣٢ . (٣) المدونة ١٦ ص ٩١ . فشرح الكبير ١٠٣ ص ١٥٢ .

حكيم عن أبيه أن عمر كتب إلى الناس : أن لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجلا من المسلمين حدا وهو فاز حتى يقطع الدرب قافلا لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار<sup>(١)</sup> .

ولما كان أبو حنيفة هو الذى قصر إقامة الحدود على الجرائم التى تقع فى دار الإسلام دون تلك التى تحدث فى دار الحرب أو دار البغى ، تعين علينا أن نبين معنى كل دار منها فى مذهبه ، نظرا لما يترتب على اختلاف الدار من حكم .

وعما لا شك فيه أن دار الإسلام هى الدار التى تسودها أحكام الإسلام وللمسلمين فيها السلطان والقهر . ولكن من الجائز أن تتسع رقعته دار الإسلام أو أن تضيق ، فكيف تصبح دار الكفر دار الإسلام ، وكيف تصبح دار الإسلام دار كفر ؟ لا خلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه فى أن دار الكفر تصبح دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها ؛ ولكنهم اختلفوا فى كيف تصبح دار الإسلام دار كفر ؛ فقال أبو حنيفة إنها لا تصبح دار كفر إلا بثلاثة شروط : أحدهما : ظهور أحكام الكفر فيها . الثانى : أن تكون متاحة لدار الكفر . والثالث : أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذى آما بالآمان الأول وهو أمان المسلمين . وحجة أبى حنيفة أن المقصود من إضافة الدار الى الإسلام والكفر ليس هين الإسلام والكفر ، وإنما المقصود هو الأمن والخوف ، ومعناه أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق والخوف للكفرة على الإطلاق فهى دار الإسلام ، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق فهى دار الكفر . والأحكام مبنية على الأمان والخوف لا على الإسلام والكفر ؛ ولذا يجب أن يكون اعتبار الأمان والخوف أولى . فما لم تكن للمسلمين حاجة الى الاستئمان بقى الأمان الثابت فيها على الإطلاق ، فلا تصبح دار الكفر . والأمان الثابت على الإطلاق لا يزول إلا بالمتاحة لدار الحرب ، فتوقف صيرورتها دار الحرب على وجودها أى المتاحة وزوال الأمان الأول .

كما أن ظهور أحكام الكفر لا يتم إلا بالمنعة ولا منعة إلا بالمناعة وزوال الأمان الأول.

وقال أبو يوسف وعبد إن دار الإسلام تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها بغير حاجة إلى شرط آخر، وحجتهما في ذلك أن قولنا دار الإسلام أو دار الكفر إضافة دار إلى الإسلام أو إلى الكفر، ولما تصاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها. كما تسمى الجنة دار السلام لوجود السلامة فيها، والدار دار البوار لوجود البوار في النار، وظهور الإسلام والكفر، بظهور أحكامهما، فإذا ظهر الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة، ولهذا صارت الدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام من غير شرط آخر، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها. (١)

ودار البغي هي الدار التي يكون الأمر فيها للبغي، والبيعة - كما عرفهم صاحب البدائع - هم الخوارج وهم قوم يرون أن كل ذنب كفر، كبيرة كانت أم صغيرة، يخرجون على إمام أهل العدل ويستحلون القتال والدماء والأموال بهذا السبيل، ولهم منعة وقوة (٢). وقد عرفوا في كتاب تبين الحقائق، بأسمهم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق (٣).

ومما يتصل بتحديد إقليم الدولة بيان حكم الجرائم التي ترتكب على السفن، ومن رأينا أنه ليس في الشريعة ما يتعارض مع إعطاء الجرائم التي ترتكب على السفن في عرض البحار نفس الحكم المنطوق لها في القوانين الوضعية. أي أن السفينة تعتبر جزءاً من الدولة التابعة لها؛ فإذا فرضنا أن جريمة وقعت على سفينة تابعة للدولة الإسلامية، فتعتبر وكأنها وقعت على أرض الدولة الإسلامية، إذا كانت السفينة في البحار العامة أو في المياه الإقليمية للدولة الإسلامية؛ أما إذا كانت السفينة وقت ارتكاب الجريمة في المياه الإقليمية لدولة أخرى فإن الجريمة تعتبر واقعة على أرض الدولة الأخيرة.

(١) البدائع - ٧ - ١٣ و ١٣١.

(٢) المرجع السابق - ١٤٠.

(٣) تبين الحقائق - ٣ - ٢٩٣.

هذه هي الأحكام التي ذكرها فقهاء الشريعة الغراء في سريان القانون على المكان ، وإذا أردنا مقارنتها بالأحكام الوضعية وجدنا أن أبا حنيفة يأخذ بمبدأ إقليمية القانون دون سواء . فلا شأن له بالجرائم التي تقع خارج دار الإسلام ، ولو كان الجاني مسلماً . وأما الشافعي وأحمد ومالك فيرون — كقاعدة عامة — أن القانون الجنائي يسرى على كل المقيمين على أرض الدولة الإسلامية ، وهم بهذا يأخذون بمبدأ إقليمية القانون الجنائي ، ولكمهم يختلفون عن أبي حنيفة في أنهم يأخذون أيضاً بمبدأ شخصية القانون الجنائي ، إذ يرون أن المسلم يلتزم أحكام الإسلام حيثما كان ، فإذا وقع منه ما يستوجب الحد أو التزوير أخذ بحريته متى عاد إلى دار الإسلام . وما هو جدير بالملاحظة في هذا الصدد أن عقاب المسلم الذي يرتكب جريمة في الخارج لا يتم إلا إذا عاد إلى دار الإسلام ، وهذا هو ما تقصى به المادة الثالثة من قانون العقوبات المصري ، فهي تعلق العقاب على عودة المصري إلى مصر .

بقيت مسألة أخيرة نرى يباين حكمها ، وهي : هل يجوز أن تطبق أحكام الإسلام على غير المسلمين الذين يرتكبون خارج دار الإسلام جرائم يرى فيها ولي الأمر اعتداء على المجتمع الإسلامي ؟ إن القواعد التي سبق ذكرها لا تسمح بذلك ، فالجريمة لم تقع في دار الإسلام ، كما أن مرتكبها غير مسلم . وقد جاء في تفسير القرطبي رحمه الله لا خلاف في إسقاط ما فعله الكافر الحربي حال كفره في دار الحرب (١) . ولكننا مع هذا نرى أنه ليس في قواعد الشريعة ما يمنع من أن يمتد سلطان المسلمين إلى غير المسلمين الذين يرتكبون جرائم خطيرة تمس نظام الدولة وكيانها ، ولو ارتكبوا جريمتهم خارج دار الإسلام .

وإن الأحكام التي ذكرها الفقهاء في سريان القانون على السكان كلها أحكام اجتهادية وليس هناك ما يمنع من الخروج عليها في بعض الأحيان طالما كنا لا نخالف أساساً من أسس الدين . ولم نذهب بعيداً وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاقب بعض المشركين الذين وقع منهم ما اعتبره اعتداء على الإسلام والمسلمين ، وقد ارتكب هؤلاء المشركون جرائمهم بمكة أثناء هجرته عليه السلام ووجوده بالمدينة : فأهدر عليه الصلاة والسلام دمه رغم أنه لم يكن له سلطان

على مكة في ذلك الحين . وقعت الجريمة في مكة من غير المسلمين فعاقبهم عليه الصلاة والسلام . ومن ذلك ما روى أنه عند فتح مكة عهد عليه الصلاة والسلام إلى أمرائه من المسلمين ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم من قريش ، واستثنى من ذلك نفراً أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، ومن هؤلاء هبار بن الأسود والخويرث بن نفيع بن وهب — وقد نسب إلى هبار أنه عرض لزيغ بنت الرسول عليه السلام حين هاجرت من مكة إلى المدينة ، وكانت حاملاً ، فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة فأسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة من أثر ذلك حتى ماتت ؛ وقد اشترك الخويرث في هذه الجريمة ، كما أنه ارتكب جريمة مماثلة هي نخسه الجمل الذي يحمل فاطمة وأم كلثوم بنتي النبي عليه الصلاة والسلام فرمى بهما الجمل الأرض . وعن أمدر دمهم أيضاً وحشي بن حرب الذي قتل حمزة عم النبي عليه الصلاة والسلام . ومنهم هند بنت عتبة زوج أبي سفيان التي مثلت بقتلي أحد ثم بقرت عن كبد حمزة فلاكها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وكذلك منهم كعب بن زهير بن أبي سلمى الذي كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره . ومنهم عكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام شقيق أبي جهل ، وزهير بن أمية المخزومي ، وصفوان بن أمية بن خلف الجهمي ، وقد لقي المسلمون على أيديهم أدى كثيراً .

وبعد أن فتح الرسول عليه الصلاة والسلام مكة عفا عن هؤلاء جميعاً ما عدا الخويرث فقد قتله على رضى الله عنه<sup>(١)</sup> . وإن عفوهم عليه الصلاة والسلام عنهم لا يقلل شيئاً من القاعدة الشرعية التي يمكن استخلاصها من هذه الحوادث ؛ لأنه لا يملك العفو إلا من يملك العقاب ، كما أن العفو لم يحصل إلا بعد أن أهدر الرسول عليه الصلاة والسلام دمهم . وإن ما وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن القياس عليه وإعطاء ولي الأمر حق عقاب غير المسلمين على بعض الجرائم الخطيرة ولو ارتكبوها في غير دار الإسلام ، وإيس هناك ما يدعو إلى القول بأن ما حصل في هذه القضايا كان استثناء لا يصح القياس عليه .

وهكذا نجد الشريعة مرنة لينة فيها من الأحكام ما يناسب كل عصر ومكان . ولا عجب في ذلك فهي شرع الله في هذه الدنيا إلى أن يرث الأرض ومن عليها ؟

( ١ ) القضايا الكبرى في الإسلام ص ٤٤ وما بعدها ، وقد وضع هذه القضايا وغيرها وذكر أن ما قضى به فيها استثناء لا يجوز القياس عليه .

# في علم الكلام ودراسة

للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

## ١ - مدخل لدراسة علم الكلام الإسلامى :

هذا الكتاب ، الذى ظهر هذا العام بباريس باللغة الفرنسية ، ثمرة ناضجة من ثمرات الاتصال بين المسيحيين والمسلمين طلاباً وأساتذة ، وهو كتاب ضخم يقع فى أكثر من ٥٠٠ صفحة ، ويتميز بحق محاولة جادة لدراسة علم الكلام المقارن ؛ إذ يهدف إلى تنظيم جهود علماء الكلام المسلمين والمسيحيين ، فى سبيل حل مشاكل هذا العلم ، ومقارنة بعضها ببعض . وقد قدمه للقراء فى الغرب مسيو . ماسينيون ، شيخ المستشرقين والأستاذ بالكويج دى فرانس بباريس وعضو بجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر .

وهذا العمل الكبير تأليف مسيو . لويس جازديه ، الفرنسى المتخصص فى الدراسات الإسلامية وبما كتب عن الغزالي وابن سينا ، والأب . قنواى ، الأستاذ الدومينيكانى المصرى والمعروف جداً فى وسط الأزهر والجامعة العالمى والمعضو . بلجه ابن سينا ، برارة المعارف والجامعة العربية .

وقد حرص المؤلفان على أن يحددوا ، فى مقدمة الكتاب ، الأهداف التى عملا على الوصول إليها وهى ثلاث ، وإن كان جماعها فهم علم الكلام على ما هو عليه الآن :

١ - دراسة علم الكلام الإسلامى من ناحية قيمته الذاتية ، وهذا ما وصلنا إليه بعد الرجوع للراجع المعتبرة باللغة العربية ، وبعد الاتصال بكثير من رجالات هذا العلم فى الأزهر وغير الأزهر ، وفى هذه الناحية حاولنا إنجاح فهم تكون مسائل العلم الكبرى ، وفنظرياته السائدة ، ونمحو هذه وتلك ، مع مقارنات تاريخية زمنية فى المسيحية والإسلام .

٢ — العناية ببيان ودراسة العلاقات الهامة التي تربط بين علم الكلام ( تكونه ونموه ) وبين التاريخ السياسي والديني والثقافي للإسلام ؛ ذلك بأنه إن كان من المهم معرفة تسلسل النظريات والمدارس المختلفة في هذا العلم ، فمن المهم جدا أيضا أن نعرف ما لكل من هذه النظريات والمدارس ؛ من أثر ودلالة في تاريخ العالم الإسلامي .

٣ — تجلية الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية في هذا الجانب من وجهة نظر كل منهما ، وتوضيح ما يجمع بينهما من نواح مشتركة تدعو للمقارنة الموضوعية حقا ، وهذا هو موضوع علم الكلام المقارن بصفة خاصة . بذلك يتعرف كل من علماء الكلام في المسيحية والإسلام الى الآخر ، وهذا ما عمل المؤلفان له في هذا الكتاب .

ولا يمكن للقارئ إلا أن يتعجب لظهور هذا الكتاب الذي يدرس الإسلام حسب هذه الخطة ، دراسة موضوعية لا تحيز فيها ، وفي بحر ومنهاج علمي دقيق . ذلك خير مما كان في الماضي من جدل عقيم ، ساهم — بكل أسف — في العمل على توتر العلاقة بين المنفقين في المسيحية والإسلام ، حتى صار كل اتصال عقلي بينهم مستحيلا أو يكاد .

حقا . ليس من الخير في شيء للمسيحية أو الإسلام أن يتعصب كل من الجانبين على الآخر ، بل الخير كل الخير في التعاون الوثيق بينهما لمحاربة الإلحاد والملحدين الذين يروج بهم العالم موجا حتى صار شرهم ياديا وخطيرا .

إننا نشي على هذا الكتاب القيم وعلى مؤلفيه العاصلين ، ودعوا الأزهر أن يكون من حظه نقله سريعا للعربية لتعريف دارس علم الكلام عندنا بمهود علماء اللاهوت المسيحيين في سبيل حل مشاكل هذا العلم ؛ هذه المشاكل التي أحسوا بها قبلنا بحكم الزمن ، وأخذوا في علاجها ووضع حلول لها .

٢ — رأى في دراسة علم الكلام في الأزهر :

وهنا أرى الفرصة للتقدم برأى في علم الكلام ودراسته حسب الأوضاع التي نعرفها اليوم بالأزهر .

علم الكلام، كما يقول ابن خلدون، «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعين المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة». أو بعبارة أخرى، هو علم الغرض منه بيان العقائد الدينية كما ورد بها الكتاب والسنة الصحيحة، والاستدلال لها والدفاع عنها.

ومعنى هذا أن هذا العلم يجب أن يلاحظ فيه أمران :

(أ) القيام على أدلة تناسب وعقليات من تتوجه إليهم .

(ب) الرد على الفرق المخالفة، ولكن التي لها وجود في الزمن الذي نعيش فيه .

بعد هذا نقول :

إن الأدلة التي كان يحصل بها اقتناع وتسليم فيما مضى من الأزمان، قد لا يحصل بها هذا في الزمن الحاضر بعد تقدم العلم، وبخاصة العلم الطبيعي، الذي لا يستلزم إلا بما يقع في دائرة التجربة والاختبار.

وإن الشاب اليوم الذي ضم إلى ثقافته الشرقية الإسلامية طرفاً من علم الغرب الطبيعي المادي، ليس من العقل أن نضطلع في الجدل معه ما كان أسلافنا يصطنعون من الأدلة في الجدل مع مخالفهم المعاصرين لهم في ذلك الزمن البعيد، أيام كان الإسلام قوى الأثر شديد المقوِّان .

وإن كتب علم الكلام التي يشق بدراستها طلاب الأزهر، والتي ينفقون في فك غامضها قدراً كبيراً من طاقاتهم العقلية، إنما تعرض لمن أصبحنا لا نحس لهم وجوداً من أرباب المقالات المخالفة للدين الحق وعقائده الصحيحة، ومن العجيب أن نعكف على جدل قوم لا نكاد نحس لهم ركزاً، وأن تترك أمثال القاديانية والبهاية، ولهم من النشاط الديني ومن الدعاوة لمذاهبهم ما هو معروف في أوروبا وأمريكا !

إن على علماء الكلام أو التوحيد، على الأزهر وكلية أصول الدين، أن يظفروا لداء الإلحاد الذي يقوم — في رأى أصحابه — على أساس من علم العصر، والذي نراه استشرى بين جانب كبير من الشبان المثقفين ثقافة علمية عالية. وإنى لأعرف

كثيراً من هؤلاء الشبان ؛ عرفتهم في باريس ولندن ، وعرفتهم هنا بمصر لأنهم يقولون بأنه لم يتم لديهم دليل على وجود الله ، ويرون أن تفسير الوجود أو العالم يسور دون اللجوء إلى فرض وجود الله . وإذا سألتهم عن الشبهات التي تحول بينهم وبين الوصول لليقين بوجود الله ، وإذا أخذت في الجدل معهم مستعياً بكل ما عرفت من كتب علم الكلام ، لم تصل منهم إلى ما تريد ، وطالبوك بأدلة تستند إلى حقائق أو مقررات العلم الحديث .

وإن على علماء الكلام ، على الأزهر وكلية أصول الدين ، أن يتركوا الفرق الدائرة التي صارت تاريخاً من التاريخ ، وأن يأخذوا في دراسة الفرق أو الطوائف التي تحيا في هذا الزمن ولها آراء لا تتفق والحق ، ولها نشاط جبار لا يقارن بما نحن عليه من ركود . فإذا استفادت لهم هذه الدراسة ، أخذوا في الرد عليهم ، والجدل معهم ، والاحتجاج لدين الله الحق وهفاته الصحيحة بأدلة تناسب وعقلية هذا العصر .

بدون هذا ، يكون علم الكلام علماً لئمه أكبر من نفعه ؛ ونكون جأه على طلابها الذين نفثتهم لغير زماننا ، ونعدهم لقتال خصوم لم يعد لهم وجود ، ونسأهم بأسلحة لا تقوى - مع هذا - على القتال .

ولعل هذا الذي نخشاه هو الذي دفع العلامة المغفور له الشيخ حسين والي إلى أن يقول <sup>(١)</sup> بأن هذا العلم حدث في زمن كانت الحاجة ماسة فيه إلى الرد على خصوم الإسلام من الدهريين والزنادقة والملاحدة والمبتدعة . أما الآن ، وقد ذهبت تلك الخصوم وجاء خصوم آخرون ، فلا يليق فرض الذاهب حاضراً . وترك الحاضر الذي لا يرد إلا كتاب الله إذا بينه الراد على وجهه . وليس من الحزم أن يضع الإنسان عمره في الاشتغال بخصوم موهومة ، وترك الخصم الذي ضيق عليه المسالك . فضلاً عن ذلك ، فإن تلك الكتب ، كتب علم التوحيد ، فيها حجب كثيفة تمنع النور وتحدث الظلمة ، وربما قضت على اعتقاد ثابت صحيح .

وبعد : فلنأخذ بهذا نريد أن نقول ، كما قال زميل لنا فاضل في مجلة

رسالة الإسلام ، بأن ، علم الكلام ليس بدعة فحسب ، وإنما هو ضلالة ، وهو هب ، وهو انحراف عن سواء السبيل ، : كما أننا ندعو بما قلنا إلى عدم دراسة علم الكلام . إن المراد لنا بيان أن دراسة هذا العلم في هذا الزمن على الوضع الذي كان عليه في الماضي ، كتباً ومشاكل وأدلة ، لا خير فيه ، بل ربما أدى إلى شر كثير . بينما لو جعلنا هذا العلم يسير التطور العلمي ، فجددنا في مشاكله وفي الفرق التي يرد عليها وفي الأدلة التي يستند إليها ، لكان حجتاً - وحجتاً فقط - أدلة لا بد منها ، أدلة يكون فيها خير كثير في هداية الضالين وثبوت عقائد الدين ٩

## الكفاف

قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين : الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أهلك .

وجاء في كتاب الهدى : لا ينبغي للتمس أن يلمس من الميسر إلا الكفاف الذي به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة في ثعبه وغمه .

وقال حكيم : أقل الدنيا يكنى ، وأكثرها لا يكنى .

وقال محمود الرزاق :

يا غائب تنفقر ألا تودجر	عيب الغنى أكثر لو نعتبر
من شرف الفقر ومن فضله	على الغنى إن صح منك النظر
أنك نمص كي تنال الغنى	وليس تمصى الله كي تنفقر

## الحسين بن منصور الحلاج

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى  
وكيل معهد أسبوط

كان هذا الرجل أعجوبة من أعاجيب الوجود ، وكان آية من آيات الله على ما اخص به عياده المتفانين في حبه وعلى ما ميز به أوليائه ؛ مما يقع في حد الفتنة في الناس حتى يهلكوا في كثير منهم كما هلك الناس في المسيح ابن مريم من قبل بالغلو . على أن بعض الناس يهلك فيهم كما هلك بعض الناس في عيسى بن مريم بالقلى والضغن ؛ فالحسين بن منصور الحلاج رجل من أولئك الذين خالفوا متعارف الناس في مألوفاتهم ، والذين خالفوا متعارف الناس في اتجاهاتهم ، والذين خرجوا بالناس عن السمة الكونية ، بخرق العادات والوصول إلى كثير من المحالات مما تجد تفصيله في الكتب ، وكان ذلك على أثر رياضات شهداها الخاصة ، وشهداها العامة ، وجرى الحديث بها بين أبناء العصر عامة ؛ فقد روى له من صور الجهاد والمصابرة والتحمل على النفس ما عرف في سير المتفانين في ذات الله ، ثم ظهرت بعد ذلك الاتهامات له بالسحر ، وظهر بعد ذلك القول عليه فيما نظن ، وظهر الدس في كتبه ، كما ظهر في كتب محي الدين بن عربي وغيره .

ولست أريد بذلك أن أقطع في شأنه بعقيدة كما ترى من احتياطي في العبارة ولا أن أحمل القاري الكريم على مذهب في حكمه ؛ فإن العلم عند الله . ونحن نعلم أو نظن أن الحسين بن منصور الحلاج سلك مسلك الزهادة والجهاد ، ونسلم أو نظن أنه خالط سيد الصوفية أبا القاسم الجليل ، وأخذ عنه كثيراً من التهذيب والسلوك ، وأنه خالط غيره من الرجال أمثال الثوري وغيره ، وشهد له كثير من أهل البصائر ، ومن المعاصرين والمتأخرين ؛ ناهيك بالإمام القشيري صاحب الرسالة الصوفية ذات الأثر العجيب في التهذيب ، وناهيك بالإمام المؤرخ

الميزان ابن خلكان ، وناميك بالشعراني الجامع بين العلم الظاهر الغزير والمعارف الربانية والأسرار القدسية . كل هؤلاء لقد شهدوا للرجل كما شهد غيرهم من معايير الرجال ، ومن أهل النظر والاستبصار .

ومهما يكن فإتنا سنعرض عليك صورة من صور المتصوفة ، وما كان لهم من مسلك واتجاه ، وما كان يجرى عليهم من محن وأحداث ، وفي كل شيء من التاريخ معتبر وفي كل شيء حطة وذكرى لمن كان له قلب أو لبق السمع وهو شهيد .

شهد الحسين بن منصور الحلاج العصر الثاني العباسي ؛ فعاصر الممتنع بالله ، وعاصر المقتدر بالله ، وفي عهده قتل ، وله فيه حوادث ، وفي أيامه ازدهر التصوف وظهر فيه كثير من كلفة رجاله ، وقد صحب المترجم كثيرا منهم كما أسلفت عليك ، ويظهر من نقل كلامه ورواية آثاره أنه كان أدبيا عليا وشاعرا صوفيا معرقا في المعاني الثرة الغزيرة ، وهو من النوع الصوفي الذي غلا بالشطح وإظهار الخبأ المستور من العلم كمحيي الدين بن عربي وابن سبعين ، وهو بخلاف النوع الآخر من أمثال الغزالي صاحب الاحياء والفشيري صاحب الرسالة . وما نرى إلا أنه قتل ظلما ، وأنه قتل مستشهدا في سبيل الله ، وأنه عند الموت كان يدين بخالص العبادة لله ، ويذكر مواجيدته وهيامه في ذات الله .

وقد روى أنه سئل وهو مصلوب عن التصوف فقال للسانل : أهونه ما ترى . وقد حدث خادمه عنه قال : لما كانت الليلة التي وعد فيها من الغد بالقتل ، قلت : ياسيدي أوصني ، قال عليك بنفسك إن لم تشعلها شعلتك ، فلما كان من الغد أخرج للقتل فقال : حسب الواحد لإفراد الواحد له . ثم خرج يتبحر في قيده ويقول :

ندي غير منسوب إلى شيء من الخيف  
سفاني مثل ما يشر ب ؛ فعل الضيف للضيف  
فلا دارت الكاسات دعا بالنطع والسيف  
كذا من يشرب الراح مع التين في الصيف

ثم قال : يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، ثم ما نطق بعد ذلك بشيء حتى قتل . والله ذلك الثبات ، والله

ذلك الهيام في ذات الله على ما به من خلط وشطح لا يديره أو يشاطره في مراميه إلا أمثاله ممن فتح الله أعينهم.

وبعد : فسأجل لك شيئا من تاريخ حياته مسلسلا ، بعد إذ تعجلت لك بحكي مرتكزا على رموس النواحي الدائرة في كل أطواره ؛ قالوا : إنه ولد بالبصرة في موضع يقال له الطور ، وتلد لسهل بن عبد الله التستري ، وشقيق البلخي . ويقول الشمراني تبعا لابن خلكان والبغدادى الخطيب : إنه صحب الجنيد <sup>(١)</sup> والنودي <sup>(٢)</sup> وعمرو بن عثمان المكي <sup>(٣)</sup> والقوطي وغيرهم .

وصرح البغدادى أن ذلك كان بعد أن دخل بغداد قادما إليها من واسط التي نشأ فيها بعد أن بدأ حياته في مولده ( الطور ) .

وبغداد كان ظهور أمره ، فكان يلبس السوح أحيانا ، ويمشي بخرقتين أحيانا ؛ شأن الزاهدين المتصوفة ؛ وقدم بغداد وعمره ثمانى عشرة سنة ، فأقام مع عمرو المكي ثمانية عشر شهرا ، ثم تزوج بأم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع .

ثم إنه خرج الى مكة ، فجاور بها سنة ، ورجع الى بغداد مع جماعة من الفقهاء الصوفية ، فقصد الجنيد بن محمد وسأله عن مسألة فلم يحبه ونسبه الى الادعاء فاستوحش ورجع الى تستر وأقام نحو من سنة ووقع له عند الناس قبول عظيم حتى حسده - كما يقول البغدادى بروايته - جميع من في وقته ، وكان عمرو بن عثمان

المكي لا يزال يكتب اليه ، ويتكلم فيه بالمظالم ، لأنه تزوج من بغداد على خلاف أمره . وتقول هذه الرواية إن ذلك التشنيع دفعه الى أن يجرد ويرى لباس الصوفية ، ولبس قباء وأخذ في محبة أهل الدنيا ثم خرج وغاب خمس سنين انتهى فيها الى خراسان وما وراء النهر ؛ ثم رجع الى فارس ، فأخذ يتكلم على الناس وبدهو الى الله ، فلقب في فارس بأبي عبد الله الزاهد ، وقد صنف هنا لك عدة تصانيف ،

(١) اسمه الجنيد وكنيته أبو محمد ، ويعرف بسيد الطائفة ، توفي بغداد سنة ٢٩٧ هـ .

(٢) هو النودي بالون وكان من أقران الجنيد ولم يكن في وقته أحسن منه طريقة ولا ألف كلاما .

(٣) كان من أصحاب الجنيد وانتهت إليه الإمامة في الأصول والطريق . توفي سنة ٢٩١ هـ .

ولكنهم لم يذكروا ما هي؟ وهنا لك كان يتكلم على أسرار الناس، وما في قلوبهم، فسمى حلاج الأسرار، وصار الحلاج لبيه . ونحن نشك في أن مهنا قطعة مدسوسة لا تلائم جنيتي الكلام ولا تنفق مع حال رجل بلغ ذلك المقام : وهي أنه تمرد وصحب أهل الدنيا . فأى داع كان يدعوه إلى ذلك ؟ إن ما ذكره من الطعن عايه ، وإن زهده في طريق الله لا يصلح داعياً إلى ذلك ، ولا هو منه بسبيل . بل لعله جدير في المنطق السليم أن يريده تمسكاً . ومهما يكن فقد عطفنا نهاية الحديث بما رده سيرته الأولى وكفى .

ثم قال الراوى : إنه مازال ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مكة ثانية ، وخرج منها ومعه خلق كثير ، وليس المرقعة والفوطة ، وحسده أبو يعقوب النهرجورى (١) . وتكلم فيه بالسوء . ثم إنه خرج إلى بلاد الشرك فقصده إلى الهد ثم خراسان وغيرها ، ودعا الخلق إلى الله وصنف لهم كتباً ، ثم كثرت فيه الأقاويل بعد رجوعه من هذه السفرة : فقام وحج ثانياً وجاور سنتين ثم رجع ، وتغير عما كان عليه ، واقتنى المقار ببغداد وبني داراً ودعا الناس إلى معنى له ، ثم خرج عليه محمد بن داود وجماعة من أهل العلم ، وكثر اللفظ حوله فقبل ساحر وقيل مجنون ، وأصر الكثير على أنه واصل ذوكرامات وأحوال ، ولكن السعاة سعوا به إلى السلطان فأخذوه وحبسوه .

وتقول رواية أخرى في سبب تسميته الحلاج إنه دخل واسط فتقدم إلى حلاج ووجهه في عمل له فقال له : إني مشغول بقطي ، فقال : اذهب حتى أهينك ، فذهب الرجل ورجع فإذا القطن كله محلوج فسمى الحلاج اه .

وبما رواه البغدادي في تاريخه ، وهو ذو دلالة صادقة على أن الحلاج من لم قدم صدق في التجاني عن دار الغرور ، والإجابة إلى دار الخلود ، ما حدث به على التوزي قال : رأيت الحلاج ثلاث مرات في ثلاث سنين ، فأول ما رأيته أتى عثرت به بعد محاولة طويلة على بعض جبال أصفهان ، وعليه مرقعة ويده ركوة ، فلما رأيته قال : على التوزي ثم قال :

(١) اسحق بن محمد صاحب الجريد تصوف توفى سنة ٣٣٠ هـ .

لئن أمسيت في ثوبي عديم      لقد بلبا على حر كريم  
فلا يغرك إن أبصرت حالا      مغيرة عن الحال القديم  
فلي نفس ستلف أو سترق      لعمرك بي إلى أمر جسيم  
ثم فارقتي وقال نلتقي إن شاء الله.

فلما كان بعد سنة أخرى سميت إليه وهو بالخان من بغداد فرأته وعليه  
صوف أبيض، فلما رآني قال: على التوري؟ قلت نعم، فقال: الصبغة، ثم قال:

دنيا تفسد الطي كأن      هي لست أعلم حالها  
حظر المليك حرامها      وأنا احتमित حلالها  
فوجدتها محتاجة      فوهبت لادتها لها

ثم أخذ يدي وخرجت من الخان، ثم قال: أريد أن أمضي إلى قوم  
لا نعمهم، ولا يحملونك، ولكن نلتقي، وملا كفي ديزيرات، ثم غاب عني. وقيل  
لي بعد سنة إنه ببغداد؛ فحثته فقبل لي: السلطان يطلبه، فيتا أنا في الكوخ رأته  
في يوم حار، وعليه فوطة رملية يختفي بها، فلما رآني بكى وقال:

متى سهرت عيني لغيرك أوبكت      فلا أعطيت ما منيت وتمنت  
وان أضمرت نضى سواك فلا رعت      رياض المني من جنتيك وجت  
ثم قال: يا على النجاء. أرجو أن يجمع الله بيننا إن شاء الله.

وقد ذكروا أنه أول ما دخل مكة جلس في صحن المسجد سنة لا يبرح  
إلا للطهارة أو للطواف ولا يبالى بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل إليه كل عشة  
كوز ماء للشرب وقرص من أقراص مكة فيأخذ القرص وبعض أربع عضات  
من جوانبه ويشرب شربتين من الماء: شربة قبل الطعام وشربة بعده، ثم يضع  
باقي القرص على رأس الكوز فيحمل من عنده.

ثم صار يجلس على أبي قيس فقصد إليه جماعة من أهل الفضل منهم  
أبو عبد الله المغربي فإذا هو جالس كذلك في الشمس والعرق يسيل منه على تلك  
الصخرة فرجع بأصحابه وقال لبعضهم: إن عشت ترى ما يلقي هذا لأن الله يبتليه  
بلاء لا يطيعه. فقد بحمقه يتصبر مع الله.

وذكر أنه لما كان في نسكة بالبصرة وهو موضع الإعجاب من متصوفها

حملت إليه دراهم ليوزعها فسترها في المسجد ؛ فلما توافد عليه الفقراء وزعها عليهم فأشاعوا أنه يقلب التراب دراهم ، ونسبوا إليه المعجزات ( كذا ) خرج من البصرة بعد أن برم بذلك ، والإشاعات لا تزال حافة من حوله . والحديث عنه من هذه الناحية يطول جداً . على أن هناك ناحية أخرى تلتطخ وجه كل هذه الحمائد كما أشرت لك : ناحية تقول إنه ساحر محتال ، وإنه تعلم السحر بالهند ؛ فكان يصنع به العجائب ويشفي من الأمراض ، ويوم استحضار كل بعيد غير مقدور ، والوصول إلى كل متمنى أو مشتهى . فقد نسبوا إليه في ذلك الشيء الكثير ، وتحدثوا عنه بكل مبدع منفر .

ونحن نكرر القول أننا نرجع صدق الرجل وإخلاصه ، وأنه كان في رياضة عميقة ، وهذه الرياضة العميقة وضعت في مقامات وأحوال كانت تضح عليه كثيراً من الشفاح وما يوم وحدة الوجود وما يوم الإشتراك بالله أحياناً كالذي نسب إليه من قوله : ما في الحجة إلا الله ، وما إلى ذلك . على أن في كثير من ذلك دسا وتزويراً نشأ من حسد وبغى في معاصريه من أهل الدنيا الذين كرهوا أن يسبقهم إلى إقبال الناس إنساناً .

وإني لا أزال كلما ذكرت كلمته التي قالها ، وهو يساق إلى الموت ، وهو يخطر في مشيئة ، وبقية عند صمته ، يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، لا أزال كلما ذكرت هذه الكلمة خشع مني القلب ، ولان مني الجلد ، وأحنت مني الرأس ، وعشيتني غاشية من العزوف عن الدنيا والإعراض عما فيها من زخرف ؛ لأن فيها ثباتاً على الحق ، ولان فيها نوراً من الحق ، ولان فيها شهوداً للحق في ساعة فصل فيها العقول ، ويطيش فيها كل حليم ؛ ولا أزال كلما ذكرتها ، دعت إلى نفسي أختها من كلمة الحسين بن علي وقد أخبر بمن قتل من أصحابه فأغرورقت عيائه ثم قال : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، أو كلمة الذي وقف في المعركة واحتدم النزال فألقى بتمرات كان يأكلها وقال : وعجلت إليك رب لترضى ، وغير هؤلاء من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجاهدوا في الله حق جهاده . فكل من أساء الرأي في مثل الحسين بعد هذا فلعنه إلى الضلال أدنى منه إلى الرشاد ، وإن له لأسوة في الانبياء والصالحين من قبله .

# السيرة المحمدية

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ ابراهيم أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

السيرة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم - مادة خصبة للدرس والتحليل ، والشرح والبيان ، وقد تناولها بالكتابة أدباء من العرب والعجم ، واختلف منحنى كلا الطرفين ، وتباين نظر كل من الفريقين ، والمؤرخون من غير المسلمين حينما كانوا يخوضون فيها ، لم يكونوا يقصدون من هذا الخوض تسجيل الحوادث ، وإثبات الوقائع ، وتوقيت المفاجآت التي صادفت ذلك الرجل باعتباره داعية من دعاة الإصلاح ، ودعاهقين السياسة ، وأبطال التطورات العسكرية ، والاحداث الاجتماعية ، إنما كانوا يكتبون بريشة الفيلسوف ، وأقلام الحكماء ، وعلى ضوء من إشعاعات علم النفس في أحدث نظرياته ، وأجد آرائه التي لم يجد بعدها ما ينازعها ، أو يتعارض معها .

أما المسلمون - مع الأسف - إلا قليلا منهم ، فإنهم ضلوا بها من ناحية شمائل صاحبها ، وبالغوا أو لم يبالغوا فيما لا يترك في ذهن القارئ سوى الندم على ضياع الوقت في هدف ما كان أجدره أن يضيئه في غيره ، أو يوفر على نفسه راحته ونظره ، وجهده وتفكيره . ولعل السر في ذلك أن معظم ما بأيدينا من تلك المؤلفات يرجع إلى عهود ندلى اللغة ، وانحطاط أساليب البيان ، وأن النزعة التي كانت تسيطر على الكتاب - حينئذ - نزعة قصصية ، تميل إلى أن تخلع على الموضوع ثوب الرواية ، وتكسوه برداء التمثيل ، بحيث يكون له ظلال وألوان .

ولو أن تلك العناية انصرفت إلى خلق موضوعات ، وإبتكار معان ، يتصيدا الأديب من تلك الزوايا ، وفي خلال السطور ، لكان منها دروس نافعة للشباب

الطامح ، والمصلحين الاجتماعيين ، من أولئك الذين يحاولون محاولة اليأس حتى إذا ما وجدوا [عراضاً ، أو صادفوا قووراً ، ، ألقوا بسلاحهم ، وكسفوا من دعوتهم ، وأحقتوا من أصواتهم ، ثم راحوا يجيلون على أسماعهم تلك النغمة ، عليكم أنفسكم لا بضركم من ضل إذا اعتديتم ، وأخذوا يتصورون أن فتح تلك القلوب المغلفة ، والعيون المغمضة ، رابع المستحيلات على من يمسى وجدانه به ، أو يطامع نفسه فيه .

مع أنهم حينما يُمرُّون على أدمقتهم لوحة سينائية لما لاقاه رسولهم الكريم من العنف والإيذاء ، والعتى والمشقة ، والكيد والمكر ، والتآمر والتربص ، والمطاردة والسفء ، والتفجير والكراهية ، والمهابة والازدراء ، يملون حق العلم بهم يعيشون على هاش الحياة ، أو يجاهدون جهاد الأطفال ، لاجهاد الأبطال ، وأن الرعيم أو السياسي إذا لم يجعل حياته منذ أول يوم يحس فيه بمعنى الحياة نصباً دائماً ، وعاماً دائماً ، وتعباً متواصلاً ، وتضحية مستمرة ، لا يذكره الناس بالخير ، ولا يسجل التاريخ اسمه في عداد المصلحين ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة .

وإذا كان بعض المحدثين من المتأدبين يروضون يراعانهم على هذا النمط من الكتابة التي نشدها للسيرة المحمدية ، مستمينين بالزخرف البياني ، والأسلوب البلاغي ، والجرس القصصي ، فإننا نرجو أن يتولى تلك القيادة رجال الدين ، لأنهم أفدر على أن يرزوا السيرة في معرض فشب من الجمال والروعة ، والسحر والرائعة ، والإبداع والألق ، والخلاصة في الحسن ، والمهارة في التصوير ، لأنهم جهابذة الأدب ، وأساطين البيان ، وملوك الفصاحة ، ولكن شيئاً واحداً لا بد من توفره لتؤرخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ربما كانوا هم أعرف به من عداهم من أهل اللسان والمنطق ، ذلك هو فقه الدين ، الذي انطوت عليه تلك الحقبة المباركة من السنين والأعوام ، ولا أعنى بالفقه هذا الذي تضمنته الكتب مما يعرف بالمبادات والمعاملات ، إنما أعنى به حكمة التشريع ، وأسرار هاتيك التكاليف .

فحمد يموت أبوه وأمه ، وينشأ تلك النساء في رحاب الضحك والفقر

« ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى ، ثم لا يزال يدرج في مدارج الكمال فإذا هو مختار العناية الإلهية المهمة العظمى ، وعلى الرغم من إدعان قريش لعضله ونبله ، وأدبه وخلقه ، وحلمه وعقله ، تأبى عليه ذلك الاختيار ، وتصفه أنه يكون هو من دونهم صاحب هذا الشرف ، وحامل أعباء أمانة السماء إلى أهل الأرض ، لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، ثم يكون ذلك فاتحة تحبطهم ، وابتداء غوايتهم ، وطلية تمردهم ، ومطلع صادم الآثم ، وجورهم الظالم ، وطغيانهم المبين ... ويترك لهم موطنه الحبيب ، ومولده العزيز ، ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، . ولم يكند يستوطن دار الهجرة حتى يلاقى من رحابة صدور الأنصار ، واستعدادهم لتلقى دعوته بالقبول ، ما ينسبه ما تجرعه من قوم أرهقوه وكادوا له ، وحملوه على الفرار ، وساقوه إلى دل القربة ، ومضاغة البعد . وهو حين يستوثق من القوة ، ويتأكد من العلية ، ويوقن بالنصر ، يكر إلى البلد الذى لعظه ، والقوم الذين طاردوه ، لا ليتشقى بالفتح ، أو ينتقم بالفزو ، ولكن ليعلّمهم درسا من العفو عند المقدرة ، والصفح عن المذنب ، والجاوز عن هفوات المسيء ، وقد بحث حرازته ، وأذهبت حفيظته « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ...

وقد كان مع الشدائد التى تحمّلها ، والمتاعب التى صادفها ، والأهوال التى تشحّتها ، والأذى الذى استهدف له ، لا يرى إلا أنه فرد عادى يحتاج إلى رعاية الله إياه ، وحنّاه له ، وعنايته به ، لن يدخل أحكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتعبدنى الله برحمته » .

وما قصدت إلى التاريخ كما يقصد المؤرخون ، إن ذلك أمر شبع منه تلامذة المدارس حتى بشموا : بل أردت ما وراء التاريخ ، وأرجو أن أكون وصلت إلى ما أهدف إليه من جعل السيرة ، وسيلة لا غاية ، وروحاً لا جسماً ، ولباباً لا قشوراً ، والجمال فسيح ، والميدان واسع ، والموضوعات التى يقصد إليها الكاتب أكثر من أن يأتى عليها مقال ، أو يحصيها إحصاء صحيحاً حديث عابر ، وتفكير خاطف ، وكتابة عاجلة . وإذا كانت الشعراء يعملون من الهبة قُبّة ، ويخلفون من لا شئ شيئاً ، فما أحوجتنا بصدد هذه الدعوة الجديدة ، أن نستعين

بالتصوير الشعري ، وأن نستعيده للوصول إلى هذه الغاية النبيلة ، والمقصود الاسمي ، وقد رأينا أمثلة لذلك رائعة مما عالج هؤلاء في قصائدهم كشوق وغيره من فرسان القريض .. ولا علينا إذا جردنا تلك الحملة أقلاما مسددة ، وبيانا مصوبا ، وأدبا عاليا ، وبلاغة سامية ، فإن الأدب يقاد له الجراح ، ويلين به الشامس ، ويخضع لإرادته الأبى ، وإلا فما بال أبي بكر وقد أدهشه بيان النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ به سحر الفاظه يقول : بأبي أنت وأمي لقد طوّفت في الجماع ، واستمعت إلى الخطباء والشعراء ، فلم أر أفصح بيانا ، ولا أقوم لساناً منك يا رسول الله ، فيقول : أدبني ربّي فأحسن تأديبي . . . !

### حكم منشورة

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وفي المأثور : خير من العجب بالطاعة أن لا تأتى طاعة .

صاحك معترف بذنبه ، خير من باك مدل على ربه .

سيئة تسيئك ، خير من حسنة تعجلك .

وقال الحسن . ذم الرجل لنفسه في العلانية مدح لها في السرية .

وقال حكيم : من ذكر عيوب نفسه فقد زكاها .

وقال معاوية لرجل : من سيد قومك ؟ قال الرجل : أنا . فقال معاوية : لو كنت كذلك لم تهله .

وفي الحديث : إياكم والشرك الأصغر . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

وقال لقمان لابنه : احذر واحدة وهي أهل للحذر . قال : وما هي ؟ قال : إياك أن ترى الناس أنك تحشى الله وقلبك عاجز .

وفي الحديث : من أصلح سريره ، أصلح الله علانيته .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمرى في القياس بديع

لو كنت تضر حبه لأطعته      إله المحب لمن يحب مطيع

# نذير من الغرب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغي  
مدير دار الكتب الأزهرية

يعلم كثير منا ما يلقى الناصحون في مصر وبخاصة علماء الأزهر من مصاعب في سبيل دعواتهم الإصلاحية ، والتنبيه إلى الكوارث التي تنزل بالمنهج المصري من كثير من وسائل الترفيه واللغو ، ومن روايات السينما والفنيل بوجه خاص ، لأنها أصبحت من مألوفات الحياة ، بل من ضرورياتها لدى بعض الناس . وليس كثير منا خطر هذه الروايات على أولئك الشبان والشابات ممن يحول دون تبصرهم في العواقب ووزنها بميزان المنطق والعقل شيطان العاطفة ، وفورة الشباب ، والعاطفة شيطان قوى قاهر ، وللشباب سلطان سلط قادر .

ولا شك أن بعض ما تغمرنا به المدنية الحديثة من الاشرطة السينمائية والروايات الثقيلة له خطر على أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدها التي نعتز بها ، ويعترف بقدرها وحسن أثرها في سلامة الأسرة والمجتمع أهل النظر والعيرة من المصريين والأجانب .

ولا شك أيضاً في أن بعض هذه الاشرطة - وبخاصة التي تعرض للسلائل الجنسية - توجه الشباب وجهة لا يرتاح لها أهلهم ، ولا ترضى عنها أئمتهم ، وتمرضهم للانحراف الخاطئ ، وتفتح لهم سبل الغواية ، وترشدهم إلى وسائل الحصول إلى غاياتهم الدنيئة ، وترسم لهم طرق الفرار من المسئوليات الأدبية والقانونية .

وليس مما يحتاج إلى دليل أن كثيراً من العلاقات الآثمة بين الشبان والشابات التي انتهت بنتائج خطيرة تسببت في كثير من الأحيان عن مشاهدة الاشرطة السينمائية المساجة التي تخفي بقصص الحب الداعر والغرام الفاجر ، وتدفع إلى الانزلاق في مواطن الغواية ، بما تزين من لذائذ الحب ، وتشرح من أسباب الهيام ، وقلبا تخلق رواية من الروايات من ذكر الهوى والهيام ، والدواء والغرام ؛ بل إنه

في الغالب لحتها وسداها، ومبدوها ومتهاها. وناهيك بآثار ذلك في نفوس الشباب، وإلهاب غرائزهم، وإثارة عواطفهم. ولو أن ناعما أبان عن هذا الخطر لأولئك المفتونين بوسائل اللهو وبروايات السينما والتثيل بوجه خاص، لمزوا أكتافهم، وأنفضوا رءوسهم، واستهزؤوا به وتضاحكوا عنه، ونسبوه إلى الأجيال السابقة والتاريخ البعيد، واتهموه بالتزمّت والتعنّت والحذلقه والتغلسف وما إلى ذلك بما حفظوه ليجادلوا به عند الحاجة عذراً وإمياً وحبية داحضة.

ولكن قد يُقنع هؤلاء أن نروى لهم عن الغرب ما لمسه الغرب من أخطار هذه الاشرطة على ناشئتهم، مما دعا عقلاءهم ان ينذروا قومهم به، وأن يحذروا ناشئتهم منه، وقايةً لمجتمعهم أن ينفكك، ولاخلاقهم أن تتحل.

وما هو ذا نذير من نذر الغرب، نقله عن صحيفة من صحفهم الرشيدة، لعل فيه هؤلاء المفتونين ولغيرهم عبرة تستيقظ لها عقولهم، وترشد بها نفوسهم، وتبشّهم على أن يحاسبوا أنفسهم وأبائهم، فيقفوا من هذه الروايات موقف المتبصر الحذر لآخلاقهم وأخلاق المجتمع.

ذكرت جريدة المصري لمراسلها في لندن أن جريدة «افنچ استاند» نشرت مقالاً طويلاً حذرت فيه من عواقب الاندفاع في التريبة الجنسية خصوصاً بين الأطفال الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من عمرهم، وقالت: إن أكثر من فاجعة حلت بالشعب الانجليزي نتيجة لعدم التبصر وترك التعاليم الدينية جانبا والاندفاع وراء علماء العصر الحديث والداعين إلى التحرر.

ودلت الجريدة على صحة ما ذهبت إليه في قرية «ارثون ريفرز»، وقالت: لقد ظلت هذه القرية تعيش في سلام إلى عهد قريب أو إلى اليوم الذي عرض فيه فلم سينائي عن التريبة الجنسية، فلم يكدهم عرض هذا الفلم على فتيات القرية وفتياتها حتى بدأت الدعائم التي شيد عليها مجتمع القرية تهتز وتكاد تسقط فوق رؤوس أهلها، ولقد حدث الزلزال عند ما تردد في أنحاء القرية أن فتاة غير متزوجة لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها قد وضعت طفلاً وانتشر الخبر بسرعة في القرية.

وأجرى تحقيق دقيق أسفر عن اكتشاف حقائق روهت السكان وأدخلت الذعر في قلوبهم. فقد تبين أن ٤٧ فتى تراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والسابعة

عشرة قد ارتكبوا في اليوم التالي لمرض الفلم السينائي المذكور أعمالاً خارجة عن العرف، مع فتيات لم يتجاوزن الخامسة عشرة من عمرهن. وقال النائب العام في تأثر ظاهر: إن هذا الفلم قد ترك أثراً في نفوس الأطفال.

هذا بعض ما نشرته جريدة المصري نقلاً عن الجريدة المذكورة مما يسمع وقار مجلة الأزهر بنشره فقط، نسوقه كدليل بالواقع — وليس بعد الواقع دليل — لا لنفنع به هؤلاء المفتونين بمظاهر المدنية الحديثة فحسب، بل لتنفذ به آباء الفتيات والفتيان بالخطر الذي يهدد أبناءهم من الإسراف في مشاهدة ما يمرض من الروايات دون تمييز لها لا يحسن مشاهدته منها وما يحسن، ضنا بمستقبلهم، واحتفاظاً بهم عدة للوطن وذخراً للأمة.

## في الحروب

قبل القوائد المشهور المهلب بن أبي صفرة: ما أعجب ما رأيت في حرب الازارقة؟ وكان من قواد القواد على عهد عبد الملك بن مروان، فأجاب: فتي كان يخرج إلينا منهم في كل غداة فيقف فيقول:

وسائلة بالغيب عني ولو دوت مقارعتي الإبطال طان نحيبها  
إذا ما التقينا كنت أول فارس يهود بنفس أقتلتها ذنوبها  
ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلا أقعده، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك.  
وقال: هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة: هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو؟  
قال: ما سلبت من ذعر به على حيلة، ولم يغشني ذعر سلبني رأيي.  
قال هشام: هذه والله البسالة!

وقيل لعمرة: كم كنتم يوم الفروق؟ قال: كنا مائة لم نكثر فتكل، ولم نقل فتدل.

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حصين بن الحمام:  
تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أقدمها  
وقالت الحنساء:

يهين النفوس وبذل النفوس يوم الكريمة أتقى لها

# مكانة علم الأخلاق من الفلسفة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور وجب  
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

روى ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء أن «فلوطرخس» قال : إن فيثاغورث أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم <sup>(١)</sup>. وقال «بارتلي ساتهير» في مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس ترجمة عميد الفلسفة في الشرق أستاذنا الجليل «أحمد لطفي السيد باشا» قال : إن فيثاغورث لما سأله ليون طاغية «سيفويا» أجاب بأنه فيلسوف، وهو اسم لم يسمع من قبل.

وعلى ذلك يكون فيثاغورث أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم، وأول من أطلق كلمة فيلسوف على من يتأمل ظواهر الكون الإلهية الأبدية الأولية التي لا تتغير. وقد يكون من الحسن أن أنفل هنا كلمة فيثاغورث نفسه واضح هذا الاسم ففيها تحديد لمعنى الفلسفة والفيلسوف، قال :

« حال الناس في الحياة يسمون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون إلى الأعياد الرسمية؛ ففي جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين إليها أغراض مختلفة، أحدهم يقصدها لبيع فيها بضائعه مدفوعا بحب الكسب، وآخر لا يقوده إليها إلا حب المجد، والرغبة في أن ينال قصب السبق في القوة أو في المهارة، وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها إلا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات، ومجانب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع؛ كذلك في الحياة الناس الذين تضمهم الجمعية الإنسانية مشاغل متباينة؛ فمنهم المجرودون بمجاذب الثروة والتمتع التي لا تقاوم، وآخرون يملوك عليهم أمرهم بالطمع في السلطان والشرف وهما لا ينالان إلا بالحروب الحادة، والمنافسات التي تسفك الدماء

ولكن الغرض الاسمي للرجل هو إيمان النظر فيما في هذا الكون من الجبال المتووع الذي يقدمه لأنظارنا ، وبذلك يستحق عنوان فيلسوف . فن الحسن أن ينظر المرء إلى أقطار السموات الفسيحة ، يتبع سير الأفلاك التي تتحرك فيها على قدر غاية في النظام ، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا إلا بالمبدأ الممقول المجرد الذي يسير السكون ، ويحصي كل شيء عدداً ومقياساً ؛ فالحكمة تنحصر في التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الإلهية الأبدية الأولية التي لا تتغير . والفلسفة ليست إلا التتبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التي تثير الناس وتصلحهم .

والسبب الذي دفع فيثاغورث إلى وضع هذا الاسم ، هو اعتقاده أنه لا ينبغي أن تضاف الحكمة لغير الله ؛ فالحكيم وحده هو الله ؛ ولذلك استبدل كلمة حكيم بكلمة فلسفة ، فدعا نفسه فيلسوفاً أي محبا للحكمة . وكان اليونان الأولون الذين عنوانوا بالبحث عن حقيقة المادة التي وجد منها هذا الكون كطاليس الملمطي - نسبة إلى بلدة يقال لها ملطية في آسيا الصغرى ، وفي هذه البلدة انبثق أول شعاع من أشعة الفكر الفلسفي - وده أنكسندر ، وأنكسيمينيس ، كانوا يسمون أنفسهم « حكماء » . فأنكر ذلك عليهم فيثاغورث ، ودفعه تواضع العلماء إلى وضع هذا الاسم .

وعلى ذلك أيضاً تكون كلمة فلسفة كلمة يونانية ، ومشتقة من كلمتين اثنتين : الكلمة الأولى « فيلوس » ومعناها محبة . والثانية « سوفيا » ومعناها الحكمة . فيكون إذن معنى الفلسفة : هو محبة الحكمة . ومعنى الفيلسوف : محب الحكمة . وعرفت اللغة العربية لها ترجمت إليها كتب اليونان . وما يذكر عن فيثاغورث هذا أنه أخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام ، وكان يدعي أنه استعاد ما استفاد من مشكاة النبوة . ويمجد بعض المؤرخين مدة إقامة فيثاغورث بمصر باثني وعشرين عاماً اتصل فيها بكهنة مصر كما اتصل بالمجوس في بابل لما أسره عسكر قيز وسبق إليها . ولما رجع إلى وطنه - جزيرة ساموس <sup>(١)</sup> - وهو متقدم في السن ، أي كانت سنة ست وخمسين سنة على قول بعض المترجمين له فتح فيه مدرسة وظل السموسيون الفخوريون

بمواطنهم ، يعتقدون مداولاتهم السياسية قروبا عدة بعد ذلك في مجلس نصف حلقى  
مسمى باسم فيثاغورث . ويؤثر عنه أنه كان يقول : « كما أن بدء وجودنا وخلقتنا  
من الله سبحانه هكذا ينبغي أن تكون نفوسنا منصرفة الى الله » وكان يقول :  
« الأقوال الكثيرة في الله علامة تقصير الإنسان عن معرفته » .

أما أين ، ومتى ، وكيف نشأت الفلسفة ؛ فأقدم ما وصل إلينا من شواهد  
الفكر اليونانى « الألياذة والأودسه » المنسوبتان لهوميروس الذى يقول عنه بعض  
المؤرخين : إنه ولد وعاش يقياً على شطوط آسيا الصغرى ، وفي جزرها قبل  
الميلاد بنحو ألف عام . وإذا رجعنا إلى هاتين القصيدتين ؛ لنحكم بهما على الفكر  
اليونانى في ذلك الوقت استطعنا أن نقول : إنه كان يجرى وراء الخيال أكثر  
عما يجرى وراء العقل ؛ فهو يفسر ظواهر الكون بتشبيهات فيها سذاجة وإسراف .  
وإلا فكيف نفسر أن الأرض إله ، وأن هذا الإله ولد الجبال الشامخة والسماء  
المزدانة بالكواكب ، ثم تزوجت الأرض من السماء المحيطة بها من كل جانب  
فولدت لها إفيانوس والأنهار ، وأن أفيانوس هو المصدر الأول للأشياء .

وكيف نفسر أن الآلهة وكلهم في صور بشرية يؤلفون حكومة ملكية على  
رأسها « زيوس »<sup>(١)</sup> ، لا يرهون من البشر إلا من يتقرب إليهم كيفما كانت  
أخلاقه .

نسبر إلى الأمام قليلا إلى القرن الثامن قبل الميلاد ؛ فنسمع « هزود » في  
ديوانه « الأعمال والأيام » ينطق بكلام تسوده فكرة عامة هي فكرة العدالة ،  
فيقول : « السمك والوحش والطير يفترس بعضها بعضاً ؛ لأن العدالة معدومة  
بينها ، أما الناس فقد منحهم « زيوس » العدالة وهي خير وأبقى ، ويتقدم بنا الزمن  
فترى في اليونان رجالا نبغوا ، أشهرهم الحكماء السبعة ، وسواء ثبتت قصتهم أم لم تثبت ،  
فهم سولون ( ٦٤٠ - ٥٥٨ ق م ) ذلك المشرع العظيم ، فلقد وضع قوانين يدير  
الناس أممالم على مقتضاها . منها :

١ - كل إنسان ثبت عليه أنه لم يشتغل بحرفة ولاصنعة واتهم بذلك ثلاث  
مرات ؛ فإنه يفضح على رموس الأشهاد ، وكذلك كل ولد يذدر في أمواله ويحرم

أبويه من القوت إلا إذا لم يعلمه صنعة ، بخلاف الوالد إذا بخل بالإتفاق على ولده فإنه لا يعاقب بهذه العقوبة .

٢ - كل من اجتمع بالنساء المتبرجات الزواني وعاشرهن لا يكون من أرباب مشورة الوعظ أصلاً ؛ لأنه لا يؤمن على الأهالي .

٣ - كل من سكر من أرباب المشورة يعاقب بالقتل .

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا في عدد الحكماء السبعة فإنهم لم يختلفوا في جعل طاليس ( ٦٢٤ ق م - ٥٥٠ ق م ) منهم ، بل اتفقوا على أنه أول فيلسوف عرفته الدنيا ، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا ، وهو أول من حاول تفسير الكون لا بالأساطير والحرافات ، بل على أساس علمي ، وسواء نجح في محاولته أم لم ينجح ؛ فقد وضع الأساس بمحاولته الوصول الى حقيقة المادة التي وجد منها هذا الكون وانتهى الى أنها هي الماء .

وبعد قليل جاء فيثاغورث ( ٥٨٢ - ٤٩٧ ق م ) فغطت به الفلسفة خطوة جديدة نحو التفكير المجرد ؛ ذلك أنه انتهى إلى أن هذه المادة هي العدد لا الماء كما قال طاليس أو كما قالت مدرسة يونيا . وإذا كان طاليس قد جعل حقيقة الكون شيئاً مادياً هو الماء ، وخطأ فيثاغورث في مدرسته بالفلسفة خطوة نحو التفكير المجرد بقوله : إن أصل الكون هو العدد ، وبنى على هذا أن الواحد أصل الوجود . إذا كانت الفلسفة في يونيا بدأت مادية تعتمد على الحواس وحدها في الوصول إلى حقيقة الكون ، ودفعها بعد ذلك فيثاغورث دفعة إلى الفكر المجرد ؛ إذا كان ذلك كذلك ؛ فقد قبض الله للفلسفة من يدفعها إلى الأمام دفعة قوية في المدرسة الأيلية نحو التجريد على يد رئيسها - أكسينوفان ( ٥٧٠ ق م ) فقد وافق الفيثاغوريين على أن الواحد هو الأصل ، غير أنه لم يعجبه ذلك الواحد الحسائي ، بل جعل هذا الواحد هو الإله الذي لا يتعدد (١) .

ترك هؤلاء الثلاثة طاليس ، وفيثاغورث ، وأكسينوفان ، الذين هم من آسيا الصغرى ، والذين هم تقريباً متعاصرون في رفعة لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسخاً ، تركهم إلى سقراط الذي يعتبره الجميع واضع علم الأخلاق

[١] قصة الفلسفة اليونانية لصاحب المزة أحمد بك أمين والاستاذ ذكي نجيب محمود .

بمناء الصحيح . جاء سقراط فألم هذا المبدأ ، تعرف نفسك بنفسك ، وكان يفتخر في آخر حياته بأنه لا يجحد عنه ، وكان يرى من المضحك أن الإنسان يجحد من الوقت ما يفقه في الأشياء الخارجة عنه ؛ فله الفضل الأول في أنه وسع دائرة الفلسفة ؛ فجعلها بعد أن كانت قبله قاصرة على تفهم العالم أصبحت بفضلته تتجه الى تفهم الإنسان والعالم . أحس سقراط بتدهور الحياة الخلقية التي كان يحياها معاصروه ؛ فحاول أن يكشف لجيله ما حاربه جميع الاخلاقيين من بعده أن يكشفوه لأجيالهم ، أعنى المبادئ الخلقية المسلم بصحتها ، وانتهى الى أن الفضيلة أو الحياة الخلقية وليدة المعرفة ، أى أنها أمور يمكن تعليمها وتعلّمها .

وجه سقراط الفلسفة من البحث في أصل الكون الى البحث في الإنسان أيضا ، والبحث في الإنسان من ناحية عصمة الذهن عن الخطأ في التفكير يأتي علم المنطق ، ومن ناحية ما هو عليه يأتي علم النفس ؛ ومن ناحية ما يجب أن يكون عليه الإنسان يأتي علم الاخلاق ، الى آخر العلوم الفلسفية التي تتخذ الإنسان لها موضوعا ، فعلم الاخلاق على ذلك جزء من الفلسفة ، وجزء له خطره في هذه الحياة .

ولقد كانت الفلسفة في العصور القديمة تشمل جميع العلوم بلا استثناء . فالإلهيات ، والطبيعات وجميع العلوم بما فيها الهيئة والهندسة والحساب والموسيقى كل ذلك كان من مباحث الفلسفة وكل ذلك تبع الفسافة وناصرها ، وكذلك كان الحال أيضا في العصور الوسطى ، ولكن في الأجيال الحديثة أخذت العلوم تنمو شيئا فشيئا حتى اعتزلت الفلسفة ، وانقسمت المعارف البشرية على نفسها ، وتسميت أقسامها الى فروع خاصة متباينة . فهذا علم الطبيعة ، أو الرياضة ، أو الطب ، أو الفلك ، وبعد أن كانت كل هذه العلوم مباحث لشيء واحد هو الفلسفة أصبحت علوما مستقلة كما تراها اليوم . كل قد أخذ لنفسه ناحية يعالجها ويختصها بالبحث والدرس ، وتغير كل ذلك ، ولكن الفيلسوف لم يتغير ، فإنه سيقى دائما هو الذي يتأمل في الأشياء ويلاحظها ليفهمها ويفهم نفسه والناس .

# الحجرة النبوية

لفضيلة الأستاذ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

سائل الأفق عن مئاة المنظر أي صبح على عياه أسفر ؟  
 وسل الطير ما كفات على الروض تغاديه بالنشيد المعطر  
 صبح في سمها الغداة هتاف السكون ينساب بين ناي ومزهر  
 فسرت في مارب الأفق تحفا لحنانا إلى الربيع المدثر  
 نشوة تغمر الحياة وذكرى تستفز الوجود في كل مظهر  
 وقف العالم المحطم حيدا نال قلوبا إلى السموات تجاز  
 وعيوننا تسأل الغيب ماذا من وراء الهلال يخفي ويظهر ؟  
 رب زأغت عضولنا فشططنا واعتزنا بتصلنا فتكسر  
 وإذا جرّد الحسام ضعيف فعلى قمه يصول ويشير  
 رب ضلت آمالنا فأبعت التو رب ضاقت صدورنا فكشف الكبر  
 رب حارت هيوتنا في نواحي الأفق فارم ضاء طرف تحير  
 كم تغنى بالعقريه قدم يتساقى وهما إلى عرش عبقر  
 وأذهى المجد والبطولة وإن راح كاليث بالبطولة يراد

ذاك صوت التاريخ فلتسمع الد نيا لصوت من السماء تحدد  
هجرة المصطفى ورجع صداها كل مجد جبالها ليس يذكر

\*\*\*

من ترى ذلك الغريب بأرضي هي أوطانه وبالأمل تزخر  
أنكرته والحق فيها غريب ليس بدعا أن يستباح ويُنكر  
أرمف الليل سمعه لخطاه هامسات مما يخاف ويحذر  
واحتواه الظلام سراً من الله عليه عين العناية نهر  
ورمال اليداء مستبقات وقع أقدامه زحاما لتظفر  
كاد إشراقه يدل عليه بهجاً في لجمة الليل أقر  
والفضاء الفسيح يُنبئ عنه بأريج يفوح منه وعبر  
رب أنت الصبر إن عفى الأمل ومن يعصم بحبك يُنصر  
وطن الحق موطنك فلك الأمر كما شئت والقضاء المقدر

\*\*\*

من ترى ذلك الذي غير التنا ربح فتحاً وهو كسرى وقبصر ؟  
من ترى الفارس الذي أفرغ الأرمض وفي كفه اللواء المنشر  
من ترى الفاتح الذي طالع الوا دى بجيش من الشباب مجرد  
ذاك أم القرى طريدك بالأمس ومن يصطب على البأس يظفر  
إن الحق ساعة يقهر الباطل فيها مهما طغى وتجبّر  
اسمى يا شعاب مكة هذى هتفة النصر التي المؤزر  
واشهدى يا سما قد زلزل الشر ودوت في الأفق : الله أكبر !

..

أيها الشرق هذه قصة المجد فلا يزدهيك مجد مزور  
قد وعاما الإسلام عاماً نعاماً عظمة الدهر والمفاخر توتر

يا رفاق المباحية ظالم      لقاكم يرجى السلام المعطر  
 قد أذاب الحنين والشوق منه      عاقباً من بعدكم ينفطر  
 ولمدى الذكرى الشريفة فضل      ويد في اجتماعنا اليوم تُشكر  
 جمعنا كالطير بعد شتات      وأناحت لنا اللقاء الميسر  
 في ظلال النادي الحبيب التقينا      وهو أندى وردٍ وأكرم مصدر  
 واستعدنا بساحه ذكريات      في سجل الأيام تطوى وتُنشر  
 فرقنا الحياة في سبل العبد      ش وكنا في ظل أيك منصرف  
 معهد قد وفي لنا وعقنا      وما زال وافياً ما تكرر  
 وأب صادق المحبة ير      صاغه الله من حنانٍ وصور  
 قد تماني أبنائه وجفوه      ومن المهد ما يمان ويخفر  
 وإذا المرء حق معده لم      يرج منه خير لقوم ومضمر

\* \* \*

يا صباي هذا الندى صدام      فاجعلوه لصوتكم خير منبر  
 وابنوا صرحه ليعلن عنكم      وارفعوه يكن لكم خير مظهر  
 واقصدوه في كل حين ليزهى      بتلافيكمو جميعا وينفخر  
 كل قوم في مصر من غير ناد      لا يالون أى حق مقرر  
 نسب يقتضى إليه بشوه      لا تضيعوا أنساب مهور  
 كل الله بالعجاج مساعيه      ولا زال بالشيبة أنضر

# الصَّبغُ البِدِيعِي فِي مَدَرِّ السَّكَاكِي

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد موسى

المدرس بكلية اللغة العربية

كان المحي الذي نحماء عبد القاهر الجرجاني بأصباغ البديع ، أمثل المتاحي وأجلها ، وأعودها على هذا العلم بأحمد التاج وأطيبها ، إذ سلك به كما أسلمت مسلك المباحث التي يتقوّم منها أخواه : المعاني والبيان ، وجعل الحسن فيه ذاتيا أصيلا ، يتم الغرض بوجوده وينعدم بعدمه ، وأبرزه في معرض سليم العبارة مشرق الديباجة ، قوى التصوير ، ينيء عن ذوق أدبي معدوم النظير ، وقوة في التحليل والفوص على أسرار الأساليب ليس لها في بابها مثيل . فلما كانت أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجري أخذ البديع كزميله ينحدر رويدا رويدا الى هاوية الإسفاف والانحطاط ، ويفقد صبغته الأدبية التي أبرزته في معرض الإشراق والإعجاب ، ويتعثّر في قيود ضيقة قدّتها له المنطق ، وصاعتها له الفلسفة ، حتى صار همّ العلماء — مؤلفين أو دارسين — مقصورا على عدد ألوانه ، والاكتفاء بتحديد ما كما تحدّد السكليات المعروفة ، ثم سوق الأمثلة التقليدية التي يتوارثونها كابر عن كابر ، حتى أصبحت الكتب التي ألفت فيه بعد السكاكي كأنها كتاب واحد ، فن وقف على أحدها استغنى به عما عداه ، وذلك ما لم يكن له ظل في المدرسة الأولى . وقد زاده تعثرا على مرّ الزمن وقوعه قريبة للشارحين والمخشين ، والمفردين الذين يرون أن الخلق والتسمير إنما يظهران في العناية بالجدل الذي لا يفيد وافتراض الاعتراضات والشبه . ثم الاشتطاط في الإجابة عنها ، وما الى ذلك ، ما قضى على البديع ، وذهب بروعته الأدبية ، وأورده موارد العقم والجود .

وكان زعيم هذه الحلية، ومتمهد هذه الطريقة - سراج الدين أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، شهد له ابن فضل الله في المسالك قال : « ذو علوم سعى إليها لخصل طرائقها ، وحضر تحت جناحه طوايقها ، وامتدز للعاني امتزاز الغصن للبارح ، ولز من تقدمه في الزمان لز الجذع الضارح ، فأضحى الفضل كله يرم بعنانه ، وينم السيف ونصله بسنانه »<sup>(١)</sup> ، وقال أبو حيان في الارتشاف : « كان علامة بارعا في فنون شتى خصوصا المعاني والبيان . . . »<sup>(٢)</sup> . وقد نهل السكاكي وحل من إملاء موارد عصره ، فتلقى الفقه عن سديد بن محمد الحياطي ، ومحمود بن صاعد الحارثي شيخ الإسلام ، وهما من علماء الفقه على مذهب أبي حنيفة ، سوى أن الذين ترجعوا له على وفرتهم لم يعرضوا لشيخه في العربية ، ولعلمهم أغفلوا الإشارة إلى اعتماداً على تصريح السكاكي به في غير موطن من المفتاح : فقد قال : « وأرى أن شيخنا الحاتمي ذلك الإمام في أنواع من النور الذي لم يسمع بمثله في الأولين ، ولن يسمع به في الآخرين ، كسأه الله حلل الرضوان ، وأسكنه حلل الروح والريحان ، كان يرى هذا الرأي »<sup>(٣)</sup> . ولا نعرف من أمر الحاتمي أكثر مما ذكره السكاكي ، ولم يتناوله أحد من شارحي القسم الثالث من المفتاح سوى أن سعد الدين التفتازاني قال في شرح ذلك القسم : « إن الحاتمي يلقب شرف الدين ، وهكذا تجد السكاكي يطريه ، ويشيد بعلمه ، ويشهد له بالتفوق والتبريز في غير موضع من كتابه : ولا نفي لإفادته من كتب السابقين ولا سيما كتابا عبد القاهر الجرجاني .

وأيضا ما كان فقد نبغ السكاكي في فنون شتى ، وخلف آثارا كثيرة . وكان من أخطرها شأنا ، وأبعدها صيتا كتاب « مفتاح العلوم ، الذي رزق من النشرة والرواج واشتغال الناس به اختصاراً وشرحاً وتحريراً ونظماً ، ما لم يرزقه كتاب كان قبله أو بعده من كتب العربية : أما الباعث على تأليفه فذلك ما يحدثنا

(١) نفيه الرواة للسيوطي ٤٢٥ .

(٢) نفيه الرواة ٤٢٥ .

(٣) مفتاح العلوم ٢١٨ .

به السكاكي : يقول : « واعلم أن علم الأدب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الأوضاع وشيء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف النمام ، أما إذا خصت فيه لهمة تبعتك على الاحتراز عن الخطأ في العربية وسلوك جادة الصواب فيها ، اعترض دونك منه أنواع تلقى لأدماها عرق القرية ، ولا سيما إذا انضم إلى هنك الشغف بالتلقى لمراد الله تعالى من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهناك يستقبلك منها ما لا يعد أن يرجعك القهقري ... وهكذا يستمر في الكشف عن الخواطر التي أيقظت مهته ، وشغذت عزيمته ، إلى أن يقول : « ورأيت أذكياه أهل زمان الفاضلين الكامل الفضل قد طال إلحاحهم عليّ في أن أصنف لهم مختصراً يحفظهم بأوفر حفظ مه ، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي ، صنف هذا ، وضمنت لمن أتته أن يفتح عليه جميع المطالب العلمية ، وسميته «فتح العلوم» .

وقد استودع السكاكي كتابه المفتاح من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رآه لا بد منه للأديب ، فضمنه علم الصرف بتمامه ، وبين أنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة ، وقد كشف عنها القناع ؛ ثم أورد علم النحو كاملاً غير منقوص ، وبين أن تمامه بعلمي المعاني والبيان ، ثم بين أن تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال فأتى بهما . ولما كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفاً على ممارسة باب النظم وباب النثر أوردتهما في كتابه ، ثم لما كان صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ثنى عنان القلم إلى إيرادهما ، ثم أشار إلى أنه ما ضمن كتابه كل أولئك إلا بعد تمييز بعضها عن بعض التمييز المناسب ، وتلخيص الكلام هل حسب مقتضى المقام والتمهيد لكل من ذلك بأصول لائقة ، وإيراد الحجج المناسبة ، وتقرير ما صادف من آراء السلف بقدر ما تحتمله من التقرير ، مع الإشارة إلى ضروب مباحث قلت عناية السلف بها ، وإيراد لطائف مفتنة لم يعرض لها أحد من قبله .

هذا ، وقد قسم السكاكي كتابه إلى ثلاثة أقسام .

أما القسم الأول : ففي علم الصرف ، وأما الثاني ففي علم النحو ، وأما الثالث

فنى على المعاني والبيان ، ولكن الذى نال الحظ الاوفر من الشهرة ، ورزق سعادة الجسد وحسن الطالع ، واستعوز على موفور العناية من الناس ، وكان محل الرضا ، ومهوى الانفس ، وموطن القداسة والإجلال منذ ظهر إلى الوجود إلى زماننا الحاضر ، بل إلى أن تقوم الساعة ، هو القسم الثالث فى علم المعاني والبيان ، ذلك أنه نحا بالبلاغة نحواً جديداً لم ينح على هذا الوجه من قبله ، لجرى على طريقة من الضبط والتقسيم ، والتجديد والتدرج فى توليد المسائل اللاحقة عن المسائل السابقة ، والإحالة على قواعد العلوم الأخرى ، والكشف عن سر انحصار العلم فى أبوابه ، أو الباب فى مسائله .

واقراً إن شئت فصلاً عقده لصيغ معاهد علم المعاني (١) ، واستعرض هذا القسم من الكتاب تراه قد أجمع فى الغوص بقواعد البلاغة إلى أعماق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة ، وجرى فى ذلك إلى غاية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف ، كانت أولى الخطوات الواسعة بعد قدامة بن جعفر فى النزول بالبلاغة إلى هذا المدرك الشائن الذى نرى عليه البلاغة الآن .

واقراً للتدليل على ذلك مثالا من أمثلة كثيرة قوله فى المقدمة : « وأنت تعلم أن المفرد متقدم على أن يؤلف ، وطباق المؤلف للبنى متأخر عن نفس الأليف ، لا جرم أنا قدمنا البعض على هذا الوجه وضما لدوثر تقدمه استحققه ، ومثالا آخر : قال : فى أول علم المعاني : « ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا يفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخير ، . . ومثالا ثالثا : « وأما الحالة التى تقتضى وصف المعروف وهى إذا كان الوصف مينا له كاشفا عنه كما إذا قلت الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشعله ، .

وهكذا إذا قرأت ما اخترعه فى الجامع بين الجملتين من باب الفصل والوصل ، وما ابتدعه فى تقسيم وجه التشبه من باب التشبيه حيث بناء على قواعد الحس المشترك ، وما قدمه بين يدي علم البيان من حديث الدلالات العجماوات ، اطمأنت إلى صدق ما نقول من أن السكاكى أول بيان على هذه العلوم بصلاح

المنطق والفلسفة على هذا النحو المسرف العالى الذى رأينا ينوره الأولى عند قدامة بن جعفر فى نقد الشعر ، فأمن فيه السكاكى ، واستحسن ورعه ، واستحل مذاقه ، حتى ساعى أن أحكم مطمئنا إلى هذا الحكم — بأن البلاغة قد ودعت عصرها الذهبى الحافل بالذوق الأدبى باطواء صفحة أستاذها الذى برز السابقين ، وأعمل اللاحقين : الشيخ عبد القاهر الجرجاني .

وقد صادفت هذه الطريقة رواجاً عند المتأخرين ، فأسرفوا فى استخدامها حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ جمهورها أنك أمام عدة علوم قوامها المطق ، والفلسفة ، وعلم الكلام ، وما إلى ذلك ؛ فأما البلاغة فالغناء عليها وسط هذه الإخلاط ، أو قل إن شئت : فأما البلاغة فبى كالبرق الخاطف بين هذه السحب المتركة ، يبدو قليلاً ثم يختفى كثيراً .

كان ذلك شأن الذين خلفوا السكاكى وتملأوا من طريقته إلا قليلاً من رحم الله فى أوقات قليلة .

اقرأ قول سعد الدين التفتازانى فى المطول بعد أن أفاض بما فتح الله عليه فى شرح مقدمة علم البيان : « هذا هو الكلام فى شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى ، وأنت خير بما فيه من الاضطراب ؛ والأقرب أن يقال علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه ، والمجاز ، والكناية ؛ ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التى أوردتها فى صدر هذا الفرص<sup>(١)</sup> . وقرأ قوله كذلك فى التعليق على أقسام التشبيه — وأعلم أن أمثال هذه التسميات التى لا تنفرع على أقسامها أحكام متفاوتة ، قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكى بإطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فلهذا در<sup>(٢)</sup> الإمام عبد القاهر ، وإحاطته بأسرار كلام العرب ، وخواص تراكيب البلقاء ، فأنه لم يرد فى هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها<sup>(٣)</sup> .

أما أسلوب السكاكى فقد كان برزخاً بين المتقدمين الذين جمعوا فى مناهجهم بين العلم والعمل ، وبين المتأخرين الذين أوردوا البلاغة موارد العلوم الجدلية

النظرية، واكتفوا منها بتحديد الألوان كما نجد ألوان العروض أو ألفاظ اللغة، وجروا في هذا الميدان شوطا بعيدا متسابقين في الاختصار المخل، أو الإطناب الممل، والجرى وراء ما لا يجدى البلاغة أو يفيدها من قريب أو من بعيد؛ لذلك كان السكاكي كثيرا ما ينزع إلى الغموض والالتواء، ويكثر من الجمل المعترضة التي تضطر القارئ إلى الوقوف حيالها زمنا قد يطول، مستوحيا فكره في حلها بادلا جهده في الجمع بين تلك الجمل وهذه التراكيب المتناكرة المتنافرة.

ولعل ذلك هو السر في أنه أول كتاب في العربية استفد الجمهور الكثيرة، وشغل الأقلام العديدة في الشرح والتبيين، والتوضيح والتقرير، وقد أحسن السكاكي نفسه بالغموض إشيع في جنبات كتابه، فعزم على إسماء حواش على هذا الكتاب لبسط ما أجمله، وتوضيح ما أبهمه.

اقرأ قوله في مقدمة مفتاحه، وهأنذا على حواشي جارية مجرى الشرح للواضع المشكلة، مستكشفة عن لطائف المباحث المبهمة، مظلمة على مزبد تفاصيل في أماكن تمس الحاجة إليها<sup>(١)</sup>. ذلك ما صرح به السكاكي بنفسه في كتابه، غير أن من عرضوا للكتاب بالاختصار أو الشرح لم يذكروا شيئا عن هذه الحواشي، ولعل المنية عاجلته قبل أن ير بهذا الوعد، وينجز هذا العزم.

قول هذا الحقيقة والتاريخ، وذلك لا ينسبنا ما أفادته البلاغة على يد السكاكي من حسن التنسيق والتبويب، والدقة في التقسيم، والمهارة في التفصيل، وإتقان التمييز بين مباحث علم المعاني وعلوم البيان، فإن هذا مما يحمده تاريخ البلاغة للسكاكي، ولا نكون مغالين إذا قلنا: إنه لو سلم هذا القسم من مزجه بالعلوم العقلية، ومن إخضاعه للجدالات الافتراضية، لكان هذا من خير المؤلفات البلاغية التي تعين من حرموا السليقة الأدبية على فهم كتابي عبد القاهر الجرجاني.

أما لماذا حصر السكاكي البلاغة في علمي المعاني والبيان ولم يحصل البديع علما على حدة واستقلال، فذلك ما سنعالجه في كلمة تأتي إن شاء الله ٩

# الالتزامات المركبة

لفضيلة الأستاذ الجليل صالح بكير

المدرس بكلية أصول الدين

بيننا فيما سبق الالتزام في حد ذاته ، ولكن هذا الالتزام قد يقيد في بعض الأحيان بقيد من القيود ، ويسمى في مثل هذه الحالة بالالتزام المركب . وهذا القيد قد يكون شرطاً أو أجلاً أو تحييراً أو بدلاً أو تضاماً .

الشرط : هو تعليق الالتزام على أمر محتمل الوقوع . فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط . وهو على نوعين : توقيني أو فاسخ . فالـ توقيني ما يترتب على تحققه ووقوعه نشوء الالتزام ووجوده . والـ فاسخ ما يترتب على تحققه سقوط الالتزام الذي كان قائماً وزواله مع جميع آثاره .

فثال التوقيني أن يتعاقد شخص مع شركة تأمين الحريق ؛ ملتزم الشركة بدفع مبلغ معين من المال إذا حصل حريق ؛ فوقوع الحريق أمر احتمالي ؛ فإذا وقع الحريق وجب على الشركة دفع المبلغ المتفق عليه . ومثال الشرط الفاسخ بيع الوفاء وهو أن يبيع زيد لعمرودارا ويشترط زيد على عمرو أن البيع يكون مفسوخاً إذا رد الثمن في مدة معينة ؛ فإذا رد الثمن في المدة المتفق عليها انفسخ البيع .

والشرط قد يؤثر في صحة الالتزام فيبطله أو يجعله فاسداً غير صحيح . فـ ما يؤثر في صحة الالتزام : الشرط المستحيل حقلاً أو عادة بأن كان غير ممكن كلبس السماء مثلاً . ومثل هذا الشرط يبطل عقود المعاوضات إذا كان شرطاً توقيفياً ، ويعتبر لغواً بالنسبة لعقود التبرعات ، فيصح العقد ويلغو الشرط . وإن كان الشرط فاسخاً فإنه يعتبر لغواً بالنسبة لجميع العقود .

وكذلك الشرط المخالف للقانون أو للظام العام أو للآداب الفاضلة ، يبطل عقود المعاوضات ويكون لغواً بالنسبة لعقود التبرعات .

وأيضاً مما يؤثر في صحة الالتزام الشرط الإرادى، وهو الذى يוכל فيه الأمر المشروط لإرادة المدين، يعنى أن تنفيذ الالتزام مرهون بإرادة المدين واختياره إن شاء نفذ وإلا فلا، كتمهيد يبيع دارى إذا أردت أنا. فقل هذا الشرط يؤثر في صحة الالتزام ويبطله إن كان شرطاً توقيفياً ويكون لغوا إن كان شرطاً فاسخاً فيصح الالتزام ويلغو الشرط، ومع هذا إن كان الشرط الإرادى قد ترك لإرادة المدين وظروف الأحوال كتمهيد شخص بعمل شيء عند القدرة عليه، أو إذا تحسنت الأحوال والظروف وما أشبه ذلك، فإن الشرط يكون صحيحاً جائزاً.

آثار الشرط : طالما أن الشرط التوقينى لم يتحقق ويحصل الحق الدائن ما زال معدوماً، وكذا لا يجوز له أن يطالب مدينه بالوفاء، كما أن للمدين حق استرداد ما دفعه خصماً قبل حلول الشرط، ومع هذا فالدائن حق اتخاذ الإجراءات اللازمة لأجل المحافظة على حقوقه.

وتنتقل حقوق الدائن لورثته إذا حصلت وفاته قبل تحقق الشرط وأما إذا تحقق الشرط فقد نشأ الالتزام ووجد، وترجع آثاره إلى يوم التعاقد. وأما إذا تخلف الشرط بأن لم يتحقق وقوعه كما إذا شرط التمهيد بزواج فلان فأت فلان هذا، فإن التمهيد يعتبر كأن لم يكن وكأله لم يوجد التزام. هذا إن كان الشرط توقيفياً وإلا فالالتزام باق وقائم إن كان شرطاً فاسخاً.

الاجل : هو أمر مستقبل محتم الوقوع يترتب على تحققه وجوب تنفيذ الالتزام أو عدم تنفيذه. فهو نوعان: توقينى وفاسخ. فالتوقينى هو ما يترتب عليه تأجيل تنفيذ الالتزام، والفاسخ ما يترتب على وجوده زوال الالتزام وانعدامه. وعائدة الاجل قد ترجع إلى المدين وحده، وعلى هذا يجوز له التنازل عنه؛ فيصح له الوفاء بما تعهد به قبل حلول الاجل، وقد ترجع العائدة للدائن والمدين معاً. وفي هذه الحالة لا يستطيع المدين التنازل عنه إلا برضا الدائن أو أن يدفع له تعويضاً.

سقوط الاجل : إذا أفلس المدين أو أضعف التأمينات المتفق عليها بينه وبين الدائن فإن الاجل يقط ويجب الوفاء بالالتزام وتنفيذه فوراً. وهناك نوع من الاجل يُسمى بالاجل القضائى أو بالمهلة القضائية وهو ما

يمنحه القاضي للدين لأجل الوفاء بالزامه، ولكن في حدود وشروط بحيث لا يترتب على المنع ضرر بالدائن .

الفرق بين الأجل والشرط : الأجل أمر محتم الوقوع، وأما الشرط فأمر محتمل الوقوع، كما أن الالتزام في الأجل موجود وقائم، وإما التنفيذ هو الذي يؤخر فقط إلى حلول الأجل، وأما في الشرط فالالتزام غير قائم في التوقيني وعلى خطر الزوال في الفاسخ. ومن المروق أيضا أنه لا يجوز للدين استرداد ما دفعه خطأ قبل حلول الأجل التوقيني بخلاف ذلك في الشرط التوقيني، وأخيراً إن الشرط له أثر رجعي يرجع ليوم التعاقد، وأما الأجل فآثره في المستقبل.

الالتزامات التخيرية : هي التي يكون فيها محل الالتزام أموراً متعددة تبرا ذمة المدين بالوفاء بواحد منها على حسب اختياره ورغبته ؛ كأن يتعهد بإعطاء قطار من القطن أو ثلاثة أرادب من القمح ، فذمة المدين تبرا بالوفاء بواحد منها . وحكم الالتزام التخيري أن الخيار يكون للدين ، إلا إذا وجد نص قانوني أو اتفاق على أن الخيار للدائن .

ويلاحظ : أنه إذا كان أحد الأمرين المخير بينهما مخالفاً للقانون أو غير مشروع أو هلك ، وكان في هذه الحالة الخيار للدين ، فيتين الوفاء بالأمر الآخر . ولكن إذا كان الخيار للدائن وذلك أحد الأمرين المخير بينهما للدائن طلب التعويض أو الوفاء بالأمر الآخر . وأما إذا هلكت الأشياء جميعها فللدائن طلب التعويض لأي واحد منها .

الالتزامات البدلية : هي ما كان فيها محل الالتزام شيئاً معيناً بذاته ، ولكن يُرخص للدين أن يُبري ذمته بالوفاء بإعطاء شيء بدله ؛ كأن يوصي شخص لغير وارثه بعقار ، ولكن يُرخص لورثته بأن يعطوا بدلاً عنه مبلغاً معيناً من المال . وكهلاك الرهن ، فإنه يجب على المدين أن يقدم فوراً رهماً آخر يبدل المالك .

والفرق بين الالتزامين التخيري والبدلي ، أن فيه جميع الأشياء ، بينما في الالتزام البدلي شيء معين بذاته ، لكن تبرا ذمة المدين بإعطاء شيء آخر بدله ، كما أنه لا يجوز للدائن أن لا يطالب إلا بالشيء الأصلي ، فلو هلك هذا الشيء بأفة سماوية برئت ذمة المدين ، وليس للدائن أن يطالب بالبدل ، كما أنه إذا كان الشيء الأصلي محظوراً بطل الالتزام كله .

## الشعر في عصر إسماعيل

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حسين القار  
المدرس بقسم البحوث الإسلامية بالأزهر

لقد شاعت النهضة في كل مرافق الحياة في ذلك العصر، وامتدت إلى جميع نواحيها، وأثمرت تلك المراس التي بذرت بذورها، ومهدتها، لإسماعيل، فذنت قطفها، وطاب حياها، وآتت أكلها، وأخصب مرعاها، فذنت العقول، وقفت الاباب، وفسحت أمامها أفق النضوج، ومجال التفكير، واتسع نطاق العلوم الجديدة والفنون الحديثة في هذه الديار، وكانت العربية الدائرة على ألسنتهم إبان ذلك غير كافية في ترجمة هذه العلوم ونقل تلك الفنون؛ فولوا وجوههم شطر كتب الأقدمين التماساً لبعض الالفاظ الفنية، والمصطلحات العلمية، فإذا هزم ذلك فطروا هم مصطلحات وابسكروا ألقافاً. على أن تلك الاغراض العلمية والفنية التي لفتتهم إلى كتب الأقدمين، نفخت فيهم روح التطلع إلى آثار السابقين عامة، ولا سيما ما كان منها في أبواب اللغة والأدب فراعهم نسجها وراقهم بيانها، وما لهم أسلوبها وبهرم شأنها، فأكبوا على دراستها، وطبعوا طائفة منها، وكان في مقدمة ما طبعوه كتاب «كليلة ودمنة»، لابن المقفع. ومنذ ذلك الوقت أخذت النهضة الأدبية تسير سيراً حثيثاً نحو إحياء الأدب القديم، والتوفر على مراجعته؛ فسرت روح الحياة إلى كتب الأدب العربي العريق بما فيه من شعر جاهلي وإسلامي، وأموي وعباسي، في أنضج عصور العربية وأزهاها؛ ولكن ذلك كله لم يزحزح الشعراء الكلفين بالقديم قيد أنملة عما التزموه من أغراض ورثوها فأنعموها: من مديح ورثاء ونسب متكلف أو هجاء، ولم يصرفهم عما أسرفوا فيه من اقتصاص جناس أو مقابلة، وتصيد تورية أو مشاكلة.

يقتسرون الكلام على ذلك اقتساراً ويضمثونه بعض أنواع البديع عنوة واقتدراً غير مكتفين بما يرسله الخاطر إرسالاً ، أو تدثر به قرائحهم غفواً وارتجالاً .

وإذا بالبارودي رحمه الله ينض بالشعر نهضة أحييت دولته ، ويثب به وثبة ردت صوته ؛ فأرسله جزل العبارة ، غم الأسلوب ؛ فأسر به الألباب ، وسحر القلوب ، وطار به في سماء المتقدمين ، وحلق في أفق الجاهليين والإسلاميين ؛ فحز حب المنافسة أو الرغبة في الاحتذاء ، بعض معاصريه من الشعراء ، إلى محاولة أن يفروا غريبه ، وأن يرقوا رقيه ، وكان لابد لهم لكي يعدوا أنفسهم للجولان في تلك الحلبة والعيال في ذلك الميدان ، من استنظار أشعار الفحول السالفين : من جاهليين وإسلاميين ، فسمت مداركهم ، وثقت ألسنتهم ، وقويت ملكاتهم ، ونبل قريضهم وقلت هياتهم ، وأخذوا يتحرزون عن النحاس المحسبات البديعية والجهد في إيرادها ، وسوق بعض الآيات لمجرد اصطيادها ، جرياً على ما كان مألوفاً بين إخوانهم السابقين والمعاصرين ، فتحلوا من هذا كله ، ونسجوا على منوال الأقدمين ؛ فأنى نسجهم متلاحماً ، مشرق الديباجة لحنة الجزالة والرصانة ، وسداه الرقة والإبانة .

هذا وإن البارودي مع سمو أدبه وعلو كعبه ، لم يبعد أغراض السابقين ، ولم يرم إلى غير أهداف الأقدمين : من غزل ونسب ، ومدح أو تشبيب . أو إطراء أو هجاء ، أو غفر أو رثاء ، ووصف إلى حد ما ، أو بكاء ديار ، ووقوف يد من وآثار . فإذا كانت أغراض الشعر قد اتسعت بعد ذلك رقعتها ، وبسقت على مر الأيام دوحتها ، وتفرعت أفنانها ، وتشعبت أغصانها ، فلقد كان كل هذا رويداً رويداً ، وسار الشعر في تلك السيل وثيداً فلم يستطع مجازاة الشر الذي كان أسبق تطوراً ، وأقوى منه إلى مسرح الارتقاء سيراً إذ هو قوام التفاهم بين الناس تحفزه إليه ضرورة مطردة ، وتدفع إليه حاجة لازمة خالدة . وأما الشعر فهو شيء كالأى ليس فيما يعرض للناس من شئون ملجئة إليه ، ولا فيما يدور بينهم من أسباب حامل عليه ، وما جنح له بعض الأدباء إلا لتسجيل عاطفة تساورهم ، أو خيال درت به خواطرهم ، أو للتسرية عن النفس بشكاة فاضت بها قلوبهم ، أو حرقة أفضت بها جنوحهم ، وقد يزورون له رداء العاطفة حتى في المدح والهجاء ، والتهنئة والرثاء ، أو غيرها من أغراض ، وليس معنى هذا أنه لا يأتى فيما تحفز إليه ضرورة

أو تدفع إليه حاجة ؛ لا فلقد تدعو إليه بعض عظماء الامور ، وقد تحمل على التماس جلي المواقف ؛ كسأريث نار الحناسة ، واستتارة كامن الشجاعة ، وإلهاب مشاعر الناس ، وبعث روح الحمية في نفوسهم ، واستنهاض هممهم . وشجذ عزائمهم لخوض غمار حرب أو رد عادية عدو ، أو لثيبت دولة ، والذود عن حياضها ، والكفاح دون حرمها وأرباضها ، والإبانة عن حجبها ، والترام محبتها أو لمنافضة دولة أخرى والحروح على سلطانها ، والتبرد عليها والإنفاص من شأنها ، أو حث الناس على المساهمة في عمل نافع يعم خيره ، أو يخص أثره .

ولكن " هذه البواعث البسيرة التي تحمل آوبة عليه ، وتدفع أحياناً إليه ، كانت غير كافية لأن تريم به من مكاه ، أو تعدل به عن تميدانه ؛ فترفع به في مرتبة الاحتياج إليه الى مكاة الشر الذي لا غى للناس عنه ، ولا بد لهم منه ؛ فكان النهوض الأدبي بالثر تالياً للهمسة العلمية ؛ لقيام الحاجة الى ترجمة المعاني ونقل المسلولات وتحديد الألفاظ الفنية ، واستخراج المصطلحات العلمية ، فكان الشعر بطبيعة الحال أسبق من الشعر توثباً ، وأسرع منه نهوضاً ؛ إذ لبث الشعر يتمثر في أذيال الجرد والتكلف حتى أتاح الله له البارودى ، كما أسلفنا ، فرفع لواءه ، وشاد بناءه ، وتبعه قومٌ توفروا على الأدب القديم حياً في مجاراته ، وتوسلا الى محاكاته ، فأضنى عليهم القديم رداه ، وأسبغ عليهم حسنه ورؤاه ، ولكنهم أسرفوا في المحافظة على ألفاظه ومبانيه ، والتزام الجرى في حين أغراضه ومعانيه ، برغم أن بعض هؤلاء قد اطلع على ثقافات الغربيين ونهل وكل من آداب الثلاثينين ، وليس يشكر فصل هؤلاء في إنهاض الشعر بعد طول ركوده ، والدأب على انتشاله من وهدة خوده ، ولكت إخواناً لهم آخرين قد طاروا الى مثل سماتهم ، وحلقوا في مثل جوائهم ، إلا أنهم فاقوهم بما عُنوا به من التجديد والابتكار ، وبما نزهوا اليه من كل طريف أتاح للشعر العربي الانعاش والازدهار ؛ فهم مع علو كمهم في الآداب العربية قد رَوَّوا نفوسهم من الآداب الغربية والثقافة الأوروبية ؛ فزجوا على حد تعبير بعض الأدباء ، بين الثقافتين ، ونفخرجوا في المدرستين ، ا هـ .

فجلبوا لنا من فردوس أدب الغربيين جماً وفيراً من أزهاده ، وأجروا في بحار آدابنا العربية فيضاً غزيراً من سلسله ونعميره ، وفسحوا ما شاء الله لهم

أن يفسحوا من رقعة أغراض الشعر العربي ؛ ليجالوا به في كل مجال ركض فيه الشعر الأوروبي ؛ فأثروا به على كل ما أتى عليه الغربيون بشعرهم من وصفٍ لآخر ما تمنحض عنه العلم الحديث من ابتكار واختراع ، ومنتهى ما وصل إليه العقل البشري من تفننٍ وابتداع .

فن وصف لسفينة البحار ، إلى إشادة بالطيارة والقطار ، ومن جولات في الحجاب والسفور ، إلى تفنن بحكم الشورى و الدستور ؛ ومن زهو بالبوراج التركية . إلى إعجاب بالآهرام المصرية ، ومن خوض كذلك في تكليل أنقرة ، إلى حديث عن مدينة الاسكندر أو مجد القاهرة . ثم إلى تأنيب المكرومر ، أو نقد لمشروع ملتر ، إلى افتخار بالجامعة وتوحيه بالأزهر . ومن تعريج على الجانب القصصى . بهذا الفتح الجديد ابتكار الشعر القليل جرى هؤلاء المجددون في تلحم الميادين ، ولم يألوا جهداً في اقتراع أروع المعاني من نبات أفكارهم ، وأبرع الأساليب من عرائس ابتكارهم ، وكان لابد لأصحابنا هؤلاء وقد زاحوا الغربيين بمناكبهم ، ونافسهم في سراي قريضهم وأخيلة أدبهم ، من النقاط الفاظ العجمية ، وإفحام كلمات أجنبية ، كما في أسماء الأماكن والأشخاص حين لا ترجع لها فلا يحيد عنها . والامثلة على ذلك قائمة ، في قصيد مسجد أيا صوفيا ، أو قصر يلدز ، أو جسر البسفور ، أو غاب بولونيا ، وعلى رسم نابليون ، وذكرى كرنارفون ، وكذا توت عخ أمون . الخ .

هذا وإن أشعر أولئك المجددين غير مدافع ، ذلك الذي انتهى إليه لواء إمارة القريض بلا منازع ، شاعر الملوك والأمراء وأمير الشعر وسيد الشعراء أحمد شوقي بك ، الذي دانت له دولة الأدباء ، وعنت لعبقريته العذة وجوه الشعراء ، فبايعوه في حفل رسمي بالإمارة عليهم جميعاً في إشادة وتوحيه واحتماء ، واعتزاز بتيك المبقرية النادرة وإعجاب وخيلاء .

وعشيئة الله سبحانه سأحاول في مقال تال أن أعرض لجانب من شاعرية هذا الأمير الجليل : أمير شعراء هذا العصر ، ومفخرة القريض في كل جيل ، والله المستعان .

# الاسلام دين الامن والعمران

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ علي رفاهي  
مفتش الوعظ

الله سبحانه في ملكته نظامه ، وله حكمته وأحكامه ؛ أراد لها العمران تخلق فيها  
بنى الإنسان ، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى ، وبهاهم عن التعاون على الإثم  
والعدوان ، ليؤدوا رسالتهم الإنسانية في هذا الكون على مقتضى ما يليق بهم  
كذوى عقول وأسماع وأبصار ، يدركون بها سر الحياة ، وقيمة الوجود ، وحقيقة  
العمل ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ، ، ويخبر لكم ما في السموات  
وما في الأرض جميعا منه ، ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله  
لا تحصوها . .

رسم للناس طريق الخير ، وهيا لهم ميل التوفيق ، وحذروهم مما يعود على أفرادهم  
ويجتمعهم بالأذى والضرر مما ينخص عليهم الحياة ، ويكدر صفو العيش ، ويباعد  
ما بين القلوب ، حتى إن جميع الديانات التي نزل بها وحى السماء لتحث كل مؤمن بها  
على المحبة والرحمة ، والإيثار والعدل ، والصفح والتسامح ، وما إلى ذلك من صفات  
الإنسانية الكاملة ، والاخلاق الفاضلة ، كي يسلم المجتمع من آفات الفرق  
والانحلال التي تودي بالقوة ثم بالعزة والكرامة ، وتنتهى بالخذلان والفشل ،  
« أمن أعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو  
الالباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا يتقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر  
الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء  
وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلاية ، ويدعون بالحسنة  
السنية ، أولئك لهم عقبى الدار . .

ولقد جاءت الحنيفية السمحة بما شرع للأفراد والجماعات والامم كيف  
تكون مستوية كل إزاء أنفسهم وإزاء الغير بما لا لبس فيه ولا إلهام ، كي يسير

العالم قديماً في سبيل الحياة الصحيحة ، لأمناً أطرافه ، مستجمعاً قواه ، هادفاً إلى أطيب المواقب ، وأشرق الغايات ، وما كان للإسلام ، - ومعناه معلوم من لفظه ومفهوم من سيرة أهله - أن يحل ما حرم الله ، وينشر الفوضى بين المسلمين .

ولقد كان عقلاء الأمة المصرية الإسلامية يشفقون على أفرادنا وجماعتنا مما رمتنا به بعض الأمم من علل وأمراض ، لم تألفها الأمة ولا الأفراد ولم يقرها الإسلام ، حتى ظهرت فيها أخيراً تلك البدعة المحققة النكراء ، بدعة القتل والاعتقال ، فاعطلت منها القلوب وأحسنا الخطر الدائم ، وتوقعنا الشر المستطير ، ما لم ينفذ أولئك اللاعبين بالدار ومستقبل الأمة إلى عقولهم ويرجعوا عن غيهم ، ألا إنهم ليأتون شر أنواع الاعتداء بهدم ما سوى الله يديه ، وإلحاق الفناء بمن لم يحق الحياة التي هيأها الله لهم .

إن جريمة القتل جريمة لا يمد لها في الذنوب سوى الشرك بالله ، ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالد فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ، وهل يوجد مؤمن يفكر في قتل إنسان بعد ما يسمع قول النبي الكريم « لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن ، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتروا في دم مؤمن لادخلهم النار » : وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أعتاب على دم امرئ مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله » ، وروى عن عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سأل سائل ، فقال : يا ابن عباس هل للقاتل توبة ؟ فقال له ابن عباس ، كالتعجب من مسأله : ماذا تقول ؟ مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال ابن عباس : ويحك ، وأنى له توبة ؟ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي المقتول معلقاً رأسه بإحدى يديه ، متلبياً قائله بيده الأخرى ، فيقول الله تعالى : تعست ، ويذهب به إلى النار » .

إن أول جريمة على وجه الأرض ، اهتزت لها جنبات الكون هي قتل أحد أولاد آدم أخاه ، وقد حكى القرآن الكريم هذه القصة الشنعاء ، قصور الدين والتساح في جانب المقتول ، والقسوة والوحشية في جانب القاتل ، قال « لا تقتلك »

فأجاباه المقتول في وداعة المؤمن وتسامح الكريم : « لئن بسطت إلى يدك لثقتلني ما أنا بباطل يدى إليك لاقتلك ؛ إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء يا بنى وإثمك فسكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، ولعظم شاعة جريمة القتل بين الله في كتابه أنه : من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً . »

إن أول حادث فتح باب الفتنة على مصراعيه فى الإسلام ، وفرق بين المسلمين ومزق وحدتهم ، وأضعف قوتهم هو قتل الإمام العادل عمر بن الخطاب ، ولم يقتله مسلم ، لأن دين المسلم يمنعه من ارتكاب هذه الجريمة المنكرة ، بل قتله رجل مجوسى اسمه أبولؤلؤة غلام المغيرة ، بتدبير سيء من رجل مورتور ذى سلطان مخلوع اسمه الهرمزان ، وأن عمر العظيم حين طعن سأل من حوله : هل اشترك أحد من المسلمين فى قتله ؟ فأجابوه : كلا يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : الحمد لله الذى عصم أمة محمد من أن يشترك أحد منهم فى قتل عمر ، وإنما سأل عمر سؤاله السابق لعله أن بعض صغار الاحلام قد يكون لهم رأى فى الحكماء ، يدخل عليهم من تأويل فاسد لا يقرهم عليه الإسلام الذى حث على استتباب الأمن والنظام ، فأراد عمر رضى الله عنه تذكير المسلمين بمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإن من خرج من السلطان شبراً مات ميتة الجاهلية . » وعن أبي هنيذة وائل بن حجر رضى الله عنه قال : سأل سلة بن يزيد الجمعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا نبي الله أرايت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم . »

هذا أيها المسلمون حكم الله ورسوله ، فلا يظلمن الإسلام ظالم بالاعتداء على الناس باسمه ، فإنما هو سلم وسلام وتسليم فى حدود بيته ، وقواعد مرسومته ، فلا تعرضوا أنفسكم للضيق والفشل ، وبلادكم للفوضى والاضطراب ، وخافوا يوماً يجعل الولدان شيعاً .

ما ذنب الأسر تنسكب بفقد عالمها الذي كان الأمل المرجى ، والعماد الذي عليه بعد الله تعالى الممول ١٩ سلوا اليتامى والأرامل واما كلات أترفوا شناء . الجرم وعظم المصيبة : ليت شعري ، كيف يكون الجواب ! ثم ماذا جنى أهل الجناة يتعرضون للتسكبات ، والهموم والاحزان على أيدي أحب الناس إليهم من صغار العقول سفهاء الأحلام ، أولئك الذين يتركون لحيات أهلهم ، كيف تكون هقبى أرائك الأغرار ، جزاء ما أقدموا عليه من اعتداء أثم وإجرام شنيع .

وإني لتعروني من الهول هزة كلما تصورت أن أولئك الأغرار الذين ينفخ الشيطان فيهم حتى يأتوا فعلتهم الشعاء ، سيقعون في شر الأسى والدم حين تطبق عليهم أبدى العدالة ، فغور منهم القوى ، وتحلل المزائم والاعصاب ، وتطيش الأحلام وهم في مستقبل العمر وزهرة الصبا ، تطفئ مصاييحهم وتذبل زهراتهم ، وقد كانوا لدى الأهل والأمة بين الجفون وطيات الجوايح ، قصى بهم الحياة وتشرق الأيام ، فأصبحوا في عداد المجرمين ، ينتظرون شر المسائب وأخوف العواقب ، مشيعين بالسخط والازدراء ، على حين كان أمامهم من ميادين المجد والمظلة ما يغلد لهم أطيب الذكر وأشرف الأثر .

أيها الشباب ! إليكم نصيحة خالصة لوجه الله : أتمم عدة الأمة ورجاؤها وأملها ، فتسلحوا ليومكم بالعلم والعرفان والمحبة ، كي تكونوا جنودا صالحين ، تؤدون رسالة الإصلاح وال عمران ، حين يهيج لكم الوطن ميادين العمل ، ويؤنكم مقاعد الجد والنشاط ؛ هاك تجعون بكل قواكم وتفكيركم وتجربتكم إلى ما يعلى شأن الوطن ، ويرفع صرحه ويدعم بنيانه ؛ وهالك تكون التضحية بكل ما يطلب الوطن منكم من نفس ومال وبنين ، أما أن تقصروا على أنفسكم والعاملين لصالحكم من أهل وطنكم ؛ فذلك هو الإفلاس والانتحار ، والعمل ضد الوطن وتميئة الجو للأعداء ، وهو ما أعينكم بالله منه ، وأرجو ألا يكون له أثر بينكم ، كي يصفو الجو وتطمئن القلوب ، وتستقيم الأمور ، ويكبت الأعداء ، وتنتهى بنا الحال إلى أشرف المقاصد وأفضل الغايات ؟

## دعوة الى تعميم اللغة العربية

لمحاضرة الاستاذ محمد حسن الاعظمي

عميد كلية اللغة العربية ، والامين العام لمؤتمر العالم الإسلامي الدائم  
والجمعية العربية العامة في الباكستان

لماذا دعوت إلى اللغة العربية لتكون لغة المسلمين جميعا ؟  
جهاد عشرين عاما متواصلة لا أفاخر به ، ولكني أحمد الله عليه ، وأستزیده  
التوفيق منه . قال مستر غاندي يوما : إن من الخير لسكان الهند أن لا يلجأوا إلى  
اللغة الاوردية ؛ لأن فيها أحرف القرآن وهو كتاب المسلمين وحدهم ، وعلينا أن  
نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط وهي ، سنسكريتية ، وما كدت أطلع على  
هذا في صحف الهند العامة حتى أسرع في اليوم التالي إلى الإجابة ، وقلت لمستر  
غاندي : إن المسلمين ليس لهم أمهات سوى أزواج نبيهم عليه أفضل صلاة وسلام ؛  
وهن أمهات المؤمنين ، ولغة أولئك الأمهات هي اللسان العربي المبين . ولما أذاع  
المستر غاندي مرة أخرى مداء يدعو فيه إلى توحيد اللغة بين المسلمين والهنداك  
أجبتة : بأن ذلك لا يمكن إلا بأن تتعلم لغتكم ، سنسكريتية ، مع لغتنا العربية وعليكم  
أن تسلكوا إلى الوحدة هذه السبيل نفسها أيضا . ثم تكون النتيجة الحتمية لهذا هي  
العودة إلى الاوردية مرة أخرى ، فهي مزيج من اللتين معا إلا قليلا من الفارسية  
والتركية . وإذا لم تصنعوا ذلك فإنا أنتم فاعلون إذا اصطدتم بلغات تربو على  
المسائين بين العشار الهندوكية المتشائمة في أقطار الهند ؛ النتيجة الحتمية لهذا  
التمصب ضد الاوردية والعربية الاعتقاد على أن تلجأوا إلى اللغة الإنجليزية  
للتفاهم والمكاتبات ، وهذا هو الذي حدث فعلا ؛ فقد تخلص هؤلاء من الاستعمار  
العسكري ، ليقعوا تحت سيطرة روحية من نسيج هذه اللغة الأجنبية عنهم . فإن  
كنت في ريب من هذا أيها القاريء ؛ فامض إلى إحدى السفارات الهندية لدى أي  
الحكومات شئت ؛ فإليك واجد فيها بين أفرادها سلطان اللغة الإنجليزية حاكما

على قلوب الموظفين نافذ الكلمات في أذواقهم وحديثهم ومخاطباتهم . وإنها لم تكن عبودية الروح في غشاء رقيق من حرية الجسد .

أما أنا فقد رأيت أن أمضي على سنن الطريق مسترشداً بيمينى وإيمانى واثماً من أننى فيما أدعو إليه سيلافئى النصر والفوز . تركت الجدل الكلامى وأخذت فى إنشاء الجمعية العربية العامة فى الهند ، وأتبعنها بإنشاء مدارس ليلية شبيهة بالمدارس والوحدات الليلية التى يحرف الجميع نشاطها بمصر ، وكنت ومن معى من المؤمنين بفكرى مثالا من النشاط الذى لم تكن فيه أقل من الغيورين على محاربة اللغة العربية واستبدال حروفها ، وإخراج ألفاظها .

ولكى نستبعد فكرة التعصب القبلى دعونا إليها كلمة القرآن والإسلام . أما الآثار الأدبية لهذه الحركة المباركة : فقد كان منها كتاب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأوردية إلى جانب عشرات من الكتب المدرسية ، وكانت حيدر آباد مركزاً هاماً إلى ذلك الحيز لنشر العربية : إذ كان يوجد بحيدر آباد مائة ألف أو يزيدون من العرب أو من أصول عربية : فلقبت الدعوة تشجيعاً وإقبالاً رائعاً ، وقام على رئاسة هذا النشاط أحد سلاطين المسكلا العرب . وما كدنا نقطع من مراحل الزمن سنة حتى انتشرت المدارس الليلية فى جميع مناطق المدينة ، وشكلت الفروع المختلفة فى الضواحي والأقاليم الماخمة ، وأنشئت كلية للغة العربية لتقوم بالتعليم على أسس دراسية قوية . ولكى يتطوع هذا النشاط مدى بعيداً قررنا إلقاء محاضرات أسبوعية فى حفلات متتالية بين مختلف أحياء المدينة ، وكنا نرى إقبال الجمهور المتزايد يجعل الأمكة تصيق بزوارها ، ولما كانت تلك الحفلات أدبية مشجعة على مواصلة الكفاح العلمى والأدبى رأينا أن نجرى مسابقات دورية تمنح فيها المكافآت والجوائز . وما يثير العجب أن آخر الفائزين فى آخر مسابقة بلغوا مائة من يدهم خمس وسبعون من الفتيات ، وقد جرت المسابقة فى الكتابة الإفشائية ، وفن الخطابة والإلقاء . وحاولت أيضاً فى سبيل تيسير هذا التعليم أن أدعو إلى استبدال خط النسخ العربى المحض بالخط العادى الأوردى .

أما حيدر آباد ومراكز الهند الأخرى بعد التقسيم فهى فى ستار مغلق دونى الآن : فقد وليت وجهى شطر الوطن الإسلامى الباكستانى ، ولقيت فيها

الدعوة مكاناً غصياً ؛ فلعل أستمد هذه الروح نحو تهليم العربية من إيمان شعب الباكستان الذى تشرف فيه الحكومة نفسها على الجمعية العامة للغة العربية . وأصبح خط النسخ العربى خطاً رسمياً فى مكاتبات الدولة وأعمالها العامة .

واللغة العربية مادة إجبارية فى مواد التعليم الثانوى ، كما خصص ركن من الإذاعة للغة العربية أيضاً . وحضرات أصحاب المعالي الوزراء فى الباكستان وفى مقدمتهم صاحب المعالى وزير المعارف العمومية ، فضل الرحمن ، مقبلون بأنفسهم على تعلم هذه اللغة . ولعل بعض القراء يذكر أن غفامة حاكم البنجاب ، السردار عبد الرب نشتى ، هو الذى يرأس أكثر الحفلات العربية ويلقى فيها خطبه المرتجلة فى عبارات سليمة ، وليس هذا كل شيء ؛ فإن الخطوة المباركة الحقيقية هى وصولنا إلى ذلك القرار الحكيم الذى وافق عليه مؤتمر العالم الإسلامى الدائم : اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين ، وكتابة جميع لغات العالم الإسلامى بخط النسخ العربى ؛ كما أقيمت أكثر خطب المؤتمر فى كراتشى باللغة العربية . وإذا كنا نحن الباكستانيين قد بذلنا هذا الجهد المتواضع لتعميم العربية الفصحى وإحياء تراثها الجميد ؛ فإنى أهيب بالناطقين بالعضادى الممالك العربية أن يعملوا واجبههم الاول تعميم اللغة العربية الفصحى فى مخاطبتهم ، وأن لا يقصروها على مكاتبتهم فى دواوين الحكومة ، وعلى أعمدة الصحف . فعلى كل من يحيد العربية أن يخاطب بها غيره فى المكتب والطريق وفى الأندية والأسواق وفى التعامل التجارى والتبادل الثقافى . وسيقول قائل إن الطريق شاق والمطلب عسير . وأقول لهؤلاء : ليس بين العامة الدارجة والعربية الفصحى سوى تصحيح كلمات ، وإعرا ب جمل ، وصدق فى التوجه قبل كل شيء ، وما هو إلا قليل من التدريب يتلوه النصر القريب .

كثيراً ما رأيت طلاب البعثات الوافدة إلى مصر والأزهر ، يعودون مزودين باللغة العامة ، وما هجروا أوطانهم إلا لغة العربية السليمة الفصحى . وقد بدأنا نحصل الغرامة المفروضة فى أعضاء المؤتمر الإسلامى على كل من يلجأ إلى غير العربية الفصحى أثناء كلامه .

ويتجه نظرى الآن إلى السكبة العلمية الإسلامية ؛ أعنى ( الأزهر الشريف ) ليبدأ هذه الخطوة من جانبه بين أساتذة المعاهد وطلابها ، فهل يتحقق أملى ١٤

## في الأدب المصري الحديث

### تقدير للمصادر

تمريب	بحث للمستشرق الانجليزي
نور الدين حمريه	الأستاذ
مخرج كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر	ج . هيووث دن J. Heyworth Dunne
	الأستاذ بجامعة لندن

والتيموريين : محمد ، ومحمود ، يتدلمان مادة جذابة لدراسة الحياة المصرية . وكتاب محمد تيمور ( ما تراه العيون )<sup>(١)</sup> يشمل صوراً كثيرة عن الحياة العادية . أما محمود — وقد درس ( موباسان Maupassant )<sup>(٢)</sup> . و ( تشيكوف Chekhov )<sup>(٣)</sup> — قد أنشأ مدرسة للأقصوصة المصرية ، احتذى حذوها غيره من الكتاب ، في جميع الأقطار الناطقة بالضاد<sup>(٤)</sup> . والتيموريين ، بانتمائهما إلى بيت من البيوت العريقة ، قد جسّرا الارستقراطية إلى الميدان الأدبي ، وهو عامل

[١] محمد تيمور ، ما تراه العيون : القاهرة سنة ١٩٢٧ . وكتابه : المسرح المصري ، القاهرة سنة ١٩٢٣ يشمل على ثلاث روايات ، ووصف للحياة المسرحية .

[٢] جى دى موباسان قصاص فرنسي ، ولد في ( شاتو دي ميرومزيل Chateau de Miromesnil ) وهو كاتب موهوب ، صريح ، لادع النقد ، واقفى إلى أبعد الحدود . وله مؤلفات كثيرة ، منها : الصديق الجليل ، قوى كالموت ، قلبها ، حياة بيروجان . ولد سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٨٩٣ . [ المترجم ] .

[٣] أنطون بافلوفتش تشيكوف [ ١٨٦٠ - ١٩٠٤ ] ولد في ساحل بحر الخريف بروسيا ، واشتهر بمسرحياته ورواياته القصيرة ، وله مكانة ممتازة في الأدب الروسي .

[٤] محمود تيمور : أبر على عامل أرستقراطية ، القاهرة سنة ١٩٣٤ . الأطلال ، القاهرة سنة ١٩٣٤ ، الشيخ عفا الله ، القاهرة سنة ١٩٣٦ ، قلب ظليمة ، القاهرة سنة ١٩٣٧ ، نداء الجيول ، القاهرة سنة ١٩٣٩ ، وقصص أخرى .

مهم في حياة مصر. ومؤلفات محمود لا تصور تصويراً صادقاً نواحي الحياة المصرية  
لحسب، بل إنها بديعة التأليف، تدل على أن كاتبها قنان مجود.

وليس في الأدب العربي الحديث كتاب أشد تأثيراً في النفس، وأصدق  
تعبيراً واتصالاً بالحياة، من كتاب طه حسين (الأيام)<sup>(١)</sup>، قصة طفولته. فبناء  
الحياة العائلية قد وصف أبدع وصف وأدق في هذا الكتاب، وخاصة المناظر  
المتزعة من الحياة المدرسية.

ووصفه الفريد لرجال الدين دقيق صحيح. وقد نقل هذا الكتاب إلى  
الإنجليزية نقلاً<sup>(٢)</sup> رديئاً؛ فإن قصور المترجم وإفقاره، قد جعله يفضل فشلاً  
ذريعاً، في نقل السلاسة اللذيذة التي يتميز بها أسلوب طه حسين النثري. وقد  
أتج قلم طه حسين كتاباً أخرى، أكثرها يعالج النقد الأدبي والتاريخ، وأحص  
بالذكر كتابه (مستقبل الثقافة)<sup>(٣)</sup>، وقراءتها خير مدخل لدراسة الأدب  
العربي الحديث.

وتوفيق الحكيم كاتب معاصر، له أتباع كثيرون، ولا يشك أحد في ألميته.  
وقصته (عودة الروح)<sup>(٤)</sup>، من خير الدراسات عن الحياة السياسية والاجتماعية  
المصرية، خلال سنى الثورة. التي قامت بزعماء زغلول باشا. وبموازنة هذه  
القصة (بحديث عيسى بن هشام) للمويلحي<sup>(٥)</sup> - وهو من نتاج القرن التاسع عشر -  
يستطيع الإنسان أن يلمس التغيرات الاجتماعية الكبيرة التي حدثت خلال القرن  
والنصف الماضيين؛ كما فعل صلاح الدين ذهني في كتابه (مصر بين الاحتلال

[١] طه حسين : كتاب الأيام ، القاهرة سنة ١٩٣٩ .

An Egyptian Childhood : The Autobiography of Taha [٢]  
Hussein by E. H. Paxton - London 1932.

[٣] طه حسين : مستقبل ثقافة ، في مجلدين القاهرة سنة ١٩٣٨ .

[٤] توفيق الحكيم : عودة الروح ، في مجلدين ، القاهرة سنة ١٩٢٣ ، وانظر كذلك مسرحياته

في مجلدين طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ .

[٥] محمد المويلحي : حديث عيسى بن هشام ، القاهرة سنة ١٩٢٣ ، وطبعات أخرى .

والثورة<sup>(١)</sup> . وتكشف لنا دراسة هذين الكتائين أيضاً عن نمو اللغة ؛ فزودة أسلوب توفيق الحكيم ، وسهولة لغته التي يستعملها في التعبير عن أفكاره ، تعارض أصالة مع جهود أسلوب الكتاب القديم . ومؤلف توفيق الحكيم الآخر - وما أكثر مؤلفاته - ألا وهو ( يوميات نائب في الأرياف<sup>(٢)</sup> ) هو دراسة اجتاهية فذة ؛ وصف فيها ما يقابله النائب في الأرياف من شخصيات ، وما لهذه الشخصيات من خصائص ؛ كضابط الشرطة المغامر ، والخفير ، والمأمور .

ومن الكتاب البارعين المنفلوطي ، أبو المقالة المصرية ، . ولكتبه أهمية في دراسة المجتمع والسياسة في مصر . وقطعه مفيدة للتأديبين الناشئين ، ولكن أسلوبه سوداوي ، رصين ، قد فات أوانه<sup>(٣)</sup> .

أما محمد أمين حسونة ، فهو على تقيضه ؛ ففكره متوثب ، وله مقدرة فائقة على تصوير الحياة المصرية في الأقصوصة<sup>(٤)</sup> . وسهير القلماوي كاتبة ناشئة ، تبشر بمستقبل زاهر ، رغم نظرتها الصارمة الجسادة ، والتزامها الحرية الفصحى ، على ما في ذلك من جهد . وكتابتها الذي صدر بعنوان ( أحاديث جدي<sup>(٥)</sup> ) وصف لطيف لحياة الأميرة .

ولحسين شفيق المصري كتاب ، هو ( الحاج درويش وأم اسماعيل<sup>(٦)</sup> ) ، قام على نشره ابن أخته ، عبد السلام على نور ، الذي نال شهرة فائقة في أوروبا ، لزخارفه البديعة في الخشب والمعدن . واشتغل حسين شفيق المصري رئيس تحرير لبعض المجلات التي تصدر بالعامية ؛ وكان مشهوراً بالفكاهة ، عرفه بها الخاص والعام ، كما أن له إنتاجاً هو ( الناس ) .

[١] صلاح الدين ذهني : مصريين الاحتلال والثورة ، القاهرة سنة ١٩٣٩ ، وكتابه رئيس التحرير القاهرة سنة ١٩٣٨ .

[٢] توفيق الحكيم : يوميات نائب في الأرياف ، القاهرة سنة ١٩٣٧ .

[٣] مصطفى المنفلوطي : النظرات ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٩٠ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠ بالقاهرة ، العبرات ، القاهرة سنة ١٩٩٥ ، للانتظام ، القاهرة سنة ١٩٢٣ .

[٤] محمد أمين حسونة : وراء البحار ، القاهرة سنة ١٩٣٦ ، الورد الأبيض ، القاهرة سنة ١٩٣٣ .

[٥] سهير القلماوي : أحاديث جدي ، القاهرة سنة ١٩٣٥ .

[٦] حسن شفيق المصري : الحاج درويش وأم اسماعيل ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

و (مذكرات فتوة<sup>(١)</sup>) لحسن يوسف ؛ وكتاب حننى أبو محمود (مذكرات عربى<sup>(٢)</sup>) وكتاب عبد الله حبيب (المفعل<sup>(٣)</sup>) ، صور صادقة للدواحي الشعبية فى الحياة المصرية .

وللمجلات الدورية سهم وافر ، فى معاونة الكتاب المحدثين فى مصر .  
و (الرسالة) التى يصدرها أحمد حسن الزيات ؛ و (الثقافة) التى يصدرها أحمد أمين ، هما أبرز مجلتي أدبيتين أسبوعيتين الآن .

وأحمد أمين كاتب واسع الثقافة ، وأديب ضليع فى العربية ؛ وله مؤلفات عديدة من تاريخ الإسلام وحضارته . ونصيبه كبير فى جعل مصر مركزاً من مراكز الدراسات الفكرية فى العالم العربى . وقد احتار أحمد أمين ، فى كتابه (فيض الحاطر<sup>(٤)</sup>) ، خيرة الممالات التى نشرها فى شتى التواحي . من علم ، ودين ، وحضارة ، وآداب سلوك ، ومادية ، وإصلاح ، وموسيقى ؛ كما تشمل كذلك على صور للحياة اليومية ، مثل مقالته عن التجار المصرى . وهو من ناحية كونه مؤرخاً قد تعلم الشيء الكثير من الغرب . وقد خطا هو وجورجى زيدان خطوات واسعة بدراسة التاريخ ، فى اللغة العربية الحديثة .

أما جورجى زيدان فقد أصدر كتابه (تاريخ القطن الإسلامى) سنة ١٩٠٢ وكتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) سنة ١٩١١<sup>(٥)</sup> ؛ مع أن الحكومة المصرية ، فى سنة ١٨٩٣ فقط ، قد أرغمت على أن تطلب إلى (فان ديك Van Dyck) وهو أمريكى وإلى (فيلبيدس Philpides) وهو يونانى ؛ أن يعدا كتاباً فى تاريخ العرب وآدابهم ، ليستعمل فى المدارس المصرية<sup>(٦)</sup> .

ومن خيرة الأدباء فى العصر الحديث عبد العزيز البشرى ، ابن سليم البشرى ،

[١] حسن يوسف : مذكرات فتوة ، ثلاث مجلدات ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

[٢] حننى أبو محمود : مذكرات عربى ، القاهرة سنة ١٩٣١ .

[٣] عبد الله حبيب : المفعل سنة ١٩٣٠ .

[٤] أحمد أمين : فيض الحاطر ، ستة أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٣٨ — سنة ١٩٤٦ ؛ وانظر كذلك له : لجر الإسلام ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ، وضحى الإسلام ، القاهرة سنة ١٩٣٣ .

[٥] جورجى زيدان ، تاريخ القطن الإسلامى ، القاهرة سنة ١٩١٣ ، تاريخ آداب اللغة العربية فى أربع مجلدات القاهرة سنة ١٩١٩ .

[٦] أدوار فان ديك وفيلبيدس : تاريخ العرب وآدابهم ، القاهرة سنة ١٨٩٣ .

أحد شيوخ الأزهر. وكتابه (المختار<sup>(١)</sup>) يشمل صوراً كثيرة عن الحياة المصرية. وعباس العقاد كاتب مبدع، وناقد أدبي؛ تعالج مقالاته المجموعة نمو الحياة الأدبية في مصر<sup>(٢)</sup>. وفكري أباطة، وهو عضو في البرلمان، وناقد دقيق للحياة المصرية، وقد أصدر حديثاً سلسلة فذة من المقالات عن الشباب الحديث<sup>(٣)</sup>. وابنة الشاطئ، تنبؤاً مركز الناطق بلسان الفلاح. فقالاتها، وكتبا<sup>(٤)</sup> عن هذا الموضوع لا غنى عنها.

ومريت بطرس غالى أصدر سنة ١٩٢٨ كتاب (سياسة الفد<sup>(٥)</sup>)، الذى يعتبر من أمتع الدراسات الاجتماعية، التى ظهرت فى أى لغة؛ ومن المؤلم ألا يكون لهذا الكتاب طبعة انجليزية حديثة، تنشر على الناس. وفى نفس السنة أصدر حافظ عيسى باشا (على هامش السياسة<sup>(٦)</sup>)؛ وبعده بعام أصدر عبد الحميد فهمى مطر (التعليم والمطلون<sup>(٧)</sup>)؛ وهو يعالج مشكلة من المشاكل الحيوية فى مصر.

\* \* \*

ولعل هذا التقدير القصير للبصادر، يقدم فكرة عامة عن الجهود الأدبية، التى بذلها المصريون؛ وعن التقدم السريع الذى تم لهم. ومن العسير أن يفهم المرء كيف أن كاتباً مثل (جورج يونج Georges Young) يمكن أن يكتب سنة ١٩٢٧ أن مصر لا لغة لها، ولا أدب، ولا أساطير نبعت من ذاتها<sup>(٨)</sup> ١٢ وليس هو الكاتب الوحيد الذى وقع فى هذه الأحكام الخاطئة.

[١] عبد العزيز البشرى: المختار، مجلدين، القاهرة سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٧.

[٢] عباس العقاد: ساحات بين الكتب، القاهرة سنة ١٩٢٩، مطالعات، القاهرة سنة ١٩٢٤، وكتب أخرى.

[٣] فكري أباطة: الضاحك الباكى، القاهرة سنة ١٩٣٣، وفكري عدة مقالات منشورة فى المصورة.

[٤] ابنة الشاطئ: الريف المصرى، القاهرة سنة ١٩٣٥، وكتب أخرى.

[٥] مريت بطرس غالى: سياسة الفد، القاهرة سنة ١٩٣٨.

[٦] حافظ عيسى باشا: على هامش السياسة، القاهرة سنة ١٩٣٨؛ وانظر كذلك، الانكبان

فى بلادهم، القاهرة سنة ١٩٣٩.

[٧] عبد الحميد فهمى مطر: التعليم والمطلون، القاهرة سنة ١٩٢٩.

[٨] Georges Young: Modern Egypt, London 1927, P.X.

## حكومة الرسول بعد هجرته الى المدينة

لحضرة الاستاذ أحمد صلاح الدين عبد الرحمن

كانت بلاد العرب وما عداها من دول العالم في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاد مسرحاً لحروب دامية وخلافات مذهبية شديدة تقطع أوصالها، كما كانت ترزح تحت أعباء الجاهلية والصلال، وكانت بلاد العرب بصفة خاصة في فوضى شاملة: يعبد أهلها الآوثان، ويثدون البنات، ويرتكبون أشنع المنكرات؛ فلما اقتضت مشيئة الله أن يصلح هذا العالم وينفذه عما كان يتخبط فيه، أرسل سيدنا محمد بن عبد الله في سن الأربعين بالهدى والفرقان إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله يادته وسراجاً منيراً، فعارضه أشراف مكة ومشركوها في بادئ الأمر بهوادة، فلما أحسوا أن أتباعه في ازدياد، ولما رأوه يعيب آلهتهم ويسفه أحلامهم بدءوا يمارصونه بعنف، ويصدون الناس عن سبيل الله، يدفعهم إلى ذلك خوفهم من انبياء زعامتهم الدينية، ومن ضياع الثروة التي تعود عليهم من وجود الآوثان حول الكعبة. ولما لم يحتمل أصحابه أذى قريش أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، ولكن قريشاً استمرت في إيذائها للرسول وأتباعه، ونالت من المصطفى عليه السلام بعد موت عمه أبي طالب وزوجه خديجة ما لم تله قبل ذلك، حتى اضطر الرسول إلى الهجرة بأصحابه إلى المدينة.

وكان أول أمر اتجه إليه نظر الرسول بعد أن استقر بالمدينة أن يبنى مسجداً للمسلمين ليقيموا فيه شعائر دينهم، وليكون لهم بمثابة مدى يجتمعون فيه ليقضى رسول الله بينهم، ويعلمهم أصول دينهم، ويشاورهم فيما يهمهم من شئون الدين والدنيا، وليستقبل فيه سفراء القبائل ووفود العرب، من أجل ذلك سأل الرسول عن المكان الذي بركت فيه الناقة، فأخبر أنه ليقمين في حجر معاذ بن

عفراء ، فاشتراه منه وأخذ يبنى فيه مسجده ومساكنه ، وكان يشترك في عملية البناء بنفسه ، لكن يشجع المسلمين على العمل ، ولما فرغ عليه السلام من بناء مسجده ومساكنه انتقل من دار أبي أيوب إلى مساكنه بجوار المسجد .

وبوصول الرسول إلى يثرب ، صار بها أربع فئات من السكان ، كل منها تنظر إليه من وجهة نظر خاصة ، حسبما تفضى به مصلحتها ؛ فهناك المهاجرون الذين فروا بدينهم من أذى القرشيين بمكة ، وهناك الأنصار الذين اعتنقوا الإسلام من أهل يثرب ، وقد ألفت الإسلام بين هاتين الفئتين ، وجعلهم أعضاء في أسرة واحدة . وأما الفئة الثالثة فهي اليهود ، وهم بقايا بني إسرائيل مع من نهود من العرب ، وقد استقبل هؤلاء الرسول استقبالا حسناً ، قصد استمالته إليهم والاستعانة به على تأليف جزيرة العرب ، كي تقف في وجه الصرانية التي أجلتهم عن فلسطين وطمع القوي وأرض المعاد . وأما الفئة الرابعة والأخيرة فهي فئة المشركين من سائر الأوس والخزرج الذين آثروا البقاء على وثنيهم ، وإن كان نفر منهم اظهروا الإسلام وأبطلوا الكفر وهم المنافقون الذين نعتهم المولى جل وعلا بقوله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » وقد كان خطر هؤلاء على الرسول وصحبه جسيماً ، لكنه رضى عنهم بظواهرهم ، وصبر عليهم حتى يقضى الله فيهم أمراً كان مفعولاً .

في تلك الآونة بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم طورا جديداً ، هو أخطر أطوار حياته وأبعدها أثراً في نشر الدعوة التي تلقاها من ربه ، إذ أصبح عليه أن يحكم المسلمين ، ويسوى أمورهم ، ويظم شؤونهم ، ويقود جيشهم إذا تهدد كيابهم خطر ، أو إذا شنوا الحرب على أي عدو كان لهم ، وقد قام بكل تلك المهام الخطيرة على وجه يدهش العقول ويحير الالباب . وقد كان أول ما اهتم له الرسول أن ينظم صفوف المسلمين ويؤكد وحدتهم كي يقضى على كل شبهة في أن ثور العداوة القديمة بينهم ؛ ولذا دعاهم إلى أن يتآخوا في الله أخوين أخوين ، وجعل يواخي بين مهاجر وأنصاري . . . وهكذا ، وأحيانا مادرة آخى بين مهاجرين ، وجعل لهذا الإخاء حكم الدم والنسب ، وبه ازدادت وحدة المسلمين توكيدا ، وقد أظهر الأنصار من كرم الضيافة لإخوانهم المهاجرين ما تلقوه منهم بالشكر ، فضاطروهم في أموالهم ،

وأفسحوا لهم في ديارهم ، فامتدحهم الله على ذلك بقوله : « والذين تبوءوا الدار  
والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا  
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم  
المفلحون » . وبعد ذلك أخذ بعض المهاجرين يشتغل بالتجارة ، على حين احترف  
آخرون الزراعة . وأما فقراء المسلمين الذين لم تساعدهم أحوالهم على اكتساب  
عيشهم بأنفسهم فقد أفرد لهم الرسول مَصْفَة في المسجد يبيتون فيها ، وجعل لهم  
رزقا في مال المسلمين الذين آتاهم الله رزقا حسا ، وسماهم أهل الصفة .

وبعد أن أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المسلمين على هذا النحو  
وأصلح أمر معاشهم ، أخذ يعمل على جعل يثرب وحدة سياسية نظامية ، وعلى توفير  
الطمأنينة لاتباعه وكفالة حرية العقيدة والرأى لهم ولغيرهم ؛ لأن هذه الحرية هي  
وحدوها الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال ؛ وتحقيقا لهذا سار على سياسة  
تفاهم مع اليهود ، وبذلك تألف قلوبهم وتحالف معهم ، وكتب بينه وبينهم كتاب  
موادعة وادعاهم فيه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم .  
وهذا الكتاب وثيقة سياسية هامة ، تعتبر فتحا جديدا في الحياة السياسية والدينية  
في تلك العصور ، كما تعتبر عملا سياسيا ودبلوماسيا رائعا يدل بأجلى بيان على عظم  
مقدرة الرسول السياسية وبعد نظره وصائب رأيه .

وأم بنود هذه الوثيقة : أن الرسول عليه السلام أكد فيها أن المسلمين على  
اختلاف شعوبهم وتعدد قبائلهم أمة واحدة ، وأوجب التعاون والتضامن بين  
أفرادها على أساس أن الأخوة في الدين مقدمة على غيرها من الصلات حتى صلة  
القربى ، وهذا هو الإخاء الإنساني في أسمى معانيه ، لا ذلك الإخاء الذي يتمشدد  
به أهل الغرب الذين صرعتهم شهواتهم الدنيوية فهم يقتتلون على مذبحها في كل آن ،  
كما جمل ذلك الكتاب جماعة المسلمين ، باعتبارها جماعة ذات شخصية دينية وسياسية ،  
حقوقا على أفرادها أخصها السهر على الأمن والصرب على يد المفسد المخل بالنظام  
أيا كانت مكانته ومهما كانت صلتة بالحاكم ، وكذلك شرط جماعة اليهود المساواة  
مع المسلمين من ناحية الحقوق العامة ، وكفل لهم حريتهم الدينية ، والتمتع بما  
للمسلمين من حقوق ، كما فتح الطريق أمام الراغبين منهم في الإسلام . كما فرض ذلك

العهد على اليهود أن يشتركوا مع المسلمين في الإنفاق ما داموا محاربين ، وأن يساعدوهم في دفع ديات القتل والنزاعات الحربية وما إلى ذلك . وبعد ذلك كله جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حكماً يُرجع إليه للفصل فيما قد يقع من خلافات يحشى ضررها بين المتعاقدين في هذه الوثيقة (١) .

بهذه الوثيقة وما سبقها من خطوات ، استتب لرسول الله الأمر في المدينة ، وأمن - ولو بصفة مؤقتة - كيد اليهود ، وبدأ ينشر بين أصحابه تعاليم دينه الخفيف ؛ ففرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وتبين الحلال من الحرام ، ونظر الرسول في أمر الصلاة ، وكيف يجمع المسلمين لأدائها ، وأهم ذلك كثيراً حتى وقفه الله إلى اختيار الأذان وسيلة لذلك ، واستمر الرسول يقيم الحضارة الإسلامية على أسس سلمية ودعائم قوية . أقواماً بلا شك ذلك الإخاء الإنساني الذي يصل بالإنسان إلى أقصى غايات البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة ؛ أضف إلى ذلك العدل المطلق الذي يستوى أمامه الغني والفقير والشريف والحقير والكبير والصغير ، ويتوج هذه الدعائم تلك المساواة الشاملة التي جاء بها الدين الخفيف والتي لا تفرق بين غني وفقير ، ولا بين سيد وعبد ، ولا بين شريف ووضيع : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . يضاف إلى تلك المثل العليا ما دعا إليه الإسلام من التعاطف والتراحم بين المسلمين ، وضربه لذلك الأمثلة الواضحة ، مثل المسلمين في تعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وفوق كل ذلك كان الرسول لا يبرم أمراً إلا بعد أن يستشير فيه أصحابه ويعمل حسب رأى الأغلبية ، ولو كان معارضاً لرأيه الخاص ، وهو في ذلك يأتمر بأمره تعالى : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، أضف إلى ذلك أن الرسول كان لا يبدع فرصة تمر به إلا دعا أصحابه إلى العمل بمكارم الأخلاق والتخلي عن الدنایا وسفساف الأمور . على هذا النحو أقام المصطفى عليه السلام في المدينة المورة حكومة ديمقراطية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، ووضع أسس الحرية والإخاء والمساواة في أمسي

(١) من أراد الاستزادة من تفصيص هذه الوثيقة فليقرأها في سيرة ابن هشام - ١ - وفي كتاب

معانها جميعا ، قبل الثورة الفرنسية بنحو اثني عشر قرنا ، في الوقت الذي كانت أوروبا فيه غارقة في بحار لجية من الضلالة والجهالة . وبهذه السياسة الحكيمة الرشيدة وضع أسس الدولة الإسلامية الناشئة التي أخذت تنمو وتزداد بأسا وقوة يوما بعد يوم ، حتى دانت الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها بالطاعة لرسول الله في حياته ، ثم رفرف العلم الإسلامى في عهد خلفائه على ربوع فيضة وأقطار نائية ، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ، وامتد سلطانهم من حدود الهند والصين في أقصى المشرق حتى بلاد الأندلس ، وجبال البرانس في أقصى المغرب . وبعد أن استقر الأمن للنبي وأصحابه في المدينة ، وقوى مركزهم فيها على النحو السابق ، أخذ يوجه همه إلى إظهار قوته وبأسه لقريش وغيرها من القبائل العربية حتى لا يستهينوا بأمر المسلمين ، ولذا بدأ بإرسال عدة سرايا لاستطلاع قوة قريش وإرهابها . ثم فرض الله بعد ذلك الجهاد على المسلمين للدفاع عن عقيدتهم ضد من يحاول الوقوف في طريقها ، وبدأ الرسول يشترك مع قريش في سلسلة من الغزوات والحروب ، بدأت بغزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، وانتهت بفتح مكة ودخول أهلها في دين الله أفواجا في السنة الثامنة للهجرة .

### الحاجة

دخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال : « أتيتك في حاجة فإن شئت قضيتها وكما كريمين ، وإن شئت لم تقضها وكما لثيمين . » أراد إن قضيتها كنت أمرا كريما بقضائها ، وكنت أنا كريما بسؤالك إياها ، لأنى وضعت الطلبة في موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لثيما بمنعك ، وكنت أنا لثيما بسوء اختياري لك . فأخذ أبو تمام هذا المعنى وقال :

عباس إنك للتعميم وإتنى مذ صرتَ موضعَ مطلبى للتعميم  
قال : ما حاجتك أبا عبد الله ؟ قال : أن يكتب إلى أبي موسى بن عبد الملك  
في تعجيل أرزاقه . فأجاب به إلى طلبه . فأنشد سوار يقول :

فبايك أيمن أبوايهم ودارك مأهولة عامره  
وكفك حين ترى المجتدي من أئدى من الليلة الماطره

## الشيوعية والإسلام طرفانقيض

لمحاضرة الأستاذ الفاضل محمد فؤاد عبد الباقي

جاء بالعدد رقم ٧٢٩٤٧ من جريدة الأهرام الصادر بتاريخ ١٩٤٩/٧/٣٠ ما يأتي :

نيويورك — لمراسل الأهرام الخاص — نشرت صحيفة نيويورك تايمز ، في عددتين قريبين أنباء تثير النفس عما يلقاه المسلمون في روسيا السوفيتية من عنف واضطهاد . فذكرت استناداً إلى مصادر شتى أنه لم يكذب اليوم من السكان المسلمين في مناطق آسيا الوسطى من الاتحاد السوفيتي ، بما فيها جمهوريتا الترك والتركان ، وأن معظم مدرسي الفقه الإسلامي في الاتحاد السوفيتي قد نفوا إلى سيبيريا أو اضطروا إلى التستر والتخفي . وقد فرض على المسلمين في أثناء الحرب أن يتسلحوا ويحاربوا في الجيش الروسي دفاعاً عن الاتحاد السوفيتي ففعلوا ، فكان جزاؤهم النفي والعبودية والموت ، ونظمت الحكومة السوفيتية حملة غرضها القضاء على ما تزعمه « أسطورة » الصلة الثقافية بين آسيا الوسطى السوفيتية وشعوب إيران وتركيا والبلاد العربية ؛ وقد نشر كاتب سوفيتي يدعى كليموفيتش في « المجلة الأدبية » سلسلة من المقالات هاجم فيها العلماء الروس والمسلمين الذين اتهموا بميلهم إلى مبادئ الجامعة العربية أو الجامعة الإسلامية أو الجامعة التركية أو الجامعة الإيرانية ، وذلك لأنهم حرصوا في كتاباتهم على القول بأن الثقافات القديمة والحديثة بين شعوب آسيا الوسطى السوفيتية ، قد تأثرت تأثراً كبيراً بالثقافات الإسلامية في البلاد الواقعة إلى الجنوب من الاتحاد السوفيتي .

هذا مختصر الأنباء التي نشرتها نيويورك تايمز ، وقد عقبنا عليها في افتتاحية بليغة قالت فيها : « إن الرسائل التي تنفي بالمتاعب التي يلقاها المسلمون في الاتحاد السوفيتي لا تبث الدهشة في أحد من الذين يعرفون حقيقة الإسلام ، فطبيعة

العقيدة الإسلامية تأتي أن تؤيد مذهب الماركسية الستالينية ، فلا بد إذن من أن تضطهد الدولة الماركسية أصحابها .

« و المسلمون أهل إيمان صادق وورع صحيح ، فهم على العموم لا يكتفون بالإيمان الفاتر ، أو بالتظاهر بالإيمان ، بل قد طبعت نفوسهم بحرارة الإيمان الصادق ، ومعظم قوة الإسلام يرتد إلى هذا الإخلاص ، وهذا الصدق في نظرته الروحية . والمسلم لا يقتصر إيمانه على أن حياته في يده الله ، عز وجل ، بل يؤمن أيضاً بأنه يحيا حياته بين يدي الله ، وصلاة المسلم ليست دعاء وحسب ، بل هي شهادة . وقد قال أحد الفلاسفة : « ليس الإسلام إيماناً وحسب ، بل هو حياة أيضاً .

« وقد ظن بعض الشيوعيين أنه قد يسهل تحويل المسلمين إلى الماركسية ؛ لحرصهم حرصاً شديداً على إغاء الناس ، ولكنهم نسوا أن هذا الحرص على الإغاء ينبع من الإيمان بالله . فالناس إخوان ؛ لا لأن هناك مذهباً اقتصادياً يجمع بينهم ، بل هم إخوان لأنهم جميعاً مؤمنون .

« وإذن فديانة كالإسلام لا يمكن أن تتفق مع مذهب الجدل المادى ، ولن تجد مسلماً حقاً يستطيع أن يكون أيضاً ماركسياً حقاً ، وما أكثر المسلمين الذين يشتمكون حقاً بإيمانهم ؛ أما وخلق المسلم هو هذا الخلق المكين ، فلا عجب أن يراهم حكام الاتحاد السوفيتي بعين غير عين الرضى . »

### التقاضى

من أبلغ ضروب التقاضى أن ترى وجه داتك . ولذلك قال المهلب بن أبي صفرة ، وهو من كبار قواد الدولة الاموية : يا بني إذا غدا عليكم الرجل وراح مسلماً ، فكفى بذلك تقاضياً . وقال الشاعر :

أروح بتسليمى عليك وأغدى      وحبك بالتسليم منى تقاضيا  
وقال آخر :

كفناك بخيرا وجهى بشأنى      وحبك أن أراك وأن ترائى  
وما ظنى بأن يعنيه أمرى      ويعلم حاجتى ويرى مكانى

# الأدب تحت راية القرآن

لفضيلة الأستاذ أحمد شاهين

الفن على اختلاف أنواعه ما هو إلا تعبير جميل عما بين عواطف الفنان المرهف الحس وبين بيئته وظروفه من فاعل قوى وتجاوب مستمر. فإن تم هذا التعبير بالكلام الجميل ( أى البليغ ) فهو الأدب ، وإن تحقق من تأليف الألوان وتشخيص الأشكال فهو التصوير أو الحفر ؛ وإن وقع باستعمال آلات الطرب وتأليف الألحان وتناسق الأصوات الجميلة فهو ( الموسيقى ) . والاول وأعنى به الأدب من حيث تأثير القرآن فيه بتكييف أساليبه وتحديد أهدافه - هو موضوعنا اليوم .

وإذا كان الأدب صدق التجاوب بين نفس الأديب وبيئته وظروفه ، كان الأدب مرآة ترمى فيها معالم الحياة في البيئة ، كما أنه من ناحية أخرى يشف عن مزاج الأديب ونزعاته ، ويميزات شخصيته .

فأما النفس الزكية فإن أدها دائماً يكون فيضاً من الآراء السديدة ، والفضائل السامية كالزهرة الجميلة لا تمتنع إلا بالعير الطيب والمطر الذكي . وأما النفس المريضة فهما تم لها من وسائل الصناعة العنية ، فإن نتائجها لا يشف إلا عن ألوان من الشهوات والنزوات المستهرة : ( وكل إناء بالذى فيه ينضح ) .

واعتبار الأدب بالفضائل والمثل الأعلى قبل اعتباره بالجمال الفنى - هو المقياس الأدبى الذى وضعه القرآن الكريم ؛ ويقابله المقياس الجاهلى الذى لا يقيم وزناً للفضائل في تقدير الأثر الأدبى إذا كانت الصاعقة المحركة والجمال الفنى فيه المقدمة على كل اعتبار . وقد سئل ( الخطيئة ) من أشعر العرب ؟ قال : الملك الضليل . قيل له : ثم من ؟ قال : الغلام القليل . قيل : ثم من ؟ قال صاحب هذه العصا ؛ يعنى نفسه . فأنت تراه يجارى جمهور الادهاء الجاهليين في

تقديم امرئ القيس للزعامة ، على ما في شعره من الخلاعة والعبث ، ولا يرى في شعره المنفذ في الهجاء والطعن على الناس بالباطل لغوات عطاء أو نيل أرب ما يفض من قيمة أدبه ، أو ينزل به عن مرتبة الصدارة والامتياز . وكذلك كان الأدب الجاهلي أكثره يدور حول أغراض شخصية أو قبلية صغيرة : كالمفاخرة بمتاقب العشيرة ، والمكاثرة بعديدها ، والمدح المعالي فيه بأجر ، أو الهجاء على فوائه ، أو التشبيب بجمال النساء بأساليب لا تخلو من طيش ومساس بالحرمان . فلما أشرق الإسلام في قلب الجزيرة عنى القرآن الكريم بتوجيه الأدب عامة والشعر خاصة إلى أهداف إنسانية : من الحق والخير ، والقيم السامية ، ونهى على شعراء الجاهلية لمعاصمهم في الآوهام الكاذبة ، وتخطيهم في الخيال الجامح ، وإهمالهم في تحرى الصدق والحقيقة ، واستثنى منهم الشعراء المثاليين الذين استجابوا لداعي الله وآمنوا برسوله ، وجعلوا أدبهم في خدمة الحق والدفاع عن العقيدة المقدسة : « والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي مقبل ينقلبون . » الآيات من سورة « الشعراء » .

وهكذا وضع القرآن الكريم للأدب مقياساً جديداً قوامه الحقيقة والفضيلة والمثل الأعلى . وفي توضيحه قال الرسول صلوات الله عليه كما نقل ابن رشيقي كتابه ( العمدة ) : « إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه . » وليس في توجيه القرآن الشعر إلى الحقيقة والفضائل إهمال لعنصره الأساسين : الجمال الفني ، والخيال البديع . فقد بين الرسول أن الجمال والإبداع لابد منهما ليكون للأدب تأثيره السحري على النفوس والعواطف ، ولكنه يشترط مع عنصر الحقيقة والصواب . وهذا معنى الحديث الشريف « إن من الشعر لحكمة » وإن من البيان لسحرا ، كما أنه لا يمنع تجميل الشعر بالخيال البديع ما دام غير ضال ولا مبالغ ، ولا فيه مساس بحرمان الناس وأخلاقهم كما ترى في « بانث سعاد » التي أنشدها كعب بن زهير بين يدي الرسول عليه السلام ، وفيها يقول :

هيفاء مقبله بمجزاء مدرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

فهو لا يحرم الغزل العفيف ، والتغريد بالعواطف الزينة والحب البريء ؛ ولا يجيز المغالاة الخرقاء أو اللغو الفارغ والحشو المزدول . وفي ذلك يقول الرسول صلوات الله عليه : ألا أخبركم بأبفضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة ؟ الثنارون المتفهبون ، قال المبرد ، وقوله عليه السلام : الثنارون يعني الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق . وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء ، يقال عين ثنارة . وقوله عليه السلام : المتفهبون إنما هو بمنزلة الثنارون توكيد له . ومتفهب : متفعل من قولهم فهب الغدير يفهب إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد . ومن التكلف الممقوت في نظر الدين مغالاة الشاعر وتجاوزة الحد : وقد أشد الثابتة الجعدي بين يدي رسول الله قصيدته التي قال فيها :

علونا السماء عفة وتكرماً وإنا لبني فوق ذلك مظهرأ

فغضب النبي عليه السلام وقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة بك يا رسول الله . فقال له النبي عليه السلام : أجل إن شاء الله . ولا يختص التكلف المزدول بأساليب الكلام ولفظه ، ولكن استهجن تكلف العواطف والمشاعر ؛ فقد حض الرسول على إهمال الشعراء المتكلفين الذين لا يمدحون أو يذمون عن عقيدة . وفي الحديث : احسوا في وجه المداحين الزراب .

وإنما يمدح الإنسان أو يذم بما هو فيه فحسب ، حتى لقد أمر النبي شعراء المسلمين عند ما يردون على شعراء المشركين افتراءهم على الرسول وطعنهم على الإسلام ، أن يتحروا عن عيوبهم عند العارفين بها أمثال أبي بكر رضي الله عنه لكي لا يفتروا عليهم إذا نبادلوا معهم الهجاء وتراشقوا التهم . فمن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، بنى رسول الله لحسان في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر ، وقال لحسان : اهجم (يعني قريشاً) فو الله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام اهجم ومعلك جبريل روح القدس والقي أبا بكر فمعلك تلك الهجات . فأنت ترى أن هذا الهجاء ليس من نوعه عند الجاهليين كذب وافتراء على الناس ، وإنما هو نقد خالص رخص فيه القرآن للبريء المعتدى عليه في الدفاع عن نفسه ؛ قال تعالى : ولا يجب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً . أما الهجاء

بلا حق فمنوع قطعاً بنص القرآن . قال سبحانه : فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور . . وعندما تقام شر الحطيثة في هجماء الناس والظلم عليهم حبسه عمر وهدده بقطع لسانه ، ثم عفا عنه حين ألقه وبعث يستحفظه بقوله :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ      زغب الحواصل لاهاء ولا شجر  
القيت كاسهم في قعر مظلة      فاغفر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه      ألقى إليك مقاليد الهى البشر

وقصارى القول أن الواقعية في الأدب هي المفضلة في توجيه القرآن الأدبي . وأقوم الأدباء فيلاً ، وأهدام سيلاً ، من تحرى الصدق ، وقال الحق ، ونطق بالحكمة والموعظة الحسنة . وكان الرسول يعجب بشعر ليلى بن ربيعة لما فيه من الحكمة العالية . وروى محمد بن بشار بسده إلى أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة ليد »

ألا كل شيء ما خلا الله باطل      ... ..

أخرجه الترمذى في الشئائل ، وأخرج عن عائشة أمه عليه السلام كان يمثل بشعر ابن رواحة ويقول طرفه : [ ويأتيك بالآخبار من لم تزود ]

بعد ما تبين تستطيع أن تلخص بميزات التوجيه القرآني للأدب عموماً وللشعر خاصة فيما يأتي : (١) لا بد لكل عمل في أدبي من غاية سامية ومثل أعلى (٢) الغايات السامية والمثل العليا في الأدب لا تختلف عنها في كافة الأعمال الأخرى ، وهي ما حددها الدين : من التوحيد ، والعدل ، والرحمة ، وخدمة الصالح العام الخ (٣) الحقيقة دائماً مقدمة على الخيال ، وكلما كان حظ الأثر الأدبي من الحقيقة أكثر كانت قيمته أعلى وأثمن (٤) الجمال الفني والخيال البديع المعقول واستلهام للمواطف الخيرة والميول البريئة - مقومات أساسية في كيان الأدب لا بد منها (٥) لا يجوز للأدب أبداً أن يتحلل من الاعتبارات الخلقية أو يمس الآداب والحرمان أو يخرج على القيم السامية للجمع .

أما قيمة هذا التوجيه الأدبي الاسلامي والموازنة بينه وبين ما هداه من الاتجاهات والمقاييس الفنية القديمة والحديثة ، فوعدنا به غير هذا البحث في فرصة أخرى ، وعسى أن يكون قريباً .

## الاجوبة المسكتة

من الموضوعات ما هو طريف لا تمل قراءته ، ولا تأسأ إعادته ؛ فإذا كان فوق ذلك مفيداً بلغ الغاية من النفع . من هذا الصنف كتاب ( الاجوبة المسكتة ) لصاحب العزة الاديب البابه ، أحد صابر بك ، ، فقد أودع مؤلفه كل ما عثر عليه في كتب الادب ، من جواب مسكت . والجواب المسكت لا يتأق كل وقت ، ولا يتسنى لكل متكلم ، فهو طراز من الكلام يحىء عفواً ، لمن استأهلوا ذلك من المستندين إلى ذخريئين في قلوبهم ، من الحكمة وفصل الخطاب ؛ وقد صرح برأيه فيه إمام البلاغة الجاحظ فقال :

« إن الاجوبة المسكتة هي أصعب الكلام مركباً ، وأعزّه مطلباً ، وأغمضه مذهباً ، وأضيقه مسلكاً ، لأن صاحبها يعجز عن مناجاة الفكرة ، واستعمال القرينة ، حيث يروم في بديته ، نقض ما أبرم القائل في رويته ، ويفتح بيانه منطلق الحجة ، ويسد على خصمه واضح المحجة » .

والخلاف بيتنا أنا : تقول « يحىء عفواً للمستندين إلى ذخريئين من الحكمة وفصل الخطاب » ، وهو يقول إنه يحىء بعد مناجاة الفكرة ، واستعمال القرينة ، ولا نرى الوقت يسمح بهما أثناء التكلم .

وإننا لشكر الأستاذ المأولف على ما جمع من درر غوال ، لا تقوم بمال ، وما أمد به الادب العربي من شذرات ، كانت موزعة في عشرات من الكتب ، لجمعها في كتاب . وهو يوجد بمكتبة السيد محمد الحلبي ، وثمنه أربعون قرشاً .

## البيان الفاصل بين الحق والباطل

الإنسان في حياته الدنيا متنازع بين داعيين : داعى الحق ، وداعى الباطل ؛ فالأول يدعو له فيه صلاحه وفلاحه ، ولما به تقدمه نحو غايته المرجوة ، ووصوله إلى مثله الأعلى ، وحفظه في أثناء حياته الأرضية من علل النكوص على عقبيه ، والنكول عن غايته ، ومن شرور الفتن الغائلة ، ومموم الآثام القاتلة ؛ والثاني يورطه في المهالك ، ويزج به في المضالك ، ويسول له ارتكاب المآثم ، وغشيان المظالم ، ولا يزال بصاحبه يصدده عن الخير ، ويجره إلى الشر حتى يجعله عبدة للمعبرين . وقد بين الله في كتابه الكريم ، ما هو حق وما هو باطل من العقائد

والأعمال، وفصلها تفصيلاً، حتى لا يقع فيها من يسول له الشيطان ركوبها، فيوبقه كما يفعل بشيعته في كل حين . لجاء العاضل النبيل ، المؤلف الثابه الجليل الأستاذ . على فكرى . لجمع ما ورد في الحق والباطل في الكتاب والسنة ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوبها أكمل بوب ، وطبعها في كتاب ، فالبث أن نفذت طبعته الأولى ، فرأت دار لإحياء الكتب التى طبعته أولاً أن تعيد طبعه ثانياً . فخرج لهذا الكتاب الذبوع والانتشار ؛ فإنه خير ما يحفظ الإنسانية لصاحبها ، ويهديه إلى طريق الفضيلة التى ينشدها ، ويرده عن الباطل الذى يهدمه ، رداً رقيقاً ، ولكن مؤثراً . فنشكر المحصرة المؤلف عنايته بنشر أمثال هذه الكتب التى تؤدى للإنسانية أجل خدمة ، وتمدها بأمرى سلاح ، لتخلص من شرور الحياة وآلامها .

### مؤلفات أحمد تيمور باشا

من أحسن ما عني به الفيورون على المؤلفات الطريفة ، مؤلفات العالم الجليل أحمد تيمور باشا رحمه الله وأجرل جزاءه ، فقد أدنى للغة العربية خدمة جلية لم يقم بها سواه ، منها كتاب ( ضبط الأعلام ) فقد كانوا يقرءون أسماء كثير من الشعراء ورجال التاريخ على غير حقيقتها ، كإن الزبيرى والطرمخ وغيرهما ، مما يعد بالملاث ، فعنى تيمور باشا بضبطها فسدت ، فراغاً فى المطبوعات العربية لم يتلاه غيره ، ومنها كتاب ( البرقيات ) . قال رحمه الله فى مقدمته : « من مزايى اللغة العربية أنها تحتوى كلمات تدل فى إطلاق واحد على معان متعددة نحو ( ربح ) أى رفع الحجر باليد امتعانا للقوة . ثم قال : وإنما سميتها بذلك لما فى التعبير بها من الإيجاز المطلوب فى الرسائل البرقية ، فأقضى وضعه لها مئات من الكلمات وشرحها شرحاً وافياً ، وحلاها بالشكل خشية أن يلحن القارئ لها فلا يتم له المقصود منها وهو الانتفاع .

ومن تلك المؤلفات ( الأمثال العامية ، والكسايات العامية ) فهى تقع فى نحو سبائة صفحة ، أتى فيها رحمه الله بما كنا لا نعرفه منها . وهى مؤلفات تحتاج لجهود متواصلة ، وتحقيقات شاقة . وبما يسر محبى الاطلاع أن اتدب للإشراف على طبع هذه الكتب الكاتب الأملئ الكبير صاحب العزة خليل ثابت بك . لجاءت على أحسن ما يمكن أن يكون طبعاً وورقاً ؛ فنشكر له هذه الخدمة الأدبية ، شكراً مضافاً إلى شكرنا له على ما قام به من خدم صحفية متميزة سنين طويلة .

تطلب هذه الكتب من مكتبة الخانجى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## أحاديث الاستاذ الأكبر

مع السفراء والمفوضين السياسيين

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر ظهر اليوم ( ١٩٤٩/٩/٢١ ) وزير يوغوسلافيا المفوض الجديد ، ومعه شيخ علماء يوغوسلافيا ، وفد من العلماء ؛ وقد رحب بهم الأستاذ الأكبر وتمنى لهم طيب الإقامة ، وقد قدمهم لفضيلته الوزير المفوض قائلا : إنه سعيد أن يزور الجامع الأزهر العتيق ذا الصوت البعيد فى جميع أنحاء العالم ، وسعيد أن يزور شيخ الأزهر ليوطد الصلات الوثيقة بين مسلمى يوغوسلافيا ممثلين فى وفد العلماء ، وبين الأزهر الشريف . ثم قال : إن المسلمين كلهم فى يوغوسلافيا يتطلعون الى الأزهر ، لأنه مصدر العلم والثقافة الدينية .

ف شكره فضيلة الأستاذ الأكبر على هذه التحيات .

وسأل الأستاذ الأكبر شيخ علماء يوغوسلافيا عن حال المسلمين هناك ، فقال شيخ العلماء : إن المسلمين بخير ، وهم يتمتعون بحقوقهم الدينية والمدنية كبقية المواطنين ، ولهم مدارسهم التعليمية والدينية .

وسأل الأستاذ الأكبر عن المدارس الدينية ومستوى الثقافة فيها ، فقال شيخ العلماء : إن مدة التعليم فى المدارس ثمان سنوات ، والطلبة يدرسون فيها الفقه والأصول والحديث والبيان والبدیع ، والمذهب السائد هناك هو

المذهب الحنفي... وهناك مدارس لتعليم اللغة العربية ولكنها ما تزال في حاجة إلى النهوض.

فقال الأستاذ الأكبر : إن غير ما يصره أن يعنى المسلمون بشئون دينهم ، وأن يحرصوا على تعليم أولادهم أصول الدين ، ليطلعهم على الدين منذ نعومة أظفارهم ، وأنه يلاحظ أن مدة التعليم في المدارس الدينية قصيرة ، وهي تحتاج إلى فترة أطول ليتم فصح المتعلمين فيها ، وهو يوصى فضيلة شيخ العلماء أن يعمل على زيادة مدة الدراسة أربع سنوات أخرى : لأن هذه هي أقل مدة يمكن فيها استيعاب العلوم الدينية والعربية . فوعد شيخ العلماء بأن يعمل على تنفيذ نصيحة الأستاذ الأكبر .

وسأل فضيلة الأستاذ الأكبر عن تعداد المسلمين في يوغسلافيا ، فقال شيخ العلماء : إن عددهم يربو على المليونين .

وسأل الأستاذ الأكبر عما إذا كان في يوغسلافيا محاكم شرعية ، فقال شيخ العلماء : كان في يوغسلافيا محاكم شرعية تقوم بالفصل في مسائل الطلاق والزواج والموارث الخاصة بالمسلمين ، ولكنها ألغيت أخيرا بعد تعديل نظام يوغسلافيا .

ووجه الأستاذ الأكبر السؤال عن أسباب إلغاء المحاكم الشرعية إلى الوزير المفوض . فأجاب سعاده : إن حكومة يوغسلافيا رغبت حين عدلت دستورها أن تجعل حرية التقاضى لجميع المواطنين واحدة ، فألغت كل المحاكم الطائفية ومنها المحاكم الشرعية ، وجعلت التقاضى كله أمام محكمة الشعب الوطنية . وقد روى احترام حقوق المسلمين ، فخصص قضاة مسلمون للنظر في مسائل الأحوال الشخصية الخاصة بهم . وحكومة يوغسلافيا الآن حكومة وطنية لا تفرق إطلاقا في المعاملات الدينية .

فقال الأستاذ الأكبر : إنه مع احترامه لوجهة نظر الحكومة اليوغوسلافية يأسف لإلغاء المحاكم الشرعية ، ويود أن تعيد الحكومة اليوغوسلافية النظر

في أمر إلغائها . واتجه الأستاذ الأكبر إلى العلماء وقال : إني أرجو أن تعملوا على إعادة هذه المحاكم ، وأن تختاروا لها الأكفاء من القضاة ، لتكون هذه المحاكم أنموذجا يحتذى في تحرى الدقة والعدالة .

ثم قال الأستاذ الأكبر للوزير المفوض : لقد تحدثت إلى سلفك حين زارني منذ عام عن قرارات وصلتي عن اضطهادات وقعت على المسلمين في يوغوسلافيا ، وطلبت إليه أن يتحرى صحة هذه الوقائع ، وبودي أن أقف منك اليوم على هذه الحالة بالتفصيل ، لأطمئن على مستقبل أبنائي المسلمين في يوغوسلافيا .

فقال الوزير : إنه يشكر الأستاذ الأكبر أن أتاح له هذه الفرصة ليتحدث بصراحة عن معاملة الحكومة اليوغوسلافية للمسلمين ، وقال : إنه يريد أن يستمع الأستاذ الأكبر لرأي علماء المسلمين أولا في هذه المعاملة ، وهام شهود على ما يتمتع به العلماء من معاملة طيبة ، ونفى صحة ما وصل إلى الأستاذ الأكبر من تقارير عن اضطهاد للمسلمين ، وقال : إن الحكومة اليوغوسلافية لا تضطهد أحدا بسبب ديني ، لغرية التدين مكفولة للجميع ، وإذا كان بعض المسلمين قد وقعت عليهم عقوبات فليس هذا مرده إلى الدين ، وإنما لأنهم ارتكبوا مخالفات خطيرة ضد الدولة ، وشأهم في ذلك شأن غيرهم من بقية الطوائف .

وقال شيخ العلماء : إن كل ما يقال عن تعذيب المسلمين واضطهادهم لأسباب دينية هو محض افتراء ؛ فالمسلمون يمتنون بحمد الله بكل رعاية وعناية من الحكومة اليوغوسلافية ، والحكومة تشجع الهيئات الدينية ، وتعاون على إنشاء المدارس ، وليس للمسلمين ما يشكون منه ؛ أما ما تصامع إلى الأستاذ الأكبر من عقوبات وقعت ببعض العلماء ، فسبها تأمرهم مع غيرهم على قلب نظام الحكم في الدولة ، ومع ذلك ومع عدم رضائي عن هذا المسلك ، فقد توسطت لدى الحكومة في تخفيف العقوبات عليهم ، وقبلت الحكومة رجائي .

فقال الأستاذ الأكبر : لقد أردت بذكر هذه التقارير التي وصلني أن أتبين وجه الحق فيها ، وأن أطمئن ويطمئن معي العالم الإسلامي على أن إخواني وأبنائي

المسلمين في يوغوسلافيا ، لا يضطهدون بسبب عقائدهم الدينية ، وما دام الأمر كما ذكر شيخ العلماء وذكر سعادة الوزير ، من رعاية لشئون المسلمين وكفالة لحقوقهم ، فقد ارتفعت لهذا الشأن . وإلى الأحرار أن يتحقق للمسلمين في يوغوسلافيا كل ما نرجوه لهم من تقدم . ونصيحتي لهم أن يجمعوا كلهم ، ويستمسكوا بدينهم ، لتحقيق لهم كل أمنهم . ورجا الأستاذ الأكبر شيخ العلماء أن يحمل تحياته ودعواته لأبنائه المسلمين جميعا .

وقال الوزير المفوض : إنه يود أن يؤكد للأستاذ الأكبر أن المسلمين في يوغوسلافيا أحسن حالا منهم في أي وقت مضى ، وأن عناية الحكومة بنشر التعليم في جنوب الصرب ومقدونيا عناية فائقة ، وأن المدارس في البقاع الإسلامية قد فشلت وزاد عددها ، وأن الحكومة - فضلا عن هذا وتشجيعا للتعليم الديني تفكر في ربط الصلات بين مسلمي يوغوسلافيا والأزهر ، وسيخرج هذا التفكير إلى حيز التنفيذ حين توفد الحكومة بعثة من أبناء المسلمين للتعلم في الأزهر والتخصص في العلوم الدينية والعربية ، وبذلك تكون أول بعثة تفتد إلى الأزهر من يوغوسلافيا بعد الحرب ، وهذا تتحقق الروابط الثقافية الوثيقة بيننا وبين مصر ، وبومها يرى العالم الإسلامي ويدرك أن الشائعات المغرضة التي تكثر هنا وهناك عن سوء معاملة المسلمين لا أساس لها من الصحة إطلاقا .

فقال الأستاذ الأكبر : إنني أرحب دائما بالتعاون النفاقي بين الأمم ، لأنه دعامة قوية في تحقيق التفاهم وربط الصلات الوثيقة بين الشعوب .

ويسرني أن يعود أبناء مسلمي يوغوسلافيا إلى رحاب الأزهر ، ليهلوا من معارفه ، ويرشدوا قومهم إذا رجعوا إليهم . وإن الأزهر بفضل التوجيه السامي لحضرة صاحب الجلالة . ولانا الملك المعظم فاروق الأول الذي يحرص على نشر نور العلم في جميع الأقطار ، وعلى ربط المسلمين في جميع بلاد العالم في الشرق والغرب برباط وثيق من المحبة والتعاون - أرحب بأي بعثة تفتد من يوغوسلافيا لطلب العلم ، وستجد البعثة القادمة ما تجده البعثات الإسلامية جميعا من عطف الفاروق العظيم ورعايته ، مما يسر لها أمورها ، ويمهينها على طلب العلم ؛ فقد حرص

جلالته أدام الله ملكه ، على أن يوفر من جيبه الخاص لأبناء البعث الإسلامية كل وسائل العيش والإقامة ، لينصرفوا مطمئنين إلى أداء رسالتهم التي وفدوا من أجلها ، وهي التزود بالعلم ، والتبحر في الدين .

وشكر الوزير للأستاذ الأكبر هذا العطف ، وأثنى على أريحية الملك العظيم ، وقال : إنني حين تشرفت بالمثل بين يدي جلالته حدثني حفظه الله عن اهتمامه بالتعاون الثقافي بين الأمم ، وعن رغبته في قيام التبادل الثقافي بين مصر ويوغوسلافيا . وقد أكدت لجلالته أن يوغوسلافيا حريصة على إنماء صلاتها بمصر وعلى التعاون معها ثقافياً ، وقد أبلغت حكومتى رغبات جلالته ، وسأبلغها مقترحات الأستاذ الأكبر ، وتزحيب الأزهر بالبعثات التي تفد من أبناء مسلمي يوغوسلافيا ، وأرجو في وقت قريب أن تتخذ الترتيبات لإرسال هذه البعثة حتى تتحقق الصلة بين الأزهر ويوغوسلافيا .

واستطرد الحديث إلى الطلاب اليوغسلافيين الذين وفدوا إلى مصر قبل الحرب ، وطالب الأستاذ الأكبر سعادة الوزير أن يعنى بأمرهم ، وأن يوفر لهم من المساعدات ما يمكنهم من طلب العلم هادئة نفوسهم . وقال الوزير : إن أحداً من هؤلاء الطلاب لم يتقدم إليه ، ووعد بالظر في شأن من يتقدم إليه منهم ، وبحث حاله .

وكرر الوزير الشكر للأستاذ الأكبر على أن أتاح لهم هذه الفرصة لزيارته ، واستأذن مع وفد العلماء منصرفين ، فودعهما الأستاذ الأكبر شاكرًا راجيًا لهم سفراً ميمونا إلى الأقطار الحجازية .

هذا وقد قدم الوفد إلى الأستاذ الأكبر هدية نفيسة من صناعة يوغوسلافيا هي طقم فاخر للقهوة بموه بالذهب . وقد قبل الأستاذ الأكبر الهدية شاكرًا .

## حديث حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

مع مراسل وكالة الأنباء الإسلامية بمناسبة احتفال حكومة باكستان  
بتأسيس أربع جمعيات ثقافية

١ — تحتفل حكومة باكستان بتأسيس أربع جمعيات ثقافية لتوطيد العلاقات بينها وبين العالم العربي والإسلامي، فهل تفضلون بتوجيه كلمة في هذه المناسبة عن شعوركم نحو هذه الجماعات، وعما توصون به لتوسيع نطاق أعمالها؟

— إن كل عمل غايته نشر الثقافة في البلاد الإسلامية والعربية، يملؤني غبطة وصبراً؛ إذ ما أحوجنا إلى أن نثير أدهان أبنائنا في العالم الإسلامي، وأن نوحّد بين ثقافتهم وأن نوجههم توجيهاً صالحاً يقوم على المحبة لدين الله، والإخلاص لتعاليم الإسلام؛ ولا ريب أن ديننا الحنيف يدعونا دائماً إلى التأمل والنظر في ملكوت الأرض والسماء، ويطلبنا بأن تتسلح بالمعرفة، وأن تزود بالثقافة الكاملة، لنستطيع أن نواجه الحياة في قوة وعزم، ولنستمع على إدراك أسرار الكون، ومجازاة الحياة، وفهم غوامضها؛ ولا شك أن العمل على توحيد الثقافة في البلاد الإسلامية والعربية، عمل جليل الشأن، لانه يقرب بين أفكار هذه الأمم، ويربطها برباط وثيق من وحدة العسكر والشعور يزيد برباط الإيمان بينهم قوة وتوثيقاً.

والعالم الإسلامي والعربي اليوم لا بد له أن يتشكل ويتجمع ككتلة على أساس من المحبة الخالصة لله، ليفق قويا بإيمانه، معتزاً بثقافته وتعاليمه في وجه كل تيارات العدوان التي تناوش العالم الآن.

وإني إذ أمنيء حكومة باكستان على هذه الخطوة المباركة في سبيل التقريب والتفاهل بينها وبين الشعوب الإسلامية والعربية، أرجو أن تظل هذه الروح جميع

أبناؤنا وإخواننا المسلمين في جميع أقطار الأرض ، لنتمكن لكلمة الله ، ونحقق هدفنا الأسمى في أن نعيد للإسلام عظمته ومجده . ونصيحتي لأبناء المسلمين في باكستان أن يقبلوا على تشجيع هذه الجمعيات الثقافية ماديا وأدبيا لتزدهر وتصبح نواة لحركة نهضة ثقافية تم دولة باكستان الجديدة ، وترسى لها تقاليد قوية في خدمة العلم والمعرفة . كما أنصحهم جميعاً بالإقبال على العلم والتزود من المعارف ؛ لأن الثقافة والمعرفة في عصرنا الحديث هما أداتا التقدم والسيادة ، فإذا اجتمع لنا دين قوي وعلم صحيح ، استطعنا أن نعيد مجد الإسلام والعروبة ، وأن نجعل كلمتنا هي العليا يا ذن الله . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

٢ — ما هو مدى تعاون الأزهر مع الشعوب الإسلامية ، وما مظاهره ؟

-- إن الأزهر منذ نشأته هو الحلقة التي تربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض ؛ إذ يقد إليه طالبو العلم من المسلمين من جميع بقاع الأرض ليتزودوا من معارفه وحكمته ، ويعودوا إلى بلادهم ليرشدوا قومهم وينيروا أمامهم سبل الهداية . ولا عجب في ذلك ؛ فالأزهر هو معقل الدراسات الإسلامية . من فقه ، وحديث ، وتفسير ، وعلوم الكلام ؛ بل هو المعقل الذي حفظ تراث الدين واللغة من نحو ألف سنة ، برغم كل الثقليات والحوادث التي وقعت في مدى هذه السنوات . وقد ظل علماء الأزهر عاكفين على الدراسة والتأليف في جامعاتهم المتين ، وتركوا للعلم والدين زادا من المعرفة لن ينفد على الأيام .

فأنت ترى معنا أن الأزهر قد أحيا علوم الدين واللغة ، ونهض بها نهضة واسعة أفاد منها المسلمون جميعا ، وتأثروا بها في ثقافتهم وتأليفهم ؛ ولذلك فإن طابع الأزهر يميز في كل البقاع ، وتلاميذته الذين اغترفوا من منهل وانطبعوا بتعاليمهم الذين يوجهون الحياة العامة في البلاد العربية والإسلامية .

للأزهر إذاً فضل جمع أبناء المسلمين في صعيد واحد بما فتح لهم من أبواب ، وما يسر لهم من أسباب تعليمهم على طلب العلم ، وتمسكهم من الجلوس جبا إلى جنب ، سنوات طويلة في حلقات الدرس ، فتلافلوهم بالحجة الصادقة والتعاون الوثيق ، وتشرب نفوسهم بروح الإخاء والألفة ، حتى إذا عادوا إلى بلادهم ذكروا بمعهد العتيق ، وكانوا رسل سلام وهداية وتوفيق .

وللأزهر فضل توحيد الثقافة الإسلامية ومناهج دراستها ، فإن أبناءه الذين تعلموا فيه قد انبثوا في جميع بقاع الأرض يؤدون رسالته ويعملون على نهجه ، ويذيعون آراءه وأفكاره ، وطرق بحثه ووسائل إرشاده ؛ ومن هنا تأثرت بهم الحياة العامة في الشعوب الإسلامية ، وقويت عن طريق جهودهم الدعوة الدينية . ويمكن لتقدير عظم هذا التأثير أن تعلم أن الأزهر ظل وحده مدى قرون طويلة ، هو حامل مشعل الهداية والثقافة في العالم الإسلامي ، وأن كل حركات النهضة العلمية والثقافية خرجت منه ونفذت من أبنائه .

أما الأزهر الآن فقد جرى على هذه التقاليد الطيبة ، وزاد عليها في التوسع والتنظيم للبعوث الإسلامية الوافدة إليه . وقد كان للبغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول - أسكنه الله فسيح جناته - فضل توجيه الأزهر إلى هذه الناحية السامية ، بما قدم من معونات أدبية ومادية خلدت ذكره في نبت العاملين المصلحين ، ثم كان لحرص صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول راعي العلم والعلماء على أن يظل الأزهر مثابة الوافدين من جميع بقاع الأرض ، أكبر الأثر في تشجيع البعث الإسلامية على الوفود ؛ فقد فضل جلالة فشمل هذه البعث برعايته ، وأمر أن تكون نفقتها من جيبه الخاص . وفي الأزهر الآن نحو ألف وسبعمائة طالب من البلاد الإسلامية : من الصين والهند وأندونيسيا وجاوه وإلبانيا ويوغوسلافيا وتركيا وروسيا والمغرب وجنوب أفريقيا والشام والعراق وإيران وغيرها ، كلهم متمتعون بفضل الفاروق ورعايته ، وكلهم يدرسون ويعملون متحافين لخدمة العلم والدين . هذا المؤتمر الإسلامي الكبير الدائم لا شك له أثره في التقريب بين الشعوب الإسلامية في الفكر والشعور ، والتوحيد بينها في الثقافة ، وربطها جميعا برباط الوحدة والمحبة في دين الله .

وقد حرص الأزهر من ناحية أخرى - بفضل عناية جلالة الفاروق وتوجيهه - على إشاعة الثقافة الإسلامية ، بين الشعوب عامة ، فأرسل بعثات من أساتذته ومتخرجيه إلى كل البلاد العربية والإسلامية ، ليعملوا على نشر كتاب الله وسنة رسوله ، ويوجهوا الثقافة الوجهة الإسلامية الصالحة . وإنك لو اجد

اليوم في كل عواصم البلاد العربية والإسلامية بعوناً عليّة نشطة واثناً  
الازهر وعلاؤه ، ينشرون علم الازهر في الآفاق ، ويربطون بين شعوبها برباط  
المحبة والمعرفة .

ولم يقف جهد البعوث الازهرية عند حدود البلاد العربية والإسلامية ، بل  
حرصنا على أن يكون للازهر فضل السبق في دعوة الشعوب التي لما يصل إليها نور  
الهداية الى كتاب الله وستة رسوله ، فأرسلنا البعوث الى جنوب وشرق إفريقيا  
للدعوة والإرشاد ؛ ونحن بسبيل إرسال بعوث أخرى الى أعماق متفرقة ، لتؤدي  
رسالتنا في خدمة العلم والدين كاملة ، والله يوفقنا جميعاً ويهدينا سواء السبيل ؛  
« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله » .

هذا من الناحية الثقافية والتعليمية ، أما من الناحية العامة فإن الازهر يؤيد  
من كل قلبه الشعوب الإسلامية والعربية في نهضاتها ، ويساهم في الدعوة لقضاياها  
والحث على معونتها ، وما موقفنا من مسألة فلسطين يعبء ، فقد دعونا لقضيتها  
وجاهدنا في سبيلها ، وجمعنا المال لمعونتها ، وما زلنا إلى اليوم نرقب حركاتها  
في سبيل التحرر من قيود الاستعمار الصهيوني . والله المستول أن يحقق آمال  
المسلمين والعرب في نصرها واستقلالها ، ويعين أصحاب الجلالة ملوك العرب ،  
وأصحاب الفخامة رؤساء الحكومات العربية والإسلامية في جهادهم الذي بدوه  
ضد الصهيونيين ، وأن يكتب لهم النصر والتأييد .

« إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

# صفة رسول الله في التوراة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو ، قال : قرأت في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد رسول الله : هدى ، ورسولي ، سميت المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، بل يعفو ، ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله .

• • •

حفظت الكتب السماوية القديمة ، والتبوات السابقة عند أهل الكتاب بالحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، والشارة بنبوته ، وذكره بتعته وصفته وعلاماته ، ودعوته ، وصفة أمته ، ووقت مجرجه ، وما إلى ذلك ، وأشار القرآن الكريم إلى هذا في طرف من آياته الشريفة ، فقال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » : وقال : « الذين يتبعون الرسول الذي يأتيهم كتابه من ربهم هم هم المفلحون » : والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، ويهاجم عن المنكر .

ولما حصر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي التجاشي ، وقرءوا القرآن ، وسمعه القسيسون والرهبان ، انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، فذلك قول القرآن الكريم : « وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ... » الآيات .

ومن أجمع ما جاء في التوراة خاصاً به صلى الله عليه وسلم ، ما أشار إليه الحديث الذي معنا ، فقد عرض له بذكر اسمه ووصفه ، وبعض شيمه وفضائله ، وأخلاقه وشمائله ، وبيان زمن انتقاله إلى ربه ، وأنه لن يكون إلا بعد أن تتحقق

المهمة الموثقة به، ويكمل العمل المطلوب منه، وهو إقامة الدين الصحيح، وإعلام  
كله الله، وتخليص العقيدة الدينية مما طرأ عليها من شرك، وخالطها من عوج،  
ودخل فيها من تغيير وتبديل، وأن هذا لا يتم إلا بوجود الاعتقاد الجازم، وإظهار  
شعار الحق، وإعلان أمانة الصدق؛ والتعلق بكلمة التوحيد المتضمنة للإيمان به  
تعالى، والتصديق بما جاء به رسوله، مما يؤيده قوله: «أمرت أن أقاتل الناس  
حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، فن قال: لا إله إلا الله فقد هضم من ماله ونفسه  
إلا بحق، وحسابه على الله، فإن هذا الحديث تقرير وتعبير عن الإجابة إلى الإيمان  
بأنه تعالى، والتصديق بجميع ما جاء به الرسول، كما ورد ذلك صريحاً في الرواية  
الأخرى القائلة: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي»، وبما جئت به،  
واختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: لا إله إلا الله، ظاهر في مشركي  
العرب، وأهل الأوثان، ومن لا يوحّد، لأنهم كانوا أول من دعى إلى الإسلام،  
وقوتل عليه، أما غيرهم ممن يقر بالتوحيد كأهل الكتاب، فإنه لا يُكفَى  
في عصمته بقوله: لا إله إلا الله، لأنه كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده،  
بل لا بد فيها مع هذا من الإيمان بكل ما جاء به الرسول، كما جاء في الحديث  
الآخر: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»، وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة،  
ويؤنوا الزكاة».

\*\*\*

التوراة: هو الكتاب الذي ورثوه عن موسى، والجمهور على أن معناه  
الضياء والور، لأن هذه اللفظة مشتقة من وَرَى الزبدُ ووَرى: إذا خرجت  
نارُه. وقيل: لفظه التوراة مأخوذة من التورية، وهي التعريض بالشئ،  
والكتمان لغيره، فكان أكثر التوراة معاريف وتلوينات من غير تصريح  
وإيضاح، وهذا كله إذا جريسا على تقدير أن اللفظة عبرية، أما إذا كانت  
عبرانية، أو سريانية، كما قيل بكل، فلا معنى لهذا الاشتقاق على الحقيقة،  
لأن الاشتقاق من ألقاظ أحر أعجمية مما لا مجال لإثباته.

ومحمد: هو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم، وهو اسم مفعول من حمد  
فهو محمد، إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، وهو من المضاعف للبالغة،

لأنه هو الذى يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ، وهو الاسم الذى سمى به فى التوراة صريحاً ، على ما حققه العلامة ابن القيم فى كتابه « جلاء الأنفاس » ، وبين فيه غلط أبى القاسم السبلى ، حيث ذكر أن اسمه فى التوراة أحمد .

وذكر أصحاب السير والمغازى أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل لجده عبد المطلب : ما سميت ابنك ؟ فقال : محمداً ، فقيل له : كيف سميت باسم ليس لأحد من آباءك وقومك ؟ ، فقال : إني أرجو أن يحمد أهل الأرض كلهم . وذلك لرؤيا كان قد رآها عبد المطلب فى منامه ، وعُبرت له بمولود يخرج من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلهدا سمّاه محمداً .

وقال القاضى عياض : لم يسمّ بحمد أحد من العرب ولا غيرهم ، إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسعى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، وهم : محمد بن أبيحة بن الجلاح الأوسى ومحمد بن سلة الأنصارى ، ومحمد بن الرءاء الكندى ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حران الجعفى ، ومحمد بن خزاعى السلى ، لا مانع لهم ، ويقال : إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع ، والذين يقول : بل محمد بن ليحمد الأزدي . هم إن الله سمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة ، أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكّل أحداً فى أمره ، حتى تحققت الشيمتان له صلى الله عليه وسلم لم ينادع فيهما .

ورسوله : من الرسل ، وأصله الانبعاث ، فالرسول المنبعث ، ويقال تارة للقول المحتمل ، وتارة لمحتمل القول ، ورسل الله تارة يراد بها الأنبياء كقوله « إنه لقول رسول كريم » ، وتارة يراد بها الأنبياء كقوله : « وما محمد إلا رسول » ، والإرسال يتمل فى الإنسان ، وفى الأشياء المحبوبة والمكرهة ، وقد يكون بالفسح كإرسال الريح والمطر ، ويبحث من له اختيار كإرسال الرسل ، وبالتخيّل وترك المع كإرسال الشياطين على الكافرين .

والعبد : من العبادة ، وهو على جملة أضرب : عبد بحكم الشرع ، وهو الإنسان الذى يصح بيعه وابتاعه ، وعبد بالإيجاد ، وذلك ليس إلا لله تعالى ، وعبد

بالعبادة والخدمة ، والناس في هذا ضربان ، عبد الله مخلصاً ، وعبد للدنيا وأغراضها . وجمع العبد الذي هو مسترق عبيد ، وجمع العبد الذي هو العابد عباد فالعبيد إذا أضيف إلى الله تعالى أعم من العباد .

والتوكل : من التوكل ، وهو اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد ، ودفع ما يضره في دينه ودنياه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أحق الناس باسم التوكل ، لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلًا لم يشركه فيه غيره . والتوكل يقال على ضربين : توكلت لفلان بمعنى توليت له ، ووكلته فتوكل لي ، وتوكلت عليه بمعنى أعتمده ، وواكل فلان ، إذا ضيغ أمره متكلًا على غيره ، وتوكل القوم : إذا تكل كل على الآخر ، والتوكيل . أن نتمتع على غيرك ، ونجمله نأبأ عنك ، والوكيل : فعيل بمعنى المفعول .

والفط : السكرية الخلق ، مستعار من الفط الذي هو ماء الكرش ، وذلك مكروه شربه ، لا يتناول إلا في أشد ضرورة ، قال تعالى : « ولو كنت فظًا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .

والعليظ : الحشن ، والغلظة ضد الرقة ، وأصله أن يستعمل في الأجسام ، لكن قد يستعار للعاني كالكبير والكثير : قال تعالى ، وليجدوا فيكم غلظة ، أى خشونة ، واستغلف : تنهياً لذلك .

وصغاب : من الصغاب ، وهو شدة الصوت ، يقال . صغبت فهو صغاب وصغيب وصغوب وصغبان ، وتصاغبوا : تصايحوا وتضاربوا ، واصطغاب الطير : اختلاط أصواتها .

والأسواق : جمع سوق ، وهو الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع ، قال تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق » .

ويجزى : من الجزاء ، وهو ما فيه الغناء والكفاية من المعاملة إن خيراً نظير ، وإن شراً فشر .

والسيئة : الفعل القبيحة ، وهى ضد الحسنة ، وتقع على ضربين : أحدهما بحسب اعتبار العقل والشرع ، نحو : « ومن جاء بالسيئة ، فلا يجزى إلا مثله » ،

وثانيتها بحسب اعتبار الطبع ، وذلك ما يستثقله الطبع ، نحو : « وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » .

ويعفو : من العفو ، وهو التجافي عن الذنب ، وعفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه ، فالمفعول في الحقيقة متروك ، وعن متعاق بمضمر ، وقولهم في الدعاء : أسألك العفو والمغفرة أى ترك العقوبة والسلامة .

وبصفح : من الصفح الذى هو ترك التثريب ، وهو أبلغ من العفو ، فإنه قد يعفو الإنسان ، ولا يصفح ، وصفحت عنه : أوليته من صفحة جملة ، معرضاً عن ذنبه ، أو لقيت صفحته متجافياً عنه ، أو تجاوزت الصفحة التى أثبتت فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها ، والمصاحفة : الإفضاء بصفحة اليد .

وأقبضه : من القبض ، وهو تناول الشيء بجميع الكف ، ويستعار لتحصيل الشيء وإن لم يكن فيه مراعاة الكف ، كقولك : قبضت الدار من فلان ، أى حزنها ، ويكى بالقبض عن الموت ، فيقال : قبضه الله ، ومنه الذى معنا ، والانتقباض : جمع الأطراف ، ويستعمل في ترك التبسط .

وأقيم : من الإقامة ، وهى الثبات فى المكان ، وإقامة الشيء توفيقه حقه ، قال تعالى : « قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، أى توفون حقوقهما بالعلم والعمل » .

والملة : من أملت الكتاب ، وهى كالدين اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء ، ليتوصلوا بها إلى جوار الله ، والفرق بينها وبين الدين : أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذى تستند إليه ، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ، ولا إلى آحاد أمة النبي ، ولا تستعمل إلا فى جملة الشرائع دون آحادها ، ويقال الملة اعتباراً بالشيء الذى شرعه الله ، ويقال الدين اعتباراً بمن يقيمه ، إذ كان معناه الطاعة ، والمراد بإقامة الملة فى الحديث توفيتها حقوقها ، والرجوع بها إلى ما يجب أن تكون عليه من استقامة واعتدال .

والعوجاء : المخالفة لحال الانتصاب والاستقامة ، والعوج يقال فى المنتصب

الذي يدرك بالبصر سهلاً ، كالحائط والمصا ، والعيوج يقال فيها يدرك بالذكر والبصيرة كالدين والمعاش ، والاعوج يكنى به عن سوء الخلق .

\*\*\*

ذكر كثير من العلماء - أخذاً من قول الحديث : « بأن يقولوا : لا إله إلا الله » أن فيه دليلاً على أن الاعتقاد الجازم كاف في الإيمان ، وأنه لا يجب تعلم الأدلة ، ولا جعلها شرطاً في تحقق الإسلام ، كما ذهب إلى ذلك كثير من المعتزلة وبعض المتكلمين . قال النووي : قد تظاهرت الأحاديث الصحيحة التي يحصل من عمومها العلم القطعي بأن التصديق الجازم كاف .

وذكروا أيضاً أنه يصح أن يؤخذ من الحديث اشتراط التلفظ بكلمة الشهادة في الحكم بالإسلام ، ونزك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد ، المخترعين للشرائع .

### مجاهدة النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

وقال هون بن عبد الله : إذا عصتك نفسك فيما كرهت ، فلا تطعها فيما أحبت ، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك .

وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم .

وقال بعض الحكماء : من رضى عن نفسه انحط الناس عليه .

وقال آخر : من قوى على نفسه تساهى في القوة ، ومن صبر عن شهوته بالغ في المروءة .

# عَيْدُكَ الْإِلَهِيُّ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

المفتش بالأزهر

يقول أهل العلم: إن من المقاصد التي جاءت لها الشرائع، إشعار الناس بأنهم عبيد لله اختياراً، كما أنهم عبيد له اضطراراً.

ومعنى هذا: أن الناس جميعاً مخلوقون لله عز وجل، وأنهم معتمدون في بقائهم مدة ما يعيشون على فضل الله ورحمته وإمداده، فإذا انقطع عنهم هذا الفضل وذلك الإمداد طرقة عين هلكوا، وأصبح عليهم وتجاربهم ومالهم من حيل أو عمل باطلا لا يغني عنهم شيئاً، ولا ينفعهم شيئاً؛ وهم لذلك عبيد لله في الواقع، لا يرجع الأمر في ذلك إلى اختيار منهم، فهم مبرحون بهذا الكون لا ينفكون عنه، مأخوذون بسنته رضا أم أبوا.

ومن جهة أخرى هم خاضعون لإرادة الله في وجودهم وهيتانهم، ودرجات عقولهم وحظوظهم؛ فإن أحداً لم يوجد في هذه الحياة باختيار منه، ولم يختار الهيئة التي صور عليها من طول أو قصر، أو جمال أو دمامة، أو قوة أو ضعف؛ وإن أحداً لم يختار لنفسه أن يكون على درجة كذا من العقل، أو أن يكون ذا قسط معين من حظوظ الحياة، فالحياة تجري على ما أَرَادَ الله لها، والناس يجرّون كما خلقهم الله، والكل خاضعون خضوعاً فعلياً اضطرارياً لما هم عليه، أو لما هم فيه، لا يحاولون ولا يستطيعون منه فكاً.

هذا الخضوع الواقعي الاضطراري هو عبودية الناس، بل عبودية كل شيء لله سبحانه خلقاً وتكويناً؛ أما العبودية التي قصدت الشرائع أن يشعر بها الناس:

فهى عبودية الطوع والاختيار ، وذلك إنما يكون بالنزول على حكم الله ، مع الثقة بأنه الخير والحق والرشاد .

\* \* \*

إن النفوس البشرية مزاجية دائماً الى اتباع الهوى ، فقد فطرت على ما تسميه « بالانانية » فكل امرئ يريد أن يكون هو الفائز بأ كبر قسط من متاع الدنيا ، وكل امرئ يريد أن يكون هو التاجي من جميع آلامها وصعابها ، وهو لهذا ينظر الى الأشياء بعين نفسه ، ويزن الصار والنافع بمقدار ما يعود عليه هو من الصع والضرر ، وقلبا يخرج الإنسان على هذه الطبيعة ، وإن تحمل وتحمل وتهذب وليس ثوب الإيثار ، فانه سيظل في أمر هذه الطبيعة ولو بعقله الباطن ، وتصرفاته « اللاشعورية » ؛ ولهذا لم يكن بد من أن يحال بين هذه الطبيعة السارية في جنس الإنسان ، وإفساد هذا الكون ؛ ولهذا كانت الشرائع ، وكان أهم شيء فيها هو محاربة « الهوى » لأن الإنسان إذا تحرر من هواء ، فقد تحرر من أخطر أنواع الشرك بالالهوية ، وألقى بنفسه بين أحضان الإيمان الصحيح ، والتوحيد الخالص ، وكان عبداً لله اختياراً كما هو عبده اضطراراً .

وإننا نجد في القرآن الكريم بياناً واضحاً لهذا المعنى : فاقه سبحانه وتعالى يصف « الهوى » بأنه إله إذا يقول : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » ؛ وذلك تصوير بليغ لانسياق الإنسان واندفاعه وراء ميوله ورغباته ؛ كما يدفع العابد في تحقيق أمر معبوده ، طلباً لرضاه ، وتقرباً إليه .

وقد تصل بهذا أيضاً قوله تعالى : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » فإن هذه الآية إذا نُظِرَ فيها مع قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » تبين أنها تشير إلى خطر الأهواء وشدة إفسادها للسموات والأرض إذا حكمت ، فإن الله لم يذكر فساد السموات والأرض على هذا النحو إلا حين تحدث عن التعدد في الألوهية ، واتباع الحق أهواء المبطلين .

وقد حذر الله من هذا الفساد نيا مليكا من أنبيائه الكرام ، هو داود عليه السلام إذ يقول : يا داود إما جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . وإذا كان ملك الله - جل جلاله - وهو السموات والأرض ومن فيهن وما لا يعلم إلا الله معرضا لأشد الفساد إذا اتبع الحق أهواء المبطلين ؛ فأولى بذلك ملك الناس ولو كانوا ملوكا أنبياء .

وقد صرنا إلى زمان اتبعت فيه الأهواء ، وسيطرت على الدول والأمم فيه النزعات والمذاهب البشرية ، فمن نازية إلى فاشية إلى ماركسية إلى ديمقراطية تلون بلون الانجليز تارة ، وبلون الفرنسيين تارة ، وبلون الأمريكان أحيانا ، بل يكون لها معنى في الغرب ، ومعنى في الشرق ، ويعرفها المستعمرون على وجه ، والمستعمرون على وجه آخر ، أو على وجوه أخرى ، وهكذا ظلمات من الأهواء بعضها فوق بعض ، والشعوب تتلظى بنيران المحاصرين عليها ، والمنعصبين لها ، فلا تفيق من حرب إلا إلى حرب ، ولا تعالج مشكلة إلا لتقع في مشكلات ، وكلما امتد الزمان بهذه الأهواء المتضاربة ، والنحل المتخالفة ، اقتس أصحابها في ابتكار وسائل الهلاك والدمار ، والحرب الغازية تلوها ، القنبلة الذرية ، ثم حروب الأمراض والأوباء تبت في الناس فتعمي بها الأبصار ، وتشوي بها الجلود والأبشار ، وينقل بها سكان الأكواخ والقصور ، إلى الأرامس والقبور . ذلك وما يعانيه الناس من الفاقة والضيق ، والخوف والعوز ، أشد عليهم وأتكى من هذا الموت المرتقب ؛ فإنه مامن شعب الآن إلا وقد ضوت منه الجسوم ، وخوت البطون ، وشجبت الوجوه ، واضطربت الأعصاب ، وغامت العيون ، وكأنما هي سنو يوسف غير أنها ليست سبعا ، وقد مضى منها حتى اليوم عشر ، ولا يدرى أحد إلا الله إلام تمتد ، وهل تخف حداثتها أو تشتد .

لعمري ما نكبت البشرية بذلك إلا من اتباع الأهواء ، وازورار الناس عن أن يكونوا عبيداً لله اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً .

إن أمر الناس والأديان اليوم دائر بين أمة خلعت رداءها ، ونذت أحكامها وتكاليفها ، وتحملت منها علانية في غير خفاء ولا تورع ، وأمة تمسكت بها رسماً لا حقيقة ، واحتفظت بها كتقليد ورثته فأبقت على صورته ؛ ولا تكاد تجد

أمة تتمسك بدينها ، وتبقى جميع أمورها عليه ، وتدير شئونها حسب رسومه .  
ومن عجب أنهم يعتبرون ذلك رقياً في الحياة ، وتخلصاً من آثار القرون الأولى ،  
وانفلاتاً من قيود الرجعية ؛ وإذا رأوا داعياً إلى الدين ، ومنذراً ينذرهم لعلمهم  
يرجعون ، سخرؤا منه ، ورموا بأباطيلهم في وجهه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون  
صنعا . أفن كان هلى بينة من ربه كن كُزِين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم . ا

لقد قلت وما زلت أقول : . إن العالم لى حاجة الى دعوة صادقة محلصة  
ترسم له سبل الحياة السعيدة ، وتضع له أسس الاستقرار والسكينة ، وتجمع  
في تعاملها بين المادية والروحية ؛ فلا تسمح لإحداهما بأن تغلفى على الأخرى ،  
ويشعر في ظلها كل فرد بأنه لبنة في بناء المجتمع ، وتأخذ الفطرة الصافية فيها  
حفظها الطبيعي في كل ناحية من نواحي الحياة ، فلا أثر ولا استئثار ، ولا معاندة  
لما طبع الله عليه العالم من التفاوت في المال ، والمواهب والاختصاص ، ولا تحكم  
ولا تمرد ، ولا عصية لجنس على جنس ، ولا امتياز للون على لون ، ولا غمط  
لحق ، ولا انتصار لباطل ، ولا ترويج لرذيلة ، ولا تكسر لفضيلة . ولن يجد العالم  
هذه الدعوة الصادقة المقتدة إلا في الإسلام ، ولو ظل قرونا من الدهر ينظر  
الى الككتلين ، ويرجع البصر كرتين . فليت شعري إلام يقبع المسلمون  
في ديارهم وأوطانهم منكشين يطرقها عليهم الطارقون ، فإما فتحوها لهم كارهين ،  
وإما ظلوا من ورائها خائفين يترقبون ا .

ألا إنهم لأرباب دعوة ، وأصحاب فكرة ، ودعوتهم هى النور المبين الذى  
به تمحى ظلمات الجهل والشرك والهووى والفساد ، والعلاج الحاسم لأدواء هذا  
العالم التى حار فيها المتطليون ؛ فليحوضوا بدعوتهم كل مخاض ، وليعرضوها على  
العقول بيضاء نقية ؛ كما جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وليلقوا بها في وجوه أهل  
الباطل وما اصطنعوا من دعوات الهوى والصلال ، فإن الحق سيزهق الباطل ،  
وإن عصا موسى ستقف ما يافسكون .

# فالعَمَلُ رَجُلٌ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى

وكيل معهد أسيوط

فى كتاب الله سبحانه . يأبى الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .

وفى السنة النبوية الكريمة . عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العبادة توجبه سليم ، وتهذيب عظيم ؛ ليكون الإنسان خليفة فى الأرض ، قائماً بالقسط ، حتى يحيا الناس حياة طيبة فى دنياهم ، وحتى يسمدوا بحوار الله الكريم فى آخرتهم .

شهد بذلك الكتاب والسنة ، فإن كتاب الله سبحانه يقول : . من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . . ويذكر أنه فرض الصيام تهذيبه ، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . . ويذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأن الزكاة طهرة وزكاة للنفوس ، خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم . ، والستة وزير الكتاب ونصيره . فإنها تقول . من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه . ومن لم تنه صلاته فلا صلاة له . وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها . فقال : لا خير فيها وهى من أهل النار . وما أكثر ذلك المعنى فى الدين . وجماعه فى قول الله سبحانه . أو من كان ميتاً فأحييناه

وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ، . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، . ولهذا قال العلماء إن أحكام الشريعة الإسلامية دائرة حول أمرين : جلب المنافع ودرء المفاسد . ولعل أساس ذلك كله العدل ، فهو الميزان الذي وضع الله لعباده ، لا تصلح حياة إلا عليه ، ولا يقوم نظام إلا به . وهو القسطاس الذي أراد الله سبحانه لعباده ، فما عبد الله من تكسب عنه ، ولا عرف الله من أنكره .

إن العبادة الحق خشوع في القلب ، واتصال بالرب . ولن يكون خشوع واتصال إلا ومعه ميزان واعتدال ، ولقد ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمن قال إني جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتي قال لا يبال عهدي الظالمين ، .

وما كان الله ليقبل شخصاً في ملكوت السماء حتى ينزل على حكم الحق ، ويكون هواه في كنف القسط والعدل ، لا تميل به شهوة ، ولا تستهويه نفس جاعة .

إن العبادة الحق دين قيم ، ولا دين إلا بالعدل في القضية ، والمساواة بين الرعية ، على اختلاف جهات الرعاية ، ولو كان الراعي مالكا لما يقضى فيه . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن جاءه يشهد على هبة لأحد أبنائه : هل وهبت لأخيه ؟ قال لا ، قال : فأشهد غيبي ، لا أشهد على زور ، اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم .

إنه لا دين حتى يكون عدل تعم به الأرض ، ويأمن به الخائف من الخوف ، وحتى يرحم الكبير الصغير ، ويوقر الصغير الكبير ، ويتعاون الكل مع الكل ، وإذا يظهر ذلك المعنى حق الظهور في عهد التبيين والخلفاء الراشدين والأئمة الصالحين . وأخبر رسول الله أن تمام هذا الدين يتمثل في أن يسير السائر مسافة كذا وكذا لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه . فالدين الصحيح يتمثل في العدل ، والعدل يتمثل في السلام والأمن . والعدل من أمثل صفات النبيين والمصلحين ؛ وإذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن شك في عدله : ويحك من يعدل إذا لم أعدل ! يشير بذلك إلى أنه أحق بالعدل ، لأنه أحق الناس بالدين .

وفي الكتاب والسنة كثير من التوجيهات ذات الدلالة على أن مرضاة الله في العدل وسخطه في البغي ، فهو ينتقم من الظالمين ، وينصف المظلومين ولو بعد حين .

لقد كان قارون من قوم موسى فبغى عليهم نجس الله به وبداره الأرض .  
ولقد علا فرعون في الأرض وجعل أهلها شيعا ، واستكبر هو وجنوده فأخذهم  
الله سبحانه فبذهم في اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .

وكان في المدينة نسمة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فدمرهم  
الله وقومهم أجمعين ، تلك يوتهم غاوية بما ظلموا .

وكل أخبار الأمم السالفة في قصص القرآن تدور حول الظلم والظلميان وجزاء  
الظالمين . لقد تردد هذا المعنى في الكتاب بما هو جدير أن يكون عظة وذكرا  
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكذلك سارت السنة تساند الكتاب الكريم وتستمده ؛ فقال السيد الرسول  
صلى الله عليه وسلم : إن الحية لتأرز إلى جحرها من ظلم ابن آدم . ثم تلا : ولو  
يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة : الآية ؛ وقال السيد الرسول صلى  
الله عليه وسلم : إن الله يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . ثم تلا : وكذلك أخذ  
ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد . وفي الحديث الصحيح  
: إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على  
نحو ما أعلم ، فن قضيت له بشيء من مال أخيه فإنما أقتطع له قطعة من جهنم .

وإذا كان الرضا في العدل والسخط في الظلم ، فإن العدل خير من العباداة مع  
الظلم ، وعدل يوم واحد خير من عبادة ستين سنة ، لأن العباداة بدونه غير مشرة  
ولا مؤدية لما هو المقصود . وإذا كانت السنة الكريمة قد نصت على عدد معين وهو  
الستون من السنين ، فإن العدد في ألعاظ الدين لا يراد به التحديد ولكنه للتأثير  
والتسديد ؛ فما أكثر العدد في ألعاظه من غير قصد إلى ظاهر دلالة .

وبعد : فإن الدين ليس صورا من العبادات في صلاة وصوم ، وتحريك الشفة  
بما يوم أنك من خيرة القوم ، وإنما الدين إيمان بخالط السويداء ، ونور من الله  
يقنعهم في النفس إلى كل داء ، فيشفي الصدور ، ويخرج منها كل بغي وزور ،  
ويبهد كل رعونة في الإنسان المسكين ، كما يبهد الفجر ظلام الليل البهيم : يهدي الله  
لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم .

إن الدين إصلاح في الأرض ، وسعى بين الناس بالخير ، ونصفة للظلم ، وأخذ بناصر كل مكوم ، ومسح برأس البائس ، وتخفيف من آلام المحروم اليائس ، وطهر وصفاء ، وصدق ووفاء ، وجهاد في سبيل الحق ، وحمل للنفس على المذهب الأشق ، لتقف في حيز الصراط المستقيم ، ولا تغلو أو تهبط ، فكل طريق ذميم . ذلك هو العدل الذي وضع الله لعباده .

والعدل إنما يصح في نفس تخشى الله ، أو تخاف التلف أو الشقاء . والاول هو العدل الإسلامي الذي تعبد الله به عباده ، والثاني هو العدل النظري الذي قصد اليه الحكميم بقوله : الملك يبق على الكفر ، ولا يبق على الظلم . فكفر مع ذلك العدل النظري أسعد للبك ، وأبقى له من إيمان لا عدل معه . وفي ذلك تعزيز للحديث الذي جاء في صدر هذا المقال ، والذي يدور حوله . وقد ظهر للفارسي الكريم أن الحديث عن العدل الديني الذي يكون مزعه مراقبة الله ، وخشيته . فهو من غير ريب وليد التدين ، ونتيجة التحذ<sup>(١)</sup> . فكلم صفا القلب لله ، وتعرف إلى ساحة مولاء ، يادمان الاستغفار ، والقيام بالأحجار ، وتلاوة كتاب الله ، وإقام الصلاة ، والإساق في رضاه . كانت الاستقامة والائزان ، والنفع والحمان ، والإصلاح والإحسان ، وذلك هو العدل والميزان ؛ وإن خبت القلب بالفسوق والعصيان . وهشا عن ذكر الرحمن ، أثمت الجوارح فلا تخرج إلا نكداء ، ولا ترضى أحدا ، ثم تكون فتنة في الأرض وفساد كبير .

إن العدل في دانه معنى واسع فسيح ، فهو يكون مع من فوقك ، ومع من دونك ، ومع من يساويك ؛ وتفصيل ذلك في كتب الأخلاق . والعدل معنى عامض في جزئياته مخوف بمخاطر الهوى . والهوى إله يعبد . ولذلك عز تحفته ، ورفع إلا من قليل الزرع إليه . غلط الناس وخطوا ، وغلوا واشتطوا . فليس هناك إلا في النادر العزيز من ينصف من ابه أو أبيه ، ومن يحكم لحصمه ومعاده ، ولكن الكتاب ينطق بالحق . كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . كونوا قوامين شهداء بالقسط ، ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى .

(١) أما المشرك بالله فهو في الدين أعظم الظالمين . قال الله سبحانه : إن أشرك ظلم ظلم

وقد عرف ذلك أولو العزم ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، ووضع ربا عنه العباس قبل كل الناس ، وعرفه عمر فأخرج ابنه من ولاية المسلمين لئلا يكون اثنا في بيت الخطاب . يليان ذلك الجانب الخطير . رحم الله عمر . وهل يقول الله سبحانه في كتابه : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، إلا والعدل معنى غامض ، ومرام عزيز . « وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » . أبعد هذا يستطيع إنسان أن يستعين بالعدل ولا يضعه من الدين في السنام ، ويقر بأن عدل ساعة خير من عبادة كثير من الأعوام .

أفد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبعة يأمنون يوم يحاف الناس ، ويستظلون بظل العرش يوم لا ظل إلا ظل الله ؛ فبدأ بالإمام العادل لأنه إمام هؤلاء ومقدمهم . ولولا حظورة العدل وبالغ أثره في إصلاح الحياة ، وغمرها بالخير والسعادة ؛ لولا ذلك لما كان ذلك الوضع من الرسول الحكيم ، والنبي الكريم . وهل كان الصديقون من المؤمنين يتخرجون من الولاية ، وينفرون من قبول القضاء ، إلا لما رأوا من خطورة ما استهدفوا له وتمرضوا لمواقفه . يحين الإمام الأعظم أو حليفة على أن يلى القضاء وضرب بالسياط ، فاحتمل كل ذلك في جنب الله ، لأنه رأى القضاء مظنة الظلم ، والظلم معصية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

إن ذلك العدل الذى جعل عمر وهو الأمير الشديد في الحق ، القاسى في التعامل على كل مشتع ، ينال في الطريق بلا سلاح ولا حارس ، لا يبالى في الله أن يؤلم أى كبير ، ولا يستثنى من درته أى وال أو أمير ، الضعيف عنده قوى حتى يأخذ له بحقه ، والقوى ضعيف حتى يأخذ الحق منه .

إن كل فساد في الأرض وشق لعصا الطاعة ، ومشاقة للجماعة ، وقتل وقتك ونقض للعهد ، وتعد للحد ، وتظاهر بالإثم والمدوان ، واضطراب في نظام العمران - إن كل ذلك من الجور بين الناس . « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » . بل إن كل قحط وجدب ، وضيق وضنك ، وجوع

وخوف ، وبلاء وانتقام من الملك العلام - هو من النظم . بين العباد ، وبما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .

وإن كل خير ورشد ، وحفاء وود ، وتعاون وتساعد ، وعدوه سائد وإخاء وإصلاح . هو من تنسم ريح العدل الرخاء ، ووضع كل شيء في وضعه غير ناب ولا قليق .

ولم يجمع الناس على تقدير فضيلة إجماعهم على تقدير فضيلة العدل التي هي القلب النابض لجميع الفضائل ، ولا أجمعوا على إنكار رذيلة إجماعهم على إنكار الجور والمظالم . فكيف لا يكون عدل يوم يقوم فيه معوج ، ويفات فيه مملوف ، خيرا من كثير من العبادة التي يقصر خيرها على صاحبها ولا يتعدى إلى سواه .

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل للعدل في أدق صورته حتى في آتفه شيء وأحقره عده وهو الدنيا ، لجعلها بين الناس ذولا ، لهذا زمان ولهذا زمان ، فكانت مصائب قوم عند قوم فوائد ، وكان النظام كما قال القائل :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكه أناخ بأخرينا  
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

بل كان أدق من هذا ، فجعل الأيام قسمة للشخص الواحد ، فيوم لك ويوم عليك . ذلك عدل الله وحكمه في السماء . فحق عباد الله أن يكونوا قوا بين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فأله أولى بهما . ويارحمة السماء لمن في الأرض .

## المهابة

أحسن ما قيل في التيب قول الشاعر :

بفسى من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله  
ومن هابني في كل شيء وهبه فلا هو يطمئني ولا أما سائله  
وقال آخر :

أهاشم يا فتى دين ودينا ومن هو في الباب من الباب  
أهايك أن أبوح بذات نفسي وتركى للعتاب من العتاب

## لا تعارض في آيات الكتاب الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب الجار  
المدرس بكلية أصول الدين

ينطق بالحق، ويخبر بالحكمة، ويلهم النفوس قراها، ويرشدها إلى خيرها  
وهذا ما: كتاب أحكم آياته، وتسامت معانيه وألفاظه. لا تجد من بينها تعارضاً  
ولا اختلافاً، ولا تنافياً ولا اضطراباً، بل تجد دقة في الوضع، وجمالاً في التصوير،  
وإحكاماً وإتقاناً، وأسلوباً بهر العقول، وتخاذل أمامه كل أسلوب. عنت له  
الوجوه، وخشعت عنده القلوب، وخرت أمامه أساطين البلاغة والفصاحة.  
وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن حكيم خير، جاء بالآيات البينات  
والدلائل الواضحات، والروعة والجلال، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه  
اختلافاً كثيراً..

وما تمسّق به الملحدون الذين لم يتذوقوا طعم الإيمان ولم يجدوا حلّوته،  
من دعوى وجود اختلاف وتعارض بين بعض آياته، فذلك يرجع إلى أحد أمرين:  
إما للعاد والمكابرة وتلبس آتفه الشبه التي لا تلبث أن تزول بمجرد النظر  
الصحيح؛ وإما للجهل بأساليب الكتاب العزيز التي لا يعرفها إلا من مارس  
البلاغة والبراعة، وعرف ضروب التفنن في أساليبها، وتذوق مزاياها وخصائصها.  
وإني أسوق أقوى ما تمسكوا به من عيوب، وتعلقوا بأهدابه، مبيناً أنها خيوط  
ضكّبت لا تناسك ولا تقوى على حماية من يعتمد عليها، ولا تحفظه من التردّي  
في حفرة باطله.

ورد من بين آيات الكتاب آيات تنطق أن خلق الأرض تخدم خلق السموات،  
وأن خلقهما استغرق ثمانية أيام؛ وآيات تنطق أن خلق السموات تخدم خلق  
الأرض، وأن خلقهما استغرق ستة أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك.

ويبدو لناظر في ظاهر ذلك ما يوم الاختلاف والتعارض . لذلك كان من الخير أن نعرض لتلك الآيات بالبيان حتى تسفر الحقيقة مشرقة الوجه واضحة الجبين لا يعلوها غبار ولا يلحقها شين .

ورد قول الله تعالى من سورة النازعات : أنتم أشد خلقاً أم السماء : بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاهما ، صريحاً في معناه واضحاً في دلالة على أن خلق السماء تقدم خلق الأرض ، حيث ذكر خلق السماء وما يتعلق بها ، ثم ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها ، ثم أردف ذلك بقوله : والأرض بعد ذلك دحاهما ، أى بعد أن خلق السماء وما يتعلق بها دحا الأرض وبسطها . بينما نجد الآيات من سورة فصلت : قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين . إلى قوله : فقضاهن سبع سموات ، تفيد بظاهرهما أن خلق الأرض تقدم خلق السموات ، خصوصاً الإتيان بكلمة ( ثم ) التي هي للترتيب بعد الفراغ من ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها ، وتفيد أن خلق الأرض كان في يومين لقوله : خلق الأرض في يومين ، وأن خلق ما يتعلق بالأرض كان في أربعة أيام ، لقوله : وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، وأن خلق السماء كان في يومين ، فتسكون مدة خلق الأرض والسماء ثمانية أيام لا ستة .

ومن هنا اختلف العلماء في طريق العلاج لحل هذه المشاكل : فرأى بعضهم أن خلق الأرض تقدم خلق السماء كما هو مطلق قول الله تعالى : قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها . .

فأنت ترى هذه الآيات قد تحدثت عن خلق الأرض وما يتعلق بها أولاً ، ثم جاءت كلمة ثم التي هي للترتيب مع التراخي الزماني ، وتحدثت عن خلق السماء وما يتعلق بها ثانياً .

وما ورد من سورة النازعات من قوله : والأرض بعد ذلك دحاهما . بعد ذكر خلق السماء وما يتعلق بها أولاً : فعنناه أنه تعالى خلق الأرض أولاً

ثم خلق السماء ، ثم قصد إلى الأرض فدحاها وسطها . وبذلك لا يكون هناك تعارض ولا اختلاف بين الآيات . وهذا يوافق المروى عن ابن عباس ، فقد روى البخاري أن ابن عباس سئل عن التعارض الحاصل بين قول الله تعالى : « والأرض بعد ذلك دحاها » وبين قول الله تعالى : « أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين » إلى قوله : « طائعين » فأجاب بأنه تعالى خلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض . ودحاها أن أخرج فيها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام في يومين آخرين ، فذلك قوله : « دحاها » .

ولما كان هذا لا يساعده النظم الكريم ولا تقتضيه جزالته ، بل تنافيه ، لأن الآيات ذكرت خلق الأرض في يومين ، وذكرت خلق ما يتعلق بالأرض من خلق الجبال والأشجار والنبات والحيوان في يومين آخرين ، وذلك لاسيلا إليه إلا بعد أن تصير الأرض مدحوة ومبسوطة ، وبعد ذلك قال : « ثم استوى إلى السماء » فليس من شك في أن ذلك يقتضى أن يكون خلق السماء بعد دحو الأرض وسطها . وهو يطابق ما ورد من سورة البقرة : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » ؛ إذ لا يكون خلق ما في الأرض جميعا بدون أن تكون مدحوة ومبسوطة . لما كان الأمر كذلك رأى بعض العلماء أن خلق السماء تقدم خلق الأرض كما هو منطوق قول الله تعالى من سورة النازعات : « والأرض بعد ذلك دحاها » أي بعد التقدم ذكره . وأنتم أشد خلقا أم السماء ، بنسائها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها ، وأخرج ضحاها .

يعضد هذا ويقويه قول الله تعالى من سورة الأعراف : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش » . وقوله من سورة هود : « وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » ومن سورة ق : « ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » . لأنها تحدث عن مبدأ الفطرة . ومن حسن السبك وجودة النظم أن ما يذكر أولا يكون ظاهراً في أنه هو المخلوق أولاً ، وقد ذكر خلق السماء في هذه الآيات قبل ذكر خلق الأرض ، وأن قول الله تعالى في سورة فصلت

« ثم استوى إلى السماء وهي دخان » بعد أن ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها لا يستلزم تقدم خلق الأرض على خلق السماء ، لأن كلمة ( ثم ) سبقت لفرض تعداد النعم لا لفرض إفادة ترتيب الخلق ، أو يقال إن التقدير ثم كان قد استوى إلى السماء ، كما في قوله تعالى : « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » ، إذ معناه إن يكن سرق . وأنت خير بأن قصد تعداد النعم لا يجمع إفادة ( ثم ) الترتيب ، لأن هذا هو معناها ، كما أن تقدير كلمة كان أي ثم كان قد استوى ، يتنافى مع ما عليه القرآن من البلاغة واستقامة معانيه ، لما تقتضيه كلمة ( ثم ) من التأخير ، وما تقتضيه كلمة كان من التقديم ، وفي ذلك من التناقض ما لا يخفى .

وواضح أن القول بتقدم خلق السماء على الأرض ليس بالحصيف ولا بذى الرأي السديد ، وإن عُزِيَ إلى فتادة وارثاء كثير من العلماء ، لأنه يتنافى مع جزالة اللفظ الكريم ، وتهافت معه معاني الآيات . ألا ترى إلى قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » كناية عن إيجاد السماء والأرض . فلو تقدم خلق السماء خلق الأرض لكان قوله « ائتيا طوعاً أو كرها » مقتضياً لإيجاد الموجود وتحصيل الحاصل . ومثل هذا يكون بمنزل عن ساحة كتاب اختص بمزايا لا يدانيه فيها سواه .

والذي يصح أن يكون جديراً بالقبول في هذا الموضوع : أن يحمل الخلق في قوله تعالى : « أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين . . . الآيات » على التقدير والقصاص لا على الإيجاد والحصول ، أي قدر وجود الأرض وحكم بأنها ستوجد في مقدار يومين : وبذلك تسلاشى شبهة : كيف كان ذلك في أيام مع أنه لا يوم إدادك ، ضرورة أن اليوم يمتاز عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها ولا شمس ولا قر . « وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » أي قدر وقضى أن يكثر خيرها بخلق أصناف الحيوانات وأصناف النبات على ما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه مصلحة العباد . في أربعة أيام ، أي في تسعة أربعة أيام مقدار يومين آخرين منضمين إلى مقدار يومى خلق الأرض ، فتكون مدة خلق الأرض وما يتعلق بها مقدار أربعة أيام ، وتكون مدة خلق السماء يومين ، وبذلك تتعلق آيات فصلت بالآيات الناطقة أنه تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام .

ثم شرع سبحانه وتعالى في بيان التكوين والإيجاد بقوله : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين ، ففضان سبع سموات ، أي ثم قصد إلى السماء فقال لها وللأرض التي قدر حصولها وحصول ما فيها كونا وإحداثاً وفقاً لما قدرنا وأردنا فكانتا على ما اقتضته حكمته البالغة من كمال الأحكام والإتقان وجمال التصوير . وهذا تمثيل وتصوير لكمال قدرته تعالى وأنه لا يمتنع عليه تعالى شيء بما قدره وتعلقت قدرته بحصوله وإيجاده . وبهذا انحسر اللثام وانضح المقام أن ( ثم ) إنما هي لترتيب بين التقدير والإيجاد ، لا بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء . ولا أدل على ذلك من أن هذه الآيات إنما سيقّت للتدليل على وحدانية الله تعالى وتزيهه عن أن يكون له شريك ونِدّ ، لأن مبدع هذه الكائنات وهذه الأجرام العظيمة ، وتلك السم الجذيلة ، لا يصح في العقول السليمة أن يكون له أمداد وأن يكفر ، بل هو المستحق لأن يعبد ويشكر دون سواه .

وإليك لنرى على هذا كيف تجاوزت أطراف النظم ، وتماقت آياته ، ولملت من بينها شواهد البيان ومخايل الأساليب العالية ، وظهرت جزائره واستقامت معانيه مع الروعة والجلال ؟

## الرفق

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق ، فقد أعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله .

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لآبيه وهو أمير المؤمنين : يا أبت مالك لا تنفذ الأمور فوائده لا أبالي في الحق لو غلّت بي وبك القصور . فقال له عمر : لا تمجّل يا بني فإن الله تعالى ذم الحر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

# مَفْرَدَاتُ فِلْسَفِيَّة

## حرية

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

لا يجد الباحث شيئاً كثيراً عن هذا الحرف أو المصطلح ، في المعاجم العربية  
للغة ، أو المعاجم الخاصة بالمصطلحات وتعريفها ، مما يجد مثله في المعاجم  
الأجنبية . أعني فيما يتصل بتحديد معنى كلمة حرية ، في نواحي استعمالها المختلفة :  
النفسية ، الأخلاقية ، السياسية ، الاجتماعية ، وغيرها . بل إنني لم أجد فيها  
رجعت إليه من معاجم اللغة ما يدل على أن العرب استعملوا هذا المصطلح  
في بعض ما نستعمله فيه اليوم .

١ — ففي اللسان : الحر : نقيض العبد ، والحرية : نقيض الأمة . ومنه حديث  
عمر للنساء السلاقي كن يخرجن إلى المسجد : لأرد كن حرائر : أي لا الزمكن  
اليوت فلا تخرجن إلى المسجد ، لأن الحجاب إنما ضرب على الحرائر  
دون الإمام .

وفيه أيضاً : الحر من الناس : أختيارهم وأفاضلهم . ويقال : هو من حرية  
قومه ، أي من خالصهم .

٢ — ولا يتعرض الجرجاني في تعريفاته لهذا الحرف إلا في اصطلاح  
أهل الحقيقة ، أي المتصوفة . وهي في هذه الناحية : الخروج عن رق الكائنات ،  
وقطع جميع العلائق والأغيار . يريد أن يقول بأن الحرية هي عدم تعلق القلب  
بغير الله ، بحيث لا يكون لغيره أي سلطان عليه .

٣ - والنهائى فى كشفه يعترف الحرية لدى الفقهاء بأنها خلوص حكمى يظهر فى حق الآدمى لا تقطاع حق الغير عنه . ومثل هذا التعريف مجده فى كتب الفقه ، كما فى درر الحكم لملا خسرو القاضى الخنى - ٢ ص ٢ .  
ثم إذا أراد أن يعرفها عند المتصوفة يذكر ، عن مجمع السلوك ، بأن الحرية عند السالكين انقطاع الخاطر من تعلق ما سوى الله تعالى بالسكينة .

فإذا تركنا المصادر العربية ، إلى المراجع الغربية ، نجد بياناً طيباً للمعنى الأول الذى كان لكلمة "حرية" ، ثم للمعاني العديدة المختلفة التى أخذتها بعد أن اتسع مدلولها وامتد مضمونها هنا وهناك . وهذا المعنى الأول هو ، على ما نرى ، المعنى الذى مجده فى كتب الفقه عندنا ، وفى المعاجم العربية المختلفة .  
على هذا المعنى الأول "يراد بالإنسان الحر ، الإنسان الذى ليس رقيقاً أو أسيراً . فالحرية هى حالة من يعمل ما يريد ، لا ما يراى منه ، أى أنها عدم الالتزام الاجنبى عن الإنسان .

وبعد أن اتسع مدلولها ، كما قلنا ، صارت تدل على هذه المعاني الآتية :

## ١ - المعنى العام :

١ - حالة الكائن ( l'être ) الذى لا يعانى أى إكراه أو إلزام من كائن أو موجود آخر ، والذى يعمل حسب إرادته وطبيعته . وفى هذا يقول " أوجست كُونت " ، فى كتابه التعليم المسيحى الوضعى Catéchisme positive : حينما يسقط جسم من الأجسام ، بحرية تظهر فى ميوطة حسب طبيعته نحو مركز الأرض ، فى سرعة تناسب والزمن ، إلا إذا اعترضه ما يغير من هذه الحركة الذاتية . وكذلك الأمر فى العالم أو النظام الحيوى l'ordre vital : إذ نجد كل عمل أو وظيفة نباتية أو حيوانية توصف بالحرية إذا كانت تتم حسب ما يتعلق بها من قوانين ، دون أى عائق داخل أو خارجى .

## ٢ - المعنى السياسى والاجتماعى :

٣ - فى هذه الناحية يراد ، بالحرية ، "فقْدُ الإكراه الاجتماعى الذى يفرض على الشخص . وإذا ، فالمرء حرٌّ فى أن يعمل كل ما يحرمه القانون ،

وحر في ألا يعمل كل ما لا يأمر به . ومن هنا يجد المادة الحادية عشرة من إعلان حقوق الإنسان الذي صدر عام ١٧٨٩ م تقرر : « أن حرية التعبير عن الفكر والآراء حق من حقوق الإنسان ، حق أعلى ما يكون قيمة وخطراً ؛ فكل مواطن له أن يتكلم ويذيع بحرية كل ما يريد ، على أن يكون خصباً مسؤولاً عما يكون من سوء استعمال هذه الحرية في الحالات المحددة بالقانون » .

« والحريات السياسية ، هي الحقوق المعترف بها للشخص ، باعتبارها حقوقاً تحد من سلطان الحكومة : حرية الضمير والعقيدة ، الحرية الشخصية ، حرية الاجتماع ، حرية وضع دستور ، الحكم بواسطة ممثلين للأمة يُنتخبون بالانتخاب ... الخ .

### ٣ - المعنى النفسي والأخلاقي

هـ - الحرية هنا ضدّ لعدم الضمير ، للاندفاع بلا تفكير ، للمسئولية الاخلاقية أو القانونية .

إنه يراد بها حالة المرء الذي سواء كان يفعل الخير أو الشر ، يعمد بعد تفكير ، يعرف تماماً ما يأتي وما يذر ؛ حالة من يعرف ما يريد ، ولماذا يريد ؛ حالة الذي لا يعمل إلا حسب ما يُقرّر من أسباب . وفي هذا يقول ماريون Marion في كتابه التضامن الأخلاقي De la solidarité morale : إذا كان الشخص الحر هو الذي يملك نفسه بالتفكير ، الذي يعرف ما في قدرته من نشاط كما يعرف الوجوه التي يتفق فيها هذا النشاط أو هذه القوة ، والذي يقدر العواقب ويقارن ويحكم في مختلف الظواهر التي يمكن أن تتحقق عن قوته ونشاطه - إذا كان الرجل الحر هو من هذا شأنه ، يكون واضحاً أن حرّيته تتبع ظروفها وعوامل مختلفة ، وتختلف طبعاً لسبب هذه الظروف والعوامل .

و - وإذا أخذنا كلمة « حرية » في مقابلة الهوى والعواطف الغيفة ، والجهل والبواعث السطحية ، يكون المراد بها حالة الإنسان الذي يحقق في أعماله طبيعته الحقة ، هذه الطبيعة التي أهم خصائصها الذاتية العقل والأخلاقية .

بهذا المعنى تكون كلمة « حرية » مصطلحاً أخلاقياً تماماً ، وتدل على حالة مثالية تكون فيها الطبيعة الإنسانية محكومة بما فيها من عنصر كله خير وسمو ، كما يرى الرواقيون وسينوزا .

وفي هذا يقول ليدنيز Leibniz بأن الله وحده هو الحر تماماً ، وبأن الكائنات العلوية المخلوقة les esprits لا تكون كذلك إلا بمقدار ما تكون فوق مستوى الشهوات والأهواء . كما يقول أوجنسٹ كوثنت ، في المرجع السابق : « أحسن ما يمكن أن يكون لنا من حرية ، هو أن نعمل بقدر ما في استطاعتنا على علو الميول الطيبة على السيئة » .

و — وأخيراً ، الحرية تقابل الجبر ، فيكون المراد بها حيثئذ القدرة على العمل بدون أن يكون لذلك سبب أو علة غير هذه القدرة . وفي هذا يقول بُوسُويه Boussuet ، في الفصل الثاني من رسالته في حرية الإنسان في أعماله : « كلما بحثت في تقى عن السبب الذى يحدد ما أفعل ، كلما أحسست أنه لا شيء لدى من هذا إلا إرادتى وحدها . إنى لأحس ، من هذا ، حريتى بوضوح ، هذه الحرية التى ليست إلا الاختيار لهذا العمل دون ذاك ؛ وهذا ما جعلنى أفهم أنى فُطرت على صورة الله ... » .

و البحث بقية ،

### نصيحة أبرويز

قال أبرويز ملك الفرس لصاحب بيت المال : إنى لأعذرك في خيانة درهم ، ولا أحمذك على صيانة ألف ألف ، لأنك إنما تحمق دملك ، وتقيم أمانتك ، فإن خنت قليلاً خنت كثيراً ، واحترس من خصمتين : القصان فيما تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أنى لم أجعلك على دغائر الملك وعماد المملكة ، والقوة على العدو ، إلا وأنت آمن . وضعه الذى هو فيه ، وخواتمه التى هى عليك . لحقنى ظنى باختيارى إياك ، أحقق ظنك فى رجائك إياى ، ولا تتعوض بخير شراً ، ولا برفعة ضعة ، ولا سلامة ندامة .

# نظام الأسرة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

لا أقصد في هذه الكلمة الحديث عن « نظام الأسرة » في العصور المختلفة ، ولا الحديث — كذلك — عن تطور ذلك النظام في أطواره المتنوعة ، فإن هذا البحث أجدر بالمؤرخ الاجتماعي . إنما أقصد — فقط — إلى عيوب « الأسرة » في الوقت الذي نزعم لأنفسنا فيه التدين والرقى ، والتقدم والحضارة والتوثب للحياة الصحيحة ؛ كما يجب أن تكون . وسنعرف معرفة لا يداخلها الريب ، ولا يعتريها الشك ، أننا نتخبط في ليل من التقاليد ، وبحر متلاطم من ظلمات عادات ليست من الدين ، ولا من الأخلاق الفاضلة ، أو من التربية السديدة ، إنما هي مزيج من الفوضى والفساد ، والتردى والإسفاف والاحمدار والنهور ، والفضول والاستهتار ، مما أدى بنا إلى أن صرنا خالة الشعوب والجماعات .

ولو أننا التزمنا هداية القرآن الكريم ، وإرشاد السنة المطهرة ، لكان لنا شأن آخر ، من الترابط والوئام ، والأدب والسلوك ، والإباء والترف . وقد تكفل الإسلام بما يجب أن يلتزمه كل من الرجل والمرأة من الاختلاط وعدم الاختلاط ، وغيض البصر أو إرساله ، وإبداء الزينة وإخفائها ، وما سوى ذلك كله مما يضمن للأفراد العفاف والطهر والنزاهة ، والشرف والائتزان والتبيل ، فأينما إلا أن نطرحه كله وراء ظهورنا ، زاعمين أن الخبر فيما نأني ، والفضيلة فيما يصدر عنا من أفعال ، ولم نلتفت إلى جانب ذلك من تفكك « الأسرة » ، وكثرة ما يعتورها من مشاكل ، ويصادفها من عقبات ،

ويطراً عليها من محن ، أو تتعرض له من أرزاء . . . مع أن أسباب هذا كله الانحراف عن الجادة ، والميل عن السنن الصحيح .

والحجاب منذ أن زال عما بين الذكر والآنثى ، ولعبت الغريزة الجنسية دورها المشثوم بين الأفراد والجماعات ، والإنسانية تعاني من التشرد والفرقة ، والنزاع والخصومة ، والفور والكراهية ، والإهمال والتهاون ، الى درجة أن افتت الناس في الآثام ، وبرعوا في الشرور ، ونبغوا في الإجرام ، وامتلأت السجون بالمقترفين ، والملاجئ بالآيتام ، والمشافي بالمرضى . . والإحصاءات للمشاكل الزوجية وقضايا الطلاق ، التي تنص بها المحاكم الشرعية الآن يدل تتبع والاستقراء أن أكثر أصحابها من هؤلاء الذين أرغوا العنان لشهواتهم ، وتجاوزوا نطاق الدين فيما يلتزمه من آداب ويحتمه من تقاليد وعادات .

وقد كنت إذا قرأت قوله تعالى : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، أقول إن الفعل هنا مأخوذ من السكون بمعنى عدم الاضطراب ، فإن الرجل حينما ترميه الاحداث بمكروه ، أو تقصده الأيام بنازلة أو يشتد به لفع الحر ، أو تمسه قرقرة البرد ، لا يسرى عنه إلا أن يسكن الى المرأة تمسحه ، وتخفف ما أصابه ، وهناك ينسى ما لاقى من عنث ، أو صادف من مكروه . وقد يمتد نفى بذلك الشعراء ، وتحدث الفلاسفة . ولعل أبلغ ما تكون المودة والرحمة ، والميل والحب ، إذا ما أحس المجهود بالعطف ، وتأكد المكثود من الرعاية ، وأدرك المتعب شيئاً من العناية في تلك اللحظة . ولكنني بعد أن أدركت خطر انصراف البعول عن البيت ، وهجر الأزواج للنازل ، الى مقهى عام ، أو منتدى جامع ، لا يعرفون من أمر الآباء والأمهات بمقدار ما يعرفون عن المقهى أو المنتدى ، علمت أن استقرار رب الأسرة فيما بينها يرعاها ويحفظها ، ويهديها ويرشدها ، ويؤنسها ويسليها ، لا يعوض بمال ولا يقوم بالدنيا وما فيها .

ولا يقصد الحديث الشريف بقوله : والرجل في بيته راع ومشتول عن رعيته ، والمرأة في بيتها راعية ومشتولة عن رعيته ، شيئاً وراء هذا المعنى ، فإن اجتماعهما للتشاور ، والتفاهمهما للسمر ، وتجاهلتهما لأطراف الحديث ، وتبادلتهما للرأى ،

مع كونه ينمى الحب القائم بينهما ، ويؤكّد الوشيجة الحاصلة بإفضاء بعضهما إلى بعض . يعطى للأطفال دروساً نافعة من التقدير والاحترام ، والتدبر والتروى ، والسياسة والحزم ، والكياسة والبصر ، والفهم والتعقل ، بحيث ينشأ الناشء وفيه الاستعداد لأن يسبح في محيط ذلك المجتمع الصاخب بالأصوات ، الخلى بالافراد . وفيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل عليه ابن أم مكتوم وكان معه عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، فأشار عليهما بالتحنى ، فلم يريا مفارقة المجلس لرجل أعمى لا يرى منهما ما يثير فيه رغبة إليهما ، فقال لهما : أفعميا وان أتما ، وكان ذلك دستوراً عالياً ، وأدباً فياضاً ، وسلوكاً قويمًا .

أما الاسرة العصرية الآخذة بأسباب المدنية أو الحمجية تحدث عن مفورها ولا حرج ؛ فإنه سفور لم يقف إلى حد أن رفع من وجها الحياء ، ونزع من قلبها الأدب ، ومن رأسها المهابة ، فهي لا تخرج حراماً ، ولا تتيب محظوراً ، بل صار أهون ما عتدها أن تكون كذلك . . وسرت عدوى تلك القمحة إلى أولادها الذكور ، فصارت فيهم الخنوة والطراوة والميوعة والانحلال ، وأصبح الطفل مع أخته في البيت لا يكاد يدرك العقل بينهما فوارق الذكورة والانوثة ، لأهما سواء في الحركة والإشارة ، والحديث والنطق ، والميل والهموى ، والرغبة والطموح ، فضلاً عن أشياء وأشياء ، نسأل الله منها اللطف والرحمة .

### نصيحة أبوين

لما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر أمير المؤمنين قد ولاه عليها ، دخل على أمه هند فقالت له : يا بني : إنه قلنا ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته .

ثم دخل معاوية على أبيه أبي سفيان فقال له : يا بني إن هؤلاء من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك جسيماً من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ولو قد بلغت لتنفست فيه .

قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في الممنى على اختلافهما في اللفظ .

# إعلام الأزهري

إبراهيم الهلباوى بك

المتوفى سنة (١٣٥٩ هـ) (١٩٤٠ م)

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس بمعهد القاهرة

نجم (الهلباوى) من إحدى أسر الغرية العريقة في المجد ؛ وإن كانت رقيقة الحال ، فلما بلغ الحق بالأزهر ، فتلقى به علوم الدين واللغة ؛ وكان معروفاً بين أقرانه بالذكاء وحدة الذهن والصبر على البحث ، والمثابرة على الاطلاع ، كما عرف بجرأة الرأي ولجاج الخصومة مع شيوخه إذا اختلف معهم في الرأي .

ولما وفد الى مصر ( السيد جمال الدين الأفغانى ) كان الهلباوى أحد التلامذة الذين همعوا إليه ، فانتفع بعلمه وامتدى بتوجيهه ، وتفجرت ملكة البيان فيه بما هيا له الافغانى من الخطابة والحوار ؛ وبما جراه عليه من المجاهرة بالرأى والذود عنه .

ولم يتع للهلباوى أن يتم دراسته بالأزهر ؛ ولكنه ظل على صلة برعائه ورجالاته ، فهو في دروس الافغانى مع أذكياء الأزهر وناقبه ( كالإمام ) و ( سعد زغلول ) و ( الشيخ عبد الكريم سليمان ) .

وحين فوض للشيخ محمد عبده أن يشرف على تحرير الوقائع ، اختار الهلباوى فيمن اختارهم لمعاونته في تحريرها ، غير أنه فصل من التحرير لأمراً (١) وقد شغل عدة وظائف ، كان من أهمها وظيفة كاتب السر لمجلس النواب والمستشار

(١) تلخيص الوقائع المصرية لإبراهيم عبده ص ١٩٢

القضائي لوزارة الأوقاف ، ووكالة الجمعية الخيرية الإسلامية التي شادها الإمام ودعها سعد وقاسم أمين وحسين عاصم .

ولما شبت الثورة العراقية ، كان من أنصارها الثائرين ، وخطبائها الفحول ، وقد حكم عليه بالنفي إلى النيل الأبيض ؛ ليقضى بقية عمره هناك ، ولكن بعضهم شفّع له لدى الخديوي توفيق ، فمفّا عنه بعد أن ظل في السجن بضعة شهور .

ومن ثم انضم إلى طائفة اتخذت المحاماة مهنة لها ، فظل يمارسها ويدوى صوته ، ويذيع صيته من براسته النادرة ، وقوته التي لم تتح إلا لقليل من المحامين ، وفي سنة ١٩٢٦م انتخب لعضوية مجلس النواب عن دائرة « نكلا العنب » ، ثم انتخب نقيباً للمحامين سنة ١٩٣٨م .

ولما تألف الوفد المصري برئاسة ( سعد زغلول ) كان الهلباوى أحد السياسيين البارزين ، ثم لم يلبث أن اختلف مع سعد ، والتأم مع حزب الأحرار الدستوريين ، وكان يخطب في ناديه في مناسبات مختلفة .

### صفاته وأخلاقه :

كان رحمه الله طويلاً فارح الطول ، عظيم الهامة ، قوى الجسم ، مفتول العصل ، أبيض الوجه في حمرة ، عيذاً يابج في عناده ، ويسرف في حصومته ، ولا يبالي بمن يخاصمه ، وكان شديد العقل ، حاضر البديهة ، قوى الذاكرة حتى إنه ليقص عليك جلائل الأعمال وتوافها من سنين تقضت دون أن يندى واقعة ، أو يحرف في حادثة .

والهلباوى محدث نادر ، عاصر أحداثاً جساماً ، وصاحب عناء سياسية ، كان وثيق الصلة بها ، فهو يتحدثك عنها حديث مكابد ، ويرويها رواية خبير شاهد ، فكانه رعط يجتمع من الرأفة التفاهة .

« وكنت أستمع إلى حديثه ، فتدرك أنه يحمل في صدره تاريخ جيل لم يدون في كتاب »<sup>(١)</sup> . وكان رحمه الله تعالى على جانب عظيم من البر والعطف ، وقد

(١) من مقال للأستاذ أحمد أمين بك في العدد (٢١٤) من مجلة الثقافة .

ضرب مثلاً من بره أنه صادف ذا حاجة على بابه في يوم ما ، فشغلته الحديث معه عن أن يقرأ خدومه السلام عند انصرافه فلما تذكر ذلك وكان قد بلغ بسيارته (عابدين) أمر السائق ، فقفل راجعاً ، ليقول لهم إنه نسي السلام عليهم .

### خطابته :

الغلباوى خطيب فذ ، عرف بأسلوبه وطريقته ، وامتاز بطلاقة لسانه ، وقوة حجته ، حين يخطب تطالعك منه عدة شخصيات ، فهو رجل التاريخ الذى عاصر أحداثه وصنعت على عيذه ، وهو رجل القانون الذى نشأ فى مهاده ، وصاحب أطوار التشريع حتى آخر مراحلها ، وهو رجل الأدب المتمكن من العربية ، النافذ إلى أعماق أسرارها ، الذى يعرف سر التراكيب ، وموضع البلاغات ، وموطن الإقناع ، وهو الفكه الطريف الذى يغير على العامة متى شاء ، فيقتبس من أمثالها وفكاهاتها ما يطرب ويمتع .

كان جهورى الصوت ، فصيح اللغة ، مشوق العبارة ، يلوح للسامعين بنكتته فيطربون لها ، ويقبلون عليها ، فهتل هذه الفرصة ، ليلقى بما يحب من المعاني ، وما يريد من الأغراض .

وكان فى هجوم متلاحق على سامعيه ، متدفقا فى بيانه ، لا يكاد يخلص من غاية حتى يدخل بهم فى غيرها ، ولا يوشك أن ينتهى من غرض حتى يصله بآخر ، والسامعون فى كل ذلك مشوقون مأخوذون بسحره ، مشدودون إليه شدا .

وكان متمكنا من القول ، متصرفا فى قوته ، فرة يحلو ومرة يمر ، وطورا تسمعه هادئا كالنسيم ، وآخر يزار كالاسد الهائج .

وكان إذا خطب خطب بكلمة بلسانه وبمقله ، وبخاعه وبخصبه ، وبرأسه ويديه وبرجليه أيضا ، وله صياح يقد أصفق الحناجر ، ثم تدلى هن المنبر بعد أربع ساعات كاملات فى هذا البلاء وهو أشد وأقى من أكثر من سمعوه ، إن لم يكن أقى من سمعوه جميعا ، (١) .

هذا إلى حضور بديته ، وقوة ذاكرته ، وصفاء ذهنه ، وشدة أسره .

(١) الشيخ عبد العزيز البترى فى كتابه « فى المرأة » ص ٢٨

## دفاعه :

كان الهلباوى خارقاً في دفاعه ، قويا جباراً ، لا يكاد يلحقه في براعته إلا أقل من القليل من أقرانه ، وقد اجتمعت له أسباب الدفاع كلها ؛ فقد نشأ في الأثر وكان أحد أدبائه القادرين على الجدل ، الراسخين في المنطق ، الذين يقهرون بالحجة الغلبة والبرهان النافذ ، لا يخفى عليه من ملابسات القضية شيء أو يحلظه بشيء آخر . وقد استمكن من مواد القاموس فصرفها في كل مقام ، واتسكا عليها في كل موطن ، على قوة في الاستشهاد بها ، وأعانت طلاقة لسانه ، وغزارة بيبانه ، وفصاحة عبارته ، وحضور بديته على اتصال القول ، وفصاحة العرض ، والتصرف في المواقف ، بتفطن غريب لا يدع منفذاً إليه .

وكان في دفاعه قوة من قوى الطبيعة الغضبية ، وأقوى ما تراه في المواقف الشاذة التي تميز المتوسطين من المحامين ؛ أرايت إليه حين يدافع عن قاذف في حق الخديو وهو مستشار الخديو ؟ ثم أرايت إليه حينما يلتمس شفيق منصور والورداني معوته وقد كانا يناصبانه العداء ؟

كان خارقاً في مثل هذه المواقف التي لم تألف غيره من المحامين . سأله رئيس المحكمة : كم ساعة تكفيك ؟ فقال : لا أستطيع أن أضبط زمام عبارتي ما لم أفرغ من التعبير عن أفكاري ، فلا أعدك الآن بشيء .

وكان حريصاً على النزاهة في الدفاع ، لا يحاول الدفاع عن قضية ما لم يجد لها من الحق حظاً ؛ حكى صديق عنه في دراسته قضية لم يتمتع فيها بعدل موكلته أن قال : إن من سوء حظ هذه السيدة أنها وكلتني ؛ فأجابه : بل من حسن حظها . قال : كيف ؟ قال : لأنها ضمنت ألا تكون عليها .

ومن عجب أنه قد يتعرض للدفاع عن قضايا ذات بال وبينه وبين الدفاع لحظات لدراسة القضية ، ثم يقف من الدفاع عنها موقف دى الحجة الغلاب .

كان يوماً على مائدة البرنس حسين ، ثم استأذنه في الانصراف لأنه مسافر للدفاع في قضية ، فطلب إليه ( البرنس ) أن يحدثه فيها ، فقال له : إني لم أقرأها

وسأقرأها في القطار ، ثم مضت الأيام وراح المحامون الأهلون يطوفون بعرش السلطان لينشوه ، فقال لهم : ذاكروا قضاياكم ولا تفرموا كالحلباوى في القطار ! ويقول الحلباوى في ذلك : ليت ( أفتديا ) كان يعرف أننى قرأت هذه القضية في طريقى من ، كفر الدوار ، الى قنا مررات ومرات !

وانك لهولك أن تسمعه حينما يقاطعه خصمه ، إذ ذاك يتفجر غضبه وتقدح بالشريعة ، ويدوى صوته حتى يكاد يقد الآذان ، ثم يرجع الى الوراء بصدرة ، ويشمخ الى السماء هامته ، ويدق على المنصة دقات عنيفة ؛ ولخصمه الريل والثبورا كان يعمد الى القضية فيكيّفها ، ويتملا من دقائقها ، فإذا انتهى من ذلك انقادت له وأصبحت ملء خواطره وفيض يانه .

وكان جذابا الى حد غريب في دفاعه ، فهو يضم السامعين إليه ضمّا ، وينفعلون معه انفعالا ؛ وتظهر الى القاضي المعجب فيخيل إليك أنه ليس في موقف الحكم ، بل في جانب المتهم . وهو الى هذا حاضر البديهة سريع النكته ؛ عرض عليه رئيس المحكمة لطول إسهابه في الدفاع كوب ماء : فقال : أعطها للخصم الذى نشف ريقه .

تولى الحلباوى الدفاع في أخطر القضايا المصرية في العصر الحاضر ، فكان فارس حلبها ، ودافع عن المحاماة ، التى كان شرفها ونفارها ، وعمل على تكوين نقابة لها .

### موقفه من حادث دنشواى :

تبدو في تاريخ الحلباوى نقطة حالكة السواد ؛ فقد وقف من الامة المصرية موقفا غير كريم ، وتحدى شعور الشعب المصرى كله في وقت بانغ الغيظ والحزن بالامة مداه ؛ فقد رضى لنفسه أن يقف موقف المدعى العمومى في هذه القضية الدامية ، أى أنه أساغ أن يجمع الأدلة من هنا وهناك ليثبت اعتداء المصريين من ( دنشواى ) على الإنجليز ، وواتاه من الغلظة والقسوة ما تذوب له الأكباد ، وأمعن في خصومة المتهمين المصريين ، ونظم الشعراء في ذلك قصائدهم ، وكان مما قاله المرحوم حافظ بك اراهيم في هذا مخاطبا الحلباوى بك ، :

أيها المدعى العموى مهلا بعض هذا فقد بلغت المراد  
قد ضمنا لك القضاء بمصر وضمنا لنجلك الإسعادا  
فاذا ما جلست للحكم فادكر عهد مصر فقد شفيت الفؤادا  
لاجرى الليل في نواحيك يامصر ولا جادك الحيا حيث جادا (١)  
أنت أنبت ذلك الثبت يامصر فأخفى عليك شوكا قتادا (٢)  
أنت أنبت ناعقا قام بالأمس فادى القلوب والآكبادا (٣)  
إيه يامدره القضاء ويا من ساد في غفلة الزمان وشادا (٤)  
أنت جلادنا فلا تنس أنا قد لبنا على يدك الخدادا

### كتابه :

أما كتابة الهلباوى فإنها دون خطابه ودفاعه شأنا ، غير أنه اتجه فيها إلى  
السهولة والوضوح ، وجانب الزخرف والصنعة ، وكان أحد الأدباء الذين حرروا  
الكتابة من السجع والتكلف ، وتوخوا بها الفكرة وأودعوها أغراضا جليلة ،  
واتخذوها وسيلة للإصلاح في مختلف شئونه .

(١) الحيا : المظر .

(٢) القتاد : غير صلب له شوك كالإبر ، يخاطب مصر بأنها أحضت إلى بعض أبنائها وبرت  
هم وأسأوا إليها وجعلوا نعمتها .

(٣) الناعق : المدعى العموى في هذه القضية ، والنتيق ( بالعين المهملة ) وفي كتب اللغة بالفتح  
المعجمة أنصح ) : صياح الغراب .

(٤) المدره : خطيب تقوم والمتكلم عنهم .

## علماء البلاغة

### العز بن عبد السلام

٥٧٧ - ٦٦٠ هـ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ علي محمد حسن العماري  
مبعوث الأزهر إلى السودان

**نشأته وتصرفه :** هو عبد العزيز بن عبد السلام بن حسن بن محمد ابن مذهب السلي، ولد في دمشق، وتلقه على نضر الدين بن عساكر، وجمال الدين الحرستاني؛ وبعد أن درس الحديث والنحو والاصول رحل إلى بغداد فأقام بها أشهراً، وكان له تلامذة نجباء منهم شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، والإمام علاء الدين أبو الحسن الباجي، وقد ولي الخطابة والإمامة بالجامع الأموي في دمشق، وفي هذه الفترة أزال كثيراً من البدع، ودرس في الزاوية العزالية بجامع دمشق، وطار صيته في الآفاق، وارتفعت مكانته حتى راسله بعض ملوك عصره وأحبوا لقاءه، ثم عاد إلى مصر مقاصداً للصالح اسماعيل فقدمها سنة ٦٣٩ هـ فلقاه أهلها ولاسيما الصالح نجم الدين أيوب أحسن لقاء، وولاه الخطابة في جامع عمرو، والقضاء بمصر وبالوجه القبلي، وفوض إليه عمارة المساجد المهجورة في مصر والقاهرة، ثم عزل نفسه عن القضاء، وعزله الصالح عن الخطابة خوفاً من التشنيع عليه، ثم فوض إليه السلطان تدريس الشافعية في المدرسة الصالحية حين تم بناؤها، وقد توفي العز في عهد الظاهر بيبرس (في ١٠ جمادى الأولى سنة ٦٦٠).

**علمه وفضله :** كان إمام عصره بلامنازعة، وقد لقبه تلميذه ابن دقيق العيد بسلطان العلماء، وحدث حين نزل مصر أن امتنع حافظ مصر عبد العظيم المنذرى من الفتيا، وقال: كنا نفتي قبل حضوره، أما بعد مجيئه فنصب الفتيا متعين فيه. وقد بلغ مرتبة الاجتهاد فصار يفتي بما يؤدي إليه اجتهاده. وكان جمال الدين

ابن الحاجب يقول : ابن عبد السلام أقصه من الغزالي . وهذه القصة تدلنا أبلغ الدلالة على سعة علمه وكثرة اطلاعه : روى التاج السبكي في طبقات الشافعية قال : « وحكى أن شخصاً جاء إليه وقال له : رأيتك في اليوم تنشد :

وكنْتُ كذِي رجلين : رجل صحيحه      ورجل رى فيها الزمان فشلت

فسكت ساعة ثم قال : أعيش من العمر ثلاثاً وثمانين سنة ؛ فإن هذا الشعر لكثير عرة ، ولا نسبة بيني وبينه غير الن : أنا مُنى وهو شيعى ، وأنا لست بقصير وهو قصير ، ولست بشاعر وهو شاعر ، وأنا سلى وهو ليس بسلى ، ولكنه عاش هذا القدر . قلت : فكان الأمر كما قال رحمه الله ، انتهى ما ذكره التاج . وأنا أقول : إن هذه القصة لو رويت عن رجل عن تخصصوا في دراسة الأدب العربى لكانت دليلاً أى دليل على سعة علمه ؛ فإن معرفة هذه الدقائق في حياة هذا الشاعر تخفى على كثيرين من المعنيين بدراسة الأدب ، فما بالنا بعالم لم تكن دراسة الآداب من صناعته . وكتبه التى كتبها للسلطان موسى الأشرف في مسألة الخلاف بين الحنابلة وغيرهم في موضوع الحرف والصوت لها دلالتها على تمكن الرجل من علمه ، وثقته بنفسه .

وقد كان لعز المثل الأعلى للعالم العامل . فإننا إذا تصفحنا حياة العلماء ، ودرسنا تراجمهم ، عز علينا أن نجد له نظيراً ، وما أصدق ما قيل فيه : لم ير مثل نفسه ، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق ، وشجاعة ، وقوة جنان ، وملاحة لسان .

نشأ فقيراً ، ولكنه كان يحمل بين جنتيه نفساً لا تعترف بالعظمة إلا الخالقها ، وكأنه كان يضع رأسه على كفه لا يبالى من اختطفها ، وبذلك هان عليه كل شيء في سبيل دينه . وقد سأله تلميذه الباجى بعد رجوعه من عند السلطان الصالح أيوب ، وما كان من العز من الإغلاط للسلطان والجرأة عليه : سأله الباجى : كيف الحال ؟ فأجاب : يا بنى استحضرت هبة الله فصار السلطان قدامى كالقط ؛ وقصصه مع سلاطين عصره وأمراته معروفة مشهورة ، وقد قام بأمر لم يسمع بمثله ؛ وذلك أنه صح عنده أن أمراء المملكة لا يزالون على حال الرق ، فاعترم بعضهم ورد أثمانهم إلى بيت مال المسلمين ، وما بالى بفضهم ، ولا بغضب

السلطان ، وأصر على موقفه حتى اضطر أن يخرج من مصر . ولكن السلطان سار إليه بنفسه وترضاه حين رأى أنه لم تبق امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه له تخلف عن الخروج وراءه ، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار . وبقى العز في موقفه حتى جاءه نائب السلطنة إلى بيته ليقتله ، فأجبره ابنه الخبر . فقال يابني : أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ! وقد انتصر ، ونفذ ما عزم عليه ، ونادى على الأمراء واحداً واحداً ، وغال في أيمانهم ، وقبضها ، وصرفها في وجه الخير .

ولعل أبلغ الأحداث في حياة الشيخ ، وأدلها على عزة نفسه ، وثقته بربه ، تلك القصة المشهورة التي لا يزال يناقلها العلماء : ذلك أن الصالح إسماعيل حين غضب من الشيخ ، وأمر بخروجه من الشام ، وصار الشيخ في نصف الطريق ، بعث إليه الصالح من يرجعه ، فأخذ الرسول يترضاه ويقول له : بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير . وهنا تعلن نفس الشيخ عن معدنها الكريم ، وتجرى على لسانه تلك الكلمات الحرة الحاسمة ، فيقول : يا مسكين ، والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده ! أتم في واد ، وأنا في واد ! والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به ! . ومع كل هذا فقد كان السلاطين يحبونه ويحبون الاجتماع به ، حتى روى أنه لما توفي في عهد الظاهر بيبرس حزن عليه حزناً شديداً ، وقال : سبحان الله ما اتفقت وفاة الشيخ إلا في دولتي ! وشهد جنازته ، وصلى عليه ، وحمل نعشه ، وحضر دفنه .

وكان العز كريماً عفيفاً ، متساعماً فيما بين شخصه ، لا يعصب إلا الله ، مهيباً مقبول الصورة ؛ حتى أنه كان كثير الصدقات ، وأنه ربما قطع من عمامته وأعطى فقيراً يسأله . أما أحاديث عفته فستهيضة ، وطالما رد هدايا الملوك . ويقال إنه لما مرض مرض الوفاة أرسل السلطان إليه ، وقال : عين مناصبك لمن تريد من أولادك . فقال عز الدين . ما فهم من يصلح ! وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين فقروصت إليه . وهذا موقف شبيه بموقف سيدنا عمر بن الخطاب حين قيل له : لو أنك عهدت إلى عبد الله فإنه لما أهل في دينه وفضله وقديم إسلامه ! فقال : بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد

صلى الله عليه وسلم ، ولو ددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لآلى ولا على !  
وبوقف الخليفة الشاب معاوية بن يزيد بن معاوية حين ألح عليه الناس ، وقالوا  
له : لو عهدت إلى رجل من أهل بيتك ، واستخلفت حليفة ! قال : لم ألتفع بها  
حياً فلا أتقلدها ميتاً ، لا يذهب بنو أمية بحلاوتها ، وأتجرع مرارتها ! . هكذا كانوا  
فأين نحن منهم الآن ؟ على أن أفضل ما راعى في أخلاق الشيخ تمسكه بالحق ،  
ومضمه لنفسه ، وتواضعه ؛ حكى القاضي عز الدين الهكاري ابن خطيب الاشونين  
في مصنف له ذكر فيه سيرة الشيخ أن عز الدين أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنه أخطأ  
فنادى في مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ ! .  
وتلك لعمري أفضل أخلاق العلماء ، وما زلنا نوه بتفجيع بعض العلماء وادعاءهم  
ومجادلتهم عن الباطل ، وهم يعلمون ! ! .

**جهاده :** أوردت هذا الموضوع بعنوان لما رأيته صورة بارزة في حياة  
الشيخ عز الدين ، وقد كان للشيخ جهادان : جهاد بالسيف ، وجهاد باللسان ؛  
شهد معركة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ مجاهداً في سبيل الله . أما جهاده بلسانه فحياته  
كلها مثل أي شيء مثل لذلك ، ومواقفه من سلاطين عصره أكبر دليل على هذا الجهاد  
الشاق الأليم . على أنه قد ترك كلمات مدوية لمن يأتي بعده من العلماء . وقد  
لاحظت أنه لا يترك فرصة يتحدث فيها عن الجهاد الواجب على العلماء إلا انتبهما .  
ذكر في رسالته التي بعث بها إلى السلطان الأشرف موسى بن الملك العادل  
هذه العبارة : « والجهاد ضربان : ضرب بالجدل والبيان ، وضرب بالسيف  
والسنان ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء .  
وفي رسالة أخرى : ولكن قد أمرنا الله بالجهاد في نصرته دينة ، إلا أن سلاح العالم  
عليه ولسانه ، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه ؛ فكما لا يجوز للملك إغساد  
أسلحتهم من الملحدين والمشركين ، لا يجوز للعلماء إغساد ألسنتهم عن الزائفين  
والمبتدعين ؛ فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديراً أن يحرمه الله ، ويحفظه  
من جميع الأنام ، بعينه التي لا تاف ، ويمزه بعزه الذي لا يضام ، ولو شاء الله لاتصر  
منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض . وفي هذه الرسالة : وعلى الجملة ينبغي لكل عالم  
إذا أدل الحق ، وأهمل الصواب ، أن يبذل جهده في نصرته ، وأن يجعل نفسه

بالذل والخول أولى منهما ، وإن عز الحق فظهر الصواب أن يستظل بظلمها ،  
وأن يكتفى باليسير من رشاش غيرها :

قليل منك ينفعني ولكن قليلك لا يقال له قليل

والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين ، ولذلك يجوز للبطل من  
المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين ؛ وكذلك المخاطرة بالامر بالمعروف  
والنهي عن المنكر ، ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعة ؛ فمن خشي  
على نفسه سقط عنه الوجوب ، وبقي الاستحباب ؛ ومن قال بأن التفرير بالنفوس  
لا يجوز فقد بعد عن الحق ، ونأى عن الصواب . . والحق أن العز أعطى علماء  
عصره درساً قاسياً ؛ فقد حذلوه في موقفه من الحايطة أمام السلطان ، وكان كثير  
منهم في مجلس السلطان ، وكلهم على مذهب العز ، ولكم لم يستطيعوا أن  
يتلفوا بإعلام السلطان أن ما قاله العز مذهبهم ، ومذهب أهل الحق ، بل  
اكتفوا بأن طلبوا من السلطان العفو ، وذلك يوم الذنب .

وشتان بين موقف هؤلاء وموقف رجل يكتب للسلطان فيبتدى رسالته بهذه  
العبارات : « بسم الله الرحمن الرحيم ، فوركك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون .  
أما بعد حمد الله الذي جلت قدرته ، وعلت كلفته ، وعمت رحمته ، وسبقت نعمته ،  
فإن الله تعالى قال لأحب خلقه إليه ، وأكرمهم لديه : « وإن تطع أكثر من في  
الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » .  
واستمر على هذا المنوال حتى استشاط السلطان غضباً ، ويقن أعداء الشيخ أنه  
مقتول لا محالة . « يتبع »

## كلمات

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإذا ظن  
أنه قد علم فقد جهل » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الناس عالم ومتعلم وسائرهم هيج » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا  
بما يطلب . ولمداد ما جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله » .

# أهدأ الحرب في الإسلام

الحضرة الأستاذ عبد المنعم الصايف  
مفتش الآداب بالازهر

نهى الإسلام أكثر من مرة عن إثارة الحروب بين الشعوب بغية التوسع وبسط السلطان : ذلك العامل الذي ظل مصدر إغراء بأشغالها منذ بدأ الإنسان حياته في هذا العالم

ولنا نرى اليوم أن الرغبة في اغتصاب الحقوق هي التي جعلت الأمم المتمدينة تطمح في بسط نفوذها على غيرها من الشعوب الأخرى، متذرة في ذلك بما تبديه من مختلف الأسباب، وما تأتي به من حجج تبرر بها اعتداءها. وإن الإسلام لا يرضى عن حرب هدفها الجشع والاعتصاب، ويشترط أن يتوافر لإشغالها واحد من ثلاثة أسباب :

أولا : أن يكون الباعث عليها منع الاضطراب، وأن يراد بها درء ما يتعرض له البلاد من غزو الأعداء .

ثانيا : أن يلجأ إليها دفاعا عن النفس والمال عند كل اعتداء .

ثالثا : أن يستعان بها هل أن يتجنب كل مسلم بعهيدته الدينية مهما أحاطت به عوامل الإغراء .

أما السببان الأولان : فليسا في حاجة إلى إيضاح ، لأن كلا منهما غنى عن البيان . وأما السبب الثالث : فأمر يجد فيه أهدأ الإسلام مساعا لم في التعامل هل العقيدة الإسلامية ، وفاتهم أن القرآن الكريم قد بين الحروب المرغوب فيها ، وأوضح للإنسان كثيرا من التعاليم السامية : فقال تعالى : « لا إكراه في الدين » ، وجاء القرآن يدعو إلى حرية الفكر والعمل ، وحماية العقيدة من كل عدوان ، فالمسلم ملزم بمحاربة كل من يتدخل في حرية عقيدته الدينية ، سواء أكان من بني جلده

أو من أقربائه ، أو كان غير مسلم . وأوجب الإسلام على أبنائه أن يمنعوا كل اعتداء يوجه إلى المعابد غير الإسلامية . وقد أخذ المسلمون بهذا المبدأ في كل ما فتحوه من بلاد وأمصار . وكان النبي ( صلوات الله عليه ) يخوض غمار الحروب مع أعداء الإسلام ، وبعد أن تضع الحرب أوزارها كان يعقد معهم معاهدات يحترمها ويقدرها قدرها .

ولقد ترك لنا باحترامه لما أبرم من عهود ومواثيق ، هدياً نهتدى به في حياتنا ونسترشد به في أمورنا .

قال تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

جاءت هذه الآية كتنبيه للمسلمين ، بأن أعداء دينهم سيسارعون إلى مهاجمتهم . ولم يسكد يمر على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم عام ، حتى وقعت غزوة بدر الكبرى ، فتقابل الفريقان عند بدر التي تبعد عن المدينة ثلاثين ميلاً تقريباً ، وهناك قتل معظم جيش الأعداء ، وفر قليلون إلى مكة يحملون إليها أسوأ الآباء . وكان من نتائج الفرع الذي ابتلى به الكفار ، أن تثبت بينهم وبين المسلمين حرب أخرى بلغ عدد جيش الكفار فيها ثلاثة آلاف مقاتل . وترك النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - المدينة للملاقاة أعداء الدين ، ومع أن المسلمين لم يكتب لهم النصر هذه المرة في موقعة أحد ، لم يظفر هؤلاء هم الآخرون بمقيم ذي قيمة . ولهذا وطدوا المزم ، وأصرروا على سحق الإسلام نهائياً ؛ فعمدوا بمعاهدات مع بعض القبائل ، وحاصروا المدينة بجيش كبير ، بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، ولم تقع بين الفريقين حرب نظامية ، ولكن عاصفة رملية قاسية هبت ذات ليلة فزلزلت خيام الأعداء ، واقتلعتها واطفأت أوارهم ؛ فتملكهم الذعر وولوا الأدبار .

ومع أن هؤلاء الكفار كانوا بعد حصار المدينة أضعف من أن يعقدوا حلفاً آخر بينهم ، إلا أن الاندحار الذي منوا به . أثار روح الحرب في جميع بلاد

العرب ، وسرعان ما أحاط الكفار بالمسلمين من كل جانب ، وفي ذلك كله جاء القرآن الكريم بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون ، وقوله تعالى : « وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله . فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ، وقوله جل شأه : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنهوا فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين . »

فكل هذه الآيات تبيح الحرب في حالة الدفاع عن النفس ، وهي تبين لنا جلياً أن واجب المسلمين ألا يستمروا في الحرب إن عدل العدو عن مواصلة القتال . قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ، وقال تعالى « وإن يريدوا أن يمددوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . »

وهذه قبائل كثيرة معاهدات مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وما كانوا يقصدون من إبرامها إلا أن يخذعوا المسلمين ؛ كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم حيث يقول : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . » وبرهن الكافرون أكثر من مرة على أنهم لم يكونوا لمهدم حافظين ؛ قال تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزي الله ، وأن الله مخزي الكافرين ، وقوله تعالى : « فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذلوا ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم . »

وفي هذه الآيات ما يريد الموضح إيضاحاً ، وما يبين العقاب المعد لمؤلا الذين لم يستطيعوا أن يحتفظوا بما قطعوه على أنفسهم من عهود ومواثيق ، وكان طبعياً أن يستأنف المسلمون مغازيتهم لمؤلا الذين تحللوا من تعهداتهم ، ودأبوا في الكيد لهم ، ومع أن مؤلا المشركين لم يكونوا جديرين بأن يحدوا من المسلمين فرصة لجناحتهم ، إلا أنهم منحوا هذه الفرصة ، وفي هذا يقول الله تعالى « فإن تابوا

وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة غلوا سيلهم إن الله غفور رحيم، وفي ذكر الآيات الآتية ما يبين منزلة الحرب في نظر الإسلام: قال تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في دينكم، قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون، ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة، أنقضونهم فاقه أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. قاتلهم يعذبهم الله بأيديكم، ويغزهم، وينصرمك عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين. » .

وحادى القول: أن العالم في مسيس الحاجة إلى توجيه صالح وآداب طيبة في حروبه . ولقد جاء الإسلام بما يحقق هذه الأمان، لحرم كل حرب يرجى من إشعالها كسب في أملاك الأمم؛ كما نهى عن إثارة الحروب التي تهدف - تحت ستار الدين - لبلوغ نفس الغرض . وجاء الإسلام لنشر السلام في العالم كما يستمد من اسمه، ومنع أن يستل سيف من غمده بغير حق، ودون قصد، وأوصى لإشعال نار الحرب بأن يستند الراغبون في إعلانها إلى أسباب عادلة .

## الحجاب

قال أبو مسهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عداة بن عبد كان حجبني فكتبه إليه .  
 إلى أتيتك للتسليم أمس فلم تأذن عليك في الاستار والحجب  
 وقد علمت بأنني لم أرد ولا واقه ما رد إلا العلم والادب  
 قال فأجابني ابن عبد كان بقوله :  
 لو كنت كائنت بالحسن لقلت كما قال ابن أوس وفيما قاله أدب  
 ليس الحجاب بمقص منك يا أملي إن السماء ترجى حين تحتجب  
 ووقف يباب محمد بن منصور رجل من خاصته فحجب عنه فكتب إليه .  
 على أي باب أطلب الإذن بعد ما حجب على باب الذي أنا حاجبه  
 ووقف أبو العتاهية الشاعر المشهور إلى باب بعض الهاشميين ، فطلب الإذن  
 فقيل له تكون لك عودة فقال :

لئن عدت بعد اليوم إلى لظالم سأصرف وجهي حيث تبغى المكارم  
 متى يظفر القادى إليك بحاجه ونصفك محجوب ونصفك نائم

# الحكماء السبعة

لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

كان الإغريق القدماء يمجّدون الحكمة ويعمدونها اسمى شيء في الحياة، كما شاع في الهند تقديس الآلهة، وفي إيطاليا في عصر النهضة احترام الفن. ولم يكن أبطال اليونان قديسين أو فنانين بل حكماء. وأرفع الحكماء شأماً، وأفضلهم منزلة من حُفّت سيره في الناس، وعبر عن العمل الصالح بالحكمة الصائبة والقول الذي يذهب مذهب الأمثال السائرة. ولقد جرت الحكمة من أفواه هذه الطائفة، فأصبحت في أهل الإغريق أمثلة تحفظ وتروى، ومواظق للقدوة والاعتبار، بل آيات سطرت على أبواب أبولون في دلفي.

عاش الحكماء السبعة في النصف الأخير من القرن السابع وأوائل السادس قبل الميلاد، وهم يمثلون الحكمة العملية في صدر الحضارة اليونانية. وصفهم ديكارخوس<sup>(١)</sup> فقال: ليس الحكماء السبعة فلاسفة أو حكماء، بل هم قوم في غاية الذكاء، وجهوا عنايتهم إلى تنظيم الأحوال العامة.

ولست أدري أعرّفهم العرب في الإسلام أم لا؟ نفى أسماء الحكماء السبعة وصفاتهم وأقوالهم، وأنهم يمثلون أول ظهور الحكمة أو الفلسفة. وقد ذكر القفطي في أخبار الحكماء، أساطين الحكمة، تكلم عنهم عندما تدرّس لابن بادقيس فقال إنه: «حكيم كبير من حكماء اليونان، وهو أول الحكماء الحنّاء المعروفين بأساطين الحكمة، وأقدمهم زماناً. والحنّة هم: أيذقليس هذا ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطاطاليس». ولم تقع على نص

(١) ديكارخوس Dicaerchus من مسيبا في سقّية، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو فيلسوف وجغراف ومؤرخ، أحد التلم على أرسطو وثا ومواسطس. أتفق معظم حياته في اليونان وفي لوبيز بوجه خاص. له كتب كثيرة لم يبق منها إلا أجزاء. وأهم كتبه تاريخ اليونان.

آخر في القهرست أو طبقات الأطباء، أو كتب فلاسفة العرب يدل على أنهم عرفوا الحكماء السبعة. قول: وليس فيثاغورس حكماً بل هو متأخر عن الحكماء السبعة، وإليه يعزى القول: لست حكماً ولكني مؤثر للحكمة، والمؤثر الحكمة هو الفيلسوف. كأن الفلسفة في اليونان نشأت في أحضان الحكمة العملية التي جرت على لسان الحكماء السبعة.

ومختلف المؤرخون في أسمائهم. وأقدم ثبت نعرفه هو ما سجله أفلاطون عنهم في محادثة بروتاجوراس. وهم: طاليس، وبياس، وكلوبولس، وخيلون، وبتاقوس، وسولون، وميسون.

وذكر ويل ديورانت في كتابه: حضارة الإغريق، أن هرميبوس<sup>(١)</sup> قال: الحكماء السبعة يبلغ عددهم الحقيقي سبعة عشر، لأن كل مدينة من مدن الإغريق كانت تصطنع حكماً وتذكر سبعة، إلا أنهم اتفقوا على سبعة، هم: طاليس من ملطية، وسولون من أثينا، وبياس من برين، وبتاقوس من ميشلين، وبرياندر من كورنته، وخيلون من إسبرطة، وكليوبوس من رودس.

وذكرهم ديوجين لايرس<sup>(٢)</sup> فقال: طاليس، سولون، برياندر، كلوبولس، خيلون، بياس، بتاقوس. وهذا يشبه ما ذكره هرميبوس.

وأضاف ديوجين إلى هؤلاء السبعة المجمع عليهم هداً من الأسماء، منهم: أناخارسس Anacharsis، ميسون، فريسيديس Pherecydes، إييمينيدس Ebimenides، بستراتوس Pesistratus.

وقد ذهب بعضهم إلى أسماء أخرى، إما بدافع الوطنية، أو التحيز السياسي، حتى لقد جمع ديوجين أسماءهم من شتى المصادر فبلغوا ثلاثة وعشرين. والإجماع على أربعة منهم: طاليس، وبياس، وبتاقوس، وسولون.

(١) هرميبوس Hermippus شاعر كوميدي معاصر لبركليدس عاش في القرن الخامس قبل الميلاد

(٢) مؤرخ من لايرس في صقلية. عاش في القرن الثاني بعد الميلاد، له كتاب سيرة الفلاسفة

طاليس : فيلسوف طبيعي من مدينة ملطية ، وهو رأس الفلسفة الايونية . عرفه العرب ؛ ولن نطيل في الحديث عنه .

بياس Bias من مدينة برين Priene على خليج ملطية في غرب آسيا الصغرى ، وكانت مدينة مشهورة في القرن السادس ، وازدهر فيها بياس ، واشتهر حول ٥٧٠ ق . م . وكان خطيباً أمام المحاكم في أثينا . وأشار ديوجين إلى شهرته في المحاكم . وكان نظام التقاضي في أثينا على ضريين : الاحتكام إلى محكم يفصل بما يراه على هواه ، فإن لم يقبل المتخاصمان رفعا الأمر إلى ساحة القضاء . ولم تكن المحاكم تقبل القضايا الصغيرة أو تلك التي لم يفصل فيها بالحكيم . وتقدم القضايا مدونة مسية ، ويعتمد الخصم على محام يضع المحكمة بزلالة لسانه ، وحسن بيانه وقوة إقناعه ، وبراعته في الخطابة . ومن أشهرهم بياس . له حكم تروى ، منها قوله : « من لم يصبر على الزمان عاش بائساً » .

بناقوس Pittacus من جزيرة أبوليا إحدى جزر لسبوس التي اشتهرت بالثروة والأدب . وفي الجزيرة خمس مدن أكبرها عدداً وأوفرها ثروة ميتلين Mytilene بسبب اشتغالها بالتجارة ، مثل : ملطية وساموس وإانسوس .

وفي آخر القرن السابع تحالفت طبقة التجار مع الشعب على الإشراف ، فأنزعوا منهم السلطة ، وسلخوا زمام الحكم لبناقوس ، ونصبوه حاكماً مستقداً عشر سنوات ، فاجتمع له من السلطان ما يشبه ذلك الذي اجتمع في يد صديقه سولون أحد الحكماء السبعة ، والمشرع المشهور المعروف .

ونسج التاريخ حول الحكماء السبعة كثيراً من الأقاصيص ، نجمع بينهم ، وتنطق الحكمة على لسانهم .

ويقال : إنهم قابلوا مجتمعين سبيلوس في رواية ، ورياندر في رواية أخرى ، وكرويسس في رواية ثالثة . وتمت هذه المقابلات في دلفي .

وجعل بلوتارك من الاجتماع الذي وقع في كورنثة برئاسة برياندر موضوعاً للحوار .

ومن أشهر قصصهم تلك التي تحدثنا عن الكرسي الذهبي الذي استخرجه الصيادون من البحر، ثم تنازعوا على امتلاكه، فذهبوا إلى دلفي فأبأتهم السكاهنة أن يكون من نصيب « أحكم رجل ». ودار الكرسي على جميع الحكماء، ثم عاد إلى أبولون في دلفي.

وهذا ما فعله سقراط فيما بعد حين سئل : ماذا يعرف ؟ فأجاب : إنى لا أعرف شيئاً.

ويقال : إن الحكماء السبعة عند زيارتهم دلفي وهبوه أول ثمار حكمتهم : اعرف نفسك ، و لا تسرف ، . وقد دوتنا بعد ذلك على باب المعبد .

ولا ريب في أن هاتين الحكمتين من وضع الكهنة ، حتى إذا ما ارتفع شأن الحكماء السبعة في العصور المتأخرة ، عزا الناس إليهم كل حكمة .

وقد تنسب بعض هذه الحكم المأثورة إلى واحد بعينه ، مثل « لا تسرف » ، فإنها تنسب إلى سولون ، واعرف نفسك ، إلى خيلون أو طاليس .

ويصف أفلاطون حكمهم بأنها : أقوال قصار ، وعبارات موجزة .

وجمع في القرن الخامس بعد الميلاد يوحنا سترابوس بعض هذه المأثورات المنسوبة إليهم ، وهي تدور حول الفضائل ، مثل ضبط النفس ، والأمانة ، والجد ، والصدق ، وطاعة القوانين ، واحترام الآباء .

ومن العسير نسبة كل حكمة إلى صاحبها .

يقال : إن ريناندر صاحب القول المأثور « الشورى أفضل من الاستبداد » .

وكان الغرض من هذه الحكم هداية المواطن في الحياة .

وقد أصبح للحكمتين المسطورتين على باب معبد دلفي أثر في الفلسفة : إذ أخذ سقراط ، اعرف نفسك ، وجعلها أساساً لفلسفته في الفضيلة . وأخذ أرسطو حكمة « لا تسرف » ، وجعلها أساساً لفلسفته الأخلاقية في أن الفضيلة وسط بين طرفين ؟

## جَوْلَةُ مَا كُنْتُ إِلَيْهِ

الكلمة التي ألقاها فضيلة الاستاذ الشيخ محمود جملة مبعوث الأزهر إلى العراق  
بقاعة فيصل بمناسبة الإسماء وأذيعت على الشعب العراقي

أيها السادة :

هذه ذكرى مجيدة نُحْيِيهَا ونُحْيِيهَا، لا مؤتسرين ولا مقتدين، ولا مبتدعين ولا مخترعين؛ ولكنها تذكرة للذاكرين وتنبية للغافلين، فإن القلوب قد تحجرت والنفوس قد بمرت؛ ولعلنا بذلك نحول الركب ونصحح الوضع، ونستميل الأئمة اللاهية، والعقول النائية، إلى هذه المجالس النافعة، نتذاكر فيها الله، ونحدث عن رسول الله. والحديث عن رسول الله حديث شهي؛ لأنه حديث عن الحق؛ حديث عن النور؛ حديث عن العلم؛ حديث عن العدالة والمساواة؛ حديث عن العظمة الإنسانية التي لا تعتمد على منصب ولا جاه، ولا ترتكز على مال وأهل.

أيها السادة :

لقد أسرى الله بعبده ونعم العبد؛ أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فكانت رحلة بين حرمين، وجولة بين مسجدين، وسفرة بين قبلتين، رافق فيها أمين أميناء، وصاحب فيها كريم كريماء، سارت التورانية الملكية في ركاب البشرية القدسية، فكان من ذلك ركب الله، يتوجه إلى الله، لا في مكان محصور ولا في زمان مقدور، ولم تكن الأرض إذ ذاك قد عرفت طائفة تقطع الأجواء، أو قاطرة تهب العبراء، ولكنها عرفت من أبدع الأرض والسماء، وأعلم كل شيء خلقه ثم هدى. فيها هي يد القدرة تحمل محمداً وركبه وتطوى بهم القباب والقفار وتمثل المير، وتعرض الصور أمام الحضرة النبوية ليرى الرسول الأمين في آيات ربه قيمة دعوته، وخطر رسالته، فيزداد راقية على راقته، ورحمة على رحمته،

فيلحظ في دعوته ، ويعين في حجته ، ويتفاني في إقناذ أمته : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين مرموف رحيم . فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . وفى بيت المقدس ، وفى ثالث بيت من بيوت الله التى تشد إليها الرسل ، وفى القبلة الأولى التى بدأت عليها الأمة - كان استقبال محمد استقبالا باهرا معجزا ، سلم فيه العقل الحكم إلى النقل ، فهو وحده الفيصل ، ومنه نستمد الإيمان : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » . وهنا تجلت الكرامات ، وبرزت المعجزات ، وأحيا الله الأموات وتقدم المصطفى على المصطفين وبدأت رحلة جديدة لم تشهد لها البشرية منذ هبطت البشرية ، لا من أرض إلى أرض ، ولا من شرق إلى غرب ، وإنما هي من أرض إلى سماء .

رحلة كرم الله فيها الوالد في شخص ولده ، فكانت تسميا للنعمة وتأكيدا للتوبة ، ومظهرا من مظاهر الرضى . لقد هبط آدم من عليائه لما نسي العهد وفقد العزم ، فظلمى وجاع وعرى وشقى ، وكان له ألا يحجوع ولا يعمرى ، ولا يظلمأ ولا يضحى ؛ وصعد محمد إلى السماء ، فكان ذلك رمزا لرفعة البشرية بعد هبوطها ، وكالها بعد ترجعها .

#### أيها السادة :

نزل آدم عليه السلام إلى الأرض ، وصعد محمد إلى السماء ، وكلاهما قد قطع أجواز الفضاء ، واجتازت طبقات الهواء ، وقدرة المصيطر على الوجود تولت آدم في هبوطه كما تولت محمداً في صعوده ، ولا خفة ولا كثافة أمام خالق الخفة والكثافة ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . .

هرج برسول الله وتدرج في مراتب الكمال ، وأخذ ينقل في المنازل ويسمو في الدرجات ، وسط مهرجان تفضلت به العناية الإلهية ، شاركت فيه الأرض السماء ، والأموات الأحياء ؛ ولا زالت ترفع به مكانته وتقدم به منزلته ، حتى وقف كل مخلوق ، وتنحى كل مرموق ، ورفعت الأستار ، وتكشفت الأسرار ، وظهرت الأنوار ، وتجلي الستار ، وفى الحبيب فى الحبيب ، وكان وعى وكشف ، وصحوة ويقظة ، ثم دنا قتل ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وما زاغ البصر

وما ظنى . وهنا رأى وسمع ؛ رأى آيات ربه الكبرى ، وسمع كلام ربه الأعلى ، رؤية وسمعا يليقان بالتزيه والتكريم ، ويناسبان التسييح والتعظيم . عند ذلك أوحى الله لعبده بعد أن أسرى بعبده ، فنعى العبد ، ونعم المعبود ! تكريم لم يصبه مخلوق ، وتقديس لم يصل إليه موجود ؛ فهو وحده الذى حظى بالحضرة ، وتمتع بالنظرة ، ففى مشاق دعوته ، وخلاف أمته ، فكان ترفيها وتخفيفاً ، وتحميداً وتقديساً .

أيها السادة :

فى هذا المقام الكريم ، وفى هذا الموقف الرهيب ، صدرت إرادة كريمة ، وأمر لطفى ، بتكليف الأمة بالصلاة ، وهى النامية هن الفعشاء والمسكر ، وهى عماد الدين ، من أقامها فقد أقامه ، ومن هدمها هدمه ، فالت الصلاة بذلك شرفاً سبقت به غيرها من العبادات ، واهتزت به من بين سائر الأمور . أفيلق بعد مؤمن باقه ومصدق بمحمد بن عبد الله أن يضيع الصلوات ويتبع الشهوات ! اللهم إن ذلك هو الحشران المبين .

بعد هذا تحرك الركب آيياً بعد هذا التكريم ، وقافلا بعد هذا التعظيم ، إلى مقره من البلد الحرام . فسبحانك اللهم سبحانك ! جلست قدرتك ، وعظم شأنك .

أيها السادة :

هذه منزلة رسولنا الكريم من رب العالمين ، فقد شرح الله صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وأبداه بالمعجزات والخوارق ، وعلمه ما لم يكن يعلم .

سيدى رسول :

قدمتك العناية الإلهية ، والرحمة الربانية ، إلى البشرية الضالة ، والإنسانية النائية ، بين أرباب متفرقة ، ونظم متخلخلة ، وأصول متداعية ، لتقيم من أركانها وترفع من قواعدها ، وتأخذ بيدها إلى الطريق السوى ، قدمتك حراً طليقاً ترى الحق حقاً والباطل باطلاً تصفاه فى نفسك ونور فى قلبك ، لم يغيره فيك قتامة محيطك ، وهتامة هصرتك ، فقلت حقاً ، ونطقت صدقاً ، وقد بلغت الرسالة ، وأدبت الأمانة ، ورسمت للناس طريق الحق ، فلا عذر لمعتذر ، ولا حجة لجاحد ، بل لله الحجة البالغة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة .

والآن وقد اجتمعنا لإحياء أعظم الليالي التي كانت لرسولنا الأكرم ، ونينا  
الاجل - نصرع إلى الله العلي أن يوجه الأمة لإحياء سنته ، وتأيد دعوته ، ونشر  
دينه ، وبث تعاليمه . هذ ذلك يعود لنا عز سلبناه ، ومجد فقدناه ، وخلق جافيناه ،  
ويتحقق وعد الله ، ولنصرن الله من نصره ، إن الله لقوى عزيز .

قبل أن أبرح مكاني هذا أقدم إلى الشعب العراقي الكريم ، خصوصا  
الحميات الدينية ، بشكري وشكر إخواني على ما حيانا به هذا الشعب من صنوف  
الإكرام ، لا لأشخاصنا ، ولكن لمعهدنا العزيز الذي غالب الأيام فعلها ، وصارع  
القرون فصرعها ، ثم هو يحمل مشعل الإسلام ويقوم ببليغ الدعوة ، وهو مفتوح  
الآبواب لكل مسلم يريد أن يرتشف من حياضه ، وأن ينهل من موارده . وسنبليغ  
نحية أهل العراق إلى من بالأزهر جميعاً من المسلمين : سنبلغها إلى العراقي والمصري  
والسوري والأردني والحجازي والهندي والصيني والعجمي والسومالي والسوداني  
والجماوي والسنعالي والمصري ، وإلى غيرهم ممن غاب عن الذاكرة وند عن الحافظة ،  
كل أولئك يحلون به مكاناً سهلاً ومنزلاً كريماً . أمد الله في حياة من يمد في حياة  
الأزهر ، ووفق المسلمين للعمل بدينهم واتباع سنة نبيهم ﷺ

### جود عبيد الله بن عباس

كان من مشهورى الأجواد ، قيل : إنه أناه رجل وهو بفناء داره ، فقام بين  
يديه ، فقال : يا بن عباس إن لي عندك يداً ، وقد احتجت إليها ، فصعد فيه بصره  
وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بزمزم وغلالمك  
يتمتع لك من مائها ، والشمس قد صهرتك فظلمتلك بطرف كسائي حتى شربت .  
قال : إني لا ذكر ذلك وأنه يتردد بين خاطري وفكري ، ثم قال لقيمه : ما عندك ؟  
قال : مائتا دينار ، وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه ، وما أراها تنى بحق يده  
عدداً . قال : فأعطاه ثلاثين ألفاً . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولد  
غيرك لكان فيه ما كفاه . فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله  
عليه وسلم ، ثم شفعلك به وبأيك .

# الدين والدنيا

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ بالأزهر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله عز وجل يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الدين فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه ، قلت : يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال : غشمة وظلمة ، ولا يكسب مالا من حرام فيفقد منه فيبارك فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خاف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السوء بالسوء ، ولكن يمحو السوء بالحسن ، إن الحديث لا يمحو الحديث .

فى وضع هذا النور المحمدى الذى يشع من حديثه صلى الله عليه وسلم ، يحلى لنا الصادق المصدوق من جمال هذا الدين ، وسماحة تعامله ، وجلال توجيئه ، ألوانا صادقة من حسن الخلق ، وسلامة القلب ، وعفة اللسان ، وكف الأذى ، والتورع عن الكسب الحرام ؛ كما يحلى لنا صلى الله عليه وسلم من نواحي الافتنان بالدنيا تملك الغرور للنفس ، والشره فى جمع المال ، والعمل على إنمائه من الكسب الحديث ، ومرض القلب بما يكن فيه من أدواء الحقد والضغينة ، وبذاءة اللسان ، وما تجر إليه من أذى ، وتطاول ، وزور ، وبهتان . ثم يوجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ملاحقة البيئة بالحسنة ، لتذهب من ظلمتها ، وتطهر من خبثها .

ولقد بين هذا الحديث الشريف أن الذى منحه الله نعمة الدين ، فقام فى نطاق حدوده وأحكامه ، يهذب نفسه ، ويحترم غيره ، ويرعى حرمة الناس ، فذلك هو الذى أحبه الله .

أما نعمة الدنيا من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو قوة ، فإن الله تعالى يعطيها من يحب ومن لا يحب .

يعطيها من يحب : ليزداد المحبوب بها شكر الله ، واستجابة لأمره ، وامتناناً لثبته ، فيبذل صاحب المال من ماله ، ويبذل صاحب الجاه من نفسه ، ويعدل صاحب المنصب فيما يقوم عليه ، ويروض صاحب القوة نفسه على لين الجانب وخفض الجناح .

ويعطي الله هذه النعم في الدنيا لمن لا يحب : استدراجاً منه تعالى لمؤلاي الآئمة المستكبرين ، فيزداد جامع المال حرصاً وشرهاً ، ويطغى صاحب الجاه كبراً وصلفاً ، ويتعدى صاحب المنصب حواجز العدل والرحمة ظلماً وعدواناً ، ويبطش صاحب القوة بالضعفاء نجراً وقسوة ؛ وكذلك كل من أوتي نعمة الله فلم يصنها ، ولمنعها فلم يشكرها ، أفسح الله له في مجال نعمته ، حتى يكون أخذه أليماً ، وعذابه شديداً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الله يعطي العبد ما يحب ، وهو مقيم على معصيته فذلك منه استدراج ، ثم تلاقوه تعالى ، فلبسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون .

والإبلاس : هو الحزن المفاجيء من شدة اليأس ، ثم يبين الرسول صلى الله عليه وسلم ياناً مؤكداً بالقسم بالله الذي نفسه بيده : أن الإسلام ليس بالدعوى تدعى ، ولا بالكلمة ينطق بها المسلم ؛ ولكنه سلامة القلب ، وسلامة اللسان . فالقلب الفاجر ، والنفس المظلمة ، والجوارح التي تجترح الآثام والمنكرات ، لا تكون عنواناً على الإسلام .

واللسان المتدلع بنار الشر ، في الوقعة ، والزور ، والعيبة ، والتمية ، والكذب ، والآذى ، لا يكون لسان مسلم يخشى الله ويرعى حدود الله .

كما أن من يدعى الإيمان ولا يأمنه حتى أقرب الناس إليه وهو جاره ، بل يلحقه منه الظلم والطغيان ، والغشم والسفه - لا يكون مستجيباً لأمر الله ، ولا مرسوماً بعلامة المؤمنين .

والكسب الحرام يفرح به من يفتخر بالعرض الزائل ، ويتخذها مغنا ، غير متورع عن رشوة مضللة ، أو غش يغبن به الناس ، أو يمين فاجرة يروج بها سلعة ، ولا والله لا يتذوق بهذا المال الحرام إلا مرارة وحرارة : مرارة من كراهية الناس ، وحرارة من عذاب الله ، ولن يجد فيه بركة الإنفاق ، ولا يتذوق منه حسن التقبل ، ولا يجمع به إلا وقود التهلكة في سخط الله وسوء المنقلب ! .  
أما بعد .

فليس لهذا الدين إلا البر والمرحمة ، وليس لسعادة الدنيا إلا أن نخضعها للحق ، برضاء الله ، ونطمئن به النفس ، ويحب الناس .  
وليس لمنع الحياة في غير هذا النطاق الذي شرعه الله جمال ، ولا حسن ، ولا بقاء ؛ ولكه الفضل ، والجلال ، والجمال ، والعزة ، لمن استجاب لله ، واتفق وصدق بالحسن ، من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجنيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . .

### حلم معاوية

قال معاوية لأبي الجهم العدوي : أنا أكبر أم أنت ؟ فأجابته لقد أكلت في عرس أملك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : عند أي زواجها ؟ قال عند حفص بن المغيرة . فقال معاوية : يا أبا الجهم إياك والسلطان ، فإنه يغضب غضب الصبي ، ويأخذ أخذ الأسد . وأبو الجهم هذا هو الذي قال في معاوية :

نغضبه لنخبر حاليه	فتخبر منها كرمنا	ولينا
نميل على جوانبه كأننا	نميل إذا نميل على أيينا	
وقدم عقبة الأزدي على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الآيات :		
معاوي إتنا بشر فأصبح	فلنا بالجبال ولا الحديد	
أكلتم أرضنا فجردتموها	فهل من قائم أو من حصيد	
أطعمم بالخلود إذا ملكتنا	وليس لنا ولا لك من خلود	
فهبنا أمة ملكت ضياعا	يزيد أميرها وأبو يزيد	

دعا به معاوية وقال : ما جراك على ؟ قال نصحتك إذ غشوك وصدقتك إذ كذبوك . فقال له معاوية : ما أظنك إلا صادقا وقضى حاجته .

# ميتاد محمد صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد المنعم حجاجي

المدرس بكلية اللغة

في ظلمات من الجهل ، وحيرة في العقول ، وفوضى لا مثيل لها في الحياة ؛  
ولد محمد صلوات الله عليه في مكة ، كما يولد الهلال الذي تسير به دورة الأيام  
فيصبح بدرا ضيحا .

ونشأ في بيئة جاهلية ، لا تعرف لونا من ألوان المعرفة أو النظام أو الحضارة ،  
ولا تؤمن بمبادئ حق أو خير أو حرية أو مساواة أو إخاء .

وأنكر محمد في طفولته وشبابه ما تعارف عليه قومه من عقائد وأوهام ،  
وتقاليد وعادات وأحلاق ونظم ؛ لأنها جميعها تنكر الله ، وتكر المعاني الفاصلة  
والمثل العليا في الحياة ، وتسير بالجماعة إلى الفوضى والهمجية ، أو قل إلى الفناء  
والانهيار ، فلا تعرف دعوة حق ، ولا تؤمن بفضيلة إنسانية ، ولا تقدر  
إلا العصية وحب الدماء وصدع الثمل ؛ ثم سافر إلى الشام حيث رسالة المسيح  
لا بد أن تكون قد عملت عملها في تهذيب شعب المسيح ، فأرى وبأهل ما رأى :  
رأى التوحيد ينقلب شركا ، والدين يستحيل عصية حمقاء تعرف في البطش  
والانتقام ، والرحمة التي دعا إليها المسيح تصير ضعفا وهوانا عند قوم ، وبغيا  
وعداونا عند آخرين .

رأى محمد لهذه الإنسانية المعذبة ، وسار في حياته على مثال رفيع في الخلق  
والآداب وصلته بالمجتمع ، وأخذ يتطلع بصره في حيرة إلى هداية السماء لنقذ  
البشر من حياتهم : حياة الهمجية ، والاستبداد والطغيان ، والظلم والفوضى .

وفي لحظة رهيبة خالدة في تاريخ الإنسانية نزل عليه الوحي برسالة من السماء ، ليبلغها الناس كافة ، وليستقيم بها ما اعوج من أمور البشر وحياتهم وفضائدهم .

وبعد قليل كان محمد قد وأد الوثنية في جزيرة العرب ، ونشر مكانها التوحيد والحرية والحق والأخاء والمساواة ، وبدأ يصبغهم بصبغة جديدة من ألوان الحضارة ومظاهرها ، وأخذت تنمو هذه الصبغة حتى صارت مدينة زاهرة في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وشتى عواصم العالم الإسلامي التي كان يشع منها نور الحضارة والمعرفة والرقى ، وهكذا صدقت نبوءة المسيح ، عندما يأخذني الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادم التقوى على الاعتناق بآتي الله وابن الله ؛ فيتجسس بسبب هذا كلامي وتعليمي ، حيثئذ يرحم الله العالم ، ويرسل رسوله الذي خلق كل شيء لاجله : الذي سيأتي من الجنوب ، وسيبيد الأصنام وعبداء الأصنام ، وسيفترع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتي برحمة الله ، <sup>(١)</sup> ، ويعلم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله آبائنا لإبراهيم ، <sup>(٢)</sup>

ولقد كان ميلاد محمد صلوات الله عليه بحق ميلاد الحرية والأخاء والمساواة والحضارة ، وشهد بذلك المفكرون في القرب :  
قال : كاي تيلر ، : الإسلام أعاد التمدن أكثر من النصرانية ، ونشر علم الأخاء والمساواة .

وقال : يوسورث سميت ، : كان محمد موقفاً توفيقاً فريداً في بابيه ، لم يجدتنا التاريخ عن مثله ؛ لجمع بين زعامات ثلاث : هي زعامة الشعب وزعامة الدين وزعامة الدولة ، وبرغم أنه كان أمياً ؛ فقد جاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادات ، هو الآن موضع احترام أكثر من سدس العالم ؛ كعجزة هي دليل العقل والحكمة أكثر من أى معجزة غيرها .

وقال اللورد هذلي ، : رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لا ريب ، فيها هدى

(١) الفصل السادس والستون من الإنجيل القديس برنابا أحد المؤرخين وهو أقرب الإنجيل إلى الصحة .

(٢) الفصل السابع والستون من المرجع نفسه .

للمتقين أوحى الله بها إليه ، فجاءت مخفقة لصرامة أحكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح . كان محمد داعياً إلى الرحمة والعدل ، والكرم والشجاعة ، والصبر على المنكاره والصدق ، يستمد أن الدين هو أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة ، وأن الإنسان ما هو إلا مظهر من مظاهر الله : وكان محمد غيوراً متحمساً ، وكانت غيرته وتحمسه لغرض نبيل ومعنى سام .

وسوى ذلك من شهادة . توماس كارليل ، ود تولستوى ، ود جونز ، وسوامن من أفضال الفكر الأوروبي الحديث .

قامت على مبادئ محمد صلوات الله عليه دولة عظيمة لم تكن الشمس تغيب عنها ، ونمت على أساسها حضارة مشرقة لا زالت محل إعجاب الباحثين والمفكرين ، وهي نواة الحضارة الأوروبية الحديثة ، ولها الفضل كل الفضل في نقل أقطار الأمم القديمة : من هنود ، وفارسيين ، وصينيين ، وإغريقين ، ورومانيين ، ومصريين إلى العالم الحديث : ولولا مجهود المفكرين المسلمين : لضاعت آثار المدنية والحضارات القديمة وعلومها ومعارفها .

قامت هذه الدولة وتملك الحضارة ، على المعرفة والحرية : وعلى الديمقراطية النبيلة التي بلغت على يد الفاروق عمر ، أسى ما تبلغه الإنسانية الراقية ، وقامت على تقديس حرية الفكر والرأى والعقيدة ، حتى لقد تجاوزت الأديان الثلاثة في أملاك إمبراطورية المسلمين ، فلم نسمع إلا عدلاً ورحمة ، وتعاوناً وحباً ، وتقديساً لحرية الدين والعقيدة .

والتسامح الدينى ، واحترام أهل الديانات السماوية الأخرى أمر ظاهر واضح في حياة الرسول وخلفائه ، فلقد آمن محمد صلوات الله عليه نصارى نجران على حرباتهم الدينية ، كما فعل الفاروق مع نصارى الشام ، إلى غير ذلك من الشواهد والمثل . ومبادئ محمد ودعوته ورسائله إن هى إلا صدى لهذا الدستور الخالد والكتاب الحى الباقي والقانون السماوى الأعظم ، القرآن الكريم .

وتقرأ في القرآن فتجد حرباً لا هوادة فيها على الشرك والوثنية ، وتحريراً للعقل الإنسانى من أوهام التعصب والجنود والضلال ، وإيماناً لا يشوبه شك بقيمة المعرفة والثقافة ، وغرساً للفضائل الإنسانية ، والمثل العليا في نفوس الناس

كافة ، ومحاربة للرذائل والمنكرات والشُرور والآثام والفوضى الإجتماعية في كل شيء وكل ناحية .

وتجده فيه إيقاظا للصائر ، وإحياء للنفوس ، وبعثاً للفكر البشرى من رقده ، وتجده فيه ثورة على الطغيان والاستبداد ، وعلى التعصب للأفكار الخاطئة ، والمبادئ الضالة ، والمصيات الجائرة .

وتجده أول هدف له هو نشر التعاون بين البشر جميعاً ، فلا فرق بين جنس وجنس ، ولا فضل لامة على أمة أو قبيلة على قبيلة أو إنسان على إنسان ، إلا بالأخلاق الكريمة ، والأعمال الصالحة ، وتقوى الله وطاعته ، والناس كلهم من أصل واحد وأب واحد . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ؛ وهكذا قرر الإسلام ورسوله الجود والتعصبَ القبلي والوطني المحدود ، وأحل محل ذلك الإنسانية والعالمية ، بأوسع معانيها ، ولقد بدأت أوربا بعد أن ضلت الطريق تعمل لهذه الغاية التي عمل لها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

ووضع القرآن صلة الإنسان بربه ، وشرع له العبادات والطاعات التي تقربه إلى الله ، كما وضع النظم المثل التي تسير عليها الأسرة والمجتمع والامة والإنسانية لخير الحياة والحضارة والشرية والناس كافة .

وهكذا غرس محمد صلوات الله عليه يديه الكريمتين شجرة الحرية والتعاون والزمانة الإنسانية والمساواة والأخاء ، ووضع أساس حضارة روحية من أعظم الحضارات التي شهدتها التاريخ ، وعاش في ظلها العالم أجيالاً وقروناً ينعمون بعلمها وحكمتها ، ويُقَنِّدُون أنفسهم بمبادئها وأفكارها وثقافتها ، ويشاهدون آثارها الخالدة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب والفنون

وهل الحضارة إلا آثار الرقي الإنساني ، ومظاهر التقدم البشرى في شتى نواحي الحياة ؟

وإذا قست ذلك بآثار محمد ورسالته في الحياة على الناس والإنسانية كافة ، وجدت أباديه العظيمة ، لا يكاد يعيها العد ، وتنوء الحياة بدئين محمد العادح عليها ، ويهتئ الفكر حين يجد أن هذا الأئى العربى قد بَدَّلَ سَيْرَ التاريخ ،

وحول مجرى الحضارة ، ويقف العقل والبيان حائرين لا يبدريان كيف يشكران فضل هذا الرسول العظيم .

إن ميلاد محمد ميلاد الحضارة ، وبحق ما أقول ؛ فلم تكن الحضارات القديمة : من صينية ، وهندية ، وفارسية ، وفرعونية ، وإغريقية ، ورومانية إلا جسيما خالياً من الروح ، وبدء نواة الحركة التقدم والرقى الإنسانى ، فالتقدم فى ناحية يقابله ضعف غريب فى نواح ، فالمرأة فى الحضارة الرومانية كالرقبة تباع وتشترى ، والحاكم فى شتى هذه الحضارات هو المالك للدولة ، ومرافقها ، ومواردها والرعية نفسها ، حتى لقد قال ملك مصر : « أما ربكم الأعلى ، ؛ على أن هذه الحضارات مع ما قامت عليه من شتى المبادئ والاسس والنظم الخاطئة ، لم نستطع أن نحارب الجهل والفقر والهمجية والوثنية إلا فى بقع صغيرة محدودة ، أما أغلب أرجاء العالم فكانت تعيش فى ظلام دامس ، وضلال شامل ، وخوف مفرع ، وفقر مدقع ، ووحشية قاسية ، وفى ظل تهاليد وعادات ونظم شبيهة بشرية الإنسان الأول ، الذى لم يعرف للحياة معنى ، ولا للثقافة والعدل والحرية قيمة . أما الحضارة الإسلامية التى غرسها محمد ، فقد نظمت الحياة فى كل ناحية من نواحيها ، وهذبها ، وسارت بالإنسانية إلى غاياتها النبيلة ، ومثلها الرفيعة ، وحررت الفكر الإنسانى من قيوده وأوهامه . وامتازت بروحانياتها المشرقة ، وإيمانها المطلق بمبادئ الخير ، واشترأ كينها العادلة التى جعلت الفقير أحبا للغنى والعلى أحبا للفقير ، والتى ساوت بين شتى الطبقات والجماعات والمناصر .

فأين هذا من حضارة الغرب التى حاربت الحق والعدل ، وجعلت بعض الشعوب قواما على الآخرين ، ونشرت أفكار الاستعمار والآثرة والآبائية ، وحددت ألوان الخصومات والخلافات بين الناس ، وأشقت الإنسانية بما افتنت فيه من ابتكار وسائل التدمير والإهلاك ، وبما سارت عليه من شتى الحروب المروعة كل حين على نظام لم تر العين أنظع منه ؟ .

وأين هذا من حضارة الغرب بماديتهى الظالمة وتفرقتها بين الألوان والاجناس ، وقتلها للشعوب المتأخرة أديبا وماديا وروحيا ، لتبقى إلى الأبد مستعمرة ذليلة ؟ اللهم إن محمدا قد شرع للحياة والحضارة والإنسانية أعظم ما عرف من نظم ، وأسبى ما شوهد من تشريع ، ولكن الناس ضلوا سبيلك ، وكفروا بدينك ، وآثروا متعة اليوم على سعادة الأبد .

# قوانين الفكر الضرورية

لحضرة الأستاذ سعيد زايد

الفكر هو أجل موهبة وهبنا الله لإياها، والذي به يمتاز الإنسان عن غيره من أنواع الحيوان، وهو الذي تتشكل به حياة الإنسان في جميع نواحيها العلمية والعملية، ولقد قال علماء النفس: إن التفكير في الإنسان طبيعي كالغريزة. ولكن ليس معنى هذا أنه متساو في جميع الأفراد والجماعات؛ فهو يختلف تبعاً لاختلاف درجة التمدن والحضارة.

والفكر هو العمل العقلي الذي به نكتسب العلم. والغرض الاسمي من التفكير هو الوصول إلى الحقيقة بطريقة منطقية، والمنطق كما هو معروف عبارة عن مجموعة قواعد، مثل: قواعد الرياضيات، ولذلك أفرغ علماء المنطق تلك القواعد في مجموعة أبسط منها، وسموها بالقوانين الأساسية أو الضرورية للتفكير، وهي عبارة عن ثلاثة قوانين سنتكلم عنها فيما يلي

## ١ - قانون الذاتية

ويمكن وصفه في عبارة «أ هي أ» أي أنه أثناء إثبات أي برهان نستعمل كل لفظ في معنى واحد لا يتغير، ومن هنا جاءت تسمية العرب له بقانون الهوية. ولكن لا توجد هناك أدنى صعوبة في فهم قضايها مثل «أ هي أ» أو «ب هي ب» ومثل هذه القضايا لا يفيد حكماً على الإطلاق؛ لأنه إذا كان معنى «أ هي أ» عدم وجود اختلافات مطلقة بين جانبي هذا الحكم، فهذا لا يفيدنا بشيء ما، ويجب ألا نقبله بحال، فهو كما يقول العلامة هيغل - بحق - مخالف لشكل الحكم وذلك لأنه يعني أنه يقول شيئاً، وهو في الحقيقة لا يقول شيئاً ما. وفي الواقع أنه لا يثبت الذاتية

لأن الذاتية إذا خلت من عناصر الاختلاف ، فلا يكون لها معنى على الإطلاق ، فلا يمكن أن نقول عن شيء أنه هو شيء آخر ، فلا بد إذن من وجود عناصر تغير في نفس هذا الشيء ، أو أن نبحث فيه من ناحية اختلاف خاصة ، وبناء عليه استبدلت الصورة التي وضعها العلامة ليدتر ، والتي أشرنا إليها قبلاً وهي « ا هـ ا » ، بصورة أخرى هي « ا هـ ب » وهي التي يستعملها أغلب المناطق ، فنقول مثلاً « الذهب أصفر » ، ولا نفنى بهذا أن كل الأشياء التي تحمل اللون الأصفر تسمى ذهبا ، ولا نفنى كذلك أن الذهب هو كل أصفر . والمراد بعبارة « ا هـ ا » هي أن نفهم « ا » على أنها قضية أو حده مفهوم ، ويمكن أن نفسر هذه العبارة باعتبار تطبيقها على حدود قضية ، فالإنسان إذا فكر في شيء ما ، إما أن يكون هذا الشيء متمايزاً عن شيء آخر أو مشتركاً معه في بعض الصفات ، وفي حالة اشتراكه في جميع الصفات لابد أن يختلف عنه في صفتي الزمانية والمكانية ، فالذاتية الخاصة لا توجد إذن بل توجد هناك أشياء متشابهة في بعض الصفات أو جميعها ما عدا صفتي الزمانية والمكانية ، وهما اللتان يعول عليهما في التفرقة بين الشيتين .

والذاتية في الحكم تعنى أنه إذا كانت القضية صادقة ، ظلت على الدوام صادقة ، وإذا كانت كاذبة ظلت على الدوام كاذبة ؛ فنقول مثلاً إن طربوشى لونه أحمر ، لا يمكن أن يأتى يوم يكون طربوشى فيه أبيضاً ، وذاتية الحكم هو الاعتبار من جمهور المناطق الحديثة . ولقد قال العلامة برادلى « إنه إذا صدق الحكم ظل على الدوام صادقا ، وإذا كذب ظل على الدوام كاذبا ، فإن الحقيقة مستقلة ليست على حسب ؛ بل عن كل تغير وكل أمر عرضى ، وليس في الإمكان أن يتحدث أى تغير في الزمان أو في المكان تغيراً في صدق أو كذب الحكم .

فالحكم في القضية يشير إلى حقيقة من الحقائق ، وهو إما أن يكون صادقا أو كاذبا ، ومحتويات هذا الحكم تكون ثابتة غير متغيرة ؛ لأنه يتضمن الحقيقة ، فيصبح بذلك تفكيرنا صحيح ، ويكون قانون الذاتية مبدأ أساسيا للسطق الذى هو علم التفكير الصحيح . وإذا داخلنا الشك في صحة خطورة واحدة من خطوات التفكير ؛ فإن محتويات هذا الحكم تتغير ، وعليه فإنه يمكن القول إنه لا يمكن التسليم بحكم وإنكاره في وقت واحد ، أو إنه لا يمكننا إثبات حكم ونفيه في آن

واحد ، وإذا قلنا كذلك نكون قد عبرنا عن قانون الذاتية بقانون التناقض ، هذان القانونان متكاملان الذي يعبر أحدهما عن الناحية الإيجابية من القضية ، والثاني عن الناحية السلبية ، الأول ينص على أنه إذا كان الحكم صادقا ، كان صادقا وإذا كان كاذبا كان كاذبا ، والثاني ينص على أنه لا يمكن أن يكون الحكم صادقا وكاذبا في آن واحد ، فالمعنيان متكاملان إذا خطر ببال الإنسان المعنى الأول : خطر بباله المعنى الآخر أيضا .

ولقد قال العلامة : سيجوارت : إنه من الأفضل أن نعرف هذا القانون بألفاظ القائل بوحدة الحكم في القضية ، أى أن الحقيقة شيء واحد ثابت لا يتغير . ويرى العالم : ميل ، أن الحقيقة الواحدة يمكن أن يعبر عنها بعبارة مختلفة ، ويقول في ذلك عبارته المشهورة : إن الحقيقة التي تبدو في عبارة ما ، هي نفس الحقيقة التي تبدو في عبارة غيرها تحمل نفس المعنى ،

وميل بعبارته هذه يؤكد الناحية اللغوية من القضية ، فلا عبرة عنده بالألفاظ ، فالحقيقة الواحدة يمكن التعبير عنها بعبارات مختلفة في لغات مختلفة .

#### ٢ — قانون التناقض .

وهذا القانون يشرح العلاقة بين حكمين ، لا يصدقان معاً ، ولا يكذبان معاً ، أو على الأصح إن هذا القانون يقرر العلاقة بين حكمين لا يصدقان معاً ، لأن الذي يقرر العلاقة بين حكمين لا يكذبان معاً هو قانون الامتناع . وقانون التناقض في تقريره العلاقة بين حكمين لا يصدقان معاً يكون دقيقاً وقريباً جداً من طبيعة الفكر ، لأنه لا يثبت شيئاً إلا إذا صاحب هذا الإثبات إنكار شيء آخر . أى أن الشيء لا يكون موجوداً ولا موجوداً في آن واحد ، أو أن محمداً لا يكون موجوداً ولا موجود في وقت واحد ، فإذا كان موجوداً في الحجرة مثلاً ، لا بد أن يكون غير موجود في الشارع ، وقولنا في وقت واحد ، يدل أكبر دليل على أن التناقض لا يكون ناقضاً بالمعنى الصحيح إلا إذا اتحد الموضوع والرمز في القضيتين . ويقول العلامة : هاملتون ، إن قانون التناقض هو أساس المنطق ، وذلك لأنه استعمله ، وأراد أن يظهر به أهمية المنطق ، ويجعل هذا العلامة قانون التناقض ضرورياً بجانب قانون الذاتية ؛ لأنه يعصم الذهن من الوقوع في الخطأ ، ويقول إن إنكار

قانون التناقض هو سبيل الوقوع في الخطأ . ويقول العلامة : «يجوارت ، إن قانون التناقض - ولو أنه يقول إن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معا - يصدق في القضية الواحدة ، مثال ذلك | لا يمكن أن تكون لا | في القضية الواحدة إلا إذا نظرنا إليها من ناحية أنها تخالف | .

وقال العلامة ميل : إن هذا القانون مكتسب من التجربة لأنه يمتد أن الشيء والإتياب حالتان متوالدان في العقل من التجارب والمشاهدات ، فالإنسان مثلاً يشاهد في تجاربه الشيء وتقيضه أو ضده ، فهو يشاهد النور والظلمة أى لا يدرك النور إلا إذا أدرك الظلمة ، ولا يدرك الغنى إلا إذا أدرك الفقر ، أى أنه يدرك الأمور الإيجابية والسلبية ، وبهذا الإدراك يكون فكرة عن المتناقضات وهي ما يسميها ميل بقانون التناقض .

إلا أن الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفي يرى أن في رأى العلامة ميل هذا شيئاً من الضعف أو الخطأ وبوجه إليه اعتراضين .

الأول : إذا سلمنا مع ميل بأن أساس قانون التناقض قائم على طبيعة الحكم ، فيما أن غاية كل حكم هي الوصول إلى الحقيقة والصدق ، وتأيد صدق القضية يتطلب نفي تقيض لها ، يترتب على ذلك أن نكون قد خرجنا بالنفي والإثبات من عملية عقلية بسيطة دون وجود أى تعميم ألبته .

الثاني : وله ناحيتان ، أولاً كون العقل - معتمداً على الخبر - لا يدرك الشيء إلا إذا أدرك تقيضه ، هذه مسألة من مسائل علم النفس . ثانياً : أن ميل قد خلط بين قوله إن العقل لا يستطيع إدراك النور إلا إذا أدرك الظلمة ، وبين قوله إنه لا يمكن أن تكون الحجرة مضيئة ومظلمة في وقت واحد .

### ٣ - قانون الامتناع :

وهو الذى يقول : إن القضيتين المتناقضتين لا تكذبان معا ، ولما كان قانون التناقض يقول : إن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معا ، فإنه يظهر من ذلك أن القانونين متكاملان .

وهذا القانون يمنع وجود حد وسط بين حدين متناقضين؛ فثلاً أبيض ولا أبيض لا يوجد بينهما حد وسط، فالقضية إما أن تكون صادقة أو كاذبة ولا يوجد حد وسط بينهما.

وينظر العلامة سيجوارت، إلى قانون الامتناع، كقانون يعتمد على قانون التناقض، وقانون النفي الثانی الذي يقول إن نفي إثبات، فانكارنا لنفي محمول ما عن موضوع ذلك المحمول يساوي إثبات هذا المحمول نفسه لهذا الموضوع نفسه والاستنتاج يتبع كالاتي :

١. التي تساوي ب هي حـ ، آ التي تساوي ب هي حـ .

فقانون التناقض يقول : بكذب إحدى هاتين القضيتين ، لاتنا نرى أنه في حالة إثبات القضية الأولى إنكار للثانية ، وفي حالة إثبات الثانية إنكار للأولى . وحسب قانون الامتناع نرى أنه في حالة إنكار القضية الأولى إثبات للثانية ، وفي حالة إنكار الثانية إثبات للأولى . وهذه الحالة الأخيرة تتبع قانون النفي المردوج . وها يظهر مبدأ العلامة سيجوارت للنفي المزدوج بوضوح هذا المبدأ الذي يبدو أنه واضحاً في استنتاج قانون الامتناع .

ولكن بعد كل الذي ذكرنا ، نريد أن نتساءل ، هل من ضرورة لقانون الامتناع ؟ ادعى بعض الماطقة عدم ضرورة هذا القانون للأسباب الآتية :

١ — إنهم خلطوا بين التقيض والضمدين ، فقالوا : إن هناك حد وسط بين أكبر وأصغر ، وهذا مسلم به في قانون الامتناع ولكن الذي لا يمكن أن نسلم به هو وجود حد وسط بين أكبر ولا أكبر ، فهم لم يدركوا العلاقة بين أكبر وأصغر ، هل هي علاقة تضاد أم هي علاقة تناقض . ولهذا السبب ينه العلاقة . هاملتون ، الى أن القضيتين المتناقضتين يجب أن تنفابلا في الكم والكيف معاً ، وليس في الكم فقط حتى تتلافى الأخطاء والاحتلاط الذي طامس بوقمنا فيه قانون الامتناع .

٢ — بلغ هم أهم توهموا وجود حد وسط بين التقيضين ، كأن نقول مثلاً في حالة طالب ، إنه راسب أو غير راسب قبل ظهور النتيجة وحكمها على الطالب

بالرسوب أو غير الرسوب ، ولكن ظهور النتيجة ليس له أى علاقة ، فراسب وغير راسب لا يوجد بينهما حد وسط .

٢ — قد يقع إسهام فى اللغة نفسها ، فيخيل أن لفظين من الالفاظ متناقضين فى حين أنهما غير متناقضين ؛ فثلا أبيض ، ولا أبيض أحيانا نفهم أن لا أبيض معناها أسود ، فيوجد حد وسط بينهما ، أما أبيض ولا أبيض فلا يوجد بينهما حد وسط مطلقا .

يتبين إذن أنه يجب أن نفرق بين المتضادات والمتناقضات لمع الوقوع فى الخطأ . بقى أن نقول : إن العلامة مبيل يقول : إن قانون الامتاع لا يتحقق إلا فى حالة واحدة ، وهى الحالة التى يكون فيها الحل معقولا ، فإذا لم يكن معقولا ؛ كقولى الفضيلة تتعدد بالحرارة مثلا فان قانون الامتاع لا يسرى .

وبعد فهذا عرض مختصر لقوانين الفكر الأساسية أو الضرورية ، يظهر منه أنها مترابطة تمام الترابط ، أى لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر بأى حال من الأحوال ، فقانون الذاتية ، وقانون التناقض متكاملان ، لا يفهم أحدهما بدون الآخر ، ويمكن النظر إليهما باعتبارهما حالتى الإثبات والنفى لقضية واحدة ، وقانون التناقض والامتاع ، بكل أحدهما الآخر أيضاً أى أن هذه القوانين الثلاثة متكاملة .

وأخيراً يتبين من عرضنا أن هذه القوانين أساسية لدرجة أننا لا نستطيع أن نخطو أى خطوة فى التفكير بدون افتراض صحتها ، ولقد اعترضا بعض الماطقة أساساً لكل استدلال مطلق ، وتظهر قيمتها فى الاستدلال الآتى ، وهو الحكم على الكلى بالحكم على الجزئى ، مثل قولنا : كل إنسان فان ، ومحمد إنسان إذن محمد فان . فالإنسان حد وسط نستطيع بالحكم عليه بالفناء الحكم على محمد بالفناء . وكلية الإنسان ، يجب أن تكون هى هى فى كلتا الحالتين ، ولو كانت بالقضية الأولى غيرها فى الثانية لا يصح الاستدلال ، مثل قولنا : كل معدن عنصر بسيط ، والنحاس الأصفر معدن ، إذن النحاس الأصفر عنصر بسيط . فهذا خطأ لأن معدن فى المقدمة الأولى ليست معدن فى المقدمة الثانية .

# محاضرات في الأزهري الشريف

ألقاها داعي الدعاة مناظراً أبا العلاء المعري منذ ألف عام

لحضرة الاستاذ محمد حسن الاعظمي

عميد كلية اللغة العربية

بكرانشي — الباكستان

إن المتتبع لتاريخ الفاطميين لشهره من بين الشخصيات الكبرى تلك البعيرة الفضة، التي تصور لنا المؤيد الشيرازي داعي دعاة الفاطميين . فتحن أمام رجل أقام أكثر حياته ، وأففق زهرة شبابه بإيران ، فإذا بذلك الرجل نفسه يكتب بالعربية : كأحسن ما جادت به قرائح أبنائها : من أدب راق ، وبيان ساحر ، وأسلوب متم .

لقد حلق الشيرازي في أفق سام من البلاغة ، ولم ينحدر عن ذلك الأفق ، ولم نزله كبوة تعثر فيها جواد قلبه ، بل رأياه في كل واقعه ، قوى المراس شديد الضال ، ووجدناه في كل مناظراته سليم الحجة يأخذ أفواه الطريق على خصومه فلا يترك لهم جفوة يتخلصون منها . ونجولنا معه في سيرته التي كتبها ، فلسنا فيه الجرأة والعزيمة والنفس القوية وأنه لينشئ مجالس الملوك والوزراء فلا تبدو منه رعشة التيب ولا استسلام الرجل . ثم تعرب عن دياره فما رآهته العربية ولا أسلمته إلى سكينه وخشوع . وألقى محاضراته بالأزهر ودار الحكمة وسجلها فوصلت إلينا بعد أن خلصت من عبث العصور المنقلبة ، فإذا بنا نسمع في لغة الشيرازي بيان أروع الكتاب في بعداد والأبدلس . وقبل أن نقدم للقارئ نموذجاً من محاضراته التي تبلغ ثمانمائة ، نحب ألا يفوتنا تقديمه شاعراً ، ولكن لا يسعنا اليوم الخوض في شعره وقصائده ، فإن له ديواناً يأتي الكلام عنه في فرصة أخرى ، ونحن نختزيمه بوضعة أبيات بعث بها إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، لما عمل

بعض الحساد على احتجاب الخليفة عنه أثناء قدومه إلى مصر، وإجابة المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بضمف عدد آياته، وإجابة المستنصر بخطه على هذه الصورة فبين لنا ما كان يتمتع به الشيرازي من المنزلة العالية والقدر الرفيع . وإليك الآيات وجوابها .

كتب المؤيد الشيرازي :

أقسم لو أنك توجعتني	بتاج كسرى ملك المشرق
وأنتني (١) كل أمور الوري	من فد مصي مهم ومن قد بقي
وقلت أن لا نلتقي ساعة	أجبت يامولاي أن نلتقي
لأن إبعادك لي ساعة	شيب فودى مع المفرق

فأجاب المستنصر بالله بخطه :

ياحجة مشهورة في الوري	وطود علم أعجز المرتقى
ما غلقت دونك أبوابنا	إلا لأمر مؤلم مقلق
ولا حجبناك ملا لافق	بودا وارجع إلى الالقي
خفنا هل قلبك من سمه	فصدنا صدأ أب مشفق
شيعتنا قد عدموا رشدم	في الغرب بإصاح وفي المشرق
فأنشر لهم ما شئت من علنا	وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت في دعوتنا آخرأ	فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى	من سائر الناس ولا من بقي

أما محاضراته فإننا ستقدم منها المحاضرة الأولى بنصها ، وكذلك بعض المحاضرات الأخرى بعد حذف مقدمة الحمد والثناء ومنها تبين كيف كان اعتداد الرجل بقيمة العقل ، كما نستدل على أن هذا المذهب لا يعترف بوجود الاستعارات والمجازات في القرآن . وقد أثبت هذه المسألة في عصور مختلفة تناولها أصحاب المطولات في علوم البلاغة والبيان ؛ وليس مقصدنا من نشر هذه المحاضرات إلا تقديم أمثلة للأدب والعلم في عصر من العصور التاريخية في مصر ، ويحسن بنا قبل

(١) في النسخة الخطية : وتلتني .

ذلك التنويه ، بأن للشيرازي مؤلفات أخرى عدا سيرته وديوانه ومحاضراته ، منها : كتاب الابتداء والانتها ، وكتاب المسألة والجواب ، وكتاب نهج العبادة ، وشرح المعاد ، والمسائل السبعون ، ونهج الهداية للمبتدئين ، وأساس التأويل بالعربية ، والصحح السبع ، والإيضاح والتبصير في فضل يوم القدير - وتأويل الأرواح ، والمجالس المستصرية . وقد لاحظنا أن هذه المحاضرات القصيرة ، إنما كانت ملخصاً لدروس طويلة فيما يظهر ؛ فلهذا كان يكتبها بعد إلقاء الدرس وتفهيمه على سبيل التسجيل والحفظ ؛ لتسكن هامة ليطمع القارئ ، كما استفاد السامع . ونرجو أن نوالى نشر أمثلة من محاضراته :

الحمد لله الذي نظم بين الانسان والبهائم أن خلقهم من طين ، ثم جعل نسلهما من ماء مهين ، ثم اقتضت العناية الإلهية أن رعى في أخلاط الصورة الإنسانية من إكسير العقل بلدة أهل صنعة الكيمياء ، ما عرج به أعلا المعارج من الفضل والعلواء ، فصار ممن قال الله سبحانه فيه - ومن أصدق منه قبيلاً - ، ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ، فاستنزل بتدبيره الطير من الهواء واستخلص الحدث من لج الماء واستعبد أجناس الحيوان طيراً وبهائم وسباعاً ، فنها ما انتفع بلحومها ، ومنها ما استمتع بجلودها وأصوافها وأوبارها استمتاعاً ، وجعل الفلك المحيط على عظم فضائه محصوراً في سرادق فكره ، بدل كون جسمه بالكون والفساد محصوراً في سرادق ملكته وأسره ، فهذا مفهومة الذي نفعه الله به في الدار الأولى ، ثم جعله سلماً يرتقي به إلى دائم البقاء في الدار الأخرى ، فلولا نور استبصاره بالعقل ، لما كانت رسالة عن مرسل تقبل ، ولا أمر عن مرسل يؤخذ ويتحمل ، ولا نفس بمعرفة توحيد الله سبحانه ترسم وتثير ، ولا لسان بمعارف الآخرة بين اللهوات يدور . وصلى الله على محمد خير رسول ؛ استنار بنور سراجته ، وسار على واضح منهاجته ، وعلى وصيه الذي عرج به من أفق المجد إلى أعلا معراجته ، وعلى آله الداعين إلى عذب المشرب وفراثة ، الساهين عن ملحه وأجاجه .

معشر المؤمنين : جعلكم الله ممن استقارت بنور العقل قلوبهم ، وتجاخت عن مضاجع الجهل جنوبهم ، إن قوماً من الأخذيين الذين بالعادات ، والجارين فيه

على آثار الوالدين والوالدات ، زعموا أن شرائع الأنبياء عليهم السلام التي هي أسباب النجاة ، والطريق إلى دائم الحياة على غير العقل موضوعها . وفي سوى موقعه وقوعها ، فلو أنهم أنعموا النظر ، وجردوا من شوب العصبية والهوى الفكر ، لعلموا أن أحدهم لو قيل له في شيء من خاصة أعماله ، وما يصدر عنه من أقواله وأفعاله ، إن فعلك هذا على غير أساس العقل موضوعه ، ولا من مطالعته طلوعه ، لا تشتط من ذلك غضبا ، ولقام له مكذبا ، وفي مثل هذه المواجهة مستدبا ، فكيف يرضون للأنبياء الذين هم سادات دينهم ، والوسائط بينهم وبين ربهم ما لو قابلهم بمنتهى مقابل لكرهه . أم كيف لا يعتبرون أن الخطاب في كتاب الله كله مع أولى الألباب بقول الله تعالى : « فاتقوا الله يا أولى الألباب ، وقوله . إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب ، وما يجري مجراه مما كثر ونكرر ، وليس يخلو من كون هذه الأوضاع الشرعية ، ليس لها برهان من العقل عند الرسول عليه السلام ، الآتي بها نفسه أو كون البرهان عنده ، فلم يشعر به ، فإن كان لا برهان لها عنده فهو غش ؛ فلو أن سائلا سأله عن العلة التي اقتضت أن يجعل الصلاة خمسا ، ولا يجعلها سنا ، فكان يقول لا أدري ، لكفاه طعنا أن يأتي بشيء لا يدري العلة فيه إذا سئل عنها ، وإن كان لها برهان عند نفسه عقلي - والبرهان عما يحمل الأقوال والأفعال - ثم لم يظهره فلم يحم إذن بحق البلاغ ، وهذا متناف عن الرسول عليه السلام ، لأنه بلغ وقال في التحدى : « اللهم أشهد أني بلغت ، وسوى هذا فعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكلف تكليف الشريعة إلا ذا عقل ، فكيف يكلف ذا عقل ما كان موضوعه على غير عقل ، لأن ما كان موضوعه على غير عقل ، فهو بغير ذي عقل أولى منه بذي عقل ، وما السبب في تولية العقل أولا وهزله آخر ؟ ولما لا تكون التولية آخر ككونها أولا ، أو العزل أولا ككونه آخر ؟ وهذا بما لا يخفى به على منصف .

والمعلوم أن الفلاسفة يدعون العلوم العقلية والأمور الحقيقية ، وأن المسلمين يكفرونهم مع ذلك ، لا تقطاعهم عن سبب الرسالة ، وقولهم أنهم غفروا عن الأنبياء في معرفة معالم نجاتهم ، وأن الحاجة إليهم لسياسة أمور الدنيا فقط ، بتحسين الدماء والأموال ، ومنع القوى عن الضعيف . واعتقاد المحققين أن العلوم كلها التي منها

العقليات التي يدعونها في علوم الأنبياء اجتمعت، ومنها تشعبت وافرعت، وتصد بهم قول الله سبحانه : ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ، وقوله جل جلاله : وما فرطنا في الكتاب من شيء . فلو أن أحد الفلاسفة قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام ، يسأله عن الملائكة ، والعرش ، والكرسي ، والجنة ، والنار ، وأوضاع شريعته : من صلاتها ، وزكاتها ، وصومها ، وحجها ، وجهادها ، من حيث يدل عليه البرهان العقلي ، أكان يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، لا قبل لي ببرهان ذلك ! حاشا لله . وقول آخر مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال : أول ما خلق الله تعالى العقل ، فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أجمل منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب ، فإن كانت الشرائع على غير العقل موضوعها فلا ثواب لها ، ولا عقاب على مقتضى الخير . بك أثيب وبك أعاقب .

معرض المؤمنين : دعوا أمل العرقه والخلاف ، فإنهم أشياخ غي بقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . . . وتمسكوا في دينكم بالادلة ، واعرفوا المواقيت بالاهلة ، وأصلحوا أموالكم ، وطهروا سربالكم ، واحمدوا الله تعالى الذي فتح لكم الى الحقائق أبصارا والناس عنها عمون ، وكشف لكم حجابا فأنتم في رياضها تتعمون ، واجروا في مضمار التائبين العابدين ، واستشعروا شعار الراكعين الساجدين ، وكونوا دعاة الى أئمتكم بحسن الأفعال صامتين ، وقوموا آناه الليل قاتنين . جعلكم الله من الذين اذا نلت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وأوزعكم شكر عارفيه ، إذ ألف بين قلوبكم ؛ فأصبحتم بنعمته إخوانا ، والحمد لله القاهر سلطانة ، الباهر برهانه ، العظيم شأنه ، الواسع احسانه ، وصلى الله على محمد المنزل عليه فرقا ، المزول للشرك بنيه ، وعلى وصيه الذي هو مستودع علمه وترجمانه علي بن أبي طالب بيده يد الحق ، والناطق بلسانه لسانه ، وعلى الأئمة من ذريته المحفوظة بهم حدود الدين وأركانه وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

# محَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز السيد موسى

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، ترام ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأمن في وجوههم من أثر السجود . » .  
تذكرت هذه الآية ، وما توحى به من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم . مع جماعة المؤمنين بأنهم أشداء أقوياء على عدوم ، لا يعرفون في مغالبتهم هودة ، ولا يتسرب إلى قلوبهم من جراء ذلك رافة ولا راحة ، لأن ذلك هو الحق ، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم ، وأنهم فيما بينهم لا يعرفون غير الرحمة يأكل معانها وأجلى مظهر لها ، وهي ضالمتهم المشودة وغايتهم المرجوة ، وأنهم لا يعرفون فتوراً في طاعة الله ، وتنفيذ أوامر ربهم الكريم وحالهم العظيم ؛ يتمثل لك ذلك في ركوعهم وسجودهم لله وحده ، وأهم لا يقصدون من وراء ذلك غير الفضل والرضوان والرحمة والغفران ، وأنت تعرفهم من غير عناء ولا تعب ، تعرفهم بما وضع الله في وجوههم من نور حياهم الله به من أثر السجود الذي كابر الله خالصاً . وفيهم يقول الله تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم . » .

\*\*\*

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم من أنفسهم رسولا ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . » .  
فهذه الآية الكريمة تصور لنا أنه مئة من الله كريمة ، وعطية منه عظيمة ، وأشعرتنا بأنه من المؤمنين ، وأن المؤمنين منه ، وأنه جاء لهدايتهم وإرشادهم

وإفقادهم عما هم فيه من الشرك والوثنية ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ،  
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ،  
ويهديهم إلى صراط مستقيم .

• • •

• لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين  
رؤوف رحيم .

وهذه الآية تحدثنا بأنه مصدر الرأفة والرحمة لجماعة المؤمنين ، وأنه شديد  
الحرص على ما يهمهم ، وما يعينهم وما يعود عليهم بالنفع العام ، وبمن عليه أن ينال  
أحداً من المؤمنين شيء من العنت وما يشق عليهم من العمل .

• • •

• يأتيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه  
وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ، ولا تقطع الكافرين  
والمنافقين ودع أدام ، ونوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً .

• وإن هذه الآية تعطيك صورة من مقدار قربته من الله العلي العظيم ، وأن الله  
يناديه بلقب يدل على سموه وعلو منزلته ، ويبين له مهمته التي أرسل لأجلها  
من الدعوة إلى الله والبشارة السارة التي يحملها لجماعة المؤمنين ، وأن ينجيه في مهمته  
اتجاهاً حقاً ، ولا يسمح لأعدائها قولاً ، ولا يحفل بما يكيدون له من الأذى ،  
وعليه أن يترك الأمر لحواله الذي أحاطه بعنايته الربانية . والله نعم الوكيل .

• • •

• قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً .

• وهذه الآية تذكرت رسالته العامة ودهوه الشاملة ، وأنه أرسل إلى الناس  
كافة صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الله اختصه بذلك عن جميع الرسل ، فإن  
الرسول كان يرسل إلى قومه خاصة ، وذلك فضل عظيم وامتنياز خاص لم ينله أحد  
سواه . وحسبه قول الله له : وكان فضل الله عليك عظيماً . وكان صلى الله عليه  
وسلم خاتم النبيين . ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم  
النبيين . فلا رسالة بعد رسالته ، ولا نبوة بعد نبوته ، ولا هداية بعد هدايته .

# ذكرى ميلاد الرسول ﷺ

لفضيلة الاسناد الشيخ المنشاوي عبود الخولي  
المدرس بمعهد القاهرة

تعني الأمم بتكريم عظمائها لأنهم أعلام هدايتها وبناء مجدها ومصدر عزها وهناءتها . وإذا نظرنا الى رسولنا الأعظم وجدناه فارس هذه الحلبة وسابقها المجلي . فقد وصل الى غاية تقصر عنها الهمة ، وتقطع دونهما العزائم . فهو في الإصلاح أرسخ قدما ، وأرفع شأنًا ؛ وفي الهداية أنبل قصداً ، وأجل أثراً . وليس هديه مقصوراً على طائفة محدودة أو أمة معدودة ، بل أهدها الى العالم بأسره ، وصار للإنسانية رباناً ماهراً ، وقائداً حازماً ، وراعياً رحباً ، وملاذاً حصيلاً . فلم يكن فضله عليه السلام خاصاً بمن كملت آدميته باتباعه ، بل شمل أيضاً من حرم شرف الانساب اليه . لذا كان الواجب أن يكون الاحتفال بمولده عالمياً ، يقف الكل فيه من واهب الجليل موقف الحمد والوفاء ، ماداموا قد عجزوا عن المكافأة والجزاء .

هو النبي الذي لولا هدايته لكان أهل من في الأرض كالهتج

فليس المسلمون في حاجة الى أن يحمّدوا أنفسهم في الاستدلال على رسالة نبيهم ، بل عليهم أن يوجهوا الأذهان فقط الى ما تركه من الهدى القيم والآثر الخالد ، حيث خطص العالم من شر مستطير وضلال بعيد ، ونشر تعالىمه في قوم متخاذلين متناحرين ، بأسهم بينهم شديد ، حجبت عنهم أنوار المعرفة ، وغابت شمس الهداية لجعل منهم في أقل من ربع قرن دولة متينة متماسكة البناء ، مرهوبة السلطان ، وصار رجالها قادة العالم وسادة الشعوب ، وتنافس ملوك الأرض في التزلف

لحكامها ، وضعها القرآن وسام الشرف والخلود حيث قال تنوياً بشأنها :  
« كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

إن هذا الانقلاب الفذ ، والتطور الاجتماعي الهائل هو آية كبرى ، ومعجزة  
باهرة ، وما كان ليحدث في عدة قرون لو اجتمع عليه فلاسفة العالم ، ولو كان  
بعضهم لبعض ظهيراً .

تكفي نظرة عابرة للساكنى القريب الذى سبق وجوده عليه السلام ؛ فقد  
كانت خريطة الدنيا مشوهة الصورة ، ممسوخة الخلق ، متباينة الوضع ، منطمسة  
المعالم ، وكان أهلها أجساماً دامية ، وأشلاء ممزقة ، وأشياحاً بالية ، وأعجازاً خاوية ؛  
قبض على ناصية الحكم بينهم دولتان فاشتان : دولة الفرس ودولة الروم ، اغتصب  
ملوكهما سلطان العالم ، وقتلوا مشيئة الأمم ، وسلبوا إرادتها ، وسخروها في أغراضهم  
الآثمة ، وشبهواتهم الدافقة ، وفرضوا عليها من الضرائب ما أثقل كاهلها ، وجعلها  
ترسف في أغلا الذل والاستعباد ، نئن فلا تجهد سميعاً ، وتستصرخ فلا تلقى معيها ،  
وحجبوا عنها نور العلم مخافة أن يبصرها بحقوقها ، فقتلوا فيها نار الثورة  
على ساداتها الذين لا يصفو عيشتهم إلا بأن ينخبط أتباعهم في ظلام داس ، وجهالة  
عمياء ، وذلك شأن المستعمرين في جميع الأزمنة .

وليت الوازع الدينى كان قائماً حتى يحد من جبروت الطغاة ويرشد أولئك  
التمعاء ، ولكن النصرانية في ذلك العهد قد هان على الناس أمرها ، وتضاءل  
سلطانها ، وتحولت في نفوس أصحابها إلى وثنية مردولة هي أشبه ما تكون بالجاهلية  
الأولى ، فانتسكت الحرمات تحت ستارها ، ودبست الاعراض بحجة الدفاع عنها ،  
وانحط البشر إلى هاوية صاروا فيها أخس من الأنعام ، فعبدوا غير خالقهم ،  
وقدسوا من الصور والرسوم ما تمجج الأذواق السليمة وتآباه الفطر الصافية .

برم الناس جميعاً بقوة الحياة ، وغلت مراحل الفيض من فواجعها التي  
تفزع القلوب ، وتذيبها حمرة وكدا ، فتأقروا إلى من يذهب عنهم رجسهم ، ويخلصهم  
من تلك الآصار التي قصمت ظهورهم ، وعطلت مواهبهم ، وجعلت عيشتهم جحياً  
مستعراً ، وشقاء مقبلاً .

استجاب الله تضرعهم، ورحم ضعفهم، وأسبغ نعمته عليهم بيلاد نبيه في تلك الآونة العصية، وتجلت قدرته في خلقه، فبعث نوره الباهر من بلد أطلشت فيه مصابيح العلم، وعاضدت ينابيع المعرفة، واصطفاه طيب العنصر نقي الجوهر، وزوده بالخلق المساجد والكمال الفائق، حتى يستطيع القيام بتلك المهمة الخطيرة التي نذبه الإله لها، وعلم أنه وحده الذي يحسن أداءها والوفاء بحقها، وإنما احتار الله نبيه من تلك البيئة التي هي أبعد اليناث عن المدنية والحضارة، ليكون ذلك معجزة كبرى، وآية عظمى على صدق رسالته.

ولما بلغ أشده اصطفاه من يعلم حيث يجعل رسالته لزامة العالم كله، ونشر النور الإلهي بين أرجائه، وبعث الحياة المساجدة في عروقه، ليسمو إلى الاتصال بخالقه، ويصلح لعبارة الكون واستثمار ما أودعه الله فيه من هبات وأسرار. صدع الرسول بأمر ربه ودعا القوم إلى الاعتصام بجلال الإيمان، ليتخلصوا من أرجاس الشرك وأدران الوثنية، ويرفعوا عن دنس الخضوع لغير الله، ويسموا بعزة الملوك وطهارة الملائكة، وأقام على ذلك من الدلائل ما يتفق والفطرة البشرية. أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت، وأحالم إلى ما ركز في نفوسهم وما تدركه حواسهم. أصنئ إليه أهل الحزم والرأى، فبههم جلال حكمته ونفاد عظته، فأسرعوا إلى الانضواء تحت لوائه، والتفأ في سبيل نصرته؛ وأما أهل الأهواء فأخذوا إلى الأرض وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستشعوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً، وسلطوا على النبي وأصحابه من صنوف الإيذاء ما تنفطر له القلوب وتخر الجبال هراً، وجدوا في إيذاء الفتن حوله وتأليب العرب عليه وتغيير الناس من دعوته ووضع العقبات في سبيلها، وعاملوه مع أقاربه معاملة المبوذئ، وحاصروهم حصار اقتصادياً كما يفعل اليوم في عصر هذه المدنية العاتية الطائشة.

أرجأ الرسول أمر هؤلاء العاقلين وانتقل بالدعوة إلى محيط أكثر اتساعاً وأجل إلتاجاً، فأبغى نمر الإسلام ونما حزبه، وانهارت جمجمة الباطل وارتفع صوت الحق، فأصبح يدوى في الآفاق بوقظ ركاد الشهور ويحيي ميت الهمم. فرح المؤمنون بصر الله وعمرت قلوبهم، فسخرُوا جوارحهم في مرضاته وصار

هوام تبعاً لما جاء به نبيهم ، فتمنوا حياة كريمة يستمتعون فيها بعزة الإيمان ، ويخضعون لسلطان الدين ، فولى الرسول وجهه شطر المجتمع ، وأسس بنيانه على تقوى من الله ورصوان ، وصدعه الأيدي الأبنجة التى لعبت بجباله ، وحطم معاول الهدم التى تقوض أركانه ، ونصب فيه ميزان العدالة ، وأعلنه قاعدة المساواة بين الأفراد ، قتل عروش الطغاة الذين كانوا يستغلون الضعفاء اعتماداً على شرف زائف وجاء موهوم . وعنى بمقومات المدنية الصالحة ؛ فبعث روح النهضة قويا جباراً قد اتسع أفقه ، وتوعدت مظاهره ، وانتظم جميع شئون الحياة ، ولم يمض غير قليل ، حتى أصبحت للسليين دولة فتية قاهرة ، تنشع لميتها الجبارة ، وترهب سطوتها القياصرة والآكسرة ، وليصرن الله من يتصره ، إن الله لقوى عزيز . هذا هو رسولنا الأكرم ، الذى كان أملاً باسمه للوجود كله ، فلاءه حكمة ورشداً وفضلاً ونبلاً ، وهؤلاء صحابته الأجداد الذين كانوا جنود الحق ، فسعد العالم بعزمهم ، وسجل لهم التاريخ أروع صفحات البطولة والإقدام . وهذا ماضينا الذى باهى به الأمم فيخشاه جلاله ، ويهرها نوره فتقف منه موقف الإعجاب والإكبار .

وما أحوجا إلى أن نذكر ذلك كله فى تلك الظروف العصية ، فنعصم بحبل الله ، ونستملك يهدى الرسول ، وتجتمع قلوبنا فنسعى جاهدين فى إرجاع سالف عزنا وغار مجدنا ، ونكون جبهة قوية أمام أعداء العروبة والإسلام الذين يحاولون بين آن وآخر أن يوهنوا من عزنا ، ويفتوا فى عضدنا ، ويفتحوا ثغرة بين صفوفنا لينفذوا منها حيث يشاءون .

والله المستول أن يجمع الشمل ، ويرأب الصدع ، ويمدنا بروح من عنده ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

### الحسن لا يترك

خرج الحسن البصرى وسعيد بن جبير بشيعان جنازة ، فسمع سعيد أصوات الدوايح ، فهم بالانصراف إنكاراً لهذا المكر . فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً ، أسرع ذلك وديك .

## مجاللات في أدب الدين :

# أدب الحديث

لفضيلة الأستاذ الشيخ كامل عجلان  
المدرس بالأزهر

من حديث أبي هريرة في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . وأخرج الطبراني  
عن أنس رضوان الله عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يبلغ العبد حقيقة  
الإيمان حتى يخزن لسانه » . وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار أن رجلا  
تكلم عند رسول الله فأكثر الكلام فقال له : كم دون لسانك من حجاب ؟ قال :  
شفتاى وأسنانى ، فقال : أما كان في ذلك ما يرد كلامك ، ١ .

ما جعل الدين على الناس من حرج في الكلام الخير والحديث المجدى ،  
مادام في موضعه وعلى سنن الادب وطريق الاعتدال ، لا يخالط بالهزور أو يفسد  
بالزور ، أو يجر الى ضرر ، أو يشيع الفساد ، أو يؤذى غائبا أو حاضرا . ولكن  
أما ما وسعوا لانفسهم في خلاية القول ، وأطلقوا ألسنتهم بحرف الكلم ،  
وراحوا يزوقون ويشيعون المغررى من الاخبار طمعا في أن يحمدا بما لا يحمدا  
عند العقلاء : فإذا لقيك أحد منهم أو نزل في مجلس ، اندفع الحديث من فمه  
وتهدر من أشداقه في استخفاف يزرى وإطالة تمل وهذر يقضى على جمال اللقاء  
ويزهق روح الاجتماع بما يحتطب من قول وما يزين من أحبار ، حتى إذا قرأ  
في وجهك استنكار الغرابة في قوله ، أو استعجلك أو بعده عن الواقع ،  
أقسم بالله جهد أيمانه ليستوى التفاتك وبرقظ انتباهك ويقول ويطنيل ، وقد  
يعجبك قوله ، فإذا تولى سعى في حديث آخر وأخرجه على لون ثان في طراوة

جذابة، ونفذه إلى المسامع والمجالس بين الأفراد والجماعات، وهو لا يرتد عن الثروة، سواء في الطريق أو المقهى أو الترام أو البيت أو العمل، مع من يعرف ومن لا يعرف، ينساق في فضوله لا يفرق بين سامع وسامع ولا بين مكان ومكان، ومن الناس من يتفاحص ومنهم من يتعالم ويرضى حاجة نفسه من الثروة والتشادق والتغريز بالسامع، وليكن من أشد الناس مفتاً في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القائل فيه : « أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون ، أى المتكلمون . ولقد حذرهم وحذرونا منهم فقال : إياي والتشادق » .

ومن ذا الذي لا يضيق بمن ينطلق في كلامه يطعمه تكلف الإصغاء ولا يصده الانصراف ، بل يغالب ولا يدع لك أن تفهمه أو تفهم عنه ، لا يقبل إلا أن يقول تسمع وإن كان حديثه هراء لا غناء فيه ، فإذا حاولت أن تصرفه أو تسأل غيره عن مجالسك اقتحم سور الأدب وأجاب غير متحرز عن الزلل ولا خائف سقطات اللسان يجادل بعلم وبغير علم ، ويمارى في الحق وبالباطل ، ويجادل الظفر بمهوى الأنظار .

وبهذا وأمثاله كثير في مجالسنا لغو القول ، وسيطر المزاح الشاق واللهو المتحرف ، وراجت الشائعات ، وقل أن يخلو مجتمع من التهازل والتساذج وتطير البهتان ، مما يعقب الضرر والخسومات ، لأن الألسنة لا تخزن ، ومعايير الكلام طائشة .

وخير الكلام ما قل وهدى إلى غرض نافع ، لحرص على الصدق ، ورام أمراً معروفاً أو نهياً عن مسكر ، وكان مساجلة بين المتكلم والواعى ، على أن يقبأ هذا عن حجر الكلام ، وقبيح الإلفاظ ، وسفساف الأخبار ، ومنحرف الآراء . والخير كل الخير في أن يعقل المرء لسانه ، إلا عن حق يوضحه ، أو باطل يدحضه ، أو حكمة يفشرها ، أو نعمة يذكرها ، وأن يحفظ القول إلا لداع يجعل الحديث في موضعه وحين فرصته ، وإلا كان الصمت ألزم ، والسكوت أجدى وأنفع ، وبذلك يكسب الإنسان صفوة المحبة ، ويأمن سوء المغبة ، ويلبس ثوب الوقار ، ويكون مؤنة الاعتذار وصدق رسول الله إذ قال : « يا معاذ : أنت سالم ما سكنت ، فإذا تكلمت فعليك أولئك » .

وإلى المستمع جميل المأثور ، لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له . . . . . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمه العباس : يعجبني جمالك . قال : وما جمال الرجل يا رسول الله ؟ قال لسانك . .

• • •

فإلى الذين يحرفون الكلم عن موضعه ، وإلى الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويمدون ولا يفنون ، ويمنون ولا يجحون ، ويسرفون على أنفسهم والمستمع اليهم في الأقوال بما يعلمون وما لا يعلمون ، ويمهرون في ترويح الشائعات ، ويقطعون الليل والنهار في القيل والقال ، ويؤذون المؤمنين والمؤمنات في أساديثهم ، ويهمزون ويلبزون ، ويمشون بالغيبة والنميمة ، ويفترون على الناس زور القول - إلى هؤلاء نسوق قول المولى : وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ، وقوله : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، وقوله : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ، وقول الله : إن الذين يحبون أن تشيع الغاشية في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة . .

وعلى الذين يستمعون إلى من يغفلون عن أدب الحديث أن يصموا آذانهم ، حتى لا يسمعوا في الإثم بالاستماع إلى كل همار مشاء بنميم .

ورحم الله من أخذ نفسه بأدب الدين ، وعقد لسانه إلا في مواطن الخير ، حتى لا يتردى في بلاء المطلق ، وصدق الله : إليه بصعد الكلم الطيب . .

## منطق رسول الله

قال الجاحظ يصف منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصفة ، وزنه عن التكلف ، لم ينطق إلا عن ميزان حكمة ، ولم يتكلم إلا بالكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق .

# الإسلام في سبيل البؤن<sup>(٥)</sup>

للمحاضرة الأستاذ عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب والصحافة

من حديث ألقاه السيد م. م. مصطفى ،  
في اجتماع كبير عقد احتفالاً بمولد الرسول عليه  
السلام في مساء اليوم الثامن من شهر فبراير  
سنة ١٩٤٧ ، ونشرته مجلة «المفكر الجديد»  
لسان حال جمعية شباب الهلال : م : ٢٠ ، ع : ٤٠  
مارس أبريل سنة ١٩٤٧ .

إن السر في تقدم الجماعات إنما يكن في صلتها بتاريخها ، فالجماعة التي تهمل  
تاريخها ليس لها غرض تسعى إليه ، وروح الإحياء والنهضة فيها ضعيفة ؛ ولهذا  
سأمرّد تاريخ الإسلام في سيراليون ، وهو تاريخ يشمل فترة من الزمان تزيد عن  
مائة وخمسين عاماً :

(٥) سيراليون مستعمرة بريطانية بين غينيا الفرنسية وجمهورية ليبيريا ، تقع على خط العرض الثامن  
شمال خط الاستواء في غرب أفريقيا ، سكانها حوالي ثلاثة ملايين نسمة معظمهم من المسلمين .

وإن تاريخ الإسلام بها قصة عاتقة لتضال مجيد ، يمدّ إلى الأذهان تاريخ الأديان كلها . وهذا  
التاريخ فوق ذلك كله صرخة مدوية لقوم لم يهوا أو يهتفوا بل ثبتوا وقاموا ، فانتصروا ، وولوا  
وجوههم قبل الأمم الإسلامية .

وإن مصر أم الثقافة ، وأزهرها حصن الدين وسياج الإيمان ومقلد الإسلام والمسلمين ، التي يربح  
على عرشها الماروق العظيم ، لأول البلاد بأن تمدّ يدها ، وأن تضيء بوز عليها ظلمات الجهل هناك .

كان العرب منذ أقدم العصور من أعظم تجار البحار ، وقد فتحوا الطريق إلى أفريقيا في أواخر القرن السابع ، حينما غزوا شمالها ، ثم اعتد نفوذهم مع تجارتهم ورسالتهم التبشيرية عبر الصحارى ، وعلى طول الساحل الغربى لأفريقيا ، وما حل القرن الثانى عشر حتى اعتنق الشعب ، الفولاني . — الكبير العدد ، والقاطن على أعلى نهر النيجر — الدين الإسلامى ، وما لبثت البعثات الإسلامية أن حولت ، الهوزا ، سكان نيجريا الشمالية إلى الإسلام فى القرن الثالث عشر ، وأنشأوا هناك مبادئ مدينة جديدة تقوم على الصناعة المعدنية ، كما أوجدوا نظاما سياسيا دقيقا . ولما كانت الغابات الاستوائية الكثيفة عتبة كأداء ، فقد ساد الإسلام على العموم فى شمال نيجريا ، وما لبث أن انتشر فيها بعد نحو الجنوب بين ، اليوريين ، على أبهى تجار العرب والهوزا المتجولين .

وجاء الإسلام إلى الأرض المعروفة الآن باسم بحية سيراليون على أبهى التجار الفولانيين والمانديجيين المتجولين القادمين من غينيا الفرنسية . وعلى الرغم من أننا لانعرف التواريخ التى تمكننا من تحديد الزمن الذى دخل الإسلام فيه سيراليون ، إلا أن المؤرخين غير المسلمين يعترفون بوجود عناصر إسلامية فى داخل البلاد قبل أن تبدأ جمعية التبشير الكينية عملها فى المستعمرة عام ١٨٠٤ ، كما نجد أن أقدم مكان للعبادة هو مسجد بنق ، ويقع على مسافة أربعة وعشرين ميلا شمالى بورت لوكو ، وهو مسجد بناه الفولانيون .

كان هؤلاء التجار الفولانيون والمانديجيون يتعاملون فى الذهب ، ويتاجرون بنشاط فى الماشية وبعض أدوات الزينة من صنع أيديهم ، يحملونها إلى المستعمرة حيث يبيعونها . أما أهم مراكز المسلمين الأوائل فى بحية سيراليون فكانت فى كابالا وماكى وكامبيا وبورت لوكو فى الشمال ، وبندمبو وكينيا ، وبوجيهوم فى الجنوب . ويقص علينا تاريخ الجاليقين القصير الذى يبدأ من عام ١٧٠٠ م . أخبارا عن ، مورانا ، و ، مومو كاي كاي ، و ، الامين جوتو ، وهم الذين يروا مدن جورينج ، وسوليا ، وكورانكو على التوالى فى بحية سيراليون . ونلاحظ أن الاسمين الاول والثانى هما اللفظان المستعملان للاسمين الإسلاميين : عمران ، محمد . أما الاسم الثالث ، الامين ، فقد ظل كما هو دون تغيير . ثم نجد أن أحد

الموقعين على المعاهدة رقم ١ بتاريخ ٢٢ أغسطس سنة ١٧٨٨ كان اسمه « دودر » ، من المستعمرة ، وهو اسم محرف عن الاسم الإسلامي « داود » . وإذا ما عرفنا أن النظامية المسيحية <sup>(١)</sup> قد دخلت المستعمرة عام ١٧٩٢ على أيدي بعض النازحين من نوافسكوتشيا <sup>(٢)</sup> ، فإنه يتضح أشد الوضوح أن الإسلام قد جاء إلى سيراليون قبل أي دين آخر غيره .

فإذا رجعنا إلى تاريخ المستعمرة ثانية ، رأينا أن من بين الأسرى الذين أخذوا من سفن العبيد - التي اعتقلت في عرض البحار منذ ١٨٩٠ وما بعدها - رجالاً ونساء مسلمين من قبيلة « يوروبا » ، كانوا يودون استيطان سيراليون . ووجد المستوطنون المسلمون الجدد أنه يصعب عليهم أن يعيشوا بين المارون والنوافسكتشين ؛ إذ إن هؤلاء كانوا يحقرونهم .

واضطر المسلمون إلى الهجرة إلى حدود بلدة فرى ناون [ المدينة الحرة ] الغربية ، والتي يفصلها عنها نهر نيقولا ، وهكذا نشأت ضاحيتا « فورا باي » ، و « فولا » وصارتا من أهم مراكز المستوطنين المسلمين ، وبني هؤلاء فيها مساجد مؤقتة ، ثم انضم إليهم معتقون جدد للإسلام - من القرى المجاورة - وانتشر الإسلام وذاع بسرعة جعلت تمثل الجمعية المسيحية الكهنسية يتقدمون في يونية سنة ١٨٣٩ إلى الحكومة شاكين سرعة انتشار الإسلام بين سكان المستعمرة الأفريقيين المحررين ، فرفع حاكم المستعمرة « دورقي » الأمر إلى وزير المستعمرات وكتب إليه يقول :

« إن المتحولين [ بريد المسلمين ] قد نبشوا أقدامهم في ضواحي فرى ناون الشمالية الشرقية وعلى الأخص في مكانين هما « فورا باي » ، و « فولا » ، وأقاموا فيهما مسجدين كبيرين مرموقين . . . »

(١) Methodism مرفة مسيحية أنشأها جون ويلي ( ١٧٢٩ في أكسفورد ) نثار بصرامة النظام بها والمراعاة الدقيقة القواعد الأخلاقية .

(٢) اسكتلندا الجديدة : مقاطعة في كندا .

ولما كسا نادى - الآن وفي هذا القرن العشرين - بالتعاون والتفاهم بيننا وبين أصدقاءنا المسيحيين ، في سبيل تقدمنا ومنفعتنا المشتركة ، فليست أرى من الملائم أن أذكر بقية كتاب الحاكم ، دورقى ، إلى وزير المستعمرات ، ويكفى أن أقول إن ما أوصى به دورقى ، الوزير من إخراج المسلمين جميعاً من المستعمرة إلى مكان سحيق ، قد ووفق عليه . وجع الحاكم دورقى ، هؤلاء المؤمنين في قلعة ثورتون ثم أنبأهم بمشروعه ، فرحبوا بما قال ، معلين أنهم يفضلون التقى على أن يرتدوا عن دينهم . ومنحهم الحاكم مهلة قدرها ثلاثة أشهر يزولون فيها بملكاتهم ويقولونها . ولكن : يريدون ليطفئوا نورا لله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، فقد نقل دورقى قبل أن تنتهى المهلة . وجاء غيره ، فنظر للسألة كلها نظرة جديدة ، وسحبت وزارة المستعمرات اقتراح دورقى ، فكان في ذلك خزي منظمى هذا المشروع وإخفاق تديرهم .

وقيل هذا الحادث حُرق مسجد فى فوراباى ، وهدم آخر فى ، فولاً ، وسجن الآباء المسلمون لدعوتهم المؤمنين إلى الصلاة ، فهاجر بعض السكان حوالى عام ١٨٤٣ إلى أبردين .

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد كله ، فقد سار الإسلام حينئذ نحو التقدم والانتشار فى المستعمرة ، واستطاع أتباعه أن يبوا مساجد ومدارس دائمة ، هى تلك التى يتمتعون بها الآن . وهكذا نرى أنه بينما كان المستوطنون اليوربيون المسلمون يبذلون جهدهم فى سبيل كسب مسلمين جدد ، كان الفولانيون والمانديجيون يهدون المحمية إلى الدين الحق .

ورأى الآباء المسلمون — حوالى عام ١٨٤٩ ، فى فوراباى وفولاً — أن يرسلوا أتباعهم إلى دنجراية فى فوتا ليحصلوا على ثقافة أعلى فى اللغة العربية والشريعة والاصول الإسلامية .

وإن هذا البجاح العجيب ، الذى حققه هؤلاء المسلمون الأوائل إنما يرجع — كلية — إلى التضحيات العظيمة التى بذلوها ، فقد سخروا بالراحة والثروة والجاء ليقوم الإسلام على أساس متين فى هذه البلاد .

لقد جاء الإسلام حقاً إلى سيراليون قبل أن تيجي المسيحية ، ولكن المسلمين لم يصلوا إلى ما تهدف إليه المثل الإسلامية علياً أو اجتماعياً أو سياسياً ، وعلينا نحن أن نقوم بنصيبنا الكامل في النضال في سبيل نشر التعليم الإسلامي الملائم لنا .

إننا في حاجة ملحة شديدة إلى تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ؛ إذ لن نكون دونهما مسلمين صادقين ، ويجب على كل مسلم أن ييذل ما يستطيع — أدياً ومادياً — في سبيل رفعة الإسلام في سيراليون حتى نجعل « تاريخ الإسلام في سيراليون » ، إرثاً كبيراً للأجيال القادمة .

## فضل الأدب

قال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب في الغربة ، ومؤنس في الوحشة ، وصلة في المجالس .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب ؛ فإنكم إن اجتمعتم إليه كان لكم مالا ، وإن استغثتم عنه كان لكم جلالاً .

وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاءها بالمال إنما يصحبك ما صحبتك المال ، وجاءها بالأدب غير زائل عنك .

# فَقَصُّ الرِّشِيدِ

لحضرة الاستاذ حسن خطاب الوكيل

بيتنا فيما مضى كيف كانت سيرة الرشيد في ندمائه، وكيف أنها انتهت بالصلح بين أخيه إبراهيم المهدي وبين إسحاق الموصلى. فإنه لما قام إسحاق وقبل رأس إبراهيم المهدي ترضيه له فيما فرط منه، التفت الرشيد إلى إسحاق وطلب منه الغناء تبعثنا بالصفا، فقال يا إسحاق غنا :

قل لمن صد عابنا ونأى عنك جانبنا  
قد بلغت الذى أردت وإن كنت لاعبنا

\*\*\*

هل إلى نظرة إليك سبيل يروى منها الصدى ويشقى العليل  
إن ما قل منك يكثر عندي وكثير عن تحب قليل

\*\*\*

وأمره بالبخل قلت لها اقصرى فذلك شيء ما إليه سبيل  
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى بخيلا له حتى المات خليل  
وإني رأيت البخل يذرى بأهله فأكرمت نفسى أن يقال بخيل  
فعالى فمال المكثرين تجملا ومالى كما قد تعلين قليل  
وكيف أعاف الفقرا وأحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

\*\*\*

فلما سمع الرشيد ما نوه له إسحاق فيما غناه ابتسم وقال : لا تخف إن شاء الله، فه درآيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها. ثم نادى يا غلام أعطه خمسين ألف درهم. فسر إسحاق بمدح الرشيد لثناؤه وحسن عطائه

فقال — ونصفك يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة . فضحك الرشيد ضحكا عاليا ثم قال اجعلوها لهذا مائة ألف درهم . فانطلق إسحاق في الغناء فغنى بينا من الشعر سبق أن غناه أبوه إبراهيم الموصلى وطرب منه الرشيد وأجازه عليه :

سلى مل قلاني من عشير صحبته وهل ذم رحلى في الرفاق رفيق

فطرب منه الرشيد واستعاده ثم قال : يا إسحاق كأتى في نفسك وقد ذكرت حديث أهلك ، وإنى أعطيتك ألف دينار على هذا الصوت قطعمت أنت في الجائزة . فأجابه إسحاق . والله ياسيدي ما أخطأت ماى نفسي . فأجابه الرشيد : قد أخذ أبوك ثمنه مرة فلا تطلع . فقال إسحاق . ياسيدي أخذ أبى منك أكثر من مائة ألف دينار ، ما رأيته ذكرت منها غير هذا لضعف حظي . فاستغرب الرشيد ما سمع من إسحاق ، فقال : ويحك أكثر من مائة ألف دينار ؟ فقال إسحاق : إى والله . فصمت الرشيد لحظة ثم قال : استغفر الله من ذلك ، فما خلف منها ؟ فقال إسحاق خلف على خمسة آلاف دينار دينا عليه قضيتها عنه . فقال الرشيد : ما أدرى أينما أشد تفريطاً وقصيصاً ، والله المستعان .

وبينا الرشيد في مجلسه هذا إذا بالبريد يحمل اليه خطابا من يمين له شأن في الدولة وقد طال بحجه ، فإذا في الخصاب — إلى أمير المؤمنين من محمد بن الليث : يا أمير المؤمنين إن يحيى بن خالد وابنه لا يمتنان عليك من الله شيئا ، وقد جعلتهما يا أمير المؤمنين فيما بينك وبين الله ، فكيف أنت إذا أوقفت بين يديه وسألك عما عملت في عباده وبلاده ، فقلت يارب إنى استكفيت يحيى أمور عبادك ؟ أترأك تحتاج بحجة يرضى بها الله ؟ .

فأرسل الرشيد في طلب يحيى بن خالد ، فلما حضر سأله الرشيد : أتعرف محمد ابن الليث ؟ فأجاب يحيى : نعم أعرفه . فقال له الرشيد : أى الرجال هو ؟ فأحس يحيى بأن تحقيقا يجرى ؛ فقال : هو منهم على الإسلام . فقال له الرشيد : شددوا عليه في السجن . ولم يلبث الرشيد أن طلب محمد بن الليث ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت يحيى يا محمد ؟ فقال له : لا والله يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : وتقول لى هذا ؟ فأجابه ابن الليث : نعم وضعت في رجل الأكيال ، وحلت بينى وبين

العبال ، بلا ذنب أنيت ، ولا حدث أحدثت ، سوى قول حاسد يكيد للإسلام وأهله ، ويجب الإحساد وأهله ، فكيف أحبك ؟ فلما رأى الرشيد صدقه وصراحته قال : حلوا عنه الأغلال ، فأطلقوا سراحه ، ثم سأله مرة أخرى : أتحنى يا محمد الآن ؟ فأجابه ابن الليث . لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن قد ذهب ما في قلبي . فرق له الرشيد ، ومنحه مائة ألف درهم ، فلما أحضرت عاد إلى سؤاله : أتحنى يا محمد ؟ فأجابه : أما الآن فعم ، قد أنعمت عليّ وأحسنت إلى . فطابت نفس الرشيد وقال . انتقم الله لك من ظلك ، وأخذ لك بحقك من بعثنى عليك . وبينما الحال على هذا ، إذ دخل أحد الحراس يطلب إدنا بدخول العباس ابن محمد ، فأذن له . فلما سلم بالخلافة إذا وراءه خادم له يحمل غالية ( إناء من فضة به عنبر ومسك ) هدية للخليفة . ثم تقدم بالكلام فقال : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ، جئتك بغالية ليس لأحد مثلها : أما عنبرها فن عنبر بحر عدن ؛ وأما بآنها فن عند المطار المدنى المعروف بمجودة عمله ؛ وأما مركبها فإسان بالبصرة عالم بتأليفها ، حادق بتركيبها : زد على ذلك المسك والزعفران . فإن رأى أمير المؤمنين أن يمن عليّ بقبولها فعل .

هناك التفت الرشيد إلى خاقان خادمه وقال : يا خاقان اكشف لنا عن هذه الغالية . فإذا هي برنية من فضة وبها ملعقة قد غرست في المسك والعنبر وما إلى ذلك من أجزاء الطيب .

ولما كان ابن أبي مرزوق مضحك الخليفة لا يفارق قصر الرشيد ، وكان حاضر الهدية ومهديا ، وقد ساء ما سمع من المدح والإطباب في وصفها ، قال للرشيد : هيا لي يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : هي لك ، ففاظ ذلك العباس بن محمد ، وحقد على ابن أبي مرزوق ، وقال له : ويلك عمدت إلى شيء ثمين منعتك نفسك ، وآثرت به سيدى فتأخذه أنت ؟ فأجابه ابن أبي مرزوق سترى أن لا يدهن بها إلا أما ، وجعل يأخذ ما تصل إليه يده ، ويدلك بها أطرافه ووجهه . فلما رأى الرشيد فعله ضحك ضحكا عاليا ، وكذا الحراس ، وكان كل من لا يملك ضبط نفسه يولى هاربا ، ثم التفت ابن أبي مرزوق إلى العباس بن محمد وقال له : أنت شيخ أحق ، نجيء إلى أمير المؤمنين وتمدح عنده غالية ؟ فما كان من العباس بن محمد إلا أن استأذن وخرج .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ميتاد محمد صلى الله عليه وسلم

كلمة حصرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشاوي  
شيخ الجامع الأزهر في مناسبة المولد النبوي الشريف

منذ أربعة عشر قرناً واثنين وعشرين عاماً تقريباً ، ولد محمد صلى الله عليه وسلم ، والعالم إذ ذاك في حيرة شاملة ، مما يمانيه من اضطراب شمل جميع نواحيه ، وفوضى غيرت ناموسه ، وغدت تسيطر على كل شيء فيه ، فالأمور تقاس بمقياس المنافع الذاتية ، والفضائل لم يبق منها إلا اسمها ؛ الضعيف يضع لنداء القوى ، ويلبى ما يأمر به ، لا عدل هناك يوقف الجائر عند حد ، ويقتصر للضعيف من القوى ، ولا إنصاف يضع حدا للظالم والطغيان .

وهكذا كان العالم يهوج في بحر لحي ، وظلمات بعضها فوق بعض ، ينشد حياة جديدة ، ولكنه لا يدري كيف تتم ، ويشعر بالظلم والجور ، ولكنه لا يدري ما الفكك مهما ، ويرجو الأمن والسلام ، ولكنه لا يدري كيف يحققهما ؛ ويتشوف إلى مقد قوى ، يضع عنه هذه الأغلال والآصار التي عليه ، ولكنه لا يعرف كيف السيل إلى ذلك ، ويتوق إلى مصلح يقبل الإنسانية ، مما تمناه من امتنان ، ولكنه لا يهتدى إليه ...

وبين هذه الآلام التي تجثم على صدر العالم ، ويضيق بها ذرعاً ، والآمال التي يرجو أن تتحقق بين عشية وضحاها ، ولد محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يدري أحد من العالم أن هذا المولود سيحقق الله على يديه البشر السعادة والمتعة ،

والعز والسؤدد، وأن الله سيمطيه رسالة تصي العالم طريقه، وتهديه إلى أقوم السبل، وأنه سيدعو إلى دين جديد، يسعد البشرية، ويسوي بين القوى والضعيف، ويخلص الناس من جبروت الطغاة، لا يدعو إلا إلى الفضائل، ويقضي على عوامل الفساد التي انتشرت.

نعم لم يكن يدري أحد من العالم، أن هذا المولود هو الذي سيكون على يديه فكك أسرم، وصلاحهم.

وظل العالم كما هو؛ يعني الإصلاح، ويتشوف إلى الخلاص، ومحمد يشب ويترعرع، فنشأ على مثال خاص، لم ينم بما نعموا به، من والد يحو عليه ويرعاه، فقد مات أبوه هبة الله وهو لها يزل في بطن أمه، ولم يلبث أن فقد أمه وهو في السادسة من عمره، وكفله بعد وفاة أمه جده عبد المطلب، ثم بعد جده عمه أبو طالب، وعمره إذ ذاك ثمانى سنوات.

وقد شاء الله، أن يحرم محمد صلى الله عليه وسلم، من حنان أبيه، حتى يحنو على المحرومين قاطبة، يحنو على المحرومين من الآباء والأمهات، ويحنو على الذين أبى عليهم بجمعهم إلا أن يظفوا محرومين.

وهكذا كان الحنو ظاهرا في كل تصرفاته، صلى الله عليه وسلم، في نشأته وفي شبابه، وقبل بعثته؛ وبعدها أصبح صفة ملازمة من صفاته، صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: «لم يجدك يتيما فأرى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث».

ومضى محمد إلى ميدان الرجولة، ونفسه لم تدن به يوما، أو تصرفه عن غير الجهد والعبادة، والتفكير في الكون، والعزوف عما وجد عليه قومه، من عبادة للأوثان، وتهديس لها، وكان ينصرف عنهم إلى غار حراء متعبداً حتى جاءه الوحي.

بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو في الأربعين من عمره، وظل ثلاث عشرة سنة بمكة بعد بعثته، يدعوها إلى الدين الجديد، ووجد فيها من صنوف

الإيذاء والاضطهاد ، ما لا يقوى على احتماله بشر ، ولكنه لم يهن ولم يضعف ، ولم ينصرف عن الدعوة ، رغم ما صغته قريش ، وما ابتكرته من ضروب الإيذاء ، وصنوف الاضطهاد ، ولم ينج الرسول صلى الله عليه وسلم من شرهم إلا بهجرته إلى المدينة .

وهناك أذن الله للدعوة أن تنتشر في الآفاق ، وأر يدخل محمد صلى الله عليه وسلم مكة بعد ثمانية أعوام من الهجرة - قاهراً الشرك والجبروت ، متساعماً مع الذين تأمروا على قتله بالأمس .

يضيق في المقام لو حاولت في هذه المجالة ، أن أناول حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما نال العالم على يديه من إصلاح في مختلف نواحي الحياة ، ما كان يقدر له أن يتمتع بها ، لولا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

وحسبي في هذا المقام أن أقول : إن الإنسانية مدينة لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من نظم وتعاليم ، وما وضعه من أسس في التشريع ، تقرر عنها عقول البشر ، وما حققه لها من معان سامية ، ساوت بين الناس ، ولم تجعل لربى فصلاً على عجمي إلا بالتقوى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

هذه المبادئ والتشريعات الإلهية ، كفّل محمد صلى الله عليه وسلم لبني الإنسان المعادة والعزة والمنعة ، وهياً لهم حياة كريمة ، ينعمون بها في الدنيا ، ويؤجرون عليها في الآخرة .

## وحدة الأمم ووحدة الأديان

شرع الله الإسلام ليكون ديناً عاماً للبشرية كافة بعد أن أصبح ذلك ممكناً بتواصل أممها، وتعارف جماعاتها، وتبادل تجاراتها وثقافتها، وقد اطردها هذا التقارب واتصلت حلقاته حتى لاحت بوادر الوحدة العالمية ليعيدى النظر منذ أجيال، وصارت وحدة الدين أمراً لا بد منه، بل أصبحت في حكم الأمر الواقع لدى أهل النظر البعيد في الشؤون الإنسانية. وكيف لا يكون الأمر كذلك والنفوس والعقول والعواطف البشرية تتفق في مطالبها ووسائلها وغاياتها، فإن تحالفت في بعضها فإنما هو تخالف عرضي سببه تخالفها في درجات ثقافتها، وتباينها في أساليب تفكيرها. ولا يجوز لنا أن ننسى أن لاختلاف الأجناس واللغات والمدنيات، تأثيراً خطيراً في المبادعة بين الشعوب، ولكن الكوارث الاجتماعية، والأزمات الاقتصادية، وضرورة هجرة الجماهير الفقيرة من بعض الأمم، للعيش في بلاد البعض الآخر، تحت ضغط العوامل الاقتصادية، كل ذلك أثر في عقلية الجماعات البشرية، وأضعف من شدة الروابط الجنسية، ومهد السبيل للقول بإبطال الحروب، وبضرورة إيجاد وشائج ودية بين جميع الشعوب.

فالوحدة العالمية في طريق التكون، وقد تواترت أممراطها بتأليف جماعات دولية للطرف فيما يشجر بين الأمم من خلافات إقليمية، أو منازعات استعمارية؛ بل تكلم كبار المتصرفين في شؤون الأمم، في توزيع المواد الأولية الضرورية للصناعات، مما يكثر في بعض المستعمرات دون البعض الآخر، على الأمم التي تحتاج إليها، قطعاً لذرائع الخلافات الدولية التي تجر إلى الحروب الوحشية. بل حدث ما هو أبلغ من ذلك في موضوع الوحدة العالمية، وهو نشوء رأي جديد لم يكن له أثر في العالم الإنساني، وهو أن يكون للأمم أجمع حكومة عالمية تسوسها بروح المساواة والعدل، فتظر في مصلحة كل منها كما تنظر الحكومة

الواحدة في مصلحة أمتها . وقد نادت بهذا المبدأ منذ مئتين جماعة في أمريكا ، وصرح رجالات من أكبر الدول بأن هذا الضرب من الحكومة الجماعية هو الدواء الوحيد لحسم الخلافات بين الأمم ، وإبطال الحروب بينها ، وإقرار السلام والإخاء فيها .

هذا الاتجاه الانساني طبعى محض ، ولا يحول دور تحقيقه إلا عوائق غير طبيعية من اختلاف الأجناس واللغات والعادات ، ولكن من يتأمل في مصائر الأحوال ، ير أن هذه العوائق يضعف تأثيرها تدريجيا بانتشار اللغات ، وبترجمة المؤلفات ، وبتبادل السياحات ، وكل هذه العوامل تقوى يوما بعد يوم .

ولا يجوز أن يغيب عن الأذهان أن الانتقال بين الاقطار بواسطة الطيارات ، يعتبر من أقوى أسباب توحيد الشعوب . فالبلاد التي كان لا يمكن الوصول إليها إلا بعد نحو عشرين يوما بل أكثر ، يقيمها الإنسان على ظهر باخرة من ذوات السرعة المفرطة ، أصبح يمكن الوصول إليها في ساعات معدودة . وقد تحسن هذه الأداة الى حد بعيد حتى تصبح المساوف الشاسعة التي تفصل بلاد العالم كأنها قسرى متجاورة ، يذهب الإنسان إليها ويعود منها في اليوم نفسه . فهل تسأل بعد هذا الى أى مآل تقول الاتصالات بين الشعوب بهذه السرعة ، وإلى أى مدى يبلغ التعارف بينها ؟

ولا تنس أنه كلما أنقصت الأمم فنون الاجتياح والتخريب ، واستكملت وسائل إبادة أعدائها بالقوى الذرية والأشعة الكونية ، وما سيكشف عنه العلم من الذرائع التي لا تبقى ولا تذر ، قلنا لا تنس أن غريزة حفظ الذات تدفع بالأمم ، تحت قيادة الفرائز العليا للإنسانية ، الى ما يضع حدا لمناخبة هذه المجازفات الجونية . وهل يقوم بهذه المهمة الخطيرة غير إخاء عام ينتشر بين آحاد النوع البشرى يحميم غوائل أنفسهم ؟

إذا صح كل هذا فلا محيد عن حدوث إخاء عام بين البشر ، تتبعه وحدة سياسية شاملة لا تسمح للخلافات أن تقرب اليهم . وتجيء وحدة التربية والتعليم فتكتسح من الأذهان كل ما علق بها من بقايا الحرافات القديمة ، والأوهام

العتيقة ، فتنهياً الفطر لقبول دين عام يكون من السمو في العقائد ، والتنزه عن المشكلات ، بحيث يتفق مع الفلسفة في أرفع معانيها ، فتتجه الأفكار للإسلام لأنه آخر الأديان نزولاً ، وقد صرح الناس بأنه الدين العام للعالم كافة . فلو أحضرت إلى ذلك أنه شامل لجميع ما يرجو الناس أن يجدوه في الدين العام من الأصول والوسائل ، لما ساورك شك في أنه بالغ تلك المنزلة لا محالة .

هنا قد يقول قائل : إنك إذا كنت قد أحسنت في بيان الأسباب المهيئة لوحدة الأمم ، فلم تبلغ هذا الشأن في التدليل على اختيارها للإسلام ديداناً لها ، فقد أغفلت أثر العلم في تجريد الناس من العقائد ، وفي اعتبارها من الصور الذهنية لشعوب لم تبلغ درجة النضج في تقديرها للوجود وقواه وعوالمها . وقد فرغ العلماء من أمر الأديان واعتبروها موضوعات خيالية ؛ تلهو بها الشعوب في أدوار طفولتها .

نقول : إن هذا القول ، أنضج للعلم في هذا العهد ، أنه بعيد عن الصواب ، وأن إجماع العالمين في جميع العهود والبيئات على التدين لم يكن مظهرًا للوساوس ، ولكن تعبيراً عن حقيقة مرتكزة هي الفطرة البشرية ، لم يتحقق العلم من وجودها إلا منذ قرن ، أي حينما تحقق بعد بذل جهود مضنية في البحث من وجود روح للإنسان ، وأن هذه الروح تنزلت من عالم علوي لتتنزل في هذه الحياة الأرضية ، ثم تعود إليه بما كسبت من ثقافة وعلم ، لتتابع رقيها في عوالم علوية بعد هذه الحياة الأرضية . وقد أمضى مئات من هؤلاء العلماء في كل أمة متمدنة عشرات من السنين في تحقيق الاتصال بالروح البشرية بوساطة التويم المغناطيسي نارة ، وبوساطة الاتصال بالأرواح التي تجردت من أجسادها نارات أخرى ، مستخدمين في تحييص هذه البحوث الأسلوب العلوي على أكل معانيه ، حتى تحفقوا من وجود عالم روحاني وراء هذا العالم تنتهي إليه كل نفس بشرية بعد أن تخلع ثوبها المادي الذي تعيش به على الأرض . وقد دونوا ما رأوه من الأدلة ، معززة بالوسائل المادية التي توسلوا بها ، في مؤلفات قيمة لاسبيل إلى تجريدها . وقد تألفت مؤتمرات عديدة في أممات المدن العالمية لتقرير ما وصلت إليه جهودهم المشتركة ، ونشرت نتائج مباحثاتهم في كتب خاصة . فهذه البحوث مجتمعة كشفت البواعث الطبيعية للتدين بما لا يدع شبهة لباحث .

وهما يجعل بنا أن نسرده للقارى ما يقوم عليه الإسلام من الأصول الأولية ، والمبادئ الأساسية ، ليرى بما لا يدع له شكاً أن الإسلام هو الدين الذى لا يحصى عن الأخذ به عند ما يصل الإنسان إلى هذا الحد من الرقى العقلى ، والتقدم العلمى ، وأنه سيصبح فى آخر الزمان دين العالم كافة ، فإليك بإيجاز :

- (١) الإسلام لا يصح لرقى الإنسان العقلى والمادى حداً .
- (٢) ويمتدح بحق الإنسان فى النظر والاستدلال ، بل يحثه عليهما ، ولا يعتد بما لا دليل عليه ، بل يعتبره هراء محضاً لا يصح أن يلتفت إليه .
- (٣) ويحثه على طلب العلم ويمتدح الاجتهاد فيه خيراً من العبادة .
- (٤) ويحرضه على التقاط الحكمة ولو كان قائلها مشركاً .
- (٥) ولا يمنح لطائفة من الأمم من الامتيازات ما يجعل طاعتها واجبة .
- (٦) ولا يفرق بين الاجناس والالوان واللغات فيجعل بعضها أفضل من سواها . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس امرئ على أعجمي فضل إلا بقوى أو عمل صالح » .

فالإسلام بهذه المبادئ الأولية أتى على جميع التقاليد التى بليت بها الأمم من وضع الحدود لنشاط العقول ، ومن الحيلولة بين المفكرين والعلماء ، وبين العمل على ترقية الجماعات ؛ أو على تغيير النظام بما هو أفضل منها ، أو على تهية أسباب الانتقالات الاجتماعية والفكرية التى لا يحيد عنها لدفع الأمم لبلوغ الغايات البعيدة من العلوم وتطبيقاتها . وهو بعدم منحه امتيازات لطوائف معينة من الشعوب جعل الباب مفتوحاً أمام أهل لبلوغ المثل العليا بدون قيد ولا شرط ، ومنع بذلك حدوث الانقسامات الاجتماعية التى تطوح بالشعوب إلى المذاهب المتضادة مما يضر بشاطها الدينى والدنيوى معاً .

## السنة التشريعية :

# الشعر

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج البخاري، وأبو داود، وابن ماجه . أن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
قال : « إن من الشعر حكمة » .

• • •

يُفهم من هذا الحديث : أن بعض الشعر حكمة ، وبعضه ليس كذلك ،  
كما تشير إلى هذا قضية من التبعية المذكورة في الكلام ، فإذا كان في الشعر  
مدح الله ورسوله ، وذكر الله وتعليمه ، ووحدايته وإشاد طاعته ،  
والاستسلام له والحث على الخير ، وفعل البر والمعروف ، والزهد  
والمواظ ، والدعوة إلى المحامد والمكارم ، ونحو ذلك ، فهو حكمة وهو حسن  
يرغب فيه ؛ وإذا كان فيه كذب وإفك ، وتليس وتضليل ، وغش وتمويه ،  
وهجر ولحن ونحوها ، فهو قبيح ومذموم يرغب عنه ، ويحذر منه ، قالت  
عائشة : الشعر منه حسن ، ومنه قبيح ، نفع الحسن ودفع القبيح . وعن ابن عمر :  
الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام .

والشعر في الأصل : اسم للعلم الدقيق ، ومنه لبت شعري ، ثم صار يستعمل في  
العرف اسما للكلام الموزون المقفى قصدا ، وما وقع منه موزوما اتفاقا  
ومصادقة لا يسمى شعرا . والشاعر : هو المختص بصناعة الشعر ، وسمى شاعرا  
لغلطته ودقة معرفته ، وقيل : أصل الشاعر : الشَّعْر — بفتحين — يقال :  
شَعَرْتُ : أصبت الشعر ، وشَعَرْتُ بكذا : علمت علما دقيقا كإصابة الشعر ،

وقد يعتبر بالشعر عن الكذب ، وبالشاعر عن الكاذب ، ومن ثم سمّوا الأدلة بكاذبة شعرا ، وقالوا في الشعر : أعذبه أكذبه ، وقال بعض المغالين : لم يُر متدين صادق اللهجة مفلحا في شعره . ولما قال بعض الكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنه شاعر ، قيل : إنما أرادوا بذلك أنه كاذب ، لأن أكثر ما يأتي به الشاعر كذب . وقال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

والأكثر على أن الرجز نوع من الشعر ، وقيل : لا يسمى شعرا ، لأنه يقال : راجز ، ولا يقال : شاعر ، ولما كان الحداء في الغالب إنما يكون بالرجز ، وفي القليل بغيره من الشعر ، ألحقوه به .

والحكمة : هي القول الصادق المطابق للحق ، وقيل : أصل الحكمة المنع ، فعني الحديث : إن من الشعر كلاما مافعا ، يمنع من السفه .

ويتلخص ما قاله العلماء ، في حكم الشعر في الإسلام ، في مذهبين : فذهب قوم إلى كراهة الشعر مطلقا ، قليله وكثيره ، حسنه وقبيحه ، واحتجوا بمثل ما نسب إلى ابن مسعود من قوله : الشعر مزامير الشياطين ، وبمثل ما نسب إلى مسروق من أنه تمثل بأول بيت شعر ، ثم سكنت ، فقيل له ، فقال : أخاف أن أجد في صحيفتي شعرا ؛ وبما روى عن أبي أمامة أن إبليس لما أهبط إلى الأرض قال : رب اجعل لي قرآنا ، قال : قرآنك الشعر ؛ وبما روى عن ابن عمر : من قال ثلاثة أبيات من الشعر من تلقاء نفسه لم يدخل الفردوس . وهذه كلها أخبار واهية ، وآثار ضعيفة لا يحتاج بها ولا يعول عليها وأما حديث أبي سعيد الخدري القائل : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرج ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا الشيطان ، أو أسكوا الشيطان ، لأن يمتلي جوف رجل قبيحا ، خير له من أن يمتلي شعرا » - فحمول على الشعر المذموم ، أو العالب على صاحبه ، المستولى عليه ، الشاغل له عن الطاعات ، والعبادات ، الصارف له عن العلوم النافعة ، والأعمال المفيدة ، أو المتخذ منه وسيلة للارتزاق ، والتكسب والشغب ، أو على أن هذا الشاعر كان كافرا ،

أو على أن هذه واقعة حال ، يتطرق إليها الاحتمال ولا عموم لها ، فلا حجة فيها ،  
أو أن الدين خوطبوا بذلك كانوا في غاية الإقبال عليه ، والانتطاع له ، فزجرهم  
عنه ، ليفلوا على القرآن ، وعلى ذكر الله وعبادته ، فن أخذ من ذلك بما أمر به  
لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك .

وأما الكافة من العلماء ، فذهبوا إلى إباحة الشعر ، ما لم يكن فيه خش ،  
أو جھو ، أو إغراق في المدح ، أو كذب محض ، أو تعزل بمدين ، أو ما إلى ذلك ،  
فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر ، وأشد بين يديه ، وقال : إن من الشعر  
لحكمة ، وكانت عائشة تنشد :

ذهب الذين يُعاش في أكناهم      وبقيت في حلف كجملد الأجر

وفي الصحيحين ، أنهم لما قدموا المدينة ، توعك أبو بكر وبلال ، وكان  
بها وباء ، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبَّح في أهله      والموت أدنى من شرك نعله

وكان بلال إذا أفلعت هه الحمى ، يرفع عقيرته ، ويقول :

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلة      بوادٍ وحولٍ إذْ خِرَ وجليل

وهل أردن يوماً مـاءَ نجحة      وهل يدون لي شامة وطفيل

ولما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن منه إلا أن قال : اللهم  
حبس إلينا المدينة ، كحبسنا مكة أو أشد .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يضع لِحْسان منبراً في المسجد يقوم عليه ،  
يتناطح عن رسول الله ، أو يفاخر ، وكان الرسول يقول : « إن الله يؤيد حسن  
روح القدس ، ما فاح أو فاخر عن رسول الله ، ولما أنشد النابغة شعره ،  
قال له صلى الله عليه وسلم : « لا يفضض الله فاك » . وكان أصحابه ينشدون عنده  
الاشعار وهو يتسم ، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت ، كل ذلك يقول :  
هيه ، هيه ، ثم قال : إن كاد في شعره لَيُسلم .

وقد أنشد الشعر الخلفاء ، وفضلاء السلف ، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه ، وإنما أنكروا المذموم منه ، وهو الفحش ونحوه . وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك إذا كان كذلك .

ولما نزل قوله تعالى : « والصغراء يتبعهم الغاوون » جاء عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وهم ييكون ، فقالوا : يا رسول الله ، أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أننا شعراء ، فقال : اقرءوا ما بعدها : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، واتقوا من بعد ما ظنوا » .

وحل المفسرون الشعراء في هذه الآية على الذين يهجون الناس بغير حق ، ويمدحونهم بما ليس فيهم ، ويبالغون في ذلك ، حتى يخرجوا عن جادة الحق والإنصاف ، ويغالوا أحكام الشريعة ، ويأتوا في أشعارهم بالكاذب ، والباطل ، وبما ينافي الأخلاق والآداب والفضائل ، وعلى شعراء المشركين الذين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، ويروون شعرهم ، لأن الغاوى لا يتبع إلا غاويًا مثله ، أما الشعر الممدوح المتفق مع أحكام الدين وقواعد الأخلاق فلا مذمة فيه .

• • •

لا خلاف في أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لم ينشئ الشعر ولم يقرضه ، وأنه ما كان يليق به ذلك ، وقد بنى الله هدايته في كتابه حيث قال : « وما علناه الشعر ، وما ينبغي له » ، وإنما الخلاف في جواز تمثله صلى الله عليه وسلم بشيء من الشعر ، وإشادته إياه ، حاكياً له عن غيره ، فالبعض على أن ذلك لا يجوز ، حتى إنه لما تمثل صلى الله عليه وسلم بقول عبد الله بن رواحة :

هل أنت إلا إصبع دميث وفي سبيل الله ما لقيت

قال هذا البعض : إن التاء في « دميث ولقيت » مكسورة في الرجز ، ساكنة في الحديث ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم تعمد إسكانها ليخرج عن الشعر ، وإن كان الإسكان لا يخرج الكلام عن الشعر ، وإنما يحوله إلى ضرب آخر منه ، من ضروب الكامل .

والصحيح أنه يجوز له صلى الله عليه وسلم أن يتمثل بالشعر ، وأن ينشده  
حاكياً له عن غيره . أخرج البخارى فى الادب المفرد ، أنه قيل لعائشة : أكان  
النبي صلى الله عليه وسلم ، يتمثل بشئ من الشعر ؟ فقالت : كان يتمثل  
من شعر ابن رواحة :

وبأتيك بالأخبار من لم نزود

وأخرج ابن أبي شيبة : أنه صلى الله عليه وسلم كان يبنى المسجد ، وعبد الله  
ابن رواحة يقول : أفلح من يعالج المساجدا ، فيقولها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، فيقول ابن رواحة : يتلو القرآن قائماً وقاعداً ، فيقولها  
الرسول أيضاً : وكان ينقل اللّبن مع القوم فى بناء المسجد ويقول :

هذا الخمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر  
وقال مرة أخرى :

لا تم إن العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة  
وأخرج الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن أصدق كلمة قالها  
شاعر ، كلمة لبيد :

ألا كل شئ ما خلا الله باطل

\*\*\*

استدل بقول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فى غزوة خيبر :  
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب  
على جواز وقوع الكلام منه منظوماً ، من غير قصد إلى ذلك ، ولا يُسمى  
مثل ذلك شعراً ، ولا القائل به شاعراً ، وقد وقع كثير مثله فى القرآن الكريم ،  
لكن أغلب ما جاء من أشطار أبيات ، والقليل منه وقع وزن بيت تام ،  
فن الأشطار مما هو من البحر الطويل قوله :

وإن شئتمو تحبوا أميتوا نفوسكم ولا تقتلوا النفس التى حرم الله

ومن السريع :

يا أهل دين الله بشراكو      أقر مولاكم به عينكم  
لذ أزن الله على المصطفى      اليوم أكملت لكم دينكم

ومن المضارع :

ومضارع أهل خير      قل من رب يقينا  
جنانا مزخرفات      وهم فيها خالدون

ومن المجت :  
اجت قلبى بذنبى      والله خيرا يريد  
وكيف أخشى ذنوبى      وهو الغفور الودود

ومن التام بما هو من بحر الرمل قوله :

ملكات مؤنات قانات      ثنائات عابدات سائحات

ومن مجزؤ الرمل :

لن تسالوا البر حتى      تنفقوا بما تحبون

ومن الوافر :

ويخزم وينصرم عليهم      ويشف صدور قوم مؤمنين

ومن الكامل :

بأنبيكم الثابت فيه سكينته      من ربكم وبقية مما ترك

ومن الخفيف :

أريت أندى يكذب بالديمـن فذلك الذى يدع النبيا

وقد عنى بهذا النوع كثير من المؤلفين ، وأوردوا منه فى مؤلفاتهم طائفة كبيرة مما فى القرآن ، واستخرجوا منه ما جاء فيه على أوزان البحور اتفاقا ، فليرجع إليها من أراد .

# لَا يَأْسُؤُا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

المعتش بالأزم

أشد ما تصاب به الأمم والجماعات من نكبات ، هو يأمها من نفسها ، وشعورها بأن أمورها قد وصلت من السوء إلى حد لا يستطيع معه إصلاحها ، وأن كبوتها قد وصلت بها إلى الحضيض ، فلا نهوض لها من بعدها ، وأن كل يوم يمضي عليها هو شر من سابقه ، وخير من لاحق .

شعور الأمة أو الجماعة بهذا ، وامتلاء قلوبها به ، من شأنه أن يفت في عضدها ، وأن يصور لها المستقبل في صورة قائمة مظلمة ، وأن يساعد على تقويض بنيانها ، ويسجل بآخرتها ، وزوالها من الوجود .

والأمر في الأفراد وإن كان كذلك ، لكنه أقل خطراً ، وأضعف أثراً ، وأيسر علاجاً ؛ فإن الفرد إذا يقس لم تمت بموته الأمة ، ولم تضطرب باضطرابه مشورتها العامة ؛ وهانئ أولاء زى أفراداً يياسون ؛ فيستسلمون للموت الأدبي ، أو يقدمون على الانتحار ، فيذهبون إلى حيث اختاروا لأنفسهم ، ولا تكاد الأمة أو الحياة الاجتماعية تشعر بهم .

وقد يجد الأفراد من أمتهم ، أو أسرهم ، أو أصحابهم ، أو ذوي المروءة في مجتمعهم ، من يأخذ بأيديهم ، وينزعهم من بين أحضان اليأس ، ويوضح أمامهم مجال الأمل والعمل ؛ أما الأمم والجماعات ، فإنها إذا فقدت الثقة بنفسها ، ويئست من استقامة أحوالها وقدرتها على معالجة أمراضها ، لم تلبث أن تدخل في سكرات الموت ، وتعالج منها الكروب والاهوال حتى تموت ، ولن تجد من يحول بينها وبين هذا المصير ؛ ذلك بأن عجلة الإنقاذ ، لا بد أن تأتيها من غيرها ، ولم تعبد في تاريخ البشرية — إذا استثنينا عهود الفتح الإسلامي العادل — أمة تدفعها

إنسانيتها إلى التقدم لغيرها من الأمم بنية صادقة ، وباعت شريف مخلص ، هو مجرد الرغبة في إنقاذها من الخطر الذي يهددها ، وإن زعم ذلك أهل السياسة من دهاقين أوروبا وأمريكا وأشباههم من الطامعين .

لم يرتفع مستوى الإنسانية إلى هذا الحد ، ولم يصل الضمير البشرى بعد إلى هذه المرتبة ، وما من أمة اليوم تمد عينها إلى غيرها من الأمم ، إلا وهي تبطن منفعتها هي ، ومصالح أبنائها أو المتسلطين فيها ، وقل مثل ذلك في الجماعات أو الهيئات ، فإن إحداها لا يمكن أن تمد يدها لإنقاذ سواها مما يماق ، إلا إذا كان ذلك لمصلحة تعود عليها هي ، بأن تقوى من مبادئها ، أو تضعف من قوة خصومها ومنافسيها ، والأحزاب السياسية تمثل لذلك واضح ، فإننا لا نرى حزباً يتقدم لمؤازرة حزب آخر ، بنية تقويته وتأييده وتخليصه مما يعانيه ، إلا حيث يحسب أن ذلك قهر لخصومه ، أو تقوية له ، فيجعل ذلك قنطرة لأغراضه ، ووسيلة يال بها ما يهدف إليه .

لا شك إذن في أن القاس الإقناد من العير ، إن صح أن يؤدي إلى خير في شأن الأفراد ، فإنه لن يؤدي إلى خير في شأن الأمم والجماعات .

ولهذا كان الخطر شديداً حين تشعر الأمة والجماعة باليأس من إصلاحها ، واستقامة شئونها ، وتفقد الثقة بنفسها .

• • •

في أمم الشرق الآن غربان ما تزال تعب في كل صباح ومساء ، ونعيمها مقلق النفوس ، عمت للأمل في القلوب ، يصور الناس حياتهم في صورة كريمة ، ويخيّل إليهم أن شئون العرب والمسلمين قد فدت فساداً لم يعد معه أمل في الإصلاح ، وأن المسلمين الأولين قد ذهبوا بالمثل الطيبة في الإيمان والخلق والتضحية والإيثار ، فلم يتركوا وراهم حظاً منها لغيرهم ، وأن العزة التي كانت للآباء قد زالت حيث لا رجعة ، وأن الموت الزؤام هو نصيب اللاحقين ، كما كانت الحياة السعيدة القوية هي نصيب السابقين .

لست أريد أن أحداً من الناس يتأدى بذلك حرفياً ، ويقول له لفظاً أو معنى ، وإنما أصف شأنهم في تضخم الأمور ، وتفطيع المساوي ، والبكاء الملح على المجد

الضائع ، والعزة المفقودة ، والكرامة الذاهبة ، والاخلاق التي دأست ، والتقاليد التي أهملت ، والريازيا التي تابعت ، فهذه النظرة التقاضوية بمثابة القول الصريح بأنه لا سبيل لأهل هذا الجيل أن يدركوا شأواً الأجيال قبلهم ، أو يدانوها ؛ وفيها إيحاء قوي بأننا ضعفاء وعاجزون ، وأنتا مهما حاولنا أن نعمل أعمالهم ، أو نتهض كما نهضوا ، فلن نصل إلى ذلك ولن نقارب .

إن هذا لن يكون داعياً إلى ملافاة النقص ، ومضاعفة الجهد ، وإنما هو دعوة إلى اليأس والإدعاء والتسليم . فيه تنييط للعزائم ، وإرجاف على النفوس الوثابة الطلعة ، ولو أن أمراً ظل يردد على مسامع ولده أنه قاصر متخلف ، وأن عقله راكد ، وجهده ضئيل ، وأن فلاناً من إخوته أو أبناء عمومته أو خؤولته خير منه عقلاً ، وأدكى قلباً ، وأحرص على أداء واجبه ، وأقرب إلى درك النجاح ، في مستقبله القريب والبعيد ؛ لو أن أحداً ظل يقول ذلك لابنه وهو يريه ويحاول أن يعث في نفسه الرغبة والعمل والنشاط ، لما كان إلا مسيئاً إليه ، ميتاً مواهيه قاتلاً فيه الهمة والعزيمة والثقة بالنفس ، نائماً اليأس في أقطار قلبه ، وهو يحسب أنه من الذين يحسنون صنعا



إن المسلمين بحير وإن تعدت عليهم الوادي ، ونزلت بساحتهم الأحداث ، وما كان ضعفهم وتخلفهم إلا تحيهاً وتهذيباً سيخرجون منه إن شاء الله أقوياء ذوي عزة ومنعة ، وإن فيهم الآن لدلائل هبة في العلم والقوة والسياسة والتضحية تبشر بمستقبل سعيد ، ورحياة طيبة ، فليترفق الكتاب والخطباء والدعاة بأنفسهم وأهلهم ، وليعترفوا بواحي القوة والحيوية والنهوض في أمهم ، وليصوّروا لهم المستقبل في صورة جميلة ، تشرح الصدور ، ونحيي ميت الآمال ، وتثير العزائم والهمم إلى التدرج في مدارج الكمال ، والانبعاث في طريق التقدم .

ولا يحسن أحد أني أدعو إلى غض العيون ، وسد الآذان عن وواحي النقص ، فإن ذلك أيضاً من أسباب الصياع والانحلال ، ولكن علينا أن نصف الداء ، ونصف العلاج ، فإننا إذا تعامينا عن الداء سرى فينا وأهلكنا ، وإذا استسلمنا له ، وهولنا فيه ، وشغلنا أنفسنا باستفظاعه ، وتأمل وجوه الخطر فيه ،

ضعفنا عن مقاومته ، وأعانه علينا هزاله يصيب الهمم ، وضعفنا تدرى إلى العزائم ، وتعمل في الأعمال ، وإجذاب في الفكر يسرى من الكبير إلى الصغير ، ومن الصغير إلى الكبير ، ويمر في كل طبقة ، ويجول في كل دائرة ، وكفى في بيان شناعة ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول : « إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

وإذا كنت أرجو من الكتاب وأهل القيادة والتوجيه في الأمة ، أن يفتنوا إلى ذلك ، ويعملوا على إحياء الآمال في نفوس الناس ، فإنني أوجه ذلك أيضاً إلى أساذق وإخواني وأبنائي من الأزهريين ، فقد سرى إليهم أن ضعفاً شديداً قد استولى على العلم والدين والخلق ، وأن الأزهر لم يعد يجد مكاناً له بين أهل الرأي والقيادة ؛ فأصبح محصوراً بين كليانه ومعاهدته ، يدرس ما يدرس ، ويحمل ما يحمل ، ويمر في كل ذلك على سنن من الباطل والتكاسل ، لا يدفعه عنه دافع ، ولا يعبأ به عاقبة ، سرى إليهم ذلك ، وظنوا أن مصلحة العلم والدرس مضیعة بين النزاح والإهمال ، فيئسوا أو كادوا ، وصار كبارهم يتحدثون بما كان من علم المصالحين ودأبهم وقوة إيمانهم ، ويشكون من الشكوى من انصراف القلوب ، وإحلال العزائم ، وضعف الاخلاق ، وصار المحدثون منهم يفعلون ما يشاءون ، ويأتون من الأمر ما يأتون ، ويدعون منه ما يدعون ، لا يدفعهم إلى ذلك دافع من العلم والأكمل بالدرس والمعرفة ، ولكن دافع من الرعدة في مستقبل مادي يصاهرون به غيرهم من أهل المعاهد والجامعات الأخرى ، كأن المستقبل يضمن بالقوانين والقرارات ، لا بالتمكن من العلم ، وإقناع الأمة بكفاية التحريجين .

نعم صرنا إلى ذلك كله ، والأمر فيه خطير إذا لم يُتدارك ، ولكن لا ينبغي أن نياس ، ولا ينبغي أن ننسى أن ظروف الحياة الدراسية والعسكرية في البلاد قد تطورت ، وخير لنا أن نعالج أسباب الضعف بالحزم والقوة والصبر وتوسيد كل أمر إلى من يصلح له ، ويستقيم به ، فإن أكبر الإصلاح أن يباشر الأمور أهل الإصلاح ، أما أن ندب ونستغيث ونتصور الأمور تصوراً المشدوهين المقلبين ، وتربص أن يصلح الله الأحوال ، بأمر من السماء ينزل به جبريل أو سواه من ملائكة الرحمن ، فسيطول تربصنا ، وتكثر متاعبنا ، ولن يجدنا الصباح ولا الدويل .

## بين الشريعة والقانون

# نظرات في توثيق المعاملة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي  
المفتش بالأزهر

القدر الذى يتعلق به التوثيق الواجب :

يقول ابن قدامة : « ويختص ذلك — أى التوثيق — بما له خطر ، فأما الأشياء القليلة الخطار ، كحوائج البتال والعطار وشبهها ، فلا يستحب فيها ، لأن العقود فيها تكثر ، فيشق الإشهاد عليها ، وتصح إقامة اليانة عليها والرافع إلى الحاكم ، بخلاف الكثير . »

فإن قدامة ، ومن ذهب هو مذهبهم ، فى نذب الاستيثاق ، يخصون الدب بما كان كثيرا ، وأما القليل : فيقبح عندهم التوثيق فيه ، لما ذكروه من كثرة التعاقد فيه ، ومشقة التوثيق فى هذه الكثرة ، وهذه تفرقة بين الكثير والقليل من عندناهم ، تخالف الظاهر من عموم الأمر ، وتخالف قول سعيد بن جبير : أشهدوا على حقوقكم ، إذا كان فيها أجل ؛ ومن قوله : أشهد على حقل ، على كل حال . فلم يترضى لتفصيل ، بين قليل وكثير ، فكان دليلا على التعميم كذلك .

وأوضح من هذا فى الدلالة على التعميم ، قول ابن جرير : سئل عطاء : أشهد الرجل على أن بايع بنصف درهم ؟ قال : نعم ؛ هو تأويل قوله تعالى : « وأشهدوا إذا تباعتم » ، وكذلك روى المنيرة عن إبراهيم قال : يشهد ولو على سُفْتِجَة بقل — حزمة — وإن لم يبين فى هذا النقل من إبراهيم ؟ وذلك كله يتمشى ظاهرا مع ما روى عن ابن عمر أنه كان يشهد على البيع المنجز ، إذ لم ينقلوا عنه تفرقة بين القليل والكثير .

فنحن الآن بين ثلاثة آراء في تقدير الدين ، أو الثمن الذي يؤخذ فيه بالتوثيق .

(١) رأى يتجه الى وجوبه في القليل والكثير ، كما نقل عن عطاء .

(٢) ورأى يذهب الى الندب في القليل والكثير ، وهم : أحمد والجمهور ، وقد حكاه الجصاص وسواه .

(٣) والرأى الثالث : ما نقلته عن ابن قدامة ومن يوافقه من ندب التوثيق في الكثير ، وقبحه في القليل لحاجة العطار والبقال .

والناظر في هذه الآراء يلحظ من بينها أن للعرف دخلا في التقدير ، وترجيح رأى على رأى ، فالقول بالوجوب لا يطرد في كل جليل وصغير ، وإلا كان إحتاتا ، وضغطا على الناس ، في إنجاز المصالح التي يرباعها الإسلام ، ويقصد إلى تيسيرها . والقول بالندب عامة لم يستقم ، وقد توسعت في تفنيده سابقا .

والقول بقبح الاستيثاق في القليل على ما يرى ابن قدامة وموافقه لا يطرد في كل قليل ، إذ القليل يختلف باختلاف العرف ، وحالة المتعاملين ، فالرغيف والليمونة والبطيخة ، وأفة من الفاكهة ، من القليل الذي لا يبلغ مبلغ الاهتمام به عند أوساط الناس ، مما يتناولونه في حوائجهم ، كصندوق من الصابون ، وعدل من الأرز ، ووسق من التمر ، وثوب من القماش ، أو ما قارب هذا كيلا أو وزنا . فلكلام ابن قدامة مبنى على مراعاة العرف ، والموازنة بين قليل تافه ، وقليل بالإضافة الى الخطير . وإذا رجعنا الى الآية الكريمة ، وما قل من الآثار ، مع الاستئناس بأعراف الناس ، أمكن أن نستظهر وجوبا ، وندبا ، وإباحة ؛ فالوجوب يستفاد من صيغ الأمر في أول الآية ، وهو يتعلق بما كان خطيرا عرفا ، والندب يتعلق بما لم يكن تافها ولا خطيرا ، والإباحة تتعلق بالتجارة الحاضرة التي نص القرآن على استئثارها من الأمر بالتوثيق . ويان هذا التفصيل من وجهين :

١ — الوجه الأول : وهو يتفق في مغزاه مع كلام الشيخ محمد عبده ، أن آية الدين جاءت بعد آيات الربا ، ولما كان في آيات الربا نهى عن قليلة وكثيرة ، وفيها تحذير شديد ، وإنكار ووعيد ، وفيها تنبيه إلى الموعظة ، وأمر بإنظار

المعسر حتى يتمكن ، وحث على التصديق بالعفو عن المعسر الذي لا يجد ، وفيها حث على التقوى وتذكير باليوم الآخر .

أقول : لما كانت آيات الربا بهذه المثابة ، وكانت حافلة بالتوجيهات الآتفة ، كانت من شأنها أن تصرف الناس عن التشبث بالدين ، وترغبهم عن التعلق بالأموال ، وتوهمهم أن الشريعة تجح بهم إلى التساهل كثيرا في الحقوق ، وخاصة إذا راعينا أن الصعابة كانوا يستمعون القول ، فيسبق بعضهم بعضا إلى المبالغة في الطاعة أكثر مما يطلب إليهم ، ونحن لا ننسى أن ابن عمر وآخرين ، سمعوا وعظا من النبي صلى الله عليه وسلم في فضل الصدقة والصوم والصلاة ، فاعزم كل منهم أن يلزم عبادة تخيرها ، ويتجنب زوجه ، والاشتغال بالدنيا ، لولا أن صرفهم النبي عليه السلام عن الإفراط ، وعلمهم أن هناك حقوقا أخرى للبدن ، وللزوجة والأولاد ولمودة الناس ، وعلمهم أنها حقوق تراعيها الشريعة أكثر مما زعموا . ولا نفس كذلك أن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه رغب أن يتصدق بماله كله ، فنهى النبي صلوات الله عليه عن الكل إلى الثلث ، وقال له في المشهور : « إنك أن ترك ورتك أغنياء ، خير من أن تركهم عالة يتكففون الناس » .

أقول : لما كان فيما سبق من آيات الربا ، ما يوهم غير المقصود ، اقتضت الحكمة أن تكون آية الدين ، حجة للناس في المال ، مشيرة إلى فضله ، حادثة على صيافته ، وعدم التفريط فيه ، إدا في التهاون مضية للأولاد ، وتمرص الأنفلاس ومذلة الحاجة .

وقد كشف عن هذه المعاني ، حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « نعمما المال الصالح للعبد الصالح » . رواه أحمد والطبراني وكذلك قوله عليه السلام : « إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة الأموال » .

لذلك كانت صيغ الأمر في صدر الآية ، لإيجاب الاستيثاق في الديون ، وصرفهم عما توهموا ، غير أنه لا يعقل أن تكون الديون التي جرى فيها الربا بينهم ، ولم يكونوا ينظرون المدين فيها ، والتي زلت بسببها آية التوثيق ، لا يعقل أن تكون درهما أو دريهمات ، وإنما المقول والمعهود أن تكون مما يتعلق به

الحرص ، ويعتد شأنه ، ويمكن استغلاله بالربا أو بسواه ، وأن تكون ديوننا يعجز عنها المدين أو يكاد ، ويكون الانظار بها رفقا .  
وهذا الاعتبار يرجع عندى الى شبه اليقين ، أن التوثيق المأمور به فى الآية الى قوله : ولا تسأموا ، واجب فى الديون التى كانوا يهتمون بها ولا يزالون ، دون التافه اليسير .

قد يقال : إن الحمل على هذا يتضح لو كانت آيات الربا والدين نزلت دفعة واحدة ، كما هى مرتبة فى التلاوة ، حتى يكون بينهما ارتباط فى السياق ، ويكون الوم الناشئ من الاولى مدفوعا بالثانية ، وتكون الثانية من الاولى بمنزلة البيان الذى اتحد مع المبين ، فى وقت نزوله ، والحاجة اليه .

والجواب : أن فى هذا أقوالا ، وقد رجح السيوطى القول باتحاد هذه الآيات فى وقت النزول ، وذلك فى كتاب الإتقان ، حينما عرض للروايات المختلفة فى آخر ما نزل من القرآن : هل آخر ما نزل هو آية الربا ، أو آية الدين ، أو ما توسط بينهما ، من قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ؟ فقال . ولا منافاة عندى بين هذه الروايات ، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها فى المصحف ، ولأنها قصة واحدة فأخبر كل من الرواة المختلفين عن بعض ما نزل ، بأنه آخر ما نزل ، وذلك صحيح . انتهى كلام السيوطى .

والى كلام السيوطى أطمت ، وعليه أعتمد فى الإجابة عن السؤال الذى افترضه ، وبهذا يظهر وجه التماسق بين الآيتين ، ويتضح ما قلت : من أن الصيغ الاولى ، لإيجاب التوثيق فى الديون الخطيرة ، دفعا لما ينشأ من آيات الربا . ورب معترض على هذا الوجه يقول : إذا سلمنا لك أن آيات الربا ، وما فيها من زجر ووعيد منشأ للوم الذى اقتضى الأمر بالتوثيق لدفعه ؛ فالمقبول أن ترك صيغ التوثيق على وتيرة واحدة فى الإيجاب أو النذب ، كما صنع الاولون : من غير تقسيم منك لها إلى ما يدل على وجوب ، وما يدل على نذب ، ولكنك تجاوزت هذا ؛ فحملت صدر الآية على إيجاب التوثيق فيما كان ذا شأن من الديون ، وهذا تخصيص للفظ العام بخصوص السبب وهو خلاف القاعدة المسلم بها ، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . أو تخصيص بلا خصص .

والجواب : أولا — أن الوم الناشئ سبب في ربط الآيتين ببعضهما ، وليس وحده سبب النزول . ولم أقل بذلك ، فلا يقال إنني خصصت العام بسبب خاص .

وأما سبب النزول : فأمر عدة : منها دفع ذلك الوم ، وإقرار المسلمين على ما كان معمولاً به من السلم على ما أشار إليه المفسرون ، وبيان ما يلزم في الشاهد وفي الكاتب وفي المحل : من الأمانة ، والتحرى وما إليهما مما تضمنته الآية . ولا مانع من مراعاة أمور عدة ، يكون مجموعها سبب النزول .

والجواب : ثانياً — أتى لم أعتبر صيغ التوثيق في صدر الآية عامة في كل دين ، كما اعتبرها السابقون ، حتى يعترض على بما سلف ؛ بل أفهم أن المقصود منها لأول وهلة هو إيجاب الاستيثاق فيما كان ذا بال من الديون والحقوق ، أيا كان نوعه : من قرض ، أو عرض سلع ، أو ثمن مبيع ، أو أجرة عمل ؛ فالجواب الأول : على التسليم بعموم صيغ التوثيق ، والثاني : على المنع .

أما نقد الخطير من غيره ، وتمييز هذا من ذاك ، فوكول إلى العرف بين الناس ، حسبما تقتضى عوائدهم وأحوالهم ، ونحن نرى ونعلم أن خسة ، وهشرة جنبيات ، قد تعتبر دينا نافها عند الناس ، وخطيرا عند آخرين ، بمن يقع الشجار بينهم ، لاختلافهم على تحديد قرشا . وقد قدرته الشريعة في مواضع ، كنصاب الزكاة ، وقدر ما يجب فيه ، وكالدية ، والكفارات ، وكالصاب الموجب للقطع في السرقات .

أما التعامل الذي لا يقف نظامه وتطوره عند حد ، فإلى العرف نحتكم في شأنه ، ونرجع في تقديره . كما نحتكم إليه في تقدير المهر ، والنفقات ، وقیم المتلفات ، وبالعرف نهتدى في تقدير ما يجب ، وما لا يجب الاستيثاق فيه ؛ وقد أقرت الشريعة العمل بالعرف الصحيح ، كأصل من أصولها ، تيسيرا على الناس ، وإفساحا لهم في مجال الحياة ، فرجوعنا إليه يعتبر عملا بأصل مشروع .

ذلك كله أحد الوجبين في تفصيل ما استظهرته ، من تقسيم التوثيق : إلى واجب ، ومندوب ، ومباح . وموهنا المدد القادم ، إن شاء الله .

# القتل غير في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المتعال الصميدى  
الأستاذ في كلية اللغة العربية

يحملنى على الكتابة في هذا الموضوع ، أن بعض من كتب في السيرة النبوية من علماء أوروبا ، يستنكر ما حصل من النبي صلى الله عليه وسلم من الأمر باغتيال كعب بن الأشرف اليهودى وغيره ، لأنهم يدعون أن في هذا القتل شيئاً من العذر ، فلا يصح أن تفره شريعة من الشرائع ، ولأن هذا أيضاً ليس من شأن الحكومات مع الأفراد ، بل الذى من شأنها أن تأخذهم علناً بحكم القانون ، فمن يستحق القتل أخذ به علناً ، أما الاغتيال فهو من شأن بعض الأفراد مع بعض ، ويجب أن يؤخذوا عليه بالعقاب ، لما فيه من الاعتداء على سلطة الحكم .

وإذا أردنا أن نعرف الحكم الحقيقى لهذا القتل في الإسلام ، وجب أن ننظر نظرة إجمالية في السيرة النبوية إلى وقوعه فيها ، لنعرف الأسباب الصحيحة التى أدت إليه ، ونعطيه الحكم الصحيح الذى يليق بهذا الدين العادل ، ويليق بما جاء به ، من إيثار النظام على الفوضى ، وكان من حسن بلائه في ذلك أن أقر حكم القانون في بلاد العرب ، خضعت له بعد أن كانت في جاهليتها لا تخضع لشيء ، وكان كل فرد فيها يأخذ حقه بنفسه من غيره ، فتضيع في ذلك حقوق الضعفاء ، ويكون الحق للقوة وحدها .

لقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة ، كان فيها في قلة وضعف ، وقد أودى فيها أتباعه أشد أذى ، وعذبوا فيها أقصى عذاب ، وقد قتل في هذا العذاب بعضهم ، ومن قتل منهم سمية أم عمار بن ياسر ، رضى الله عنهم ، عذبها آل المغيرة على إسلامها لترجع عنه ، فكانت تأبى إلا الإسلام ، وتحتمل فيه عذابهم ، حتى ماتت تحت ؛ وكذلك مات فيه زوجها ياسر .

وقد انتهت هذه المدة على طولها في مكة ، فلم يحاول أحد من المسلمين أن يثار لما حصل لهم من التعذيب والقتل باغتيال واحد عن كانوا يعذبونهم أو يقتلونهم ، مع أن هذا كان سهلاً عليهم ، لأنه لم يكن في مكة حكومة مظلمة ، تحمي أهلها من حوادث الاغتيال ، ولكن الإسلام دعوة سلبية بريئة ، فهو إنما يأخذ الناس علناً بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ولا يدخل في دعوته أحد الناس إليها بأية وسيلة من وسائل الإرهاب ، كاغتيال خصوم الدعوة ونحوه ، مما يخيفهم من مناوراتها ، ويحملهم على الانصياع إليها ، خوفاً من شر أهلها ، وهذا أيضاً إلى أن الإسلام ، دين سياسة ، ولم يكن من حسن السياسة اغتيال أحد من كان يعذب المسلمين ، ويقتلهم في مكة ، لأنهم كانوا في ضعف وقلة ، ولو اقتصوا لواحد منهم بهذه الوسيلة ، لتفاقم الخطب عليهم ، ولعمد خصومهم إلى قتلهم جميعاً ، فلا تجدد دعوتهم أحداً يؤمن بها ، وهنا يكون الانتقام الإلهي بأية من آيات العذاب ، فتقصي على خصوم هذه الدعوة ، كما قضوا على أنصارها ، ومثل هذا لم يكن مراداً لدعوة الإسلام الخالدة ، وإنما كان يراد أخذ خصومها بالوسائل السلبية ، إلى أن يؤمنوا بها ، وتنتفي دعوة خالدة ، إلى ما يشاء الله أن تبقى .

ثم كان بعد ذلك أن انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فمكث فيها عشر سنين إلى وفاته ، وقد انقسم أهلها عليه قسمين : قسم آمن به إيماناً صادقاً ، وناصره على أعدائه بنفسه وماله ، وقد كان هذا القسم يشمل جمهور أهل المدينة ؛ وقسم نافي في الإسلام ، فأنطى الكفر وأظهر التسليم للدعوة ، ولم يخلص للمسلمين كما أخلص لأعدائهم ، فكان يحسب من المسلمين لإظهاره الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل منه هذا الخضوع اظاهري مع عله بما يبطنه من الكفر ، ويجرى عليه أحكام المسلمين الصادقين ، لأنه أمر أن يحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، ولكنه كان مع هذا يذم النفاق والمنافقين ، من غير أن يحصى بهذا الدم شخصاً منهم ، ليحذر المسلمون الصادقون دساتهم ، ولا يتأثروا بشيء من مؤامراتهم في السر .

وقد كان هؤلاء المنافقون يلحقون بدساتهم ومؤامراتهم ، كثيراً من الأذى بالمسلمين ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكتفي بإفساد هذه المؤمرات عليهم ، ولا يأخذهم بالقتال كما كان يأخذ من يجاهره بالعداء ، ويصارحه

بالقتال : لأن الإسلام لا يقاتل إلا من يقاتله من أعدائه ، ولهذا يؤثر السلم مع من يسأله منهم ، ولو لم يكن غلصاً في إظهار السلم ، كما قال تعالى في سورة الأنفال : « وَإِنْ جُمِعُوا لِلْعِلْمِ ، فَاجْنَحْ لَهَا ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ ، فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي يُدْرِكُ بَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ » الآيتين ٦١ ، ٦٢ من سورة الأنفال .

وقد مكث هؤلاء المنافقون يناوئون الإسلام في المدينة سرّاً ، ويخدمون أعداءه بالتجسس لهم على المسلمين ، فإذا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم شيء من مناوأتهم أتوا إليه ، فتراوا بما بلغه ، فيكتفي منهم بذلك ، وهو يعلم كذبهم ، ولا تحدّثه نفسه بأن يتخلص منهم بطريقة تناسب تفاههم ، بأن يأمر باغتيالهم في السر ، فيتخلص منهم بهذه الطريقة التي يلجأ إليها من يقبل مثلها في دعوته ، وقد استأذنه عمر بن الخطاب يوماً في أن يقتل عبد الله بن أبي ريثس المنافقين ، فنهأ عن ذلك وقال له : فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! . وكذلك روى عدي بن الحيار : أن رجلاً سار إلى صلى الله عليه وسلم ، فلم يدروا ما ساره ، حتى جهر رسول الله ، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين ، فقال له : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولا شهادة له . فقال له : أليس يصلي ؟ قال : بلى ، ولا صلاة له . فقال له : أولئك الذين نهأني الله عنهم .

وإنما لم يلجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الوسيلة مع أولئك المنافقين ، لما سبق من أنها لا تدخل في دعوته ، ولأنهم دخلوا في حكمه ظاهراً ، فيجب أن يؤخذوا على جرائمهم بما يليق بأشأن الحكومات مع أفرادها بقطع النظر عن دياناتهم وعقائدهم ، فإذا ثبت عليهم جريمة أخذوا بها علناً ، وللحاكم أن يفرض عن بعض هذه الجرائم لمصلحة توجب الإغصاء عنها ، ولا يصح أن يؤخذوا على جرائمهم بوسيلة من الوسائل السرية ، لأن مثل هذا ينشر الفساد في الوطن ، وهو سلاح ذو حدين ، وإذا لجأت إليه الحكومة في معاقبة أفراد رعيتها ، لجؤوا إليه أيضاً في التآمر من رجالها ، وفي هذا يخفى وجه الحق ، ولا يظهر كما يظهر في أخذ الناس علناً بحكم القانون .

وبهذه النظرة الإجمالية في السيرة النبوية ، يمكننا أن نحكم بأن الإسلام

لا يبيح الهجوم إلى الاغتيال بين أبناء الوطن الواحد لسبب من الأسباب ، بل يجب أن يكون الحكم بين أبناء الوطن الواحد للقانون وحده ، وأما يكون أخذ الناس به في العلن لا في السر .

والذي حدث من الاغتيال بإذن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بين أبناء الوطن الواحد ، وإنما حدث لتفريق أو ثلاثة من أعداء المسلمين ، ولم يكن للمسلمين سلطة عليهم ، حتى يمكنهم أن يأخذوا بحكم القانون ، ويقتصوا منهم علناً ، كما يقتص من كل فرد يخضع للحكم .

ومن هؤلاء الاثني أو الثلاثة ، كعب بن الأشرف اليهودي ، وقد كان من أشد الناس عداوة للمسلمين ، حتى بلغ من أمره أنه لما بلغه قتل أشرف قريش في غزوة بدر ، قال : أحق هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان — بشيرا النصر إلى أهل المدينة — وهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس ؟ والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها .

وكان لكعب سطوة كبيرة بين أهل الحجاز ، وكان له مال كثير ، يقاب به العرب ، وكان يقول الشعر ، فأخذ يحرض بشعره العرب على المسلمين ، ولم يكتف بهذا التحريض الذي قد يحتمل من عدو ، بل أخذ يشبب بنساء المسلمين ، ويرميهم بالسوء ، وكان لا يخشى أمر المسلمين ، لما كان له من الحصون التي يحتمي بها ، والأتباع الذين يقاتلون عنه .

ولا شك أن مثل هذا لا يمكن أن يؤخذ بحكم القانون في سلم ، وإنما هي الحرب التي يمكن التآمر بها منه ، وللحرب وسائلها التي تؤدي إلى أغراضها ، وقد يستباح فيها من الخدعة وغيرها ما لا يستباح في السلم ؛ وقد كان جمهور اليهود ، إلى هذا الوقت ، في سلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ما عدا كعباً وأتباعه ؛ فرأى من حسن السياسة أن يأخذ هذه الوسيلة التي لا تثير أحداً ، وآثرها على حرب قد تجمع حول كعب من العرب واليهود ما هو في غنى عنه ، وآلمهم في هذا أن كعباً كان هدواً للمسلمين ، ويستحق القتل ، وأنه لم يكن للمسلمين سلطة عليه حتى يأخذوه باسم القانون في العلن ، ولا يضر بعد ذلك أن يكون قد أخذ بالقتل غيلة أو غيره ، لأن الحرب يستباح فيها قتل الأعداء ؛ فإذا قتل واحد منهم غيلة كان من الحق أخذ هذا على عدوه .

# بين مالك والليث

- ١ -

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغي

مدير المساجد

يعطيب لنا أن نذكر الناس اليوم بإمامين جليلين ، هما مالك بن أنس لإمام دار الهجرة ، والليث بن سعد لإمام مصر كثافة الله في أرضه ؛ وقد قام بينهما قديما جدل حول مسائل دينية ، وكان نقاش وحجاج أضفيا عليه ثوبا من الاحترام المتبادل رغم ما في هذا الجدل من شدة بلغت الذروة . ولعل في هذا ما يحمل الناس على اتباع طريق الحكمة والسداد عند تبادل الآراء ، والدفاع عن وجهات النظر المختلفة في شتى شئون الحياة ؛ فإن ذلك أدعى الى صون علاقات الود ، وأدنى الى دوام المحبة ، وأقرب الى الوصول الى الحق .

وقبل أن نسوق هذا الجدل ، نحب أن نترجم لسلا الإمامين فيما يلي :

## مالك بن أنس

نسبه :

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي المدني ، لإمام دار الهجرة أحد الأئمة الأربعة . وإليه تنسب المالكية ، ويكنى بأبي عبد الله . والأصبحي بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الباء الموحدة ، نسبة الى ذى أصبح ، واسمه الحارث ، من أجداد مالك ، وينتهي نسبه الى يعرب بن قحطان وهي قبيلة كبيرة باليمن .

## مولده ونشأته :

ولد رضى الله عنه بالمدينة سنة ٥٩٣ هـ ولما شب حفظ القرآن ومالت نفسه الى طلب العلم . ويحدث مالك عن ذلك فيقول : قلت لأبي : أأذهب فأكتب العلم ؟ فقالت : تعال فالس ثياب العلم فألبستني ثيابا مشمرة ، ووضعت الطويلة على رأسي ، وعممتني فوقها ، ثم قالت : اذهب فأكتب الآن . وكانت تقول : اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه ، وكان ، لك يختلف إلى ربيعة وإلى ابن هرمز يسمع منهما ويسألهما : كما أخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم ، وسمع الزهري وبافما مولى ابن أبي عمر . ولقد صبر مالك على طلب العلم ولاقي في سبيل ذلك الشدائد . قال ابن القاسم : أفضى طلب العلم ، لك إلى أن تقض سعة بيته ، فباع خشبه ، ثم أقبلت عليه الدنيا بعد ذلك وقد تهر مالك في علوم شتى وخاصة الحديث والفقه . وقد روى عنه أنه قال : كسبت يدي مائة ألف حديث . وقال أيضا : كنت آتي سعيد بن المسيب وعروة والقاسم وأبا سلة وحيدا وسالما : فادور عليهم أسمع من كل واحد من الخسين حديثا إلى المائة ثم أنصرف ، وقد حفظت كله من غير أن أخلط حديث هذا بحديث هذا . قال ابن عيينة : ما رأيت أجود أحدا للعلم من مالك ، وما كان أشد انتقامه للرجال والعلماء .

وقال أبصاً : دارت مسألة في مجلس ربيعة وتكلم فيها ربيعة ، فقال مالك : ما تقول يا أبا عثمان ؟ فرد عليه ربيعة رداً ما يسر أحداً أن يقال له ، ومالك ساكت احتراماً لشيخه ، ثم أنصرف وجاء وقت الظهر ، فصلى بالمسجد وجلس وحده بعيداً عن مجلس ربيعة ، فجلس إليه قوم خدشهم ، فلما كان العد اجتمع إليه خلق كثير ، ثم صار يجلس إلى الناس يحدّثهم ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وعرفت له الإمامة في النقل والرواية ، وبالناس يومئذ حياة ويقظة . قال ابن عبد الحكم أفتى مالك مع يحيى بن سعيد وربيعة ونافع ، وهم شيوخه . وقال مصعب : كان لمالك حلقة في حياة نافع ، أكبر من حلقة نافع ، وكان مالك يقول : ما جلست لفتيا والتعليم حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم . وقال : لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلاً .

عليه وصلاحه :

أسلفنا القول في شهادة بعض أكابر العلماء في ذكاه مالك ونبوغه ، ومنهم شيوخه ، والواقع أن مالكا عرف بالتبحر في العلم منذ صباه ، وكان عليه مقرونا بكثير من التواضع ، والصلاح والإمامة ، مع إساطة بالكتاب والسنة ، والفقه وأصوله ، مع صدق الرواية والتثبت فيها ، وحسن التوثيق ، حتى أجمع الناس عليه في عصره ، واقتدى به الأكابر .

ولقد كان شيوخ أهل المدينة يقولون : ما بقى على ظهر الأرض أعلم بسنة ماضية ولا باقية منك يا مالك . ويقول ابن مهدي : ما بقى على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه ، ثم مالك عن أبي الزناد الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ولم يذكر سلسلة أخرى عن غير مالك . وقال : مراسيل مالك أصح من مراسيل سعيد بن المسيب ، ومن مراسيل الحسن البصري ، ومالك أصح الناس مراسلا . وقال سفيان : إذا قال مالك بلغنى ، فهو إسناد قوى . وناظر محمد بن الحسن الشيباني الإمام الشافعى يوما فقال : أيهما أعلم : صاحبنا ، أم صاحبكم ؟ يعنى أبا حنيفة ، ومالك رضى الله عنهما ، قال الشافعى : قلت هل الإصاف ؟ قال : نعم ، قلت : فأنت ذلك الله من أعلم بالقرآن : صاحبنا ، أم صاحبكم ؟ قال محمد : اللهم صاحبكم ، قلت : فأنت ذلك الله من أعلم بحديث رسول الله ، صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعى رضى الله عنه : فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فسكت محمد . وكان مالك معروفا بالصلاح والتقوى ، يشهد الصلوات والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق ، ويجلس في المسجد فيجتمع إليه أصحابه ، فيعطى كلا مسأله ، وكان شديد التحري في حديثه وفتياه ، لا يحرث إلا عن ثقة ، ولا يعنى إلا عن يمين ، وكان يجلسه مجلس وقار وحلم ، فقد كان مهيبا نبيلًا جليلا ، لا يعترى مجله شيء من المرء واللغط ، ولا رفع الصوت . وحسبك في مهابة وجلاله : أن هارون الرشيد الخليفة العباسى كتب إليه ليأتيه فيحدثه ، فقال مالك : العلم يؤتى !

فقصده الرشيد إلى منزله فجلس واستند إلى الجدار ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين ، إن من إجلال رسول الله لإجلال العلم ، فجلس بين يديه مستورا ، فحدثه . وهرف عن مالك أنه إذا أراد أن يحدث ترضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلسته ، فسئل عن ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لا يركب في المدينة ، حتى مع تقدم سنه وضعفه ، ويقول : لا أركب في مدينة دفنت فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان مالك لا يتول إلا ما يعتقد : سئل يوما عن يمين المكروه ، فقال : لا تلزم . فوشى به إلى جعفر بن سليمان وإلى المدينة عم المنصور العباسي ، وقالوا : إن مالكا لا يرى إيمان ببعثكم لازمة ، فاستدعاه وجرده ، وضربه سبعمائة سوطا فمخضت فيها كتفه ، وكأنما كانت هذه السياط تيجان مجد ، وأوسمة شرف ، فقد علت منزله في نفوس الناس ، وازداد قدره .

#### تلاميذه :

تلمذ لمالك جمهرة من أكابر العلماء ، وما عرف عن عالم تلمذ له كثير من شيوخه وأكابر أقرانه سوى مالك . وقد عد القاضي عياض من تلمذوا له من هؤلاء وهؤلاء فنبهوا على الآلاف من مشاهير العلماء سوى من لم يشتهر ، ولم يعرف . فمن شيوخه الذين رروا عنه : محمد بن مسلم الزهري ، وقد مات قبل موت مالك بخمسة وخمسين سنة ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وقد توفي قبل مالك بستة وثلاثين سنة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وقد توفي قبل مالك بثلاث وأربعين سنة ، وموسى بن عافية وهشام بن عروة ، ونافع بن أبي نعيم الأنصاري ، ومحمد بن عجلان ، وسالم بن أبي أمية ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وعبد الملك ابن جريح ، ومحمد بن إسحاق صاحب المغازي ، وسليمان بن مهران الأعشى .

ومن أقرانه : سفيان بن سعيد الثوري ، والليث بن سعد المصري ، والأوزاعي ، وحماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وأبو حنيفة وابنه حماد ، وأبو يوسف القاضي ، وشريك بن عبد الله القاضي ، والإمام الشافعي ، وبعدم عبد الله بن المبارك ، ومحمد بن الحسن ، وموسى بن طارق القاضي ، والوليد بن سليم ، ومن أصحابه عبد الله بن وهب ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وأشهب بن عبد

العزير، وزيا بن عبد الرحمن القرطبي، ويحيى بن يحيى بن كثير الليثي، وأبو الحسن علي بن زياد التونسي، وأسد بن الفرات، وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون.  
مؤلفاته:

أشهر مؤلفات مالك: الموطأ. وسبب تأليفه أن أبا جعفر المصور قال لمالك: ضع للناس كتاباً أحملهم عليه، وجنبه شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ عبد الله بن مسعود. فقال مالك: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في البلاد، فأنتى كل في مصره بما رأى. وروى: أن الذي كُلمه في ذلك هو المهدي، وأن مالكا أبى أن يحمل الناس على مذهبه، ثم وضع الموطأ. قال أبو زرعة: لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي في الموطأ أنها كلها صحاح لم يحنث.

ولمالك مؤلفات جليلة، مروية عنه أكثرها بأسانيد صحيحة غير الموطأ؛ من أشهرها رسالة في القدر، والرد على القدرية وهي تدل على سعة علمه، ومنها كتاب في النحو، وحساب مدار الزمان، ومنها رسالته في الأقضية في عشرة أجزاء، ورسالته إلى أبي غسان محمد بن المطرف في الفتوى، وكتابه المشهور إلى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ، وكتابه في تفسير غريب القرآن، ورسالته إلى الليث بن سعد في إجماع أهل المدينة وغيرها.

### أدلة الاجتهادية.

يستند مالك في مذهبه على الكتاب والسنة والإجماع، والقياس إذا لم يكن هناك نص من كتاب، أو سنة، ويمطى عمل أهل المدينة أهمية كبرى، لاسيما أئمتهم، وفي مقدمتهم أبو بكر، وعمر. وقد يرد الحديث لأنه لم يجر عليه العمل، ويقول: إن عدم عمل أهل المدينة به دليل على أن هناك ما ينسخه. ونازعه في ذلك كثير من فقهاء الأمصار، ومنهم الليث بن سعد المصري. ويقول مالك بالمصالح المرسلة، وهي أمور لم يشهد لها من الشرع دليل بطلان، أو باعتبار، وذلك كضرب المتهم بالسرقة للاستطاق؛ أجازاه مالك لأن مصلحة المسروق منه تقتضيه، ومنها طلاق المفقود زوجها إذا تضررت بالعزوبة،

وانتظرت أربع سنين بعد انقطاع خبره ، يطلقها الحاكم عد مالك ثم تزوج . أخذ في ذلك برأى عمر . ومن ذلك عدة المطلقة ونفقتها تدعى عدم الحيض . قال مالك : تعد ثلاثة أشهر ، ثم تنتظر تسعة أشهر مدة الحمل ، فالجموع سنة ، ولا نفقة لها أكثر من ذلك . وله غير ذلك .

### وفاته :

توفي رحمه الله ، سنة ١٧٩ هـ بالمدينة المنورة ، وصلى عليه عبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن علي بن عباس ، وكان والياً بعد أبيه على المدينة ، ومشي في جنازته وحمل نعشه .  
• يقع •

## العلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : كن عالماً أو متعلماً ، ولا تكن الثالثة فتهلك .  
وقال عبد الله بن عباس : منومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب مال .  
وقال هو أيضاً : ذلت طالباً ، فعززت مطلوباً .  
وقال رجل لأبي هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيعه . قال كفاك بترك طلب العلم إضاعته له .  
وقال عبد الله بن مسعود : إن الرجل لا يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم .  
وقال شاعر :  
تلم فليس المرء يولد عالماً      وليس أخو علم كن هو جاهل  
وقال آخر :  
تسلم فليس المرء يخلق عالماً      وما عالم أمراً كن هو جاهل

# مفردات فلسفية

## حرية (تتمة)

### نقد و تعليق

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

نقد :

١ — المعنى : أو المعنى العام لكلمة حرية ، وهو حالة من لا إيمانى لإكراهها ، ومن يتصرف حسب إرادته وطبيعته ، يراد عادة فيما يختص بالأعمال الإنسانية ، ويسمى هذا النوع من الحرية بالحرية الطبيعية ، وهى التى تنقص المريض والأسير ومحوهما .

والتمريض هنا غير جامع ؛ لأن حالة من لا يستطيع فعل ما يريد لنوع أدنى أو مصلحي من الإكراه يدخل غالبا فى نفس هذا النوع من الحرية . ومن مثل ذلك الرجل الذى لا يستطيع أن ينتخب فى الناحية التى يهواها مخافة أن تضع عليه فائدة ، والمريض الذى لا يستطيع عمل ما يريد مخافة إردياد المرض ، لا بسبب عدم الاستطاعة الطبيعية أى الجسدية . إذآ يكون الاوافق التعبير عن هذا الضرب من الحرية بالحرية الخارجية ، لا الحرية الطبيعية .

٢ — الحرية بالمعنى السياسى لا يمكن أن تعرف بعدم أى إكراه يمكن أن يقع على الإنسان . فإن هذا المعنى لا يتفق بحال مع وجود الجماعة التى لها من الحقوق ما يجب أن يراعاه الفرد ؛ فلا يستطيع لهذا أحيانا فعل ما يريد . إن الحرية بهذا المعنى تكون إباحة وانطلاقا بلا ضابط ، لا حرية بالمعنى الصحيح .

الحرية السياسية هى إذآ عدم أى إكراه غير مشروع ، ولا يتفق مع طبائع الأمور ، anormale . وفى هذا يقول دُور كايم ، Durkheim ، فى كتابه

قسمة العمل الاجتماعي ص ٤٢٩ . « هذا الإكراه الذي يمنعنا من أن نرضى دون قيد أو حد رغباتنا ، حتى ما كان منها غير معقول ، لا يصح أن يختلط بالإكراه الحق الذي يحرمنا من وسائل نيل ما نستحقه على عملنا من جزاء عادل . »

تعليق :

يرى الأستاذ هيمون Hemon ، أن الحرية بالمعنى النفسى والأخلاقى هى سيطرة المرء على نفسه ، وذلك بعمل العقل المعكّر والإرادة ضد الشهوة والهوى . وفى هذا المعنى لدى الرواقين يقول إبيكتيت Epictète . ( فى كتابه : المختصر ) : « يكون سيدا لهذا الشخص أو ذاك من يستطيع أن يعطيه أو أن يحرمه الأشياء التى يطلبها ، من يستطيع أن ينزل به ما يخاف أو أن يجعله بنجوة منه ؛ إذأ فالذى يريد أن يكون حرا عليه ألا يرجو أو يخاف شيئا يملكه غيره ، وإلا فلن يكون حرا إلا رقيقا . »

وفى هذا المعنى يحاور هذا الفيلسوف الرواقى تليذا له فيقول :

- هل يستطيع أحد أن يكرهك على عمل ما لا تريد ؟
- نعم هذا من الممكن ؛ لأنى إذا هددت بالموت أو السجن فعلت ما لا أريد .
- ولكن إذا كنت تحتقر الموت والسجن ، هل تهتم بهذا التهديد فيجعله يقوم على ما لا تريد ؟

— لا ، طبعاً .

— بعد هذا هل ترى احتقار الموت من الواجب عليك ؟

— نعم ، بلا ريب .

— إذأ ، فأرادتك حرة دائماً .

ونحن وإن تأنى مقام تحديد معنى كلمة حرية ومدلولاتها المختلفة باختلاف الفلاسفة والنواحي التى استعملت فيها ، لا يسعنا إلا أن ندعو للتمثل بهذا الفيلسوف فى هذه الناحية .

\*\*\*

ومهما يكن من المعانى التى اتخذتها كلمة « حرية » فى أول الأمر ، وبعد

أن اتسع مدلولها بتطور الزمن واختلاف الأفهام ، فإن هذه المعاني - التي رجعنا فيها إلى المعاجم العربية والأجنبية ؛ وبخاصة قاموس « لا لاند » ، الذي هو أساسنا دائماً - ترجع ، كما نرى إلى قدرة المرء على أن يفعل ما يريد ، غير مقيد بشيء خارج عن نفسه إلا بالقانون ، ورعاية حق غيره من الأفراد ، وحق الصالح العام .

وبما يجب أن يلاحظ في رأينا أن الحرية وإن كانت حقاً طبيعياً للإنسان ، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب القولة التي نسبت إليه : « لم تستبدون الناس وقد ولنتهم أمهاتهم أحرارا » ، الحرية وإن كان كذلك إلا أنها - بكل أسف - قد لا تتفق وسلطان الطبيعة العام ، هذا السلطان الذي يتمثل في ميل الطبيعة إلى أن يسيطر القوى على الضعيف . ومن ثم تكون الحرية نصراً كبيراً وصلت إليه الإنسانية بعد كفاح وبلاء عظيمين .

كما نلاحظ أن الإسلام اعترف منذ ظهوره بهذا الحق الطبيعي للإنسان بما هو إنسان ، وذلك حين يقول القرآن في سورة « البقرة » : « لا إكراه في الدين » ، فهذا تحرير لوجدان الإنسان وضميره ، ويتج ذلك دائماً تحرير فكره وعقله ثم تحرير مظاهر ذلك من عمله .

على أن الذي يمنع المرء عادة من أن يكون حراً ليس هو السلطة القائمة وحدها ، بل هو أنه يحمل نفسه - راضياً - أسير ما يرجوه من خير ، وما يخشاه من شر ، إن أهمل لنفسه حريته ، تخالف بما يقول ويعمل ما يريد الرئيس منه ؛ ومن ثم ، نرى أن للمرء نفسه - إلى حد كبير - أن يحمل نفسه حراً أو رقيقاً .

وأخيراً ، لعل من الخير أن نختم هذا البحث بالإشارة إلى بدع ما ذكره « سبيكوزا » في رسالته السياسية عن الحرية .

إنه يرى أنه ليس للدولة أن تحد من حرية الفرد إلا بمقدار ما تختشى من ذلك على كيانها ، وأنه بمقدار ما تقل رقابة الدولة على العقل بمقدار ما تكون عليه الدولة والرعية من صلاح ؛ ولهذا ليس أخطر من أن يمتد سلطان الحكومة إلى عقول الناس وتفكيرهم ونفوسهم ، وأن الهدف أو الغاية التي يجب أن تعمل الدولة لها أن تكفل الحرية لكل المواطنين ، فإن المرء متى ظفر بهذه الحرية لا يكثر بعد هذا بأي ضرب من ضروب الحكومات يسود .

# لُغَوِيَّاتُ

لفصيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

## حسناوات

يجرى هذا الجمع الحسناء في الصحف كثيراً . ففي مجلة « الاثنين » ، الصادرة في يوم ١٩٤٨/٢/٢٣ . « هذا الكهل عاش مائة عام وعشرة » ، لترشيحه مؤلاً . الحسناوات . « وقد جرى بحث فيه من الوجهة العريضة : فالمعروف أن ما كان من الصفات على فعلاء لا يجمع بالالف والياء ، فلا يقال في حمراء : حمراوات ، ولا في سوداء سوداوات ؛ وذلك أن الجمع بالالف والياء يتبع الجمع بالواو والدون ، فما جمع بالواو والنون جمع مؤنث بالالف والياء ، وما لا يجمع بالواو والنون لا يجمع مؤنث بالالف والياء ، فلما لم يقل أحمر ، لا يقال : حمراوات . وقد عتد الحريري في درة القواص من أوامم الخاصة وأعلامهم قولهم : يعضاوات في جمع يعضاء وسوداوات في جمع سوداء ؛ قال (١) : « لأن العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث أفعل بالالف والياء ، وإنما جمعتها على 'فعل' . » وقد رأيت أن أتوسع في بحث هذه المسألة ، لأن الحاجة لجمع فعلاء قد تعرض للكتاب والناطقين . ويذكر أهل اللغة ضربين لفعلاء الصفة ، وقد أعرضت هنا عن فعلاء الاسم ، كصحراء ، لأنه لا خلاف في جمعه بالالف والياء ، وكذا لو سميت امرأة بسوداء ، لا يثار عك أحد أن تقول في جمعها : سوداوات . ففعلاء الصفة ضربان : ١ - فعلاء مذكرها أفعل ، وهذا هو

الطريق المألوف والمبهر في فعلاء ، كحمرء وخضرء وما إلى ذلك . وهذه يرى أكثر النحاة ألا تجمع بالالف والتاء ، كما يرى أن مذكرها أفضل لا يجمع بالواو والنون ، وإنما يجمعان على فَعْل : فأحمر وأحمرء جمعها مُحَرَّرٌ ، وهكذا ما مائلهما ؛ وهؤلاء يحكمون بالشذوذ في قول الشاعر (١) :

وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمرينا

ومن النحويين فريق يميز ما حظره الآخرون ، فلا بأس عندهم في جمع حمرء على حراوات . وقد نسب الرضى (٢) في شرح الكافية هذا الرأي إلى ابن كيسان ، وهو من خلط بين مذهبي البصريين والكوفيين ، وكان صاحب اختيارات . ونسبه المرادى في شرح التسهيل إلى الفراء وجعله قياس قول الكوفيين عامة ، إذ يميزون في مذكره الجمع بالواو والنون ؛ قال : فلا يقال حراوات كما لا يجمع مذكرها بالواو والنون . وأجاز الفراء سوداوات ، وهو قياس قول الكوفيين في جمع أسود بالواو والنون . وقد استند هؤلاء المميزون إلى قول الشاعر السابق : حلائل أسودين وأحمرينا ، ولم يروا شذوذه كما رآه السابقون ، وهم جمهور البصريين . وواضح أننا إذا أخذنا برأى هؤلاء المميزين فقد وجدنا مخرجا واسعا في تصحيح حسناوات .

٢ - والضرب الثانى : فعلاء صفة لا مذكر لها . وقد عقد ابن سيده فى المخصص (٣) لهذا الضرب عدة فصول . ومن هذا الضرب حسناء التى أتحدث عنها ؛ إذ لا يقال فى مذكرها أحسن ، وإنما أحسن صيغة تفضيل ، ومؤنثه الحسنى ، وجمعه الاحسن ؛ قال صاحب اللسان : قالوا امرأة حسناء ، ولم يقولوا رجل أحسن . قال ثعلب : وكان ينبغي أن يقال ؛ لأن القياس يوجب ذلك . وهو اسم أنثى من غير تذكير ؛ كما قالوا غلام أمرد ، ولم يقولوا جارية مرداء .

(١) نسب صاحب الخزانة إلى الأصمعي الكوفي يرد على الكيفي الأسدي في رأيه على القضاة والانتصار له في النظر الخزانة ص ٨٦ ج ١ طبعة بولاق .

(٢) انظر شرح الكافية ص ١٨٧ ج ٢ .

(٣) ص ٥٢ وما بعدها ج ١٦ .

ومن هذا القبيل حلة شوكاء للجديدة ، لا يقال ثوب أشوك ، وكذلك امرأة عجماء ، ورتقاء ، وعذراء ، وهذه لا مذكر لها من قبل الخلفة والطبع . وإن أردت استقصاء ذلك فارجع إلى المختص .

وأقول في هذا الضرب : إن المجيء للجمع بالالف والتاء في الضرب الأول يبين هذا لا محالة ، وأما المانعون في الضرب الأول فهم في هذا الضرب فرضان :

( أ ) ففريق يرى المنع ، وهم الكثرة ، ويستندون في ذلك إلى الحمل على الأكثر ، وهو فعلاء التي مذكرها أفعل ، ومن سن العرب حمل الأقل على الأكثر في الظواهر اللغوية ، ومن ذلك أن أكرم وأدر يمنعان الصرف وإن لم يرد لهما مؤنث حتى يدري أهو مختوم بالتاء أم لا ، حملا على الأكثر في ذلك وهو غير المختوم بالتاء . فلا يقال عند هؤلاء : حسناوات ، ولا عجزاوات ، ولا عذراوات .

( ب ) وفريق يرى أن منع الجمع بالالف والتاء لمنع جمع المذكر بالواو والتون ، وهذا الصرب لما لم يكن له مذكر ، لا يتحقق هذا المنافع ، فيجوز الجمع بالالف والتاء ، وإمام هؤلاء ابن مالك .

وقد أبد ابن مالك قياسه هذا بالسماح ؛ فقد قال العرب في خيفاء : خيفاوات ، وفي ذكاء ذكاوات . يقال : ناقة خيفاء ، أى واسعة جلد الضرع ، ونوق خيفاوات وخيف ؛ قال صاحب اللسان : الأولى نادرة ، لأن فعلاوات إنما هى الاسم أو الصفة الغالبة غلبة الاسم : كقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس فى الخضراوات صدقة » . وترى فى الحكم بدور هذه الصيغة مغمزا فى استدلال ابن مالك : على أن له أن يقول : إن النادر إذا كان له وجه من القياس صح القياس عليه ، كما قاس سيبويه على شئى ، ولم يرد من باب غير . والذكاء يقع وصفا للأكثة المنبسطة ، ويذكر صاحب اللسان أيضاً أن هذا نادر ، وهذا لا يحجر على ابن مالك فى قياسه لما أسلفت .

ولأنى أسوق إليك كلام ابن مالك فى شرح التسهيل ؛ قال بعد أن ذكر ما يجمع بالالف والتاء : « واستثنيت فعلى وفعلاء المقابلين لفعلان وأفعل ، فإنهما لا يجمعان بالالف والتاء كما لم يجمع مذكرهما بالواو والسون . ولا يلزم

هذا المنع فيما كان من الصفات على فعلاء ولا مذكر لها على أفعل ؛ نحو قولهم : امرأة عجزاء ، ودعامة مطلاع ، وحلة شوكاه ؛ لأن منع الألف والتاء من نحو حمراء تابع لمنع الواو والنون من أحمر ، وذلك مفقود في عجزاء وأخواتها ؛ فلا منع من جمعها بالألف والتاء . على أن الجمع بالألف والتاء مسموع في تخفيفاء ، وهي الساقطة التي خيفت أي اتسع جلد ضرعها ، وكذا سمع في دكاه . وهي الالكة المنبسطة ، وكلاهما نظير ما ذكرت في عجزاء ومطلاع وشوكاه ، في أنهن صفات لا مقابل لها على أفعل . ثبت ما أشرت إليه والحمد لله . .

على أن هذه المسألة لا يزال فيها بقية من البحث وفضل من النظر . فإن حسناء كلمة شائعة عند العرب ، ولم يرد همهم في جمعها كحسن ولا حساوات ، وإنما يقولون : نساء حسان ؛ قال في اللسان : « وجمع الحسنة من النساء حسان ، ولا نظير لها إلا عجفاء وعجاف » . وفي الحق أن هذا ليس بجمع قياسي لفعلاء ، وإنما هو من باب الاستثناء في الباب بشيء من باب آخر . فقصد جعلوا للحسنة جمع مرادفها حسنة . فقالوا : حسان ، كما جعلوا العجفاء جمع مرادفها عجف ، فقالوا عجاف . وقد دعاهم إلى ذلك أن يجعلوا عجافا مقابل سمان ونظيرهما في الوزن . وهم بما يحملون الشيء على ضده ، كما قالوا : رضى عليه ، حملا على سخط عليه . فكذلك قالوا : حسان في جمع حسناء كما قالوا قباج . وفي قوله تعالى : « فيهن خيرات حسان » فالظاهر أن حسانا جمع حسناء ، لاحسنة .

ومن المقرر عند أصحاب هذا الشأن أن ما استعنى العرب عنه بغيره أطرح ووجب اتباعهم فيه . فهذا يقودنا إلى حظر حسناوات والتزام حسان ، وهذا هو الوجه في هذه الكلمة ، وإن كان لنا مما سلف من الآراء مخرج تتجوز به وتوسع في استعمال حسناوات .

### علل لما تقول :

يمر هذا الاستعمال كثيرا في الأسئلة التي توضع لاختبار الطلاب في

مراحل التعليم ؛ فيقال : أجب عن كذا وعلل لما تقول ، أى اذكر علته ووجهه . والمعلل فى مصطلح آداب البحث هو المدعى الذى وظيفته أن يقدم الدليل على دعواه ويستدل ويذكر علته ، ويقابله المانع أو السائل ، وهو الذى يطلب الدليل ، ويبحث فى العلة التى ينصها المعلل . وقد تحدث بعض المعنيين بالمرية فى عرية هذا الأسلوب ، فأردت أن أذكر نبذة تتعلق به .

فيقال : علل الشارب إذا سقاه مرة بعد أخرى . والأصل فى هذا السائل ، وهو الشرب للمرة الثانية وهو ضد السهل ، وهو الشرب للمرة الأولى ، يقال : سقيته عللا بعد نهل ، ويقال : علل الصبي إذا ألهاه عن البكاء بما يقدم إليه من حلوى وغيرها ، وكذلك يقال فى كل تسلية : قال جرير :

تعلل - وهى ماغبة - بنها بأفاس من الشيم الفراح  
وقال خدش بن زهير :

كدبت عليكم أو عدوني وعللوا بي الأرض والاقوم فردان موطبا  
يقول : هددوني واجهوني وألهاوا بهجانكم إتياء الأرض والاقوام يافردان  
الموطن المسمى موطب ، وهو مكان يكثر فيه الفردان ، والفردان واحدها  
قُرَاد ، وهو دويبة يلصق بالبعير ويعصته .  
ويقول الشاعر :

خليلٌ هبّا عللاى وانظرا إلى البرق ما يفرى سنا وتبسما  
يقول : عللاى أى حدثاى وألهاى بالحدث .

وقد يعرض للباحث أن يسأل عن صلة العلة للسبب أو الدليل بالعقل .  
وبيان ذلك : أن العلة تأتى فى معنى المرض ؛ وكأن ذلك فى الأصل للحمى تعتاد  
الإنسان بمرقها ورُحاضتها ، فكأنما تقيه ذلك ، ثم أطلق على كل مرض .  
واستعملت العلة فى الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأنما هو مريض يكف  
صاحبه عن مراوطة أعماله ومعالجة أسباب عيشه . واستعملت العلة أيضا فى  
المعذر باعتذر به الإنسان عن لوم بوجه إليه فى التقصير فى بعض الأمور ،  
والأصل فيه المرض ؛ فإن المريض يسقط عنه اللوم والمعتبة ، والله تعالى يقول :

« ليس على الأعشى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج » .  
ولما كان العذر سببا يتمسك به المعتذر أطلق العلة على السبب ؛ وتقول عائشة  
رضي الله عنها في حديث لها عن أخيها عبد الرحمن : كان عبد الرحمن يضرب  
رجلي بعلة الراحلة أي بسببها : يظهر أنه يضرب رجل الراحلة وإنما يضرب  
رجل عائشة رضي الله عنها . وأطلق العلة من هذا على الدليل يستدل به المدعى  
إذا كان سببا في تمكين ما يقول ويدعى .

وبعد هذا أقول . إن ذكر التعليل في معنى ذكر العلة لازم في المعاجم  
بأدبها سافراً ، فالذي فيها هو المعنى السابق وما يمتثل إليه . ومن ثم أنكر بعض  
الباحثين هذا الاستعمال الذي صدرت به البحث . غير أن صاحب اللسان أورد  
في المادة هذا الص — وهو عن المحكم — : « المَعْلَل : دافع جاني الخراج  
بالعلل » . فترى أن المَعْلَل من يذكر العلل ، وعلى ذلك يقال : علل أي ذكر  
العلة أو العلل ، وهو ما يريد . فإن قال قائل : إن الوارد هو الوصف ،  
فأما الفعل فلا نزاع في عبارة ابن سيده . قلت : إن الوصف إذا ورد كان مؤذنا  
بقيام الفعل . وتقول ابن جنى : « قال لي أبو علي — بالشام — : إذا صحَّت  
الصفة فالفعل في الكف » .

ومما يؤنس لما نحن فيه أنه ورد الاعتلال في معنى ذكر العلة ؛ وتقول  
الفارابي — على ما في المصباح — : اعتل إذا تمسك بحجته . وقال (١) أبو قيس  
ابن الأسلم :

وتكرمها جاراتها فيزرنها وتعل عن إتيان فتعذر  
وليس بها أن تستين بحارة ولكها ممن نجا وتخفر

فقوله : تعل عن إتيان أي تعذر بذكر وجه تخلفها عن زيارتهم .  
فظهر أن التعليل في معنى ذكر العلة له وجه صحيح . والله أعلم .

(١) الخصائص ص ١٣٧

(٢) انظر لأبي ج ١٦٦ ص ١٥

# الْبَيَّانُ لِأَلِ الْمَعْجِزَةِ

لحضرة صاحب السباحة ، السيد .

خلقة حميدة قديمة في علماء الدين ورجالاته ، لا المحدثه فيهم ولا المتزعة ؛ تلك أهم كلها تلقوا أنارة من وحي السماء وحوار النبي صلوات الله عليه ، تلقوها باليمين والعقد المنين ، واستمسكوا منها بالحقيقة الصلبة ، لا بالتجوُّز ولا التسمُّح ، حراسة للدين وبعثا اليقين ، وقد تنزلت بالاستعارة والكناية ، آية ، وصالح وحي المجاز ، أوجاز .

نصّر الله أسيانها وأسلامها الأصوليين ، فقد كانوا ألين أخذاً ، وأرق تصمماً ، قالوا — على النخيل — : إن الأمر الشرعي للوجوب ، ثم تلمّسوا ناحيته ، فأصابوا أموراً في طلبها هواة وترقق ، فقالوا لإلحاح قول الشواهد والدلائل : لا وجوب . أما حلاوة الشائتل كلها ، وترقّف النفوس والأيدي بجملته ، فذاك أن الأصوليين وقد استمعوا إلى آية التفسيح في المجالس ، وهي قول الله تعالى . : يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ، فافسحوا ففسح الله لكم ، يقولون : إن الأمر للوجوب الشرعي ، أجل ، ولكنه في مثل هذه الآية للأدب الاجتماعي ، والرقه النفسية .

تجلت عليها السيرة النبوية بحديثين أو خبرين من النبي صلوات الله عليه ، أحدهما في هجرته ، والثاني في غزاته ، أخذ علماء الدين فيهما بالأشد من جد القول وجوهر الحقيقة ، دون طلاوة البيان ، وبشاشة الكناية ، والتسّميح الأدبي .

إن يتنا بعد هذا أن نمرض نبأ هذين الحديثين في محلته وحليته ، لننظر أي الرأيين أمثل ؟ الحقيقة أم الكناية ؟ ، وأيهما أنبل وأرق ؟ : المعجزة أم البيان ؟ : أما الخبر الأول : فذاك ما خرجه مسلم في صحيحه ، وغير مسلم ، قال : : إن النبي صلوات الله عليه ، حين هبط المدينة في هجرته ، أتاه عُثْمَانُ

ابن مالك ، وعباس بن عباد ، في رجال من بني سالم بن عوف ، وأخف بزمام ناقته ، فقال : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة ، فقال : دخلوا عنها فإنها مأمورة<sup>(١)</sup> ، ومارالت الناقة سائرة ، حتى أتت دار بني مالك بن النجار ، حتى بركت على باب مسجده ، والتي لم ينزل عنها ، فقامت ثابته ، وسارت غير بعيد ، ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت إلى خلفها وبركت<sup>(٢)</sup> .

هذا حديث الهجرة ، يرى الملاء فيه مسحة من المعجزة ، في مقالة النبي صلوات الله عليه ، دعوها فإنها مأمورة ، وفي برؤكها حيث نزل على بني النجار ، يرون أنها أبت البرؤك من ذات نفسها ، ثم من ذات نفسها بركت بعد ذلك ، حيث يريد الله والتي صلوات الله عليه . ويقول البيان العربي وسحر الجحاز : كلا ، ليس في المقال شيء من هذا كله ، وأن النبوة قائمة بعير هذه من المعجزات ، وبيته الآيات .

إن البيان العربي ليس شيء باسم متصل به ملابس له ، وما هو بسبب منه ، وعلاقات الجحاز لا تعدد ، فقد عي النبي نفسه حين قال دعوها فإنها مأمورة ، ذلك أنه هو المأمور لا هي ، إما بوحى من الله ، وإما بوحى من الصالح ، ورياضة المصالح : يقول الشاعر في مثل هذا ، وأعجب أن يكون في ذكر الناقة :

جاءت إليك قلقاً وحيثها مخالفنا دين النصارى دينها

وإنما جاء بها صاحبها ، وإنما المخالف لدين النصارى إنما هو دينه هو ، لا دينها هي . وقال شاعر آخر ، وأكبر العجب أنه في الناقة كذلك :

سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وإنما انتجع هو بلالا لاناقته . ويقول شاعر آخر في تسمية الشيء بما يدانيه ، أو يلاقه ويلابه :

فشككت بالريح الأصم ثيابه ليس الكريم على الصا بحر

قيل : ثيابه جسمه ، أجل هي كما قيل . هذا هو الحديث الأول : أما الحديث الثاني فذاك حديث القليب الذي ألقيت فيه أشلاء الصناديد من قريش بعد القتل في بدر .

(١) ليسه هذه اللمة في أصل الحديث .

## حديث القليب :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إن رسول الله صلوات الله عليه كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، فوالذى بعثه بالحق ما أخطأ الحدود التى حد رسول الله صلوات الله عليه حتى انتهى إليهم حين ألقوا فى القليب ، فنادى : يا عبدة بن ربيعة ، ويا شبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، يا أهل القليب : هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى الله حقاً ، بئس العشيرة كنتم ، كنتم موى وصدقنى الناس ! فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله كيف يسمعون ؟ وأنى يجيبون وقد جفوا ؟ قال النبي : « والذى نفسى بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا » .

تلك قصة أهل القليب ، قليب بدر ، الذى ألقى فيه صناديد قريش حين قتلوا . أما الذين فقد أرسلته السماء ، فقلته بارتياحها الأرض ، وقامت به المعجزات حتى راعت ، شهدها النفلان ، وغضض عنها القمران ! ، أما المعجزة فلا يحمل أن تقول فيها هذا حديث معجزة ، وإنما هى غارق ، إن كثرت عادت قاعدة أو إلغا ، فلم تكن معجزة ولا آية ، وانقلبت الآية .

لسنا بسبيل أن نحمد حياة الموتى - معادة الله - ولا أن نستسخر لإسماع النبي لمن فى القبور أو القليب ، فإن هذا حق قائم ، وهولب الدين ، بمقد الإيمان : ولكنا نستسخر أن يكون هذا - دون ما ذكرناه - معرى السيد الرسول صلوات الله عليه فى هذا النداء لأصحاب القليب ، وإنما هو خطاب العظة والحكمة ، لا لأسرى الموت والفتاء ، بل للأحياء .

إن الذى صلوات الله عليه حين خاطب أهل القليب فى بدر ، فقرعهم بالحجة القائمة من النصر المؤزر ، لم يعمد إلى إثبات معجزة ، ولا قصد إلى آية ، ولكن بحجة تلك فى المظلم أن يتطربوا ، وترتاحهم استجابة الحق ، ونجلى الحكمة ؛ فإن هم خاطبوا الموتى ، وإنما يخاطبون فيهم الأحياء بالحكمة والعظة وشفا النفس بقومة الدعوة وتبلج اليقين . . . إن حديث النافق فى الهجرة النبوية ، وخطاب أهل القليب فى بدر ، إنما هو إذن للبيان لا المعجزة والآية ، إن فى ذلك لآية .

# الشريعة الإسلامية وقانون من الإنكسار هذا

لعضية الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغي

مدير المكتبة الأزهرية

من أين لك هذا ؟ عنوان قانون تصدره الحكومة الآن تعالج به الفساد الذي أشاعه في الآداة الحكومية ذور الصبائر المدخولة ، والذم الضميفة ؛ فضعت ثقة الناس بها ، وسامت ظوهم فيها ، وألجأتهم إلى أن يسلكوا في إنجاز شؤهم مسالك الريب التي منها أولئك المجرمون ، وهي مسالك قذرة ، لا تشرف بها الحكومة ، ولا تشرف بها الأمة . وقد ابتليت مصر ببعض حكام طمى على نفوسهم سلطان المادة ، وغشى أعينهم بريقها ، فأقدم الأمانة والشرف ، ومراقبة الله والواجب ؛ فاندفعوا يجمعون الأموال من طرق غير مشروعة متوسلين إلى ذلك بجواهرهم الحكوى ونفوذهم الرسمى ، وكانوا بذلك عاملا من عوامل الفساد الخلقي والاجتماعي ، فأغروا من دونهم أن ينهج نهجهم ، ووجد داء الرشوة سبيله إلى الدواوين ، وانعدت في جو الموظفين سحب الصحة والحرام ، فلجأت الحكومة إلى مكافئه هذا الشر بذلك القانون ؛ لتستقيم الآداة الحكومية ، وليطمئن الجمهور إلى مصالحه وشؤونه .

وضعف الخلق وفساد الدم داء قليا سلت منه أمة وخلا منه عصر ، إلا أن ظروف الحياة قد تضاعف من أثره وزيد من خطره ؛ فتلجأ الحكومات إلى سن القوانين لمكافئته ، والوقاية منه ، وليس يبعد أن يكون بعض ملوك قدماء المصريين قد ألجأته الظروف إلى سن مثل ذلك القانون . كما قال بعض الكتاب ؛ فقد ذكر أن هناك قانوناً يعرف بقانون « أمازيس » وهو يقضى على كل مصرى أن يذهب مرة في كل عام إلى شيخ قريته أو بلدته ، ويثبت له أنه يعيش في حدود موارده من طريق شريف ، فإذا عجز عن إثبات ذلك ، كان قصاصه الإعدام .

وقد عرف الإسلام أصول ذلك القانون في كتاب الله وسنة رسوله ، وعرف

تفاصيله في أعمال الرسول وأعمال الخلفاء والتابعين والصالحين من الولاة من بعدهم ، وعن الإسلام بموضوعه أشد العناية ، فمعا إلى اختيار الحكام من عرف بالعدالة والنزاهة ، وسلامة الدين والخلق ، وحذر من اختيارهم لداعي القرابة والمودة ؛ فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا ، وهو يحد من هو أصلح منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا لمودة ، أو قرابة بينهما ، فقد خان الله ورسوله ، وخان المؤمنين » ، وحذر الحكام من استغلال نفوذهم ، والإفادة من جاههم الرسمي في مصالحهم الخاصة ، وبالغ في تحذيرهم من ذلك مبالغة صرفت كثيراً من الصالحين عن الولاية والحكم ؛ بل لقد كان بعضهم يؤثر الضرب والسجن على الحكم ؛ كما فعل أبو حنيفة ومحمد رضي الله عنهما . وفي القرآن الكريم من أصول ذلك القانون قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به . إن الله كان سمياً بصيراً » فالعمل الذي وكل إلى الموظف أيا كان نوعه وجعل له في نظيره مرتب يتقاصه عنه ، أمانة يأمره الله بأدائها على وجه كامل ولا يحل له أن يأخذ من الأفراد شيئا وراء مرتبه : لا على سبيل الهدية أو الاكرام ، أو نحو ذلك من العناوين التي لا تعبر من حقيقة موضوعه شيئا ؛ فهو سحت ورشوة ، وحرام مهما تزين بعنوان . وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بمصادرة الأموال التي جمعت من طريق استغلال النفوذ الحكومي والجاه الرسمي ، وضمها إلى مال الدولة ، كما يقضى بذلك بعض مواد القانون المراد وضعه .

ومن أبي حيد الساعدي ، رضي الله عنه ، قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الأثيبية على صدقات بني سليم ، فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذا الذي لكم ، وهذه هدية أهديت إلي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس ، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد فإني أستعمل رجلا منكم على أمور مما ولائني الله ، فإني أحكمكم فيقول : هذا لكم وهذه هدية أهديت إلي ، فهلا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتية هديته إن كان صادقا ؛ فوالله لا يأخذ أحدكم منها

شيئاً بغير حقه إلا جاء الله بحمّله يوم القيامة ! فلا تعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار ! ثم رفع يديه إلى السماء حتى رقى بياض إبطيه، وهو يقول : « ألا هل بلغت ! » قال العيني شارح البخاري في شرحه لهذا الحديث : وفيه أن ما أهدى إلى العمال وخدمة السلطان بسبب السلطة، أنه ليت المال . وقيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أفقرت أفواه بنيك من هذا المال ، وتركتم قفراء لا شيء لهم ، وكان في مرض الموت . فقال : أدخلوهم على ، فأدخلوهم وهم بضعة عشر دكراً ليس فيهم بالغ ، فلما رأتهم ذرفت عيناه ، ثم قال : والله يابني ، ما معكم حقاً هو لكم ، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وإنما أتم أحد رجلين . إما صالح ، فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح ، فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله ، فقوموا عني ! .

وأوجب الإسلام فصل الموظف الذي يدنس شرف الوظيفة بالرشوة ، فنص الفقهاء على استحقاقه العزل بها ، وحرّموا الاستقراض والإعارة ممن لهم شئون ستعرض عليه للنظر فيها ، مبالغة في ضمان سير العدالة فيها .

والأحاديث ونصوص الفقهاء وأعمال قضاء الإسلام حول موضوع هذا القانون كثيرة ، سواء منها ما يتعلق بتأحية التشريع ، أو تأحية التطبيق ، وهي تبين بحق ، حرص الإسلام على سلامة الآداة الحكومية ، تحقيقاً للعدالة والثقة في نفوس أرباب المصالح ؛ وتبين بحفظة ولاية الأمور في الإسلام ، وتقديرهم لخطورة استغلال النفوذ ، وسوء أثره في أخلاق المجتمع ؛ فليس هذا القانون يبعد عن روح الإسلام وشريعته ، وأعمال قضائه ، وإن خاله بعض الناس كذلك ، والبعيد عنه إنما هي الصياغة والأسلوب لحسب ، بل ربما كانت نظرة الإسلام إلى هؤلاء الخائنين أشد صرامة من نظرة القانون الحديث .

هذا ، ولنا على عنوان القانون ملاحظة لفظية ، هي ثقل هذا العنوان اللفظي على السمع والذوق ، وربما يشركى فيها كثير من الناس ؛ وأكبر الظن أن واضع القانون حرصوا على ترجمته من بعض اللغات الأجنبية ، ترجمة لفظية ، وكان يمكن بشيء من التنبه اختيار عنوان يؤدي هذا المعنى ، وليس فيه ذلك الثقل فيسمى مثلاً : قانون الثروة المجهولة ، أو الثروة غير المشروعة ، أو ما يشابه هذه العناوين ، خفة على السمع والذوق ؟

# رسالة عبد الله المستب

المتوفى سنة ٥٩٤ هـ .

عصره . إلمامة بمنزله وتقدير الناس له . أهم المؤثرات  
في شخصيته . عهد التعلم . عهد التعليم . صور من حاجته العلمية .  
لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوي  
وكيل معهد أسيوط

عهد السلف الأولين الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضل  
المبين في قوله : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (١) -  
عهد كان له فضل التوفيق من الله سبحانه إلى سداد القول ، وسداد العمل ،  
وإلى عمران الحياة بما هو سعادة للحياة وبر بأنفسهم وبالناس أجمعين .

كان الناس إذ ذاك ، وليس بهم حرص على عرض هذا الأدنى ، ولا بهم  
طمع في نيل المناصب ، أو الإبقاء عليها ؛ وإنما تنقطع أصدق الرجال المطامع .  
وكان علماؤهم بمنزلة من العزة والمهابة ، تخدمهم عليها الملوك الصياد ، وإذا حاول  
كبير أن ينال منها أذله الله ، وردّه خاسئاً وهو حسير .

فيا ليت شعري أين هؤلاء وما استقوه لنا من عز أقص وطهر لا يتدنس  
أين هؤلاء ؟ وأية سلوكوا ؟ لقد طارت بهم عقاء مغرب ، وعز مطلبهم في كل  
شرق ومغرب . فما بقيت إلا ذكرى قد توقظ الهاوين منا في دركات العفلة  
والتمادي في الفضول ، كما يوقظ نائم حسير منهوك قد بعد عهده بالنوم ؛ فلا يوقظ  
إلا ليعاود النوم ، ولكن الإلحاح في الإيباس (٢) ، ربما جاء بالدرة وأنقذ  
من شر كبير .

(١) صحيح متفق عليه .

(٢) أبس فتاة دعاها للحلب متطلعا . والكرة بالكسر : اللين وأنصاه .

كان سعيد بن المسيب رضى الله عنه من أهل القرن الأول من أولئك الخيار الذين استمسكوا بحبل الله المتين ، وجمدوا على تقاليد الدين ، وأخذوا أنفسهم بما سمعوا من الرسول ومن أصحاب الرسول فاتبعوا أحسه .

وهو من التابعين الذين يقول فيهم الله سبحانه في كتابه ، والذين اتبعوا بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات ، الآية . بل هو سيد التابعين ؛ كما تواترت القول عن السلف ، وكما سترى في الشهادة له <sup>(١)</sup> ، وتقدير المعاصرين من الصحابة والتابعين فن بعدهم .

كان الخبر الإسلامى العظيم عبد الله بن عمر بن الخطاب . يعجب به كثيراً ، ويحبل عليه في الفتاوى ، ويقول : سلوا هذا فإنه عالم ، فإذا نقل إليه حكمه يقول : ألم أخبركم ؟ بل كان يرجع إليه بنفسه يسأله عن أقضية أبيه عمر ، فلو لم تكن إلا هذه لابن المسيب ، لكفت في فضله .

\*\*\*

شاء الله سبحانه أن يكون ابن المسيب في هذه المكانة : فأثبت بالمدينة نبأنا حسناً من أب وجد صحابين ؛ فقد كان أبوه المسيب صحابياً ، وكان جده حزن صحابياً ، يقولون إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أنت سهل ، فقال : بل أنا حزن ثلاث مرات . قال سعيد : فما زلنا ندرك تلك الحزونة فينا . ونشأ سعيد منذ عهد العدالة الشاملة والخلق الماضل العظيم ، عهد عمر بن الخطاب ؛ فقد ولد لسنتين من خلافته على المشهور في الرواية ، وكان عهداً يتفاضل الناس فيه بالتقوى ، ويوزنون بما عندهم من علم نافع ؛ وعمل صالح ، فأحب العلم ووهب له وقته ووكده ، وهو حافظ كانوا يتحدثون أنه لا يسمع شيئاً إلا وعاه ، واتصل بالصحابة واختلف إليهم ، يأخذ من معارفهم ، وأديهم ويحاكيهم في تهذيبهم وتبليهم ، ويروى عنهم ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم .

فأستدس كما يقول ابن الجوزى - عن عمر وعثمان وعلى وسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب ، وعمار بن ياسر ، ومعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وأبي الدرداء ،

(١) يرى ابن أنهم سيدهم في المعارف والعفة الإسلامى ، وإلا فقد ورد في الحديث الصحيح ، خير التابعين أويس ، أخرجه مسلم .

وعقبة بن عامر وصهيب وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وسلمان وأُس بن مالك ، وابن عباس ، وعمر بن أبي سلمة ، وعائشة ، وأم سلمة .

وقد اتصل بأبي هريرة وزوجه ابنته ، ولزمه ، فكان أعلم الناس بحديثه ، وأخذ تعبير الرؤيا عن أسماء بنت أبي بكر ؛ فكان من آيات الله وفي مثل منزلة ابن سيرين ؛ إلا أن شهرته بالفقه راحت إقامته في التعبير . كل هذه اليناث الصالحة والانصالات المضمرة ، مع ذلك الاستعداد الحبيب في ابن الحبيب ، سمحت به وارتفعت بمكانته ، ووصلت به إلى تلك المراتب ، وخلعت عليه تلك الألقاب الفخمة : سيد التابعين ، وأبيل التابعين ، وإمام الفقهاء ، ، وما إلى ذلك مما ينعت به العلماء . قال أحمد بن حنبل يوما : سيد أفضل التابعين ، فقبل له : فسميد عن عمر حجة ، قال : ، فإذا لم يقبل سميد عن عمر فن يقبل . وإنما سأل السائل أحمد هذا السؤال : لأن سميداً كان صغير السن في عهد عمر فاستبعد أن يسمع من عمر ، ولكن الثقة بسميد جعلته في منزلة القبول ، حتى اعتبر العلماء مراسيله من الصحاح . هذا وإنك تستطيع أن تقول : إن أكبر هذه العوامل أثراً في تكوين سميد بعد استعداده الكريم — صحبته أبا هريرة ولزومه إياه ؛ كما كان أبو هريرة يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر الصحابة رواية ، أو من أكثرهم ، وقد كان من أثره فيه أنه اقتدى به في تزويج ابنته أحد تلامذته الفقراء وإيثاره بها على الوليد بن عبد الملك الأمير .

على أنه استطاع بالمحاولة والتنقيب أن يجمع فقه الصحابة وأقضيتهم ، يسأل عنها ويرويها حتى صار أعلم الناس بها ، وحتى قال عن نفسه : ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان مني . وأمل ذلك لأنه جمع متفرقات ما عند أجلاء الصحابة في عهده ؛ فكان مرجعاً حتى للصحابة أنفسهم بأخذون عنه ، ويثقون بنقله عن إخوانهم رضي الله عنهم .

\* \* \*

ولعلك إذا سمعت كلمة الفقه ، فهمت فيها ذلك المعنى الطارىء الذي ينصرف إلى معرفة الأحكام الشرعية على وجه يصح به نظام الحياة وتسقط به المطالبات ، وإلى دراسة الانسكة ، وصور الطلاق والإيلاء واللعان ، والتعلفل

في التفريع على قواعد الرهن والسلم والصرف ، وهذا غير صحيح ؛ فإن الفقه عند السلف كان أسمى من هذا معنى وأنبأ مقصدا ؛ لقد كان راجعا الى فهم الدين فهما يهذب النفس ، ويوجهها الى البر والخير ، ويدل على عيوبها ومداخل الشيطان إليها وطرق محاربه ومجاهدة النفس لتجوز من غوائله . قال الإمام الغزالي في الإحياء <sup>(١)</sup> ، وهو يحدث عما دخل الألفاظ من التغيير :

« إني تصرفتوا في لفظ الفقه بالتحصيص ، فقد قصر على معرفة الفروع في الفتاوى والوقوف على دقائق علما ، ولقد كان اسم الفقه في العهد الأول يطلق على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بمقارعة الدنيا ، وشدة التطلع الى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلك عليه قوله عز وجل . « ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » . وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة ؛ بل التجرد له على الدوام يقضى القلب وينزع الخشية منه . . . » وأفاض الغزالي في هذا المعنى .

هذا هو الفقه الذي أجاده سعيد ، والذي كان سيد عصره فيه . وهذا هو الفقه الذي كان له أكبر الأثر في قنوت ابن المسيب ، وإعراضه عن الدنيا وإقباله على الآخرة ، والذي جعله يلزم المسجد النبوي ، ويواصل الخطى إليه ولا يتخلف فيه عن جماعة ، ولا ينظر في الصلاة إلى قعا أحد ؛ لأنه يصلي في الصف الأول أربعين سنة . وهو الذي جعله يتابع الصوم ، وجعله لا يقبل من أحد شيئا ، وجعله لا يقارن على كظة ظالم <sup>(٢)</sup> ولا سغب مظلوم ، وجعله لا يقبل أن يسام خطة ليست في مرضاة الله ولا طاعته ، وهو الذي جعل سعيد بن المسيب ينظر إلى الخليفة والامير نظرتة إلى المردول الحقير ، لا فضل لأحد عنده إلا بطاعة الله ، ولا يسمع قول أحد لا يدعو إلى سنة رسول الله . فهو لا يبايع الوليد وهشام ابني الخليفة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين ، وإن عرض على السيف وإن جرد وطيف به . وهو لا يزوج ابنته من الامير ولي العهد لأنه لغير وجه الله .

(١) ص ٥٤ ج ١ طبع لجنة نشر الثقافة .

(٢) الكلمة بالكسر : البطة .

ولا يلتبس به ما عند الله . لكنه يزوجها لأبي وداعة الطالب الفقير : يزوجها لمن يرضى خلقه ودينه ، ويعرضها عليه بنفسه ويسلمها إليه بنفسه . بعد أن يصلي بها ركعتين ، ثم يبعث إليه بتفقهه وما يحتاج إليه ، ولماذا بصاهر الخليفة والقرآن يقول : « وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » . لماذا بصاهر الخليفة ، وقد أعرض عن الدنيا وطلب ما عند الله ، والخليفة يقربه من الدنيا ويباعده عما عند الله . وسأفصل لك هذه الصور بما يضع أمام عينك المثل الصالح للعالم الصالح ولرجل الدين الصحيح .

وبعد ، فإن المتابع لتاريخ هذا الإمام يستطيع أن يقسم حياته شطرين : شطر التعلم والاستفادة ، وشرط التعليم والإفادة .

أما الشطر الأول فتستطيع أن تحيط به إحاطة عابرة ، إذا علمت أنه منذ نشأته في هذا الوسط الكريم ، ما وفى في طلب العلم يأخذه من أصوله ويصعد إليه في قمة من دكرت لك من الصحابة ، وهو الشاب المتوقد الطموح ؛ يعينه على ذلك صفاء نفس ، وطهر من كل دنس ، وقلب حافظ ، وتفرغ كان يحفره إلى الرحلة في طلب الحديث الواحد الأيام والشهور . على أنه كان قليل الرحلة في طلب العلم ؛ لأنه في ذلك العهد موفور بالمدينة مقر الخلافة وموئل العلية من أصحاب محمد ؛ فهي تموج بالعلماء الربانيين الذي نصبوا أنفسهم لتبليغ دين محمد صلى الله عليه وسلم ، يبينون الكتاب للناس ولا يكتُمونه ، وينقلون الحديث والفقه ولا يدحرونه ، فهم رحلته وهو بين بحار العلم المتلاطمة ، وبين أنوار الإسلام المتلألئة من المهاجرين والأنصار . رحم الله الجميع وجعلنا لفهم الأسوة الكريمة ، فإزال ابن المسيب في ذلك الجانب ، حتى صار كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، وتضاعف إحسان الله سبحانه إليه ، فكان إمام التابعين ، تضرب إليه آباط الإبل ، وهو في ذلك الحين المثل الأعلى للؤمن الصالح والمسلم المحافظ .

ثم يبتدىء الطور الثاني من حياته ، وهو طور الإفتاء ونصب نفسه للتعليم إيماناً واحتساباً ، يمكث أكثر وقته على مسجد الرسول بين صلاة وتعليم ، ولا يعرف بالتحديد ذلك الوقت ولا نص عليه ، ولكتنا نرجح أن ذلك كان في المدة

بين خلافة معاوية وابنه، ومهما يكن فقد ألقى عصا التسيار لا يعرف الطريق إلا ما بين مسجده ومشواه، مع أنه يتجر في الزيت؛ فلا تلبه التجارة عن ذكر الله وإقام الصلاة، ويجمع من المال ما يصون به عرضه، ويكرم به نفسه عن بني مروان، ويحسن به إلى الفقراء قصداً لا إلخافاً، وإجمالاً لا تعللاً.

ويمكن تحديد أمره في ذلك الطور بأنه عكف على التعليم والنسك لله، وإيثار هباته على كل ما سواه، لا يثبته عن ذلك ثان. على أنه امتحن في دينه بما يترخص في مثله كثير من رجال الدين، فما لانت له فتاة، ولا هذل عما يعرف أنه الحق ولو كان السيف على رقبته؛ إذا قال: لا لم يستطع أحد أن يقول نعم، وإذا قال نعم فما أمأها وما ألد موقعتها، قال: لا لعبد الملك بن مروان أكثر من مرة فما استطاع أن يصرفه عن مبدئه. وقال: نعم لأبي وداعة فدوت في أرجاء المدينة وهزت أركانها. وهي البجلة لقد ظهرت تلك التواحي الثلاث في الإمام ظهوراً جلياً لا يقبل لبساً ولا غموضاً: العلم الغزير الذي جعله مرجعاً للبلوك والرعية، والنسك لله مع الزهد في الدنيا ومظاهرها الخلابية، والصبر على الحق والجهاد في سبيله حتى يظهره الله أو يهلك دونه. وإليك صوراً من كل ناحية منها:

فأما علوه وسعة أفقه في الدين، فيتجلى فيما أشرت لك إليه من ثقة الناس به، وتهيأتهم على الاعتراف من بحره، سواء في ذلك التابعون وغيرهم من أهل العلم حتى الصحابة أنفسهم.

روى ابن سعد في طبقاته بسنده أن سعيداً كان يقول: ما بقي أحد أعلم بأقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان مني. وأن سعيداً كان يفتي والصحابة يهود، وأن مكحولاً كان يقول: ما حدثكم به فعن سعيد ابن المسيب والشعبي، وأن ميمون بن مهران قال: دخلت المدينة فسألت من أقصاها؟ فدفعت إلى ابن المسيب، وأن عمر بن عبد العزيز كان لا يفتي بقضاء حتى يسأل ابن المسيب. وقال يوماً: ما من أحد إلا يأتيني بعلمه إلا سعيد بن المسيب فإنه أوتي بعلمه. وأرسل إليه يوماً رسوله يسأله عن مسألة، فذهب الرسول إليه واستدعاه إلى عمر، فقال له عمر: إن الرسول لم يفهم، إنما أرسلته إليك ليسألك عن كذا.

(يتبع)

# الدُّوقُ فِي الْقُرْآنِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم علي أبو الحشب  
المدرس بكلية الشريعة

ورد الذوق في القرآن بمعنى الحس والإدراك ، ومن ذلك ما يقول الله عز وجل لفرعون يوم القيامة توبيخاً له على تعاليه وجبروته ، وكبريائه وعتوه ، وألوهيته وسلطانه ، وغطرسته وجهله : « ذق إنك أنت المرزء الكريم » ، وقوله أيضاً : « فذاقوا وبال أمرهم » ...

وقد اتفق العلماء على أن يقولوا « الذوق الأدبي » أو يقولوا الذوق مجردة من الوصف ، وفي كلتا الحالتين يهصدون من الذوق معنى أدق من الأدب ، وأوسع من التخلق ، وأسنى من اللبافة . وإذا صح أن يكون لكل شيء فلسفة يقصد بها إلى لبابه الخالص ، وراووقه المصق ، ومحضه الصراح ، وصميمه الجيد ، وخياره المتقى ، فإنهم يعمدون حين يطلقون تلك الكلمة إلى أروع معاني الأدب ، وأرقى مكارم الأخلاق ...

والذوق كالجمال لا تحده ضوابط ، ولا ترسمه قواعد ، ولا يكشف عن حقيقته تعريف ، يدرك الناس آثاره ولا يستطيعون تكييفه ، يشيرون إلى هذا المعنى إذ يقولون « والذوق شيء ليس في الكتب » ، لأنه لو كان كذلك لأمكن تحصيله وتأتى للمعدم منه أن يتحلى به ... إلا أنه وإن خلا من القواعد التي يلم بها الطالب ، وعزى عن المسائل التي يكبد في فهمها المستفيد ، ففي صورته من العبر وأمثله من الشواهد ، وألوانه من الآيات ، وجزئياته من الدلائل ، ما يجعلنا نجزم بأنه « هدى الله يهdy به من يشاء من عباده » .

وللعرب قبل نزول القرآن إليهم ، ونشر رأيه فيهم ، وسريانه إلى أفئدتهم وتغلغله في عقيدتهم ، أساليب من الخطاب ، وأنماط من الحديث كلها يدل على جفوة الطباع ، وخشونة التعبير .

ولعلنا لا نغنى أول موقف وقفه محمد صلى الله عليه وسلم يعلن فيهم دعوة السماء ، ويلفهم رسالة الله ، ويأخذ يدهم إلى حيث ينجهون إلى صراط العزيز الحميد ، يوم نادى على الصفا والمروة : « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » ، وكان من أحد قرابته أنه قال له تَبَّالِكَ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ ! وهو رد — كما ترى — لا يحدّر به أن يصدر من إنسان عاды فضلا عن رجل تضمه وإياه صلة ، ويربطه به نسب ، وقضى أبسط قواعد الأدب عليه أن يحاط به ويتلف معه ، إن لم يقف إلى جانبه يناصره ويؤازره ، ويسانده ويماضده ، ويحميه عن يرميه .

ومن العجب الغريب أنهم مع شدة لدهم ، وقوة حجهم ، ووفرة منطقهم وتمائم فصاحتهم ، يتخطون في الجدل ، ويتكبدون السيل في المناظرة ويقولون : « أساطير الأولين اكتتبها » ، ويقول الذين كفروا لست مرسلًا ، ويرمونه بالجنون أو يتهمونهم بالسحر ، ثم لا يكتفون بذلك حتى يضيفوا إليه ما يدل على الخفاقة ويسجل عليهم العليش ، اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، وهو ترجمة لإحساسهم المتبدل ، وشعورهم الجأمة ، ووجدانهم المظلم وعظمتهم الضيق ، وطريقهم الملتوى وتفكيرهم المضطرب . ولو أنك قارنته بما يرد عليهم ، ويتقدم به القرآن بين يديهم ، وإياها وإياكم لعل مدى أوفى ضلال مبين ، لوجدت مدى ما يسمو إليه أدب الخطاب ، وبعرج فيه أسلوب الجسد : لانه لو جابههم بالخطأ ، ورماهم بالنقص ، ووصفهم بالعواية ، لكان زيادة على الهجاء الذي يهجوم به ، والعز الذي يوقهم فيه ، يهيج حفاتهم ، ويثير كامن غضبهم ، ويوقظ الجاهلية الأولى في نفوسهم . . إلى جانب أن الحديث على صورة التشك — هكذا — ربما يعث على التروى والنظر ، والبحث والاستنباط ، وهو الهدف الذي تهدف إليه الآية ، ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفي قصة إبراهيم عليه السلام ما يدل على أن الرسالة كلها لم تكن ترمى بالقول على عواهنه ، أو ترسل الدعوة على سجيته دون أن يكون هنالك فكر سديد ، ونظر رشيد ، ومجال من التدبر بعيد .

ونحن لا نتبين ، الذوق ، في القرآن تمام البيان إلا حين تقابل بعض عباراته بعباراتهم ، أو جملة بمجملهم ، ولا سيما إذا اشتدت لجااجة الخصام ، وحى وطيس المناظرة ، فرأيت ساعته هادى الأسلوب ، وزين التفكير ، سرى المنطق ،

جم الأدب ، لا تحامل فيه ، ولا تحيز معه ، يقول الحق وهو يهدي السبيل .  
مفترنا ذلك كله بالذوق واللفظ .

وما أظن التصور والإدراك ، والشعور والإحساس ، والخيال والوجدان ،  
تحيط بدقة رسم وحكمة تعبير ، لما يكون بين الرجل والمرأة من مداخلة وعشرة ،  
ومخالطة وأنس ، ومودة وحب ، وتعاون وانتفاع ، أكثر من الآية ، وقد أفنى  
بعضكم إلى بعض ، فهي تطوى معاني كان التصريح بها يتنافى مع اللياقة ، وينبو  
عن الأدب ، ولا يتفق والكرامة ، وفي الوقت نفسه تستدر عطف كل من  
الزوجين على الآخر ، لينضى له ، ويتساع معه ، ويتطابق الذوق في أقصى  
بعضكم إلى بعض ، بالذوق في من لباس لكم وأنتم لباس لمن ، فإنهما مع اختلاف  
السياق ، وتباين العرض ، يتلاقيان في جمال الكساية ، ويشتركان في حسن  
الإشارة ، ودقة الأداء ولطف المرمى ، فلا يسي كلاهما أخاه ، ولا يفشى سره ،  
ولا يخلق عليه الذنوب ...

أما عفا الله عنك لم أذنت لهم ، فمبار جديد من الذوق ، وطريقة مستحدثة  
من الأدب ، ولون انفرد به الحكيم الخبير ، ولا يذعن لذلك الحكم ، أو يؤمن  
معنا بتلك الدعوى إلا " من يستحضر في ذهنه غزوة تبوك التي سماها الكتاب  
العزير ، ساعة المسرة ، لما فيها من الحر والجوع ، والقيظ والجذب ، والكسل  
والفتور ، والتواني والعملة ، والتفاق والكذب ، والدهاء والمكر ، والخداع  
والتمويه . وأي لباقة خطاب ، وكياسة تصوير ، وبراعة إبداع ، وخلاصة منطق ،  
تلك التي تلين ذلك اللين في موطن الشدة ، وترقى إلى ذلك الحد فلا تستولى عليها  
حدة ؟ اللهم إنه حديث السماء ، إلى صاحب الخوض واللواء ...

وما أردت بهذه الكلمة بحثاً يستقصى ، أو أمثلة تُنحصى ؛ فإن القرآن كله  
معين لا ينضب ، وبحر زاخر بالثروة ، وكبر لا يفنى له ثراء ، ولكنني فقط أردت  
أن أفتح حديثاً عسائ أن أوفق إلى استطراده ، أو يُسهل الله لغيري سبيل  
امتداده ، في وقت عن أشد ما نكون حاجة إلى كتابتنا نستلهم ونستهديه ،  
ونجتلي الخير مما فيه . رزقنا الله السداد ، وكتب لنا الهداية ، وجعلنا من يتذوقون  
بالقرآن ، ويتفهمون بآياته البينات ، وعظاته البالغات ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

# إمام الأزهر

## الشيخ على الليثي

المتوفى سنة (١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م)

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل النقي

المدرس بكلية اللغة العربية

### نشأته وحياته :

هو الشيخ على بن حسن بن علي ، ولد في بولاق مصر ، سنة ١٢٣٦ هـ ، وتوفي والده وهو حدث يافع ، فانتقلت به أمه إلى جهة الإمام الليثي ، فكان يطلب العلم بالأزهر ثم يعود إليها للبيت بها ، وظل على ذلك بضع سنين ، ثم قدم إلى مصر الشيخ السنوسي الكبير ، فاصداً الحج ، فالتصّل به وحجّ معه ، ولما رجع السنوسي ، إل مصر لم يدعه بل استصحبه إلى جنوب ، ولبت بها مدة يطلب العلم ويفيد ، حتى فارق السنوسي ، وعاد إلى مصر ، فالتصّل بوالده عباس باشا ، الوالي ، فألحقته بوظيفة متواضعة في القصر ، وازدلف إلى الأمير أحمد باشا رفعت ، بن إبراهيم باشا ، الكبير فأدناه منه ، ومكنه من قلبه النظر في خزائنه كتبه ، فأفاد منها سعة أفق وغصب مادة .

ومن الطريف أن سفره إلى المغرب كان سبباً في اتهامه بمعرفة الكهانة والمرافقة ، حتى إذا ولي سعيد باشا ، على مصر أمر بنفي هؤلاء الذين يحتالون على الناس إلى السودان ، فكان المترجم من بينهم ، وقد ظل بالسودان حتى عفا الخديو عنه ، فعاد إلى مصر .

وقد طارت شهرة الليث وذاع صيته ، وهرف بحضور البديهة ، وحسن  
المناداة ، فلما رلى د اسماعيل باشا ، على مصر قربه إليه ، واتخذ منه ومن الشيخ  
د علي أبي النصر المفلوحي ، مدعين له ، يستمتع بشمرهما ، ويستطيب حديثهما .

فلما عزل د اسماعيل ، وخلفه د توفيق ، درج على ما كان عليه سلفه من  
إيثار د الليث ، وإجلاله واصطفائه ، حتى إذا شبت الثورة المرايية كان د الليث ،  
بين من خاضوا غمارها ، وأجهتوا جراتها ، ولكن د توفيقا ، شمله بعفوه ،  
وصفح عن زلته ، وهش له ، إذ تبرأ بقصيدته التي يقول في مطلعها :

كل حال لضده يتحول\* فالزم الصبر إذ عليه الممول\*

بل إنه بعد أن تبرأ من الفتنة المرايية ، وأبان عذره في مسامرة العرايين ،  
زاد قربا من نفس توفيق ، وأحله مكانة ترمقها الابصار ، وترنو اليها العيون ؛  
فقد شيد لنفسه قصرا د بحلوان ، وكان يردد عليه مرتين في كل شهر ، يركب  
من حلوان سفينة بخارية تنقله الى ضيعة د الليث ، د شرق إطفح ، فيؤاكله  
ويقيم عنده ، ومن ثم تُعنى الليث بهذه الضيعة ، فغرس بها أطيب الكروم  
والأشجار ، وأقام بها قصراً أنيقاً يكون للامير واتباعه منزلاً .

وقد كانت هذه الضيعة مقصداً للأدباء ، وكعبة للشعراء والعلماء ، يجردون  
فيها غذاء للروح والجسد ، من ثمار فاكهته وطيب مفاكهته ، وقد كان مسرفاً  
في كرمه حتى إن ضيفائه ليقيمون عنده أياماً وأشهرًا .

ولما نزل بمصر ، السلطان برغش ، ملك د زنجبار ، ندبه الخديو اسماعيل  
لمرافقته ومجالسته ، فأرتاح السلطان لحضته وخفة روحه وعذوبة حديثه ، حتى  
إنه لما عاد الى بلاده كان يمنحه الهدايا الفاخرة كل عام مما تتنازه به هذه البلاد  
من غير وغيره ، فيكون لأصدقاء الليث وخلطائه من هدايا السلطان نصيب .

وإذ قضى د اسماعيل ، تقلص العطف الكريم الذي كان د الليث ، في ظلاله ،  
وانقبض د عباس ، عنه ، ولم يكن لليث من نصيب جناحه بعض ما كان له

من اسماعيل ، فعكف على صيغته ، يستغل زرعها ، ويدمن الاطلاع في مكتبته الضخمة التي ما زال يصم إليها من الأسفار البادرة ، وأمها الكتب الأدبية ما طبع منها وما استنسخ حتى كانت من أوفى الخزائن وأحفظها علماً وأدباً ، ولم يزل كذلك الى أن تآمرت عليه العلل فناء بها أثمرا حتى قضى في العاشر من شعبان سنة ١٣٩٣ هـ فانطلت به صفحة من الانس والصفاء وطول المتاع .

#### منادمته :

كان الليث خفيف الروح ، عذب الحديث ، حسن المحاضرة ، سريع البديهة ، موافق الجواب ، معروفا بطيب السمر ، ورقة المنادمة ، حتى أطلق عليه « سيد التدماء » .

والمنادمة فن دقيق يعتمد على مواهب وفطر خاصة ، ويحتاج في تساوله الى لباقه وكياسة ، وتغلطن إلى مواطن السكينة ، وموقعها من النفوس ، وتفرس فيما يطيب من القول ، ويلذ لسامعه ؛ هذا إلى سرعة البديهة ، والحدق في معرفة الطبايع ، والبصر بمختلف الأخلاق ، وتمييز كل موقف من صاحبه ، والتلقؤ من أدب المفاكهة ، والإلمام بما يش له السامع في شتى أحواله ، وما يرفه به عن نفسه إذا غشيها الملل ؛ على أن الديم قد تحاك حوله الدسائس لتصرف عن جمال نكتته ، وتصد عن التبسم والبشاشة له ، وقد يرتصد له بعض الخبثاء فيفسد عليه غرضه بالنصريح أو الإيماء ؛ فإذا لم يكن حاضر البديهة ، موافق الجواب ، لبقاً في الأخذ بالثني والانصراف عنه ، قادراً على الانتقال من حديث الى حديث ، ومن مقام الى مقام ، فشل في جو السرور والمفاكهة الذي يهيمه ويشرق الانس منه .

وقد كان كل ذلك من مواهب الليث في منادمته ، فإنه ليجمع إلى طلاقة لسانه ، وفيض خاطره ، وحلاوة حديثه ، وحسن بصره بمواطن الحديث ، وتهديه إلى ما يحسن أن يأخذه من القول وما يدع ، روائع من الأدب وأطاييب من البيان ، يصرفها في كل مجلس ، ويديرها في كل مناسبة ، ويعرضها إذا استشرفت

لها الأسماع واهتزت لها العواطف والوجدانات ، فيحلا النفوس أنسا وراحة ، والقلوب بهجة ولذة .

• ولا نحسب أن في شعراء الجيل الماسحى شاعراً يمثل مدرسة الندمان كما كان يمثلها الشيخ علي الليثي الذي ارتقى في هذه الصناعة ، حتى نادم إسماعيل وتوفيقاً ، وبقي من نوادره ودعاباته ما يذكره المتأدبون والمحتشون بأخبار القصور حتى في أقصى الصعيد ، (١)

وقد بلغ من شغف إسماعيل به أن أعد له ولصاحبه الشيخ علي أبي النصر المنفلوطي قاعة خاصة بديوانه يجلس بها كأه أحد رجال القصر الذين توكل بهم أعماله ، وكما قلنا من قبل إن ، توفيقاً ، كان ينزل بضيقه حباً لمناذمته ، وإيثاراً لمفا كته .

ولم يؤثر مما نقل اليانا عن نوادر الليثي ونكاته أنه فرط في كرامته أو أغضى على هيئته على ما تنحيفه هذه الصناعات من أقدار الناس ، فقد ظل ، عالماً ، من علماء الأزهر ، لم تخرج هذه الصناعة كبرياءه ، ولم تتدل به إلى ما يتدلى إليه المضحكون والمهالئون .

وقد خلف الليثي من نوادره وأدبه الضاحك الباسم ما فيه أبلغ المتع والذادات ، وما هو في هذا الأدب الرقيق غرة وجمال ، ولكنه ذهب أشتاتا لم يعن بجمعه ، أو يخلد بإيثاره . وكان في مثله - لو حواه كتاب - ما استروح به نفوس ، وتنبه به صدور ، وتبكد كآبة ، ويذهب ملال .

#### طرف من نوادره :

كان أحد الكبراء يفرغ بالمديفة تفاعلة ليشرب فيها فانقصفت المديفة خلال ذلك ، فرنا إلى الليثي كأنما يطلب القول منه ، فأدا به يرتجل البيتين :

عزت على الندماء حتى إنهم      اتخذوا لها كاساً من النفاق  
ولدى اتخاذ الكأس منه بديهة      لأن الحديد كرامة للراح

وهما آية على صفاء ذهنه ، وحضور بديته ، واستجابة شعره .

ودخل يوماً ومعه الشيخ ، على أبو النصر المنفلوطي ، على الخديو اسماعيل ، وهو منقبض ، وكان الرجلان طويلي القامة ، دميى الخلفة ، فاحى السواد ، فلما أبصرهما اسماعيل ، أخذ يقلب فيهما الطرف ، وينظر إلى طولهما وعرضهما ، فما إن رآه الليثي كذلك حتى شرع يقلب كفاً على كف ، فقال له اسماعيل : ما بالك تفعل هذا ؟ قال : أفكر في أمر أقوله إذا صفع عنه مولاي مقدما ، قال : قد صفحت فقل ، قال : أراي استعرب ما الذي أعجب به مولاي في مدختين مثلي وزميلي هذا ؟ فضحك الخديو وسرى عنه .

ولما أمر اسماعيل أن يكتب على حجرات موظفي القصر لافتات تشير إلى وظيفة من فيها ، أشار المهردار ، أحد كبار رجال القصر بأن يكتب على حجرة الشعراء التي كان الليثي بها ، إنما نطعمكم لوجه الله ، ولما سأل الليثي عن أشار بذلك قيل له إنه المهردار ، فأراد أن ينتقم لنفسه ، فأنهز فرصة جلوسه مع الخديو وحضور المهردار وقال للخديو : إن حادثة وقعت لي اليوم ، فقال : ما هي ؟ قال صفتها رجلاً ، قال : وما هو ؟ قال :

لي طاحونة في البلد      ظلت منها وعقل دار  
علقت فيها الطور عصى      علقت فيها المهر دار

ومر به كبير من رجال القصر لحياه تحية الغريبين بخفض رأسه ، فلم يرقه ذلك ، فمز رأسه كن يقول لا ، فشكا الأول للخديو زراية الليثي به ، فلما سأله الخديو عما صنع معه ، قال : بهز رأسه كأنه يقول تاطحنى ، فقلت له : لا !

• يتبع •

# مآثر الشعر العربي بربيع الإسلام

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد محمود المفلت

المدرس في كلية اللغة العربية

كان للشعر في نفوس العرب منزلة لا تسامها منزلة، ومكانة لا تدانيها مكانة؛ فهو ديوان مآثرهم وبجل مفاخرهم، والسان الناطق بملهم من فضل ومأم عليه من مجد أثيل وعز شاخ. ما من حرب تقوم بينهم إلا كان الذي هاج تارها وأوقد سعيها وشب لظاها الشعر، وما من مسلم ينشر على الناس أعلامه ويضملمهم وأرف ظلالة إلا كان الشعر أساسه وباعته والداعى إليه.

ولا تفتح مغاليق الانفس، ولا تلين قساوة القلوب، ولا تنال المطايا والهبات ولا تجزل المنح إلا بالقول الفاتن والشعر المدافع، الذي يردلف به الشاعر إلى ما يريد من رغبة، ويحتال به على ما يبغي من غرض. ولا تتمر بحال السمر ومحافل العلية إلا بما ينشد فيها من طرائف الشعر وروائع القصيد.

بيد أن رسالة الشعر قبل مبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، كانت قد تحرقت في غالب أمرها عن الوضع الكريم الذي يليق بالإنسانية المهدبة العاقلة، والخلق القويم الذي تصلح عليه الحياة ويستقيم به أمر المجتمع. فكان يصف المرأة أقيح وصف، ويكشفها أشنع تكشف، ويهتك الحرمات ويخرق الحجب والاستار، ويثير العصبية ويوقد الحية، ويحرض الناس على الافتتال والتناحر، ويعثم على التقاطع والتدابير والتنافر.

فكان بهذا سمت وبهذه الروح من معاول الهدم وأسباب الدمار التي منيت بها الحياة العربية، ثم جاء الإسلام بدعوة الإخاء والمساواة، دعوة العفة في القول والفعل والأدب الذي يليق بالمسلم؛ فحرم على الناس الفواحش ما ظهر

منها وما بطن، وحذرهم من باطل القول وزوره، ومن سيء الظن وخداعه وغروره، ودعا أوليائه وأتباعه إلى أن يبتعدوا عن كل رذيلة ويمتنعوا من كل موبقة، وأن يكفوا عن القول والفعل إذا كان في ذلك ما يؤذي نفس مسلم.

أما الإسلام فيهم روح العصبية، وأخذ في نفوسهم حمية الجاهلية، وحظر عليهم أن يلبوا بما يثير النفس أو يذكر بالخصومات أو يحرك كامن الاحقاد ومستور الضغائن.

حرم عليهم شرب الخمر؛ لأنها رجس من عمل الشيطان، وأوجب عليهم حفظ الفروج وغض البصر وكف الأذى وصيانة الحرمات. من هنا وجد الشعراء الذين دخلوا في الإسلام وأشربوا روحه واعتدوا بهديه، وجدوا أدبا غير الأدب، وروحا غير الروح وأسلوبا في الخطاب غير الأساليب التي اعتادوها، وطرائق غير العارائق التي ألفوها، ونحوا من بلاغة الكلام السطح العفيف تدق أعضاقهم، وتقطع نياط قلوبهم دون أن يلفوا مداه أو يقتربوا من حده.

وجد الشعراء أن أداتهم تعطلت، وأن سيدهم إلى ما كانوا يتناولون من المعاني والصور قد قطعت، وأن ما كان يخوضون فيه من ألوان القول دون خوف أو تحرج، قد حظر عليهم الإسلام أن يلبوا منه إلا بما عفا لفظه وشرف معناه. من أجل ذلك تحولوا عن معانيهم التي أجادوها، وأبدعوا فيها إلى المعاني التي يقرها الدين الجديد ويرتضيها؛ بل إن من شعرائهم من امتنع عن قول الشعر في الإسلام، لأن الله أبدل به خيرا منه. فإن لببدا لم يؤثر منه في الإسلام إلا قوله:

الجد لله إذ لم يأتى أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

ثم امتنع بعد ذلك عن الشعر إلى أن وفاة أجله، وقد أرسل إليه عمر يسأله ماذا أحدث من الشعر في الإسلام؛ فقال: أن أبدلت بالشعر سورة البقرة وآل عمران.

والواقع أن تحول الشعر من روحه ومشربه في الجاهلية إلى روح جديدة، وحياة جديدة ومعان ربما ضاقت بها شياطين الشعر، وتختلف فيها أخيلة الشعراء. هذا التحول قد عاد على الشعر بشيء من الضيق وانقباض الأفق، وجعل شعراء الإسلام يحفلون عن كل معنى يتسم بسمة جاهلية أو تنفر منه التعاليم الإسلامية

وفرق بين شاعر يتهب كل معنى يمن له، ويقتصر كل فكرة تنبأ أمامه في أى موضوع وفي أى ناحية، وبين شاعر يستولى عليه التخرج من كل ما يخالف دينه ولا يلتزم مع عقيدته .

فهذا الخطيئة لم يرق الإسلام له طبعاً، ولم يهذب له نفساً، ولم يغير له من سمته، ولم يمدل له من سلوكه ؛ فبقى شعره على ما كان عليه جاهل النزعة زائراً بكل ما يمكن أن يحمله الشعر من معنى خبيث أو مجاهل، ممدح ؛ حتى لقد حبسه عمر ابن الخطاب ولم يطلق سراحه إلا بعد أن هدده بقطع لسانه وأخذ عليه العهد ألا يتناول أعراض المسلمين .

وهذا حسان بن ثابت قد امتزج الإسلام بدمه ولحمه، فترك ما كان يتماطاه شعراء الجاهلية، ولم تزل له بعد ذلك شعراً قوياً إلا قوله في مناقبة أعداء الإسلام ومكافحة خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيما عدا ذلك فقد تحول شعره عما كان عليه في الجاهلية من القوة إلى الضعف .

على أن الإسلام لم يهجن من الشعر إلا لما يحمله من المعاني التي لا تتفق وجلاله، ولا تناسب وقاره وكاله، ولم يفض من شأن الشعراء إلا لما يبدر منهم من سمات وخلائق لا يرضاها الدين، ولا ترتاح إليها الأخلاق الكريمة، والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون . . أما ما عدا ذلك فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينصت للشعر، ويستمع إلى الشعراء ويقول : « إن من الشعر لحكمة » . وكان يأمر حساباً أن يرد على خصومه ويهجر أعداءه .

ولقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم - بعد فتح مكة - ودخلوا المسجد وقالوا : يا محمد جئتاك نقاخرتك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فأذن لخطيبهم، فقام عطاردة بن حاجب بن زرارة : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن ثابت، فرد عليه، ثم قام شاعرهم الزرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا      منا الملوك وفينا يقسم الربع  
ونحن نطمع عند القمط مطعمنا      من الشعراء إذا لم يؤنس القزع<sup>(١)</sup>

ثم ترى الساس تأتينا مراتهم من كل أرض هويًا ثم نصطليح  
فلما فرغ الزبرقان بن بدر ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حساناً بالرد  
عليه فارتجمل حسان قصيدته :

إن الذوائب من فخر وإخوتهم      فد بينوا سنة للناس تتبع  
يرضى بها كل من كانت سريره      تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا  
قوم إذا حاربوا ضروا عدوم      أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعا  
سجدة تلك فيهم غير محذرة      إن الخلائق فاعلم شرها البدع  
فلما فرغ حسان من قصيدته ، قال الأفرع بن حابس حد رجال الوفد :  
والله إن هذا الرجل (يعني محمداً) لمؤتى له <sup>(١)</sup> . الخطيبه أخطب من خطيبنا ،  
ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ، ثم أسلوا .  
فحين نرى أن الشعر حين أخلص في وجهه ، وسلم عما كان يذنه من هتك  
الأعراض ، وكشف الاستار ، كان من أسلحة الدعرة الجديدة ، والآلة  
المجاهدة المكافئة في سبيل تثبيت دعائمها واستقرار قوائمها ، ومن هنا نستطيع  
أن ندرك رسالة الشعر في هذه الفترة التي صلحت فيها الأخلاق ، وتطهرت  
القلوب ، واستنارت الأفئدة ، وأظلم الناس عهد وادع ، يجعله حسن الأدب ،  
وجمال الخلق ، وعفة اللسان ، وسماحة المقال .

كانت رسالة الشعر إذ ذاك رسالة سمحة لا تعرف الفحش ، ولا تحب  
الجهل بالسوء ، ولا تألف الخوض فيما حرم الله . فهي رسالة مستمدة من روح  
الإسلام وتعاليمه الكريمة وآدابه القويمة ، ودهوته الحققة ، إلى معاملة الناس  
أكرم معاملة .

أما من يق على عهد الجاهلية من شعراء هذا العهد فيما يقول وينشد : فقد  
نعمى عليه الإسلام سلوكه وحاربه المسلمون أعنف حرب ؛ لأن لسانه ظل سادراً  
في غيه ممعناً في كفره لم يدخل فيما دخل فيه الناس أفواجا من دين رب العالمين  
وشريعة أحكم الحاكمين . ولقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن سله

(١) أى سهل له في أمره .

ورحطاً من الانصار؛ فقتلوا كعب بن الاشرف من شعراء المدينة اليهود، لأنه شيب  
بنساء المسلمين. وهذا ضايق بن الحارث البرجي هجا بعض بني جدول بن نهشل  
فأخش في هجائهم، حتى رمى أمهم بالكلب فاستعدوا عليه عثمان بن عفان فحبسه.  
وقال له: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لأحبته نزل فيك قرآن وما رأيت  
أحداً رمى قوماً بكلب قبلك. ولقد حبس عمر النجاشي الشاعر الذي هجا بني العجلان  
رطم ابن مقبل بقوله.

وما سمى العجلان إلا بقولهم      خذ المقب وأحلب أيها العبد واجعل  
وكذلك حبس الخطيئة حين أخش في هجو الزبرقان بن بدر، وهدده بقطع  
لسانه لولا أنه مزع إليه، وتلطف لديه واستشفع بأفراخ زغب الحواصل ليس  
لديهم ماء ولا شجر.

وهكذا أصلح الإسلام العقائد والنفوس وهذب الآلة، ووجه رسالة الشعر  
إلى أسنى الأهداف وأنبأ الغايات.

## طلب الرزق

قال عمر بن الخطاب لقراء وم أهل العلم : يا معشر القراء اتسوا الرزق  
ولا تكونوا عالة على الناس.

وقال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك  
عمل من يموت غداً .

وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في العبادة والقوة على  
العمل ، وقالوا : محبته في سفر فأرأينا بعدك يا رسول الله أعبد منه ، كان  
لا يتفطل من صلاة ولا يفطر من صيام .

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : فمن كان يمونه ويقوم به ؟ قالوا : كلنا .  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلكم أعبد منه .

# طاليس

زها حول ٥٨٥ ق.م

لحضرة الاستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

## ١ - المصادر

طاليس أول فلاسفة اليونان ، ورأس الحكاء السبعة . طارت شهرته حتى حكي العرب أنه د حكيم مشهور في زمانه ، وأقارب له مذكورة وآراؤه في الفلسفة بين أهلها مشهورة ، كما يقول القفطي .

وبحسب التحقيق العلمي لحياة طاليس وآرائه أن نبدأ بتحقيق المصادر التي كتبت عنه ويان مرتبة محتها وقتها .

أقدم مصدر هو هيرودوت ، المؤرخ اليوناني الملقب بأبي التاريخ ( ٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م ) وهو أقرب مصدر إلى طاليس ، ولكنه عاش بعده بقرن من الزمان تقريبا ، وبذلك لا نجد مؤرخا معاصرا له يحكي لنا مذهبه . ويسجل هيرودوت في تاريخه أن طاليس تنبأ بكسوف الشمس الذي كان حدا للحرث بين الليديين والميديين . ثم نصيحتة لمدن أيونيا بتكوين حلف برئاسة تيوس . ثم النظرية القائلة بأن فيضان النيل يرجع إلى هطول الأمطار التي تنقلها الرياح الشرقية . ثم الرواية القائلة بأنه نصح كرويس أن ينقل جيشه عبر نهر هاليس بعد تغيير المجرى .

المصدر الثاني أفلاطون ( ٤٢٩ - ٣٤٧ ) وهو يروي قصة وقوعه في بر حين كان يتأمل النجوم ، وقوله : إن كل شيء ملوء بالآلهة .

المصدر الثالث، وهو الأهم من الناحية الفلسفية أرسطو (٣٨٤-٣٢٢) يقول عنه في كتاب «ما بعد الطبيعة» إنه مؤسس الفلسفة، ويسجل مذهبه في أن المادة الأولى هي الماء. وفي كتاب «السماء» إن الأرض تطفو فوق الماء؛ وفي كتاب «النفس» إن كل شيء ملوئ بالآلهة، وإن المغناطيس فيه حياة لأنه يجذب الحديد، وفي «السياسة» قصة الفيلسوف الذي حصل على الثروة باحتكار معاصر الزيتون.

يأتي بعد ذلك مصادر متأخرة، ويسمى أصحابها بالرواة Doxographers وأشهرهم ديوجين لايرس (القرن الثالث قبل الميلاد) الذي يروي لنا قصة حياته. ثم جالينوس الطبيب (١٣٠ - ٢٠٠) وليترس Aetius من مؤرخي الفلسفة في القرن الرابع، ثم سيمبليوس من القرن السادس وهو أحد شراح أرسطو، ثم سويداس Suidas من مؤرخي القرن العاشر الميلادي.

ويقرر هؤلاء المتأخرون أنه كان فلكياً ورياضياً، وأنه عرف العلة الحقيقية لكسوف الشمس، وأنه أول من كشف الدب الأصغر، وأنه نقل علم الهندسة عن المصريين إلى بلاد الإغريق، وعرف بعد السفينة وهي في عرض البحر، وارتفاع الهرم من قياس ظله، واهتدى إلى بعض النظريات الخاصة بالمثلث والدائرة.

فحين نرى أن جميع المصادر متأخرة عن زمن حياته بوقت طويل مما يفسح المجال للإلتعال وإلى نسبة كثير من الآراء إليه ونسج الأقاصيص حوله.

ونحن لا نعرف هل دون آراءه أو لا. ويذهب بعضهم إلى أنه لم يدون ولم يترك شيئاً مسطوراً، ويذهب البعض الآخر إلى أنه ألف كتاباً بعنوان الفلك الأسود Nautical Astronomy، ويعزو إليه بعضهم كتاباً في الاعتدالين، والبعض الآخر كتاباً في العلل الأولى. أما كتاب الفلك فقد نظمه شعراً. ويروي جالينوس عن كتاب العلل قوله «الماء هو المادة الأولى ومنه نشأ كل شيء». ولقد أوضحنا ذلك في المقالة الأولى. وتحدثنا رواية أخرى أن أنكسمندر هو أول من دون في الفلسفة، وله كتاب في الطبيعة. ولا يشير أرسطو إلى أي مرجع عند ذكر طاليس، ولا يدري لماذا يجعل الماء مبدأً.

جملة القول إما أن طاليس لم يكتب على الإطلاق، وهذا هو الأرجح، وإما أن كتبه ضاعت منذ عهد بعيد.

## ٢ - أصله ونشأته :

ليس مولده معروفا ، وقد حدده بعض المؤرخين مثل زلر <sup>(١)</sup> Zeller بأنه ٦٢٤ قبل الميلاد وجعل وفاته عام ٥٤٦ . ولست أدري كيف اهتدى هؤلاء المؤرخون إلى هذا التاريخ ، وكيف حددوا مولده ووفاته . أما برنت <sup>(٢)</sup> Burnet فقد اهتدى إلى أنه كان يعيش عام ٥٨٥ ق . م . وهو العام الذي قلنا إنه زما فيه ، من معرفته يكسوف الشمس ، وقد حسب علماء الفلك أن ذلك الكسوف وقع في ٢٨ مايو ٥٨٥ قبل الميلاد ورجحوا إمكان رؤيته من آسيا الصغرى . وهذا التاريخ هو نفس التاريخ الذي يجعله أبولودورس ، وهو مؤرخ يوناني من القرن الثاني قبل الميلاد ، لازدهار طاليس .

نشأ في ملطية من أعمال آسيا الصغرى ، وكانت مدينة تجارية انتشر فيها الرقيق كأغلب المدن الإغريقية ، وظهر فيها صراع بين طبقة الأغنياء والفقراء . ويحدثنا التاريخ أن الشعب في ملطية انتصر في أول الأمر ووضع السيف في رقاب زوجات النبلاء وأطفالهم . ثم استولى الأشراف على الحكم وحرقوا خصومهم أحياء فأضاموا الساحات العامة بأجساد البشر . وقد قلبت الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مدينة ملطية خلال القرنين السابع والسادس ، إذ كان الحكم في أول الأمر في أيدي أصحاب الأراضي من الأشراف ، ثم اغتصبه منهم الأغنياء من التجار ، إلى أن حكها طاغية يستند إلى تأييد الشعب . وعقدت ملطية أواصر الصداقة مع جيرانها وبخاصة ليديا في حكم الملك كروسس Croesus . ونحن نذكر كيف حدثتنا الأساطير أن كروسس رعى الحكمة اليونانية في زمانه ، وأنه دعا الحكماء السبعة إلى لقائه . وأكبر الظن أن حجة طاليس وهو أول الحكماء السبعة لكروسس في حربه ضد بتريا ، كى يشرف على الأمور الهندسية ، وإنشاء القنوات ، هي التي أذاعت القول برعاية الحكماء السبعة .

ويفسر برنت ما يذهب إليه هيرودوت من أن طاليس من أصل فينيقي بأنه

Zeller : Outlines of the Hist. of Gr. Phil. P. 26-28 (١)

Burnet : Early Gr. Phil. P. 40-50 (٢)

أدخل بعض تحسينات على الملاحة اكتسبها من الفينيقيين . ثم إن أمم والده ويدعى إكزاميس Examyas لا يدل على أصل سامي ، بل هو من كاريبا Karia ، وهي من أورتيا .

#### طاليس في مصر :

وليس من المؤكد أن طاليس رحل إلى مصر ودرس فيها ، ولو أن الأرجح أنه فعل ذلك ، إذ ينسب إليه تفسير فيضان النيل ، وأن مرجع ذلك إلى الرياح الموسمية . ويقال إن أرسطو ألف كتاباً في فيضان النيل عرفه شراحه ، وذكر فيه نظريات ثلاث لفيضانات الأولى لطاليس ، والثانية لاتيمنس ، والثالثة لانكساجوراس .

ويقال أيضاً : إنه اكتسب العلم بالهندسة من المصريين وحله معه إلى اليونان ، ويحكى برقليس في شرحه للكتاب الأول من أوقليدس أن طاليس كان يعرف كثيراً من النظريات : منها تساوى المثلثين إذا اشتركا في ضلع وتساوت الزاويتان المتجاورتان ، وكان يستفيد من هذه النظرية في قياس بعد السفينة في عرض البحر . وأنه عرف ارتفاع الهرم بحساب رياضي ، لا بحساب عملي كما كان المشأور عند قدماء المصريين .

ويقول فريمان <sup>(١)</sup> Freeman : إنه تعلم الهندسة من المصريين وكان كأسلافه تلميذ أهل مصر وبابل ؛ لذلك كان الفضل في امتيازه في علم الفلك والهندسة إلى غيره . ولما كان علم المصريين والكلدانيين لا يتعدى جمع المشاهدات ، واستخدام العلم لأغراض دينية وعملية ، فقد تلقف طاليس هذه المشاهدات ، والتجارب ثم نظمها تنظيماً علمياً ، واستخرج منها المبادئ العامة . وليس معنى ذلك أن العلم عند طاليس كان خالصاً نقياً بريئاً عن المنفعة ، فقد نظر في الهندسة البحرية لفائدة الملاحة وذلك بدراسة الرياح والظواهر الجوية .

فلسفته :

يذهب بعض المؤرخين إلى أن طاليس أول العلماء ، كما ذهب البعض الآخر إلى أنه أول الفلاسفة أو الحكماء . ولا ينبغي أن يروى هذا الخلاف ؛ لأن العلم

والفلسفة كانا شيئاً واحداً في ذلك الزمن القديم . على أن ظهور دأول ، للفلسفة أو العلماء فجأة أمر يدعو إلى التساؤل فلا بد أن يكون قد سبقه غيره ، وقد عنيت مدرسة أرسطو وشراحه بذكر المتقدمين على طاليس ؛ كما ذكروا طاليس متصلاً بالبحث العلمي وقدموه على سلفه .

ويقول أرسطو عنه : إنه « مؤسس هذا الضرب من الفلسفة » يريد الفلسفة التي تضع المشكلة وتحاول الجواب عنها . مثال ذلك : « ما الحقيقة الموجودة وراء الظواهر ؟ » وفي مثل هذه الأسئلة تتجلى أصالته . لقد أجاب طاليس عن هذا السؤال قائلاً : إن الحقيقة هي « الماء » ، كإجابة أولى ؛ لأنه كان يعتقد أن المادة واحدة وليست متعددة . وجميع فلاسفة ملطية ماديون .

لماذا أثر الماء على غيره ؟

يقول أرسطو : إنه أثر ذلك لأنه رأى الدور الهام الذي يقوم به الماء في غذاء الحياة ، حتى لقد تخرج الحرارة منه ما دام الكائن الحي حاراً . والماء كذلك جوهر البنور .

ويعترض بعض المحدثين ، مثل : برنت Burnet على أرسطو بقوله : إن علم الحياة لم يكن متقدماً في عصر طاليس ، وإن قوله بالماء يرجع إلى النظر في الظواهر الجوية . فاختياره الماء ناشئ عن هذا النظر ، وتلك الدراسة . فقد رأى تبدل الماء ثلجاً وبخاراً وضباباً ؛ أما البخار فقد عده الطييعيون الأولون هواء ، ووجدوا بينه وبين الرياح والنفس والحياة . ومع ذلك فقد كانت للطبيعيين الأولين نظرات صائبة في علم الحياة . فهذا أنكسمندر تلميذ طاليس يذهب إلى أن أصل الحياة ناشئ من الرطوبة . ولا يغيب عن بالنا أن طاليس اهتم بفيضات النيل ، وأثر ذلك في النباتات والثمار ، ولا ريب فللماء مدخل في الحياة ، ولقد قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

وبعدنا أرسطو أن طاليس ربما كان قد تأثر بالأساطير اليونانية القائلة بأن « أوقيانوس ، Ocean و تيث Tethys كانا أول كل شيء . ولعله تأثر بأساطير قدماء المصريين ، الذين ساد فيهم مذهب يجعل الماء أصل الكون . وليس ذلك يبعد على من استقى عليه عنهم .

وله رأى في الكون . فهو يقول إن الأرض تسبح فوق الماء . وهذه محاولة لتفسير علاقة الأرض بغيرها من الأجرام السماوية . ويقول أرسطو إن طاليس اختار الماء ليحمل الأرض ؛ لأن كثيراً من الأشياء كالخشب تقوم في الماء لا في الهواء . ويحكى سنكاء قول طاليس إن الأرض تعوم في الماء كالسفينه ، فإذا تقاذفتها المياه أحسنا بالزلزال . وليس يبعد أن طاليس كان يذهب الى أن الأرض آمو في الماء ، لأن النهر يتوقف على الرطوبة .

وأخيراً يعزو أفلاطون وأرسطو إلى طاليس قوله : كل شيء مملوء بالآلهة . وإن في المعتاطيس روحاً تجذب الحديد . وأقام على مذهبه في أن النفس أو الحياة هي التي تحرك الأشياء . فإذا صح قول طاليس فهو من المؤلفة الذين كانوا يعتقدون في وحدة الوجود ، أى أن الله والعالم شيء واحد ، وأنه موجود في كل شيء . وقد سرت هذه الفكرة عنه ، حتى هذه العرب مؤلفاً . قال القفطي ، وهو أول من قال إن الوجود لا يوجد له إلا الله تعالى العظيم .

وشاعت عن طاليس أقاصيص كثيرة ، منها ما حكاه أرسطو في كتاب السياسة قال : يروى أن طاليس رأى بما عنده من معرفة في علم التنجيم والفلك أن موسم الزيتون سوف يكون موفوراً في ذلك العام فاستأجر في الشتاء جميع معاصر الزيتون الموجودة في ملطية . فلما حان موسم عصر الزيتون واحتاج الناس الى المعاصر فرض عليهم ما شاء من شروط ورفع الأجر وضاعفه ميباً أن الفلاسفة إذا شاءوا جمع المال كان لهم ذلك ، ومغزى القصة أن الفيلسوف مشغول عن جمع المال بالتفكير والتأمل وطلب الحقيقة .

وقيل : إنه أول الحكماء السبعة ، ونسبوا اليه أنه راعى العزوبة والعزوف عن الولد ، في مقابل سولون الذي كان راعى الأسرة والزواج والولد . ويقال إن سولون زاره في ملطية . وينبئ أن نظر بعين الشك الى الحكم التي أجراها المؤرخون على لسانه .

وقيل إنه توفى في سن كبيرة من الحر والعطش وزحمة الناس عند مشاهدة مباراة في البطولة الرياضية .

# العز بن عبد السلام

- ٢ -

لمضية الأستاذ الشيخ حسن العماري

مبعوث الأزم إلى السودان

## عمله في البلاغة :

يجمل كثير من العلماء بل من دارسي البلاغة خاصة أن ابن عبد السلام من زمرة علماء البلاغة ولكننا نعهده أنموذجا وحده ، وإذا كان عبد القاهر وأبو يعقوب وأضرابهم ألقوا في البلاغة على أنها قواعد ورسوم ، فإن ابن عبد السلام شغلته فكرة واحدة أخذ يدافع عنها ، ويتناضل دونها ، ويقيم البراهين عليها ، تلك هي وجود المجاز في القرآن ، والمقصومة حول هذا الموضوع قديمة ؛ فقد أنكر وقوع المجاز جماعة : منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية ، وابن حائل ، وناس من جملة الصوفية وبعض من المالكية ، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب ، وأن العدول إليه من ضيق الحقيقة ، والقرآن منزله عن الأول ، والثاني محال على الله تعالى ، وقد نشط العلماء من قديم للرد على تلك الشبه ودحضها ، فألف موزج السدوسي في الرد على من نفي المجاز في القرآن ، ومخبر الجاحظ في غير موضع من كتبه من هؤلاء ، وصنف فيه سلطان العلماء كتابه المسمى : الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز . ولا شك أن جمهور العلماء على وقوع المجاز في القرآن وفي كلام العرب ، وأما شبهة الظاهرية فناشت من عدم التفرقة بين المجاز والكذب ، وعدم الوقوف على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الحقيقة سهلة ميسورة ، وإنما

الشان في تقريب المعنى ، وتجميل الأسلوب ، وضرب المثل ، وروعة الاستعارة .  
ومن سخرية الجاحظ هؤلاء ما جاء في كتابه والحیوان ، عند الحديث عن النحل قال :  
« وقد طعن ناس من الملحدین ، وبعض من لا علم له بوجوه اللغة ، وتوسع العرب  
في لغتها وفهم بعضها عن بعض بالإشارة والوحى ، فقالوا . قد علمنا أن الشمع شيء  
ينقله النحل مما يسقط على الشجر فيبنى بيوت النحل منه ، ثم ينقل من الأشجار  
العسل الساقط عليها كما يسقط التريجين والمن وغير ذلك إلا أن مواضع الشمع  
وآثاره أخفى وأقل ، فليس بقيء ولا رجيع ، ولا دخل للنحلة في بطن قط ،  
وفي القرآن قول الله عز وجل : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال  
بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا  
يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم  
يتفكرون . »

ولو كان إنما ذهب إلى أنه شيء يلتقط من الأشجار كالصمغ وما ينوله من  
طبايع الانداء والاهواء والأشجار إنما تمازجت لها كان في ذلك عجب إلا بقدر ما  
نجد في أمور كثيرة ، قلنا فقد زعم ابن حانك وناس من جهال الصوفية أن في النحل  
أنبياء لقوله عز وجل : « وأوحى ربك إلى النحل ، وزعموا أن الحواريين كانوا  
أنبياء لقوله عز وجل : « وإذ أوحيت إلى الحواريين ، » وما خالف أن يكون في النحل  
أنبياء بل يجب أن تكون النحل كلها أنبياء لقوله عز وجل على المخرج العام . وأوحى  
ربك إلى النحل ، ولم يخص الأمهات والملوك واليماسيب ، بل أطلق القول  
إطلاقا ، وبعد فإن كنتم مسلمين فليس هذا قول أحد من المسلمين وألا تكونوا  
مسلمين فلم تجعلون الحججة على نبوة النحل كلاما هو عندكم باطل ، وأما قوله عز  
وجل : « يخرج من بطونها شراب » فالعسل ليس بشراب وإنما يحول بالماء شرابا  
أو بالماء نبيذا فسماء كما ترى شرابا إذ كان مما يهيم منه الشراب ، وقد جاز في كلام  
العرب أن يقولوا جاءت السماء اليوم بأمر عظيم ، وقد قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيته وإن كانوا غضابا

فزعوا أنهم يرعون السماء ، وأن السماء تسقط ، ومتى خرج العسل من جهة

بطونها وأجوافها ، ومتى حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا ، وهذا الباب هو مفتخر العرب في لغتهم ، وبأسبابه اتسعت ، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة وهذيل وضواحي نجد هؤلاء أصحاب العسل ، والأعراب أعرف بكل صفة سائلة وعسله ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا البيان أو طعن عليه من هذه الجهة <sup>(١)</sup> . وهكذا يصنّب الجاحظ ، ويهدر ويجزأ ويسخر ، ولعله ألف كتابه ( نظم القرآن ) لهذا الغرض ، وقد جاء في كتابه الحيوان فقرات عن كتاب يدّو أنه هو هذا الكتاب قال : « ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والفضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فصلها في الإيجاز واجمع للمعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة . »

أما ابن عبد السلام فهو يجرى الى غايته في هدوء وصمت ، دون أن يتعرض لمن يجادلهم ويرد عليهم ، حتى أنه ترك النص في أول الكتاب على الغرض الذي ألفه من أجله ، ومع ذلك فهو يصل إلى الغاية ، ويقرطس الهدف ، وقد أعانه على ذلك فهم عميق لمقاصد القرآن وأغراضه ، وخبرة واسعة بالتأويل وعلم جم بأساليب العرب ، وتصرفها في لغتها ، وذهنية مواتية مسعفة .

يظهر أثر كل ذلك في كتابه ، فهو يتتبع التفسير آية آية ، ويذكر ما يكون في الآي من حذف ، وما يترتب على ذلك من مجاز ، وربما عمد إلى المجاز وحده فاستخرجه من الآية ، ويعرض كثيرا للسان البلاغة غير المجازية ، وقد تحدث عن كل ألوان المجاز فذكر المجاز المرسل وعلاقاته ، والمجاز العقلي وعلاقاته ، وتحدث عن الاستعارة ، وذكر المجاز في الحروف والمجاز في الأفعال ، وقد ألف كتابه قبل أن تقعد البلاغة على طريقة السكاكي فراء يجمع كل شيء إلى شبيهه ، فهو مثلا يتحدث عن خروج حروف الاستفهام إلى معان مجازية عند الكلام على الاستعارة في الحرف ، كما يتحدث عن الالتفات في الفعل عند الكلام على الاستعارة التبعية في الأفعال ، وهذه أحسن من طريقة السكاكي وتابعيه الذين وزعوا هذه المباحث في أبواب متفرقة ، بعضها في علم المعاني ، وبعضها في علم البيان .

(١) في هذا النص كلمات غير واضحة لعلها من خطأ لطبع ، ولم ائتد الى تصحيحها .

وقد سلك ابن عبد السلام في بيان الحذف في القرآن طريقين ، فابتدأ أولاً بذكر نوع المحذوف ، فهذا فصل لحذف المبتدأ ، وذلك لحذف جواب الشرط ، وثالث لحذف المضاف إليه وهكذا ... ثم يعود فيعرض ، فيرتب سور القرآن ويذكر ما في كل سورة من حذف ، ويتخلل هذا البحث قواعد بلاغية فيقول مثلاً : حذف المفعولات ضربان : ما يصير الفعل فيه كاللازم الذي لا مفعول له ؛ كقوله : والله يبيي ويميت ، والثاني ما ليس كذلك ؛ كقوله : الذي خلق فسوى ، أما قوله تعالى : : أحصك وأبكي ، فيحتمل الأمرين ، وهو في هذا الموضع — كما دلت في كل موضع — يذكر شواهد كثيرة من القرآن ، وقد جرى على قاعدة في تقدير المحذوف عبر عنها في قوله : : تقدير ما ظهر في القرآن أولى في بابها من كل تقدير ، وذكر أمثلة منها قوله تعالى : : فن ينصرتي من الله إن عصيته ، ؟ تقديره فن يمنني من بأس الله إن عصيته ؛ لأنه قد ظهر في قوله فن ينصرتي من الله إن عصيته ، وبكاد كتابه يكون استقصاء لمواضع الحذف في القرآن ، فهو من هذه الناحية ذو فائدة كبيرة لمن يتفهم مزالق التأويل ، ويتبهيب مزالق التفسير ، ومع ذلك فالكتاب يتضمن قواعد بلاغية ذات بال ، وقد تناولها المؤلف تناولاً سهلاً لا تعقيد فيه ، ولا جملجة ولا اضطراب . من ذلك قوله : : وأما وصف الماعل والمفعول بالمصدر ، فقد قيل إنه من مجاز الحذف ، وقيل إنه من مجاز المبالغة في الصفة ، ويجوز أن يكون بعض ذلك من مجاز التعبير بالمتعلق عن المتعلق به ؛ كالتعبير بالأمر عن المأمور به وبالمهزوم عن المهزوم به ؛ لأنهما قولان عبر بهما عن متعلقهما ، وكذلك التعبير بالسمع عن المسوع وقد يكون بين محلي الحقيقة والمجاز تعلقات متنوعة يصح التجوز بكل واحد منها على ما سنذكره في صفات الرب سبحانه وتعالى ، ومن أمثله في هذا الموضع : فاحتمل السيل ذبداً رايباً ، أي الماء السائل ، والسماء ذات الرجوع ، والأرض ذات الصدع ، المطر الراجع في كل عام والنبات الصاعد للأرض ، إنه لقول فصل ، . ومنها قول الشاعر :

ترتع ما رنعت حتى إذا أدكرت      فإنما هي إقبال وإدبار

أي هي ذات إقبال وإدبار ، ثم يقول ولك أن تقدر مثل هذا في جميع ما ذكرناه .

وهنا نراه استشهد بييت من الشعر ، وليست الشواهد من هذا النوع مستفيضة في الكتاب ، ولكنه يذكر منها جملة صالحة .

وقد يتناول الآية فيذكر ما فيها من أنواع البيان . يقول في قوله تعالى : «الر . كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور ياذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » أي بمشيئه ربهم أو بأمر ربهم إياك بذلك ، فالإذن من مجاز الملازمة - أي المجاز المرسل - والظلمات والدور من مجاز المشابهة - بمعنى الاستعارة - ونسبه الإخراج إليه صلى الله عليه وسلم من مجاز نسبة الفعل إلى سببه كما ذكرناه أما - بمعنى المجاز العقلي - . وقد لاحظت أنه يتفق في كثير من القواعد مع عبد القاهر ، إلا أن هناك دلائل كثيرة على أنه لم يطالع على كتابيه في البلاغة ، وحسبنا أن عبد القاهر ذكر الاستعارة والعلاقة وما إليهما من الالفاظ الاصطلاحية ولا أثر لها في كتاب ابن عبد السلام ، على أنه لو اطلع على دلائل الإعجاز لكان له فيما أعتقد منهج آخر في تقدير بعض المحذوفات ، ولكان لهذا الكتاب نسيم في كتابه على الأقل ، أما السكاكي فكان معاصرا للمؤلف على أن طريقتيهما مختلفتان جد الاختلاف .

وكما يذكر بعض القواعد الهامة ، يعتمد إلى نوع آخر له قدره في دراسة البيان ، ذلك أنه يذكر الكلمة ترد في القرآن الكريم فيذكر ما استعملت فيه من أنواع المجاز ، ومن أمثلة ذلك كلمة «الركن» يقول : فهو حقيقة في أركان البناء التي يعتمد عليها ، ثم يتجاوز به عن العشرة المعتمد عليها في النصر تشبيهاً للاعتماد عليها باعتماد البناء على الأركان ، ومنه قوله تعالى «أو آوى إل ركن شديد» ويتجاوز به عن القوة لأن المرء يعتمد على قوته في مثل قوله تعالى «فتولى بركنه» أي بقوته ، وفي مثل قول عنزة :

فا أوهى مراس الحرب ركني ولكن ما تقادم من زمان

وقد يتجاوز به عن الجنود الذين يرجى نصرهم للاعتماد عليهم في مثل قوله : «فتولى بركنه» على قول آخر . وماحية نائلة في هذا الكتاب . وذلك أنه إذا أخذ في معنى من المجاز استقصاء ، ومن أمثلة ذلك - وهي كثيرة - حديثه عن التهمك ، يقول : وأنواع التهكات كثيرة منها قوله تعالى : «هذا نزلهم يوم الدين» ومنها قول عمرو بن كلثوم :

## قريناكم فمجلنا قراكم فيل الصبح مرواة طحونا

ومنها قول العرب : عتابك السيف . وقول الشاعر : تحية بينهم ضرب وجيع ،  
ومنها قوله سبحانه وتعالى : فأتائبكم غماً بكم ، ومنها قوله : هل ثوب الكفار  
ما كانوا يفعلون ، والمراد بالثواب ها العقاب ، وقوله : هل أنبشكم بشر من  
ذلك مثوبة عند الله ، أى عقوبة عند الله ، فإن الثواب هو الجزاء بالخير ، فإذا  
أطلق لفظ الثواب على الشركان تهكاً واستهزاء ، ومنها قوله : وان يستغيثوا  
يغاثوا بماء كاللؤلؤ يشوى الوجوه ، ، أما قوله يستغيثوا خفيفة معناه يطلبون  
العوث من شدة العطش ، وأما قوله يغاثوا فتهكم واستهزاء بهم إذ لا عوث فيما  
يشوى الوجوه ، ومنها قوله : فيشرهم بعذاب أليم ، ، وأما قوله : إن هذا  
القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً  
كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ، فإن البشارة  
فيه باقية فيه على حقيقتها : لأن الله بشر المؤمنين بأنه يأجرهم أجراً كبيراً ،  
ويأن يعذب أعداءهم عذاباً أليماً ، ومن أخبر بعقوبة عدوه وإهانة كان  
ذلك إهانة له .

ولا ينسى أن يتحدث عن التشبيه وضروبه ، وعن الكناية وتعريفها  
وأمثلها ، وكونها من الحقيقة أو من المجاز ، وعن المجاز على المجاز ، والجمع بين  
الحقيقة والمجاز ، وقد رأيت العلامة الصبان امتد على رأيه في الجمع بين الحقيقة  
والمجاز عند الحديث عن التضمنين في باب تعدى الفعل ولزومه ، وفي الكتاب  
بعض الفوائد النحوية والصرفية ، ولكنها قليلة ، وبحوث أخرى لاتعلق بالبلاغة ،  
كالكلام عن بيان اللغات التي نزل بها القرآن وعن مقاصد القرآن ، وعن جملة من  
المواعظ ، وفي ختام القول قول مع قاضى أسوان شمس الدين عمر بن عبد العزيز  
ابن الفضل تليذ المر :

جاوزت حد المدح حتى لم يطق نظماً لفضلك للورى نظام

فمليك يا عبد العزيز تحية وعليك يا عبد العزيز سلام

# قصص الفآزالسكهم

لعضيلة الأستاذ الشلخ عبد الفى الراجى

مبعوث الأزهر فى كلية المقاصد الإسلامية صيدا - لبنان

إننى سأخوض فى قصص القرآن على طرقتى الخاصة التى طالما نومت بها على صفحات هذه المجلة للقرآن : المعانى واحدة أو كالواحدة ، لكنها تذكر فى أكثر من موضع بعبارات تختلف إيجازا وإطنابا ، وتهدىما وتأخيرا ، وذكرى وحذرا ونحو ذلك .

لقد تناولنا فىما مضى بالمقارنة والتحليل بعض آيات من غير القصص تتجلى فيها هذه الظاهرة ، وتناولنا كذلك فىما مضى بالمقارنة والتحليل بعض آيات من قصة واحدة تتجلى فيها هذه الظاهرة ، ونريد فى هذه الجولة أن نتناول بهذه الطريقة فئات من الآيات فى أكثر من قصة واحدة تتجلى فيها هذه الظاهرة .

وإذا كان ذلك كذلك ومكان قصص الرسل يحكى أقوالا قيلت من الرسل لأقوامهم ، وأقوالا قيلت من الأقوام لرسلهم ، ثم يبين ما آل إليه هذا الصراع مع التعليق عليه <sup>(١)</sup> ، فإننا سوف نجعل كل قبيل من هذه الفئات الثلاث مرحلة من مراحل البحث ، نقتعد فى كل مرحلة ما يترامى لنا من مفارقات فى الآيات التى تضمنى تحت لوائها ونخضع لموضوع بحثنا ، بما يتفق ويفترق ؛ أما ما يفترق ولا يتفق أو يتفق ولا يفترق فليس لبحثنا فيه ، وليس له فى بحثنا كبير مجال .

المرحلة الأولى فى الآيات التى تحكى أقوال الانبياء لأقوامهم وفيها مفارقات :

(١) راجع القصص فى السور : الاعراف ، هود ، الصافات ، المزمنون ، وغيرها فانك واجده وهو لا يكاد يخرج بك من ذلك .

المفارقة الأولى : قصة نوح سورة الأعراف : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله . قصة نوح سورة المؤمنون : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله .

قصة هود سورة الأعراف . وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله .  
 . . . هود : وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله .  
 . صالح . الأعراف : وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله .  
 . . . هود : وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله .  
 . شعيب . الأعراف : وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله .  
 . . . هود : وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله .  
 . . . المكثوت : وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله .  
 . نوح . نوح : إما أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم ، قال يا قوم اعبدوا الله .

أقوال الرسل لأقوامهم حكيت نارة على سبيل الاستئناف ، وأخرى على سبيل العطف بحرف الفاء ، فإذا كان كل من الفصل على تقدير سؤال والوصل بالعطف بالفاء جائزاً بلاغة في أى موضع من هذه المواضع ، فهل من مرجح لوجود كل طريقة حيث وجدت ؟ الجواب : نعم ، ومرجح عظيم . فإن قصة نوح أصل لهذه القصص كلها ، خارجاً لأنه أول رسول ، وحكاية لأمها تصدّرتها في هذه السور وغيرها . ولما كان الذكر أصلاً والحذف فرعاً . كان أطراد الوصل بحرف الفاء في قصة نوح مع أطراد حذفه في غيرها ، من وقوع الأصل في الأصل والفرع في الفرع . ومن توابع ذلك أنه أطرد فيها التصريح بفعل الإرسال وتبعه أطراد التصريح بحرف الفاء لعطف القول على الإرسال دون شيء من ذلك كله في بقية القصص . ومن وجه آخر : قد كان نوح في تبليغه الرسالة أعنف وأشط من جميع هذه الرسل ، وحرف الفاء أشد مناسبة لهذه المعاني لإفادته المصارعة . . . ومن وجه ثالث : كان تقدم قصة نوح على سائر القصص مدعاة لذهن السامع ، بعد إحاطته بما فيها من معانٍ وحين يشرف على ما بعدها من القصص ، أن يستشرف

ويتشوف لمعرفة سال ما بعد نوح فكان ذلك في معنى سؤال يناسب الاستئناف  
إجابة عليه (١).

لم يشذ عن هذا التحريج ويخرج عن هذه القاعدة إلا قصة نوح في سورة  
نوح؛ فقد حكى القول فيها بطريقة الاستئناف دون العطف؛ وقصة شعيب  
في سورة العنكبوت فقد حكى القول فيها بطريقة العطف دون الاستئناف.  
ولعل ذلك - والله أعلم - لأن القصة في الموضوعين سيجاً آخر جعل المدى يطول  
بين فعل الإرسال والقول في قصة نوح، فكان الفصل أنسب، وجعل قصة  
شعيب تضغط ويهدف فيها إلى النهاية التي حكيت بحرف الفاء المترادف في قوله  
تعالى: فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، فكان حرف الفاء  
في صدرها أنسب.

المعارقة الثانية: سورة الأعراف قصة نوح: قال يا قوم ليس بي ضلالة  
ولكني رسول من رب العالمين. أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله  
ما لا تعلمون. أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا  
ولعلكم ترحمون.

وفي سورة الأعراف قصة هود: قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني  
رسول من رب العالمين. أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين. أو عجبتم  
أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء  
من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون...  
هذان القولان من نوح وهود لقوميهما، يشتد بينهما التشابه ومظاهر الاقتران  
فيهما نحصرها فيما يلي مع الإجابة عليها.

أولاً: يقول نوح: ليس بي ضلالة، ويقول هود: ليس بي سفاهة. وجوابه  
أن كلا منظور فيه إلى السابق. فقول نوح سبقه قول قومه له: إنا لراك في ضلال

(١) تركز هذه الاجابات على مسائل لا تنوع الاقضية بها أثناء هذه الفحواة إنما يرجع الى  
تحقيقها في مظانها، وذلك ككون كل من الوصل وقصص جازراً بلاغة في هذه المواضع وكون الله كراً أصلاً  
بالنسبة للحدث، وكون قصة نوح أصلاً بالنسبة لغيرها عارفاً وحكاية، وكون نوح كان أمضى في رسالته  
وأكثر مجاداة قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً.

مبين ، وقول هود سبقه قول قومه له : إنا لنراك في سفاهة . فاشتغل كل نبي بتق  
ما رى به خذوك الشيء بالشئ . ولكن لماذا رى نوح بالضللال ، وهود  
بالسفاهة ؟ كلام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير سورة الأعراف أن هوداً  
كان يدعوهم إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، ويبين أنها باطلة لا تملك شيئاً ،  
فكذبوه فى دعوته ، ونسبوه إلى السفاهة والتناول على الأصنام والقدح فى ذاتها  
ودات من عبدها منهم ومن آبائهم . أما نوح فكان يقول ذلك لقومه ويردد  
أنه يأخذ فى صنع السفينة فوق البر ، فلأنهم لم يكن لهم عهد بالسفن ، أو لأنه كان  
يصنعها حيث لا ماء ، فلم يفقهوا سر عمله ، رموه بالضللال ، وهى كلمة منتشرة فى المواقع  
شاملة لكل خطأ فكأنهم أرادوا أنه ضال عن الصواب فى كل ما يأتى ويذر .  
هكذا يؤخذ من كلام الرازى . لكن الذى نعرفه ، وتدل عليه القصة فى سورة  
هود . أن نوحاً لم يأخذ فى صنع السفينة إلا بعد اليأس من قومه وانتهاء أدوار  
المجادلات والمقارلات ، فلا جرم قد كان رمية بالضللال قبل الأخذ فى صنع  
السفينة . فالأظهر عندى - إذا كان لمثل عند - أن اختلاف الضلال مع السفاهة  
لاختلافه فى ذاته ضمن حكى عنهم ، واختلافه فى ذاته عما لا سؤال فيه لأن كل  
قوم كما بدا لهم تكلموا ، وبما قذف الشيطان فى نفوسهم لفظوا . هذا من وجه ، ومن  
وجه آخر لعله أوجه : أن الرى بالضللال أعلى فى الطرفين من الرى بالسفاهة  
على ما سبق بيانه فى كلام الرازى ، وقوم نوح كما لفظ القرآن عنهم . كانوا هم  
أظلم وأطغى . لكن ما بال السفاهة بالناء فى قول قوم هود له : إنا لنراك فى  
سفاهة ؟ والضللال بدونها فى قول قوم نوح له : إنا لنراك فى ضلال ؟ . هلا  
سوى بينهما تذكيراً أو تأنيثاً أو عكس الحال ، وكل ذلك جائز عريية ؟ الجواب  
أنه إن جاز عريية فإنه لا يجوز بلاغة ، فكل طريقة بموضعها أصابت المحز لا تصلح  
فى غير موضعها ، ولا يصلح غيرها فى موضعها . فالضللال أعم وأدل على المراد من  
الضلالة لإيهامها الوحدة ، والسفاهة أبلغ وأدل على المراد من السفه لأنها مصدر  
مضموم العين ، وهو مصدر مكسور العين ، ومضمومها يفيد من قوة الاتصاف  
وملازمة الصفة للوصوف مالا يفيد مكسورها حتى لتقول كتب اللغة : وهذا

الباب للأوصاف الخلقية، وهي التي لها مكث. ولك أن تحول كل فعل ثلاثي إلى هذا الباب للدلالة على أن معناه صار كالغريزة لصاحبه (١) .

ثانياً: يقول نوح لقومه: وأطيعوا لأمركم، ويقول هود لقومه: وأنا لكم ناصح. فالأولى جملة فعلية تفيد التجدد والحدوث مرة بعد أخرى، والثانية جملة اسمية تفيد الثبوت؛ وذلك لأن نوحاً رمى بالضلal وهو من صفات الأفعال التي تتجدد ويتقل صاحبها من فعل إلى فعل، وهوداً رمى بالسفاهة وهي أشبه بالملكات الثابتة، فكان رد كل شبهة على شاكلتها؛ وإما لأن نوحاً كان أمضى كما مضى في تبليغ الدعوة وتحميد التصح لقومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً.

ثالثاً: يقول نوح لقومه: أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون. ويقول هود لقومه: أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء.. الخ

ففي مقالة نوح دون مقالة هود قوله: ولتتقوا ولعلكم ترحمون. ويقول الفخر الرازي فيها: إنه حيث سبق ذكرهما في قصة نوح علم أن الإنذار عاقبه التقوى والرحمة لمن اتبع به، فحصل الاستغناء عن إعادة ذلك في قصة هود التالية لها. وأولى منه أن نقول: إنه سبق للتقوى ذكر في نفس قصة هود في مقاله الأولى لقومه، اعبدا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون. فأغنى ذلك عن إعادتها وليس لها سابق ذكر في أقوال نوح لقومه، كما أن قول نوح لقومه: ولستم ترحمون قريب من قول هود لقومه: لعلكم تفلحون، عقب تذكيره لهم بما اختصوا به دون قوم نوح من كونهم خلفاء قوم نوح في الأرض وزادهم الله بسطة في الخلق والآلاء.

(١) شذا العرف في مر الصرف الفصح الملاوي: التقسيم الثالث للفعل بحسب التجرد والزيادة.

# نجاو الشُّعُور

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المقم أبو سعيد

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

حديث شريف

هذه صفة تضع الإنسانية على أقوم أوضاعها ، وتجيء منها في أهم مميزات ، وهي تعبر عن أنبل ما في الإنسان من شعور ، وأدق ما فيه من حس ، وما يسمو به عن رتبة الأحياء الأخرى ، حتى قيل : « الإنسان حيوان ذو عطف » ، وبذلك اعتبرت خاصية مميزة له ، رافعة للشركة ، وبما لا ريب فيه ، أن الإنسان حيوان بغض إذا كان لا يشعر بمكان هذا الشعور ، أو تجرد منه ، فالإنسان لا يشعر بالفردية وحدها ، وإنما يجد تمامه في هذه الصفة ، ولذلك قيل : « الإنسان مدني بطبعه » . فهذا الشعور في حدوده تكتمل عليه الإنسانية في حدودها ، فلولاً المشاركة الوجدانية التي تخفف من حدة أمانيته الجارفة : لكان الإنسان أسوأ أثراً من أي حيوان آخر : وهو بين الأناية وهذا الشعور في مد وجزر : بين الشر والخير ، والباطل والحق ، إذا انتصر أحد الشعورين تبعه لازمه بدون تخلف أو انفكاك ، ولن نجد إنساناً فاضلاً إلا وعنده أوق قسط من هذا الشعور السامي : فهو روح إلهي في طبيعة بشرية ، ومعنى غيبي في حروف من أشباح الوجود ، وكذلك تمطى يد الله بمض المسالم الحية سراً من أسرارها ، يكون لها به ما للأحجار الكريمة من البهجة والرواء ، وتمسحه بميمس نورها ، فيبدو درة وضيفة في حدود المادة المظلمة ، وهذا بعض من إعجاز الله في الخلق ، أو جانب من دلائل القدرة الغيبية في الناس .

وهذه المعالم الحية تستق من طينة الإنسان وطبيعته ؛ لتبلغ بهم العظمة ، وتم فيهم حجة الله ، ومؤلاء يكونون من النوع الإنساني كمنى الإنسانية ، فيهم حقيقته وفيهم معناه السامى ، وهذا السر فى إكبار الجماعة لأوثك الرموز البشريين ؛ لأن فيهم ما توزع فى الجماعة على مثل عدسة البلور تجمع خيوط النور وتضمها فى بؤرة ؛ لتعكس شكلا متجانسا من أشكال ، متفاوتة ، فهذا المعنى السامى وذلك الشعور النبيل هو مدار العظمة والشخصية ، وإن لم يتضح فى ظاهرة أو ظاهرات محدودة ، ولم يتحدد كما لو وضعت عليه اليد ، فلم يزل يهزو القلوب ، ويتنعم من النفوس مناطقها الخفية .

ولعل الإسلام هو الدين الوحيد الذى أقام كل تعاليمه الروحية والزمنية على أساس من هذا الشعور ، وزاد مبالغة فى الاعتداد به ، أن جعله قاعدة الإيمان ، فإذا كان الإسلام فى أعمال الظواهر قد بنى على خمس ، فإنه فى المنطقة الإيمانية لا يقوم إلا على تحقق هذا الشعور ؛ فالتبى صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، فهو يجعل تمام الإيمان وكأله موقوفا على أن يحب المؤمن للمؤمن ما يحبه المؤمن لنفسه ، والإنسان لا يجب أن يكون إلا حيث السعادة والهنامة ، والصمائية والسكية .

فالإسلام أقام تعاليمه على النفع ، وتبادل الحب ، والاستواء فى أسباب الإحاء ؛ ليضع التصميم الصحيح للحياة البشرية ، وقد استطاع النبى صلى الله عليه وسلم أن يقدم للعالم أجمع فى وقت وجيز هذا الأنموذج المحكم ، فكان فى تجانسه ونظامه شيئا مدهشا ، وطويلاً معجباً بلغ من الإتقان غايته ، ومن السكال نهايته وحين قدر لهذا العالم أن يفتح عينيه على حقائقه سارع الناس فى دين الله أفواجا . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لجرير بن عبد الله البجلي وقد جاء يأييه على شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله : « والنصح لكل مسلم » ، لجعل المشاركة الشعورية صنواً لكلمة الشهادة ، ولعل ديننا من الأديان لم يبالغ فى اعتبار هذا الجانب مثل دين محمد صلوات الله عليه ، وهكذا جاءت صحابته فى دقة الشعور نحو الغير كالموازين لا يغوتها منه شئ . « يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، وفى قصص عمر رضى الله عنه عبرة وذكرى ، وخطة فوق مناهج الناس .

وندع الآن الحديث للرواة فيما حفظوا من آثار في هذا الجانب ، فقد روى ابن عساكر في التاريخ الكبير عن أبي هشام :

أن سائلاً خرج يتخلى أزقة المدينة ، حتى أتى باب الحسين رضى الله عنه ، فصرع الباب ، وأنشأ يقول :

لم يحب اليوم من رجاك ومن حرك من خلف بابك الحلقة  
أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفقه

وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلى : تخفف من صلاته ، وخرج إلى الأعرابي ، فرأى عليه أثر ضرر فاقصة ، فرجع ونادى بخادمه ، فأجابه : ليك يا بن رسول الله ! قال : ما تبقى معك من نفقتنا ؟ قال : ماتا درهم أمرتني بفرقتها في أهل بيتك ، فقال : ماتا ، فقد أتى من هو أحق بها منهم ، فأخذها وخرج يذهبها إلى الأعرابي وهو يقول :

خذها فإن إليك معتذر واعلم بأن عليك ذو شفقه  
فأخذها الأعرابي وولى وهو يقول : والله أعلم حيث يجعل رسالته .

مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا  
أنتم أنتم الأعلون عندكم علم الكتاب وما جاءت به السور  
من لم يكن علواً حين تنسبه فما له في جميع الناس مفتخر

كما روى أنه عليه السلام دخل على أسامة بن زيد وهو مريض : فسمعه يقول : واغشاه ، فقال له الحسين : وما غشك يا أخى ، قال : ديني وهو ستون ألف درهم . فقال الحسين : هو على . قال : إني أخشى أن أموت . فقال : لن تموت حتى أقضيها عنك ، فقضاها قبل موته .

ولعل هذه أصدق صورة تمكس علينا ما نهدف إليه ، فقد تأثر إلى حد كبير بهذه العاطفة ، وشعر بشعور أسامة رضى الله عنه . فهو يشارك الناس ما يقع في وجدانهم ، ويحس بنفس الإحساس الذى يمر في سماوة نفوسهم ، فيألم إذا تألموا ، ويسر إذا سرورا .

وهذا أعرابي يأتي مسجد رسول الله ، فيعقل ناقته يباب المسجد ويدخل ، وكان الحسين رضى الله عنه جالساً فيه ، كما كان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية

منه ، وعنته بن أبي سفيان في ناحية أخرى ، فوقف الاعرابي على عتبة وسلم فرد عليه السلام ، فقال الاعرابي : إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً ! فرفع رأسه إلى غلامه وقال له : إُدفع اليه مائة درهم . فقال الاعرابي : ما أريد إلا الدية تماماً ، ثم تركه ووقف على عبد الله بن الزبير وقال مثل ما قال لعتبة ، فقال عبد الله لغلامه : إُدفع إليه مائتي درهم . فقال له : ما أريد إلا الدية تماماً وتركه ، وأتى الحسين ، فسلم عليه وقال : يا ابن رسول الله ! إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية فهل لك أن تعطني شيئاً !

وهنا يتجلى أنبل شعور ، وأجل إحساس في سيد الناس وابن سيدهم ، فيأمر له بعشرة آلاف درهم ليقتضى بها دينه ، وبأخرى مثلاً ؛ ليلم بها شعثه ، ويحسن بها حاله ، وينفق منها على عياله .

فهو يعطيه لاجودا خصب ، وإتقاناً مواساة منه ، ومشاركة له في ملته بزلت به . وإن حضا على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد إذا تألم عضو منه .

وكأن في المسلم الحق وله اتصالات تربطه بكل الناس ، وله في قلبه جهاز مرهف حساس يشعره بشعورهم ، فيواسي المكلوم ، وينصر المظلوم ، ويعطي المحروم ، ويذل المعروف ، ويفيك الملهوف .

ولإني لأرى أن الذي لم يتمتع بهذا الشعور النبيل أصم النفس ، لم يتصل بإطنه بنعمة الوجود ، فهو يعيش في عالم مهجور قفر ليس فيه حي ولا حياة ، أنكر ما يحبه الناس . فأنكر الناس ما يحبه ، وبعد عنهم فبعدوا عنه ، وعاش في وحدة قاتلة ، لا يحمده من يسلبه أو يكرهه ، ونسى أو تناسى أن الشريعة الغراء بالغة في وجوب محبة بعضنا لبعض حتى جعلتها شرطاً في الإيمان ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا .

وما أجل أن نرجع إلى تعاليم ديننا ، وسنة نبينا ، مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

## عجالات في الأدب :

### لمحات خالدة

بقلم الأستاذ كامل محمد عجلان  
المدرس بمعهد القاهرة

في البيان المخلد والإشراق المصنع ، والتعابير الموشاة والألفاظ المتخيرة عند أدباء العرب . صور لمحة وضاء نابضة بالحياة تلمس في موحياتها صبغة الإنسانية ولون العالمية المحددة ما بقيت الحياة والاحياء .

وإذا عرف التراث العربي بخصائص المجتئين في التتوق اللفظي والإبداع التميزي وصوغ ، القوالب ، التي تجرى على الألسنة وتعلق بالأسماع وتلبى تداعى المناسبات ، في كل موقف نفسى أو مدرج فكري إذا عرف التراث بهذا وبغيره من المميزات ، فإننا نعلم الماضين من عباقرتنا ومفسى الخلود في أدب العرب عامة والإسلام خاصة . إذا أغفلنا حكمتنا وتابعتنا فيه خطوات الأفلام التي تعبر دون أن تعمق في مسائل العبقرية الخلاقة ، والفرجة الثرة من منابع عاصمة بموارد تغذى النفس وتروى العاطفة وتلهب الحواس وتقيم وتقوم الفكر ، وأجيرا تسمع عن الكاتنين سمائب أرهقت حصول نتائجهم من جهامة الزوابع المفرضة والعواصف المحتربة بين معارك المتعصبين ضد الأدب العربي .

والأدب الصراح — يعلم الله — براء من معايير تقوم على التحيف والسبح قرب شواطئ تخمض الضحل من المعاني والأفكار ، والكدر من الأغراض الهزيلة والأهداف السطحية فيما يهم الفرد ويمحزب الجماعة .

• • •

وإني لواضع أمام القارىء قدراً مقبوساً من أثر الجاحظ ، وهو معروف بغزارة الترادف ، وإطالة اللفظ في تكاثر بياني ، وتدقيق مطلب مطيل .

واخترت من براعة الجاحظ متعمداً الإصرار على أن المطب الصناع لا ينسى ما وراء أثره من تظليل الصورة النفسية، وإرسال أشعاع الجمال فيها إلى مدى فسيح يريح المتأمل في الإطار، والمتروى في أصل الفكرة، والمتأسى بالفرض الأول عنده، إذا كان هلى بيئة مقتدرة.

وعندى وعندك أيها القارىء: إذا ضيق بالزمان وأهله، وأردنا ذمه لنروح عن صدرنا طوفنا مع الجاحظ، وكتبنا بما خطه في رسالة يبث فيها شكاته: «كتبته إليك وحالى حال من كثفت غنومه، وأشككت عليه أموره، واشتبه عليه حال دهره ومخرج أمره، وقل عنده من يثق بوفائه، أو يحمد مغبة إحاثه لاستحالة زماننا وفساد أيامنا. وقديماً كان من قدم الحياء على نفسه، وحكم الصدق في قوله، وأثر الحق في أموره، ونبت المشتبهات عليه من شئونه تمت له السلامة، وفار بوفور حظ العافية، وحمد مغبة مكرره العاقبة. فنظرنا إذ حال عندنا حكمه وتحولت دولته، فوجدنا الحياء متصلاً بالحرمان والصدق آفة على المال والقصد في الطلب بترك استعمال الفسحة، وإخلاق العرض من طريق التوكل دليلاً على سخافة الرأى، إذ صارت الخطوة الباسقة والعممة السابغة في لؤم المشيئة وثناء الرزق من جهة محاشاة الرغاء، وملا تبتة معرة العار، ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا والكاشر لحجتنا، فأقننا له علماً واخفاً، وشاهدأ قائماً، وماراً بينا، إذ وجدنا فيه من السفولية الواضحة، والمثالب العاضحة، والكذب المبرح، والخلف المصرح، والجهالة المفرطة، والركاكة المستخفة، وضعف اليقين والاستنبات، وسرعة الغضب والجراءة، قد استكمل سروره، واعتدلت أموره، وفاز بالسهم الأغلب، والحظ الأوفر، والتقدير الرفيع».

وينساب الجاحظ معبراً ومصوراً حتى يعطيك من طرف ريشته ما تمش فيه، وما تجدد في روحه وربحانه أو شواظه ونيراته ما يكون لك منه العزاء.

ولا تستطيع أن تنكر الاشتراك معه في الدوافع وإن اختلف الزمان وبعد ما بينك وبينه من شقة العصر والأوان، لأن النفس البشرية هي النفس ولذلك

تجددك معه ، وتجده معك ، وترددان معاً بعد الاتفاق . فهذا دليل أن الطلاح  
أجدى من الصلاح وأن الفضل قد مضى زمانه وعفت آثاره وصارت الدائرة  
عليه كما كانت الدائرة ضده ، ووجدنا العقل يشق به قرينه كما أن الجبل والحق  
يحظى به خدينه .

• • •

وكلنا ومعنا الجاحظ نرجع في نداعى المعانى ونسهدى من الشعر ما يجمع  
ويجمعنا على النشيد الذى صاغه المتألم المتأمل . صاغه لنفسه وصاغه لنا في  
زمنه وزماننا :

تصامق مع الحق إذا ما لقيتهم ولاقيم بالجهل فعل أخى الجبل  
وخلط إذا لاقت يوماً غلطاً يخلط في قول صحيح وفي منزل  
فإني رأيت المرء يشق بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

• • •

وتلك شئمة المتألم كلما دخل في واد ترحم في جديده على خصوبة الماضى ،  
ولمن ما يرعاه من أشواك وما يدي أقدامه وأنامله في ملاعب قضت عليه الحياة  
والأحياء أن يدرج في جوانبها ، أراد أم لم يرد ما ح أم غنى .

وبمثل هذا الشاهد — وما أكثر أشباهه — تجدنا في حاجة إلى أدبنا القديم  
وفي حاجة ملحة إلى أن نخلع عن أهيننا ، المظار الأسود ، الذى شوه أمام الكاتين  
دسم الموائد المسقة والطرائف المعتقة حتى ولو كانت القوارير من فضة والدنان  
من عسجد وكانت قرارات الكاسات من تهاويل عبقر وترتيل الحور .

• • •

والرأى عندي أن زادنا الأدب ونشأة أبنائنا في حاجة إلى النبع الأصيل ، وإن  
كنا لاندفع عذت جداول تصب في محيط الحياة الجديدة التى ألهمت بنا في تقارب  
المدنيات وتلاقى الحيوانات في عصر خضع للسرعة وشد في عجالات ، الآلة ،  
وأجنحة المحلقات هلى بساط الريح .

• • •

وعليتنا أن نحفظ موادنا الحثامة إذا شاكلناها بمشجدة الفن بما لا يقطع عليها إصافة العلفة بالتربة الشرقية والمهد العربي والإرضاع الإسلامى : لأننا إذا قطعنا الوشائج — كما يصنع بعض الكاتبين — ضعنا فى خصم لا ساحل نأوى إليه ولا عاصم لنا إلا الاهتداء بالنجم المعجز والفلق الذى لا ينطق ضياؤه وهو القرآن الكريم .

بذلك يعود القلم العربى المحدث إلى مائدة كانت دسما لأولنا ولا تزال غضة شبيهة لمن يتعلق حوالها وتطوف ليقطف من ثمارها الدانية .

\*\*\*

ولله سر فى أن يكون أدبنا نسيج وحده مما تعددت محاسن الآداب الأخرى ، فإنا نتفرد بركانه أسستها السماء ورفعت قواعدها فطرة الرسول الذى لا ينطق عن الهوى وما خلفه من أدب إنما هو قبس من التنزيل وكل شاد لا يطرب إلا إذا ورد معين الخلود ، وسلك بعد ذلك مسلكا ذللا محدثا أو مهيعا مُعَبِّداً .

## أبو الشمقمق

أبو الشمقمق شاعر أديب ، يعتبر من ظرفاء أهل الأدب ، وله فى وصف حاله وفاقه أشعار طريفة يتناولها المعنيون بالأدب ، وكان ملازما بيته فى أطهار مسجوة وأهدام بالية . كان يزوره كثير من المارفين بفصله ، ويستملحون أحاديثه ويتناقلونها للتندر بها . كان من عادته إذا طرق عليه الباب أن يقف خلفه فينظر من بعض فرجه ليرى من الذى طرقه ، فإن رآه محبا له صادق المودة ، فتح له وأدخله ، وإلا أصر على الصمت حتى ينصرف الطارق بأسا من لقائه .

وقد أكثر فى شعره من وصف حاله ، فمن ذلك قوله :

أنا فى حال تعالى الله	وبى أى حال
ليس لى شيء إذا قى	ل لمن ذا قلت ذا لى
ولقد أهزلت حتى	محت الشمس خيالى
ولقد أفلسك حتى	حل أكلى لعيالى

# فتح القسطنطينية

لحصرة الأستاذ أحمد صلاح الدين عبد الرحمن

المدرس بالمدارس النابوية

إن حادث فتح القسطنطينية في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي على يد السلطان محمد الفاتح يعتبر من الحوادث الحاسمة في التاريخ؛ لأنه كانت له آثار ونائج بعيدة المدى. ولكي ندرك مدى خطورة ذلك الحادث ينبغي أن نعرف شيئاً عن أهمية تلك المدينة، تطل هذه المدينة العتيقة على مضيق البسفور الذي يفصل البحر الأبيض عن البحر الأسود، كما يعتبر أضيق منطقة يمكن منها الاتصال بين أوروبا وآسيا؛ ولذلك تعتبر القسطنطينية بهذا الموقع الفريد أخطر نقطة استراتيجية في منطقة الشرق الأدنى بأسرها، وقد كانت هذه المدينة تسمى بيزنطة، وبدأ نجمها في الصعود عندما جعلها الإمبراطور قسطنطين الأكبر عاصمة للدولة الرومانية في مطلع القرن الرابع الميلادي. ولما انقسمت الدولة الرومانية الكبرى في أواخر ذلك القرن إلى قسمين لكل منهما إمبراطور خاص، أصبحت القسطنطينية عاصمة الجزء الشرقي من الدولة، والذي صار يعرف بالدولة البيزنطية أو الدولة الرومانية الشرقية. وإلى هذا الموقع الممتاز يرجع الفضل في بقاء القسطنطينية عاصمة للدولة البيزنطية زهاء عشرة قرون بعد سقوط الدولة الرومانية في العرب، وإليه أيضاً يرجع الفضل في بقائها عاصمة للدولة العلية زهاء خمسة قرون. وهذا الموقع المبيع يفسر لنا لماذا كانت سياسة روسيا طيلة العصور الحديثة سواء في عهد القيصرية أو في عهد البلشفية تعمل بكل ما أوتيت من قوة للاستيلاء على القسطنطينية لكي تصل بوساطتها إلى البحار الدفينة.

وإن هذا الحادث الخطير وإن كان قد تحقق في القرن الخامس عشر إلا أن بداية التفكير فيه ترجع إلى ما قبل ذلك بثمانية قرون عندما حاول معاوية بن

أبي سفيان سنة ٦٥٣ م غزو القسطنطينية ولم يقدها من تلك المحاولة سوى مصرع الخليفة عثمان والفترة التي أعقبته ، ثم قام المسلمون بعد ذلك بعدة محاولات لتحقيق ذلك الغرض كان أهمها جميعاً ما حدث في مستهل القرن الثامن في عهد سليمان ابن عبد الملك سنة ٧١٧ م . وكان إخفاق هذه المحاولة دا آتار عميقة في الدولة الإسلامية ، وقد ساعد الدولة البيزنطية على صد هذه المحاولات جميعاً مناعة مركز القسطنطينية وثراؤها وقوة أسطولها وحماس أهلها في الدفاع عنها ، فلما قامت الدولة العثمانية جعل سلاطينها فتح القسطنطينية قبلة أنظارهم ، وما زالوا يعملون لذلك الغرض بإلحاح حتى أتبع لمحمد الفاتح سابع سلاطينهم أن يحقق هذا الحلم ويتوج بجبينه يا كليل ذلك النصر الذي هو الشرق والغرب .

#### العوامل التي سهلت الفتح :

إن الأحوال الواضحة في الدولة البيزنطية إبان عهد العثمانيين والظروف المحيطة ، كان لها أثر أي أثر في تسهيل فتحها ، وإن الحملة الصليبية الرابعة وما تمخض عنها من إقامة دولة لاتينية في القسطنطينية استمرت زهاء ستين عاماً ( من سنة ١٢٠٤ - ١٢٦١ م ) قد أثر في كيان الدولة البيزنطية فأضعف أسطولها وأفقدها السيادة التجارية في البحر الأبيض ، فلما عادت الدولة بعد ذلك إلى عاصمتها لم تجد المال الكافي ولا القوة البحرية اللازمة لتأمين سيادتها مما مكن العثمانيين من أن يسلبوا من جسم الدولة أجزاء كبيرة بالتدريج حتى انتهى الأمر بأن أصبحت الدولة قاصرة على العاصمة العتيدة وشقة صغيرة من الأرض حولها .

#### الاستعداد للقتال :

بعد أن تربع محمد الثاني على عرش آل عثمان ، ووطد أركان الأمن داخل حدود دولته المترامية الأطراف ، أخذ يركز بصره نحو القسطنطينية العظيمة ويعد العدة للاستيلاء عليها ، وكان محمد شاباً مقدماً طموحاً بعيد النظر ينفذ إلى غاية نفاذ السهم إلى الرمية ، كما كان يعرف كيف يحتفظ بصره لنفسه ، حتى لقد أثر عنه أنه قال : لو أن شعرة من ذقنه عرفت ما تضم عليه جوائحه لبادر بانزاعها .

وقد كان السبب الذي حدا به إلى مبادرة بيزنطة بالشر أن آخر أباطرتها قسطنطين بالبولوجوس انتهز فرصة ثورة نشبت ضد السلطان في آسيا الصغرى ،

وأرسل إليه يطلب زيادة نفقة أمير عثماني كان في أسره ، وإلا فإنه سيساعد ذلك الأمير على المطالبة بالعرش العثماني ، فقدمها السلطان على الإمبراطور ، وبمجرد إخماده الثورة ، شرع في بناء حصن على الجانب الأوربي من البسفور في أضيق مكان منه على مبعدة من القسطنطينية بنحو خمسة أميال ، ولما احتج الإمبراطور على خرق حياذ تلك المنطقة ، لم يأبه السلطان لاحتجاجه ، وبذا أصبحت الحرب بين الدولتين واقعة لا محالة ، فقصت كلتاها خريف سنة ١٤٥٢ في إعداد معدات الحرب هجوماً ودفاعاً .

#### حصار القسطنطينية :

بعد أن تمت استمدادات الجانبين كاشف السلطان وزراءه ومستشاريه بعزمه على اقتحام القسطنطينية ، وأمر آلاف العيال بإعداد العربات اللازمة لنقل المدافع إلى ميدان القتال وتمهيد الطرق الصالحة لسيورها . وفي فبراير سنة ١٤٥٣ سار كرادجا باشا على رأس طليعة الجيش ومعه عشرة آلاف جندي تقدمهم المدافع الثقيلة تجرها العربات ، وفي الثالث والعشرين من هذا الشهر أفلح السلطان من عاصمته هدريانوبل على رأس جمفل جرار سار يتهادى في موكبه ، حتى وصل في السادس من إبريل إلى ضواحي القسطنطينية . وفي اليوم التالي أعلن السلطان بداية حصارها ، وتخيز الأماكن الصالحة لنصب مدافعه التي بلغ عددها ٦٩ ، كما رابط أسطوله في بحر مرمرية مستعداً لشد أزر الجيش البري ، وابتدأت المدافع تصب على أسوار المدينة وأبلا من قذائفها ، حتى استطاعت أن تحدث بها بعض الثغرات . ولكن المدافعين كانوا يسرهون إلى ترميمها قبل استفحال خطرهما ، أو ساعدتهم على ذلك أن المدافع كانت تضطر إلى التوقف بعض الوقت حتى لا تقصر قواها ، وبينما المدافعون في هذا اليأس القاتل إذ وصلتهم من جزيرة خيوس إمدادات في خمس سفن حربية استطاعت أن تثق طريقها إلى القرن الذهبي تحت سمع الأسطول التركي وبصره ، وتمكنت من دخول الميناء سالمة بعد معركة طاحنة مع كثير من سفن الأسطول التركي .

وغضب السلطان لهذا الحادث ، ولكن اليأس لم يتسرب إلى نفسه الوثابة فلما أعياه اقتحام القرن الذهبي الحصن بالسلاسل المنيعه ، صمم على نقل جزء من

الاسطول را بطريقة هندسية جريئة تشهد له بالمتدرة الفاتحة والعبقرية النادرة ؛ ذلك أنه مهد طريقا ووضع عليه كتلا خشبية عظيمة لمساء في مسافة خمسة الأميال المحصورة بين البغفور والقرن الذهبي ، ثم أمر بدفع المراكب على ذلك الطريق وجذبها حتى وصلت سالمة إلى الخليج ، وتم ذلك كله في الليل دون إثارة ضجة أو ضوضاء ، حتى أصبح البيزنطيون في صبيحة الثالث والعشرين من إبريل فإذا هم بفاجئون برؤية السفن العثمانية داخل سلاسل القرن الذهبي ، فصعقتهم هذه المفاجأة الهائلة ، وأيقنوا بقرب نهايتهم المحتومة .

### مركز المدافعين :

وأمام كل هذه الاستعدادات الجبارة كان مركز القسطنطينية المبيع وأسوارها الضخمة المتداعية في بعض أجزائها ، لا تبقى عنها شيئا أمام السلطان وجحافل ، وخاصة إذا علمنا أن المدافعين على قلعة عدهم كانوا منقسمين شيئا وأحزابا ، وأعتهم الخلافات المذهبية إلى حد دفع الفرانديوق توتارس زعيم الأوثوذكس والذي أسندت إليه القيادة ، إلى أن يقول في صراحة إنه يفضل أن يرى عمامة السلطان في القسطنطينية على أن يرى فيها قلنسوة البابا . من أجل ذلك كله لم تنفع البسالة العظيمة والجرأة النادرة التي أبدأها حنا غسنتياني القائد الجنوى في الدفاع عن القسطنطينية وترميم الثغرات التي تحدثها قذائف المهاجمين إلا في تأخير أمد سقوطها .

### الهجوم الأخير :

بعد ذلك أخذ معسكر السلطان إلى الهدوء فترة من الزمن ، بعد أن استمر قصف مدافعه نحو ستة أسابيع ، ولكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة ؛ ذلك أن السلطان أعد عدته للهجوم الحاسم على العاصمة ، واستنار حاسة جنوده إلى أقصى حد عندما أعلن إليهم أن كل ما تقع عليه أيديهم في المدينة ملك لهم ما عدا الأراضي والمباني . وفي صبيحة التاسع والعشرين من مايو بدأ الهجوم واندفع العثمانيون كالأمواج المتلاطمة صوب أسوار المدينة ، وبدأ قصف المدافع تتجاوب أصداؤه من البر والبحر ، وشرع الجنود يتسلقون أسوار المدينة غير آبهين بالنوت

الذى كان يترصدهم ، وأخيرا وبعد لاي استطاعوا أن يوسعوا الثغرة التى أحدثوها عند باب القديس رومانوس وتدافعوا إليها ، وفى تلك الاثناء خرج حنا غسنتيانى جريحا كما صرع الامبراطور وهو يدافع عن أسوار عاصمته بنفسه ، فكان هذا مما فت فى أعضاد المدافعين وأدى إلى تراخيم فى الدفاع فلم يأت الظهر حتى كانت المدينة قد استسلمت للبطل المهاجم الذى سعى منذ تلك اللحظة بمحمد الفاتح ، واجتنب ثمار النصر الذى طالما اشرأبت إليه الأعناق ، وعند العصر نهذى موكبه الظافر يشق شوارع المدينة حتى وصل إلى كنيسة القديسة إيا صوفيا ، وكان أفراد حاشيته قد هيشوها ليؤدى فيها صلاة المغرب ، وعندما وصل إليها دخلها مطأطأ الرأس عارى القدمين وأدى صلاة المغرب .

وبعد ذلك أباح السلطان المدينة لجنده ثلاثة أيام برأ بوعده ، ثم أعاد إليها النظام والهدوء ، وأعلن أنه حامى الكنيسة الإغريقية ، وأن شخص الامبراطور اليونانى مصون مقدس معافى ومن معه من كبار موظفى الكنيسة ، وأن جميع اليونانيين فى حل من استعمال كنائسهم وإقامة طقوسهم الدينية من غير تعرض لهم أو تدخل فى شئونهم الدينية ، وبذلك طمأن رعاياه المسيحيين وأمنهم على أرواحهم ومنحهم الحرية الدينية ، وهذا تسامح جليل يذكر للفاتح العظيم بالفخر والثناء مما جعل مؤرخى الفرنج أنفسهم يعترفون - والفضل ما شهدت به الأعداء - بأن فتح القسطنطينية على يد الأتراك لم يحدث بها من الدمار مثل ما حاق بها على يد اللاتين فى مستهل القرن الثالث عشر .

القسطنطينية : عاصمة العثمانيين : أخذ محمد الفاتح بعد ذلك يفرغ أغنياء رجال دولته بالرحيل إلى القسطنطينية ، ومنحهم الأرض اللازمة لبناء منازلهم ونقل مقر حكمه إليها ، وهكذا سقطت عاصمة البيزنطيين التليدة - بعد أن استمرت حاضرة لهم زهاء أحد عشر قرناً - فى يد المسلمين ولكنها لم تسقط فى يدهم لتندثر ونمحي من عالم الوجود ، بل لتبعث فى ثوب جديد وتصبح عاصمة الامبراطورية التركية العظيمة زهاء خمسة قرون ، وهكذا استأنفت حياتها كأعظم مدن الشرق قاطبة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في عيد ميلاد

كلية حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي  
شيخ الجامع الأزهر في احتفال الأزهر بعيد الميلاد الملكي

في يوم السبت الحادي عشر من شهر فبراير احتفل حضرة صاحب الفضيلة  
الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر بعيد ميلاد حضرة  
صاحب الجلالة الملك ، فاروق الأول ، أعزه الله وأمه بتأييده ؛ فاحتشد في الرواق  
العباسي بالأزهر المعمور عقب صلاة العصر جمهور غفير من كبار رجال الحكومة ،  
وأصحاب الفضيلة العلماء وحضرات الوجهاء والأعيان وطلاب العلم ؛ فنهض فضيلته  
في الساعة الثالثة والنصف خطيباً فألقى كلمة جمعت من مناقب حضرة صاحب  
الجلالة ما تحدثت به الركبان ، وصرى ذكره في الخافقين ، في عبارات بليغة ،  
وأسلوب بديع ، فكان لها أجمل وقع في الأسماع ، وأبلغ تأثير في النفوس ، وختمها  
بالدعاء لجلالته بدوام التوفيق والهدى ، وللغفور له والده العظيم بالرحمة  
والرضوان . وانصرف المحتفلون يرجون لجلالة الملك طول البقاء ، ودوام التوفيق  
لإبلاغه متمنياته العالية من إيصال بلاده إلى أرفع مكانات السؤدد وال عمران .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد  
النبي الكريم ، وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي  
أنزله معه .

تبارك الله أحسن الخالقين : من سبحاته وقعال على وادى النيل السعيد ،  
في هذا اليوم المشرق النيرة ، الميمون الطالع ، بمولد الملك الكريم ، فاروق العظيم ؛

ففاض على الوادي نور ملاء لإشراقاً وبهاءً ، وبهجة وسناء ، وتوالت عليه النعم ؛ فاتحدت كلسة أبنائه ، وتوحدت صفوفهم ، وحظيت البلاد باستغلاها ، ونعمت بسيادتها . ولما تربع حفظه الله على عرش مصر ، ملك قلوب أبنائها بآثره ، ومس يده المبغرية شئونها ، فسرى الخير واليمن في جميع أوصالها ، ودبت الحياة الفتيحة في كل أجزائها ، فبیت وثابة تسبق المجد ، وتنافس أعلى الأمم حضارة ورقيا .

وفي الحق إن فيض الفاروق ومنت قد أحييت الوادي ونهضت به نهضة رفيعة في كل مرافقه ومناحيه ؛ فأينا تول وجهك فتم نعمته للفاروق العظيم . ففي التعليم قطعت البلاد شوطا لم تكن لتبلغه لولا توجيه الفاروق ورعايته ؛ وفي الزراعة والصناعة وغيرهما تقدمت البلاد تقدماً عظيماً حتى أصبحت لها مكانة مرموقة بين الأمم ؛ وما كانت لتسمو إلى هذا الأوج لولا عاية الفاروق وحرصه على أن تسمى بلاده أعرق الأمم حضارة ومجدا .

أما الأزهر وهو منابة الدين ، فقد لقي من عناية جلالة وعظمته وحده ما وطد دعائمه ، وثبت أركانه ، ووسع آفاقه ، وأعلى صوته ، وشعب معاهده ، حتى انتشر التعليم الديني في جميع أنحاء البلاد ، وجاوزها إلى الأقطار العربية ، والبلاد الإسلامية في شتى بقاع الأرض ، وحتى أصبح الناس في الخافقين ولا حديث لهم إلا أنعم الفاروق وأياديه البيضاء على العلم والدين . ولقد وسع عطف جلالة أهباء البلاد الإسلامية جميعا ، وأظلم بظله الوارف ، وأمر بأن يفتح الأزهر أبوابه لأبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض ؛ ليتعلموا ويتفقهوا في الدين ؛ ليرشدوا قومهم إذا رجعوا إليهم ؛ ووهم لهم معونة مالية سخية تعينهم على طلب العلم ؛ وتلك منة عظمى طوق بها الفاروق جيد الدهر ، وملك بها قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى أصبح اسمه الكريم بفضل هذه الرعاية السامية ، عنوانا على البر والرحمة والأخوة الإسلامية .

أما رعاية جلالاته للدين وحرصه على نشره ، فإنه - شهد الله - قد أحياسن السلف الصالح في الإقبال على العلم والدين ؛ ومصر كلها ، بل العالم الإسلامي أجمع ، يشهد أن جلالاته قد جُر فيه عيون العلم والمعرفة ، وأمر بتوجيه بعوث العلماء إلى كل الاقطار للدعوة للحق ، وهداية الناس ، ونشر تعاليم الإسلام .

وفي كل يوم يطالعنا حفظه الله بمنة جديدة يطوق بها أعزاقنا نحن رجال الدين ؛  
فقد رأى - أعزه الله - أن يكون تعميم الدين والقرآن الكريم في جميع المدارس  
مادة أساسية ؛ لينشأ الجيل كله على رعاية فضائل الدين والتمسك بأحكامه . وما كادت  
هذه البشرى تزف إلى الشعب الحريص على دينه المتمسك بعقائده حتى أتبع المنة  
بمنة عظمى خالدة : هي أممه حفظه الله بجمع الصحاح من السنة النبوية المطهرة  
وترتيبها وفهرستها وطبعها على نفقة جلالة ، وتيسيرها لجميع المسلمين في شتى بقاع  
العالم ، فأتم العاروق بهذه النعمة السامية رسالة والده العظيم المغفور له الملك فؤاد  
الأول ، طيب الله ثراه ؛

صاحب الجلالة ! إن مصر في هذا اليوم السعيد لتباهى الأمم بما حباها الله  
من فضل رعايتك وفيض نوالك . فقد سطرت بحليل أعمالك وعظيم ما أثرك صفحة  
خالدة في تاريخها ، هي في الحق أبهى صفحاتها وأجلها قدراً . وإن أياديك الغر  
على الوادى السعيد ، ومنتك على أبنائه المحلطين لسدتك ، المتقليين في نعمتك  
الذاكرين لآلائك ، لأجل من أن يحصوها هد أو ين بشكرها ما زرده آناه الليل  
وأطراف النهار قلوبهم من توسل ودعاء إلى الله أن يحفظ عرشك ويصون ملكك ،  
ويبقىك ركنا حصينا للدين وذخراً للوطن .

حفظك الله يا مولاي ورعاك وسدد خطاك ، ووفق حكومتك إلى ما فيه خير  
البلاد ، وأعاد أمثال أمثال هذا العيد على الأمة المصرية والشعوب الإسلامية  
في ظل عرشك الممدود وعطفك الشامل .

ونسألك اللهم يا واسع الفضل والإحسان ، أن تتفقد برحتك ورضوانك  
الراحل الكريم ، مولاي الملك المعظم ، صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد  
الأول . اللهم اجمله في أعلى عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين  
والشهداء والصالحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

# الَّذِينَ وَاللَّيْسَ بِكُلِّ مَعًا

ليس خيركم من ترك آخرته لندياه ولا دنياه  
لآخرته، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه

وقر في نفوس أكثر الناس، ومنهم بعض المسلمين، أن الأديان لا تؤدي إلى المدنية، وأنها تؤثر شظف العيش على رغبة، وأنها تقف جهود أهلها على المبادات وقع الرغبات. وهذا خطأ محض، وبُعد عن فهم مراعى الأديان، وخاصة الإسلام. فقد شرعت الأديان لحفظ نظام الجماعات، ونهج طرق السعادة الصحيحة لهم، وهي لا تنحصر في كثرة المال ولا في قلته كما يظنه أكثر الناس، ولكنها تتوقف على فقه معنى الحياة البشرية، وعلى معرفة الأصول التي توصل إلى إبلاغها إلى غايتها التي وضعت لها؛ فكم من عني لم يذق للسعادة طعما، ومن مُقل وصل إلى نهايتها البعيدة، والعكس صحيح أيضا. بل النشأ في الإقلال شر على أصحابه من النشأ في الاستكثار. وقد نعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من الفقر، ودعا ربه أن يجعل رزقه ورزق آله كفافا.

نعود إلى موضوعنا الرئيس فنقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم على تحفيره لنفسه الكفاف على الغنى لم يحتقر الثراء، كيف وقد عبر الله عنه بكلمة الخير في قوله تعالى: «إن ترك خيرا الوصية»، وقد كان في أصحابه ذوو مال وفير فلم يأمرهم بتبديده، وقد أفاده ما لهم في مواطن كثيرة، فتولى عثمان مرة تجهيز جيش برمته من ماله الخاص، وأنفق عبد الرحمن بن عوف مالا عدا في سبيل تأييد الإسلام؛ ولولا هذه الأموال الطائلة لفصرت الكتائب الإسلامية في القيام بمهامها في الدفاع عن حوزتها.

وقد عني الإسلام، في عهد حاجة جماعته للال، بتدبير إيفاقه؛ فقد جاءه أحد

أصحابه يستأذنه في الخروج عن ماله في سبيل الله ، فقال له لا تفعل بل الثلث والثلث كثير ، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس . وقد جعل ذلك أصلا في شريعته ، فقرر أنه لا يجوز لأحد أن يوصى في سبيل الله بأكثر من ثلث ماله .

وقد نهى عن تبذير المال وسوء استعماله ، وجعل للكرم حدا معقولا فقال تعالى : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . » ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . وهذا تأنيب قارص يشعر بأن تبذير المال من الأمور الهامة في الإسلام .

لما نزل قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، » ظن الناس أن كنز الأموال حرام في الإسلام ، فأضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث بين فيه حد الكنز من هذه الآية ، فقال : « ما أدبت زكاته فليس بكنز ، فأصبح ادخار المال وحفظه ، مهما بلغ مقداره مباحا للمسلمين ، والدليل الواقعي على ذلك أن كثيرين من الصحابة كانت لهم أموال طائلة ، وعاشوا النبي على هذه الحال ، وكانوا من خيرة صحابته .

ومن الأدلة العملية على ذلك : أن أبا ذر رضى الله عنه ، كان يرى أن ادخار المال غير جائز ، وأخذ يبت مذهب هذا في الناس ، وكان بالكلام ، ووالها معاوية ابن أبي سفيان إذ ذاك ، فشكاه إلى عثمان رضى الله عنه ، فاستقدمه ونهاه عن ذلك ، فأصر على رأيه ، فنفاه إلى الربذة ، وهي قرية بقرب المدينة ، فلبث بها إلى أن توفي . هذه القصة تدل على حرص أولياء الأمر المسلمين من شيوع المذاهب المجنحة للثروة العمومية للأمة الإسلامية . وفي نبي أبي ذر النيفارى ، وهو من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثال كبير الدلالة على هذا الحرص . وما ذلك إلا لأن المال أساس التعامل للجماعات ، وقوام المقايمة في تنازع البقاء . وقد حث الكتاب الكريم على البذل في سبيل الله ، وفي إمداد الفقراء بما يمكنهم من الحياة ، فإن لم يكن للأمة مال ، وكانت مه في إقلال ، فإذا تبذل

في سبيل الله ، وبأى شيء تمد المعوزين من أبنائها ، وتبني لهم وسائل العمل والحياة ؟ هذه أمور بديهة ، لا تتقاضانا التدليل على صحتها . لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بطلب السعة في الرزق من جميع مظاهرها ، في عبارات مؤثرة ؛ فقال : « لعمرة في كد حلال على عيّل محبوب » أفضل عند الله من ضرب بسيف حولاً كاملاً ، لا يحفّ دماً مع إمام عادل . .

وأمر بالجد في طلب الرزق وهدم التكاسل عنه ، فقال : « إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن أرزاقكم » ، وحث على استثمار الأرض فقال : « اطلبوا الرزق في خبايا الأرض » .

وحرص على التجارة فقال : « أوصيكم بالتجار خيراً فإنهم بُرد الآفاق ، وأمناء الله في الأرض » . هذا وكتب الحديث ملأى بأمثال هذه الكلم التوابغ مما لم يرد مثله في كتاب ديني لأمة من أمم العالم .

ومما هو غاية العايات في هذا الباب ما رواه المحدثون من أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل عليه قوم فقالوا له : يا رسول الله لا يدانيك في العبادة إلا رجل عندما يصوم النهار ويقوم الليل ، لا يشغله شيء غير العبادة . فقال لهم النبي : « فمن يمونه ؟ » قالوا : يا رسول الله كلنا نمونه ، فقال لهم النبي : كلكم أفضل منه ، ١ فالذين يتخيلون أن الدين مقطعة عن الأعمال التي تعود بالنفع على الأفراد والجماعات ، إنما يحدون الدين من معناه الصحيح ، فإن الدين شرع ليصل بين الإنسان وبارئه ليستمد منه روحاً علوية توجهه إلى ما خلق له من إنسانية كريمة وحياة شريفة ، ورفق معصوى يصل به إلى غاية ما قدر له في وجوده الدنيوي من سمو في الخلق ، وعلو في النفس ، وكرامة في الوجود ، وإبداع فيما وكل إليه من خلافته في الأرض ، لا أنه خلقه ليعيش معطلا مواهبه الأدبية ، مكتفياً بما حسنه له الوهم من إثار البطالة ، والرضا بالجهالة .

إن الإسلام دين المدنية الصحيحة ، والمعيشة الهنيئة ، في حدود الحكمة ، وحبز الفضيلة . فهو لا يحرم إلا ما يحرمه العلم الصحيح ، ولا يحل إلا ما يحله الطبع السليم ، فإذا كان يحرم على أهله الخمر والميسر والزنا والقتل والغيبة والنميمة والكذب والتفاق والسرقة والرشوة والخذاع الخ الخ ، فذلك لأنها مفسدة

للأفراد والجماعات ، مجلبة للشرور والآفات ، وهو يحمل كل ما عدا هذه الصفات الذميمة ؛ ولا يطالب الإنسان إلا بالاعتدال فيها ؛ لذلك تأدى المسلمون في أول عهدهم إلى بلوغ جميع أعراضهم الاجتماعية بأسرع مما سجله التاريخ لكل الأمم التي آلت إليها الخلافة في الأرض ، حتى من ناحية المدنية المادية ، فقد بلغوا فيها أوجاً أدهش مؤرخي الفرنجة ، ووصفوها بأنها لا تقل عن المدنية الحالية رونقاً . وإنا لناقلونك ذلك عن العلماء الغربيين أنفسهم ؛ ليكون الوصف لغرابته أكثر إقناعاً للتشككين ، وأشد وقفاً على المكريت .

قال العلامة ( دريبر ) Draper المدرس بجامعة ( هارفارد ) بالولايات المتحدة الأمريكية في كتابه ( المنازعة بين العلم والدين ) قال في المقارنة بين مدينتي أوروبا في ذلك العهد ومدنية العرب :

« إن أوروبا في ذلك العهد ( عهد مدنية العرب ) كانت غاصة بالعاباث الكثيفة من إهمال الناس للزراعة . وكانت المستنقعات قد كثرت حوالى المدائن ؛ فكانت تنتشر منها رواشح قتالة اجتاحت الناس وأكلتهم ولا مغيث لهم . وكانت البيوت في باريز ولوندرة تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب . ولم يكن بها نوافذ ولا أرضيات خشبية . أما الأبسطه فكانت مجهزة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش يفسرته على الأرض . ولم يكونوا يعرفون المداخن ، فكان الدخان يطوف البيوت ثم يتسرب من ثقب صنعوه له في السقف . فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل ضروب الإصابات الخطيرة . وكان الناس لا يعرفون معنى النظافة فيلقون بأحشاء الحيوانات ، وأقذار المطابخ أمام بيوتهم أكواماً وأكداًسا تتصاعد منها رواشح قاتلة ولا رقيب ولا حسيب . وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال ، وكثيراً ما كانوا يؤوون معهم الحيوانات المنزلية .

« وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف كمنجدة ، وكانت النظافة معدومة لديهم لا يعرفون لها رسماً .

« وكان الغنى منهم لا يأكل اللحم إلا كل أسبوع مرة ، ولم يكن للشوارع بحار ولا يلاط ولا مصاصيح .

هذه الجبهة كان أثرها على أوروبا أن حمتها الخرافات والأوهام ، فانهصر  
التداوى في زيارة الأماكن المقدسة ، ومات الطب وحيث أحاييل الدجالين .  
وقد كان إذا دم البلاد وباء فزع رجال الدين للصلاة ، ولم يلفتوا لأمر النظافة ،  
فكانت تفنك بهم الأوباء فتكا ذريعاً . انتهى كلام الأستاذ درير .

هذه كانت حالة أوروبا في أعظم مدنها حضارة على عهد البعثة المحمدية ،  
آلت إليها بسبب ما أصابها من التدهور تحت سلطان رجال الدين فيها . ففارق  
بين هذه الحالة ، وبين ما آلت إليه حالة مدن الأندلس ( اسبانيا ) التي استولى  
عليها المسلمون في القرن الأول من الهجرة وسرّوا عليها النظم الإسلامية .  
قال الأستاذ ( درير ) نفسه في كتابه ( المنازعة بين العلم والدين ) :

« لم تكن أوروبا في مدنيها المصرية بأعلى ذوقاً ، ولا أرفع مدنية ،  
ولا ألطف رونقاً من عواصم الأندلس على عهد حكم العرب ، فقد كانت  
شوارعهم مضاعة بالأنوار ، ومبلطة بأجل تليط ، والبيوت مفروشة بالسُّط ،  
وكانت تدفأ شتاء بالمواقف ، وتهوى صيفاً بالنسيمات المعطرة ، بواسطة إمرار  
الهواء تحت الأرض من خلال أوعية مملوءة زهراً . وكانت لهم حمامات ومكتبات  
ومحلات للغذاء ، وبنایع مياه عذبة .

« وكانت المدن والحلوات ملأى بالاحتفالات التي كانوا يرقصون فيها على  
آلات الطرب . وكانوا بدل النهم ، وإدمان السكر في المآدب الليلية ، كجيرانهم  
الأوربيين ، يحملون مآدبهم بالقساعة . وكانت الخمر محرمة عليهم ، وكانت غاية  
لذاتهم البدنية تنحصر في تمشيم في الليالي المقمرة في حدائقهم البالغة منتهى الجمال ،  
أو يجلسهم حول أشجار البرتقال يسمعون قصة مسلية ، أو يتجادلون في  
موضوع فلسفي ، متمزين عن مصائب الدنيا وآلامها ، يقولون : إنها لو كانت  
مزجة عن الآلام وعن الإصابات لنسوا حياتهم الآخروية . وكانوا يرقصون بين  
جهودهم في هذه الحياة ، وبين آمالهم في النعيم المقيم في الآخرة . »

انتهى مقال الأستاذ ( درير ) . فقد رعد ذلك مبلغ ما أفاده الإسلام لذويهِ من  
نعمتي الوجود المادية والادبية ، وتحقق بما يفيد هذا الدين لاهله من خير المعاش  
والمعاد . أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول : لنا الدين والدنيامعاً ؟  
محمد قريير ومجدي

# الحكمة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين  
المفتش بالأزهر

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في  
مسير له ، فحذا الحادي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارفق يا أنجشة —  
ويحك — بالقوادير » ا

• • •

جرت عادة الإبل أنها إذا سمعت الحذاء استهوتها أنغامه ، وهزتها أخطاه ،  
وتأثرت به تأثراً تستحف معه الاحمال الثميلة ، وتستغفر في سماعه المسافات  
الطويلة ، ويفتحت فيها من النشاط والقوة والشوق والحنين ما يسكرها ويولها ،  
فتراها حتى ولو طالت عليها البوادي ، واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل  
والاحمال - تمد أعناقها ، وتنصب آذانها مصغية إلى صوت الحادي ، ومنصته إلى  
نغمات الحذاء ، وهي مسرعة في خطواتها وجادة في سيرها ، وربما تتلف نفسها  
من شدة السير وثقل الحمل ، وهي لا تشعر ، تأثراً بما ملأها من طرب وهيام ؛  
كما أنه قد ينشأ عن كثرة اهتزازها ، وتلاحق خطواتها ما يزعج الركاب ،  
ويتمبه ، وما لا يؤمن معه على النساء والضعفاء من السقوط .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، ومعه نسائه وسواق يسوق  
بينهم ويحدو ، يقال له : أنجشة ، وكان حسن الصوت ، فقال له عليه السلام : ارفق  
يا أنجشة بالقوادير . وقد سمي النساء قوادير ، لضعف عزائهن ، تشبهن

بالقوارير من الزجاج في رقعتها وضعفها وإسراع الانكسار إليها ، والنساء يُشبهن  
بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية ، وقيل : شبهن بالقوارير لسرعة  
إنقلابهن عن الرضا ، وقلة دوامهن على الوفاء ؛ كالقوارير يسرع إليها الكسر ،  
ولا تقبل الجبر .

واختلاف في المراد من هذه التسمية على قولين : فأحدهما أن أنجشة كان  
حسن الصوت ، وكان يحدو بهن وينشد شيئا من القريض والرجز ، وما فيه  
تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ، ويقع في قلوبهن حداثه ، فأمره بالكف عن ذلك ؛  
وهذا هو الأشبه بمقصوده صلى الله عليه وسلم ، وبمقتضى اللفظ ، وبما يدل  
عليه كلام أبي قلابة المذكور في رواية أخرى ، إذ يقول : تكلم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لبيتموها عليه ، يريد قوله في تلك  
الرواية : سوقك بالقوارير .

والقول الثاني : أن المراد من تسمية النساء بالقوارير : الرفق في السير ؛ لأن  
الإبل إذا سمعت الحذاء ، اشتدت في المشي ، واستلذته ، فأرجحت الراكب  
وأثعبته ، فهناك عن ذلك ، وطلب إليه أن يُلطف في سوقه بهن ، كتلطفه في السوق  
بالقوارير لو كانت محمولة على الإبل ؛ لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ،  
ويضاف عليهن الضرر والسقوط ، ولأنه إذا تمهلت المطايا ، ومشت رويدا ،  
اطمأن النساء في رحالهن ، وأمنن مما يصيبهن من أذى ومكروه . وقال أصحاب  
هذا القول : إن هذا من الاستعارة البديعة ، لأن القوارير أسرع شيء تكسيرا ،  
فأفادت السكناية بالقوارير عن النساء من الخوض على الرفق بهن في السير ما لم تفده  
الحقيقة ، فيما لو قال : ارفق بالنساء . قال في الكواكب : هذه استعارة لطيفة  
بليغة ، فلم تعاب ؟ ثم قال : ولعل أبا قلابة نظر إلى أن شرط الاستعارة أن يكون  
وجه الشبه جليا بين الأقسام ، وليس بين القارورة والمرأة وجه شبه ظاهر  
عندهم . والحق أنه كلام في غاية الحسن ، والسلامة من العيوب ، ولا يلزم  
في الاستعارة أن يكون جلاء وجه الشبه من حيث ذاتهما ، بل يكفي الجلاء  
الحاصل من القران ، وهو هنا كذلك .

وقيل : إن أبا قلابة قال هذا لأهل العراق ، لما كان عندهم من التكلف ، ومعارضة الحق بالباطل . وقيل : إن قصده من كلامه أن هذه الاستعارة تحسن من مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاغة ، ولو صدرت من غيره من لا بلاغة له ، لمبتموها .

• • •

الحذاء : سوق الإبل بضرب مخصوص من العناء ، وهو من حذا الإبل ، وحذا بها : ساقها ، والحادى : المتعنى عند السوق . ويقال : إن أول من حذا الإبل عبد لمضر بن زار بن معد بن عدنان ، كان في إبل لمضر ، فقصر ، فضر به مضر على يده فأوجعه ، فجعل يتألم ويقول : يا يداه ، يا يداه ! وكان حسن الصوت ، فأسرعت الإبل في السير لما سمعته ، فكان ذلك مبدأ الحذاء .

وارفق : من الرقيق ، وهو اللطف وحسن الصنيع ، يقال : رفق به وعليه رفقاً ، وأرفقه : رفق به ونفقه . وترفق به : رفق ، والرقيق : خد الخرق .

وأفحشة - بفتح الفحة ، وسكون الون ، وفتح الجيم ، ووقع في بعض الروايات أمجش بالترخيم - هو غلام أسود للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان حبشياً يكنى أبا مارية ، وذكروه في الصحابة ، وذكر أبو عمر في الاستيعاب أنه كان يسوق أويقود بناء النبي صلى الله عليه وسلم في عام حجة الوداع ، وكان حسن للصوت ، وكان إذا حذا أعنت الإبل ، وأخرج الطبراني أنه كان عن نعام النبي صلى الله عليه وسلم من الخنثين .

ويحك : كلمة ترحم وتوجع ، وهو منصوب على المصدرية ، وقد ترفع وتضاف ، ولا تضاف ، يقال : ويح زيد ، ويحاله ، ويح له . وقال سيويه : ويل : كلمة تنال لمن وقع فيهلكه ، ويح : زجر لمن أشرف على الوقوع في هلكه . وقال الفراء : ويل ويح وويس بمعنى ، وقيل : ويح : كلمة لمن وقع في هلكه لا يستحقها ، فيرثي له ، ويترحم عليه ، ويويل : عنده . وقال بعض أهل اللغة : لا يراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء ، وإنما يراد بها المدح والتعجب ،

وجاء في القاموس أن ويح أصلها وى ، فوصلت بحاء مرة ، فقييل : ويح ، وبلاد مرة ، فقييل : ويل ، وبياء مرة ، فقييل : ويب ، وبسعين مرة ، فقييل : ويس .  
والقوارير : جمع قارورة ، وهى الزجاجية ، وسميت بذلك لاستفراد الشراب فيها .

\*\*\*

نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الهداء ، وفى كلام بعض الخطابة ما يشعر بوجود خلاف فيه ، والمساندون له محجوجون بالصووص الكثيرة المفيدة لمدح الصوت الحسن ، وشرعية الهداء ، وذلك مثل قوله تعالى فى معرض الامتنان على عباده : « يزيد فى الخلق ما يشاء » ، فقييل إنه هو الصوت الحسن ، وقوله : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، فإنه يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ؛ ومثل خبر : « ما بعث الله نبياً إلا أحسن الصوت » ، وخبر أبى موسى الأشعرى فى معرض المدح : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » ، ومثل حديث أنس : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له فى السفر ، وأن أنجشة كان يحدى بالنساء ، والبراء بن مالك كان يحدى بالرجال » . وقال أهل العلم : لم يزل الهداء وراء الجبال من عادة العرب فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزمان الصحابة رضى الله عنهم ، وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة ، وألحان موزونة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره ، بل ربما كانوا يثتمسون ذلك نارة لتحريك الجمال ، ونارة للاستلذاذ ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ ، مؤدى بأصوات طيبة ، وألحان موزونة .

والحقوا بالهداء فى الحكم غناء الحجيج ، وهو المشتغل على التشويق إلى حج بيت الله تعالى بذكر الكعبة والمقام والخطيم وزمزم وسائر المشاهر الكريمة ، والمشاهد العظيمة ، ووصف البادية وغيرها ، ووصف الثواب على ذلك ، والغناء الذى يحرص به أهل الجهاد على الغزو ، إذا كان الغرض منه تشجيع النفوس ، وتحريك النشاط على القتال ، والتمدح بالبسالة والنجدة ، وإثارة الهمة والحمية ، وغناء الأم لتسكين ولدها فى المهد ، والغناء فى أوقات السرور

إن كان ذلك السرور مباحا ، كالغناء في أيام العيد وفي العرس ، وفي وقت قدوم الغائب ، وفي وقت الوليمة والعقيقة ، وعند ولادة المولود ، وعند ختانه ، وعند حفظه القرآن العزيز .

واستدل بجواز الحدا على جواز غناء الركبان المسمى النصب ، وهو ضرب من التشديد بصوت فيه تمطيط ، واستدل به قوم على جواز الغناء مطلقا بالألحان التي تشتمل عليه الموسيقى . وقال الماوردي : اختلف فيه ، فأباحه قوم مطلقا ، وكرهه قوم مطلقا ، وكرهه مالك والشافعي في أصح القولين . ونقل عن أبي حنيفة المنع ، وكذا أكثر الحنابلة . ونقل ابن طاهر في «كتاب السماع» الجواز عن كثير من الصحابة . وقال ابن عبد البر : الغناء الممنوع ما فيه تمطيط ، وإفساد لوزن الشعر ، طلبا للطرب ، وخروجا من مذاهب العرب ، وإنما وردت الرخصة في الضرب الأول دون ألحان المعجم ، وهو الضرب الذي لم يزل يرخص فيه البعض من غير تكبير ، إلا في حالتين : أن يكثر منه جیدا ، وأن يصحبه ما يمنع منه .

واحتج المسيحيون له بأن فيه ترويحاً للنفس ، فإن فعله صاحبه ليقوى على الطاعة فهو مطيع ، وإن فعله ليقوى على المعصية فهو عاص ، وإلا فهو مثل التزهد في البستان ، والتفرج على المسارة .

وقال المزالي : الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ، ثم عن مجموعها ، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى ، يحرك للقلب ، فالوصف الأهم أنه صوت طيب ، ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم إلى المقوم كالاشعار ، وإلى غير المقوم كأصوات الجملادات ، وسائر الحيوانات ؛ أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب ، فلا ينبغي أن يحرم ، بل هو حلال بالنص والقياس . ثم أخذ في بيان ذلك ، وبيان شروط الإباحة وظروفها ، وأوقاتها ودرجاتها وملابساتها ، وأطال بما لا يتسع المجال لذكره هنا ، فليظر هناك .

# يَا هَلَّ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد المدني  
المفتش بالأزهر

من المعروف أن القرآن الكريم لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة ، وإنما نزل متجذاً في أكثر من عشرين عاماً في مكة والمدينة ، وقد عي العلماء ببيان مكيه ومدنيه ، وكان بما ذكره أن هناك سوراً نزلت في مكة ، وألحق بها بعض آيات نزلت بالمدينة ، وأن عكس هذا حاصل أيضاً ، فهناك سور نزلت في المدينة ، وألحق بها بعض آيات نزلت في مكة ؛ غير أن هذا العلم قد دخله كثير من الخلط والاضطراب ، فأدى ذلك إلى تقرير أمور لا يطمئن إليها القلب ولا يثق بها ضمير الباحث العلمي .

اعتمد أهل الشأن في ذلك على الروايات التي تروى ، وهي الاجتهاد المستند إلى تلك الروايات أو إلى ما هو معروف مذكور في السير والمغازي ؛ والروايات تختلف ، فمنها القوى ومنها الضعيف ؛ وتعارض فربما أثبت إحدى الروايات أن آية كذا مدنية ، وأثبتت أخرى أن هذه الآية بعينها مكية ؛ وقد وقع في بعض حوادث السيرة وأخبار المغازي شيء من الاضطراب تبعه اضطراب فيما يروى استناداً إليها ، أو أخذاً منها ؛ ثم الاجتهاد يختلف فترى فيه آراء مختلفة ، وترجيحات متعددة ، حتى أصبح هذا الأمر في كثير من المواطن أعقد من ذنب الضب .

والسبيل إلى تبين وجه الحق في ذلك هو التمهيص والموازنة بين الروايات قوة وضعفاً ، ومراجعة آراء المجتهدين المستنبطين حتى يتبين ما يقبل من ذلك وما لا يقبل ؛ ولكن هذا أمر صعب دقيق ، والميل فيه إلى ناحية بعينها يستلزم علماً جماً ، وبحناً عميقاً ، ولونا من ألوان المثابرة العلمية في مدى طويل من الزمان والجهد ، وقد ازداد ذلك في زماننا صعوبة ، لانصراف الهمم إلى غيره ، أو لإكداثها عنه .

وقد اقتضت اللجنة التي أشرفت على طبع المصحف الفزادى المتداول الآن ميدانا ما كان لها أن تفتحهم ؛ ذلك أنها عيت بأن تنبه بين يدي كل سورة من سور القرآن المدنية أو المكية بذكر ما استثنى من الآيات ، فتراها مثلا تقول : « سورة كذا مكية إلا آيات كذا وكذا فنية » ، ولا شك أن الحكم بذلك ليس قاطعا ، وإنما هو حكم فى أمر خلافى ، ولا ينبغي أن يوضع مثله هذا الموضع بين يدي السور ، فإن كثيرا من الناس يظن أن ذلك أمر مسلم ، وحكم متفق عليه ، مع أن اللجنة قد تختار مرجوحا ، وقد لا تنبه إلى ما فى بعض الروايات التي تعتمد عليها من مقال ، ونحن نورد هنا أمثلة عما جاء بين يدي السور الكريمة من ترجيحات هذه اللجنة ، ونناقشه مناقشة يسيرة :

١ - فن ذلك أنها كتبت عن سورة يونس أنها مكية إلا آيات استثنىها ، ومن هذه الآيات آية ٩٦ ، وهى قوله تعالى : « إن الذين حقت عليهم كلمة ريك لا يؤمنون » ، فهذه الآية مدنية فى الرواية التي اعتمدت عليها اللجنة ، مع أن بعدها مباشرة آية متصلة بمناها اتصالا يقضى بأنها نزلت معها بعدها لا قبلها ، هى قوله تعالى : « ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم » ، فظاهر أن قوله « ولو جاءتهم » ، مبالغة هلى قوله « لا يؤمنون » فكيف يتصور أن كل واحد منها نزل فى وقت ، ثم تصور أن المبالغة نزلت قبل الاصل المبالغ عليه ؟

٢ - ومن ذلك أنها كتبت عن سورة مريم أنها مكية إلا آيتى ٥٨ ، ٧١ فنية ، وهاتان الآيتان هما :

أولا . قوله تعالى : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتينا إذا نلى عليهم آيات الرحمن غروا سجدا وبكيا » ،

هذه آية ٥٨ وهى تبدأ باسم الإشارة « أولئك » ، وقد سبق ذلك حديث السورة منذ أولها عن الانبياء والصديقين ، فقد ذكرت ركبنا ويحيى ومريم وهيسى وإبراهيم وإسمحق ويعقوب وموسى وإسماعيل وإدريس ، فن الواضح

أن الإشارة لهُولاء ، فإذا قيل إن الله ذكرهم في مكة ، ثم أشار إليهم بهذه الإشارة في المدينة كان ذلك موضع نظر .

ثانياً : قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » هذه هي الآية الواحدة والسبعون المستثناة أي أنها مدنية مع أن بعدها قوله تعالى « ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » والمعنى يقتضى أن يكون ترتيب نزولها حسب ترتيب ورودها في المصحف ؛ لأن الآية الثانية استثناء من حكم الآية الأولى ، فلا يستلزم القول بأن الاستثناء وقع في وقت ، والمستثنى منه وقع في وقت ، ولا سيما إذا كان المتأخر هو المستثنى منه .

٣ — ومن ذلك أنها كتبت عن سورة الفرقان أنها مكية إلا الآيات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ وهذه الآيات قد جاءت بين عدة آيات في آخر السورة وصف بها عباد الرحمن ، وذلك قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً (٦٨) والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً (٦٩) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً (٧٠) إنها سمات مستقرا ومقاما (٦٦) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً (٦٧) والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً (٦٨) يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهتماً (٦٩) إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً (٧٠) ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً (٧١) والذين لا يشهدون الزور ... الخ

فانظر كيف تحكم هذه الرواية على بعض الأوصاف التي جاءت في نسق واحد بحكم يقتضى أن الله جل جلاله قد بدا له زيادة في أوصاف عباد الرحمن التي قررهما في مكة بصورة خبرية ، فاستدركها في المدينة فأضاف إليها هذه الآيات الثلاث — تعالى الله !

٤ — ومن ذلك ما جاء عن سورة الروم من أنها مكية إلا آية ١٧ فمدنية . وآية ١٧ هي قوله تعالى « فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون » وقد

جاء بعدها . وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ، فهي اختها وقرينتها في المعنى تكمل إحداها الاخرى ، ولا تدرى ما الحكمة التي قصت بفصل هذه عن تلك في النزول كما يقولون ! .

٥ — ومن ذلك استثناء الآية ٥٤ من سورة الزخرف المكية ، وهي قوله تعالى : فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ،

وقد جاء ذلك في أثناء قصة موسى وفرعون إذ يقول الله عز وجل : : ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون ومثله فقال إني رسول رب العالمين ، الى أن يقول : ونادى فرعون في قومه ، قال : يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (٥٢) فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين (٥٣) فاستخف قومه فأطاعوه أنهم كانوا قوما فاسقين (٥٤) فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين (٥٥) فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين (٥٦) .

فتردنا هذه الرواية على أن نأخذ الآية الرابعة والخمسين بخصوصها دون ما قبلها وما بعدها في هذه القصة الواحدة فعددها من المدنى .

٦ — وشبه بذلك ما كتبوه عن سورة يوسف ، فهي مكية كلها إلا الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٧ ، فدنية .

ومعنى ذلك أن الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ مكية وهي قوله تعالى : : إذ قال يوسف لآييه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا ، الى قوله : : كما أمتها على أبريك من قبل إبراهيم وإسمحق إن ربك عليم حكيم ، وإن قوله بعد ذلك مباشرة : : لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ، مدنى ، وقد جاءه بعده مباشرة أيضا آيات مكية أخرى هي : : إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة ، الى آخر السورة ، والضمير في وقالوا للإخوة . فانظر كيف يحملونا على أن نفهم أن ضميرا في آية مكية يعود على مذكور في آية مدنية ! وكيف اقتطعوا جملة من قصة لها تمام الاتصال بها في المعنى ، ففرقوا بينهما في الوطن إلى هذا الحد !

يجب أن نجرد المصاحف من أمثال هذه الروايات ، فلا يوضع بجانب المتواتر المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كلام غير محرز .  
وروايات كثيرا ما تضطرب معانيها ، وهي كما يقول الشاعر :

بلى شيء يوافق بعض شيء وأحيانا وباطله كثير !  
فلندع كتاب الله مصونا في المصحف ، وارو ما نشاء من الأقوال والآراء  
بعبدا هه . حيث يكون خاضعا للبحث والتحصيل .

إن الحكومة المصرية هي التي ألقت هذه اللجة ، وقد اعتمدت عليها بعد  
أن وافقت عليه مشيخة الأزهر ، واشتهر المصحف منذ ذلك الوقت بنسبته إلى  
المغفور له الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه ، فأول ما نخشاه أن يظن ظان أن  
هذه الأحكام المسجلة بين يدي كل سورة أحكام نهائية قد فرغ البحث منها ،  
وسلم الملأ بصحتها ، حتى اعتمدتها الدولة وصبغت عليها ثوب . الرسمية ،  
وفي هذا من التضليل والضلال ما فيه .

### الاستدلال بالضمير

كتب حكيم إلى حكيم : إذا أردت معرفة مالك عندي ، فضع يدك على  
صدرك ، فكما تجدني كذلك أجدك .

وقال غيره : إياكم ومن تبغضه قلوبكم ، فإن القلوب تجازي القلوب .

وقال ذو الإصبع :

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده واستمل ما في قلبه من قلبك

نقول هذا قد يصح إذا كان القلب سليما من همزات الشياطين ، صافيا نقيا  
تطبع فيه الأمور المعنوية كما تطبع الصور في المرآة . وأين مثل هذه القلوب  
إلا للأنبياء والصديقين والحكماء ، أما العامة ومن في حكمهم فقلوبهم مغطاة  
بالأمواء ، صدئة بالظنون والأوهام ، فلا يجوز أن يوثق بما تصوره لأصحابها ،  
ومن يفعل ضلك ولا كرامة .

# الإصلاح الاجتماعي

بين النزعتين : المادية والروحية

لفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام

الأستاذ بكلية اللغة العربية

للمصلحين الاجتماعيين — على اختلاف نزعاتهم — غاية واحدة : هي النهوض بالمجتمع البشرى ، والوصول به إلى أقصى درجات السكال الإنسانى ؛ غير أنهم سلكوا في سيرهم طريقتين مختلفتين ، فانقسموا إلى فريقين : فريق يسعى للإصلاح من ناحية الروح ، وفريق يسعى إليه من ناحية المادة .

فالروحانيون يرون أن الروح هو الجزء الأهم في الإنسان ، فهو الأساس بالإنسانية والرعاية والخدمة ؛ لذلك كان الدين عندهم هو الوسيلة إلى إصلاح البشرية ، ثقةً منهم بأن الإنسان لا يطمئن في الحياة ، ولا يتغلب على صغابها ، إلا إذا امتلأ قلبه إيماناً ، وعمرت نفسه بالدين الذي يرافقه في خلوته ، فيزجره ويعصمه من الشر والإجرام ، من غير قانون يخشاه ، وعزمه في حرمانه ، فيجعله راضياً ؛ وبذلك تحقق له السعادة التي تعجز عن تحصيلها الأموال الطائلة ، والقوى الهائلة ؛ بل العلوم والمعارف .

يرى الروحانيون أن الإصلاح الاجتماعي إنما يكون عن طريق تهذيب النفوس ، وتطهير القلوب من الاغتراف والاضطراب ، ومن الانانية والعدوان ، وبإفريس الحية والميل إلى الخير في النفوس ، وتوجيهها إلى الله تعالى ، الذي يحفظ المؤمن من كل ما يخشى ، ويحقق له كل ما يطلب .

هذا ما قام به الروحانيون في خدمة البشرية ، ولهم فضلهم ، والإنسانية مدينة لهم بما صنعوا ؛ فقد عملوا لتهذيب النفوس ، وتطهير القلوب ، وإزالة العقول ،

وإيقاظ الضمير الإنساني ، الذي يقود إلى الخير ، ويصد عن الشر ؛ وهذا حسن من رجال الدين ، يذكر لهم دائماً مقرونا بالإعجاب والتقدير .

غير أن فريقاً من الروحيين قد غلا في دعوته ، واندفع في طريقه حتى جاوز الغاية ، لحقر من شأن المادة ، ودعا الناس إلى الانصراف عنها ، والعزوف عن الدنيا ، والزهد فيها ، وصرف الوقت كلها : ليله ونهاره ، في تغذية روحه بالعبادة ؛ فانصرف الناس بذلك عن العمل في الدنيا .

ومنهم من عبث بالعقول ؛ فعاقبا عن التفكير ، ودعا إلى التقليد المطلق ، وقاد الأفكار إلى اعتقاد الخرافات والضلال ، وهؤلاء قد أساءوا إلى البشرية بما ألحقوا بها من بالغ الضرر ، وإلى الدين بما أحدثوا فيه من تحريف وتشويه .

لقد كان ذلك سبباً في ثورة بعض المفكرين على الدين ، ومناهضة الروحيين ، وانتشار النزعة المادية ، وإعلان أهلها العصيان والقرء على الأديان ، فاتهموا الشرائع السماوية بأنها غل في عتق الإنسان ، وقيد يعوقه عن السير إلى الأمام .

وصفوا الدين بأنه مخدر ، ورموا أهله بالجور ، والاستسلام إلى الخيال والأوهام ، واتهموا زعماءه وقادته بأنهم يدعون الناس إلى الكسل والخول والتواكل ، ويقتلون فيهم روح العمل ، ويغرسون فيهم الآثرة وحب الذات ؛ لأنهم يحملونهم على طلب السعادة لأنفسهم بالعبادات ، ناسين أن عليهم حقاً للعالم الذي يعيشون فيه ، ويتمتعون فيه بكل خير ، ولا يقدمون له من الخدمة شيئاً ما ؛ وتلك هي الانانية بعينها .

ومن ثم تنكَّر الماديون للأديان ، وطاردوا رجالها ، وأغلقوا المعابد ، وفصل بعضهم الدين عن الدولة ، وأغضوا أعيانهم عن الروحانيات .

وهؤلاء هم الماديون ، أصحاب المذهب الثاني ، الذي يماج المجتمع عن طريق المادة ؛ اعتمدوا في معالجة المشاكل الاجتماعية على وسائل مادية بحتة ، فعملوا على توفير الثروة في البلاد ، وزيادة الغلة والإنتاج الزراعي والصناعي ، وتنظيم توزيعها ، وسن القوانين التي تؤدي إلى ازدهار العمران ، وإيجاد نوع من العدالة

يضمن للعامل والصانع عيشة طيبة ؛ وفى مقدمة ما يهتمون به إنشاء الملاجىء ، والمدارس والمصحات .

أسلوا للعلم قيادهم ، وجعلوه أداة استنبطوا بها مكنونات المادة من أسرار وقوى ، استخدموها لخير الإنسانية ؛ هدفهم إبعاد الإنسانية عن طريق الغنى والمعرفة والقوة . وهم بذلك يعملون للقضاء على الأعداء الثلاثة : الفقر ، والجبل ، والمرضى .

ظن هؤلاء الماديون أنهم بخدمة الجانب المادى للإنسان ، يحققون للمجتمع مثله الأعلى : السعادة المنشودة ؛ وما دروا أن العلم والمال وحدهما لا يفيان الإنسان ، ولا يحققان له شيئاً من هناء الروح ، واطمئنان النفس ؛ بل كثيراً ما يسببان للإنسان الشقاء بما يجلبان عليه من مهلكات التفرق المفضى إلى الحروب المدمرة التى تقضى عليه وعلى عله وماله .

وحسبنا دليلاً على ذلك ما حدث فى هذا القرن من وقوع حربين عظيمتين ، كان العلم والمال أمضى أسلحتهما .

وضح لنا مما يبينه أن كل واحد من المذهبين لا يستقل على أفراد بإصلاح المجتمع ؛ لهذا يمكننا أن نطرح جانباً النزعة المادية المتطرفة ، كما نطرح النزعة الروحية المتطرفة . وهنا نقف بالإصلاح الاجتماعى موقفاً وسطاً ، فلا نميل به مع الغلاة من الفريقين ؛ بل الخير كل الخير فى الأخذ بالمادة إلى قدر مقدور ، والاستمسك بعرى الدين فى حدود تعاليمه الصحيحة .

نستطيع إذن أن نوافق الماديين إلى حد ما ؛ نقرهم على ضرورة استخدام العلوم والانتفاع بشمارها من المخترعات التى تقوم فى المصانع مقام اليد العاملة ، فنزيد الإنتاج الصناعى والزراعى ، وتحمل عن الإنسان ما يتكب من عناء ؛ ونوافقهم أيضاً على إقامة المؤسسات اللازمة لإصلاح المجتمع من المدارس ، والمصانع ، والملاجىء . والمساكن الصحية ، وإنشاء القرى على نظام جديد ، وتعميم نظام التعاون فيها .

نستطيع أن نوافقهم على هذا كله ، ولكننا نكره عليهم شططهم إلى حد الخروج

هل الدين ، والثورة على القوانين السماوية التي ثبتت صلاحيتها لكل زمان ومكان كنظام الميراث ، ونظام الأسرة ، واحترام الملكية .

أما استخدام العلوم والاتفاقيات بشأرها ، فهو أمر نقره أيضا ، إذ لا يصادم العلم الصحيح الدين أبدا ، بل الدين يبحث عليه ، ويرفع من شأنه ، ولا يقف حجر عثرة في سبيله .

ومن الأصول العامة التي جرى عليها العمل بين المسلمين ، أنه إذا أومر ظاهر النص معارضته للعقل ، أو لأصل من أصول العلم ، وجب تأويله بما يجمع بينهما . ومثال ذلك ما جاء في الكتاب العزيز من قوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » وقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى : « والارض بعد ذلك دحاها » أي بسطها .

لا يعقل أن يكون لله وجه أو يد ، وقد أثبت العلم أن الأرض كروية . فعمد المسلمون — أتباع الأصل المقرر في دينهم — إلى تأويل هذه الالفاظ : أولوا الوجه بالذات ، واليد بالقدرة . وقالوا : إن المراد بالدحو البسط فيما يراه الراي لا في الشكل السكلي ، فلا ينافي هذا أن الأرض كروية .

والاستمسك بعمرى الدين في حدود تعاليمه الدينية يحتملنا على النهوض بالإصلاحات الاجتماعية ، والقيام بالمشروعات العمرانية : لأن الدين الإسلامى يعمل على إصلاح شئون الناس في دينهم ودنياهم على السواء ، قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا . وفي الآثار الصحيحة : « اعمل لدينك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

يحث الإسلام على العمل ، ويحارب البطالة والكسل ، ويرغب في مزاوله الصناعة والتجارة . روى عن المقداد رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ، قال تعالى : « وعلناه صنعة لبوس لكم » . وقال : صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب خيزر من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . وفي الآثار الصحيحة أيضا : « إن الله يحب

التاجر الصدوق ، والصانع الناصح ، ونظر عمر إلى أبي رافع ، وهو يقرأ ويصوغ ، فقال : يا أبا رافع ! أنت خير مني : تؤدى حق الله وحق مواليك . قال الله تعالى : فإذا قميت الصلاة فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، وقال تعالى : فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه .

ليس الدين الإسلامى ديناً روحياً خصب ، بل هو دين جسد وعمل كذلك ؛ يدل لهذا أن الشريعة الإسلامية نظمت للناس شئون حياتهم الاجتماعية بما سنت لهم من الأحكام والقوانين الاقتصادية والزراعية والتجارية ، وقوانين الأحوال الشخصية وغيرها .

فهاك قوانين لتنظيم البيع والشراء ، والإجارة والسلام ، والقرض والقراض ، والمزارعة والشركة ، والزواج والطلاق ، والمدة والفقات وغيرها .

لقد رسم الإسلام سياسة المجتمع البشرى ، على أحكم خطة وأحسن تقويم . جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئ وأحكام ترمى إلى تدعيم بناء المجتمع ورقابته ، وإلى علاج ما يفتابه من أمراض وعلل ؛ مبادئ لو استمسك بها الناس لعاشوا في أمن ودعة ، ولظلوا في رغد من الميث ، وبسطة من المنامة والعيم ، والغبطة والسعادة .

أمر الدين الإسلامى بمعوم الفضائل ، ونهى عن جميع الرذائل . ودعا إلى التآخي والتواصل ، وحذر من التدابر والتقاطع ، وقرر حفظ النفس ، والدين ، والمال والعقل والنسب ، أمور خمسة قرر الدين الإسلامى حفظها والدود منها ؛ إبقاء على كيان المجتمع ؛ لأن في بقائها بقاءه ، وفي إهمالها انحلاله وفناءه .

وقد سمي الأصوليون هذه الأشياء الخمسة بالكليات الخمس ؛ لأن كل الأديان السماوية اتفقت على أن تحافظ عليها . وفي سبيل المحافظة على هذه الأمور شرع الإسلام القصاص لحفظ النفس ، والجهد لحفظ الدين ، والحدود المختلفة لحفظ المال والعقل والنسب .

# الدين والأخلاق

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

كلاهما يهدف لبيان الخير ويهدى إليه ، ويُعنى ببيان الشر وتبغيضه إلينا .  
والأخلاق كما نقول المعاجم ، والكتب العلمية التي تبحث في هذا الفرع من فروع  
الفلسفة ، هي مجموعة القواعد التي بها نعمل الخير ، وتجنب الشر . أو مجموعة قواعد  
السيرة الطيبة المحمودة ، القواعد التي يقبلها الناس عامة في كل عصر وزمان .

فإذا كان الأمر كذلك ، كان من الطبيعي أن تكون صلة قوية بين الدين  
والأخلاق ، بل كان من الطبيعي أن تكون الأخلاق تابعة للدين . وهذا حقاً ،  
ما يعرفه تاريخ الفكر في القديم والحديث .

نرى هذه الصلة الوثيقة فيما نعرف من تفكير قدماء المصريين والهنود  
والفرس ، وفيما نعرف عن المفكرين أتباع الديانات الوحيية : اليهودية والمسيحية  
والإسلام . ذلك بأن العناية من الدين ، وبخاصة ما كان سماوياً منه ، لإصلاح  
الإنسان والإنسانية ؛ وليست الأخلاق إلا هذا .

كان المصريون القدامى كما نعرف ، يدينون بحياة أخرى ، يسأل فيها المرء  
عما عمل في حياته الأولى ، فكان من هذا : حرصهم على أن يكونوا أخياراً ،  
وفي كتابه الموق ، حل ذلك شاهد وشاهد .

ولدى الهنود ، نرى أن عقيدتهم في خلود الروح والتناسخ ، ووحدة الوجود ،  
قد استتبعت أخلاقاً تقوم على الإعراض عن الدنيا وطبيعتها ، وعلى رياضة النفس  
بالزهد والتأمل في عزلة وسكون ، كما تقوم أيضاً على حب الناس والكائنات جميعاً .

وفي فارس موطن دين « زرادشت » الذي يقوم على الاعتقاد بإلهين :  
إله الخير ، وإله الشر ، نجد مذهباً في الأخلاق أساسه ، أن في الإنسان صراعاً

دائماً بين مبدئين : مبدأ النور والخير ، ومبدأ الظلام والشر . ومن ذلك أن على الإنسان أن يعمل على نصرة مبدأ الخير ، وذلك باتباعه سبيل الفضيلة ، حتى ينتصر الخير في يوم آت لا ريب فيه .

هذا في الديانات الوضعية الفلسفية ، والأمم في الديانات السماوية أوضح من أن يحتاج الحديث فيه . في كتب هذه الديانات : اليهودية والمسيحية والإسلام ، نرى صلة الأخلاق وثيقة جداً بالدين ، بل نجد الأخلاق جزءاً من الدين ، وليس في هذا شيء من العجيب .

إن الله العظيم الحكيم هو الذي أرسل رسل هذه الأديان كلها مبشرين ومندرين ، هادين بوجه إلى الصراط المستقيم ، مرشدين الناس إلى سعادة الآخرة والأولى . وهذه السعادة تكون بالعقيدة الحقّة الصالحة ، كما تكون بالأخلاق الطيبة المحمودة ، وبهذا كله نزل الوحي وجاء الشرع . وإن كان الباحث يجد في غير عناء المثل العليا للسيرة والسلوك تختلف فيما بينها في هذا الدين عن ذلك ، باختلاف عصور الوحي والرسالات .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن أخلاق هذه الديانات تقوم على الترغيب والترهيب ، على الترغيب في الخير بما وعدت من الثواب عليه ، وعلى الترهيب من الشر بما رتبت عليه من عقاب . ولم تر أن تدعو للخير ببيان ما فيه من حسن وجمال ولياقة بكرامة الإنسان والإنسانية ، ولا أن تبغض في الشر ببيان ما هو عليه من قبح في نفسه وتناف لكرامة الإنسان كإنسان .

كما من الضروري أيضاً الإشارة إلى ما لوحظ من أن كثيراً من الملحدين ، الذين لا يؤمنون بإله خالق ولا بحياة أخرى يكون فيها الجزاء على أخلاق فاضلة ، وخلال عمودة من الناحية الاجتماعية . بينما كثير من المؤمنين بهذا الدين السماوي أو ذلك ، لا يعرفون من الخير إلا اسمه ، ولا تنفق أعمالهم مع أقوالهم وصدقيتهم الدينية .

ولعل هذه الملاحظة وتلك ، هو ما دعا بعض الفلاسفة والمفكرين المحدثين إلى محاولة فصل الأخلاق عن الدين ؛ وذلك بتعليل أحكامها عقلياً ، والبحث عن أسباب أو مبادئ أخرى تدفع للخير وتحجب فيه وتبعد عن الشر

وتجعله بنياً ، دون حاجة للتجوه للدين وما يرتبه من جزاء على الخير والشر ، وبذلك يؤمن بالأخلاق المتدين والمحدد على السواء .

• • •

وإن أصحاب هذا الرأي ، أو إن رجال هذه المدرسة وعلى رأسهم إمبيل دوركايم ، الفيلسوف الفرنسي المعروف ، يقولون بأن من الممكن فصل الأخلاق عن الدين ، وجعلها عقلية في مبادئها ووسائلها : كما يرون بأن هذا من الخير ، إذ يعين على الوصول للغرض الذي تهدف إليه الأخلاق .

لهم يرون بأن كون هذا العمل خيراً والآخر شراً ليس إلا حقائق لها وجود ، وكل ما كان كذلك يجب أن يكون من الممكن تفسيره بالعقل وحده دون حاجة للتجوه للدين أو فلسفة ما بعد الطبيعة . ولم تعد قدرة العقل على تفسير كل حقيقة من هذا الضرب أو غيره موضع شك أو عجب ، بعد ما رأينا من تقدم علوم الطبيعة والحياة والنفس ، هذا التقدم الذي فهم به الإنسان الكون ، ودانت له عناصر الوجود أو كادت !

فإذا كان الأمر هكذا في غير الأخلاق ، فلماذا لا يكون كذلك في الأخلاق ؟ ولم نحتاج - في رأي دوركايم - في سبيل تثبيت الأخلاق في العقول والطباع ، أن نلجأ إلى طرق يمزج على العقل إدراكها ، أن نلجأ إلى الدين أو ما بعد الطبيعة ؟

على أنه لا يصح في سبيل جعل الأخلاق عقلية أن نحذف منها كل ما جاء عن الدين ، وإلا صارت أخلاقاً هزيلة ليس لها من أساس . إن الواجب أن نبحث المبادئ الأخلاقية التي جاءت عن السماء ، وأن نحدد بعد هذا طبيعتها الخاصة ، وأن نعبر عن هذه المبادئ بلغة عقلية .

ثم للأخلاق طابع قديمي خاص ، طابع إلزامي لا يمكن عدم الاعتراف به أو الخروج عنه ، حتى إنه قد يُقبل أن يلحد المرء في دائرة العلم فلا يؤمن ببعض حقائقه ، ولكن لا يُقبل بحال أن يلحد في الأخلاق . وهذا الطابع هو ما يجعل للأخلاق قوتها وأثرها الكبير على المعلم والمتعلم معا .

هذا الطابع يجب إذا الاحتفاظ به ، — ولكن فيما يقول دوركايم — ليس من الضروري رده للدين أو لمبادئه بما فوق الطبيعة ، بل من الممكن تفسيره عقليا في سهولة ويسر . وقد يمكن هذا التفسير بإسناده إلى ما يجب للإنسان والجماعة من كرامة وتقديس ، وذلك يجعل ما يتصل بهما من الناحية العملية مقدسا كذلك . ونتيجة ذلك كله ، أن يكون في الإمكان أن نغرس في الطابع حب الخير لانه جميل في نفسه ، وكراهة الشر لانه قبيح بغيض في نفسه ، دون ضرورة للجوء للترغيب والترهيب . ومن مثل هذا المبدأ العام أن يفهم الإنسان أن من حقه وكرامته هل نفسه أن يحترم ما فيه من إنسانية فلا يكذب ولا يكون جباناً مثلاً ، وأن يفهم كذلك أن من واجبه لغيره أن يحترم ما فيه من إنسانية فلا يعشه أو يخذله ، وهكذا يمكن بهذا المبدأ أو ذاك غرس الخير وحب الفضيلة في الطابع بعد أن يقتنع العقل تماما أن ذلك جميل وحسن ومحجوب لذاته .

• • •

وأخيرا ، فإن فصل الأخلاق عن الدين لتكون علما عقليا ، أى اللجوء إلى العقل للتحبيب في الخير والتنفير من الشر ، قد يكون له تأثيره الكبير على غير المؤمن بالدين ، الدين الذي يلجأ في التحبيب إلى الفضيلة والتنفير من الرذيلة إلى الترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب .

إلا أنه قد يلاحظ مع هذا أيضا أن ربط الأخلاق بالدين لا يمنع الباحثين من جعلها علما عقليا ، وذلك بتفسير الأصول التي تستند إليها والمبادئ التي تقول بها تفسيراً عقليا ، كما هو الشأن في كل ما جاء به الدين من أحكام وتشريع .

إن القرآن كان حكيماً كل الحكمة بما أكد من ثواب وعقاب على عمل الخير والشر . ذلك ضروري أول الأمر حتى يعتاد المرء عمل الخير وحتى يذوق حلاوته ؛ وحينئذ ليحل له نفسه ، وينتهي عن الشر لنفسه ، لا للثواب ولا للعقاب .

ثم حتى هذه الأيام ، لم يصل الفلاسفة والمفكرون في هذه الناحية ، مع الرغبة وطول البحث ، إلى شيء آخر غير الدين يمكن أن تستند إليه الأخلاق ، ويكون له طابع القدسية والإلزام الذي يجده الدين ؛ هذا الطابع الذي هو جده ضروري للأخلاق ، حتى في رأى هؤلاء الفلاسفة الاجتماعيين العقلانيين .

## العبرة في ذكريات العظماء

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« العلم علان : علم في القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان ، فذلك حجة  
الله على ابن آدم » .

تمر بالناس الذكريات في جلالها وعظمتها ، فترتلها ألسنة الدهر ، وتسطرها  
أقلام الخلود ، وتشيد بها العوالم والمعالم ، قوة لا تضعف ، وعزيمة لا تنقر ،  
وسراجا لا ينقر ، ونبعا لا يفيض ، فما يزال هذا الزمان يردددها ويمجدها حتى  
يقف دولابه في هذه الحياة الدنيا ، ثم يتحرك في دورة أخرى ، ولون جديد  
بعد هذه الحياة يوم يقوم الناس لرب العالمين . . .

فهل يفيد الناس من هذه الذكريات . ما يتركز في القلب عبرة ، وما يتمثل  
في الحياة عظة ، تسمو بالنفس إلى ذروة المجد ، وتسبح بها في آفاق العظمة بين  
جلال وجمال .

• • •

ذكريات العظماء أعلام خفاقة ، تلوح للرائين إن استبصروا واستذكروا ،  
وشدوا على قلوبكم برباط المعرفة ، واستلهموا وحيا الناطق بالحق ، والصادق  
في الفضل ، والمعلم للمكرمات ، فتكون عبرتكم ، وتكون أسوتكم ، ويطيب منكم  
ما تسرون وما تعلنون .

ذكريات العظماء روّضات تفوح بنشرها وتزهو بشمرها ، ويستمتع بأفنانها  
النضرة نفوس المستروحين ، وقلوب المتعشقين .

طافت بنا فيما طافت من الذكريات الكريمة العظيمة ، ذكرى سيد الكائنات المصطفى المختار ، المصطفى من كدورة الشوائب ، في شبابه وفتوته ، في السن التي تكدرها نزوات الهوى الجاسع ، وتكدرها نزعات الفتنة العائنة العائنة ، قبل استخلص الشياح من هذا الطهر المذاب في قلب محمد بن عبد الله لونا من عظمة الشباب حين يسمو بنفسه عن الترق ، ويأبى بعزمه أن يخضعه للهو ، ويشمخ بأنفه أن يسوقه السفهاء الى مسافة ملاذهم وشهواتهم ، ثم تظالما في ذكرى شمائله صلى الله عليه وسلم أمانته ووفائه وصدقه ، حتى ليلقب بين أهل مكة بالصادق الأمين ، وحتى لتطلب إليه شريكته في التجارة ، السيدة خديجة بنت خويلد أن يكون شريكها في الحياة ، لتتخذ زوجا مثاليا ، تستدوق من نبه وبره جميل الأخلاق ، وكريم الصفات .

فهل يتعفف التجار في هذا الزمان ، عن الكذب ، والحياة ، والجشع ؛ ليتدوق الناس منهم حلال الكسب ، وعدالة الربح ، والقناعة بالقليل .

وتظالما في سيرته العاطرة صلى الله عليه وسلم شجاعته ، وثقته وقوة هزيمته ، فلقد خرج من بيته ليلة اعتزاه الهجرة من مكة الى المدينة ، وحول البيت سيوف مسلولة ، وسواعد مفتولة ، وعصبة تملكهم الحية الجاهلية ، يريدون أن يفتكوا به ، ويضربوه ضربة رجل واحد ، فلا والله ما جبن ولا تحور ، ولا ضعف ، ولا ضعفت ثقته بربه ، بل خرج على القوم ، واليقين كفاه عزيمته ، وقوة الثقة تملأ جنبيه ، وتركهم في سخرية الساخرين ، وهزه المستهزئين ...

فهل يستيقظ جيناء العزائم ، وضعفاء الهمم ، والفاقدون الثقة بالله ، فيسترجعوا عزائمهم ويملكوا قلوبهم إيماناً وأمناً ؛ ليجعلهم الله من حزبه ، وأن حزب الله هم العالون .

فأما ما يملأ فم الزمان من التحدث بمجوده وبذله صلى الله عليه وسلم ، وحده على الفقراء والمساكين ؛ فذلك مالا يجمله أحد من الأولين والآخرين ، فلقد كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، ويذل بما يملك حتى لا يدع لنفسه كثيراً ولا قليلاً ، ولقد طابق خبره خبره ، وهو الذي يقول : السخي قريب من الله عز وجل ،

قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله عز وجل ، بعيد عن الناس ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار .

ولقد أهديت إليه صلى الله عليه وسلم شاة مذبوحة فقال لعائشة : « أطمعينا منها وأعطى الفقراء » . ثم خرج لبعض شأنه ، فلما عاد قال : يا عائشة هل بقي من الشاة شيء ؟ قالت رضى الله عنها : ما بقي إلا كتفها . فقال عليه الصلاة والسلام : « كلها بقي إلا كتفها » . يريد عليه الصلاة والسلام أن الذى أخذه الفقراء هو المدخر عند الله وإن الجزء الذى بقي منها ليأكله لا يعد فى الباقيات . وصدق الله العظيم . ما هتكم ينقد وما هتد الله باقى . .

فهل يعتبر أصحاب الأموال فيما . فيقدمون بما ملكت أيديهم ، لغزوة الملهوف وفرجة المكروب ، ورحمة البائس المسكين .

هل يعلمون أن ما يملكون إنما هو ملك الله وأنهم ليسوا إلا خلفاء فيه . قال تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، وأنهم هم الراجحون بما بذلوا وما عطفوا . وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين . .

وما أجل قول الشاعر فى هذا المعنى :

إذا ملكك كفى متالا ولم أنل	فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
هل الله إخلاف الذى قد بذلته	فلا متانى بذل ولا مسعدى بخلى
أرونى بخيلا طلال عمراً يبخله	وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

• • •

أما بعد :

فإن العبرة فى هذه الذكريات الكريمت واصحة مائلة ، ولا يزيد أن تمر بالناس هذه الذكريات ، كلاماً يردد ، أو مظاهر تتعدد . . بل يزيد بها ذكريات تركز فى القلوب معانيها ، وتستقر فى النفوس والمشاعر مراميها ، فتى انطبع بها الوجدان ، وتحركت منها الحواس ، كانت الذكرى بالغة ، وكان الأثر بها قوياً ، صادقاً كريماً . أفن يمشى مكياً على وجهه أهدى ، أم من يمشى سويماً على صراط مستقيم . .

# مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

بين الأدب والفلسفة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر دكوى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

## فضيلة العدالة :

العدالة بمعناها العام ، كالعدل والاعتدال ، كلمة معناها : الاستقامة والاستواء والتساوى ، والعدل والتعديل : التسوية والتقديم .

وإلى هذا المعنى ترجع كلمة (العدالة) التي يراد بها تلك الملكة النفسية المحدودة عند الأخلاقيين من أمهات القضايل الإنسانية . والناسب بين هذا المعنى الخاص المتعارف عند الأخلاقيين ، وبين المعنى اللغوي السابق واضح بين ؛ لأن الاعتدال النفسى الذى سماه الأخلاقيون عدالة - وعدلا هو أيضا صورة من الاستقامة والاستواء والتساوى . وحسبنا أن نوضح هذا بمظهر القاضى المتصف بالعدالة ؛ إذ نرى مجلسه صورة من التماثل والانجسام يسوى فيه بين الخصمين فى النظرة والإشارة وشئى ضرور المعاملة ، لا يتحامل على أحد إلا للحق وفى سبيل الحق ؛ فيبدو مجلسه صورة متناسقة منسجمة ترتاح لها كل نفس شريفة فاضلة - وفى مقابل العدالة والعدل والاعتدال - نجد الظلم والجور والجحف أو ما هو بهذا المعنى .

وهذه الفضيلة عند الأخلاقيين نوعان . عدالة كلية - وعدالة جزئية خاصة تنشأ عن سابقتها ، وهم يعنون بالعدالة الكلية اعتدال الملكات الإنسانية فى مجرمها ما بين عقلية - وغصبية - وشهوية ، بحيث لا يظنى بعضها على بعض . فالقوة العاقلة تؤس القوانين الآخرين وتمسك بزمامهما وتصرف أمرهما بقدر ، فلا تدع لقوة الغضب أن تظنى وتثور لأنفه الأسباب أو لغير سبب ؛ فيعدو صاحبها كليا حقورا وسبعا ضاريا يهاجم غيره لسبب ولغير سبب ؛ حتى يبلغ من العدوان غايته أو يأتى حقيقته - ولا تدع كذلك لقوة الشهوة أن تثور وتظنى وتتخطى القيود والحدود ؛ فيصبح صاحبها بهيمة من البهم المائىة يتلوث بكل وضر ، ويتمرغ فى كل دنس ، ويبلغ فى كل حماة . وبعض الأخلاقيين يسمي النفس التي تحرف

هذا الاعراف بالنفس الخنزيرية ، نسبة إلى الخنزير الذى هو أقذر وأشهر ما عرف من أنواع الحيوان .

كذلك لا تسمح القوة العاقلة لنفسها بأن تطفى على هاتين القوتين ؛ فتعطلهما عما أوجدتا من أجله في الطبيعة الإنسانية ، لأن طغيان قوة العقل وإفراطها في قمع القوة الشهوية ينحرف بالمرء إلى الرهبة والتأبل الذى هو إمامة للرغبات الجنسية وإفراط في التنشف والحرم . وطغيانها على قوة الغضب والإفراط في كبجها ، ينحرف بالمرء إلى الجبانة والانكاش والمهانة . وفي هذا وذاك ما ينحرف بالشخصية الإنسانية عن سنن العدالة ، وينأى بها عن طريق المثل العليا . أما الحد الوسط من الانسجام والتناسب والتعادل بين هذه الملكات ، فهو أن تعمل كل قوة من هاتيك القوى الثلاث في حدود ما خلقت له ، فلا يترك العقل الزمام للغضب والشهوة ولا يبالغ في كبجها إلى حد التعطيل ، ولا تقصر هي في الاستزادة من العلم والحكمة ؛ وبذا تبلغ الشخصية الإنسانية كمال وجودها وتحقق لها فضيلة العدالة الكبرى التى هي كنز الحكمة وأصل الفضائل السامية وسلم الوصول إلى السعادة .

ذاك هو بحمل ما شرعته عبقرية أفلاطون وأستاذه سقراط زعيمى تعاليم الحكمة اليونانية في القرنين الخامس والرابع ق. م . ليكون منارة هدى للإنسانية في مهمه الحياة الطامس الأعلام .

وفوق ما تقدم ، حاول أفلاطون في كتابيه « الجمهورية » ، « القوانين » ، تحقيق هذا النوع من العدالة الكلية في بناء المجتمع المثالى الذى حاول بشئى النظريات أن يضع أسسه وقواعده . وبحمل وصاياه في ذلك أن توضع الطبقة الحاكمة في مكانة القوة العاقلة — وطبقة الجند في مكانة القوة الغضبية — والطبقة العاملة المنتجة مكان قوة الشهوة ، وأن يسود بين هذه الطبقات الثلاث الكبرى من التوازن والتعادل والانسجام ما عرفناه سابقا من التوازن بين هذه الملكات الإنسانية الثلاث ، فلا تجور الطبقة الحاكمة بالعمف والظلم على الطبقتين الأخريين ولا تترك الزمام للجند يمتدون بسبب وبغير سبب ؛ بل غضبا للعق وللشرف لحسب ، ولا تجور الطبقات المنتجة : من زراع وتجار وصناع بترك الزمام لها تحصل أسباب الحياة من حلها وحرامها .

فاذا تيسر لاجتماع أن يتناقض مثل هذا التناقض ويتعادل ؛ فإنه سيحقق لنفسه أعظم ما يمكن من السعادة . وكل اعتراف عن هذا التعادل يكون سببا لشقاء المجتمع واضطرابه وتدهوره ؛ وما نظن المقام يتسع هنا لبيان مدى الحفاوة التي تلقيت بها هذه التعاليم على مر أربعة وعشرين قرنا من يوم مولدها ، حتى أيامنا هذه التي ما تزال ترمقها بالإجلال والإعجاب ، وقديما شاد عليها الاخلاقيون الإسلاميون أبدع تعاليمهم الاخلاقية .

وأما العدالة الجزئية الخاصة : فهي التي تعرف عند الاخلاقيين والسياسيين باسم العدل ، تلك الكلمة التي يراد بها الإنصاف في توزيع الحقوق بين الافراد والجماعات ، وهذا هو العدل السياسى الذى يظهر لنا على الأخص في تصرفات الحكام والمسؤولين من موظفى الدولة .

وهذه القضية الجزئية العملية هي التي أثارت اهتمام أرسطو معلم الفلسفة الأول ، ولها كرس جانبا هاما من صفحات كتابه الخالد ، علم الاخلاق إلى نيقوماخوس ، وأثنى على المنصفين بها من المسؤولين عن الحقوق أفرادا وجماعات ، وخص بالإعجاب تلك الصورة السامية التي تبدو في سلوك من ينصفون الناس من أنفسهم فوق إنصافهم الأغيار بعضهم من بعض . وما أبدع قول أرسطو في تمجيد العدل . فما طلوع الشمس ولا غروبها بأحق منه بالإعجاب .

ولعل أرسطو الميسوف العالم المشهور بتدقيقه العلى الجاف الذى لا يقيم للعواطف وزنا — لم يتمالك نفسه أمام جلال العدل أن ينقلب شاعرا يبدى إعجابه بالعدل بهذا التعبير البديع الرائع .

وكذلك لعل الذين لم يوهبوا رقة الذوق الأدبى ودقته ولطفه لن يتنبهوا إلى دقة اختيار أرسطو لهذه العبارة فيقولوا : وأى إعجاب في طلوع الشمس وغروبها ؟ إن الشمس لتطلع كل يوم على الملايين من الناس دون أن تثير فيهم شيئا من الإعجاب . . . ولو علوا أن طلوع الشمس وغروبها كل يوم على هذه الدقة التي عرفت بها في مواعيدها تنهب للعالم سر ما أودع فيها من أسياى الحياة ، بلامتياز بين كائن وكائن ، إنما هو ضرب من العدل معدوم النظر - لعذروا أرسطو في تعبيره ، ولعلوا أنه هو أيضا في إعجابه بالعدل إلى هذا الحد كان آية في العدل . ومقا الله أفرادا وجماعات إلى العلم بالعدل ومكانته والتحلل به وهذا ناسواء السبيل .

# مراقبة الدائن أموال المدينة

لحضرة الأستاذ صالح بكير  
المدرس بكلية أصول الدين

للدائن حق عام على جميع أموال مدينة الحاضرة والمستقبل . ويتمثل هذا الحق في رهن وضمين عاقلين لهذه الأموال . وليس هذا الضمان ضمينا خاصا يترتب عليه حرمان المدين من إدارة أمواله والتصرف فيها .

ولا يجوز للمدين أن يلحق أو يسبب ضعفا لهذا الضمان العام ، كالالتجاء إلى تهريب ماله . ولذا منح القانون المدني الدائن وسائل لحماية حقوقه والحفاظة عليها . وتتلخص هذه الوسائل في ثلاثة أمور :

أولا — الدعوى غير المباشرة وهي دعوى يرفعها الدائن باسم مدينة نيابة عنه ، لأن المدين حينما يكون مثقلا بالديون فكثيرا ما يهمل في رفع الدعاوى التي يتوصل بها للحفاظ على أمواله ، إذ يعلم في قرارة نفسه أن مال هذه الأموال تكون في النهاية لدائته فلا يهتم بها . فالدائن والحالة هذه يرى أن حقوقه تتعرض للضياع . ولذا أجاز له المشرع رفع دعاوى مدينة التي كان عليه أن يرفعها وأهمل فيها . ويلاحظ أن الدائن لا يرفع هذه الدعاوى باسمه هو وإنما باسم مدينة ، ولهذا السبب تسمى هذه الدعاوى بالدعاوى غير المباشرة .

وبشروط لرفع الدعوى غير المباشرة :

- (١) أن تكون هناك مصلحة للدائن في رفعها .
- (٢) وأن لا تكون لهذه الدعوى صفة متعلقة بشخص المدين كدعاوى الأحوال الشخصية ، مثل دعوى إثبات أو دعوى النكاح أو الطلاق أو نحو ذلك .
- (٣) وأن لا تكون لها صفة أدبية أو معنوية متعلقة بشخص المدين كالمطالبة بتعويض للمدين بسبب إهانة لحقت به مثلا .

(٤) وأن لا تكون من الدعاوى التى موضوعها مال لا يجوز للدائن التنفيذ عليه كنفقة المدين .

ويلاحظ أنه ليس للدائن فى رفع الدعوى غير المباشرة حقوق أكثر من حقوق مدينه . فللشخص المرفوع ضده الدعوى أن يحتج بجميع الدفوع التى كان يصح أن يحتج بها ضد المدين أن لو رفع هذا الأخير الدعوى . اللهم إلا إذا كانت هذه الدفوع مشوبة بالغش والتدليس .

فإذا رفع المدين الدعوى لا يجوز للدائن أن يرفعها حيث قد قام المدين بما يجب عليه . وإنما يجوز للدائن التدخل فى الدعوى خشية أن يلحقه ضرر . والحكم الذى يصدر فى الدعوى غير المباشرة لمصلحة الدائن يترتب عليه دخول المال فى ملكية المدين ، ويستفيد منه جميع دائنى المدين بلا فرق بين من رفع الدعوى ومن لم يرفعها .

ثانياً — دعوى إبطال التصرفات أو الدعوى البوليصية ، نسبة لواضعها بولص أحد فقهاء الرومان . وقد قلها المشرع الفرنسى عن القانون الرومانى ، وأخذها القانون المصرى عن القانون الفرنسى . والغرض من هذه الدعوى إبطال تصرفات المدين الضارة بالدائن . وهى دعوى شخصية للدائن أن يرفعها باسمه هو لا باسم مدينه ضد من تصرف له المدين ، ويستفيد منها الدائن وحده دون سائر الغرماء الذين لم يرفعوها . وإذن فهى دعوى مباشرة .

ويشترط لرفع هذه الدعوى أن يسكون دين الدائن سابقاً على تاريخ تصرف المدين ، ودلت القرأت والظروف على أن الغرض من هذه التصرفات هو الإضرار بالدائن ، ومع هذا يجوز رفعها بالنسبة للتصرفات السابقة على تاريخ الدين إذا تبين أن هذه التصرفات قد قصد بها الغش والتدليس والإضرار بالدائن ؛ وذلك كأن يتفاوض شخص مع آخر لإقراضه مالا فى الوقت الذى يقوم بإجراء تصرفات خفية ، حتى إذا ما تم القرض اتضح للدائن أن المدين قد تصرف فى أمواله فلا يجد المقرض ما يضمن به حقه ضد المدين . وهنا تفصيل لا يتسع المقام لذكره .

ويشترط أيضاً لقبول هذه الدعوى : أن يكون هناك تدليس أو سوء نية من جانب المدين . ويرى بعض الفقهاء أنه يجب زيادة على ذلك ، لزوم توفر الإضرار بالدائن .

ويلاحظ أن هذه الشروط خاصة بالتصرفات التي لها عوض ، أما التي ليس في مقابلها عوض فيكتفي فيها بشرط الضرر كالحبة .

ويترب على الحكم الصادر بإبطال تصرفات المدين ، أن المال يدخل في ملك المدين ، وأن الدائن رافع الدعوى هو الذي يستفيد منها وحده دون سائر الغرماء . وحق الدائن في رفع الدعوى مقيد ، فلو أدى الدين للدائن توقف دعواه ، إذ لا مصلحة له في السير فيها .

وأثر الحكم لا يتعدى غير طرفي الخصومة ، فالعقد يبق صحيحاً بين المدين والمتصرف الذي رفعت ضده الدعوى من الدائن .

كما أن للمتصرف له الحق في طلب التعويض من المدين .

ثالثاً — دعوى الصورية : الصورية عبارة عن تصرف يخالف الحقيقة والواقع ، توصل لغرض مشروع أو غير مشروع كالحبة في صورة بيع .

والغرض من دعوى الصورية هو الحصول على الحكم بصورية الصرف وإلغائه ، وليست جميع التصرفات الصورية قابلة للحكم بصورتها إلا إذا ألحقت بالدائن الذي له في هذه الحالة رفع الدعوى .

ودعوى الصورية تشبه دعوى الإبطال من حيث إنه يتوصل بالحكم بصورية التصرف إلى إلغاء هذا التصرف ، كدعوى الإبطال وتختلف دعوى الصورية عن دعوى الإبطال من جهة أن موضوع هذه الأخيرة تصرف حقيقي وجدى ، بينما أن موضوع دعوى الصورية غير حقيقي كما أن دعوى الصورية لا تستلزم توفر شروط دعوى الإبطال ويرى بعض الفقهاء أنه يجب في دعوى الصورية توفر الصرر بالدائن . وأيضاً لا يشترط في دعوى الصورية أسبعية الدين على تاريخ التصرف . وأخيراً أنه لا يجوز رفع دعوى الإبطال إذا تصرف المتصرف له في المال . اللهم إلا إذا توفرت شروط دعوى الإبطال بالنسبة للتصرفين لها الأول والثاني .

إثبات الصورية : لا تثبت الصورية بين المتعاقدين إلا كتابة ، وهذا ما يسمى بورقة الضد . اللهم إلا إذا كان التصرف مخالفاً للقانون أو النظام العام ، فإن

الصورية تثبت بجميع الطرق القانونية . وأما بالنسبة لغير المتعاقدين فتثبت الصورية بكافة الطرق القانونية بما فيها البيئة والشهود .

الفئة الاسلامى : إذا رجعنا الى فقه أبى حنيفة ، لا نجد فيه ما يدل صراحة على وجود مثل هذه الدعاوى ، ومع ذلك توجد وسائل لتحقيق الغاية وتشبه هذه الدعاوى فى بعض الأحوال والصور ؛ فمن ذلك ما ورد بتصرفات المريض مرض الموت ؛ فإنه إذا باع المريض مرض الموت ماله لأجنبي بشئ أقل من ثمن المثل الذى هو أكثر من ثلث التركة نفذ البيع ووجب على المشتري إكمال الثمن إذا لم تجز الورثة الثمن المدفوع .

وكذلك إذا باع المريض مرض الموت ماله لأجنبي بشئ دون ثمن المثل ثم مات مديوناً ، وكانت تركته مستغرقة ، فلاصحاب الديون تكليف المشتري بإبلاغ قيمة ما اشتراه إلى ثمن المثل ، وإكاله وأدائه ، فإن لم يفعل بطل البيع . وواضح أن هذا هو عين دعوى الإبطال السابقة .

وكذلك إذا وهب المستغرق تركته بالديون أمواله لوارثه أو لغيره ثم توفى فللغرماء أن يدخلوا أمواله فى قسمتهم إن لم يمسحوا الهبة ، ومعنى هذا أن هذه الهبة يصح إبطالها ، ولا نزاع أن هذا هو عين دعوى الإبطال .

فمن هذه الأحكام يتبين أن هناك نوع مراقبة من الدائن لأموال مدينه ، ولكن هذه الأحكام خاصة بالمريض مرض الموت الذى تصرف فيها وهو مريض وتوفى ، ولكن مع هذا فإن الفقه الحنفى قد قرر مبدأ المراقبة لأموال المدين الضارة بالدائن .

وهناك وسيلة أخرى وهى أنب للغرماء أن يطلبوا من الحاكم الحجر على مدينهم الذى يمرض ماله للضياع وبذا تضيع حقوقهم قبله ، ولكن هذا الحجر مقصور على الاموال الحاضرة دون المستقبل ، إذ له بالنسبة لهذه الآخرة حق التصرف فيها كما يشاء . وللوضوح أبحاث دقيقة لا يتسع لها هذا المقام .

# لغويات

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار  
المدرس بكلية اللغة العربية

## انتظرنى بين الظهر إلى العصر

يجرى هذا الأسلوب كثيراً . وهو يخالف ما يذكره علماء النحو ؛ أن لفظ بين لابد أن يضاف إلى متعدد أو ما فى معنى المتعدد . تقول : جلست بين زيد وعمرو ، أو بين الرجلين ، أو بين القوم . وفى شرح درة <sup>(١)</sup> الغواص الممزوج بها : « ( بين قنصى الاشتراك ، فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ) كقولك : المال بين الأخوين ، والدار بين الأخوة ( أو ما يؤدى مؤدى ذلك ، كأحد الذى همزته أصلية ) ويختص بالنفى وشبهه ، كما فى قوله تعالى : لا تفرق بين أحدهما رسله ( وكذلك المشار بها إلى متعدد ) كما فى قوله تعالى : مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وقوله تعالى : لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ) . . . » فقوله مذبذبين بين ذلك ، أى الكفر والإيمان ، وأشار إليهما بالمفرد لتأولهما بالمذكور ؛ وقوله : لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، أى بين الفارض والبكر ، وقد لوحظ تأولهما بالمذكور كذلك . ويرى <sup>(٢)</sup> أبو حيان فى الآية الأخيرة أن الكلام من باب الاكتفاء ، أى عوان بين ذلك وهذا ، وذلك : إشارة إلى فارض ، وهذا : إشارة إلى بكر ، ولكن فى هذا رأى مجالا للتعقيب : فإن المشار إليهما مؤنثان فكان واجبا — لو صح هذا — أن يؤتى بإشارة المؤنث ، ولا مناص من التأويل . وخير من هذا ما يراه بعضهم أن ذا الإشارية يشار بها إلى المتعدد كما قال ليد :

(١) انظر شرح الدرر للأوسى ص ١٣٦ (٢) انظر البحر المحيط ص ٢٥٢ ج ١ .

ولقد سئمت من الحياة وطولها      وسؤال هذا الناس كيف ليد  
وقال شيخ الإسلام<sup>(١)</sup> زكريا في آية البقرة: « إن قلت بين تقتضي شيئين  
فأكثر، فكيف دخلت على (ذلك) وهو مفرد؟ قلت (ذلك) يشار به إلى المفرد  
والثني والمجموع. ومنه قوله تعالى « قل<sup>(٢)</sup> بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا  
« وإن تصبروا<sup>(٣)</sup> وتنتقوا، الآية « زين للناس<sup>(٤)</sup> حب الشهوات، الآية، فاللغني  
عوان بين الفارض والبكر، وظاهر هذا أنه لا حاجة إلى التأويل وإن قال<sup>(٥)</sup>  
الرضي إنه يشار بهذا إلى الثني والمجموع بتأويله بالمذكور.

وقد كان من أثر التزام إصافة بين إلى المتعدد أن أول النحاة قول امرئ القيس:  
فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول لمخول  
فقالوا: إن المعنى: بين أجزاء الدخول.

وأعود بعد هذا إلى المثال الذي صدرت به البحث فأقول: إنه فيما يبدو  
لا وجه له، ولا مسوغ يجيزه. وإن أرى أن هذا الأسلوب صحيح وأن الغاية  
والانتهاء فيه تقوم مقام العطف، فبذلك يكون التعدد الذي تقتضيه بين. فإذا  
قلت: سرت بين الظهر إلى العصر، فكألك قلت: سرت بين الظهر والعصر،  
وقد أفادت إلى معنى لا يستفاد لو أتينا بالأسلوب على وجهه، وهو استمرار  
السير إلى العصر، فأما إذا قلت: سرت بين الظهر والعصر فلا يبنى الكلام  
بهذا الغرض. وقد جاء عن العرب قولهم: «مطرنا ما بين زُيالة<sup>(٦)</sup> فالثلثية،  
فلما رأى النحاة<sup>(٧)</sup> هذا على غير ما قننوا وأصلوا قالوا: إن المراد: مطرنا

(١) انظر كتابه « فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن، المطبوع على هامش تفسير  
الطبيب ص ٤٣ ج ١.

(٢) الآية ٥٨ من سورة يونس

(٣) الآية ١٨٦ من آل عمران.

(٤) الآية ١٤ من آل عمران.

(٥) شرح الرضي على الكافية ص ٢٤ ج ٢.

(٦) زياة وثلثية مؤلان في الطريق من الكوفة إلى مكة.

(٧) انظر شرح الرضي على الكافية ص ٣٦٦ ج ٢

ما بين زبالة إلى الثعلبية ، وهذا قاض منهم بأن الأسلوب الأخير غير منكر وغير متنافر مع قواعدهم . ومرت هذا إلى المعنى وما يتم به من التعدد ؛ وإذا قيل ما سبق : أى مطرنا ما بين زبالة والثعلبية أو ما بين زبالة إلى الثعلبية أفاد ذلك اتصال المطر بين هذين الموطنين ، ولا تحصل هذه الفائدة لو قيل : بين زبالة والثعلبية . وقال النابغة <sup>(١)</sup> الجمعدى :

أيا دارسلى بالحسروية اسلى      إلى جانب الصّمان فالمتلم  
أقامت به البردين ثم تذكّرت      منازلها بين الدّخول فُجّرُثم  
ومسكنها بين الفُرات إلى اللوى      إلى شُعَب ترعى بين فعيهم

— أراد بالبردين طرفى الشتاء — فقرأه قال : بين الفرات إلى اللوى ، ولم ير فى ذلك حرجا ، لما كان ذلك يؤدى مؤدى ما بين الفرات واللوى ، ويريد الفائدة التى ذكرها وهى تردها فى السكنى بين هذه الموطن بين الفرات واللوى . وجاء فى الحديث <sup>(٢)</sup> : « كان النّبي صلى الله عليه وسلم يصلى الصبح وأحدنا يعرف جليسه ، ويقرأ فيها ما بين الستين إلى المائة » فقال الكرماني <sup>(٣)</sup> : « فإن قلت : لفظ بين يقتضى دخوله على متعدّد ، فكان القياس أن يقال : والمائة بدون حرف الانتهاء ؛ قلت : تقديره : ما بين الستين وفوقها إلى المائة ، وهذا تكلف لا داعى إليه ، والرأى أن التعدد حاصل فى المعنى والحكم ، وهذا يحسب فى هذا الأمر ، وجاء أيضا فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال <sup>(٤)</sup> : « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، ويتكلف شراح الحديث فى هذا أيضا فيقولون . إن المعنى : كما بين أجزاء صلاة العصر إلى غروب الشمس ، وهذا بعيد عن سياق الكلام ؛ فإن المراد حصر الزمن بين العصر والغروب . وجاء أيضا فى الحديث <sup>(٥)</sup> : « وكانوا يصلون العشاء فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل ، وهذا جار على ما رأيت دون حاجة إلى تأويل . ويقول ابن القوطية فى أفعاله : « أمسينا : صرنا فى المساء ، وهو ما بين الظهور إلى المغرب » .

(١) انظر الخزاعة ص ٤٦ ج ٤ . (٢) انظر صحيح البخارى فى مواقيت الصلاة .

(٣) انظر شرح المعنى على البخارى ص ٥٣٣ ج ٢ . (٤) انظر صحيح البخارى فى مواقيت الصلاة .

(٥) صحيح البخارى ، باب النوم قبل العشاء .

والتأريء بعد هذا — فيما أرى — يخرج باستفاضة المثال الذى هو موضوع البحث .

### أذهب إلى فلان ، قل له كذا

يجرى هذا الأسلوب ، وينكره بعض الباحثين ، ويوجب فيه العطف بالفاء ، فيقال : أذهب إلى فلان فقل له كذا . ويذكر هؤلاء أن الوارد فى العربية هو أسلوب العطف : كقوله تعالى : « اذهبوا إلى فرعون إنه طغى فقلوا له قولنا لينا لعله يتذكر أو يخشى » ، وقوله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأندر » . ويعيب هؤلاء على شوق قوله :

قف تاج أهرام الجلال وناد      هل من مُبْنَاتِكَ مجلس أو ناد  
ويقولون : إن الأسلوب الصحيح أن يقول : قف فناد .  
وفى الحق أن هذا الأسلوب يجرى على ضربين :

١ — فضرب يكون الثانى فيه بسبب من الأول ، فيجعل بدل اشتغال مه ، كما تقول : قم لأريك عظمه ، وهذا لا شيء فيه ، ومنه قول شوق :

قم للعلم وقته التبجيلا      كاد المعلم أن يكون رسولا  
وبما ورد قديما من هذا الضرب قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى :  
كأنى لم أركب جوادا ولم أقل      لخليلى : كُرى ، نفسى عن رجاليا  
وهو من قصيدته التى مطلعها :

ألا لا تلوماني ، كفى القوم ما ييا      فإلى لكا فى اللوم خير ولا ليا  
فقوله : نفسى عن رجاليا بدل من قوله كرى ، إذ كان التنفيس عن رجاله من لوازم كرى خيله ومستبحاته .

وبما يقرب من هذا وإن كان الفعل الثانى فى صيغة النهى قول الشاعر :  
أقول له : ارحل ، لا تقيم عندنا      وإلا فكن فى السر والجهر مسلما  
فقوله : لا تقيم بدل اشتغال من قوله : ارحل ، ولهذا أتى بالجملة الثانية مفصولة غير موصولة بالمعطف ، إذ كانت فى معنى الجملة الأولى ، فكان بين الجملتين كمال الاتصال ، كما هو مقرر فى البلاغة .

ب - والضرب الثاني ألا يكون الحديث الثاني من مستلزمات الحديث الأول كما في المثال الذى صدرنا به البحث ، وهذا موضع الإنكار والتقد . وأرى أن له وجهاً ومخرجاً في العربية ؛ وذلك أن تكون الجملة الثانية واقعة موقع الاستئناف الباني ، إذ كانت في موضع الجواب عن سؤال ينشأ عن الجملة الأولى . فإذا قلت لغلامك : اذهب الى فلان ، فهذا مظنة أن يخطر بباله السؤال عما عسى أن يبلغه إياه ، فتقول له في الجواب عن هذا : قل له كذا . وعلى هذا يكون المقام أيضاً للفصل ، إذ يكون هذا من مواضع شبه كمال الاتصال .

وقد جاء من هذا الضرب قوله تعالى : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، وما ورد في حديث <sup>(١)</sup> أم سلمة رضى الله عنها : أنها قالت : فأرسلت إليه - تريد الرسول عليه الصلاة والسلام - الجارية ، فقلت : قولى بحجبه قولى له : تقول لك أم سلمة . . . . . ورد قولى دون فاء في بعض الروايات واقتصر عليها الحافظ ابن حجر ، ويقول القسطلاني بعد أن أورد الرواية السابقة : ولأني الوقت والأصيل : فقولى ، وورد الحديث أيضاً في صحيح مسلم بلفظ : فقولى ، وأياً ما كان الأمر فإن رواية قولى ، رواية صحيحة لم ينكرها أحد ، وقد رجعت الى كتاب ابن مالك ، شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ، الذى يذكر فيه ما ورد في صحيح البخارى من الحديث مبيناً في ظاهر الأمر لما يقرره علماء العربية فلم أراه تعرض لهذا .

ومن هذا الضرب قول محمد بن بشير الخارجي في رثاء أبي عبيدة بن عبد الله ابن ربيعة يخاطب ابنته هذا زوج عبد الله بن الحسن :

فقوى اصربى عينيك يا هند لن ترى أباً مثله تسمو إليه المفاخر

وإذا كان هذا البحث يصحح المثال الذى هو موضع البحث ، بأن محبة قول شوقي :

قف نأج أمهرام الجلال وناد هل من بآنك مجلس أونا

وكان بمنجاة من اللوم والغيب بئته .

[١] انظر الحديث في أبواب السهو في آخر كتاب الصلاة من صحيح البخارى .

[٢] وانظر الأغانى ص ١٥٧ ج ٦٤ .

# رسالة عبد الله المسيب

لعضية الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوي

وكيل معهد أسيوط

- ٢ -

ولقد كان قتادة رضى الله عنه من أحبار التابعين ومن يرجع إليهم في التأويل وتروى عنهم السنة ، وكان أحفظ أهل زمانه كما قالوا . وقادة هذا كان من المولعين بابن المسيب ، يلزمه الأيام والليالي يأخذ عنه . روى أبو نعيم في الحلية أنه لزمه أربعة أيام يأخذ عنه ، ونقل أنه أقام عنده ثمانية أيام وفي الثامن قال له : ارتحل عني فقد أترقتي .

وقال قتادة : أثبت ابن المسيب ، وقد ألبس ثياب شعر ، وأقيم في الشعر ، فقلت لقائدي : أدنى منه ، فجعلت أسأله خوفاً أن يموتى وهو يجيبني والناس يتعجبون . هذا وإن له لمسانيد كثيرة من جماعة من الصحابة ، وقد تألق اسمه في شيوخ البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة السنة الآتبات .

وفي تاريخ ابن كثير ، كثير من الاخبار المنومة بناحيته العلمية ، ومن أهرقها في التصوير قول الإمام الزهري إمام المحدثين : جالسته سبع حجج ، وأنا لا أعلم عند أحد علما غيره . وقول مكحول : طفت الأرض كلها فافقت أعلم من سيد بن المسيب . وقول علي المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، وإذا قال مضت السنة لحسبك به ، وهو عدى أجل التابعين . وقول أبي حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة . فأما حله بتأويل الاحلام ، فإن ما روى له منه يبلغ منى العجب ، فهو يؤول الرؤيا

تأويلاً دقيقاً ، لا يتخلف مع غرابة ذلك التأويل ، وربما أول حيواناً أو شيئاً  
بشخص معين فيضع كما يقول .

جاءه رجل فقال : إني رأيت حمامة وقعت على منارة المسجد ، فقال : يتزوج  
الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فكان ا

وروى ابن سعد عن عمر بن حبيب بن قليب : كنت جالساً عند سعيد بن المسيب ،  
وقد ضاقت على الدنيا وركبتى ديون ، فجاء رجل ، فقال : رأيت رؤيا . قال : ماهي ا  
قال : أخذت عبد الملك بن مروان فأضجته إلى الأرض ؛ ثم بطحته فأوقدت  
في ظهره أربعة أوتاد . قال : ماأنت رأيتها ؟ قال : بلى . قال سعيد : ما رأيتها لا أخبرك  
أو تحبرنى . قال ابن الزبير ، رأها وهو بعثى إليك ، قال : إن صدقت قتل عبد الملك  
ابن الزبير . وخرج من صلبه أربعة كلم يكون خليفة . قال الرجل : فذهبت  
إلى عبد الملك فأخبرته فسر سروراً عظيماً ، وسألتى عن حال سعيد ، ثم قضى دينى  
وأغدق على . وقال رجل فى مجلسه : رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول فى قبة  
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات ، فقال : إن صدقت قام من صلبه  
أربعة خلطاء ، وهكذا نجد الكثير مما نقل عنه فى هذا الباب مما يصوره لك تصويراً  
صحيحاً ، حتى لا ترى أنه أقل منزلة فى ذلك من ابن سيرين الذى كان له الصيت  
الدائع فيه .

يجح لك يا ابن المسيب ! لقد كنا بجمل من أمرك الشيء الكثير ، فإذا أنت  
من مفاخر هذه الأمة ، وإذا أنت جدير أن يقول فيك الصحابي الجليل عبد الله  
ابن عمر : لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسه . ولقد يتصل بذلك  
ما نقل عن الإمام من جمل وعبارات ومحاورات بليغات لها دلالتها على ما كان  
له من بصر وصدق نظر وغزارة مادة وصفاء نفس . فمن ذلك ما روى أبو نعيم  
فى الحلية : أنه لما جرد ليضرب يوم أحجم عن البيعة لولى العهد وأنه امرأة  
فقلت : هذا مقام الحزى فقال : من الحزى فررنا .

وحدث ابن عيينة أنه سمع سعيداً يقول : « إن الدنيا نذلة وهى إلى كل نذل  
ميل ، وأنزل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها من غير وجهها ، ووضعها فى غير

سبيلها . . هذه حكم لو تدرها الناس لرضى القفل بإقلاله ، ولنحري المسكر في جمعه  
لخاله ، ولحاسب نفسه كيف تنفق ؟ وفي أى سبيل تضع المال ؟ .  
وكان يقول لا تملثوا أعينكم من أعوان الظلة إلا بالإنكار عليهم في قلوبكم ،  
حتى لا تحبط أعمالكم .

وروى على بن زيد عنه أنه قال : ما أيسر الشيطان من أحد إلا أتاه من قبل  
النساء . ولقد بلغت ثمانين سنة وما شيء أخوف عدى من النساء ، وكان سعيد  
ابن المسيب يقول : يد الله فوق عبادي ، فن رفع نفسه وضمه الله . ومن وضما  
رفعه الله . الناس تحت كفه يعملون بأعمالهم ؛ فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه  
من تحت كفه فبدت للناس عورته .

ونقل الشعرائي في طبقاته عنه . ليس من شريف ولا عالم ولا دى فضل إلا  
وبه عيب ، ولكن من الناس من لا يبنى أن تذكر عيوبه ، فن كان فضله أكثر  
من نقصه وهب نقصه لفضله . وحكى الشعرائي أنه كان يقول إذا دخل الليل  
لنفسه : قومي يا مأوى كل شر ، والله لادعك تحفين زحف البعير فكان يصبح  
وقدماه متصحتان ، فيقول لنفسه : بهذا أمرت ولذا خلقت . ولعل في هذا بعض  
ما يلقى لك ضوما على ما كان في ابن المسيب من تقوى ونسك ، وهو الناحية الثانية  
التي أشرت إليها سابقا . والناحية الثالثة صبره على المحنة وشرائه نفسه ابتغاء  
مرضاة الله . وهما ناحيتان مشرقتان في تاريخ العلم والعلماء ، تتمثلان أروع  
تمثل في سعيد ، وفيهما أعظم العظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وأما الناحية الثانية من نواحي ابن المسيب الفسك والزهادة ، فإن المتتبع  
لتاريخه يلبس أنه منها بالمحل الأول ، والوضع الذي لا يجهل . لقد نسك حتى أعيت  
بجاراته ، وقتت حتى عزت مدائنه ، وتحامل على نفسه هزلت على حكم الجهاد  
الصادق . كان قلبه معلقاً بالمساجد ، فسلك في المحافظة على الصلوات في الجماعة  
مسلكاً انفرد بالتوفيق له ، لقد حدث عن نفسه ، وحدث الرواة عنه أنه واظب  
على صلاة الجماعة أربعين سنة لا يشذ منها وقت ، يستميت في سبيل ذلك ويضحى  
فيه بأغلى ما عنده ، واعتلت عيه يوماً فقبل له : لو خرجت إلى العقيق فظرت إلى  
الحصرة ووجدت ريح البرية لنفعك ذلك ، قال : فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح

وفصح له بعض خلصاته أن يتمتع عن شهود الجاهة أيام امتنع عن البيعة للوليد؛ حتى لا يعرض نفسه للسخط، وكان الأمير يكتبني بأن يبعث إليّ في المسجد فلا يجده، فلما قيل له ذلك، وأنا أسمع الأذان: حتى على الصلاة حتى على الفلاح لا يكون ذلك أبداً؛ بل إنه كان يفتظر الصلاة قبل وقتها عملاً بالسنة، ومساعدة إلى الخير وعمل الجنة، ويقول في ذلك: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وما دخل على وقت صلاة إلا وقد أخذت أمهتها، ولا دخل على قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق. يجيئك لك يا بن المسيب إلا من عبّد الله كآبه يراه لم يكن أحب إلى نفسه من هذه الصلاة. نسال الله أن يحقق بتلك المقامات، وأن يجعلنا من أهلها.

وكان لا يدع أن يقرأ القرآن في سفره وحضره، وفي رواحه وغدوته، يحل حلاله ويحرم حرامه، ويحفظ به دينه وحلقه. وبما حدث به ابن حرمة عنه قال: حفظت صلاة ابن المسيب وعمله بالهار؛ فسألت مولاه عن عمله بالليل فقال: كان لا يدع أن يقرأ بـ (ص) فلما مر بالسجدة يجهد، وسجدت الشجرة معه، فسمعتهما تقول: اللهم أعطني بهذه السجدة أجراً، وضع بها غنى وزراً، وتقبلها مني كما تقبلها من عبدك داود.

وقد صلى الفجر كما قال الرواة بوضوء العشاء خمسين سنة. وعرف عنه أنه كان يتابع الصوم ويسرده سرداً، ولم يكن شرها ولا متشعباً، فقد كان يفطر في المسجد من شراب يوقى له به من يته.

وكذلك كان حجاجاً عجائزاً أشقى نفسه ليسعد بها بكثرة الخروج إلى البيت العتيق، وقضاء الخناسك يعاود ذلك أربعين مرة. وكان يذهب في العبادة مذهباً صحيحاً لا يحفل فيها بالظواهر والمظاهر؛ بل يعتمد بالناس إلى ما يؤسسها أساساً مدعماً وإلى ما يخرج به الخير مجسماً. قيل له، وقد رأى قوماً يصلون فيكثرون بين الظهر والعصر: ألا تتعبد مع هؤلاء، هذه هي العادة لو تقوى على ما يقوى عليه هؤلاء! فقال: إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله وأداء الفرائض. فأساس الدين عند هذا الإمام علم نافع، وخوف وازع، والتقرب إلى الله بأحب شيء إليه، وهو ما افترض على العباد. فأما هذه التوافل فإنها

لا تقبل إلا بعد تحقق تلك النواحي على أصح الوجوه ، ولقد تستطيع أن تدرك مبلغ هذه النواحي من الإمام وتقديره لها بما كان من حرصه على المكتوبة واحتفاله بها ، مع حوقه من النساء ، واستعاذته بالله من قتلتهن . لقد كان يقول : ما شيء أخوف عندي من النساء وقد بلغت السبعين . وأما تذكره في أمر الله ، فحدث من البحر ولا حرج .

وفي هذه المناسبة أستطيع أن أنتقل بك إلى الناحية الثالثة من نواحيه ، وهي جوده على التمسك وأخذ نفسه بالعزيمة بلا رخصة ولا هوادة ، وإرخاض نفسه في ذات الله فيمن بشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله . لقد كان عفاً إلى أبعد حدود العفة ، لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ؛ بل كان لا يقبل الشربة إلا من بيته حتى وهو صائم عند الإفطار .

وكان لابن المسيب عطاء في بيت المال ، يبلغ نيفاً وثلاثين ألفاً ، فلما دعي لأخذهما قال : لا حاجة لي فيها ، ولا في بني مروان ، حتى ألقى الله تعالى فيحكم بيني وبينهم . وأثناء ابن عمه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها . على أنه كان يجمع المال من حله ليصون وجهه ، ويحفظ عرضه فكان يتجر في الزيت ، ومات عن نحو ثلاثة آلاف دينار ، وكان قبل موته يقول : اللهم إنك تعلم أنني لم أجمع هذا المال إلا لأحفظ به وجهي وأصون به عرضي . وأهود به على جيراني وأهلي . على أنه كان سمحاً لا ينازع أحداً شيئاً ، ولا يخاصم أحداً في شيء ، فلو أن أحداً ادعى رداءه لزرعه إليه ؛ ذلك أنه كان مهذباً صديقاً وخاشعاً يدعو إلى الله ويدل على جنابه الرحيب .

ولقد كان من آثار تشدده في الدين وإرخاض نفسه في ذات الله أنه كان ينظر إلى الملوك والأمراء نظره إلى سائر الدماء ، فلا هو بالخاطب لودهم ولا المتهافت على دنياهم . لقد صلى أمامه الخجاج يوماً صلاة فجعل لا يحسن ركوعها ولا سجودها . فأخذ كفاً من حصباء غصبه بها ، قال الخجاج : فما زلت أحسن الصلاة بمدّها . ثم ما كان يبعث إليه ولا يبيحه . وذهب الخليفة هبة الملك إلى المدينة ووقف له على باب المسجد . وأرسل إليه فرفض لقاءه مع إغلاظ الرسول له . حتى قال الرسول : إن الخليفة ليست له عدى حاجة وإن تكن له

حاجة فهي غير مقضية . ولما بش الخليفة من لقائه ، قال : رحم الله أبا محمد  
بأبي إلا صلابة !

وحدث ميمون بن مهران : إن عبد الملك قدم المدينة واستيقظ يوماً من قائلته  
فقال لحاجبه : أنظر هل ترى أحداً من حدائق في المسجد النبوي ؟ فذهب فلم يجد  
إلا هذا الشيخ الكبير : فأشار إليه بأصبعه فلم يتحرك : فأتاه الحاجب وأغلظ له  
فقال الشيخ : وما حاجتك . قال : إن أمير المؤمنين . . . فقال الشيخ : لست من  
حدائق أمير المؤمنين . ولقد فعل مثل ذلك مع الوليد بن عبد الملك بمسجد المدينة  
فرفض لقائه ، وهما معاً داخل المسجد : فبسم الوليد به ولكنه نصح فانتصح . ولقد  
رفض البيعة لهذا الولد وأخيه هشام ، وهدد وعرض على السيف ، وضرب خمسين  
سوطاً ، وطيف به في الأسواق ما عدل به شيء من ذلك عن رأيه وعزمه . وبعد  
فهل ترى أدل على صدق العزم والثبات على الحق من قصة ابنته وزواجه ؟ لقد  
حاول الخليفة أن يزوجهما من ابنه الوليد ، فقال : لا أعلم فيه ، ونشأ عن ذلك أن  
ضرب وأهين في ذات الله ، فأما أبو وداعة الطالب الفقير فقد عرضت عليه عرضاً  
ثم زفت إليه رفاً ، ثم دفعت إليه النفقة ، وهي قصة شريفة طريفة أوردها العلماء من  
المؤرخين والصوفية . قال أبو وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، ففقدت  
أبائاً فلما جئته قال : أين كنت ؟ قال : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : ألا أخبرتنا  
فشهدنا ما ؟ قال : ثم أردت أن أقوم ، فقال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله  
ومن يزوجني وما أملك . إلا درهمين فقال : أما . ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على  
نبيه وزوجني على درهمين ، فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح وكنت صائماً  
فقدمت عشائي لا فطر وكان خبزاً وزيتاً فإذا بآت يقرع الباب فقلت : من هذا ؟  
قال : سعيد . فأفكرت في كل إنسان إلا سعيد بن المسيب ، لأنه لم يرم منذ أربعين  
سنة إلا بين بيته والمسجد ، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب ، فقلت : يا أبا محمد  
ألا أرسلت إلي وأتيك ، فقال : لانت أحق أن توتي ، قلت : فما تأمر قال : إنك كنت  
رجلاً هزياً فتزوجت فكرمت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك . فإذا هي قائمة  
من خلقه فدفعها وذهب : فسقطت من الحياء ثم تقدمت إلى القصعة فأحفيها ، ثم  
صعدت إلى السطح فرميت الجيران فقاموني فقالوا : ما شأنك ؟ قلت : ورحمكم ! وزوجني

ابن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة فقالوا : سعيد بن المسيب زوجك اقلت : نعم وما هي في الدار . . . وطالت القصة ، ثم يقول أبو وداعة : إني حين دخلت وجدت أجمل الناس ، وأحفظهم لكتاب الله ، وأعلمهم بنية رسوله ، وأعرفهم بحق الزوج ، قال : فكنت سعيد شهرا لا يأتيني ولا آتيه ثم هدت إلى مجلسه ، ولما هدت وجه إلى بعشرين ألف درهم .

رحمك الله يا أبا محمد ! ماذا يكتب القلم فيك وأية ناحية يسلك من نواحيك ؟ أعملك وعرفانك ؟ أم تقاك وإيمانك ؟ أم صلابتك في الحق وإرغاص نفسك في ذات الله . . . ؟ لقد كنت من الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجلها حين تنافسوا في عاجلها ، يهدمون الدنيا فيبنون بها آخرتهم . ويبيعونها فيشترون ما بقي لهم . قد أحبوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة . بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، فلا يرون نائلا مع ما نالوا ، ولا يرون أمانا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون . أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

## المطل

كتب الجاحظ إلى رجل وعده : أما بعد فإن شجرة وعدك قد أورقت ، فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل . والسلام .

وقال المهلب بن أبي صفرة القائد الإسلامي المشهور لبنيه : يا بني إذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما ، فكفى بذلك تقاضيا .

أخذها شاعر فقال :

أروح بتسليمي عليك وأغتدى وحسبك بالتسليم مني تقاضيا  
وقال شاعر آخر :

أروح غميرا وجهي بشاني وحسبك أن أراك وأن تراني  
وما ظني بأن يعيه أمرى ويمسلم حاجتي ويرى مكاني

## نظرات في توثيق المعاملة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الطيف السبكي  
المفتش بالأزهر

ذكرت أحد الوجهين مفصلاً في إيضاح ما استظهرته من تقسيم التوثيق إلى : واجب ، ومندوب ، ومباح . وللوجه الثاني - وهو من قبيل الاستئناس - منطوق الآية ونسبها للعقل ؛ وذلك أن الله تعالى يقول : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، ولفظاً : بدين ، وإلى أجل مسمى ، لم يذكر اعتباراً بل لغرض مقصود ، فما هو ذلك الغرض ؟

يقول كثير من المفسرين : إن لفظ « تداينتم » مشترك لفظي بين معنيين : تجازيتم - أي يجازى بعضكم بعضاً أمراً بأمر ، وتعاملتم بالدين ، فلفظ « بدين » ذكر لدفع ذلك الاشتراك وتمحيض اللفظ للتعامل بالدين . هذا كلامهم ، وهو عندى غير متعين ولا قوى ؛ ذلك لأن سياق الآيات في الربا والدين واحد على ما هو الظاهر المعقول ، وهو ما رجحه السيوطي ، وأطمانت إليه ، فالاشتراك في لفظ « تداينتم » مدفوع بالسياق ، واللفظ متمم للتعامل بالدين في هذا المقام ، وليس بحاجة إلى ضمنية أخرى تمحضه ، ومن أجل هذا اعتبر القرطبي أن لفظ « بدين » ذكر لتوكيد ما استعيد من سابقه ، فهو معنا في أن السياق دال على المعنى المراد من هذا اللفظ ، ولم يدعّه مشتركاً ... كما قال آخرون : إنه ذكر لبيان المراد نصاً ، ولا مانع فيما أفهم من القول بأنه ذكر للتبوية على أهمية الدين الذي يطلب التوثيق فيه على سبيل الإيجاب ... ويساعدنا على هذا الفهم ذكره منونا لا معروفاً ؛ إذ التوثيق كثيراً ما يكون لتنظيم كما هو معروف ، فكان الآية تقول : « إذا تداينتم بدين ذي خطر فاكتبوه وجوباً ، ولولا قصر ذلك الوصف للمحوظ في توينه ، لكان التعريف أولى وأدل على التعميم في جنس الديون

خطيرها وصغيرها ، وحيث لم يذكر مصرفاً فالعرض الذي أسلفته ، وإلا كان ذكر اللفظ « بدين » بعد دلالة السياق عليه أبعد من التأسيس وأشبه بالنافذة .. فإذا سلم لي ما قلته ، وضح أن لفظة « بدين » مما يرجع قولي فيها أما بسيله . وكذا قوله تعالى : « إلى أجل مسمى » فن المفسرين من يراه ذكر لمراعاة السلم الذي هو في رأيهم سبب النزول ، وإن كانت الآية شاملة لغير دين السلم ، ومن المفسرين من يراه ذكر لبيان أن الدين منه مؤجل ومنه غير مؤجل ، وأن الأجل يفني تقديره كما أقرته الآية ، وأن الأجل المجهول غير معتد به في حجة التعامل .

وعندي — حتى مع التسليم بهذه التوجيهات — أن في ذكر الأجل توبيهاً آخر على أن الدين الذي تحثنا الشريعة على توثيقه ، هو ما كان ذا شأن في اعتبار الناس وعرفهم ؛ وذلك أن الدين الذي يتعاق به اهتمام الدائن والمدين حتى يصريا له أجلاً معيناً هو في العادة غير النافذ ، فذكر الأجل المسمى للإشارة إلى ذلك الوصف المراعى ، وليس يمنع من هذا الاعتبار أن يكون لما ذكروا ، والنسكت كما يقول البلاغيون لا تتراحم .

وعلى هذا فالمستفاد من ذكر الأجل المسمى ثلاثة أغراض :

الاول - إقرار المسلمين على السلم الذي كان معهوداً من قبل ، وعلى عموم المدانة بالأجل فيما يجوز التأجيل فيه ، على ما بين في الفتاوى حين كلامهم على الربويات وغيرها .  
الغرض الثاني — لفت الناس إلى أن الأجل المعتد به في الديون هو الأجل المسمى دون المجهول حيث نيط الأمر بالكتابة بالمؤجل إلى أجل مسمى ، وهذا من قبيل الاستدلال بإشارة النص .

الغرض الثالث — إشعار الناس بأن الدين المأمور بتوثيقه وتسمية أجله هو ما يروونه فيما بينهم ويتطلعون إلى استيفائه .

هذا الوجه المفصل ، والوجه الذي بيته في المقال السابق ، يرجحان ما تخبرته من إيجاب التوثيق في الدين الخطير .

وأما نذب التوثيق أو إباحته في غير الخطير فأخذهما من قوله تعالى : « ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » ، ومن قوله تعالى : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها » .

الدب — : يقول القرطبي : أولاً ، لا تساموا معناه لا تملوا ، صغيراً

أركبياً ، حالان من الضمير في تكتبوه ، وقدم الصغير اهتماماً بشأنه ، وهذا النهي عن السأمة إنما جاء لتردد المدائنة عندهم ، تخيف عليهم أن يملوا الكتب ، ويقول أحدهم هذا قليل لا أحتاج إلى كتبه ، فأكد تعالى التحصين في القليل والكثير ، قال علانونا : إلا ما كان من قيراط ونحوه لنزارته وعدم تشوف النفس إليه إقراراً وإنكاراً ( ص ٤٠١ ج ٣ قرطبي ) .

وكلام القرطبي هذا يلائم قول القائلين بإيجاب التوثيق مطلقاً ، وخاصة قوله « وقدم الصغير اهتماماً به » ، وقوله « فأكد التحصين في القليل والكثير » .

ولكن اختيار القرطبي معروف مما سبق ، إذ قلنا عنه تأييده للقول بندب الاستيثاق على وجه العموم ، وقوله في صفحة ٣٨٣ ج ٣ : وهذا هو القول الصحيح .

فكان القول بالإيجاب في أي نوع من الديون لا يرقى عنده إلى درجة الصحة ، وعلى ذلك يكون كلامه هنا متزلاً على ما قرره آنفاً من ندب الاستيثاق ، وإن كان تحصينه مؤكداً في القليل والكثير ، ويكون النهي عن السأمة من التوثيق محمولاً في اعتباره على نهى الكراهة ، ويكون استثناء علاننا على ما حكاه للقيراط ونحوه عما لا تشوف النفس إليه استثناء من الندب . ورجوعاً إلى ما سبق في ترجيحه من إيجاب التوثيق في الخطير من الديون وما يلتحق بها أرى وبرى القارىء متى أن تسوية القرطبي بين الدين الكبير والدين الصغير في تأكيد التحصين مجرد متابعة لظاهر الصيغة ، وانسياق منه إلى تدعيم ما ذهبوا إليه من عموم الندب ، ولكن ذلك لا يسيل التسليم به على إطلاقه ، إذ الأظهر أن توثيق الصغير أمر مشعب ، وأن الله تعالى مع تخفيفه عنا بعدم إيجاب التوثيق فيه رغبتاً في تحصينه تأكيداً للاستعجاب الذي لم يبلغ درجة الوجوب ، وكان من تأكيد الاستعجاب فيه أن جمع الله بينه وبين الكبير في حيز النهي الدال على خطورة المخالفة ، غير أن النهي في جانب الكبير يدل على حرمة الترك بسبب السأمة ، وفي جانب الصغير يدل على الكراهة لحسب ، وقد سورغ ذلك الجمع بينهما أن الحكمة من التوثيق ، تتحقق في الجانبين ، وهو ما صرح به في قوله سبحانه « ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة ، وأدنى ألا ترتابوا » ، ولولا الحرج والمشقة وإرهاق الناس بما لا يطيقون لوجب التوثيق في الكل ، كما يقول آخرون

ولكن المصلحة في توثيق الصغير، مع وضوحها والتسليم بها، لا تبلغ مضرة التكليف به لكثرة واقعاته العنت والتعسير على الناس مما يخالف رفق الشريعة بالناس. ولعل في تعيير المولى سبحانه بقوله «ولا تساموا» توجيهاً إلى ذلك، فإن السأم يمتري المرء من غير قصد ولا اختيار، وصرفه عن النفس مستطاع فيما لا يكثر ولا يتردد بين الناس في غالب أوقاتهم، فمقول أن يكلف الله عبده بعدم السأم فيما يمكنه أن يدفع السأم فيه، وموطن ذلك هو الأمور القليلة الوقوع بالنسبة إلى غيرها وهي الديون الخطيرة. أما ما يكثر سبب السأم فيه، وهو الديون اليسيرة الفاشية فدفع السأم فيه عسير، ونهينا عن السأم إنما يكون للتنزيه، ولا يحفل أن يكون للحظر ما دام غير مقدور لنا دائماً. وعلى هذا يكون النهي في الآية لكراهة وللحظر جميعاً، فللكراهة في جانب توثيق الديون اليسيرة، وللحظر في جانب توثيق الديون الكبيرة.

وذلك كما يقال: لا تقطع مودة أصحابك، وذوى رحلك، فذلك نهى في أسلوب عربي مألوف، ولكن حكمه في الجانبين لا يستوى، فقطيعة الاصحاب لا تساوى في الحرج عند الله قطيعة الارحام، وهو استعمال سائغ على أى حال، سواء أكان استعمالاً للنهي في حقيقته ومجازه على رأى من يجيز ذلك، أم كان من قبيل عموم المجاز على رأى آخرين، أم كان حقيقة في المعنيين عند غير هؤلاء. وهؤلاء.

الإباحة — سبق أن حكينا عن القرطبي ما نقله عن هاتين من استثناء القيراط ونحوه مما يعد نزراً، ولا تشوف النفس إليه، فذلك عندم مطروح من مدلول لفظ «صغيراً»، ولا يتعلق به بتوثيقه ندب، وكان شيوخنا أولئك اعتمدوا في تخصيصهم للصغير بشئ دون شئ على العرف الصحيح المستمد من العمومات «وما جعل عليكم في الدين من حرج»، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»، فذلك العرف هو الذى وجه أفهامهم إلى استثناء القيراط ونحوه، وهذا ما نص ابن قدامة الحنبلى على قبح التوثيق فيه؛ لأنه في اعتباره اشتغال بالتأفة، وتعرض للقضاة فيما تأباه المروءة.

ولكن اتجه شيوخنا إلى عدم توثيق هذا التأفة الذى لا تشوف النفس إليه، لا يعتبر تحريراً ولا كراهة وإنما هو اختيار لا يمنع إباحة التوثيق فيه، ولا يكون

حراماً ولا مكروهاً شرعاً لو أن امرأ من الناس أو أناساً كثيرين جروا على الاستيثاق في القيراط ونحوه ما استثناءً علاناً، وفي حاجة البقال والعطار بما مثل به ابن قدامة، والامر في ذلك منوط بالرضا وطيب النفس، إذ أن هدم تعلق الطلب به كما فهم شيوخنا إنما كان للتخفيف، فإذا لم يكن تبرم ولا غصاصة فلا حرج على من أراد أن يفعل.

وإذا سلم لي ما ذكرته هنا تبين أن في هذا الجزء من الآية، ولا تساموا الخ، ما يعطى الإيجاب والتدب فصا وبغيد الإباحة مفهوماً، والاختلاف بالمفهوم مقول به على رجحان، فالإيجاب في الخطير عرفاً، والتدب في الصغير الذي لم ينهض إلى مكانة الخطير، ولم ينزل إلى درجة التافه، والإباحة فيما كان هيناً، كشم الرطل من الصابون والآفة من الفاكهة، وما إلى ذلك مما هو في حدود القيراط الذي مثل به علاناً الأولون. وإذا كان للعرف وزن واعتبار عند أشياخنا فيما فهموا ونقلناه عنهم في هذا الصدد، فنحن نرى في عرف الناس اليوم ما يشهد لما نقول، فالقبال والقصاب والفاكهى والكواء، وأمثال هؤلاء قد يتعاملون مع كثير من الناس بالاجل، وهم يقيدون بالكتابة ما يتناولونه الحرفاء (العملاء) مرة بعد مرة، وهو في كل مرة تافه؛ ولا يكون ذا خطر إلا بعد الاسترسال في الاختذ وضم بعضه إلى بعض.. ولا يقال إن ذلك يجري بلا استيثاق، فإن الغالب أن الحريف يوقع هو أو رسوله على دفتر معد بيد البائع، أو يأذن للبائع بتقييد مراته في دفتره، ثم يوقع الحريف من حين إلى حين على ذلك الدفتر، توثيقاً للبائع فيما اجتمع له، وهذا بعينه توثيق في أثمان تافهة، وهو في جوهره توثيق شرعى وإن كانت صورته أحياناً على غير الضابط الشرعى، فهل يقال: إن ذلك مما تأباه المروءة كما يقول ابن قدامة؟ أظن لا. وقد وضح أن العرف هو الذى يوجه الناس إلى رسم المعاملات، وقد يرى حسناً عند قوم ما لم يكن حسناً عند آخرين، والمرجع في إجازة هذا وعدم إجازته إلى الضوابط العامة الشرعية، والضوابط لا تضرب حول الناس سورا من حديد.

وتدعيماً لما ذهب إليه من تقسيم التوثيق إلى قسم ثالث هو المباح، سأعرض في ذلك لقول الله عز شأنه: «إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم. الآية» ولعل في الاجل بقية.

# رسالة الحياة وكيف تؤدي

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي رفاعي

مفتش الوعظ بالأزهر

أنشأ الله الكون على أبداع نظام، وأحكم صنع حيز الأفهام، ودوخ العقول؛ فالأفهام تقف دونه حائرة، والعقول تخرب بين يديه ساجدة. فالسما والارض وما بينهما، والشمس والقمر والنجوم كل يؤدي وظيفة في الحياة على نظام ثابت يوصل إلى غاية عظيمة.

هذه المخزونات لها رسالة خلقها الله لها، فهي تؤديها على أتم وجه. دون توقف أو اصطدام. والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون.

هذا الكون الذي خلقه الله على تلك الصورة وهذا النظام البديع، سخره للإنسان ووكّل إليه عمارته والعمل فيه؛ ليحيا حياة النعم والسعادة. وقد حث الله على التفكير في الأرض والسماء والماء والهواء؛ لاستباط ما يسعد بني الإنسان ويرقي الإنسانية إلى مراقى الفلاح والكمال.

فرسالة الإنسان في الحياة رسالة عظيمة لا يدرك عظمتها إلا من يعرف مقدار النعمة التي أنعم الله بها عليه، فهو خلق عظيم ما استجاب لحائقه ولي دهوة بآرته؛ فسار على نظام العبودية الحقة، وسبح في فلك الطاعة لا يريم عنه ولا يتحول، كما أن الشمس والقمر كل في فلك يسبحون. فيؤدي رسالته في الحياة في ظل هذه العبودية، فيقوم بما كلف به من عمل على وجه الإقتان والكمال دون إفراط أو تفريط، فإن حاد

عن ذلك فهو مفرط في حق نفسه وحق أمته وحق الناس أجمعين . وهو بعدُ  
مستول بين يدي الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، يعلم خائنة  
الاعين وما تخفى الصدور .

ثم هو مجازي بما يعمل ، إن خيرا خيرا ، وإن شرا شرا ، فمن يعمل مثقال ذرة  
خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

فالعالم — رجل الدين — رسالته في الحياة : تهذيب النفوس ، ومعالجة  
القلوب ، وبيان سبل الخير والقرئب في سلوكها ، وطرق الشر والتفير من  
ولوجها ، ونشر العلم ، وتيسير فهمه ، والرفق بالجاهل ، ولين الجانب للتعلم ،  
والجد في نشر الفضائل ، وبت النصائح ، مستغذا الصعاب في سبيل ذلك لا يثنيه  
عن قول الحق ترغيب أو ترهيب ، يفعل الخير قبل أن يوصى بفعله ، وينأى عن  
الفساد قبل أن ينهى عن فعله ، فهو قدوة في عمله وعقله ، لا يتماق إلا لأمواه  
ولا يذل إلا لحائقة ، يستمد عظمته من عظمة رسالته ، وغناه من قناعته ، وثقته  
برأقه : شعاره الذي يعتز به قول الإمام الشافعي رحمه الله في الزهد والقناعة  
والتعفف عما في أيدي الناس :

أنا إن عشت لمت أعدم قوتا      وإذا مت لمت أعدم قبرا  
عمتي همه الملوك ونفسي      نفس حر ترى المذلة كفرا

والحاكم رسالته أن يعدل في الرعية ، ويقسم بالسوية ، لا يفرق بين قريب  
وبعيد ، ولا بين عدو وصديق ، ويرعى شئون الناس بالقسطاس ، ويسهر على  
مصالحهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ويصرب البعاه والظلة والمفسدين في الأرض ،  
ويشجع المحسنين العاملين لمصلحة الأمة ، ويؤلف بين المتخاصمين ، ويعمل على توحيد  
كلمة الأمة وجمع صفوفها ؛ حتى لا يكيد العدو للأمة وهي متفرقة ، فيذهب ربحها .  
ومن رسالة الحاكم إشاعة الأمن في البلاد ، ونشر التعليم ، والمحافظة على  
الصحة العامة ، وعاربة الفاقة بإيجاد الأعمال للتعطلين ، والإيفاق على العجزة ،  
ومن في حكمهم من الأطفال والأرامل .

والمحكوم رسالته في الحياة أن يكون للحاكم العادل عوناً على تأدية رسالته ،

فيطيع أوامره ، وينفذ القوانين ، ويميت على إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، كما يعيه على اقتلاع جذور الفساد من المجتمع ، وشمية سبل الخير .

أما من وكل إليه تربية النفس فرسلته في الحياة غرس الوطنية في قلوب تلاميذه ، وتهذيبهم وتقوية أرواحهم بالعلوم ، وتبصيرهم بشئون دينهم ودنيائهم ، وتنشئهم على العزة والكرامة وحب الخير والمرومة والإقدام ، والتخلق بما يكسبهم التناء والمجد .

وكذلك كل عالم في فن من الفنون عليه أن يبذل جهده ، لينفع بفنه أمته ، فيحاول أن يفكر ويخترع ما يعود على الأمة بالخير في زراعتها وتجارتها وصناعاتها ، كما يفكر في تقوية مركز أمته أمام الدول لتكون مسموعة الكلمة مرفوعة اللواء .

وكل من يستطيع نفع بلاده ولا يفعل فقد فرط في أداء رسالته . وكل من يستطيع معونة الناس الذين يحتاجون إلى المعونة ولا يفعل ، فقد فرط كذلك في أداء رسالته . فالأطباء تصل رسالتهم بالإنسانية الكاملة ، والرحمة بالضعفاء ، فهم مسئولون عن تخفيف آلام المرضى والقيام على علاجهم ، ولا يصح أن يدخل في حسابهم غنى المريض وفقره ، فالطبيب إنسان جعل الله رسالته في الحياة تخفيف الآلام ، ومداواة الأسقام ، فإذا رأى ذلك ثم وقف جامدا حتى يأخذ المال ولو بمن لا يملكه ، فإنه حينئذ يحجم عن أداء رسالته السامية للإنسانية ، ويلصق بنفسه أنه تاجر ينتهر الفرصة ويستغل الحاجة ؛ بل إنه حينئذ إنسان زرع من قلبه الرحمة ، وهي إنما تزرع من قلوب الأشقياء .

والفنى الذى يسمع بأذنه شكوى الجائع ، ويرى بعينه عرى العارى أو يعلم من أمر جيرانه ما هم فيه من حاجة وعقوبة ، ثم لا تتحرك يده إلى جيبه ليطلع الجائع ، ويكسو العارى ، ويقضى حاجة المحتاج ، هو كذلك في غفلة عن رسالته ، ومقرب بال كفر بنعمة خالقه . وهكذا كل من الزارع والتاجر والصانع ، كل في عمله : رسالتهم أن يقوم كل واحد بعمله خير قيام ؛ فبهم الزارع بالفراس ويلتمس الوسائل الحديثة للاستنبات ، ويبذل جهوده في حقله لينتج إنتاجا حسنا ؛ كما بهم التاجر باستجلاب البضائع ، وتيسير الحوائج للناس ، متوخيا في ذلك

المصلحة العامة للناس دون أن يستغلهم أو يفشهم أو يذلهم عليهم . وكذلك الصانع يثمن صنعه ، ويحاول أن يكون دائما في تقدم مع حرصه على الصدق ، والأمانة والوفاء .

ولو أدى كل فرد رسالته على ما ينبغي ، وفكر أنه تحت عين الله ينظر إليه ويراه ، وأنه إن أحسن في عمله أحسن الله إليه وضاعف له ، وأن كل عمل سواء كان دينيا أو دنيويا خاصا أو عاما متى أخلص المرء فيه إليه وأتقنه ابتغاء وجه ربه فسيجد من توفيق الله له وتيسيره له في الدنيا وثوابه وكرامته في دار المقامة ، ما لا يقدر قدره إلا الله .

ولو أدى كل فرد رسالته في الحياة ، وقام بأداء الحاجة التي مياها الله لها أداء حسنا ، لتحققت العادة للجميع ، وتلك هي الغاية التي يريد بها الإسلام فيما أتى به من تشريع وأحكام . وهي رسالة القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب له المسلمون الأولون ، فعزوا بعد ذلك ، وسعدوا بعد شقاء ، وأصبحوا المثل الأعلى للأمم الحية الناهضة : لأن كل واحد منهم كان يشعر بالمسئولية في أداء الرسالة التي كلف بها ، والواجب الذي عليه قه وللناس .

## الجود

قال أكرم بن صبيح حكيم العرب : ذلوا أخلاقكم للبطلان ، وقودوها إلى المحامد ، وعلوها المحارم ، ولا تقيموا على خلق تدمونه من غيركم ، وصلوا من رغب إليكم ، وتحلوا بالجود بلبسكم المحبة ، ولا تعفدوا البخل ، فتسجلوا الفقر .  
أخذ هذا المعنى شاعر فقال :

أمن خوف فقر تعجلته وأخرت إففاق ما تجمع  
فصرت الفقير وأنت الغني وما كنت تعدو الذي تصنع  
لا يريد الشاعر فيما يظهر أن ينفق الإنسان كل ما يجمعه فلا يدخر للنوائب حصة منه ، بل يريد أن يجود الإنسان منه ليبارك له فيه .

## فَكَّنَا لِلَّهِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم علي أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

كذب من يزعم أن الحديث في إعجاز القرآن ينتهي إلى حد ، أو يصل إلى غاية ، أو ينضب له معين ، بل إن القارئ فيه ، المتأمل لمعانيه ، كلما أمعن النظر ، وأطال التأمل ، وأغرق في التفكير ، بدا له منه العجب ، وظهرت الغرائب ، وأيقن أنه يُعطى منه ما يُعطاء الواقف على شاطئ المحيط من الرذاذ حينما يقذفه بالحجر . . .

وهذه قضية فرغ الباحثون منها ، وانتهوا إلى تقرير الصواب فيها ، وكان الإعجاز هو الإعجاز حتى في تقريب هيكله ، وتصوير هيواله ، ليظل الناس يكذبون ويجدون ، ويمانون ويقاسون ، ويدأبون في التحصيل ، ويكدحون في الطلب ، إلى أن تقوم الساعة ، ويطوى الله الأرض ومن عليها . . . وهو يتحدى البشر في جميع النواحي معلناً بذلك أنه ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، لا يستطيعون أن يسبروا غوره ، ولا أن يدركوا كنهه ، ولا أن يعرفوا ما تضمنته من عبر ، أو احتواء من عظمات . ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فلا أنصحهم ببياناً ، وأقومهم لساناً ، وأعذبهم كلاً ، وأروهم حكماً ، وأقدرهم على تأليف الحجج ، وزخرفة الأدلة ، وترتيب المنطق ، يقف له في الطريق ، أو يمارضه فيما يقول ، اللهم إلا محاولات العاجز ، ومساوالات الضعيف ، وليست المسألة أكثر من أن يتفرغ له الذهن ، وينقطع له التفكير ، ويستجم الحاطر ، فإنه — حيثئذ — لا يشك في أنه أمام قدرة باهرة ظاهرة ، تسجد لها العقول الجبارة ، وتذهن لسلطان سطوتها الأفكار الكبيرة . . .

وقد جرت التقاليد أن العرب وهم دهاقين القول ، وجهابذة الكلام ، وصيارفة الحديث ، لا يُعرف الرجل منهم إلاّ بناحية من البلاغة يجيدها ، وأسلوب من الفصاحة يتقنه ، ولا يستجيدون واحداً منهم في كل الأغراض ، ولا في جميع الأحوال ، ولذلك كان المأثور عنهم أن يقولوا : « عثرة إذا ركب ، والأعشى إذا طرب » وقد اشتهر بعض الناس بأبواب خاصة من الشعر لا يحسنون إلا فيها ، ولا يحلون إلا في ميادينها . فهذا شاعر الرثاء ، وذاك شاعر الاعتذار ، وذلك شاعر الهجاء ، وهكذا دواليك لا يتوفر لواحد أن يجرى في كل مضمار ، أو يسبق في كل شوط .

ولكن القرآن كان من إعجازه التصرف في كل فن ، والإجادة في كل ناحية . والنبي صلى الله عليه وسلم كرمه ربه أحسن تكميم ، واحتفل به في مناسبات مختلفة من تلك المناسبات التي كانت تقتضي نزول جبريل عليه بالوحي ، لا يشك في ذلك مكابر ، ولا يمارى جاحد ، إلا أني لم أطرب لذلك كما طربت حينما قرأت ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسلياً ، وليس ذلك لسلامة اللفاظ ، وقوة التركيب وتناسق الجمل ، وخفة الحروف على اللسان ، وعدم كراهيتها في السمع ، وغير ذلك مما يمرض له علماء البلاغة ، ويهتم بالبحث عنه أمثال عبد القاهر الجرجاني وأبو هلال العسكري .

ولكنني نظرت إلى نوافذ أخرى شاهدت منها أشياء وأشياء نشع عنها الآية الكريمة ، هي فيما يرى الرائي ظلال وأطياف ، وألوان وصور ، وأرواح ومعان ، ولب لب ، وحلاصة الخلاصات .

وما حاجة الناس الى أن يحملوا حملاً غنياً ليجعلوا الرسول منهم بهذه المثابة وتلك المكاة ، ويذلوا له من الاحترام والتقديس ، والحفاوة والإعظام ، والمهابة والادب ، ما هو أشبه بالتكاليف الواجبة ، أو الطاعات المفروضة ، وهو لا يعدو أن يكون مبلغاً لما أنزل الله عليه ، وناقل لما يوحى إليه ، وهم إنما يعبدون الله وحده ، لا يشركون به شيئاً .

إلا أنني أيقنت أن المعلم الذي تعدم مهابته من النفوس ، وتذهب مكانه من القلوب ، ويفقد صلته بتلاميذه ، بحيث لا يكون هنالك ود متبادل وتقدير متوفر ؛ لا يرجى نفعه ، ولا يثمر ثمره ، ولا يؤدي عمله على الوجه الأكمل ، أو يفيد الفائدة المطلوبة ؛ ولهذا كان يؤثر عن بعض العلماء قوله : ذلك طالباً فعززت مطلوباً .

وقد كان جماعة من المنافقين ، يبالغون في إعنات النبي صلى الله عليه وسلم ، والسكيد له متخذين لهذا شق الصور ، وألوان الكفايات ، من عدم خضوعهم للكتاب الذي نسخ الله به جميع الكتب ، وعدم اكتراثهم بالرسول الذي جعله سبحانه خاتم الرسل ، يرددون اسم التوراة والإنجيل وغير ذلك من الصحف التي ذهبت معالمها ، والأسفار التي تغيرت حقائقها ، يريدون أن يتحاكوا إليها في الخصومة ، ويستثيروا بها في حسم النزاع ، وهي أوهام وترهات ، ودعاوى كاذبات ، وخرافات ما بعدها خرافات ؛ لذلك جاءت : فلا وربك لا يؤمنون ، وهي تقصد إلى أن إيمانهم مشروط بتحكيمة فيما شجر بينهم ، وألا يكون في صدورهم حرج من ذلك ، ويسلموا تسلياً .

وقد كانت العرب مع بداوتها وبساطتها ، وجفوتها وغلظتها ، تقدس السيادة والسلطان ، وتعتز بالهيل والهيلان ، ولم يكن هنالك ما يقضى على كبريائهم ، ويُخفف من غلوائهم ، ويظامن من غطرستهم ، إلا أن يتحكم فيهم سوام ، ويتولى الفصل فيما شجر بينهم غيرهم ، وهو إذا كان من هؤلاء الذين لم يشتهروا بالثراء والنعمة ، والعنى والبسار ، والعزة والجاه ، كان ذلك أدهى إلى النكاية بهم ، والأضرار عليهم .

وربما كان سر الإعجاز ، وسحر البلاغة ، إلى جانب كون الآية تهدف إلى غرض اجتماعي نبيل ، ومقصد من مقاصد التربية شريف ، ونظام من نظم الحياة العمرانية ، يجب ألا يفضل توفره في القدوة من الاحترام والإجلال ، والتعظيم والحقارة ؛ ليكون ذلك أدعى إلى الإذعان له ، والاستفادة من تعاليمه ، والقبول لها بيشربه من هداية ورحمة — أنها تضمنت معنى الدين كله ، وروح الشريعة جمعاء ، وليس في رسالة الرسل ، وتعاليم الأنبياء ، وراء تطبيق ما جاءوا به من

الوحى ، ونزل عليهم من الأحكام ، والتزام ما أمرنا به من التكليف ، وخضوع  
مواجستنا وأفكارنا ، وحركاتنا وسكوننا ، وأقوالنا وأعمالنا ، ورضائنا وغضبنا ،  
وفرحنا وسخطنا ، لكل ذلك بحيث لا يكون فينا تململ وقلق ، واضطراب  
واشتمزاز ، نمثل بالجوارح دون القلوب ، وننقاد في الظاهر دون الباطن ،  
كأولئك الذين وصفهم الآية ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس  
ولا يذكرون الله إلا قليلا ، . . أو نجعل همنا فى الجدل والمناقشة ، والبحث  
والمناظرة ، فما ظهرت حكمة مشروعيته قبلناه على العين والرأس ، وما لم تظهر  
حكيمته رفضناه . . فإن ذلك إلحاد ومروق ، وعصيان وفسوق ، يتنافى مع العبودية  
التي تستوجب الإذعان والخضوع ، والامتثال والتسليم ، والالتقياد والتفويض . .  
أما المفرد الذى فصل منه إلى ذلك التكريم الذى صلى الله عليه وسلم فتلك  
الإضافات ، وإستناد الفعل إليه ، مع أنه واسطة العقد . . ولعل أبرز نواحي  
الإعجاز هنا أن السكينة على قصرها طوت تحتها معاني طويلة ، وفقت آدابا جمة  
وتلك الأمثال نضربها للناس . .

### للشعر سلطان

قال الأديب الكبير صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه : دخلت على أبي العباس  
القائد فأنشدته :

الله جرد للندى والباس	سيفا فقلده أبا العباس
ملك إذا استقبلت غرة وجهه	قبض الرجاء إليك روح الباس
وبه عليك من الحياء سكينه	وحجة تجرى من الأنفاس
وإذا أحب الله يوما عبده	ألقى عليه حبة للناس

ثم سأله حاجة فيها بعض العلف فملكأ على ، فأخذت مصحاة من بين يديه  
فوقعت فيها على البديهة :

ما ضر عندك حاجتي ما مرها	عذرا إذا أعطيت نفسك قدرها
أنظر إلى مرض البلاد وطولها	أو لست أكرم أهلها وأبرها
حاشى لجودك أن يورع حاجتى	تقتى بجودك مهلت لى وعمرها
لا يبتنى حلو المحامد ماجد	حتى يذوق من المطالب مرها

# أعلام الأندلس

الشيخ على الليثي

المتوفى سنة (١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م)

نفضية الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقي  
المدرس بكلية اللغة العربية

- ٢ -

## شعره :

خلف الليثي ديوان شعر ضخماً لدى صهره الأستاذ محمد سعودى أفندى ،  
الخير ، ولكنه أبى أن يطبعه لعل أهله وخاصته بأن الشاعر لمن من يقدم  
على طبعه . ولعل الليثي فعل ذلك تخرجاً من نشر ماعى أن يكون قد تورط فيه ؛  
كشأن أكثر الشعراء ، من دعاية أو غلو في مديح أو ذم أو نحو ذلك ، فلقد كان  
في الرجل قبة وورع ، فهو يخشى حسابه على ما نظم ، ولو كانت هذه الثروة الشعرية  
لشاعر غيره ممن يغريهم المظهر والشهرة ، لجاز أن يحرص على طبع شعره وتدوينه  
والمفاخرة به .

ولو تبيأ لنا الاطلاع على هذا الديوان والفرس فيما حواه من شعر ،  
وفما بين دفتيه من قصائد نظمها في أغراض مختلفة ، وألوان متنوعة ؛ لاستطعنا  
أن ندرس شعره دراسة بحث وتقص ؛ ولكن احتجاب ديوانه ألقي على شعره  
ستاراً كشيء من الغموض والإبهام ، وجعل الحكم عليه مقروناً بالعناء والجهد ،  
وذلك بما دفعنا دفعا إلى مراجعة الصحف القديمة والمجلات المعاصرة له ، وتبع

الكتب الأدبية المختلفة عما عساه أن يضم طرفاً من شعره ، وخبراً من خبره ،  
وفستطيع بعد أن تعبت أناملنا من التصفح والتقليب وبعد الثور على جمهرة  
من قصائده المتنوعة : أن نحكم على شعره جملة بأنه في المنزلة الوسطى من منازل  
الشعراء <sup>(١)</sup> .

وكان القدر الأعظم من شعره في المدائح ؛ فلقد اصطفاه اسماعيل ، وأضنى عليه  
لقب شاعره الخديو ، ولازمه وناداه ، كما أدناه توفيق وأحله مكانة من نفسه ،  
وقد دعاه ذلك إلى أن ينظم فيهما مدائحه ملتصقاً لها شتى المناسبات ؛ آية على  
ولائه ، ودليلاً على وفائه ، كما مدح المصطفين لهذين الأميرين من ذي جاء أو شفاعته  
أو حظوة لدهما ، وكان الليثي حريصاً في هذه المدائح وخاصة ما لإسماعيل وتوفيق  
على أن يمجدها ويكسوها حلة من الروعة وجمال الشعر ، ولكنه على كل يدور  
فيها جميعاً مع تباين أسبابها على معانٍ متقاربة ، وطريقة متشابهة ، فهو يبدأ بالعزل  
متأنقاً في صوغه لينتقل منه إلى مدح الأمير حاشداً من معانيه وألوانه ما شاء له  
الأسلوب ، وما واثقه القرعة ، واستنبح مدحه الأميرين الذي هو ثمرة لصلته بهما  
وحد بهما عليه أن يقول مهتاً ، أو مواسياً أو معزياً ، فان وقاه الباهث على  
على الإطراء والمديح هو نفسه الدافع على قرض الشعر في كل ما جل أو هان من  
مختلف المناسبات .

ولقد جهدت فيما تتبعته من الشعر كي أعثر على المادامة في شعره ، وأتبين  
أثر هذا الفن لأرى ما أبدع منه في نظمه ، فلم يواتني منه شيء ، فلعلها كانت  
منادمة مجلس وسمير يصورها حديثاً برويه ، وقصة يسوقها ، ونكتة يرسلها ،  
ونادرة يفاكه بها ، وبديهة مواتية لا تستلزم الشعر أسلوباً ولا أداة .

## نماذج من شعره

بما قاله في عيد جلوس الخديو عباس الثاني :

يا عادلاً ج في لوى لتضلال	خل الملام فقلبي ليس بالسالى
أبيت أرحى الدياجى بئس الحال	دعنى ووجدنى وما ألقاه من وصب

ظننت لومك يثنى قلب ذى شجن      مهابات لومك لم يخطر على بالي  
أما الوفي وقلبي ليس يشغله      عما عليه انطوى تميمي عذالي  
أرح قوادك واحذر ما أكابده      أما نظرت إلى سقمي وإعلالي  
دمع يسيل وقلب ذاب من كسد      وفكرة شقتها لوعة البال  
صدتك حالي لا ذقت الهوى أبداً      ولا رمتك الواحي فيه بالقال

إلى أن قال :

قد قال لي القلب كم حلتني نصبا      من العرام وقد ضاعفت أثنالي  
هلا التفت وألرمت اليراع بما      يخف عني به وجدى ولبالي  
فقلت يا قلب صادفت المراد فذا      عيد الجلوس الحديو المفرد العالي  
عباس مصر الذي ضامت بغرته      أرجاؤها وعدت روضاً لللال  
صفوا النفوس بتشريف النفوس بدا      كاليدر يعطى اتناسا عند إملال  
فادخل بنا في تهانيه بموسمه      وإن تعاطم فاسلك نهج إجمال  
ثم قال :

هذا الآبي الذي أمضت عزاته      ما أوهم القلب من قول وأفعال  
زند الشيبة يورى رأى مكتهل      منه ويهدى لرشد عند تسأل  
فيه لرائيه إناس ومرحمة      وكم لراجيه منه نور آمال

فهذه أبيات تبدى بالفزول على عادة الشعراء ، ثم تنتقل إلى ذكر الممدوح بما  
شاع المدح به ، وما ألف نظم الإطراء فيه ، وهي وإن كانت أقرب إلى التجويد ،  
في نظمها وصوغها ، لا تحمل من روعة الشعر ، والطابع الشخصي ما يسمو بصاحبها  
إلى مصاف المجيدين :

ومما قاله في ليلة هرس :

فد ليلاات أنس عن سنى سفرت      وبالمراد إلى أسى حى وصلت

كانها ليلة القدر التي نزلت  
سرت بحسن صفاها مصر وازدهرت  
فما رأى مثلها الرائي فقد شرفت  
دار بسدتها الأجماد واردة  
إن شئت قل جنة أو جنة وسجن  
فم سويداك أو سود العيون بما  
وارع المثاق وراع العنديل بها

إلى أن يقول :

ولا أصرح بالداعي ولي أمل  
فأهنا فهذا القران السعد أرخه  
بعيده من حلى أوصافه كلت  
شمس البهاء بمحمود الصما اقترنت  
٤٠٠ ٣٩ ١٠٠ ٢٠٢ ١٩٥١

فهذه مظاهر للحسن والسرور ، والآنس والبهجة حشدها الشاعر حشداً ، ونظمها بصورة تقليدية لا أرى فيها روحاً للشعر العذب الرائع ، على أنه عني فيها بالخوف والطلاء ، فأشار إلى الاقتباس في ليلة القدر التي نزلت فيها الملائكة ، وجنس بين جنة ، و جنى ، و الغياث ، و الغيث ، و سويداك ، و سواد العيون ، و ارج ، و راع ، وبذل لذلك شيئاً من جهده وطلبه ، ثم ختم أبياته بالتاريخ الذي فن به معاصروه والمابقون عليهم ، وحرص عليه هو أيضاً . ومن ولوعه بالمحسنات البديعية ، وتكلفها وسعيه لها ما قاله للشيخ الأنباري بنى ماوشى به إليه :

نبئت أني قد ذكرت بحضرة  
وعذلت أن لم أهد ساحة مجده  
غرر التهانى عذل من أنبا بي  
ولقد نبأ بي من سمو مقامه  
عز المهابة وازدهام الباب  
فقدوت أدعوا الله أن يرقى إلى  
نسمو بكوكب هصره . الإنباي .

كما يحز الدين منه يناصر	وتقر عين الشافعي بمهاب
فبئله الإسلام يظهر نوره	وتقوم حجته على المرتاب
لا زال شيخ المسلمين محجا	بمهاة الإعزاز والإرهاب
حتى يقول العلم : سدت مؤرخا	بولى الأزهر شيخه ، الإنباي ،
سنة ١٣٠٤	٤٨ ٢٤٤ ٩١٥ ٩٧

فقد كلف بالتجسس في قوله ، الإنباي ، فأدارها غير مرة ، مما ( نباها )  
ووضعها موضع الفلق ، كما شد الجناس في قوله ، بمهاة ، و الإرهاب ، وختم  
بالتاريخ كذابه .

ومن آياته الرقيقة ما قاله حين زارته سائحة أمريكية وهو في ضيافته ، بالعصف ،

وزائرة زارت على غير موعد	غريبة دار تلتحي كل مورد
تبدي لنا وقت الظهيرة نورها	ونحن على روض زها بالتورد
من اللام لم يدخلن مصر لحاجة	سوى رؤية الآثار في كل مشهد
لها في ، أمركا ، انتساب ودارها	« بيستان » إذ تعزى لمسقط موك
فجيت وقالت والمترجم يبتنا :	لنا فأذنوا نخطي بروضكم الندى
فقلنا ونور البشر أزهر يبتنا :	على الرحب والإقبال مشكورة اليد
ودارت أحاديث التساؤل يبتنا	لجسات بدُر من حديث منضد
إلى أن قال :	

عن البحر حدث إذ وردنا وقد غدا	بصفو يضافنا فيا طيب ، ورد
سفيلتنا تعلو على فلك السما	بما حل فيها من شمس وفرقد (١)
هناك مراد العين والسمع والهوى	مع العفة الملياء في كل مقصد
فقمنا وودعنا القلوب قبل درت	بما نابنا عند الوداع المبهد (٢)

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب النبال .

(٢) المبهد : الميا .

# النبي والشعر

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد المسلول  
المدرس في كلية اللغة العربية

قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى ربه في أمة شديدة العناد  
قوية البأس، عرفت بالصلابة وقوة الشكيمة، وعنف الخصومة، وشدة العارضة  
والحرص على ما ألفت، والبقاء على ما اعتادت، والنادى في الباطل، والإصرار على  
ما هم فيه من عمى القلوب وظلام العقول، كلما دعاهم إلى فضيلة كذبوا وجمعدوا،  
وكابروا وعاندوا، وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق،  
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل  
منها، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً..

ولقد أنزل الله على رسوله القرآن المبين، والعرب إذ ذاك أسراء البيان  
وأعلام البلاغة، واللسن المفاول، الذين اكتملت فطرتهم ونضجت فصاحتهم ودق  
إحساسهم الأدبي، وامتلكوا ناصية اللغة امتلاكاً عجيباً، ولكنهم رأوا طرازا من  
البيان شق عليهم أن يجاروه، ونحووا من الكلام عز عليهم أن يمارضوه، فذهبت  
بهم الظنون كل مذهب، وتشعبت منهم الآوهام في كل يدهاء، وأخذتهم الحيرة في  
حقيقته، واستغرقهم التأمل في طبيعته؛ قالوا: إنه سحر ساحر أو شعر شاعر أو كهانة  
كاهن أو أساطير الأولين وذكريات الغابرين. ولكن الله أكذبهم في زعمهم  
وخطأهم في ظنهم وسفههم في أوهامهم، وبجل عليهم مجرم عن إقامة حجة على  
الرسول، وقصورهم في التماس مطعن فيه، بأنه أحمى لا يقرأ الكتب ولا يخط باليمين  
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك، إذا لارتاب المبطلون..  
كذلك كان من تمام الحجة على قريش وكال البرهان وبالغ التأيد، أن الله  
تعالى صرف نبيه عن الشعر وقوله، فلم يؤثر عنه من لدن طفولته، ولم يعرف عنه

في شبابه أو نشأته أنه قال الشعر مستجيباً لخوارج نفسه أو مناخها عن قومه أو مشاركا لشعرائهم فيما تهر به طبائعهم أو تقتضح به ملكائهم ، مع سمو فطرته وصفاء موهبته ، ورسوخ هرقه في البلاغة .

وذلك حكمة جليلة ليس وراءها حكمة ، وتدير جميل لا يبيته إلا علام الغيوب ، فإن قريشا قد اتهمته بالشعر ليوهنوا من حجته وينفضوا من دعوته ويقللوا لدى الناس من أهميته ، حتى يسبوا ما في القرآن من جمال النظم وسامي البلاغة وروعة الأسلوب وإشراق البيان إلى روعة الشعر وخيال الشعراء ، أم يقولون شاعر ترهبس به ريب المتنون .

واقه جل شأنه إذ يقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم : وما علنناه الشعر وما ينبغي له ، إنما يدحض باطلهم ويسفه أحلامهم ويزري بأرائهم فيما يظنون ، ويتنى كذلك عن الرسول ما يتعاطاه الشعراء وما يأخذون فيه من قول يستفز النفس أو انسياق وراء الخيال أو خضوع لنزوات النفس ، مما يؤدي إلى كشف عرض أو هتك ستر أو استباحة حرمة ؛ وذلك كله مما ينافي النبوة ولا يلائم ما للرسالة من وقار وهيبة واتجاه صادق إلى إصلاح القلوب وتهذيب الألسنة .

ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يقول : لما نشأت بنضت إلى الأولئان وبغض إلى الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله ثم لم أعد .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على أن يبعد عن ميدان الشعر ومنافسات الشعراء ، ورغبته القوية أن يتأى بنفسه عن المعترك الذي يصولون فيه ، وبالغ تحميصه لطبيعته المتوثبة الشفافة ، لا يشهد الشعر ؛ فإذا تمثل أو استشهد فإنه لا يقيم وزن البيت . وقد تعرض له حاجة إلى الإنشاد فيأخذ في الإنشاد من البيت حتى إذا حاولت الطبيعة عنده أن تستقيم وتعتدل وتأخذ حظها من الرواية لوى بها عن قصد ما وصرفها عن وجهتها وقدم أو أسخر في البيت حتى يحطم هيكل الشعر ويصدع كبرياه أنشد بيت طرفة بن العبد هكذا :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا      ويأتيك من لم تزود بالآخبار  
وصحته ، ويأتيك بالآخبار من لم تزود .

وقال : « أصدق كلمة قالها لييد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل .  
ولم يتم البيت :

وأشدد بيت العباس بن مرداس هكذا : أتجمل نهي ونهب العبيد بين الأفرع  
وعينة . فقال الناس : بين عينة والأفرع ، فأعادهما النبي صلى الله عليه وسلم بين  
الأفرع وعينة ، ولم يستقم له الوزن . وكثيرا ما كانت تذكره بعض الحادثات  
بيت من الشعر ، فلا ينشده ، وإنما يذكر به أصحابه أو يشير إليه .

حدث أن أصاب الناس جدب وامتنع نزول المطر ، فسألوا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يسقيهم ، ففعل صلاة الاستسقاء ، ودعا الله ، فلم  
ترد إليه يداه حتى جادت السماء بماء منهمر . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم  
حتى بدت نواجذه وقال : يرحم الله أبا طالب ، لو كان حيا لره من ينشدنا قوله .  
فأنشدوه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
ولما فتح الله على المسلمين مكة ، ورأى صلى الله عليه وسلم النساء يلطمئن  
الحليل ويضربن وجوههن ، التفث إلى أبي بكر ، وقال : ماذا قال حنان ؟ فقال :  
يا رسول الله إنه قال :

تغل جيادنا منطرات تلطمئن بالخنز النساء  
فهذا واضح صريح في أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم ينشد الشعر  
أو يقيم وزنه .

على أنهم اتفقوا على أن الرسول قد جرى على لسانه من الكلام ، ما عدا  
موافقا لبحر من بحور الشعر وهو الرجز منهوك ومشطوره .  
فالمنهوك كقوله في رواية البراء أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم على نغلة يبيضاه  
يوم أحد وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب  
والمشطور كقوله صلى الله عليه وسلم في رواية جندب أنه دميت أصبعه فقال  
هل أنت ألا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وهذا لا يقدح في عصمته من قول الشعر وضعه منه ، إذ أن اللسان يجري عفوا بما يمكن أن يمد في حكم الموزون من غير قصد إلى الوزن ولا رغبة في إقامته أو اتجاء إلى سلكه في نظام الشعر .

وأما القرآن الكريم ، فقد نفي الله عنه الشعر وأكد لم أنه ليس بقول شاعر ، قد جاءت فيه آيات اتفق لها الوزن ، ولكنه لم يقصد فيها ولم تطلب إقامته .

فما جاء فيه متفقا مع الوزن قوله جل شأنه : « لن تبالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله تعالى : « وجفان كالجواب وقدروراسيات » فإنهما يوافقان الرمل . الآية الأولى من مجزوء المسبح ، والثانية من مجزوء الصحيح . وقوله تعالى : « من تزي فإنما يتزكى لفسه » من مجزوء الخفيف . وقوله « ويحزم ويصركم عليهم » ويشف صدور قوم مؤمنين ، من الوافر .

وذلك وزن يجرى عرضا في الكلام من غير ارتصاد له أو احتشاد لإقامته ، وهو يتفق لكل متكلم . ثم الرجز الذي جرى بعض كلامه صلى الله عليه وسلم موافقا له ليس في حقيقته شعرا ، وإنما هو سلم وتمهيد للشعر . ولم يجعله العرب من الشعر إلا أنه كان الأصل في اعتدائهم إلى الشعر . ثم أخذ فيه الشعراء بعد ذلك وأجروه مجرى القصيد فجعلته العادة شعرا . أما الحقيقة فهو وزن كأوزان السجع ، يستطيعه كل متكلم من غير كد ذهن ولا إعاءات فكل ولا إجهاد طبيعة ، وهو مع ذلك كله لم يتفق للرسول صلى الله عليه وسلم فيه أكثر من بيت واحد ، ولم يمثل منه كذلك بأكثر من البيت الواحد كما نشأه بيت أمية بن أبي الصلت :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

وإنما كان ذلك في الرجز خاصة دون جميع أوزان الشعر ، لما قدنا ، ولأن الشطرين منه كالشطر الواحد في الوزن والقافية ، لا يبين أحدهما من الآخر وبخاصة في المشطور والمهوك .

يقول الأستاذ الرافعي « والذي عدنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع إقامة وزن الشعر في إنشاده إلا لأنه منع من إنشائه ، فلو استقام له وزن بيت واحد لغلبت عليه فطرته القوية ، فر في الإنشاء وخرج بذلك لاجالة إلى القول والاتساع

والى أن يكون شاعرا، ولو كان شاعرا لذهب مذاهب العرب التي تبعت عليها طبيعة أرضهم، ولتكلف لها ونافس فيها، ثم لجأ راحم في ذلك إلى غايته حتى لا يكون دونهم فيما تستوقد له الحية، وما هو من طبع المنافسة والمغالبة. وهذا أمر يدفع بعضه إلى بعض، ثم لا يكون من جملة إلا أن ينصرف عن الدعوة وعما هو أزكى بالثبوت وأشبه بفضائل القرآن، ولذلك قال تعالى : وما علينا الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . .

على أننا نحب هنا أن نقرر أمراً لا بد من تقريره وإبانه حتى لا يلتبس علينا أمر بامر، ولا يشتبه صريح بلیل : ذلك أن امتناع النبي صلى الله عليه وسلم، أو منعه من الشعر، لم يكن تهجيناً لشأبه، ولا تحقيراً لأمره، ولا إضراراً برسالة، وإنما لما يتنا سابقاً من الأسرار، وفيما عدا ذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم الشعر وقال : إن من الشعر لحكمة، وقد سمعته وأنا نب عليه، ورخص في سماعه وروايته : بل كان له شعراء يناخون عن دعوته ويذودون عن حوضه ويحامون عن رسالته، وهو القائل للأنصار : ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلحهم أن ينصروه بالسلم. وكان يقول لحسان، وهو يهجو المشركين : قل وروح القدس معك، فإن شعرك عليهم أشد من وقع الحسام في غبش الظلام . .

ولقد جاءه كعب بن زهير بعد أن أساء واستعطفه بقصيدته : بائت سعاد .  
التي يقول فيها :

نبئت أن رسول الله أوعى مني والعفو عند رسول الله مأمول  
فعفا عنه وخطع عليه برده .

وكان يستمع إلى الخنساء ويستزيدها من شعرها بقوله : هيه يا خناس .  
وسمع شعر قتيلة أخت النضر بن الحارث الذي قتله : سمع قولها :

ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفقى وهو المغيظ المحق  
فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم إن كان حق يعق

فقال : لو سمعت هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه . وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يعرف للشعر حقه، ويقدر له ما يؤدي من رسالة كريمة، وما يتجه إليه من غاية شريفة .

# الصنغ البديعي في مدرسة السكاكي

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد موسى  
المدرس بكلية اللغة العربية

## صلة البديع بالبلاغة عند السكاكي :

للسكاكي صنيع لم يسبق إليه في تاريخ التأليف من حيث إقامة الحواجز الفاصلة بين العلوم التي اشتمل عليها المفتاح ، فقد عرض للفروق بين هذه العلوم جميعاً في مقدمة كتابه ، قال بعد أن أشار إلى اشتغال الكتاب على ثلاثة أقسام : « والذي اقتضى عندي هذا هو أن الغرض الأقوم من علم الأدب لما كان هو الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب ، وأردت أن أحصل هذا الغرض ، وأنت تعلم أن تحصيل الممكن لك لا يتأتى بدون معرفة جهات التحصيل واستعمالها ، لا جرم أما حاولنا أن نتلو عليك في أربعة الأنواع مذبذبة بأنواع أخرى لا بد من معرفته في غرضك لتقف عليه ، ثم الاستعمال بيدك ، وإنما أغنت هذه : لأن مميزات الخطأ إذا تصفحتها ثلاثة : المفرد ، والتأليف ، وكون المركب مطاباً لما يجب أن يتكلم له ، وهذه الأنواع بعد علم اللغة هي المرجوع إليها في كفاية ذلك ما لم يتخط إلى النظم . فعلمنا الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف ، ويرجع إلى علمي المعاني والبيان في الأخير .

« ولما كان علم الصرف هو المرجوع إليه في المفرد أو فيما هو حكم المفرد والنحو بالعكس من ذلك كما ستقف عليه ، وأنت تعلم أن المفرد متقدم على أن يؤلف ، وطباق المؤلف للمعنى متأخر عن نفس التأليف ، لا جرم أما قدمنا البعض على البعض على هذا الوجه وضعنا لتؤثر ترتيباً استحققه طبعاً (١) ، على هذا النحو من الضبط ، وعلى تلك الطريقة من التمييز والفصل ، معنى السكاكي في تأليفه ، فاستحلي مذاقها المتأخرون حتى كان ما كان مما أنت به خير 1

أما القسم الثالث الذى اشتمل على علمى المعانى والبيان ، فقد رتبته على مقدمة لبيان حدى العلين والعرض منهما وفصلين لضبط معاقدهما والكلام على مسائلهما . والسكاكى أول من أطلق اسم « علم المعانى » على المباحث الخاصة التى يبحثها فيه ، ولا يخدش هذه الأولوية ما ترجمه من أنه اقتبس ذلك الاسم من تعريف الظم وشرح العرض منه عند عبد القاهر ، وكذلك كان السكاكى أول من أطلق على مباحث : التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، اسم « علم البيان »<sup>(١)</sup>

بل هو أول من فرق بين مباحث هذين العلين على هذا الوجه من الضبط والتحديد ، وأول من حكم على علم البيان بأنه متزل من علم المعانى منزلة المركب من المفرد ، فينبغى أن يتأخر علم البيان عن علم المعانى .

وقد عرف السكاكى البلاغة بقوله : « هى »<sup>(٢)</sup> بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكييب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، على وجهها ، ثم أشار إلى طرفيها الأعلى والأسفل ، وإلى ما بينهما من مراتب متفاوتة ، ثم نتوع الفصاحة إلى نوعين : نوع راجع إلى المعنى ونوع راجع إلى اللفظ ، ثم خلس من ذلك قال : « وإد تفرأ البلاغة بمرجعها ، وأن الفصاحة بنوعها ، مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فما هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يمار إليها ، لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الاعرف منها ، وهى قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ ، ثم مضى فى سوق ما تيسر له سوقه من النوعين مما تجده قاراً فى موطنه من كتابه ، وليس له فيها من جديد سوى إطلاق اسم « سوق المعلوم مساق غيره » على ما كان يعرف عند المتقدمين باسم « تجاهل العارف » ، وكأنه لم يجب أن يطلق عليه اسم تجاهل العارف لوروده فى القرآن الكريم ، ثم تراه بعد ذلك يسير سيرته من الإيجاز ، والاكتفاء بتحديد الألوان ، وإردافها بمثال واحد ، أو مثالين دون أن يشير كما أشار عبد القاهر أو أبو هلال مثلاً إلى أسرار الأساليب والكشف عن جلالها وروعها ، وكذلك تراه بعد أن فرغ من سرد القسم اللفظى يذيله بقوله :

(١) وهذا لا ينافى ما جاء فى مقدمة الكشاف للزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ حيث صرح بما يعبد أن المعانى علم ، والبيان علم آخر . إذ أن ذلك كان على عرف المتقدمين الذين لم يقيموا بينهما مثل هذه الحواجر ، كما فعل السكاكى . (٢) مفتاح العلوم - ١٧٥ (٣) مفتاح العلوم - ١٧٩

« وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني ، لا أن تكون المعاني لها توابع ، أعني ألا تكون متكلفة ، ثم قال : ويورد الاصحاب هاهنا أروا ما مثل كون الحروف منقوطة ، أو غير منقوطة ، أو البعض منقوطة ، أو البعض غير منقوطة بالسوية ، فلك أن تستخرج من هذا القليل ما شئت ، وتلقب كلا من ذلك بما أحببت . »

على هذا النحو الذي رأيت عرض السكاكي للبديع وقسم ألوانه إلى قسمين : معنوي ولهظي ، وهو مسبوق بهذا التقسيم وبذلك الألوان كما أسلفنا ، وليس له من جديد إلا ما حدثناك عنه مما ليس له كبير خطر في جوهر العلم ولبابه ، وقد نال البديع من طريقة السكاكي في القسم الثالث هذا الرد القائم على الاكتفاء بتعدد الألوان ، وتحديدتها وإزجائها بمثال أو مثالين بجانب طريق سلفه عن جمعوا بين البحث العلمي ، وحسن العرض الأدبي في البديع .

إلا أننا نلاحظ هاهنا أن السكاكي - وقد فصل بين علمي المعاني والبيان وأطلق عليهما هذين الاسمين - لم يمرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن العليين ؛ بل على أنها تشارك مسائلهما في تزوين الكلام بأسمى الخلل ، والوصول به إلى أعلى درجات التحسين ، ولم يشر السكاكي إلى أن هاتك فرقا بين هذه الألوان وبين غيرها من مباحث هذين العليين ؛ بل نراه يذكر ضمن هذه المحسنات الالتفات ، والإيجاز ، والأطناب ، وبنية القاري ، إلى أن هذه الألوان ، قد سلف الحديث عنها في علم المعاني ونظرة إلى تحديد السكاكي لهذين العليين تفقنا على مبلغ عذره في هذا الصنيع ، فقد عرف المعاني بقوله : « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره <sup>(١)</sup> . »

ثم عرف البيان بقوله : « هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالقصان ، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه . » <sup>(٢)</sup> ثم حصر علم المعاني في مسائله التي عرض لها ، وكذلك علم البيان ، فهذا الحصر بعد ذاك التحديد للعليين جعل هذه

المحسنات البديعية لا تندرج ضمن مسائل العلين : ولما كان تعريفه البلاغة بقوله :  
 « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بنوعية خواص التراكيب  
 حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ، شاملاً لهذه المحسنات  
 جعلها متضافرة مع مسائل العلين في البلوغ بالكلام إلى أعلى درجات التحسين  
 والتزين ، فكان السكاكي يشير بهذا الصنيع إلى أن من هذه المحسنات ما يمكن  
 رجوعه إلى علم المعاني كالتطابق ونحوه ، على أنه قسم آخر منه راجع إلى الجملة من  
 حيث هي جملة ، وليس راجعاً إلى أجزائها كما هو الشأن في جمهور مباحث المعاني ،  
 ومنها ما يمكن أن يسلك في عقد البيان كالمثاقفة ونحوها ، وإن كانت هناك  
 فوارق يسيرة ليست في الصميم من السهل إزالتها أو غرض النظر عنها .

ولفائل أن يقول : إن السكاكي بعد أن انتهى من على المعاني والبيان ،  
 عرض لتعريف البلاغة والفصاحة ، وهاتان من قبيل المقدمات لهدى العلين ،  
 ولا يبنى عنهما هذا الاسم تأخير السكاكي لهما ووضعهما في ذيلهما ، ثم ضم إليهما  
 هذه المحسنات كما ترى ، وهذا الصنيع يشير إلى أن المحسنات البديعية من قبيل  
 المقدمات التي لا بد منها لطالب على المعاني والبيان ، فهلا اعتبرتها كذلك ؟

وأما أقول : إن هذا احتمال قريب الخطور ، سهل المأخذ من صنيع السكاكي ،  
 ولا مانع عندي من جعلها من قبيل المقدمات التي لا بد منها في البلاغة ،  
 أو توزيعها على مسائل العلين ، ذلك ما سنكشف عنه في القسم الثاني من هذا  
 البحث بمشيئة الله تعالى .

هذا وقد لقي كتاب المفتاح - ولا سيما القسم الثالث منه - عناية لم يسبقه  
 إليها كتاب من كتب البلاغة : قال ابن خلدون في أثناء حديثه عن علم البيان :  
 « ثم لم تزل<sup>(١)</sup> مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن منحض السكاكي زبدته ، وهذب  
 مسأله ، ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب ، وألف كتابه المسمى  
 بالمفتاح في النحو والتعريف والبيان<sup>(٢)</sup> فجعل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذ

[١] مقدمة ابن خلدون : ٥٥٢ .

[٢] المراد به ما يشمل المعاني والبيان على بعض الاصطلاحات .

المتأخرون من كتابه ، ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد : كما فعله السكاكي في كتابه التبيين ، وابن مالك في كتابه المصباح ، وجلال الدين القزويني في كتابه الإيضاح ، والنلحيص ، وهو أصغر حجماً من الإيضاح ، والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره .

وكما كان السكاكي أول الجناة المشرفين على علم البلاغة بإخضاعه للعلوم العقلية ، فأضاع بهجته ، وأخلق ديباجته ، كان أول الجناة عليه بإلجائه إلى مضائق الاختصار ، ووسمه بميمس النعمية والإلغاز ؛ ذلك أنه عمد إلى القسم الثالث فاختصره في كتاب دعاه التبيان ، ففتح بذلك باب الاختصار لمن بعده ؛ كما فتح باب التحشية كما أسلفنا في الكلمة السابقة ، حتى وصلت البلاغة إلى هذا الحد الذي يثير الضحك ، ويبعث على التندر . ومرد ذلك كله إلى من أوردها تلك الموارد وهو السكاكي .

وإذا كان القسم الثالث قد استغفد هذه الجهود في الاختصار ، فقد استغفد أخرى في نظمه ، وأخرى في شرحه . وقد أحصى صاحب كشف الظنون هدداً وافرأ من المؤلفات يمثل هذه الطوائف الثلاث .

ويؤيد : بالقسم الثالث من المفتاح تنقطع الصلة بين المتقدمين الذين غلبت عليهم الصيغة الأدبية ، وبين المتأخرين الذين غلبت عليهم الصيغة النظرية ، وتمضى البلاغة منتقلة بأعباء المنطق والفلسفة ، والكلام ، وفي ذيلها البديع في طريق الاختصار النخل الذي لا يشبع نهمة ولا يبل أواماً ولا يربى ذوقاً ، أو في طريق الشرح السخيف ، أو التحشية الرديئة ، أو التقرير الحمل ، وما إلى ذلك مما أبعدنا عن موارد الصفو ، وأوردها مواطن الكدر ، وبقي الأمر كذلك منذ أوائل القرن السابع الهجري إلى يومنا هذا ، حتى مرنت الأذهان على العجمة ، وأصبح من آية الخلق والتمنهر احراز قصب السبق في تحصيل تلك الطرائق . فإن صاح صائح في رواد هذه الموارد العقيم : أن ارجعوا بالبلاغة إلى عهود الصفو والإشراق ، وجانبوا عهود الكدر والإظلام ؛ حتى تربي أذواقكم وتصبح سلاقتكم ، رموه بالآفن وحكوا عليه بالزيغ وسلكوه في نظام الملاحظة . نقول ذلك والشواهد على ما نقول مائة حاضرة .

# موضوع علم الأخلاق

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور رجب

المدرس بكلية أصول الدين

يقول : « بارتلى سانتليير » ، في مقدمة كتاب الاخلاق لأرسطو طاليس :  
« ومن النادر أن يقع إجماع الآراء على طريقة بسط مذهب بعينه ، مهما أجيبت  
ومهما بلغت من الحق ، ولكن من الأعمال ما هو مقر عليه عند جميع الناس ،  
وبين أن هذا الإقرار العام سيه أن هذه الأفعال تابعة لمبادئ مسلمة عند الجميع ،  
وتقع على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها في أغلب الأحيان .

« فاليبحث عن هذه المبادئ وترتيبها واستنباطها ، وتبين كل حقيقتها وكل  
أهميتها العملية ، وبيان الواجبات التي توجبها على الإنسان بجميع النتائج التي  
تترتب عليها . هذا هو موضوع علم الاخلاق ، انتهى كلامه .

فما هي هذه المبادئ العامة المسلمة عند جميع الناس ، والتي تقع أعمال  
الإنسان على مقتضاها ، من حيث لا يشعر الفاعل لها في غالب الأحيان ، والتي  
يدور عليها علم الاخلاق ؟

أهي السنن الكونية الطبيعية : كسنن الجاذبية ، والنور ، والحرارة ؟

كلا ، فهذه السنن الطبيعية ، وإن كانت عامة ثابتة ، ومسلمة عند جميع الناس ،  
إلا أنها خارجة عن إرادتنا ، فليس في وسع إنسان أن يبدل الصيف بالشتاء ،  
ولا أن يمنع الشمس من الشروق ، ولا الحديد من أن يتعدد بالحرارة ، ولا أن  
يجعل التفاحة حين تفصل من الشجرة ترتفع إلى أعلى بدل أن تسقط إلى أسفل ،  
فما هي إذا ؟

أهي هذه السنن الاجتماعية التي فرضتها على الدولة لمصلحة المواطنين ، تنظم بها  
علاقات الناس المشتركة المتبادلة بينهم في هذه الحياة ؟

كتلاً . فهذه السنن وإن تعلقت إرادتها بها ، إلا أنها غير عامة ولا ثابتة ، بل هي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهي في بلاد غيرها في الأخرى ، وهي اليوم غيرها بالأمس .

إذاً ، فما هي هذه المبادئ العامة المسئلة عند جميع الناس ، والتي تقع أفعالنا على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها في أغلب الأحيان ؟  
هذه المبادئ التي يدور عليها علم الأخلاق هي شريعة الحق والواجب ، وهي شريعة عامة ثابتة صالحة لكل زمان ومكان . فالحق واحد لا يختلف فيه اثنين ، وإن حصل خلاف بين الناس ، فإنما هو خلاف في فهم الحق لا في الحق ذاته ، تبعاً لاختلاف الناس في العقلية والذكاء ، والظروف المحيطة بهم في هذه الحياة ، ومعنى كونها عامة ، أنها موجودة في كل الضمائر ، وإن اختلفت قوة وضعفها .

ومعنى كونها ثابتة : أنها غير متغيرة ، بل هي صالحة لكل زمان ومكان .  
وهذا المبدأ ، أو هذه الشريعة ، أو هذا القانون الأخلاقي ليس من وضعنا بل هو قانون يناجي عقولنا ولكنه ليس إيماناً . ونحن لا نستطيع أن نذكره ، ولا أن نلزمه الصمت ، ولكننا نستطيع أن نخالف نصائحه القسوية الحققة ما دامت لنا إرادة حرة . ومن هنا نشأت مسئولية الإنسان أمام التقدير الصانع لهذا القانون .  
ولما كانت اللغة سابقة على علم النحو ، كذلك موضوع علم الأخلاق كان قبل أن يبحث فيه علم الأخلاق ، جاء هذا العلم فاجتهد في استنباط قواعد يهتدى بها الإنسان في أفعاله وأقواله . وأول من حاول ذلك هو سقراط <sup>(١)</sup> الذي يمتدحه

[١] ولد سقراط في أثينا حول سنة ٤٧٠ ق م من أب يشرّف صناعة الناييل وأم قابلة . احترف حرفة أبيه ، ولبث يرارها حيناً نصيراً قبل إنه صبح خلاله مجموعة منيعة من التناييل عرضت فيها بعد في الأكروربوليس ، بأثينا ثم ترك هذه المهنة وتخصّص لطلقة التي اعتبرها رسالته في الحياة وكان يعيش في أثينا ، ولبث فيها ولم يمارسها قط إلا حين اضطرته ظروف الحياة أن يتخرط في سلكه الجيش . وظل مشغولاً بالفلسفة حتى أنهم في سن السبعين بانكار آلهة اليونان والدعوة إلى آلهة جديدة وأنه يفقد عقول القيان لحكم عليه بالإعدام فأعدم . وكان يعلن أنه لا يعرف شيئاً . وليس حكماً ولكنه يلسوف . يحب للحكمة . وكثيراً ما كان يقول : أنا أعرف شيئاً واحداً وهو أني لا أعرف شيئاً .

الجميع واضح علم الاخلاق ، فاول أن يكشف لجيله ما حاول جميع الاخلاقيين من بعده أن يكشفوه لأجيالهم ، أعنى : المبادئ الخلقية العامة المسلم بصحتها .

فلم الاخلاق إذاً يوضح لنا الحياة الاخلاقية التي نحياها الروح في عالمها . ولقد وصف أفلاطون حياة الروح في جهادها قال : « فلنتصور أن كل واحد منا هو ما كينة حية خارجية من يد الآلهة ، فالشعوات التي نحسها هي كأنها حبال أو خيوط يجهذبنا كل إلى ناحيته ، وبتعاكس حركاتها تجذبنا الى أعمال متضادة .

وهذا هو ما يقرر الفرق بين الفضيلة والرذيلة . ولكن الحس السليم يدنا على أن واجبتنا ألا نطاول إلا أحد هذه الخيوط وتبع اتجاهه ونقاوم شديداً كل ما عداه من الخيوط الاخرى ، ذلك هو خيط الذهب المقدس : ضبط العقل الذي هو القانون العام للبالك وللأشخاص . ينبغي أن يكون الحكم للعقل مادام أنه هو محل الحكمة ، وأنه مكلف بأن يسهر على النفس بتامها . ولا ينبغي البتة أن يصفى المرء في نفسه إلا إلى صوت العقل ، لأن صوت العقل المستقيم إنما هو صوت الله يخاطب أنفسنا .

ولأن يعتقد المرء أن النفس تسمى بالمعارف ، أو بالثروة ، أو بالجاء والسلطان ذلك ليس إلا قصصاً فيما يجب من تشريف ما في نفسه من الجبة القدسية ، وتقريرا منه في إكرام نفسه . فإن إكرامها الحقيقي ينحصر في الدأب على تنمية الفضيلة فيها ، وحمايتها من الكبرياء والذات ، ومن الترف الذي يجعلها تخب عن احتال المشقات الصورية ، ومن الجزع حتى عند لقاء الموت بل حمايتها أيضاً من جواذب الجليل ؛ فإن الجليل لا ينبغي أن يؤثر على الخير ، بل يلزم أن يقال : إن كل ما على سطح الأرض وما في باطنها من ذهب لا يستحق أن يوازن بالفضيلة ، وإن المرء إذا لم يقصر تشبته على الخير وحده بكل قواه ، كان مورداً نفسه ذلك السكان القدسي موارد العار والاحتقار .

وحب إن الحياة الاخلاقية تنحصر في الدأب على تنمية الفضيلة ، وإن الانسان يستطيع أن يخاف أوامر العقل المستقيم ما دامت له إرادة حرة ، فوضوح علم الاخلاق إذاً هو أفعال الإنسان الإرادية أو الافعال التي لم تتعلق بإرادة الإنسان بها ، ولكنها نشأت عن سوء التقدير كمن يحفر حفرة في الطريق وينسى أن يضع عليها علامة تحذر الناس من الخطر ، فإنه مشغول عما ينجم عنها من أذى . يبحث

علم الأخلاق في هذه الأعمال وما يتصل ويترتب عليها من ثواب أو عقاب، فأعمال الإنسان كلها، عمومية كانت أو خصوصية تدخل في دائرة علم الأخلاق مادامت له إرادة حرة ولم يسيء التقدير في شيء؛ ولهذا لا يسأل الإنسان عن جماله أو بشاعته أو ذكائه أو غباوته؛ كما لا يسأل عن فعل ليس له فيه اختيار ومن هنا نفهم الحكمة في أن الشريعة الإسلامية لا تسأل الصبي غير المميز ولا المجنون لرفع التكليف منهما، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

وإذا كان علم الأخلاق يتخذ لنفسه موضوعا هو أعمال الإنسان الإرادية وما يتصل بها، لا الأعمال التي لم تتعلق إرادة الإنسان بها ولكنها نشأت من سوء التقدير، فهل يتخذ لنفسه أيضا من موضوعاته وساوس النفس على معنى أن الإنسان إذا وقع في نفسه شيء ولم يعمل به جوارحه فهل يحاسب عليه أو لا ؟

اتفق العلماء على أن الأمور التي تخطر بالبال مما يكرهها الإنسان ولا يمكنه إزالتها عن النفس لا يؤخذ بها، لأنها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق . وأما الخواطر التي يورثها الإنسان نفسه عليها، ويعزم على إدخالها في الوجود فقد قيل : إنه يؤخذ بها لقوله تعالى : « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ، وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وأنه من أفعال القلوب . وقيل : إن كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فإنه محل الغفر ، لما روى أنه صلوات الله عليه قال بعد نزول قوله : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » : إن الله تجاوز لآمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا .

نعم ظاهر قول الكتاب العزيز : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ظاهره يدل على أن الإنسان يسأل عما يقع في نفسه ولم يعمل به جوارحه . ومن يرى هذا الظاهر يقول : بأن هذه الآية قد نستخت بقوله : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، ومن لا يراه يفسر الإبداء بإظهار العمل ، والإخفاء بعمله خفية ، وعلى ذلك فلا حاجة إلى القول بالنسخ .

« وبعد » فيرى بعض علماء الأخلاق أن سرعة أهل هذا العصر في هدم الأخلاق أكبر من سرعتهم في تحصيلها ، وإذا كان الأمر كذلك فأجمع دواء لذلك هو ضبط النفس ، فضبط النفس معناه ثبات الأخلاق وتمكنها .

# هَيْئَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْبُرُوكِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المصم أبو سعيد

من جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
إذا حطبت أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدهسه إلى  
نكاحها فليعمل . قال جابر : غلبت جارية فكسبت أخذاً لها ، حتى  
رايت منها ما دعاني إلى نكاحها فترجعتها . رواه أحمد وأبو داود .

عم البلاد ثم مستطير ، ودام خطير تفضي بينا ، وملا السهل والحزن ، حتى  
شمل الناس جميعاً إلا من عصم الله ، فلا تكاد تجد مكاناً يتأذى عن هذا الوباء ،  
ولا بلداً بنجوة منه ؛ ذلك ما يدعونه ، بالخاطبة ، وهي امرأة اتخذت لها من  
الترويج لمن يريد الزواج مهنة ، ومن الجمع بين الشبان والشابات باسم الخطبة حرقة ،  
نظير أجر معين من الطرفين ، وما يقدانه عليها من هدايا وتحف ، مع أنه كان  
جديراً ألا يوثق بما تبديه من خبر ، ولا بما تدعيه من معرفة ، وما تحترعه من  
أوصاف ، وما تحيك من أباطيل ، فإنها لا تزعى في ذلك مصلحة حقة ، ولا ترقب  
ضمير ، ولا يهملها غير ما تدره عليها هذه الحرقة من ربح ، أو ما تنجيه من  
وراثتها من أجرة .

فكل فتاة عندها كريمة المحند ، سليقة الحميد ، ربيبة الشرف ، عنها يؤخذ الخلق  
الكريم ، والأدب القويم ، وعندها تفض العيون ، وتخشع الأبصار لإجلالها  
وهبة ، بل إن اللسان ليحجز عن أن يبر عما حوته من جمال ، وما اشتملت عليه  
من ع الحسن الشيم ، وجمل الصفات ؛ وكل فتى عندها إليه تنتهي المروءة والكرم ،  
والشجاعة والمرة والرجولة والشهامة ، والإيابة والشعم ، وإنه ليحمل أخلاق

الملائكة ، وطهارة القديسين ، وإنه لصفوة الخلق ونادرة الفلك ، هذا حديثها لكل خاطب وخاطبة ، وما صدقت في الأولى ، ولقد كذبت في الثانية .

فإذا وقعت الواقعة ، وتكشف الأمر أو الخطب ، وبدت الحقيقة لنى هينين واضحة جليلة ، لا زيف عليها ولا غبار حولها من زخرف القول ونسج الخيال ، هنا يستبين كذب ما اختلقته من صفات ، وما اخترعته من نعوت وميزات ، وما وقر في الأسماح من الاماني العذاب ، وما استقر في الأفئدة والقلوب من حلول الآمال ومسؤول الاحلام .

هذه الخاطبة التي لا خلاق يزجرها ، ولا دين يردعها ، إنما تفرر بشبابنا وتلحق أشد الضرر بعتياتنا ، وتمهد بذلك لبناء أسرة تموت في مهدها ، وتحفر يدها قبرها ، وتبنى لحدوها ، علفة وراءها المشاكل والإحزن والصغائن والاحقاد ، تاركة ثمرة هذا الزواج تعج بهم الشوارع والطرق حفاة عراة ، يتداخلون كخراف القطيع إذا عصفت بها الريح أو قسى البرد .

وكثيرا ما تتخذ من بيتها مكان لقاء ، وحش غرام ووكر هيام ومهد قته ؛ حيث يلتقي الخطبان ، ويتردد المحبان ، وتتناجى ظائمة وعطشان : كريمة العنصر وابن المجد المؤئل ، وعندئذ كم تقع من مآسى وتحدث من فواجع تفضح الاسر ، وتهتك الاعراض ، وتمزق الحرمات .

إن الويل أشنع الويل لمن يسمح لمثل هذه المحترفة أن تدخل بيته ؛ فإنها هادته لا محالة بما تشيعه فيه من فساد ، وما تجره عليه من أحداث وفكبات ، وما نحن أولاء نرى أنه ما من زواج تم على هذه الطريقة إلا وكانت نهايته المحتومة الطلاق أو الفراق ؛ ذلك أنه لم يحم على أسس سليمة ، ومعرفة تامة ووفاء ووئام ، وتسكاف بين الزوجين من الناحية الخلقية والاجتماعية والمادية والمعنوية .

وهكذا كل بناء يقوم على غير ما شرع الله ، فإن مآله الزوال السريع ، والبوار ولو بعد حين ، وإلها بهذا لا نسيء إلى الزوجين لحسب ، وإنما نسيء إلى الأمة كافة وتهدم بناءها ، وتثر نظامها ، وتنتشر فيها أقيح الامراض الاجتماعية ،

وأشدها قسكا ، وأمضا إيلاما ؛ إياها من غير شك ولا ريب لا تقترف جناية ضد فرد أو أمرة ، وإنما تقع جنايتها على الأمة والوطن ، وما كان أغنانا أن نفع فريسة لأمثال هؤلاء المحترقات المضلات : فإن الإسلام دين السباحة والحرية والحرونة ، قد بين السبيل القويم والطريق المستقيم ، وما فرط في شيء ، ولا أغفل أمرا ، فإنه إذ يحجب لك أن تبعث من تلق بغيرها ، ليستطلع ما هنالك بما لم تكن تعلمه ، وما قد تكون عليه المخطوبة من جمال أو دمامة أو نحو ذلك ؛ روى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أم سليم إلى امرأة فقال : أنظري إلى هرقوبها وشئ معافها <sup>(١)</sup> — وفي رواية — وشئ عوارضا — يبيح أن يرى الخاطب من ألقى الله في قلبه أن يخطبها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الانصار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال : فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الانصار شيئا <sup>(٢)</sup> ؛ أخرجه مسلم في صحيحه .

وروى عن المخيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما <sup>(٣)</sup> . رواه الخمسة إلا أبا داود .

وروى عن موسى بن عبد الله عن أبي حميد أو حميدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها ، إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة ، وإن كانت لا تعلم .

فقد دلت هذه الآثار دلالة واضحة على أنه يندب تقديم النظر إلى من يريد الإنسان نكاحها وهو قول جماهير العلماء ، والمفهوم أن النظر إليها إنما يكون بحضور محرّم منها ، وإلا فالخلوة بالأجنبية محظورة ومحرمة ، كما أن النظر إليها محظور كذلك إلا في مثل هذه الحالة ؛ لما ورد فيها مما ذكرناه من أحاديث .

(١) المناطق ناحيتا القمى ، والدوارض الأسفل التي في عرض القمى وهي ما بين النجاة والأضراس واحدها عارض والمراد اختيار واحدة للنكحة .

(٢) قيل عمن وفيل سفر .

(٣) أي تحصل الموافقة والملازمة بينكما .

والقدر الذي ينظر إليه الوجه والكفان؛ لأنه برؤية الوجه يستدل على الجمال أو صده ، وباليدين على خصوبة البدن أو عدمها . وقال الأوزاعي : ينظر إلى مواضع اللحم . والحديث مطلق فينظر إلى ما يحصل له المقصود بالنظر إليه ، ويدل على فهم الصحابة لذلك ما رواه عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور : أن عمر خطب إلى على ابنته أم كلثوم فذكر له صغرها فقال : أبعت بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك فأرسل بها إليه ، فكشف عن ساقها ، فقالت : « لولا إنك أمير المؤمنين لصككت عينك » .

ولا يشترط رضا المرأة بذلك النظر ، بل له أن يفعل ذلك على غفلة منها كما فعله جابر ، فكسرت أنجباً لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها . قال أصحاب الشافعي : ينبغي أن يكون نظره إليها قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيداء بخلافه بعد الخطبة ، ويثبت مثل هذا الحكم للمرأة فإن لها أن تنظر إلى غاطبها ؛ فإنه يعجبها منه ما يعجب منها .

هذا هو موقف الإسلام من هذه المسألة الشائكة ، وتلك تعاليم الرشيدة ، وسفنه الواضحة ترسم السبل الصحيحة لاختيار الزوجة التي تتناسب مع الزوج من شتى نواحيها ، ثم تمنح هذا الحق نفسه للزوجة حتى تقوم الحياة بينهما على أتم وفاق وأهدى سبيل لا إفراط ولا تفريط ؛ فهو يشخص الداء ويمنح الدواء ، أما ما نحن عليه اليوم ، أو ما عليه أغلب الناس من ترك الأمر في مثل هذه المسألة الخطيرة إلى رأى امرأة تاجرة ، أو لعلها فاجرة ، أو أن يترك الشاب والشابة يذهبان أنى يشاءان بحجة الخطبة والاختيار — فهو عبث واضطراب وإتباع لخطوات الشيطان وإغصاب لله وخروج على سنة رسول الله ، هذا هو الهدى ، وماذا بعد الهدى غير الضلال .

# تريز اورشليم

للاستاذ عمر طلعت وهران  
أستاذ في الآداب والصحافة

تعاثي مدينة القدس الآن أزمة حادة : إذ يحاول اليهود اغتصابها من العرب لتكون عاصمة لدولتهم الزائفة ، وسبق لهم أن سلطوا عليها مدافعهم وبنيرانهم ، فأصلوها من عدواتهم الوثائق ، وليست هذه هي المرة الأولى في التاريخ ، فان القدس [أرأورشليم] طالما قاست من نهر قصصهم - وهذه صورة قديمة أعدها لجيفنا الباسل

نحن الآن في العام السادس والستين الميلادي ، وقد انقضى على رفع المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — حوالي ست وثلاثون عاماً ، قد تنقص قليلاً أو تزيد قليلاً ، ومشرح الحوادث هي أرض فلسطين ، تلك الأرض الدامية التي شهدت منذ فجر التاريخ أروع الحوادث وأمرها ، وأملها دماً ، وأكثرها قسوة ، ومكاناً بالتحديد هو أورشليم أو بيت المقدس .

كان الرومان — إذ ذاك — هم سادة العالم ، وهم بالتالي سادة بلاد الشام وحكامها ، وكان سكان فلسطين من اليهود — وهم قوم متعصبون لا يقبلون نظاماً — قد ثاروا في أورشليم وأخرجوا منها حاميتها الرومانية المكونة من الفياق العاشر ، ورجاله من مضائق صقلية ، امتازوا بالشجاعة وعرفوا بالجسارة . ورأى الإمبراطور أن يلحق هؤلاء الخلق درساً يرد إليهم عقولهم ، ويكون عبرة لغيرهم من المحكومين ، فجهاز جيشاً أمر عليه فبأشيان [ومعه ابنه طيطس] ، فأنحدره إلى فلسطين كالسيل العرم ، يقود جيشاً من أقوى الجيوش التي أهداها الرومان .

(٥) من ٥٠ ف ١٠ مورتون : خطي المسيح : العليقة الثالثة عشر — نيويورك ١٩٤٥ : من ص ٢٤ — ٢٨ ، الفصل السادس من الباب الأول .

وكانت أول معركة خاضها عند الجليل ، ، التي تطل على بحيرة ساحرة المنظر ، فأحال مياهها الزرقاء الصافية ، حمراء قانية من كثرة ما سكب فيها من دماء اليهود ، الذين ترددت صيحاتهم وأناتهم على سفوح التلال وهم يولون الأدبار ، أو يسقطون صرعى الحراب وقتلى السيوف ، على هذه السفوح التي طالما استمعت إلى خطب المسيح وأقواله . وأسر الرومان من اليهود ستة آلاف من خيرة شبابهم أرسلوهم هبيدا جثيا تحت أقدام قيصر .

وتطورت الحوادث — آتت — في روما نفسها ، فقتل الإمبراطور رمبرون ، واثان غيره ، ثم نودي بقائدنا فسباشيان إمبراطورا في قيصرية ، فترك فلسطين متجها نحو روما ، تاركا وراءه ابنه طيطس ليضطلع بمهمة إخضاع اليهود وإدلالهم

كان طيطس في الثلاثين من عمره حينما وقف - سنة سبعين ميلادية - أمام أسوار اورشليم على رأس جيش يتراوح عدده بين سبعين وثمانين ألفا من الجنود الأشداء ، وبدأت المدينة تقاسى أهوال الحصار ، وتعاثى في الوقت ذاته هولا أكبر ، دو هول الحرب الأهلية ؛ فقد احتل المتعصبون والمتطرفون ورجال العصابات من اليهود بعض أحياء المدينة ، وأخذوا يشنون هجمات وحشية على أحيائها الأخرى ، حتى جرت الدماء في الطرقات ، ولم يكن في المدينة غير اليهود ، فإن المسيحيين ، وقد علوا بنبوة نبيهم قبل أربعين عاما هجروا اورشليم ، إلى إحدى صواحي الجليل ، كانت تدعى ديللا ، ، وهي الآن خربة الفحل ، .

وصمد اليهود للحصار ، ورفضوا الإذعان ، تحت إرهاب المتعصبين منهم ، وسرت المجاعة فيهم سريان النار في الهشيم ، ففاسوا منها أهوالا ، وأخذوا يقتذفون بالملثات بمن ماتوا جوعا من فوق أسوار المدينة حتى ملئوا ، فكندسوا الجثث في القاعات وداخل المنازل الكبيرة ، وتسلل كثيرون خلال الأسوار في ظلام الليل ، فكان الرومان يصلبونهم ، بمعدل خمسمائة شخص في اليوم حتى ندرت الأخشاب ، وبدأت التلال موحشة من منظر الصلبان الخشبية المحملة بالجثث .

وأثمر الجوع في القدس ، فكان اليهود يخرجون ، متسللين على أيديهم وأرجلهم كالأشباح الذابلة ، تسبقهم الشائعات بأنهم ابتلعوا ذهبهم في بطونهم —

وكانما ابتلعوا لعنة وعذاباً — فكان الجنود يترصون لهم ، ويتصيدونهم في الظلام يشقون بطونهم ابتغاء الذهب ، فقتلوا في ليلة واحدة ، بهذه الطريقة البشعة ألعين ، وهال الأمر القائد - فقضى بالموت على كل من تثبت أدانته بمثل هذه الجريمة ، وعلى الرغم من ذلك ، ظل الجنود يمارسون هذه المروية بحثاً عن الذهب في أحشاء اليهود .

وتغيرت معالم المكان وتبدلت ، حتى كتب « جوزيفوس » - المؤرخ اليهودي المعروف - وكان أسيراً لدى الرومان ، يقول : لم يكن أى أجنبي عن - رأوا يهودية أو غيرها من ضواحي المدينة الجميلة الرائعة - لم يكن يستطيع إلا أن ينوح ويبكى حزناً لما أصابها من تغيير . فإن الحرب قد أزلت كل معالم الجمال وأحالتها صعيداً راقاً ، بل إن أى فرد رأى المكان من قبل ، لم يكن ليعرفه الآن بعد ما حل به من أمر .

وبلغ الجوع بالسكان ذروته ، فصار الآب يختطف طعام أطفاله ، وسارت امرأة تملك مليوناً من الدينارات تلتقط حبات القمح المتسثرة في الطرق . وتخاصم الأصدقاء متقاتلين على ما قد يوجد من فئات ، وأخذ الناس يجمعون أى شيء - أى شيء يحدوه - فيمصفونه ، إسكاناً لصراخ إمعانهم .

ويروى « جوزيفوس » قصة مريضة عن أم ذبحت ولدها ثم جعلت من لحمه شواء أكلت نصفه ، وخبأت النصف الآخر ، ولما أتى الدهماء على رائحة الشواء ، وعلبوا بحقيقة الأمر ، خرجوا مسرعين ترتعد أطرافهم هلعاً وجزعاً من ذلك الهول الشديد .

واستنفذ طيطس جميع حيله ليحمل اليهود على التسليم ، فقد ركبوا رموسهم ، ولم يزدحم الجوع والحرمان والفوضى إلا عابداً ، أرسل إليهم رسلاً يطلبون إليهم الإذعان فأبوا ، فجمع القمح وأنواع الطعام ، ووضعها على مرأى منهم ، إمعاناً في تعذيبهم النفسى ، ثم أجرى عرضاً لجيشه ، وقد ارتدى الجنود أنظر الحلل وأزهي الثياب ، وحملوا على سواعدهم القوية خير أسلحتهم ، وارتقى اليهود أسوار المدينة يشاهدون العرض في خوف ورعب ، ولكنهم لم يذعنوا ، ولم ير طيطس بدا من أن يستأنف هجومه .

وشق الرومان بخيلهم ورجلهم الطريق فاحتلوا قلعة أنطونيا ، وكانت تقع بجانب القاعة التي سلم فيها يلاطس ، المسيح إلى قصاته .

ثم تابع الرومان هجومهم ، ودار القتال حول المعبد ، وتساقط اليهود قتلى ، ولكمهم لم ينضوا السلاح إيماناً منهم بأن جهنفاً الله ، سيأتي لنجدتهم إنفاذا لمعبد من الدمار . وتقدم الرومان خطوة خطوة فوق جثث اليهود ، حتى دخلوا قدس الاقداس في المعبد ، وحمل الغضب وحُمى القتال أحد الجنود الرومان فأخذ مشعلاً وقذف به إحدى النوافذ المذمبة في ذلك المعبد ، الذي كان آية في الفن ، وأحد عجائب العالم ، فسرت النيران تندلع بقوة .

وحاول القائد أن يمنع ما حدث ، ولكن عنف المعركة ، وشهوة القتل التي تملك الجنود — يدفعهم كرههم لليهود ، ويغريهم لهب وسلب الأموال والكنوز — جعلتهم يندفعون ، فإذا ما أتى طيطس بأمر أو يحاول وقف مسرى النيران — وهو يقف مثلاً متحسراً ، إذ يرى المعبد العجيب الصنع ، طامة سائغة للنيران — لم يجد أذناً تسمع أو تسمع .

ورقع نصف المدينة في أيدي الرومان ، بينما تصاعدت ألسنة اللهب وأعمدة الدخان من المعبد ، وتراجع المتعصبون من اليهود يغنون استنساخ القتال ، فوقف القائد الروماني يحاول نبيهم ، واعداء بمحهم الحياة . واليهود هم اليهود ، وأوها فرصة سانحة للساومة ، فساوموا ، حتى ضاق الصدر ونفد الصبر ، فأصدر القائد أمره للجنود أن : احرقوا وانهبوا واقتلوا ، فأموال اليهود ودماؤهم وأعراضهم حلال لكم . وقذف الحجيق بأحجاره ولهبه ، وتطايرت السهام تصيب الصدور ، وسددت الرماح إلى النحور وأعلنت السيوف في الرقاب .

وأمن اليهود في القتل حتى ضاقت بالقتل نفوسهم ، وجمعوا من الغنائم ما بشتت به أطباعهم ، وامتلات أرض المدينة المقدسة بجثث القتلى وأشلاتهم ، وتصادد الدخان من كل مكان ، ودكت المدينة دكا ، حتى سويت بالأرض هداماً ونحزبياً ، وتحققت نبوءة عيسى بن مريم حين قال : : ستلقى هذه الأرض بؤساً وعنتاً ، وسيعمل الغضب على أهلها . . . سيسقطون صرعى على حدة السيف ، ويسيرون عبيداً إلى كل مصر ، وستطأ أورشليم الأقدام . .

## مَذْهَبُ الصَّرْفَةِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي محمد حسن العمري  
مبعوث الأزهر في السودان

هذا المذهب ينصب الى الشيخ ابراهيم بن سيار النظام العالم المعتزلي الكبير ، فلا نجد كتاباً من الكتب يذكر هذا المذهب وينسبه إلا نسبه للنظام ، على أنه أول من قال به ، وناضل دونه ، بل إن الخاطر لينصرف عند ذكر هذا المذهب الى النظام ، بل كلما ذكر النظام ورد عليه مذهب الصرفة ، فيكاد يكون رأى النظام وحده ، بل يكاد يكون أظهر آراء النظام .

ولكن هل كان ابراهيم أول من قال بهذا المذهب ؟ إن المذهب على ما فهمه العلماء ، وهو أنه يتضمن أن العرب قادرون على الإتيان بمثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظماً ، ليس من ابتداع النظام ، ولا هو أبو عذره ، وإنما جرى الكلام بهذا على ألسنة قوم قبله ، ومن أشهرهم عيسى بن صبيح المزدار ، الذي يرجع إليه الفضل في انتشار الاعتزال بعداد بشخصيته الزاهدة ، وبقوة لسانه ، وفصاحته ، وقدرته على الوعظ ، وحسن القصص ، ويلقبونه ( راهب المعتزلة ) فهو يقول هذه المقالة <sup>(١)</sup> ويبعد أن يكون نفي الإعجاز عن القرآن ، كما يقول الكاتب الكبير المرحوم صادق الرافعي ، وإنما المستغاض ، والذي يقبله العقل ، وتميل إليه النفس ما يقوله الأستاذ أحمد أمين <sup>(٢)</sup> ( ولعله كان يرى كـبعض المعتزلة أن الإعجاز أتى من ناحية معانيه الـدينية ، وإخباره بالمغيبات ) .

ومن الظلم البالغ أن ننسب إلى واحد من هؤلاء المتكلمين المخلصين في الدفاع عن القرآن ، أنه لا يقول بإعجازه ، ولو أنه قال ما دخل في حسابنا ، ولا حساب أحد من عاصروه ، خصوصاً أنه لم يقل أحد عن المزدار أنه كان ينفي الإعجاز عن

القرآن، أما ما يقوله الشهرستاني عن زاهد المعتزلة وراهم من أنه كان كثير التكفير للناس، ويوافقه عليه الاستاذان الرافعي وأمين. فأظن المبالغة فيه واضحة، بل إنها مبالغة أقرب إلى الفكاهة منها بالجد الصراح، وحسبنا هذه القصة التي ذكرها الشهرستاني من أنه كان يمين في تكفير الناس (حتى سأله إبراهيم بن السند مرة عن أهل الأرض جميعاً فأكفرهم، فقال له إبراهيم: الجنة التي عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنت وثلاثة من أصحابك).

وما أشك في أن هذه الحكاية من تشيعات خصوم المعتزلة عليهم، وكم لهم من تشيعات — كما سنذكره قريباً —. ومن قال بأن الناس قادرون على مثل القرآن (الجمد بن درهم) مؤدب مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، بل قال إنهم قادرون على أحسن منه، وهذا رجل ساقط من الحساب، فليس النظام — إذن — أول قائل بهذا الرأي فلم يختص به؟ يقول الرافعي: غير أن النظام هو الذي بالغ في القول بالصرفة حتى عرفت به.

وهو تعليل مقبول لو كان له ما يدعمه، فأما لم نقرأ للنظام دفاعاً عن هذا المذهب، بل نقل المذهب غامضاً، مما حل بعض علماء القرن السابع الهجري (هو على ابن حمزة صاحب كتاب الطراز) أن يقول: إن المذهب يحتمل أكثر من تفسير لها فيه من الإجمال والغموض.

ولما كانت الكتب التي طالعنها لا تكفي في الجزم بخلو مطبوعاتها من رأى النظام مفصلاً، فقد رجعت إلى كتاب (إبراهيم بين سيار النظام) للدكتور عبد الهادي أبو ريذة، وفتشت فيه لعل أجده أطلع على شيء يتعلق بهذا المذهب أكثر مما رأيته فيما بين يدي من كتب مشهورة، فلم أجده ظفر بشيء، بل صرح بأن آراء النظام، بل وآراء المعتزلة بجملة أخذت من كتب خصومهم، ولا يوجد للمعتزلة كتب فيها تدبر مذهبهم. والاحتجاج لها، فرجعت مؤمناً بأن احتجاج النظام لهذا المذهب لم ينقل منه شيء، بل ذهب كل قول له فيه كإذهب كثير من آراء المعتزلة واحتجاجاتهم، ولولا أني رأيت الجاحظ يعرض لهذا المذهب في كتاب الحيوان لكان لي سدوحة في الشك والتردد الكثير في نسبة المذهب للنظام. وهنا مسائل لا بد من الحديث عنها:

(أولاً) أن النظام كان باتفاق القدامى والمحدثين ، الأصدقاء والأعداء . قوى الحجّة ، فصيح اللسان ، ماصع البيان ، واسع الثقافة ، يقول الجاحظ : « يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له ، فإن كان ذلك صحيحاً فهو أبو إسحق النظام » . ويقول : « لولا مكان المتكلمين لهلك العوام من جميع الأمم ، ولولا مكان المعتزلة لهلك العوام من جميع النحل ، فإن لم أقل وأصحاب إبراهيم وإبراهيم لهلك العوام من المعتزلة فإنّي أقول إنه قد أنهج لهم سبلاً ، وفق لهم أموراً ، واختصر لهم أبواباً ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة » ، ويقول أبو الحسين الخياط عن دين النظام ودفاعه عن الدين : « إن إبراهيم وأشباهه ساطوا التوحيد ونصروه ، وذبوا عنه ، وشغلوا أنفسهم بجوابات الملحدين ، ووضع الكتب عليهم ، إذ شغل أهل الدنيا بذااتها ، وجمع حطامها » .

ويحكى عن النظام أنه قال عند احتضاره ، ما يصرح بأنه يتبرأ من كل دين غير دين التوحيد ، وأنه ما اعتقد مذهباً إلا بعد ما اعتقد أن فيه رضا الله ، ثم يعقب الخياط على القصة بقوله : « وهذه هي سبيل أهل الخوف لله ، والمعرفة به ، والله تعالى شاكر لم ذلك » .

وقد يقال إن كلام الجاحظ من قبيل امتداح التلبذ لاستاذة ، وكلام الخياط من باب حب المعتزلي للمعتزلي ، وهو حب كان يضرب به المثل قديماً ، ومع أننا نربأ بالجاحظ أن يحمله الاحترام لاستاذة على هذه الشهادة - وأمثالها كثير في كتبه - وبالخياط أن يعميه التعصب المذهبي إلى هذا الحد ، نقل شهادات أخرى لا سبيل إلى الطعن فيها . فالرافعي الذي ذهب في تقص مذهب الصرفة مذهباً جعله يقول إنه يشبه قول العرب في القرآن ، إنه سحر ، يقول عن النظام : « حتى جاء رأي في مذهب الصرفة دون قدره ، بل دون علمه ، بل دون لسانه » .

والاستاذ الكبير أحمد بك أمين ، وهو رجل بعيد عن فتن الكلام ، وعصية المذهب يقول « كان النظام آية في البوغ ، حدة ذهن ، وصفاء قريحة ، واستقلال في التفكير ، وسعة اطلاع ، وغوص على المعاني الدقيقة ، وصياغة لها في أحسن لفظ ، وأجل بيان ، ويقول الدكتور أبو ريذة بعد ما تتبع النظام في كل نواحيه ، ودرسه دراسة وافية عميقة « ولا مرأى في أن النظام كان صاحب الفضل الأكبر

في التغلب على الحقنة التي تعرض لها الإسلام في عصره ، حين بدأت الثقافات الأجنبية والمذاهب الدينية ، والفلسفة المخالفة تغزو عقول المسلمين ، وحين بدأت نزعة الموالى الداخليين في الإسلام تديمقظ في نفوسهم ، نهض للذب عن الدين ، وكان أحق من تكلم في عصره ، وأحرز أعظم النجاح فيما نهض له .

وبجانب هذه الأقوال نجد أقوالاً كثيرة أخرى تشهد بكفره وزندقته . وسوء سلوكه ، ومن أجمعها قول ابن حجر ، ما في القدسية أجمع منه لأنواع الكفر ، ومع زيفه وضلاله كان أفسق خاق الله ، وهو داء قديم .

(ثانيها) أن المعتزلة نكبوا أعظم نكبة حين ضاعت كل مؤلفاتهم ، ومنذ أن دالت دولتهم في القرن الثالث الهجري لم تبق لهم قائمة حتى الآن ، وظلت آراؤهم طوال هذه العصور تلوكها السنة خصومهم ، وتتناولها بالتحريير والتبديل والتغيير ، ولا منكر عليهم ، ولا معارض لهم ، ولا مدافع عن نظريات المعتزلة ووجهة أنظارهم ، حتى في عصرنا الحاضر — وإن تحرر فيه الفكر — لا تدرس آراء المعتزلة إلا في كتب ألفها أصحابها الرد على نظرياتهم ، مع الاعتقاد سلفاً بأنها باطلة ؛ والناشئة يدرسونها على هذا الأساس ، ولا تعرف في هذا التاريخ الطويل أحداً استطاع أن يجهر بمذهب الاعتزال إلا ناله الأذى والضرر ، فلبى أن تأثر آراء المعتزلة ، وأن تتأثر الأقوال عنهم بهذه النظرة .

على أن النظام كان نصيبه من هذا أوفى نصيب ، فقد رى بأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ورعى بالفسق والزيف والإلحاد ، ويذكر الخطيب البغدادي في كتابه أصول الدين ، أن النظام أعجب بقول البراهمة في إبطال النبوات ، ولكنه خاف السيف فلم يجسر على إظهار ذلك ، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه ، وأنكر معجزات النبي من نحو انشقاق القمر ليتوصل بذلك إلى إنكار النبوة .

(ثالثها) أن المعتزلة ابتلوا برجل يقول عنه عبد الرحيم العباسي في كتابه (معاهد التصحيح) نقلاً عن الطبري : إنه كان لا يثبت على مذهب ، ولا يستقر على حال ، حتى إنه صنف لليهود كتاب البصيرة ، رداً على الإسلام ، لأربعمئة درهم أخذها فيما بلغني من يهود سامرا . فلما قبض المال ، رام تقضها ، حتى أعطوه مائة درهم أخرى ، فأمسك عن النقض . قلت : وما أشبه بهلول مجنون الكوفة ،

فقد كان يغني بقيراط ويسكت بدائق ، ويقول العباسي أيضاً نقلاً عن البلخي في كتابه ( محاسن خراسان ) : إنه كان في أول أمره حسن السيرة ، حميد المذهب ، كثير الحياء . ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له ، وكان عليه أكثر من عقله .

ويقول عنه الرافعي : « إنه كان رجلاً غلبت عليه شقوة الكلام فبسط لسانه في مناقضة الشريعة ، وذهب يزعم ويفترى ، وقد أومن في سخفه ، فلا تدرى أجعل إلهه هواه ، أم جعل إلهه في فمه . هذا رجل يتاجر بدينه وعقله ، وكان واسع الأفق في الكذب والاختراع ، وحكاية الخرافات عن أصحاب الفرق ، وهو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الراوندي ، وقد رى المعتزلة منه بدهاية دهياء ، فقد كان على مذبحهم ، ثم جفوه وطردوه من مجالسهم ، وقسوا عليه ، فألف كتاباً سماه ( فضيحة المعتزلة ) وقد انبرى للرد عليه عالم من علمائهم هو أبو الحسين الخياط فألف كتابه ( الانتصار ) وإنما هتيت هنا بالحديث عن ابن الراوندي لأنه الذي نقل عن النظام قوله بالصرقة ، حكى صاحب الانتصار ، وزعم صاحب الكتاب — يريد ابن الراوندي — أن النظام يقول بالصرقة في إعجاز القرآن ، والذي تفهمه من العبارة أن الخياط ينكر أن يكون النظام قائلًا بهذا المذهب ، فهو يسنده بلفظ ( الزعم ) ولكن الذي يلتفت النظر أن الخياط مر على المسألة مرأً سريعاً ، فلم ينفها ولم يثبتها ويحتج لها ، فبقى في النفس منها شيء ، وقد حكى الشهرستاني أن ابن الراوندي ينسب للجاحظ قوله في القرآن : إنه جسم يجوز أن يقلب مرة رجلاً ومرة أنثى .

والرجل وإن كان يبدو في حكاياته الكذب واضحاً جلياً ، لكن من يسمع يخل ، وقد صادف كتابه هو في نفوس خصوم المعتزلة فقالوا : رجل منهم يحكى عنهم فهو أهرف الناس بهم ، فلا شك أنه يحكى حقاً ، ويقول صدقاً .

وأعود فأقول إنه لولا ما ذكره الجاحظ من حديث عن هذا المذهب لكان يمكن للباحث أن يؤكد أنه مذهب نب للنظام ولكن في كتب خصومه ، على أن الجاحظ ذكره ولم يقبه لاستاذمه ، ولا ذكر له فيه قولاً ، وسننظر فيما كتبه الجاحظ ، وسنعرف منه حقيقة هذا المذهب على ما يراه هو ، ونعرف احتجاجة له في حديثنا التالي إن شاء الله .

# فَعَلِ الْمُؤَلَّفَاتُ الْجَدِيدُ

## خلاصة الكلام في أركان الاسلام

هذا الكتاب لحصرة المفضل الاستاذ (على فكرى بك) ، وهو كما يدل عليه اسمه يشتمل على شرح ما أجمل في الحديث الكريم وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وقد أهداه إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو يقع في ثلاثمائة وست وثمانين صفحة بالقطع الكبير ، مطبوع طبعا متقنا على ورق صقيل جيد . وقد سلك حضرة المؤلف في شرحه طريقته المحببة ، وهي إيراد كل ركن من الأركان الخمسة وسرد ما ورد فيه من الآيات والأحاديث ، وشرحها شرحا مستوعبا جميع تفصيلاتها بحيث لا يحتاج القارىء لغيره في تفهمها .

ومما حلل الكتاب وأجزل فوائده إتيانه بخطب منبرية في المناسبات لكبار الخطباء ، وبيان واف شامل للسفر إلى الحج من أول خروج الحاج من منزله إلى أن يعود إليه ، لم يدع صغيرة ولا كبيرة مما يلزمه من الضرورات ، وما يقتضيه السفر إليه ، من الألب والحاجات ، وما يجب أن يعرفه من الأماكن التي ينزل إليها ، والدعوات التي يدعو بها في زيارة آثارها مما لا يوجد في كتاب سواء ، فالحاصل على هذا الكتاب لا يحتاج إلى شيء : مما يلزم الحاج إلى البيت الحرام ، وقبر النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد صدرت منه الطبعة الأولى وجدير به أن تصدر منه عشرات الطبعات .

## قواعد الإملاء، تجديد وتوضيح

فضيلة الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد محمد سلو المدرس بمعهد دمياط من محبي التجديد، والتجديد أساس التقدم، والباعث على بلوغ الغايات البعيدة في العلوم والصناعات، وما بلغ آباؤنا الأولون ما بلغوه من التقدم السريع، حتى أدهشوا العالم واعتبروا بحق واضعي الأصول الراجحة للدين الحاضرة إلا بتعليم روح التجديد، فلم يقفوا منه عند حد. وما انحط مستوى وجودنا المدني إلا لما غلبت عليها روح الوقوف والتعصب لكل قديم. وقد أرسل أستاذنا الشاب بعدة مقترحات إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وفيها أساليب لتيسير القراءة مشاركة منه في المباراة التي أعلنها المجمع في هذا الشأن. وقد توصل بأسلوبه إلى اختصار مئات القوالب في الطباعة العربية إلى عشرات فقط حتى مع شكل جميع الحروف. مع تجنب الاختلاط والاشتباه في رسم الحروف، وإيضاحها وبيانها بأقرب الطرق وأوجزها.

وقد وفق أيضاً إلى عمل شكل جديد صالح لوضعه فوق الحروف ولوضعه بينها في صلب الكلمة.

ووفق أيضاً إلى طريقة تلتقي تعقيد القواعد الإملائية. كل هذا، كما يقول، مع إحكام الصلة إحصائياً تماماً بين القديم والجديد مع الاحتفاظ بميزة الاختصار في الكتابة العربية.

قال الأستاذ المؤلف في آخر رسالته:

« وقد وصلت في بحثي إلى النتائج الآتية: (١) زيادة نوع جديد من الشعر. (٢) تيسير معرفة تصرفات الأبحر في النوع الأول. (٣) قرب الصلة بين الاسم ومساها. (٤) أبحر النوع الأول أحد عشر لاسعة عشر. (٥) سر الجمال في النظم العربي هو قوانين الكون العامة. »

نحن ننظر أن يعلن المجمع اللغوي عن نتيجة المسابقة لتطلع على ما وفق إليه المؤلف وعلى سائر ما ذكره بصدد ذلك. وأنا لنشجعه على إنماء ملكته التجديدية بنشر كل ما وفق إليه من ذلك، فلأن يكون الأزهر مصدر التجديدات فذلك مما يزيد رفعة في نظر المسلمين، ويجعل لرجاله مكانة ممتازة في قلوب جميع الناطقين بالصاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إِحَادِيثُ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر  
والمرحوم كوال ، سفير النمسا السابق في الدول الشرقية بمناسبة عودته إلى النمسا  
بعد إقامته في الشرق مدة الحرب الأخيرة ، والمرحوم كوال من المهتمين بالدراسات  
الإسلامية والتاريخية ، وله مؤلفات عن تركيا والشرق ، وهو معروف فوق ذلك  
بميوه الشرق ، وصادق عواطفه نحو الشعوب الإسلامية ؛ عرف وعاشر كثيرا  
من رجالها ؛ بل إن له في مصر صهرا ونسبا .

وقد دار بينه وبين الأستاذ الأكبر حديث طويل ، شمل بعض ذكرياته  
القديمة أثناء عمله السياسي في بلاده وفي البلاد الشرقية التي مثل فيها حكومته ،  
وقد سأل الأستاذ الأكبر سعادة السفير عن حال المسلمين في النمسا ، ومركزهم  
الاجتماعي وعلاقتهم بالحكومة والمواطنين . فقال : إن مركز المسلمين في النمسا مركز  
ممتاز ، وهم موضع احترام الحكومة والشعب ، وهم متمتعون بحرياتهم في جميع نواحي  
الحياة ، ويتولون كل مناصب الحكومة بلا تفرق بينهم وبين المواطنين ، وإنه قد  
بذل جهودا كثيرة لمساعدتهم إبان عمله في النمسا ؛ فحصل من حكومته على وعد  
ببناء مسجد ، وكادت الفكرة تتحقق لولا أن حالت دونها ظروف الحرب .

فرجا الأستاذ الأكبر سعادة الوزير أن يعمل على إحياء هذه الفكرة حين  
عودته . وسأله عن نظام الجامعات في النمسا ؛ فأجاب الوزير أن من بين الكليات  
واحدة لأصول الدين ، وأنه يتمنى أن تصلح الأمور فتحل الدراسات الإسلامية  
مكانها بين هذه الكليات . وأوضح الوزير رغبته الصادقة في أن يكون لشيخ  
الإسلام ولجامعته العظيمة أكبر الأثر في درء الخطر الشيوعي عن شعوب

الإسلام . فأجابه الأستاذ الأكبر : إن تعاليم الإسلام تجعل شعوبه أبعد ما تكون عن ذلك الخطر الهدام ، قيادته الإسلام أقوى درع لاصحابه من ذلك الشر ؛ إذ أن نظام الزكاة في الإسلام قد ضمن التكافل الاجتماعي للمسلمين ، بما فرضه للفقر والمحتاجين من نصيب في أموال الأغنياء . وأكد الأستاذ الأكبر أن علماء المسلمين يعملون دائبين على غرس المبادئ الإسلامية في قلوب الشعوب الإسلامية ، ويقومون على رعايتها وتنفيذها ؛ وبذلك يحمون البلاد الإسلامية والعربية عن ذلك الخطر الهدام .

والمح الوزير إلى - وادث فلسطين التي يرى بين طياتها خطر البلاشفة ومسايرتهم من اليهود ، وأنه يتمنى أن يبق الله الشرق العربي كله عواقب هذه الفتنة . فطمأنه فضيلة الأستاذ الأكبر بما وعد الله عباده من تعذيب اليهود ، وتشريدكم في أنحاء الأرض . وأنه يحمد الله الكريم الذي جعل زمام مصر زهبة الشرق ومركز الثقافة الإسلامية إلى ملك مؤمن بمعادلة قضية الإسلام والشرق ، حرص على توجيه الشعب إلى أهداف خيرة وخير الإنسانية جميعاً ، ومن كمال إنسانية الفاروق وبره اهتمامه العظيم بتعليم الطلاب ، من جميع شعوب الإسلام في الجامعة الأزهرية ، ينفق عليهم من ماله الخاص ، ويرعاهم بعنايته السامية .

فقال سعادة الوزير : إنه يغبط مصر وبقية الشعوب الإسلامية على حظها في رعاية الفاروق العظيم بمضايهاها ، ويتمنى للعرب النجاح والتوفيق في جهادهم ضد الصهيونية .

فشكر له الأستاذ الأكبر هذه الثنيات قائلاً : إن الله معنا ، وقد وهبنا في كتابه العزيز بالصبر : إذ قال تعالى في وصف اليهود : « كلنا أوقدوا ناراً للحرب أطفالاً الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين » .

واستأذن السفير من الأستاذ الأكبر في زيارة الجامع الأزهر والمكتبة ، فأذن له وودعه شاكراً . وكان مع سعادة السفير الأستاذ الدكتور أحمد بدوي ، أستاذ الآثار القديمة بكلية الآداب ، وتولى مهمة الترجمة عن الألمانية التي كان يتكلم بها سعادة السفير .

## زيارة جلالة ملك الأفغان الأزهر

في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأحد ١٢ مارس سنة ١٩٥٠ ،  
تفضل حضرة صاحب الجلالة ملك الأفغان ، محمد ظاهر شاه ، بزيارة الأزهر ،  
وكان في استقباله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون  
الشناوى ، شيخ الجامع الأزهر ، يحف به أجلاء العلماء وكبار الموظفين ، وبعد أن  
حيام مصالحة ، صعد إلى الطابق الأعلى حيث مكتب الأستاذ الأكبر ،  
وأضى فيه برهة مع فضيلته وكبار مستقبليه ، كان فيها محل الإجلال والتعظيم ،  
ثم نهض لزيارة كلية الشريعة ، فاستقبله فيها حضرات المدرسين ، يتقدمهم فضيلة  
الأستاذ الكبير الشيخ عيسى منون شيخها الجليل ، فاستمع جلالة فيها لاربعة  
دروس ، وهالك حياه شيخها بكلمة بليغة بين فيها المهمة الخطيرة التي تقوم بها  
هذه الكلية ، ثم قصد من هناك إلى مسجد الإمام أبي عبد الله الحسين ، ولبت  
فيه نحو ربع ساعة .

ثم انتقل منه إلى الجامع الأزهر حيث أدى فريضة الظهر ، وزار مكتبه  
العام ، فاستقبله فيها حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أبو الرضا المراغى مديرها  
وحضرات معاونيه ، واستعرض فيها المصاحف الأثرية وبعض المؤلفات النادرة .

ومن هناك استقل جلالة السيارة الملكية تتبعها سيارات الحاشية ، وتحيط  
بها وتقدمها موتوسيكلات الحرس المصرى ، قاصداً سراى الزعفران حيث يقم  
فيها ضيفاً لحضرة صاحب الجلالة وليكننا المحبوب .

وهذا نص الكلمة القيمة التي ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير  
الشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة بين يدى حضرة صاحب الجلالة  
ملك الأفغان :

## بسم الله الرحمن الرحيم

يا صاحب الجلالة :

إن الجامع الأزهر في شخص كلية الشريعة ، يحیی أساتذته وطلابه جلالتهم تحية طيبة مباركة ، تليق بمقامكم السامي ، وجلال ملككم العظيم ، ومكانة شعبكم الوفي المعروف بالشجاعة والإقدام والتمسك بتعاليم الإسلام . ويرحبون كل الترحيب بتشريف جلالتهم لكلية الشريعة ، التي امتازت بدراسة علوم الشريعة الفراء أصولها وفروعها ، وبالفضل بالاستماع الى دروس أساتذتها . ويعتبطون الاعتبار كله بهذا التفضل العظيم ، ويعلمون سرورهم وابتهاجهم بهذه الزيارة الكريمة المباركة ، التي تتجلى فيها آيات وحدة المسلمين وأخوتهم ، ويسطع منها نور تعاطفهم وتراحهم ؛ كما أنها تحمل في ثناياها ما اشتهر عن جلالتهم من قوة في الدين ، ومتانة في الخلق ، ومحبة للعلم وإكرام لاهله .

وإني يا صاحب الجلالة وجميع أساتذة الكلية وموظفيها وطلابها ، لعد هذه اللفتة الملكية والتوجيه السامي إلى تخصيص كلية الشريعة بهذه الزيارة الميمومة ، مفخرة عظيمة ومنحة ملكية سامية نعتز بها ، ونذكر يومها دائماً إن شاء الله تعالى ذكر الأيام السعيدة ، والأعياد المباركة ، وسنكون حافزة للجميع على القيام بواجبهم ، كما أننا نعتبرها تكريماً للشريعة الفراء والقائمين بتدريسها في أشخاصنا .

فباسمى واسم جميع أساتذة الكلية وطلابها أرفع لمقام جلالتهم بيد الإجلال والتكريم ، والاحترام والتعظيم أسمى آيات الشكر على تفضل جلالتهم بتشريف كلية الشريعة وزيارتها ، وأسأل الله تعالى أن يحفظ دانكم الكريمة ، وأن يديم التوفيق لجلالتهم ، والسرور والاعباط لشعبكم الكريم بمدلكم الشامل ، وإحسانكم المعيم ، ورعايتكم السامية لجميع أفراد .

## يا صاحب الجلالة :

إن الجامع الأزهر قائم منذ ألف عام على حفظ الشريعة الفراء ، وما تحتاج إليه من علوم ، ونشرها بين المسلمين في جميع الأقطار ، ولقد كان محل رعاية الملوك والسلاطين بالديار المصرية ، وفي القرن الأخير زادت العناية به بفضل الأسرة العلوية المالكة . وقد تضاعفت العناية به والرعاية له ، والاهتمام بشئونه مادياً وأدبياً في عهد المعفور له الملك فؤاد الأول - طيب الله ثراه - وأعلى درجته في عليين ، وقد ترسم خطاه نجله حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول - أيده الله بنصر من عده ، وأعز ملكه وأدام توفيقه - فأعيدت وجهيها السامى ، وأمرها الكريم تنظيم الأزهر تنظيمًا شاملاً كاملاً ، وأنشئت فيه ثلاث كليات : كلية الشريعة التي تشرف اليوم بزيارة جلالكم ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية . وفي عهدهما وبأمرهما الكريم تضاعف لإنشاء المعاهد الدينية التابعة للأزهر في الأقاليم ؛ حتى كادت تم جميع مديريات المملكة المصرية .

وأُنشئ في قسم للوعظ والإرشاد ينتظم عدداً كبيراً من أساتذته المتخصصين يجوبون البلاد للدعوة والإرشاد . وأُرسلت البعثات من أساتذته لكثير من البلاد الإسلامية يعملون في مدارسها ويمظنون أهلها . وزادت مخصصاته حتى أربت على المليون من الجنيهات ، وأنشئت مدينة الجامعة التي منها هذه الدار المخصصة لكلية الشريعة ، والقاعة الكبرى المخصصة للحاضرات ، والمهائر الكبرى المخصصة لسكنى الطلاب ، وسيتبعها غيرها من مباني تلك المدينة .

والجامع الأزهر الآن مكلياته ومعاهده يضم أكثر من ألف ومائتين من المدرسين ، وأكثر من عشرين ألفاً من الطلاب : من أبناء مصر ومن البعثات التي وفدت إليه من سائر الأقطار الإسلامية ؛ يتلقون العلوم الشرعية والعلوم العربية والعلوم العقلية وغيرها ، والجميع في موضع الرعاية والعناية من حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ورجال حكومته السنية . وبخاصة طلاب البعث الإسلامية ، فقد هيئت لهم بأمر جلالة مولانا الملك المعظم المساكن اللائقة بهم ، وأُعِدَّت عليهم جلالتهم من بره ، فخصصت لهم المرتبات التي تكفي لنفقاتهم .

وقد تخرج كثير من طلبة البعث الإسلامية من هذه الكلية ، ورجعوا إلى بلادهم وشغلوا مناصب هليا نذكر منهم السيد النبيل ، محمد هاشم المجددى ، نجى النقى الصالح الغيور على الدين معالى الوزير السيد ، محمد صادق المجددى ، الذى أحب المصريين وأحبوه . ولا نزال الكلية ترحب بالوافدين من بلاد الافغان وغيرها من البلاد الإسلامية .

هذا وإنى أبتهل إلى الله العلى القدير أن يلم شمل المسلمين ، ويعلى كلمتهم ويقوى شوكتهم ، ويوقفهم جميعا إلى الاعتصام بحبله المتين فى ظل أمحاب الجلالة والفخامة ملوكهم ورؤسائهم . . آمين .

والسلام على جلاتكم ورحمة الله .

---

## عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

المدنية كلمة مشتقة من « مدّن المدائن ، أى بناها ومصرها ، و« تمدّن ، أى تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة .

ولكن للمدنية في عرف العلماء الاجتاعيين معنى أوسع مما مر ، فهي تعنى عندهم الحالة الراقية التى توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع ، وبهذا فقد اكتسبت المدنية معنى أرفع من معناها اللغوى ، إذ اعتبرت مثلاً أعلى للحياة البشرية تندرج إليه الأمم تحت تأثير رقيها العلمى والعقلى والنفسى والاجتماعى . وجاء الفلاسفة فقررُوا أن الإنسان مدنى بطبعه ، أى أنه مفطور على الارتقاء ، وعلى بلوغ غايات بعيدة من السمو العلمى والأدبى والصاعى ، وهم بهذا القول ما فعلوا شيئاً غير حكاية الواقع المحسوس ، فإن الإنسان خلق مجرداً من جميع ما يلزمه من ضروريات العيش ، وفروع العلم ، وضروريات الفنون والوسائل ، ولم يصل بعد إلى غاية مداه ! بلغ كل هذا بدوافع ذاتية ، وخواطر نفسانية ، وقوى مودعة فيه ، لآتى تدفعه إلى الاستزادة بما هو فيه حتى قدر بعض الحكماء أنه سيصل إلى مستوى من الترقى لا يحول بخيال لإنسان .

لنا بصدد الكلام عن قابليات الإنسان ومواجهه النفسية ، ولكننا بسبيل بيان ما فى الدين الإسلامى من عناصر المدنية ، تبرئة له من التهمة التى يشيعها الماديون من أن الأديان عدوة طبيعية للحضارة الإنسانية ، ما أخذ بها قوم إلا أصبحوا أعداء لكل ارتقاء مادى ، ومهبوطوا إلى حضيض الشعوب البدائية .

للدينة ككل الشؤون الاجتماعية عناصر يتألف منه كيانها ، تؤثر فى الجماعات البشرية فتؤديها إلى شكل من الوجود يتناسب والبيئة المحيطة بها . وللدyanات تعاليم خاصة بها ، تارة يتفق بعضها وتلك العناصر فترتقى الأمم الآخذة بها ، وتصل إلى مدى بعيد من التحضر ؛ وتارة لا يتفق بعضها الآخر وتلك العناصر ،

فتدهور عن مستواها الأول ، ولا تزال تمنح في التدهور حتى تصل إلى الحضيض ، فتغنى في جثان أمم أخرى .

وبعد ، فقد جاء الإسلام إلى العرب وهم لم يصلوا بعد إلى درجة أمة ، وذلك بسبب قحولة بلادهم ، وحرمان أرضهم من الأنهار ، وما درجوا عليه والفقر من الحياة القبيية آمادا طويلة ، فوقفوا بسبب تلك الحالة عن الترقى الأدبي والمادى أجيالا طويلة ؛ وما وصل إلى شيء من ذلك من قبائلهم لم يلبث إلا قليلا حتى تلاثى ، وعاد إلى مثل ما كانوا عليه من البداوة والجاهلية حتى ظهر الإسلام ، وما إن دخلوا فيه ، وجروا على تعاليمه ، حتى تطوروا إلى درجة أمة موثقة الأواصر ، موحدة المبادئ ؛ ولم يمض عليهم غير جيلين حتى رأيناهم قد أصبحوا للبشرية قادة في العلم والفلسفة والصناعة ؛ وامتد ملكهم إلى نحو ربع الكرة الأرضية ، وهو ملك لم ينبغ لأمة قبلهم ولا بعدهم إلى يومنا هذا ، حكموه بعدل وإنصاف يضرب بهما المثل إلى عهدنا الراهن ، فكيف يتفق للعرب أن يطفروا إلى هذه المنزلة من التقدم العالى ، إن لم يكن في الدين الذى دخلوا فيه ، وهو الإسلام عناصر لتلك الحالة الرفيعة التى نادوا إليها ؟

هذا أمر لا معدى عنه ، فما هى هذه العناصر ؟

( أولها ) إحكام أواصر الاجتماع ، وتوثيق عرى الوحدة ، إلى الحد الذى تلاثى فيه الفوارق الشخصية ، فيصبح معه المجتمع كالفرد الواحد تحركه إرادة عامة ، وتدبره روح واحدة ، وتدفعه إلى غاية مشتركة هى السعادة الكلية التى يحظى بالمتاع بها ، والعيش في كسفا ، جميع الأفراد على حد سواء ، على مثال أعضاء الجسم الواحد يستمتع كل عضو بنصيبه من سلامته دون أن ينقص منها شيء ؛ وقد وصل المسلمون الأولون إلى هذه الدرجة الممتازة من الاجتماع بفضل المبادئ الإسلامية ، وتأثير الروح المحمدية ، فكان أثرهما في أمة لا عهد لها باجتماع من أغرب الظواهر العمرانية ، وأدعاهها إلى الدهش والحيرة . أصبح المجتمع الإسلامى جسداً واحداً تحركه روح واحدة على وجه لم يعهد له مثيل في مجتمع آخر ؛ حتى روى أن صحابياً منهم حمل قدحاً من الماء ليروى صدى بعض الجرحى في موقعة ، وكان منهم كثيرون يجوارحه يجودون بأرواحهم ، فلما اقترب منه

أشار إليه أن يقدم القديح الذي يليه ، فلما قدمه إليه أشار له هذا ليعطيها لواحد آخر ، فلما انتهى إليه أثر هلى نفسه جريماً آخر بالقرب منه ، وهكذا صار حامل القديح يتردد به بين الجرحى ، وكل منهم يؤثر على نفسه غيره حتى ماتوا جميعاً عطاشاً ولم يصب واحد منهم قطرة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم حالة أصحابه من الناحية الاجتماعية فقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسر والنجى » ، وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، وقال : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » ، وقال ابن عباس . « لقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجوار حتى خشينا أنه سيورثه » .

هذا التماسك الاجتماعى من أوليات عناصر المدنية ، لأن الأفراد إذا تكاثفوا على حفظ كيان الاجتماع ، ووثقوا بأن وجوده غير مهدد بالتفكك ، لم يحرصوا همهم كله فى وجودهم الشخصى وضرورياته من مأكل وملبس ، بل يحل عمله كيانهم العام ، ويشغلهم ما هو بحاجة إليه من استصلاح بيئته ، وتوفير مقوماتها ، ومن ترقية جماعته وتمهيد سبل حياتها ، وتنمية عددها ، واكتشاف وسائل تقويتها ، فتشتمل على هذا الوجه عقول أدكيائها ، وأولى العلم منها بالأمور الفنية ، والاكتشافات الصناعية ، والتطوع لأجل الأغراض العمومية . وقد نشد هذه العاطفة الاجتماعية حتى تصل إلى الاستهانة بالحياة الشخصية ، فى سبيل كشف جغرافى ، أو تركيب كيمائى ، أو تحقيق طبى ، ولو أردنا أن نسرّد أسماء من لقوا حتوفهم جرياً وراء هذه المقاصد العامة لاضطربنا إلى الإطالة .

والحياة القبلية لا تتوافر فيها البواعث النفسية الدافعة للترقى الأدبى والمادى ، لأنها أقللة عدد أفرادها ، وعدم طمأنينتها على وجودها ، بسبب الإغارات المتوالية عليها من جيرانها ، تطفى لديها عاطفة الدفاع عن النفس والأهل والولد على كل عاطفة ذات آثار عامة ، فلا تشتغل بالرجالها بغير التسليح والوقوف موقف المأربص لكل مفاجأة عدوانية تقع فى ليل أو نهار ؛ وجماعة هذه حالها من توقع المباغطات ، وتخوف العارات ، لا يدور بخلد أحادها غير هم واحد ، وهو الدفاع عن النفس ،

فلهذا السبب لا تصادف في القبائل واحدة تخطت دور الحياة البدائية ولو مكثت على حالتها ألف سنة .

وما حى المسلمين من شر التفرق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم غير ما هنى به الإسلام من توثيق أوامر الاجتماع ، وإحكام عرى الوحدة العامة . وقد جرت العادة وخاصة في الجماعات القريبة العهد بالوجود ، أنها عقب موت موجدتها تدعى إلى الانحلال ، انصياعاً لتسويات أركان حربها من القواد السكبار ، فنقع بينهم الشحنة ، وتشب نيران الحروب آمداً طويلة لا تنجى الشعوب والأفراد من ورثتها غير الفلاقل والفتن ؛ فتتلاشى طيبتها ، وينتشر فيها البؤس واليأس ، ثم تنتهى إلى ما قدر لها من مغبة غير محدودة . كما حدث بعد وفاة الاسكندر المقدوني ، فقد اتفق له فتح بمالك برمتها عقب حروب موقفة ، فلما وافاه أجله اقتسم قواده ملكه بينهم والسيوف مصلحة في أيديهم ، ووقعت الشعوب بسبب ذلك في فتر كقطع الليل المظلم ، ثم انتهى الأمر بتلاشى ذلك الملك العظيم .

ولكن المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولوا عليهم واحداً منهم ، ولم يؤد ذلك في أمة كانت بالأمس مؤلفة من قبائل شتى إلى انقسام يقضى إلى فتنة ، غير جماعات ارتدت عن الإسلام لم تلبث أن عادت إلى حظيرة كما كانت . ولما توفي خليفته طلب المسلمون إليه أن يحار خلافته أولاًم بها ، فكان ما أرادوا وسمعوا له وأطاعوا ، وفتحوا سورية ومصر وبلاد الفرس على عهده . وتوالى الخلفاء وتوالى الفتوح حتى أصبح ملك المسلمين تساوى مساحته ربع الكرة الأرضية ، في مدى نحو قرن واحد . وفي أثناء ذلك نشطت العقول لإيتاء ثمراتها ، وتحركت الهمم للتبريز في ميدانها ؛ ولم يمض غير قرن آخر حتى بلغ المسلمون من المدنية إلى المستوى الرفيع الذي بيناه في مقالنا السابق . وفيما يلي من المقالات نأتى على بقية عناصر المدنية ومكانتها من الأصول الإسلامية ، وآثارها على المسلمين حتى بلغوا بها الأوج الذي أدهش العالم تحت هداية القرآن والتربية المحمدية .

محمد فريد وجدي

## السنة التشريعية :

# مِنْ خِصَالِ الْفِطْرَةِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

روى الجماعة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمس من الفطرة : الاستحذاد ، والحتان ، وقص الشارب ، وتنف الإبط ، وتقليم الأظفار » .

\*\*\*

عرض هذا الحديث لبيان حكم الشريعة في بعض خصال الفطرة ، وأوضح أن هذه الخصال إذا فعلت ، اتصف فاعلها بالفطرة ، التي فطر الله العباد عليها ، ورغبهم فيها ، واستحبها لهم ، ليكونوا على أكمل صفة ، وأشرف صورة .

وقد ثبت في أحاديث أخرى صحيحة أن هذه الخصال تزيد على الخمس المذكورة في الحديث الذي معنا ، وقد بلغ بها ابن العربي ثلاثين خصلة ، وقال غيره : إنها تزيد على ذلك كثيرا ، وذكروا منها غير الخمس المتقدمة : الوضوء ، والاستنشاق ، والاستنثار ، والاستنجاء ، والسواك ، وغسل الجمعة ، وإعفاء اللحية ، والفرق ، وغسل البراجم ، والانتضاح ، والتعطير ، والنكاح ، والحجامة ، والحياه ، والحلم ، وغير ذلك ، والظاهر أن الاختلاف بين الأحاديث الواردة بهذا الشأن إنما هو بحسب المقامات ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر من هذه الخصال في كل مقام ما يليق بالمخاطبين .

\*\*\*

الفطرة : من الفطر ، وهو الشق طولا ، ويطلق على الومي ، وعلى الاختراع ، وعلى الإيجاد ، وتطلق الفطرة على الحلقة المبتدأة ، وعلى الجبلية ، وعلى الدين . وفطرة الله : هي ماركز في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان ، وإلى هذا المعنى

يشير قوله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » ، أى أن كل أحد لو ترك في وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق ، وهو التوحيد . ويؤيده أيضا قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله » ، وإليه يشير في بقية الحديث ، حيث عقبه بقوله : « فأجواه يهودانه أو ينصرانه » .

وذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالفطرة في الحديث : السنة القديمة التي اختارها الأنبياء ، وافقت عليها الشرائع ، وكأها أمر جلي فطروا عليه ، وقالت طائفة : المراد بها الدين .

والاستجداد : هو استعمال الحديدة في حلق الشعر من مكان مخصوص من الجسد ، وفي التعبير بهذه اللفظة كناية لطيفة عما يستحيا من ذكره إذا حصل بها الإفهام ، وأعنت عن التصريح . وقال النووي وغيره : السنة في إزالة شعر العانة الحلق بالموسى في حق الرجل والمرأة معا ، ولكن الحق أن أصل السنة يتأدى بالإزالة بكل مزيل من حلق وقص وتنف وتثبور وغيرها ، وإنما ذكر الحلق ، لكونه الأغلب ، والاستجداد سنة بالاتفاق .

والختان : مصدر ختن بمعنى قطع ، والختن : قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص ، والختان ما ينتهي إليه القطع من الصبي والجارية وهو اسم لفعل الختان أيضا . وختان الصبي : قطع الجلد التي تغطي الخشفة ، وختان البنت : قطع جلدة تكون في أعلى عضوها فوق المدخل كاللواة ، أو كعرف الديك ، ويسمى ختان الغلام إعذارا ، وختان الفتاة خفضا ، وقال بعضهم : كلام أهل اللغة يقتضى تسمية الكل إعذارا ، والخفض يختص بالأنثى ، وأفاد ابن الحاج في المدخل أنه اختلف في النساء ، هل يخفضن عموما ، أو يفرق بين نساء المشرق فيخفضن ، ونساء المغرب فلا يخفضن ، لعدم الفصلة المشروع قطعها منهن ، بخلاف نساء المشرق ؟ كما أفاد أن السنة لإظهار ختان الذكر ، وإخفاء ختان الأنثى ، واختلف في حكم الختان ، فمن العترة والشافعي وكثير من العلماء أنه واجب في حق الرجال والنساء ، وعن مالك وربي حنيفة وغيرهما أنه سنة فيهما . وللختان وقتان : وقت وجوب ، ووقت استحباب ، فوقت الوجوب البلوغ ، ووقت الاستحباب قبله ، والاختيار أنه في اليوم السابع من بعد الولادة ، وقيل : من يوم الولادة ، فإن

آخر ، ففي الأربعين يوماً ، فإن آخر ، ففي السنة السابعة ، فإن بلغ وكان نضواً نحيفاً يُعلم من حاله أنه إذا ختن تلف ، سقط الوجوب ، ويستحب ألا يؤخر عن وقت الاستحباب إلا لعذر . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين لسبعة أيام ، ونقل مشروعية الدعوة إلى ختان الغلام .

وقص الشارب : أصل الفص تتبع الأثر ، ويطلق على إيراد الخبر تاماً هل من لم يحضره ، وعلى قطع شيء من شيء بآلة مخصوصة ، والمراد به هنا : قطع الشعر النابت على الشمة العليا من غير استئصال ، وهو المسمى بالشارب ، ولفظ الفص هو المذكور في أكثر الأحاديث كما هنا ، وجاء في بعضها لفظ الخلق والتقصير والجرز والإحفاء . قال بعض الفقهاء : وكل هذه ألفاظ تدل على أن المطلوب هو المبالغة في الإزالة . وقال الطحاوي : ذهب قوم من أهل المدينة إلى أن قص الشارب هو المختار على الإحفاء ، وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا : بل يستحب إحفاء الشوارب ، ونراه أفضل من قصها .

وقد شرع ذلك مخالفة للجوس ، ومنعاً من التشويش على الأكل ، واتقاء لزهومة الماء كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يربى على الشارب » ، واستئصالاً لمعنى الجمال والنظافة . وحكى عن بعضهم : أنه لا يرى بأساً في إبقاء الشوارب في الحرب إرهاباً للعدو . ويستحب في قص الشارب أن يبدأ باليمين ، ويختار بين أن يقص ذلك بنفسه ، أو يوليه غيره للحصول المقصود بفعله ، ومن لا يحسن الأخذ من الشارب بنفسه ، يباح له أن يستعين بغيره بقدر الحاجة ، ويلتحق به من لا يجد امرأة ينظر فيها وجهه عند أخذ شاربه . وهو سنة بالاتفاق ، ويتأدى أصلها بقص الشارب بالمقص وبغيره ، ونقل عن ابن حزم القول بوجوب قص الشارب .

وتف الإبط : إزالة ما نبت في باطن المنكب من الشعر هذا الوجه ، والإبط يذكر وقد يؤنث ، وتأبط الشيء : وضعه تحت إبطه ، وهو سنة بالاتفاق . والسنة تأدى بالخلق أيضاً ، ولكن لما كان هذا المكان محلاً للرائحة الكريهة التي تنشأ من الوسخ الذي يجتمع فيه بالمرق ، فيتلبد ويهيج ، استحب التف الذي يضمنه ، فتخف الرائحة بذلك ، بخلاف الخلق : فإنه يقوى أصل الشعر ، ويغلظ جرمه ، ولهذا يصف الأطباء تكرار حلق الشعر في المواضع التي يراد قوته فيها ، والإبط إذا قوى فيه الشعر وغلظ جرمه ، كان أفوح للرائحة الكريهة لمن يقاربها ، فناسب أن يسن فيه التف المضعف لأصله ، المقلل للرائحة الكريهة .

وتقليم الأظفار : إزالة ما طال منها عن اللحم بمقص أو سكين أو غيرها من الآلات ، ويكره ذلك بالأسنان ، والتقليم من القلم ، وهو القطع ، والأظفار جمع ظفر ، وإنما جمع ووجد السابق ؛ لأن الأظفار متعددة في اليدين والرجلين ، والمعنى فيه أن الوسخ يجتمع تحتها فيستفذر ، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة ، والمستحب الاستقصاء في الإزالة إلى حد لا يدخل منه ضرر على الإصبع وهو سنة بالاتفاق ، ولم يثبت في ترتيب الأصابع عند القص شيء من الأحاديث ، ولكن ذكر النووي في شرح مسلم أنه يستحب البداء بمسبحة اليمنى ، ثم بالوسطى ، ثم البنصر ، ثم الخنصر ، ثم الإبهام ، وفي اليسرى بإبهامها إلى الخنصر ، ولم يذكر النووي مستنداً لهذا الاستحباب ، وتقليم الأظفار لا يتوقت بوقت ، والضابط فيه الاحتياج إليه ، فأى وقت يحتاج إليه الإنسان يفعله ، وقد استحب بعضهم دفن ما يقص من الشعر والظفر ، لكونها أجزاء من الآدمي .

\*\*\*

قد يبدو لبعض الناس أن هذه الخصال ليست جوهرية ، وأنها ليست بمكان من الأهمية ، ولكن الواقع أنه يتعلق بها كثير من المصالح الدينية والدنيوية الجديرة بكل اعتبار وتقدير ، وهذه المصالح تدرك بالتبعية ، وتعرف بالتجربة ، فيها تحسين الهيئة ، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً ، والاحتياط للطهارتين ، والإحسان إلى المحالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة ، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان ، وامتنال أمر الشارع ، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى : « وصوركم فأحسن صوركم » لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك ، إذ كأنه قيل : قد حسنت صوركم ، فلا تشوهوها بما يقبحها ، أو حافظوا على ما يستمر به حسنهما ، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة ، وعلى التألف المطلوب ، لأن الإنسان إذا بدا في هيئة جميلة ، كان ذلك أدعى لانبساط النفس إليه ، وسرورها بمرآه ، فينظر إليه نظرة إكبار وإجلال ، ويقبل قوله ، ويحمد رأيه ، وإذا بدا في هيئة مشوشة مشوهة أثار ذلك في النفوس الاشتزاز منه ، والازورار عنه ، والاحتقار له ، ولا يسمع له قول ، ولا يهام له وزن ، ولا تقدر له رغبة ، ولا ترعى له كرامة ، بسبب إهماله وتهاونه فيما ينبغي أن يكون عليه من نظافة الجسم ، وحسن السمت ، وجمال الهندام .

## حكمة التفاوت بين الناس

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

المفتش بالأزهر

سأل سائل عن معنى قوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، مع ثبوت التفاوت في هذا الخلق على صور شتى ، بيان ذلك : أننا نرى الأرض الواحدة تثبت نوعاً من الثمر بذره واحد ، وغذاؤه واحد ، ويسقى بماء واحد ، ومع ذلك نرى تفاوتاً في خلقه ، فهذه الثمرة حلوة ناضرة قوية في تكوينها ، كأنما أدركتها عناية خاصة من بين أخواتها ، وتلك الثمرة ضعيفة ضئيلة حائلة اللون ، فاسدة الطعم ، متغيرة الرائحة ، حتى يكاد الناظر إليها يحسبها جنساً آخر غير الأولى وهي في الحقيقة منها ولعلها أختها في غصنها ، وبين هاتين ثمرات أخرى متفاوتات يقرب بعضها من الأولى وبعضها من الأخرى ، وقد جعل الله تعالى هذا التفاوت آية من آيات قدرته ، ونبه العقول إليه حيث يقول : « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعاب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وكذلك نرى بعض البلاد يفضل بعضاً بما له من موقع حسن ، ومناخ حسن ، وبعضها يمتاز بجودة أرضه ، وصلاحية تربته للإنبات والزرع وإخراج الطيبات ، أو بما تنطوي عليه هذه الأرض من منابع الغنى ، وكنوز الثروة ، وإلى هذا يشير الله عز وجل بقوله « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ، فقوله « بإذن ربه » معناه بخلقه وتقديره وما فضله به على غيره ، فهذا نوع آخر من التفاوت .

والناس أكثر المخلوقات تفاوتاً، فهم الجليل ومنهم الدميم ، ومنهم الدكي ومنهم العبي ، ومنهم الضعيف ومنهم القوى ، ومنهم الشجاع ومنهم الجبان ، ومنهم الفقير ومنهم الغنى ، ومنهم الرضى فى أخلاقه ، المحمود فى أفعاله ، ومنهم الجافى الغليظ الذى لا يطلق .

وإننا لنجد الأسرة الواحدة من رجل وامرأة يثمران أبناء وبنات يصل أمرهم فى التفاوت الخلقى والخلقى الى مدى بعيد ، يُظن معه أن لا صلة بينهم . وإلى هذا الاختلاف يشير القرآن الكريم فى كثير من آياته ، إذ يقول :  
 « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .  
 « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم . « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم .  
 وإذا كان الأمر كذلك فكيف نرى الله التفاوت بقوله : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ؟ »

والجواب : أن التفاوت المبنى فى الآية غير التفاوت المبنى فى الآيات الأخرى ، وذلك أن الأشياء كلها متساوية غير متفاوتة من حيث إنها جميعا مصنوعة بالحكمة مقدرة على سننها معطاة خلقتها ، وما يصلح به وعليه فى نفسها ، وفى غيرها ، كما أنها مختلفة غير متساوية من حيث إنها أنواع يختص كل نوع بفائدة ، وأمراد يمتار كل فرد بميزة ، والحكمة تقتضى هذا التفاوت ولا سيما فى الإنسان ؛ فلو أن الناس جميعا كانوا على شاكله واحدة لبطل التعاون ، واختل نظام الحياة ، ذلك بأن الإنسان - كما يقولون - مدنى بطبعه يحتاج إلى من يعاونه ويقوم عنه ببعض شئونه ، فإننا لو تصورنا إنسانا مفردا ليس معه غيره لتصورناه مستوحشا كشيئا ناقص التصرف ، معطل المواهب ، مغلوبا على أمره ، لا يستطيع أن يصل إلى ما يصلح به أمره كإنسان . ولو أن الناس كانوا جميعا على غرار واحد فى الخلق والعلم والقوى والملكات والرزق والحظ ، لبطل التعاون أيضا ، واختل نظام الحياة ، فإن كل واحد يرى أنه كغيره ، ولا يعترف بفضل عليه لمن سواه ، فتبطل الآمال ، وتتعطل الأعمال ، وتموت الرغبات ، ولا تبقى الحياة ميدانا للتزاحم والتسابق ؛ لأن كل امرئ فيها آمن على نفسه وماله

ورزقه ، متمتع فيها بحظه ، لا تفاوت بينه وبين غيره ، وليس هناك ما يدهوه إلى نكدان الكمال ، أو التطلع إلى منزلة لم يبلغها ، وهو يرنو ببصره إليها ، وبهذا يصبح كل واحد في الناس كأنه فرد برأسه ، لم يخلق أحد سواء ، لانه وإن كان مجتمعاً فيها ترى العين ، يعيش بين أفراد من جنسه ، وروح وبغده معهم ، لكنه مقطوع عنهم بآماله ورعايته ، معتزل حياتهم ، متجنب معتك الشاطئ والسعى والعمل .

لهذا كان من مقتضى الحكمة ، أن يكون الناس في سائر أحوالهم متفاوتين غير متساوين ، وأن يحسن هذا من الأعمال والصنائع ما لا يحسنه ذلك ، وأن يمنح هذا من المواهب والقوى ما لا يمنعه ذلك ، ليظل كل منهم معلقاً بمن سواء مشاركاً له في القيام ببعض أعبائه ، متعاوناً معه في عمارة الأرض ، وتحقيق الخلافة فيها ، مقبلاً على ذلك برغبة فيه وميل إليه ، وطمع فيها وراه ؛ وقد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى : « فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون » . وقوله عز وجل : « قل كل يعمل على شاكلته » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « كل ميسر لما خلق له » . فإتينا لرى كل ذى صنعة متمسكاً بها ، حريصاً عليها ، وإن كابد فيها المتاعب ، ولا بس المشاق ، ونرى كل صف من الناس راضياً بنوعه ، فلا الذكر يشمئ أن يكون أنثى ولا الأنثى تمنى أن تكون ذكراً . وكل امرئ حريص على أن يصل إلى أحسن الحالات فيما يسر له ، وفطر هليه . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلحة المترتبة على تفاوت الناس ، واختلاف همهم ومطالبهم وقوام وتباين طبقاتهم بقوله فيما يروى عنه : « لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوا هلكوا » .

هذا المعنى الواضح البين من شأنه أن يفتح عيون الناس على حقيقة يجب التسليم بها ، والرضوخ لحكمها ، هي أن كل نظام يبنى على ما يخالف تلك السمة ، ويحاول الناس فيه التسوية بين الأفراد ، وقسمة المخطوط بينهم على سواء ، هو نظام فاسد عليل ، لا يمكن أن يبقى ولو أيدته القوة ، وطغنت به الدعاوات والخطب والكتب .

فليعلم ذلك أحلاس الشيوعية ، ومروجو فتنها ، والمرجعون على الناس بها ، وليسمعوا قول الله عز وجل في كتابه الكريم : « ولو شاء الله لجلعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها آياتكم ، فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » .

## نظرات في توثيق المعاملة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي  
المفتش بالأزهر

أسلفنا لك أن التوثيق كما يكون واجبا أو مندوبا يكون مباحا ، ويشهد لي بذلك في حديث اليوم قوله تعالى : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تدورونها بينكم » . قال القرطبي في تفسير هذا : « إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة » ، أو « إلا أن تكون المبايعة تجارة حاضرة الخ... » ولما علم الله تعالى مشقة الكتاب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه في كل مبايعة بتقد... ١٥١ .

فالتجارة الحاضرة معناها عند القرطبي ما كان البيع فيها منجزا بتقد ، وكلامه هذا متفق مع ظاهر الاستثناء ، إذ كان النهي عن سامة الكتابة للدين . فإذا جرى بعده بالتجارة الحاضرة مستثناة من ذلك النهي كان الاستثناء منقطعاً كما قالوا ، وكان حكمها غير حكم الدين ، كما هو مقضى الاستثناء .

وإذا لم يكن التوثيق في التجارة المنجزة مطلوباً لإيجاباً ولا ندياً ، ولم يكن منهياً عنه لاعتزاً ولا كراهة ، فلم يبق إلا أن يكون مباحاً .

ومدلول الاستثناء قد تأكد صراحة بقوله تعالى : « فليس عليكم جناح ألا تكتبوها » . فتبي الجناح إبقاء الحال على أصله من الإباحة ، ولا يمنع ذلك أن يكون توثيقها مستحسناً في ذاته لاعتبارات أخرى كضمان عهدة المبيع أو ثمنه ، وهو ما يعرف بضمان الدرك .

فن شاء في التجارة الحاضرة المدارة بين الأيدي فليوثق وليستوثق بالكتابة أو ما يقوم مقامها ، ومن لا فلا ، وذلك ما قصدت إثباته فيما قصدت أن أواجه به من قال بالوجوب مطلقاً ، ومن قال بالنسب مطلقاً .

ومع أن القرطبي كما سبق ذهب إلى أن التجارة الحاضرة المستثناة من طلب

التوثيق ، هي ما كان البيع فيه بنقد ، فقد عقب على كلامه في ذلك بتفصيل يتضمن أن المستثنى من التوثيق ، إنما يكون في قليل ، كالمطعم ونحوه ، وفيما كان تاجرا حصل فيه التفاضل وافصل كل من المتبايعين عن صاحبه .

أما ما يكون ذا شأن ، كالرباع والأرض والحيوان ، مما لا يقبل الزينة ، ولا يغاب عليه فيحسن الكتب فيه ويلحق بالدين في ذلك ، فكلام القرطبي يقتضى أن هذا النوع الأخير ، وإن كان تجارة حاضرة فلا يتأوله الاستثناء ويعسن فيه الكتب حيث لم يحصل فيه تفاضل ، وبين كلامه أولا وأخيرا مغايرة في تفسير التجارة الحاضرة المستثناء ، فهي مرة البيع الناجز ، ومرة القليل ، كالمطعم ونحوه . والذي أستظهره وأميل إليه : أن التجارة الحاضرة المستثناء تشمل ما كان منجزا بالفعل ، وما لم يكن منجزا بالفعل مما يديره التجار بينهم أخذا وعطاء ، ولم يكن مؤجلا إلى أجل مسمى وإن بلغ من القدر ما بلغ . ومثال ذلك : أن تذهب إلى الصائغ مثلا لاقتياع حلل منه فإذا لم يجده عنده استبد منه جاره وباع لك وقبض منك ، وبعد وقت ما يعطى جاره ثمن ما أخذ منه على حسب اصطلاحهم الجاري بينهم ، وذلك يجري في كثير من أنواع التجارات المقولة ؛ فهذه الصورة وأمثالها تسمى تجارة حاضرة يديرها التجار بينهم وليست منجزة بالفعل ؛ إذ لم تقترن بالتفاضل وليست مؤجلة إلى أجل مسمى ، ومع أن فيها شبا بالدين فاختارها منجزة أقرب ؛ حيث لم تؤجل ولم يطلب فيها التوثيق شرعا ، وتلك هي التي يتناولها الاستثناء تناولا أوليا ، ونظرا إلى ما فيها من شبه بالدين يكون الاستثناء متصلا ؛ إذ المستثنى منه دين مطلوب توثيقه ، والمستثنى تجارة تشبه الدين ، عني عن الناس في طلب توثيقها تخفيفاً ، وتيسيراً مراعاة لأن التجارة مبنية على سرعة الإنجاز وعدم التريث ، أو إغفال إدارتها للاشتغال بالتوثيق في أمر لا تشتد الحاجة إلى توثيقه ، لأنه معتبر كالناجز حيث لا تأجيل فيه . ذلك الفرع أولى بالاستثناء من المنجز الذي ذهب إليه القرطبي ، إذ لا يعتبر ديناً ولا شبه دين ، ولا معنى لإقحام المنجز في مقام الاستثناء من الدين ، والمنجز كلام يخصه في الإشهاد على البيع ، فكيف نعرض له هنا وتكلف استثناءه من حكم الدين وهو أجنبي عنه ؟

ذلك النوع أولى بالاستثناء ، بل هو المقصود بالذات فيها أرجح ، وإلا فلا إرفاق

بالناس في حالاتهم التي صورتها بالمثال إذالم تكن التجارة الحاضرة التي تدار في البين كما فسرتها ، وذلك أمر فاش في الأسواق والمتاجر كما يرى من خالط وتعرف .

والمصلحة التي اقتضت التوثيق في الديون هي التي اقتضت التسامح في هذه الحال من أحوال التجار والتجارة . والذي ينتهي إليه من هذا السياق هو أن الله تعالى أوجب التوثيق وأكد الطلب في صيغ كثيرة ، وذلك يوحي أنه لافرق بين التجارة الحاضرة وغيرها ، ولما كانت التجارة الحاضرة بحاجة إلى شيء من المروادة لانتهاز الفرص فيها ، نص الله تعالى على إخراجها من طلب التوثيق فيها بالكتابة وجعل الناس في خيار من ذلك تشجيعا لهم على التعاون وتدارك الأرباح .

ووصف التجارة المستتاة بالحاضرة ليس حتما أن تكون القليلة أو المجزة التي انفصل فيها المتبايعان كما يقول القرطبي ، وقد وضع ما جعلت إليه في تحديد ما . وخرج بوصف الحاضرة التجارة الغائبة عن محل العقد ، كما إذا وقع البيع في بضاعة غائبة ريثما تنتقل وتصل من جهة إلى جهة على نحو ما يقع بين التجار ، فذلك لاحقة بالسلم أو غيره من المدائيات ، فحكمها على الأصل وليست من المستثنى . وخرج بوصف « تديروها بينكم » التجارة التي لا تدار في البين ، كالتي يجري فيها التبادل بين تاجر في جهة وتاجر آخر في جهة مائة بواسطة البريد أو الجرك يقوم عنهما في التسليم والتسلم ، وكذلك التي تجرى بين تاجر وغير تاجر من سواد الناس ، فكل النوعين ليس من المستثنى لخلوهما من الوصفين ؛ ولأن الشأن فيهما ليس على التعجل وانتهاز الفرصة كالتي ذكرنا .

وقد بان أن الاستثناء أولا ونفي الجناح في عدم الكتب ثانيا إيدان بالإباحة يكاد يكون في قوة المصوص عليه بشأن إباحة التوثيق فيها .

والإباحة هي القسم الكاشف الذي سلف لي أن صرحت بقصدي إلى إثباته ؛ وفي ذلك اطمئنان وكفى .

هذا وقد استوعبت كلام جمهرة من المفسرين الذين تبسطوا في القول ، وأفسحوا مجال الفهم للآيات واستنبط ما فيها من الأحكام ، فلم أر لواحد منهم كلاما جديدا يبعده عن كلام القرطبي وابن جرير ، ولم أر لواحد منهم حظرا يمنع أن يفهم قام ما ذهبت إليه من أن القول بإيجاب التوثيق لا يطرد في كل شيء ، وأن القول بالدب لا يطرد في كل شيء . وأن للعرف دخلا في توجيه المصوص الكريمة لآية الدين وتطبيقها ، وتويع التوثيق إلى واجب ومنسوب ومباح ، وضبط المعاملة على ما ينبغي من ذلك .

# الإصلاح الاجتماعي

بين الزعنين : المادية والروحية

لفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

## - ٢ -

عنى الإسلام بالأسرة ؛ لأن الأمة مجموعة من الأسرة ، والأسرة صورة مصغرة من الأمة ؛ فإذا تألفت الأمة من أمر قوية كانت قوية ، وإن تألفت من أمر ضعيفة كانت ضعيفة . وإن لم تكن هناك أسرة فليست هناك أمة ؛ لذلك عنى الإسلام بتوطيد دعائم الأسرة ؛ فسن لها نظاما قويا ، يحفظ كيائها ، ويشد عضدها ، ويقوى أواصرها ، ويضمن لها حياة سعيدة حميدة موفقة . ربط الزوجين برباط من السماء ، وجعل لكل منهما على الآخر حقوقا قررهما الشارع وبينها ، كما جعل للوالدين على أولادهم حقوقا ، وللأولاد على والديهم حقوقا ، وسن لهم نظام الميراث ، ليؤكد الصلة بينهم ، ويقوى الرابطة فيهم ، وأمر الآباء بالعدل بين أبنائهم حتى في القبل كي لا تتولد في قلوبهم الضغينة من الصغر ، ولينشأوا على الشعور بالحب المتبادل بينهم منذ الطفولة . أى شئ ترمى إليه الشريعة الإسلامية من وراء هذا كله سوى خير الشر وإسعاده ، وحياطة المجتمع الإنسانى ، وتثبيت دعائمه حتى لا ينهار . ومن الأمور التى قررهما الدين الإسلامى حفظ المال بشتى الوسائل ، فشرع قطع يد السارق ، وأجاز دفع الصائل حتى الموت . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ » قال : « فلا تعطه ماله » فقال : « أرأيت إن قاتلتى ؟ » قال : « قاتله » قال : « أرأيت إن قتلنى ؟ » قال : « فأنت شهيد » قال : « أرأيت إن قتلته ؟ » قال : « هو فى النار » رواه مسلم وأحمد .

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » متفق عليه . وفى لفظ « من أريد ماله بغير حق » فقاتل فُقِل ، فهو شهيد .

من هذه الأحاديث الصحيحة نعلم أن الدين الإسلامي يحترم الملكية ولا يهدرها ، ويجعل لصاحب المال الحق كل الحق في الذود عن ماله ولو أدى ذلك إلى قتل المعتدى وسفك دمه .

نعم اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الناس متفاوتين في الثروة : « الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر » ، « الله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ، ونحن قسمنا بينهم مميشهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ؛ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » .

والمعنى أنه سبحانه وتعالى لم يفرض قسمة أسباب معيشة الخلق إليهم لعلهم بمعزوم عن تدبيرها ، فقسم الأرزاق قسمة تقتضيها مشيئة المبلية على الحكم والمصالح ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات متفاوتة في الرزق وسائر مبادئ المعاش ، فمن ضعيف وقوى ، وفقير وغنى ، وخادم ومخدوم ، وحاكم ومحكوم . « ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » ، أى يصرّف بعضهم بعضاً في مصالحهم ، ويستخدموهم في مهامهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويتراقدوا ويصلوا إلى مراقبتهم ، لا لسكّال في الموسع ، ولا لنقص في المقتر ، ولو فوض ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا ؛ إذ لو كانوا في مستوى واحد من المعيشة لاختل التوازن ، وتعطل دولاب الحياة . على أن الدين الإسلامى لم يترك للفنى ماله من غير أن يحمل الفقراء والمساكين نصيباً فيه ، يسد منه عوزهم ، ويعظم جائتهم ، يكسى عاريهم ، قال تعالى لبيه صلى الله عليه وسلم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكّهم بها » ، وقال تعالى : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . وقال تعالى : « كانوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » .

في هذه الآيات ، وفي الأحاديث الصحيحة الكثيرة الدليل القاطع على أن هناك حقاً مقررًا ، وفريضة مفروضة ، تجب على كل مالك بلغ ماله النصاب . وقد فصلت الشريعة الإسلامية ذلك كله مسهباً في باب الزكاة .

فرض الله على الأغنياء نصيباً في أموالهم ، يؤدى للفقراء والمساكين وغيرهم ، وهو نصيب لا يتحيف مال الفنى ، ولا يقصر عن الوفاء بحاجة الفقير ، فلو أن الفنى شعر بواجبه ، وحسنت نيته ، ورقت عاطفته ، وحاسب نفسه ، فأدى إلى

الفقير حقه في ماله ، ما رأينا فقيرا يتلوى من الجوع . ولو أن أولى الأمر قاموا باستخلاص هذا الحق من وجب عليهم ، وأوصلوه إلى ذويه لما كان بيننا عار ولا جائع ولا محروم .

لقد كانت هذه سبيل حكومات المسلمين في صدر الإسلام ، فقاتل أبو بكر وعمر مانعي الزكاة ، واستخلصوها من أيديهم ليت الماله ، واستمر الأمر على ذلك قرونا عديدة ، فما سمعنا بشيء من حرب الطبقات طيلة هذه القرون الزاهية بالحضارة والممران من الخليج الفارسي إلى شواطئ المحيط الأطلسي . وما كان ذلك كله إلا بفضل التشريع السماوي إذ ذاك ؛ شرع الله الذي خلق الداء وقدر له الدواء . ومن أجل المبادئ التي هي بها الإسلام فكرة الإخوة الإنسانية ، فقد نبه القرآن الكريم إلى وحدة الأبرار ، الداعية إلى التعاون والتعارف والتناصر والتحاب بين بني الإنسان ، ونهى عن التفاخر بالانساب ، ووضع مقياس التفاضل بين الناس ، فجعله التقوى لا الجنس ، ولا المال ولا القوة .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ » وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، لَيْسَ لِعَرَبٍ فَضْلٌ عَلَى عَجَمٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

ومن مبادئ الإسلام السامية إحسان معايشة المسلمين لغيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان ، وفي القرآن الكريم : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ، وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، . وقد عمل رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - وخلفاؤه من بعده ، على وفق هذه المبادئ السامية حتى أبيع الإصهار إلى أهل الكتاب ، مع ترك الحرية للروحة ، وعدم منعها من إقامة شعائر دينها .

ومن أسس مبادئه إقامة العدل بين الناس حتى غير المسلمين منهم ؛ قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ » .

والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون ، وقال تعالى : « ولا يجرمنكم شتان قوم على ألا تعدلوا ؛ اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

لقد عرف الشرق بروحيته ، وأنه مهيكل الوحي ، ومنبع الديانات ، ومبعث البهوات ، وموطن الفضائل ، به غرست ، وفيه نمعت وترعرعت .

عرف الشرق بهذا ، بينما عرف الغرب بمادته ، وأنه مشرق العلوم ، ومهد الاختراعات ، ومنبع الاكتشافات . وهذا ما حمل بعض الناس على أن يحمل تقدم الغرب نتيجة لمادته وتأخر الشرق نتيجة لروحيته ، فأخذ ينظر إلى الغرب نظرة إعظام وإكبار ، وإلى الشرق نظرة ازدراء واحتقار . وإن نظرة واحدة إلى الشرق : إلى الجزء الممتد منه بين المحيط الأطلسى غرباً ، وحدود الصين شرقاً ، ترينا كيف استعادت الإنسانية من الروحية ، وكيف أثرت الروحية في الاجناس المختلفة ، فأزالت ما يهدمها من فوارق جنسية ، وقطعت ما يهدمها من حواجز طبيعية .

فهذه مراکش ، والجزائر ، وتونس ، وطرابلس ، ومصر ، والسودان ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، وتركيا ، وشرق الأردن ، وجزيرة العرب ، والعراق ، وفارس ، والهند ، وأفغانستان ، وأندونيسيا ، وتركستان : أمم متعددة ، وألسنة مختلفة ، وألوان متعابرة ، وطبائع متباينة .

ومع هذا قد أصبحت هذه الامم كلها أمة واحدة بفضل الروحية التي أذابت هذه الاختلافات ، فحولتها إلى أمر جامع يدفع الكل بقوة واحدة لا تتعصب .

جعلت ساكن مراکش يحس بإحساس ساكن أندونيسيا : يألم لألمه ، ويفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ، كما أنما الجميع أسرة واحدة ، بل أعضاء جسم واحد ، إذا شكاه عضو تداعى له سائر البدن بالحي والسهر ، يسود الجميع شعور واحد : هو أن الإنسانية وحدة موزعة على أقطار الأرض ؛ فليس لأمة أن تعتدى على أرض أمة أخرى ، أو تحاول تسخيرها أو استغلالها أو التسلط عليها ؛ بل يجب أن يعيش الجميع القليل كالجميع الكثير ، والضعيف كالقوى ، في تحرز من الخوف والموز والعدوان .

ولهذا نجد بين أمم الشرق من التعاب والتواد ورغبة كل منها في خير الاخرى ما قصر به عين الإنسان .

أما الغرب الغالي في ماديته ، فإنه يحنى المر من ثمارها ، فقد قطعت أوصاله ، وجعلته شيعاً متنافرة ، وأحلت بينها العداوة والبغضاء والحسد ، يترى بعض الدوائر ، ويحاول أن يبنى مجده على أنقاض غيره . وليس هذا بين الأمم التي تباعدت أصولها لحسب ؛ بل بين الأمم التي يجمعها أصل واحد .

فهذه الدول التي تنتهي إلى الأصل اللاتيني في أوروبا ، كالتى تنتهى إلى الأصل الجرمانى ، ترى بينهما من النزاع والصراع ، ما قضى على وحدة الأصل ، وجعل من الأخوين هذوين ، يتمنى كل منهما لآخره الهلاك والدمار .

إذا حكمنا على الغرب هذا الحكم ، فإن ذلك ليس على سبيل التعميم ، فأنا لا أعتقد أن الأمم الغربية كلها مادية ؛ لأن الإنسان بطبيعته لا يمكنه أن يكون مادياً صرفاً ، فهناك ما يزال المثل الأعلى للنشاط الإنسانى روحياً ؛ فالأوروبي ينفق عمره في فهم المعارف ، وخدمة الوطن والإنسانية . والمادى مهما غلا في ماديته لا يمكن أن ينكر أو يتجاهل ما يترتب على عمله من خدمة البشرية .

وقد لاحظت — وأنا في فرنسا — في أوساط كثيرة اتجاهها روحياً يزداد على مر الأيام ، ويتسع نطاقه ، وشاهدت كثيراً من المتدينين يصعدون في أعمالهم عن روح دينية عميقة ، بل شاهدت في غير المتدينين استعداداً عظيماً لفهم الروحية والاعتراف بفضلها ، والاحذ بها ، ويمتد الكثيرون منهم أن ما أصاب الإنسانية من الويلات إنما هو نتيجة ترك الدين ، ولهذا أخذ الميل إلى الدين يتجدد ويقوى ، والشعور الدينى يزداد ويمظم في النفوس إلى حد أن تألفت أحزاب سياسية أطلقت عليها أسماء دينية .

وإننا ليسرنا أن نرى الشرق ينهض عاملاً على مجازاة الغرب أخذاً بأسباب مدينته بما فيها من مادية لا بد منها ، كما يسرنا أن نسجل للغرب سريان الروحية في حضارته المادية .

يسرنا أن نرى هذا التوفيق الجديد بين الدين والعلم ، بين الروح والمادة . وهذا يبشر بخير عظيم تحينه الإنسانية من وراء هذا التوفيق .

# التقليد وفطره

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

١ — التقليد ظاهرة اجتماعية .

ب — يكون في الخير والشر ، ولا بد منه للطفل .

ج — يكون من الفرد والجماعة .

من الظواهر الاجتماعية التي نراها في كل عصر وببشة من زمان ومكان ، ظاهرة التقليد . وإذا كان لكل ظاهرة سبب أو أسباب تظهر بظهورها وتذهب بذهابها ، فإن السبب الأول للتقليد هو الاجتماع .

إذ إذا اجتمع بضمة أفراد في فصل من فصول المدرسة ، أو عمل من الأعمال مهما كان ذلك العمل ، وجدنا بعضهم يتبع في بعض ما يعمل البعض الآخر ، ويكون هذا بدافع المحاكاة التي لا يلتفت أول الأمر لتعاليها ، أو بسبب ما يحس به المقلد من ضعف في نفسه ، ومن قوة فيمن اتخذه قدوة له في بعض ما يأتي أو يذر من أموره .

وقد يجتمع في فرد واحد ، وفي وقت واحد ، هذه الظاهرة وحدها . نمنى أنه قد يكون الشخص الواحد مقلدا في بعض ما يفعل لآبائه وأسلانه وللعلية من قومه المعاصرين له ، وإن اعتقد أنه من المستقلين في الفكر والرأي ، ومن المحافظين على هذا الاستقلال والمعتزين به ، وهذا ، كما هو واضح ، من الغرابة بمكان .

ولنضرب لذلك بعض الأمثال من تاريخنا المعروف في القديم والحديث :  
جاء الرسول الكريم محمد بن عبد الله بدين جديد يريد أن يقيم عليه عالماً  
جديداً ، غير الأديان التي ألفتها أمم ذلك العصر القديم . وكان هذا الدين يتطلب  
من يريد اتباعه هجر ضلالات الدين الفاجر التي كان عليها أسلافه الماضون ، وآبائهم  
ولداته المعاصرون .

وكان أن وازنت فئة قليلة أول الأمر ، بين ما كانوا عليه من وثنية ترين  
على الصدر وتلغى العقل ، وبين ما يدعو إليه الدين الجديد من عبادة إله واحد  
تقوم الأدلة على وجوده ويصل إليه العقل بتفكيره . وخرجت هذه الفئة من  
الموازنة نازدة الماضى وتقليده ، مؤمنة بالرسالة الجديدة .

لكن الأكثرين رأوا أول الأمر أيضاً ، أن في الدخول في الإسلام  
تسفيها لآحلام أسلافهم ، وتحطئة لتفكيرهم ، واتباعاً لثق رقيق الحال ضعيف  
الجانِب من فتيانهم ، وإن كان من أشرفهم قبيلة وأوسطهم نسباً . ومن ذلك  
جدوا على ما ورثوه من عقيدة ودين ، مع وضوح ما في ذلك من باطل حتى  
ليقول بعضهم :

ولقد هلت بأب دين محمد من خير أديان البرية ديناً  
ويقول أيضاً :

فوالله لولا أن نجىء بسببةً نتجرّ على أشياخنا في المحافل  
لكُنّا اتبعناه على كل حالة من القول جدا غير قول التهازل  
لقد علموا أن ابتنا لا مكفّاب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل

وكانوا مع هذا ، يحسبون أنهم يحسنون صنماً ؛ إذ تألوا بأنفسهم عن ذل  
التقليد وصغار الاتباع .

مكذبا ، كانوا يعتقدون ، مع أنهم في واقع الأمر ، إذا حللنا موقفهم إلى  
أسبابه الأولى ، ليسوا إلا مقلدين للآباء فيما ورثوا من دين ، وليسوا إلا بعيدين  
عن الاستقلال في التفكير والرأى ؛ هذا الاستقلال في الرأى والفكر الذي كان  
السبب في سبق من سبق للإسلام ونبذ ما كان عليه من دين الأسلاف .

ومن هذا كانوا يقولون كما حكى عنهم القرآن : « إنا وجدنا آباءنا على أئمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » : فيرد عليهم الرسول بقوله : « قال أولو جتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » ١

إذا هذه الحالة وأمثالها ، وإن ظنَّ فيها الاستقلال في الرأي ، هي مما اخلط فيه الجانبان ، بل هي أدنى إلى التقليد ، ومن ثم كان نفي القرآن على من تأخر عن الإسلام استمساكا بدين الآباء ، بل إننا نرى أن إسلام كثير من هؤلاء عام الفتح - وقد كثرت المسلون وقوى الإسلام وأخذ سبيله إلى الانتشار - كان تقليدا أيضا واتباعا للرأي الغالب .

على أنه لا عيب في التقليد في الحق من الرأي والخير من العمل . ذلك بأن التقليد يكون في الخير كما يكون في الشر ، ومن ثم كان أثر القدسي الصالحة الطيبة : والقدسي الطالحة الخبيثة في تنشئة الطفل وتربيته .

يقلد الطفل والناشيء في فجر حياته أبويه وإخوته الكبار فيما يعملون ، وفي بعض ذلك خير كما في بعضه شر . ثم يقلد لدانته ورفقائه في كثير مما يرى منهم . ثم يقلد أخيرا معلميه ويتخذ من بعضهم مثله العليا .

هذا النوع من التقليد : تقليد الصغير في المنزل ، والمنعزل في المدرسة ، والشاب في المصنع ، أمر لا بد منه ولا حيلة فيه . إنه ضروري حتى ليصل الصغير إلى معرفة كثير من الأمور . ثم لينفذ من ذلك إلى تكييف نفسه فيما بعد . وهذا بمعرفة أن له شخصية يجب أن تتكوَّن ، وأن تكون مستقلة بمقدار ما يمكن أن يكون هذا الاستقلال ، وبمعرفة أن له عقلا يجب أن يفكر ليذكر أن هذا العمل شر في نفسه ، وإن أجمع عليه أبواه ومعلوه والناس جميعاً ، وأن ذاك العمل الآخر خير في نفسه ، وإن كان قليل الانصار .

والنتيجة لهذا وذاك : أن ينأى عن التقليد وأن يأخذ في الاستقلال في الرأي والتفكير والعمل ، مع الحذر أن يقع في الإغراب فيما يرى : لأنه إغراب ، لا لأنه حق وخير .

ومن الواضح بعد هذا ، أن التقليد في هذه المرحلة بصفة خاصة سنة من سنن الطبيعة لا بد أن نزل على حكمها ، ثم علينا متى تقدمت بها السن والعقل أن نحد منها ، وبمقدار ما نحد منها تتكون الشخصية ويظهر الاستقلال .

والتقليد ، كما تراه في المرحلة أو المراحل الأولى من حياة المرد الذي لا يزال في دور تكوين الشخصية ، تراه كذلك في حياة الجماعات في أول أمرها ، وفي حياة الهيئات التي تحس من نفسها الضعف ، ويموزها الابتسكار والأصالة في التفكير والعمل ، وفي حياة الأمة التي ترى نفسها دون غيرها حضارة ورقيا . وهو في هذا كله قد يكون في الخير ، كما قد يكون في غير الخير ، والمثل لذلك جد معروفة .

ولكن لعل من الطريف أن نشير إلى تقليد كلية دار العلوم لكلية الآداب في الكثير من أمورها ، ثم تقليد كلية اللغة عدنا في الأزهر لدار العلوم ، ثم تقليد كلية أصول الدين لكلية اللغة ، والدور الآن دور كلية الشريعة .

ومثال آخر من تقليد الهيئات والجماعات : كان الأزهر كما نعرف جميعا إلى مفتتح هذا القرن العشرين طليقا في دراساته وامتحاناته ، يتلقى الطالب العلم الذي يجب على من يجب من الشيوخ ، ثم يتقدم إلى الامتحان متى احس من نفسه القدرة والكفاءة .

ثم أرادت الحكومة وشيوخه إصلاحه كما زعموا ، فأدخل عليه كثير من القيود حتى أصبحنا هذه الأيام ، وإذا به يقلد وزارة المعارف في كل شيء تقريبا ، وبهذا فقد الكثير من أصالته !

أما تقليد الأمة كلها في كثير من أمورنا العامة ، فأوضح من أن 'يحتاج لأن يُبدل عليه . ومع هذا فإنني أشير بإشارات عابرة إلى أثر ذلك في التعليم والدستور والقوانين ونظم القضاء . وليس يبعد منا ما كان من فرض قانون مدني جديد ، قدمه واضعه بعد أن صاغه من مزيج مختلف من قوانين الغرب ، متناسيا أن ما به تصلح أمة في الغرب ، قد لا تصلح به أمة في الشرق لاختلاف ظروف الزمان والمكان والدين أيضا . [ للبحث بقية ]

# بين ياكس والليث

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغي  
مدير المساجد

— ٢ —

الإمام الليث بن سعد يعتبر مفخرة مصر في أواخر القرن الأول للهجرة ؛ إذ كان إماما حجة ثباتا في الفقه والحديث ، كما كان من سادات أهل زمانه حفظاً وفضلاً وكرماً ، كما اشتهر برفعة القدر وعلو المكانة ، فقد أدرك نيلاً وخمسين رجلاً من التابعين ونهل من علمهم وفضلهم الكثير ، ولم يترك وسيلة في سبيل العلم إلا أخذ بها ، فقد شد رحاله إلى الحجاز ليترف من بحار علمائه ، كما طوف بأرض العراق باحثاً متقياً عن العلم والعلماء ؛ ليضم من علومهم إلى علمه الفياض . وهو لذلك كان نهما في العلم لا يشبع ، وظامئاً إلى ورده لا يروى ، وهو في ذلك كله يبحث عن الكمال في العلم ، والقصد إلى بلوغ الغاية في علوم الدين ، فتم له ما أراد إذ كان أفضل أهل زمانه فقها وحديثاً وحفظاً وفضلاً كما أسلفنا ؛ حتى أصبح إمام مصر وفقهها غير منازع .

مولده ونشأته : ولد رضي الله عنه ببلدة قلقشندة ( إحدى قرى مديرية القليوبية ) سنة أربع وتسعين للهجرة . ثم حفظ القرآن الكريم وتفقه على شيوخ مصر وأخذ عنهم ، وإلهم يرجع الفضل في تنقيفه ثم نبوغه في الفقه والحديث ، فقد كان يقوم عليه علماء المدينة وعلماء الشام وهو شاب فيناظرهم جميعاً ثم يحوز قصب السبق ، مما جعلهم يعترفون بفضله وغزارة علمه ، ويدعونه إماماً إرهاباً منهم بما سيأتي به المستقبل .

شهادة الأئمة بسعة علمه : شهد له الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه بأنه أفقه من مالك بن أنس . كما شهد له الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بأنه ليس في المصريين من هو أثبت من اليث بن سعد ، وأنه كثير العلم . لم يصح الحديث . كما شهد له يحيى بن بكير بذلك ولكن كانت الحظوة لمالك ، وهو فوق ذلك من شيوخ الإمام البخاري راوي الحديث ، وأساتذته . كل ذلك يدل على سعة علمه وعظم فضله ، وعلو كعبه في علوم الدين . ومن رسالته التي سنشرها بعد تؤخذ طريقته التي كان يؤثرها في البحث العلمي .

مكانته عند الخلفاء والولاة : ولسعة علمه ورجاحة عقله وبعد نظره وسديد رأيه كان الأمراء بمصر لا يقطعون أمراً دونة ، كما كان يوصي الخلفاء بالآخذ عنه ليقينهم أن ليس في زمانه أعلم منه ، كما أن الحادثة التي وقعت بينه وبين أمير المؤمنين هارون الرشيد تدل على رسوخه في العلم وعلو قدره في الإفتاء : فقد جرى بين هارون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ، ثم كتب إلى البلدان فاستحضروا علماءها إليه ، فلما اجتمعوا جلس لهم فسألم ، فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم ، وكان في آخر المجلس وهو اليث بن سعد ، فسأله قال : إذا أغلَى أمير المؤمنين مجلسه كلته . فصرفهم ، فقال : يدنيني أمير المؤمنين فأدناه ، فقال : أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم . فأمر بإحضار مصحف فأحضر ، فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها . ففعل فلما انتهى إلى قوله تعالى : « ولن خاف مقام ربه جنتان » قال أمسك يا أمير المؤمنين . فأمسك . فقال : قل : إني أخاف مقام ربي ، فقال ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة . عند ذلك سمع التصفيق والفرخ من وراء الستر ، فقال له الرشيد : أحسنت . وأمر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً . وأية مكانة لإمام أعظم من هذه المكاة ، وأى قدر أعلى من هذا القدر وأكرم إلا أن يكون صاحبها الإمام اليث بعلمه وفقهه وبصره التام ليراهن الأمور ؟

كرمه وسخاؤه : ولهذا المكاة العظمى التى بلمها فى العلم أصدق عليه الخلفاء والولاة العطايا : فاكنت بها داره وامتلأت بها رحابه ، حتى أصبح من ذوى الثراء الواسع والمال الوافر ، فقد بلغ دخله السنوى مائة ألف دينار ، إلا أنه لم يكنزها ويوصد دونها الأبواب ، بل أخذ يوزعها على الفقراء والمساكين حتى لم تجب عليه الزكاة ، لأنها لم تمض عليها سنة كاملة وهى فى سوزته ، بل كان يتفقا فى كرم واسع وسخاء منقطع النظير .

أرسل له الإمام مالك رضى الله عنه يطلب قليلا من العصفر لصبيغ ثياب تلاميذه ، وأرسل اليه مقدارا من العصفر يقول الامام مالك فى وصفه : إنه صبيغ منه ثياب تلاميذه وثيابه وثياب جيرانه وما يبق يبيع بألف دينار ، كما أهدى اليه الإمام مالك طبعا من تمر المدينة فأعاده اليه مملوما بالذهب ، كما كان يهب للإمام مالك كل سنة ألف دينار ، وذلك سخاء دونه كل سخاء ، كما كان مضرب المثل فى الكرم والإحسان ، حتى إنه كان ينفق على سبعين بيتا من بيوت الازامل ، فيحيل عسرها وكآبتها يسرا وسرورا ، وقد جاءت امرأة تطلب رجلا من العمل لمرضى زوجها فأمر الخادم بإعطائها قطارا ، فقال له يا إمام : إنها طلبت رجلا . فقال : هى سألت بقدرها ونحن نعطيها بقدرنا .

كل هذا يدلنا على أنه كان مطبوعا على الكرم ، مجبولا على السخاء والجود ، وأنه كان يفيض فى ذلك بحب خالط نفسه واستولى على قلبه ووجدانه جعله يحسن حبا فى الإحسان ، ماضيا فى ذلك على سنة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم .

ورعه وزهده : ومع أنه كان ينافس الريج كرما وسخاء ، كان لا يتال من موائده إلا الفتات ، وهذا منتهى الزهد ، إذ لا يتمتع عن اللذائذ وأنواع الترف ثم يقدمها هدية للناس إلا من بلغ من الزهد غاية ومن التقشف نهايته ؛ ذلك إلى صلاحه الذى يمددنا هو عنه حيث يقول : . والذى نفسى بيده إلى لا عرف رجلا لم يفعل محرما قط ، يعنى نفسه . على أن قول الشافعى فى رثائه : لقد حزت أربع خصال لم يكن لعالم قبلك : العلم والعمل والزهد والكرم ، يدل على ما طبعت عليه نفسه من التفانى فى الله والعزوف عن مفاتن الحياة .

وفاته رضى الله عنه : عمر الإمام اليثة حياة طويلة مديدة قضاها في نشر العلم والصلاح والتقوى ، فقد توفي سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة ، وعمره إحدى وثمانين سنة . رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين والعلم وأهله خير الجزاء .

ورسالة الإمام اليثة بن سعد المصري إلى الإمام مالك بن أنس المدني آية من آيات النبل ، وسهر الأدب في البحث والمناظرة ، على ما فيها من قرع الحججة بالحجة والدليل بالدليل ، ولست تشعر حين تقرأ هذه الرسالة بشيء يمس الكرامة أو تلج ما يؤذى الشعور .

قال اليثة رحمه الله :

« سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد - عافانا الله ، وإياك وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة - ، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني ، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعمون على شكره والزيادة من إحسانه ، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك ، وإقامتك إياها وختمك عليها بحاتمك ، وقد أتانا لجزاك الله عما قدمت منها خيرا ، فإما كتب انتهت إلينا عنك فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها ، وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالصيحة ، ورجوت أن يكون لما عدى موضع ، وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فيها جيلا إلا أني لم أذكرك مثل هذا ، وأنه بلغك أني أتيت بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندهم ، وأنني يحق عليّ الخوف على نفسي لاعتقاد من قبل على ما أفتيتهم به ، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن ، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى ووقع مني بالموقع الذي تحب ، وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ لقيامهم فيهم فيما اتفقوا عليه مني ؛ والحمد لله رب العالمين الذي لا شريك له .

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه وما علمهم الله منه ، وأن الناس صاروا تبعاً لهم فيه

فكما ذكرت وأما ما ذكرت من قول الله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم . فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجددوا الأجناد واجتمع إليهم الناس فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ، ولم يكتفوا شئنا علوه ، وكان في كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ، ويجهلون برأيهم فيما لم يفسره القرآن والسنة وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم ، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم ؛ بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه ، فلم يتركوا أمراً فسر القرآن أو عمل به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو اتبعوا فيه بعده إلا علوه ، فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر والشام والعراق هل عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمرهم بغيره ، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم ، مع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا بعد في الفتيا في أشياء كثيرة ، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك ، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال وقد عرفت أيضاً عيب إنكارى إياه أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر ، ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله ، لم يجمع منهم إمام قط في ليلة مطروفيهم أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمر بن العاص ومعاذ بن جبل ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ويأتى معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برثوة خضراء ، وشرجيل بن حنيفة وأبو الدرداء وبلال بن رباح .

وكان أبو ذر بمصر والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص — وبمحمص سبعون من أهل بدر وأجناد المسلمين كلها — وبالعراق ابن مسعود وحذيفة

ابن اليان وعمران بن حصين ، ونزلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه  
سين وكان معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجمعوا بين المغرب  
والعشاء قط . ومن ذلك القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق وقد عرفت  
أنه لم يزل يقضى بالمدينة به ، ولم يقض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام  
وبمصر ولا بمصر ولا بالعراق ، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون . أبو بكر  
وعمر وعثمان وعلي ، ثم ولي عمر بن عبد العزيز وكان كما قد علمت في إحياء السنن  
والجد في إقامة الدين والإصابة في الرأي والعلم بما قد مضى من أمر الناس ، فكتب  
إليه زريق بن الحكم : إنك كنت تقضى بالمدينة بشهادة الواحد ويمين صاحب الحق  
فكتب إليه : إنا كنا نقضى بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك فلا  
تقض إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين . ولم يجمع بين المغرب والعشاء  
قط ليلة المطر ، والمطر يسكب عليه في منزله الذي كان فيه بمخاضة ساكنة .

ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون في صدقات النساء أنها متى شامت أن  
تتكلم في مؤخر صداقها تكلمت ، فدفع إليها ، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة  
على ذلك ، وأهل الشام وأهل مصر ، ولم يقض أحد من أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ولا من بعدهم لإمرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت  
أو طلاق فتقوم على حقها ، ومن ذلك قولهم في الإيلاء : إنه لا يكون عليه طلاق  
حتى يوقف وأن مرت الأربعة الأشهر وقد حدثني نافع عن عبد الله بن عمر  
وهو الذي كان يروى ذلك التوقيف بعد الأشهر أن الإيلاء الذي ذكره الله  
في كتابه لا يحل للولي إذا بلغ الأجل إلا أن ينيء كما أمر الله أو يمز المطلق ،  
وأتم يقولون أن لبث بعد الأربعة الأشهر التي سن الله في كتابه ولم يوقف  
لم يكن عليه طلاق ، وقد بلغنا أن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وقبيصة بن  
ذؤيب وأبأسلة بن عبد الرحمن بن عوف قالوا في الإيلاء : إذا مضت  
الأربعة الأشهر فهي تطلقه بائة . وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن  
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن شهاب : إذا مضت الأربعة الأشهر

فهي تطليقة وله الرجعة في العدة — ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول : إذا ملك الرجل امرأته فاختارت زوجها فهي تطليقة ، وإن طلق نفسها ثلاثا فهي تطليقة . وقضى بذلك عبد الملك بن مروان . وكان ربيعة بن عبد الرحمن يقوله . وقد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق وإن اختارت نفسها واحدة أو اثنتين كانت له عليها الرجعة ، وإن طلق نفسها ثلاثا بانت منه ، ولم تحل له حتى تسكن زوجها غيره فيدخل بها ثم يموت أو يطلقها ، إلا أن يرد عليها في مجلسه فيقول : إنما ملكتك واحدة فيستخلف ويخلى بينه وبين امرأته — ومن ذلك أن عبد الله بن مسعود كان يقول : أيعا رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها فاشتراه إياها ثلاث تطليقات . وكان ربيعة يقول ذلك . وإن تزوجت المرأة الحرة عبدا فاشتريته فمثل ذلك — وقد بلغنا عنكم شيئا من الفنيا مستكرها وقد كنت كتبت إليك في بعضها فلم تجبني في كتابي فتخوفت أن تكون استقلت ذلك فركت إليك في شيء مما أنكره .

ونما أوردت فيه على رأيك وذلك أنه بلغني أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالي حين أراد أن يستسقى أن يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك : لأن الخطبة في الاستسقاء كهيئة يوم الجمعة إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة فدعا حول رداءه ثم نزل فصلى . وقد استسقى عمر بن عبد العزيز وأبو بكر محمد بن عمرو ابن حزم وغيرهما ، فكلمهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة ، فاستهزئ الناس كلهم فعل زفر بن عاصم من ذلك واستنكروه .

ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول في الخليطين في المسال أنه لا تجب عليهما الصدقة ، حتى يكون لكل واحد منهما ما يجب فيه الصدقة . وفي كتاب عمر بن الخطاب أنه يجب عليهما الصدقة ويترادان بالسوية ، وقد كان ذلك يعمل به في ولاية عمر ابن عبد العزيز قبلكم وغيره ، والذي حدثنا به يحيى بن سعيد ولم يكن يدور أفاضل العلماء في زمانه فرحمه الله وغفر له وجعل الجنة مصيره .

ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول : إذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها ، أو أنفق المشتري طائفة منها أنه يأخذ ما وجد من متاعه ، وكان

الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئاً، أو أنفق المشتري منها شيئاً فليست بعينها .

ومن ذلك أنك تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد ، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الفرس الثالث ، والأمة كلها على هذا الحديث : أهل الشام وأهل مصر وأهل العراق وأهل أفريقيا لا يختلف فيه اثنان ، فلم يكن ينبغي لك وإن كنت سمعته من رجل مرضى أن تخالفه الأمة أجمعين .

وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا ، وأنا أحب توفيق الله لإياك وطول بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة ، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب منك مع استئناسي بمكانك ، وإن نأت الدار فهذه منزلتك هندی ، ورأيي فيك فاستفينه ، ولا تترك الكتابة إلى بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل لك فإني أسر بذلك . كتبت إليك ونحن صالحون مصافون والمحمد لله .

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا ، وتمام ما أنعم به علينا والسلام عليكم ورحمة الله .

## الجود

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصطناع المأموف يقي مصارع السوء » . وقال : « إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويغض سفسافها ، أي رديتها .

قال الحسن والحسين رضي الله عنهما لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرف في بذل المال . قال بأبي وأمي أنتما ، إن الله قد عودني أن يتمصل علي ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني .

وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبی : أنت متلاف . قال : منع الجود سوء الظن بالمعبود ، يقول الله عز وجل : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » ، وهو خير الرازقين . »

# الغول باب زوئير

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار  
الاستاذ بكلية اللغة العربية

## الاذنين الايسر، والاذنين الايمن

بذكر هذا التعبيران في تشرح القلب . وهما ترجمتان لتعبرين أفريقيين .  
فالاذنين الايمن ترجمة Oreillette droite ، والاذنين الايسر ترجمة Oreillette gauche في الفرنسية . والذي يعنينا في هذا الموطن التنبيه على أن صيغة الاذنين بالتذكير لا تصح في العربية ، وأن الواجب فيها الاذنية . وذلك أنه يراد تصغير الاذن ، والاذن مؤنث البتة ، فلا بد من اختتام مصغرها بالهاء ، كما يقال في تصغير عين : هينة وسنُسية . فالوجه أن يقال : الاذنية البنية ، والاذنية اليسرى ، ومن أعلام العرب أذنية ، وهو تصغير أذن سمي به مصغراً ، ولو سميت رجلاً بأذن ثم صغرت قلت . أذن إذ إنك إنما صغرت مذكراً ، كما لو سميت رجلاً بعين ، تقول في تصغيره : عيين ، قال سيويه في الكتاب : . وإذا سميت رجلاً بعين أو أذن فتحقيقه بغيرها ، وتدع الهاء هنا . . . ويونس يدخل الهاء ويحتج بأذنية وإعما سمي بمحقّر ، وأذنية من ملوك العماليق . وعروة بن أذينة شاعر غزل رقيق أموي ، وكان مع هذا من العلماء والمحدثين في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي يقول في الغزل :

إن التي زعمت فؤادك ملتها      خلقت هواك ، كما خلقت هوى لها  
بيضاء باكرها النعيم فصاعها      بلباقة فأدقها وأجلها  
حببت تحيتها فقلت لصاحبي      ما كان أكثرها لنا وأقلها

وهذه الأبيات من غزل حماسة أبي تمام .

## لفته إلى الواجب عليه

يرى القراء هذا الاستعمال كثيراً في المقالات والأخبار ، وفيه قرن اللفث ومشتقاته بالحرف إلى ، ويراد توجيه الشيء نحو أمر معين . وفي اصطلاح الدواوين عبارة : لفت نظر الموظف ، ويراد به تنبيهه على حقوة فرطت منه ، وإنذاره ألا يعود إليها .

ويرى بعض المعنيين بالعربية إنكار هذا إذ لم يرد في المأثور عن العرب ، ولا ذكره أصحاب المعاجم . وإنما الوارد قرن هذه المادة بالحرف عن ، ويراد حينئذ العُصْرَف والتسني والي . فيقال لفته عن السفر أى لواء عنه وصرفه . وفي الكتاب العزيز في سورة يونس : « قالوا أجتنا تلفتاً عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لنا الكبرياء في الأرض وما نحن لسكا بمؤمنين » .

ويبدو أن معنى الصرف عن الشيء في هذه المادة جاء من قبل الحرف عن ، ولا موجب لزوم هذا الحرف ، وإن وردت المادة به ، فإذا قرنت المادة بالحرف إلى كان معناها التوجيه والتسديد : وذلك أن اللفث في الأصل الصرف والي ، يقول في المصباح : « لفته لفتاً — من باب ضرب — : صرفه إلى ذات اليمين والشمال ، وأنت إذا صرفت إنساناً نحو شيء فقد وجهته إليه . وكأن الصرف يقرن بمن وإلى فكذا اللفث الذي هو بمعناه . وما يؤيد ذلك ورود التفت نحوه ، والتفت إليه ، والتفت مطاوع لفت ، وورود المطاوع فرع أصله ، فهو دليل عليه . وفي اللغة أفعال يختلف معناها بالحرف ، من ذلك رغب . يقال : رغب فيه ورغب عنه ، وعدل ، وتولى ، يقال : تولى الكافر عن الإيمان ، وفي الكتاب العزيز ثم تولى إلى الظل » .

وما يستأنس به في هذا المقام قول أبي العلاء المعري :

أقر السلام على عبد السلام فلي جيد إلى نحوه ما زال ملفوتاً

فتراء استعمل ملفوتاً مع إلى ، وملفوت وصف من لفت . وأبو العلاء من هو في البصر بالعربية والبجح بها وإحسان تأثيرها واحتذائها .

تفضلتم سعادتكم بمنحى كذا ، تفضلوا سعادتكم بقبول التحية

يجرى هذا الأسلوب في مقامات الخطاب إظهارا لمرتبة المخاطب وتكريمه ،  
ودرجته في الشرف والمجد في هذا العصر .

فيقال لمن كان من ذوى المكاة الدينية : أمرتم فضيلتكم ، ولصاحب المقام الرفيع :  
أمرتم رفعتكم ، ولمن كان من الوزراء : أمرتم معاليكم ، ويقال : أمرتم عزتكم  
أو سعادتكم لمن يتمتع برتب خاصة في سلم الرقي والسمو في الحياة الاجتماعية .  
وقد مضت السنة في العربية أن يخاطب العظيم بالحديث منه كآلة غائب ولا  
يواجه بالخطاب . فكان يقال : يأمر أمير المؤمنين لي بكذا ، أو يذل لي الأمير  
كذا ، كأنما العظيم أرفع أن ياله المتحدث بخطابه ، فهو في منزلة سامية لا يـ  
إليها أحد ، فإنما قصّره أن يتحدث عنه كأنه غائب . ويمدّ البلاغون هذا  
المقام من مواطن لإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر . ولو جرى الأمر  
على هذه السنة المتيدة ل قيل : تفضلت سعادتكم أو أمرت فضيلتكم أو رأت  
معاليكم ، أو تفضل عزتكم بقبول التحية وهكذا . وإسناد الأحداث إلى السعادة  
والحضرة والمعالى مجاز عقلي معروف أمره وقد احتذى هذا الأستاذ أحمد  
المكندري عليه رحمة الله ورضوانه ، فهو يقول في الاحتفال بافتتاح الدور الثاني  
للجمع القوي : (١) « نعرف حضراتكم أنه لا يتسى لاية جماعة أن تعمل عملا  
متواليا بدون طريقة توحد عمل أفرادها ، وهذه الطريقة يمكن التخرج عليها مع  
الفعل المضارع نحو تفضلون حضراتكم ، بإجراء الكلام على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة  
بالليل وملائكة بالهار لحضراتكم فاعل والواو علامة الجمع نحو تفضلوا سعادتكم .  
وقد استعكم الأسلوب الذي صدرت به المقال في أقلام الكتاب ، ويكاد  
يكون من السير نفهم عما أعادوا ، وصرفهم عما درجوا عليه ، فلا ماص من  
تخريجه وبحته من ناحية العربية .

وهنا يمرض الباحث مسائل في هذا المثال - تفضلوا سعادتكم - فهل  
سعادتكم مرفوع أو منصوب ؟ وإذا كان مرفوعا فما رافعه ، وإذا كان منصوبا  
فما ناصبه ؟

ويبدو أنه يجوز الوجهان : الرفع والنصب .

فالرفع على أن ، سعادتك ، بدل اشتغال من الضمير . ومن المقرر في النحو أن إبدال الظاهر من ضميرى الحاضر — ضميرى المتكلم والمخاطب — يجوز في بدل الاشتغال ، كقول الشاعر (١) :

ذريني إن أمرك لن بطاعا وما ألفتني حلى مضاعا

فقوله حلى بدل اشتغال من الياء في ألفتني وهي ضمير المتكلم . ومن هذا قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا

فقوله : مجدنا بدل اشتغال من الضمير ، نا ، وهو ضمير المتكلم . ومن أمثلة ابن مالك في الألفية : إنك ابتهاجك استبالا ، ولا يعترض على هذا التخريج بأن الفعل في تفضلوا أمر وهو لا يرفع الظاهر لأنه يغتفر في التواني مالا يغتفر في الأوائل ، أو أن العامل محذوف مدلول عليه بما قبله أى لينفضل كما قيل في قوله تعالى : اسكن أنت وزوجك الجنة ، والوجه الأول أجدر بالاتباع ، قرب شيء يصح تبعاً ولا يصح استقلالاً .

ولا يصح أن يخرج سعادتك على أنه عطف بيان . وذلك أن عطف البيان لا يكون ضميراً ولا تابعاً للضمير ، لأن عطف البيان في الجوامد نظير النعت في المشتقات فكما لا ينعت الضمير لا يعطف عليه عطف بيان فهذا توجيه الرفع .

وأما النصب فإنه يكون على الاختصاص . فسعادتك نصب بفعل محذوف وجوبا تقديره أحسن . والمحصوص هنا مضاف على حد قوله صلى الله عليه وسلم : ونحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة . .

(١) نسبة سيرته في الكتاب إلى رجل من بجليّة أو حشم ، وتبعه ابن السراج . وهواه القراء والراجح إلى عدى بن زيد . قال صاحب الفرائد : وهو الصحيح . وانظر الكتاب ص ٧٨ ج ٢ والفرائد ٢/٢٦٨ .

## ميناء الإسكندرية ميناء جميلة

قد يرى القارئ استعمال الميناء مؤنثاً . وفي كتاب المطالعة للبدارس الابتدائية - وهو عمل رجلة من الأساندة - في الحديث عن السويس ، ولها ميناء تسمى " بور توفيق " ، والمعروف في الميناء أنه مذكر . قال في اللسان في وفي : " والميناء : مرفأ السفن ، يمد ويقصر ، والمد أكثر . سمي بذلك لأن السفن تنى فيه أى تفر عن جريها ، فتراه أعاد الضمير عليه مذكراً . وما يقطع بتذكيره قول كثير عزة - أورده في اللسان في المادة - :

فلما استقلت ملناخ جمالها . وأشرفن بالاحمال قلت : سمين  
تأطرن بالميناء ، مم جزعته . وقد لج من أحمالهن شحون  
فقوله ملناخ أى من المناخ . وقوله : تأطرن أى تدين وتعطفن ، وجزعته :  
قطعته ، ولج ، هكذا في بعض التراجم في اللسان وفي بعضها لج بالحاء المهملة أى ضاق  
وازدحم ، وشحون قال ابن سيده . يجوز أن يكون مصدر شحن ، وأن يكون  
جمع شحنة بادرأ ، وشحنة السفينة ملتها ، والبيت الثاني من وصف سفين كما ترى ،  
يشبه اجمال عليهما الرجال ، وهى تسير في الصحراء في سهولة ويسر بسفين مشحونة  
بالمناخ تثبت بالميناء مم قطعته . فترى كيف رجع الضمير على الميناء مذكراً في قوله :  
مم جزعته .

## كثرة اللثام

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة " .  
وقالت الحكماء : الكرام في اللثام كالغرة في الفرس .

وقد بالغ ابن حازم فقال :

وقالوا لو مدحت فنى كريماً	فقلت وكيف لي بفنى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولاً	وحبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم هول	ولا أحد يمود على هديم

# على هامش الأدب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغي

مدير المكتبة الأزهرية

دعا داع أن ارتاض في رياض الأدب العربي القديم ، والأدب العربي فينان  
الغياض يهي الرياض ، طرائفه تطرب الأذن ، وتمتع العين وتخفف لوعة الملتهع ،  
وتجلوهم الحزين وتلا صدره يبرد العزاء والصبر . على أن فيه الحكمة الحكيمة  
السائرة في البوادي والأمصار ، الدائرة مع الأهرس والأجيال ، يتمثل بها  
الحاضر واليادي ، ويضطرب لها رب الفلقة والشادي ، فهي حكمة القطرة وثمر  
الامتحانات والتجربة .

وقد انتهى المطاف إلى ركن من أركانها نضوع شده وطاب نشره ؛ فأغرى  
الطرف به والتلى من بحاسنه ، فأطلت الوقوف عنده التماسا للبتة الأدبية ، واقتناصا  
للفائدة العلية ، ثم أحسست بالرغبة في الحديث عنه : ذلك هو ركن الطغرائي في  
رياض الأدب العربي ؛ والطغرائي كما يعلم الأدباء ، شاعر له مكانه في تاريخ الأدب ،  
فهو شاعر مشرق الديباجة رصين اللفظ قوى المعنى واضح الغرض موفور الحكمة ،  
شاعت حكمته في شعره وبخاصة في قصيدته المعروفة بلامية العجم ، وما أخف  
الطغرائي مكانه بين الشعراء ، ولا شاع ذكره وعلا قدره إلا بها .

والطغرائي هو الذي يقول :

وأكثر الناس من تشق بصحبته	ومصطفى النار لا يخلو من الشرر
تشابهوا في طباع الشر بينهم	على اختلاف من الأهواء والصور
فلا تروض إنصافا وقد شهدت	غالب الليث أن الظلم في المعطر

والعيش كالماء قد يصفو لشاربه      حيناً ويشرب أحياناً على السكر  
حنأ عليه فلما طاب موردنا      أقامنا الخوف بين الورد والصدر

\*\*\*

وليس من قصدى في هذه الكلمة أن أترجم للطفراني . وأعدد أغراضه التي طرقها في شعره وجعلها في ديوانه ، فذلك لون من الحديث صار مكرراً بملولاً ، وإنما القصد من حديثي إلى تسجيل بعض الخواطر التي عرضت لي أثناء قراءتي شرح الصفدي على لامية الطفراني ، وقد لا يعلم كثير من الناس أن هذه اللامية قد حظيت بعناية العلماء والأدباء قديماً وحديثاً ، ولست أعنى بهؤلاء علماء العربية وأدباءها لحسب ، ولكي أهنئ بهم مع ذلك علماء الإفرنج وأدباءهم فقد ترجمت إلى اللغة اللاتينية مراراً ، وتناولها علماء العربية بالتعليق والشرح ؛ فصار لها كثير من الشروح في عصور مختلفة ومن أشهرها ، الفيت المسجّم في شرح لامية المعجم ، للصفدي .

ولا شك أن لامية المعجم قطعة أدبية خالدة بحكمتها ، رائعة بمعناها وفنها الأدبي لا يكاد يخطئك في كل بيت منها تشبيه رقيق أو مجاز دقيق ، أو استعارة موفقة أو كناية معجبة ، ولا يفوتك في جعلها نوع من أنواع البديع المعروفة ، ولكذك تعجب إذ ترى الصفدي يصمت عنها ويطول صمته حتى نهاية شرحه ، فلا يشير إلى شيء منها ، وعهدنا بإشراح الأدب أن يجعلوا من شروحهم فرصة للتنافس ، وبجبالاً للتطبيق العلمي والدلالة على المقدرة الفنية ، وصنيعه في الناحية اللغوية صنيعه في الناحية البلاغية ، وسلوكه فيها سلوك الخائف الحذر المتوقع لهجوم العلماء ولوم النقاد ، وطريقته النثرية في شرحه أشبه شيء بطريقة أصحاب المعاجم ، فهو يشرح اللفظ بلفظ مثله لا يكاد يتجاوزه .

وليس كذلك طريق اللغويين الأدباء كالمبرد والقيلى ومن على مذهبهم ، فهم يقرنون الظير بنظيره نوضيحاً له وإبانة عنه ، وبما يلاحظ على الصندي في شرحه لم يجازه في عباراته من معاني الآيات ، وتناوله إيابة تناول ضعفة المترجمين الذين يستبدلون اللفظ بلفظ آخر ، غافلين عن حسن الصياغة وانسجام العبارة ، والفقه

الأدبي للآليات ، وقد حاول أن يمد ذلك النقص فاستعان في بيان المعاني بما يشابهها في شعر الشعراء ونثر الكتاب ، فاستطرد واستطرد وكأه في ذلك يحاول أن يقنعنا بمكانه من الأدب والآداب فأخطأ التقدير .

• • •

قصور الصفدى في هذه النواحي في شرحه للامية وهي العناصر الضرورية في شرح الأدب ، ومقياس الأدب في الأدب ، يسوغ لنا الحكم عليه بالتخلف عن صفوف الآداب ، فإذا أضيف إلى ذلك ما شغل به نفسه من الفضول والاستطراد إلى ذكر فصول من علوم قد يتصل بعضها بالأدب ، فيمكن الاعتذار منه كالنحو والصرف ولا يتصل بعضها الآخر بالأدب كالفلسفة والملك والطب ، فيضفف وجه العذر منه صح حكماً عليه بما ذكرنا .

وثمة أشياء نأخذها على الصفدى ، ويشترك في مؤاخذته ببعضها جمهور الناس ، ويحس الآداب خاصة ببعضها الآخر ، فما يشترك العامة في استهجانها لمجافاته الذوق وصلاته بالآداب العامة تعرضه للأدب المكشوف وتكلفه له رواية وإنشاداً .

وليس بنا حاجة إلى ذكر شيء منه هنا ، وما يحس الآداب وبعضهون به تكلفه السجع وحرصه عليه ، حتى جاء أكثره مستكراً مردولاً ، يدفع بعضه بعضاً ، ويكر أو آخره أوائله ، وجملة ما ذكره من شعر الشعراء استطراد خفيف في ميزان الأدب ورابطته به رابطة ضعيفة ، وما أبعد الأدب عن الاستعارات المستغلة والكنائيات البعيدة ، وعن أنواع البديع تهر على مواطها قسراً ، وتستكره على أما كتبها استكراً ، ليظفر قائلها بلقب الشاعر أو الكاتب ظلاً وزوراً .

هذه خواطر بدت لي أثناء قراءة شرح الصفدى على اللامية ، وهي تبين مكان الشرح من كتب الأدب ، كما تبين مقدار دقة صاحب كشف الظنون في صحة حكمه عليه إذ يقول : وشرحها دامية المعجم ، الصفدى بشرح سماه العيب الذي انسجم في شرح لامية المعجم ، بشرح ذكر فيه شيئاً كثيراً على طريق الاستطراد فصار شرحاً مشحوناً بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع .

فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا عن هذا الشرح : إنه ليس شرحاً أدبياً كما يفهم الأدباء من شروح الأدب ، وإنما هو مجموعة من طرائف الأدب ، جده ومزله وفصول من علوم شتى أكثرها من علم النحو ، أضاف بعضها إلى بعض لأدنى مناسبة كما يقول النحويون ، وهي بعمل الاختيار من الحفاظ أشبه منها بعمل الأديب ، وهي مناسبة كل المناسبة لتكوين الصفدى واستعداده الشخصى ، فالصفدى مؤرخ أخبارى حافظ مكانه بين المؤرخين والحفاظ ، لا بين الأدباء ، فقد ألف فى التاريخ كثيراً ، وجمع فى غيره من الفنون ، إلا أن ناحيته التاريخية : أظهر وهوبها أشد .

وقد توفى الطهرانى سنة ٥١٣ هـ . وتوفى الصفدى سنة ٧٦٤ هـ رحبما الله ورحم أسلافنا خدمة العلم ، وأسبغ عليهم من رضوانه ، وأستغفره من خطائى وسوء تقديرى .

## البخل

قال زياد : كفى بالبخل عاراً أنه اسم لم يقع فى حمد قط ، وكفى بالجود مجداً أنه اسم لم يقع فى ذم قط .

وقال شاعر :

ألا ترائى وقد قطعنى عدلاً      ماذا من الفضل بين البخل والجود ؟  
إن لم يكن ورق يوماً أراح به      للخاطبين فإنى لين العود  
لا يمدم السائلون الخير أفله      إما نوالاً وإما حسن مردود  
يريد بالورق المال والاحتياط      ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السانبة  
أى الحيوانات التى تسبب لا تؤكل ولا تتركب وفاء لندر ، لجمل الشاعر طالب الرزق مثل غابط الشجر لإسقاط ورقه .

في مشا كل المجتمع :

# طَالِبُ الْعِلْمِ

## بَيْنَ مَاضِيهِ وَحَاضِرِهِ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد النواوي  
وكيل معهد أسيوط

طالب العلم الديني في ماضيه من اتجه إلى المعارف الإسلامية برمته ، وأقبل عليها إقبالا تاما لا يصرقه عن ذلك محاولة دنيا يصيبها ، أو امرأة يتعرض لها ، أو فتنة تلبيه عنها ، قد اتخذ من مسكنه معبدا لا يفتر فيه عن التحصيل . ومن مراحمه ومغدهاء إلى العلم السيل ، ومن خلق الإسلام والتصوف عدة وعونا ، ومن الحرص والجد ومحبة الشيوخ والتسبح بهم منجاة ومسلكا ، قد ذل طالبا فعز مطلوبا . واستغنى بآفه والعلم فأسمى محبوبا .

ويطل يصفى للحديث بأذنه وبقلمه ولمسه أدري به  
وهكذا كان أبناء الأزهر تفرج بهم رجالا من الدين سعدوا وسعد بهم  
تاريخه ، كانوا من خبايا الدهر فأصبحوا يحكمون على الدهر ، كانت أسر السكرة  
منهم فقيرة مغمورة فصاروا لها مجدا .

وكم أب قد هلا بآبن ذرا شرف كما علا برسول الله عدنان  
فليت شعري ما الذي رفع هؤلاء ، ووصل بهم إلى ذلك المجيد الشاخص ؟ إنه العلم  
والتحصيل والدرس الطويل ، والاحتيا ل لصيد العلم وجمعه في نهم مقبول .

أولئك الذين كانت تمنحهم الابصار ، وتنبؤ عنهم الانظار ، هم الذين سعدت بهم الملوك فلم يحل عيشهم إلا في رضاهم ، ولم يستروحوا روح الجنة إلا في معشرهم ، ولم يفضوا غبار الآلم من الدنيا وتقلباتها إلا في خلس العيش معهم ، وهم القوم لا يشق بهم جليس .

لقد طالما وفد على الأزهر الكريم قوم شرح الله صدورهم للإسلام ، خاطبهم بألفه وصنعهم على عينه ولقنهم إلى وجهه ، فنظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وعشقوا العلم عشقاً أنحل أبدانهم وقرح أجفانهم ، وجافى عن المضاجع جنوبهم في تنافس حيد وتعاون مجيد ، ثبت على الحق أقدامهم وحبس على البحث والتقيب أنظارهم ، مجالسهم خلق العلم حول شيوخهم يلقطون فيها الدرر ، ويخضون فيها الفكر ويباركون فيها الإنسانية ويدرحون بها الهميمة ثم يقومون وقد ملأوا الأوعية معارف ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويميزهم به هلى كثير من عباده المؤمنين : فإذا آبروا إلى مثابهم فاأسعد الأوبة ، إنهم يتمتعون بما يقم أصلابهم : ليعودوا إلى ما به تعلقت قلوبهم ، فيجددون خلق العلم بعضهم مع شيوخ يتطوعون بترشيحهم فيما هم بسيله ، وبعضهم مع بعضهم ليرشخوا أنفسهم لدروس الفد ، حتى يستطيعوا أن يموا عن الشيوخ ما يقولون ، ليرسخ في أذهانهم ، ويحتل مكان الخلود في عقولهم ، والعلم صعب يعوزه الأخذ والرد والمد والشد ، وهم بعد تلك الخلق في جهاد أنفسهم يستعيدون ما جموا ، ويستزبدون عما أخذوا ، والعلم بحر لا ساحل له لا يحل إعطائه حتى تحل سؤاله .

فهل أولئك الذين كانوا يربطون أنفسهم في سوارى المسجد خشية أن يقصدهم النعاس ، وسل أولئك الذين كانوا يتأبسون النوم حتى لا يستغرقوا في الغفلات ، وسل أولئك الذين كانوا يهون في ساعات الصفر بالأسفار ، يتعرضون لهجمات الله ، ويحلقون قلوبهم بالتماس رضاه ، حتى تنطج فيها الحقائق ، أو سل عهم لتعلم مبلغ جهادهم وأنهم ما وصلوا حتى بذلوا ، وما نالوا إلا بعد أن جالوا وصالوا ، ومن يخطب أخساء يصبر على البذل ، على أنهم قد أحلصوا لاساندة كرام قد محضوم الصبيحة ، ونقحوا لم لباب الشريعة ، ووفروا أنفسهم للاستزادة من العلم والمعرفة شرايا مختلفا ألوانه ، يباكرونهم بالعزاء العقلى ، ويأدلونهم ذلك الحب

السماء ، فيحب الاستاذة لابنائهم توفرت أسباب التمهيد ، واجتمعت وسائل  
الإفادة المثمرة ، وعبدت سبل العلم وعذبت مائة ، ويحب الأبناء أساتذتهم خضعت  
نفوسهم وخشعت قلوبهم ، وتقبلت عقولهم ، فأفادوا معارف مباركة ميمونة ، لقد  
أسلموا قيادهم لأولئك الشيوخ ، واستسلموا منهم كل صعب ، واستحلوا منهم كل  
مرير ، حتى كانوا يرضون منهم ما يرضى العبد من سيده ، وحتى كانوا يتسابقون إلى  
أخذنيهم يحملوها ، ويرون في ذلك الفتوح والسمادة لأن الدل في هذا السبيل هو  
المزكل العز .

كان لطلاب الأزهر كما يقول الأستاذ الزيات كلف به لا يتنبى ، وثقة برجاله  
لا تخذ ، وانقطاع إلى جواره لا يبعثون من ورأه غير فقه الدين وتحصيل المعرفة ،  
وتجديد حب الدعوة ، فهم عما كفون على معاناة الدرس ، قاذون بميسور العيش ،  
لا ينصرفون من حلقات التعليم بالقاهرة : إلا إلى حلقات التعليم في الريف .  
وطلاب الأزهر القديم اليوم لا يزالون يذكرون ما لشيوعهم من الحب والتجلة ،  
كانوا يتحلقون حول حلق الشيخ من غير نظام ولا ضابط فيكون لهم على السبق  
إلى الإمام عراك وصخب ، حتى إذا ما أقبل الشيخ خشعت الأصوات وسكنت  
الحركات ، حتى كأن شيئاً خلق بالأنفاس فلا تنسم ، وعقد الشفاه فلا تنبس ، وربما نزا  
اللجاج على لسان أحدهم أثناء المناقشة فيغضب الشيخ فلا يكون أنكى في عقابه من  
الإشارة إليه بالخروج من الدرس ، أو الدعاء عليه بالقطيعة من الأزهر (١) .

لقد كان الطلاب يتنافسون في العلم ، ويكاثرون بالعلم ، ويفرحون بالعلم  
وينتصر بعضهم على بعض بالعلم . ويتناقلون فيه ما يقول بعض راصفيه .

سهرى لتفسيح العلوم أذلى من وصل غاية وطول هاق  
وتمايل طرباً لحل عويصة خير من الدوكات والعشاق  
كان الجامع الأزهر في جميع أوقاته كعبة لا ينقطع وافدها ، ولا الدوى  
بالعلم في جميع أرجائها ولا تخلو من قارئ وناظر ، ومكب على الدفاتر ، وراكم  
وساجد . فجزاهم الله بما صبروا أن يدل ذلم عزاً وفخرهم غنى ، وصعهم قوة ،  
وجعل كتبهم العليا ، وأخضع لهم الدنيا فليسان حالهم .

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أوعانا إلى الناس وقفوا  
وقد أدركنا من ذلك العهد الكريم جانباً ، وأصلنا بقية صالحة من كانت  
أسماؤهم تجليل ، وذكرهم تدوى حتى ملأت سمع الأرض ، ولقد كنت من  
يحرصون على التمسح بهم ، والتزاحم على دروسهم ، قبل دروسهم وأنا أتمثل .  
تمتع من شميم عرار نحمد فما بعد العشة من عرار

وكان من أولئك حضرات الأئمة الاعلام طيب الله ثراه . الشيخ محمد نجيب  
المطيعي ، والشيخ محمد حسين العدوي ، والشيخ يوسف الدجوي ، والشيخ  
السالموني ، والشيخ سيد المرصني رضي الله عن الجميع وأحسن جزاءهم ، فكنت  
أوفر من صفوة حياتي زمناً أسمع فيه منهم وأخذ عنهم ، وكان يجمعني مع شيوخ  
التفذة لهم ، واتباز الفرصة في بقائهم ، تقديرًا لما حلوا من علم غزير ، ولإيماننا بما  
وصلوا إليه من معارف قد تمزق بفقدانهم .

وكان والدي رحمه الله يهيج نهج أولئك الأئمة ، فيدأب على خدمة العلم  
في المسجد وفي المنزل ، وفي المدينة والقرية ، ويحمله على محبة والاختلاط به ،  
وحضور دروسه التي كان يقدمها في أشهر الأجازات في الفقه والمطبخ والبلاغة  
وغيرها ، وغرس ذلك في نفسي معاني لا أزال أبكي على فقدائها في أبنائنا اليوم ،  
أولئك الذين صرفتهم شواغل المجتمع الصاخب حتى صفت وطائهم ، وخلت  
عقولهم ؛ وصدأت قلوبهم ، فاستغلوا العلم وجافوه وصاروا يشكون في غير  
شكوى ، وينفرون في غير نفرة ، ويحاولون أن يحملوا أنفسهم على المجتمع حلاً  
- أصلح الله بهم ، ورد إليهم رشادهم - إنهم يشكون أحياناً من مناهج الدراسة .  
وصعوبة الكتب لأنهم لا يوفونها حقها من التفرغ والإقبال . وقد كنا نحضر  
لأول عهدنا بالعلم أوجه إعراب البسملة على جميع وجوهها ، مما تعي به أفتاننا ،  
وتفنيق عهء مداركتنا ، ولكننا نحمل أنفسنا عليه ونحفظ ما أعجب فهمه ؛ حتى يحين  
وقته ، ما يحول ذلك دون الصبر والرضا والإيمان بعظم المطلوب .

فالذنوب إذاً يا طلاب العلم ، ليس ذنب المناهج ، ولا طرق التعليم ، وإنما هو  
ذنوب التشاغل والتكاسل ، والقذف بأنفسكم في ذلك المجتمع الصاخب ، هو ذنب  
الغرور والطيش من أبنائنا الذين يزعمون أنهم يملكون قيادة الأمور ، ويدبرون

دقة الشئون ، والتحكم في مصائر الرجال والحكومات بإسقاط أو إنهاض ، وإلا فن للدرس والتحصيل ، ومن للتهدب والتكيل ؟ وإن كتب الأزمهر بالذات كتب مركزة ، وثقافات عالية مركبة ، وبمجموعة يدخل بعضها على بعض . ويحتاج بعضها إلى بعض ؛ فمن قصر في شيء منها بدا ضعفه وظهر عجزه .

أما نحن فما كنا نضكر في تلك المناسج : بل كنا نحاول أن نطلب المريد وتنافس في ذلك ، لنصل من قلوب الأساتذة إلى موضع الحب كل بقدر طاقته ، وكان لنا أستاذ بحثة في مادة الأصول ، وكان يعلم مقدار حرصي على القراءة والاستزادة ، فربما جاء قبل البسء في الدرس ، فسألني عن رأي في مسألة ، وعما قرأت فيها من المواد لعلته يجد عندي مزيداً يزيد هدي ، فإن العلم بحث وتقيب ، ولقد كان لذلك أثره في تربية ملكة الاستقلال وفي تكوين الشجاعة المهذبة الحيدة ، وفي إطالة النفس في المناقشة البريئة .

كان لنا أستاذ يشار إليه ويعول في علوم الشريعة وفي مادة الأصول عليه — شفاه الله — وكان يقرأ لنا كتاب الأحكام في الأصول ، فرأى يوماً أن في الكتاب خطأ مطبعياً بزيادة كلمة « لا » أو نقصها — لا أذكر بالتحديد — وكنت قد فهمت الكتاب على وضعه ولم أشعر فيه بخلل . فناقشت شيخني وكنت قليل المناقشة جداً ما لم يلح الداعي إليها ، وطال أمد المناقشة حتى ردعني شيخني ، فسلمت في أدب وحياء وأنا مقتنع بفهمي ، فلما كان اليوم الثاني جاء الشيخ ، وكان أول ما بدأ به أن سأل عني ، فليت دعوته الكريمة ، فبسم لي وتهلل في وجهي ، ودعالي بخير ، ثم قال : الحق ما قلت فتضاعف خجلي ، وزاد تقديري لشجتي ، على أنها كانت وسام شرف ، وشارة فخار أنزلتني من نفوس إخواني أكرم منزل .

ولئن ذهبت أسرد لك أيها القارئ الكريم كثيراً من مظاهر الحرص والدأب في عهدنا ، وهو عهد قريب لرأيت العجب ولرثيت لما صارت إليه الحال اليوم من إغراض وحدود ، ومن جرأة واستهانة بالواجب .

باطلية العلم ! لعل كثيراً منكم قد قرأ ما وصف به المهزاق العلم ، وهو وصف يعجبني كثيراً إذ يقول : « وجدته بعيد المرام ، لا يصاد بالسهام ، ولا يقسم بالآلام ، ولا يرى في المنام ، ولا يضبط بالجام ولا يورث عن الأعمام : فتوسلت إليه بافتراش

المدور واستناد الجهر، ورد الضجر، وركوب الحظر، وإذمان السهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، ورأيته لا يصلح إلا للفرس، ولا يغرس إلا في النفس، وطائر لا يحدده إلا قصص اللفظ، ولا يعلقه إلا شرك الحفظ، فحررته بالدرس، ثم استرحت من النظر إلى التحقيق، ومن التحقيق إلى التعليق، واستعنت على ذلك بالتوفيق .

ياطلبة العلم انحن الآن في زمن نراكم فيه كما قال الاول :

فلنساك عهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وإنه ليحر في نفسى ويكنى لكم، أن أحاطت برقابكم السلاسل، من تلك الشواغل فتوليت في الأمة الشئون، وشعلتم أنفسكم بما كان وما يكون، حتى ضاع العمر سدى، ومضت فترة الشباب بددا، لقد غرکم أن تسمعوا النباء عن لا يعيه أمرکم ولا يرجو مستقبلکم، فهل يرضى أحبکم من أهل وعصيدة أن تفقوا العمر في ذلك الفضول، وأن تعرف بكم عن الجادة خابطات الميول؟ لا لعمر الله! ياطلبة العلم! رحم الله امرأ عرف قدر نفسه فزكاها وكملاها، جددوا خلايا العلم في عقولكم قبل أن تأكلها الجهالة، وأزيلوا الران عن قلوبكم لا فتلك بها الضلالة! لا تعملوا للتجاح في الامتحان، فإن علم الامتحان كالسراب ليس بشئ مستقر؛ ولكن اعملوا للنجاح في الحياة كما كان أساتذتكم الذين أنبأتكم بعض أنبائهم .

يا ليت شعري متى نزول هذه الأسناد التي صدت أبناءنا عن سبل العلم الصحيح، والثرية الصالحة المشرقة، ويا ليت شعري متى ندرکما عاية الله سبحانه فنعود بالطالب إلى تلك النفس الزكية، وتلك الشخصية العامرة بالدين، المعترزة بالله رب العالمين، المثرية من معارف الإسلام والأدب، الحافلة بمختلف علوم العرب؛ فيطلب العلم للعلم، ويأخذه عن الأشياخ الذين سلكوا سبيله فعرفوا أصيله ودخيله، وأنضموه بكثرة الرد، واستحدوا عليه بعد طول مد وشد؛ حتى يقرؤا عين الزمن، ويشدوا بحق أزر الدين والوطن .

اللهم لطفًا ببيالك طلاب الأزهر معقل الدين وعلوم العرب؛ فبصرهم بالحق، واهدهم إلى الرشd ولا تحق عليهم كلفة الجهل يوم تقبض العلم يموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا .

اللهم أقشع عنا هذه الغيابات. وتدارك بألطافك الخفيات. يا أرحم الراحمين متى أرى الصبح قد لاحت مخالبه والليل قد مزقت عنه السراويل؟

# عَلَيْهِ عَالِمٌ سُنِّيٌّ عَلَى أَلْيَامُونٍ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المتعال الصميدى  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

قد عاد للفلسفة تقديرها في الأزهر وكيانه ، وصارت تدرس فيه دراسة جديدة تخضع لنقد الحديث ، ولا تتأثر بشيء من التعصب الذي كانت تلقاه الفلسفة قديما ، فعرف للفلسفة فضلها في النهوض بالأمم ، وعرف للفلاسفة فضلهم في الاجتهاد في النهوض بالعلم ، ونظر إلى أخطائهم في الفلسفة كما ينظر إلى كل خطأ من البشر ، فكل من ينظر ويفكر يصيب ويخطئ . ، ولا يصح أن يمنعنا خطؤه من الانتفاع بصوابه ، ولا أن يحملنا على مجافاة العلوم التي وقع فيها ، إذا كانت نافعة لنا ، ولا يمسكنا الاستغناء عنها .

وكان المأمون بن الرشيد يعرف هذا الفضل للفلسفة ، فأقبل على طلب علومها من مواضعها ، واستخرجها من معادنها ، وأتخف في سبيلها ملوك الروم بالهدايا الخطيرة ، وطلب ما عندهم من كتب الفلاسفة ، فأرسلوا إليه ما عندهم من كتب أفلاطون وأرسطو وغيرهما ، فاختار لها مهرة المترجمين ، وكلفهم بنقلها إلى العربية ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم في تعلمها ، فنفتحت سوق الفلاسفة في زمانه ، وتنافس في علومها أولو النباهة في عصره ، لما كانوا يرونه من تقديمه لأصحابها ، واختصاصه بأهلها ، فكانت يخلو بهم ، ويأنس بمنافرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم ، فينالون عنده المنازل الرفيعة ، والمراتب الشية ، وفي عهده كان تقل فرع الإلهيات من الفلسفة إلى العربية ، وكان النقل قبله مقصورا على الطبيعيات والرياضيات ، فتكاملت بهذا أقسام الفلسفة ، وقد كان الفيلسوف قديما لا ينال هذا القرب إلا إذا أحاط بها كلها .

وقد كان المسلمون في ذلك الزمن منقسمين إلى أهل سنة ومعتزلة ، وكان مذهب الاعتزال مذهب بعض الخاصة في الدولة ، أما مذهب أهل السنة فكان مذهب كثير من الخاصة ، كما كان مذهب جمهور العامة ، فوضع المعتزلة أيديهم في يد المأمون ، ولم يزوا فيما يقوم به من ذلك خطرا على الدين ، أما أهل السنة فأرأوا في هذا خلاف ما يراء المعتزلة ، ونجأوا من أجله المأمون ودولته ، وأخفوا ينفرون العامة منه ، ويؤلبونهم عليه ، حتى اشتد العداء بينه وبينهم ، ووصل إلى نهايته في مسألة القول بخلق القرآن ، فقد اتخذها المأمون فرصة للتشكيل بأهل السنة ، وكان في الحقيقة يشقى غليله من مناوأتهم له في موقفه من علوم الفلسفة .

وهنا يبدو غريبا أن يكون لواحد من أهل السنة أكبر سلطان في دولة المأمون ، فيخرج هذا السني على إجماع أهل مذهبه طائما مختارا ، ويرضى المأمون أن يكون له في دولته ذلك السلطان ، مع أنه كان يميل في دية إلى مذهب المعتزلة والشيعة ، وهذا إلى إثارة مذاهب الفلسفة وشغفه بها ، وكانت في ذلك الوقت من أشد ما يمتقه أهل السنة .

ولكن هذا الذي يبدو غريبا هو الذي كان ، وإذا كان يبدو غريبا في ذلك الزمن فإنه هو الذي كان يجب أن يكون فيما نرى الآن ، وقد كان ذلك العالم السني هو الإمام العظيم أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن مسمان بن مشجع التميمي الأسبدي المروزي ، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب في الجاهلية ، وكان الإمام يحيى يمثل من هذه الناحية في الإسلام ، وعنه ورث ذلك الفضل والنبل ، وتلك البراعة والكياسة .

وقد ترجم له ابن خلكان فقال : كان فقيها عالما بالغة ، بصيرا بالأحكام ، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رضي الله عنه . وقال الخطيب في تاريخ بغداد . كان يحيى بن أكثم سليما من البدعة ، يتنحل مذهب أهل السنة ، سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة ، وغيرهما ، وروى عنه أبو هيب الترمذي وغيره ، وقال طلحة بن محمد بن جعفر في حقه : يحيى بن أكثم أحد أعلام الدنيا ، وقد اشتهر أمره ، وعرف خبره ، ولم يستر عن الكبير والصغير من الناس

فضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك ،  
واسع العلم بالعلم ، كثير الأدب ، حسن المعارضة ، قائم بكل معضلة .

ثم ذكر ابن خلكان مبدأ اتصاله بالمأمون فقال : أراد المأمون أن يولى  
رجلاً على القضاء ، فوصف له يحيى بن أكرم ، فاستحضره ، فلما حضر دخل عليه ،  
وكان دميم الخلق ، فاستحقره المأمون لذلك ، فعلم ذلك يحيى ، فقال : يا أمير  
المؤمنين ، سئلتك كان القصد على لا خلق . فسأله عن المسألة المعروفة في  
الميراث بالمأوىة ، وهي أبوان وأبنتان ، لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين  
وحلفت من في المسألة ، فلما سأله عنها قال له : يا أمير المؤمنين ، آلميت رجل  
أم امرأة ؟ فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة : فقلده القضاء . وهذه المسألة  
إن كان الميت الأول رجلاً تصح المسألتان من أربعة وحسين ، وإن كانت  
امراً لم يرث الجدة في المسألة الثانية شيئاً ، لأنه أو أم . فتصح المسألتان من  
ثمانية عشر سهماً .

فلما اتصل يحيى بن أكرم بالمأمون غلب عليه ، حتى لم يتقدمه أحد عنده من  
الناس جميعاً ، لأنه عرف بما برع فيه من العلوم من فضل يحيى وما هو عليه من  
العلم والفضل ما أخذ بمجامع قلبه ، فلم يقتصر على تقليده قضاء القضاء ، بل قلده  
تدبير أهل مملكته ، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة  
يحيى بن أكرم ، حتى قيل : إنه لا يعلم أحد غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن  
أكرم ، وأحمد بن أبي دواد ، وكان يحيى من أهل السنة كما سبق ، وكان أحمد من  
زعماء المعتزلة ، وهذا من حسن سياسة المأمون ، إذ كان يقصد من هذا أن يرضى  
بسياسة الحزبين الكبيرين في دولته ، فاختر منهما ذينك السياسيين العظميين ،  
وقد سئل بعض البلغاء عنهما أيهما أنبل ، فقال : كان أحمد يجهد مع جاريته وابنته ،  
ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه .

وقد كان ليحيى بن أكرم مع المأمون مواقف نيلة دافع فيها عن مذهب أهل  
السنة ، وقنعهم فيها بحسن سياسته وكياسته ، وأهمها هذان الموقفان :

١ - حدث محمد بن منصور قال : كنا مع المأمون في طريق الشام ، فأمر  
فردى بتحليل المتعة ، فقال يحيى بن أكرم لي ولأبي العياد : بكرا خذاً إليه ، فإن

رأيتا للقول وجهاً فقولا ، وإلا فامسكتا إلى أن أدخل ، قال : فدخلنا عليه وهو يستاك ، ويقول وهو مقتاظ : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى عهد أبي بكر رضى الله عنه ، وأنا أنهى عنهما ! ومن أنت يا جعل — يبنى عمر — حتى تهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر رضى الله عنه ! قال : فأوماً أبو العيناء إلى وقال : رجل يقول فى عمر ابن الخطاب ما يقول نكلمه نحن ! فامسكتا حتى جاء يحيى بن أكثم ، فجلس لجلسنا .

فقال المأمون ليحيى : مالى أراك متعباً ؟ فقال : هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام . قال : وما حدث فيه ؟ قال : النداء بتحليل الزنا . قال : الزنا ؟ قال : نعم ، المتعة زنا . قال . ومن أين قلت هذا ؟ قال : من كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : . قد أطلع المؤمنين ، إلى قوله ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . يا أمير المؤمنين ، زوجة المتعة ملك يمين ؟ قال : لا . قال : فهى الزوجة التى عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ، ولها شرائطها ؟ قال : لا . قال : فقد صار متجاوز هذين من العادين ، وهذا الزمى يا أمير المؤمنين ، روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادى بالهوى عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها . فالتفت إليا المأمون فقال : أحفظ هذا من حديث الزمى ؟ قلنا : نعم يا أمير المؤمنين ، رواه جماعة ، منهم مالك رضى الله عنه . فقال : أستغفر الله ، نادوا بتحريم المتعة . فنادوا بها ، وكان ليحيى بهذا يوم فى الإسلام لم يكن لاحد مثله .

٢ — كان ثمامة بن أشرس وغيره من زعماء المعتزلة قد زينوا للمأمون أن يكتب بلمن معاوية رضى الله عنه ، فهم أن يكتب بذلك كتاباً يقرأ على الناس ، فجعل الثمامة من ذلك ، ولم يقسه عنه إلا يحيى بن أكثم ، فإنه دخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن العامة لا تحتمل هذا ، ولا سبأ أهل خراسان ولا تأمن أن تكون لهم فقرة ، وإن كانت لم تند ما عاقبتها ، والرأي أن تدع الناس على ما هم عليه ، ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق ، فإن ذلك أصلح في السياسة ، وأحرى في التدبير . فركن المأمون إلى رأيه ، وأعرض عن لعن معاوية ، ولم يستمع لقائمة وغيره من المعتزلة .

فيا ليت علماء أهل السنة كلهم وقفوا من المأمون هذا الموقف الذي آثره يحيى بن أكثم ، ولو أنهم وقفوا ذلك الموقف منه ، لاجتمعوا على خطة نافعة للسلطين فيما آثره من علوم الفلسفة ، ولسارت هذه العلوم بخلوص النية من الفريشين في طريق قاصد لا إفراط فيه ولا تفريط ، فاستقامت بها أمور المسلمين وسبقوا بها أوروبا بنحو خمسة قرون ، فكنا نحن السابقين الآن بهذه القرون وكانت هي اللاحقة ، ولم تكن هي السابقة الآن ونحن اللاحقون .

ولكن جمهور أهل السنة آثروا أن يقفوا من علوم الفلسفة موقف العداء ، ولم يحاولوا أن يجتمعوا فيها على رأي وسط هم والمأمون ، إلى أن أتى المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، قال إلى مذهبهم فيها ، ونهى الناس عن النظر والمجدال ، وأمرهم بالنسليم والتقليد ، ومنعهم من الاشتغال بالفلسفة ، فانتقل الحال فيها من الإفراط إلى التفريط ، وحرّم المسلمون في أمرها من الطريق الوسط الذي كان فيه خيرهم ، وكانت فيه مصلحتهم في دنياهم وأخراهم .

### حكم منشورة

قال حكيم : إذا قدرت على عدوك ، فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه

قيمة كل امرئ ما يحسنه . وقال الحسن محمد بن لنكك البصري :

عديا في زماننا عن حديث المكارم

من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

وقال أبو الطيب المتنبي :

إنما لقي زمن ترك الفحيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

# عمر بن الخطاب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم علي أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

لا أقصد بهذا العنوان الحديث عن «عمر بن الخطاب» من الناحية التاريخية، فأعني بتسجيل أعماله، وتسرد وقائمه، وتعداد أباديه على العمران والحضارة والنظام والإدارة، والسياسة والملك، فإن ذلك كله مبسوط على أكل وجه من البسط والبيان، والشرح والإيضاح، لا يموّزه أن أزيد فيه حرفاً، أو أضيف إليه كلمة، ولا سيما مع شهرة صاحبه في الخالدين، ونباهة شأنه في العالمين.

وإذا كان لأصحاب الفنون غرام خاص ببعض الصور يستهوى قنهم ويشير إلهامهم ويوقظ عبقرتهم؛ ليجعلوا منها ظلالاً، ويضموا إليها ألواناً، ويقفروا منها موقفاً يبعث على الدهش والعجب، والغرابة والتأمل، فإن المتأدبين الذين يخلقون من «الحبة قبة»، يمدون في هذا الرجل مجالات فسيحة ومعاني رائعة وتواحي بارزة توحى بالكتابة الخصبة، وقطعي أمثلة من خير ما تكون الأمثال جمالاً وحسناً. وليس ذلك في عدله النادر وذكائه اللامع، فربما كان في المعاصرين له أو المتأخرين عنه من كان يدانيه إن كان لا يساويه أو يجرى في مضماره ويترسم لآثاره وغريزة «التقليد والمحاكاة» تحمل على أن يحى الحافر على الحافر، والقدم في موضع القدم، ولهذا يقول الرسول صلوات الله عليه: «لتبعن سن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب غرب لدخلتموه».

ولا غضاضة على الشخصية الشامخة أن يكون لها قدوة تأخذ بيدها إلى حيث تسمو إلى الغاية المرموقة، وتصعد إلى القمة العالية، ويخلق في أفق من العظمة بعيد...

وحديث المتحدثين عنه يتبدى من حيث ينتهى ، وينتهى من حيث يتبدى ،  
أشبه بكتاب ضخم ، وسفر عظيم ، تروىك صحائفه أينما قلبتها ، وتأخذك سطوره  
كلما قرأتها ...

لذلك فلا تكون الكتابة فيه إلا : على الهاشم ، لا تصيب كبد الحقيقة  
بتقدير ما تحوم حولها ، وتدور في محيطها ، ثم لا يقدم القارئ أن يرى منها  
أطيانا من تلك الصورة التي أبدعها الخالق البارى ، وأجاد صنعها اللطيف الخبير .  
وأول ما يحملك على تفديس عمر واحترامه ذلك المعنى الذى لا يتأتى في  
الكثير ولا في القليل لأنزال الفتح ، وعظاء الإصلاح ، وهو الثقة المتناهية  
بنفسه إلى درجة أن يعرضها على مشرحة ، النقد العام ، إذ يقول في خطبة من  
خطبه : « إن رأيتم في أعرجاجا قزموه ، كأنا يتحدى المعادين ، ويقطع الحجة  
على الجاحدين ، وهى منزلة من الإيمان لا يصل إليها إلا من زكت نفوسهم ،  
وطهرت أرواحهم ، وخلعت سرائرهم ، وعمرت قلوبهم بالله سبحانه ، وهى بلغ  
المسلم هذا الحد سحر من الحياة ومظاهرها الخلابية ، وزخرفها الكاذب ، وصناعها  
الحادع ، وسراها المعرى .

وهكذا كان يفعل حين يبعث بالعامل أو القائد ويوصيه بالنفوى والعدل ،  
ويقهمه أنه لم يرسل به إلى أحد ليظلم أو ليقسو أو ليكون جباراً في الأرض ..  
ولعل من سيرته أصدق شاهد للقيام بالنفس المطلوب في الآية : ولو على  
أنفكم أو الوالدين والأقربين ، فإنه كان قاسياً على ولديه — عباده وعبيد الله —  
حينما علم أن أبا موسى الأشعرى اختصمها بمال من خراج العراق يتجران فيه  
على أن يدفعها الأصل ويأخذ الرج ، وأمرهما أن يردا الأصل والرج ، حتى  
لا تحوم الشبهة حوله ولا حول أحد من أهله .

والناس يتحدثون في هذه الأيام عن قانون « من أين لك هذا » ، ويذكرون  
أنه رضى الله عنه أول حاكم حاسب عماله وكبار المسئولين في دولته عن ثرواتهم  
من أى طريق اكتسبوها ، فإن اطمأن إلى أنها من غير جواهر المجلوب ،  
وسلطانهم المكسوب ، أقرم على الملكية ، وترك لهم سبيل الاستحقاق ،  
وإلا جعلها غنيمة للشعب في بيت المال . .



ويحدث من خلاف ، ويطرأ من مسائل ، يأبى إلا أن يناقش النصوص ، ويعترض على الأحكام ، ويرى الرأي ، ويقترح في الدين الاقتراحات ، ويحيى جبريل موافقاً له ، فيثير ذلك إعجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يسهه إلا أن يقول : لو كان في هذه الأمة محدثون لكان عمر .

وإذا كان التجديد من المتأخر لا من المتقدم ، فقد كان غريباً أن يكون وابنه عبد الله على طرفي نقيض ، يتمسك الوالد بالرأى إذا انقذح في ذهنه وامتلأ به يقينه وربما عطل النص معه وتنامى الآية في سبيله ؛ كما حدث في عام المجاعة ويقف الولد عند النص لا يحمده عنه ولا يجاوزه إلى سواء ، ويبالغ في ذلك حتى يستظل بشجرة الرضوان لأن عندها كانت المياضة المروقة باسمها ويكون قطع أيه لها إيلا ما له وشديدا عليه .

## الدنيا

ثم رجل الدنيا بحصرة على رضى الله عنه فقال له :

« الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مهبط وحى الله ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ، رحبوا فيها الرحمة واكتسبوا الجنة ، فن ذا يذمها وقد آذنت بنها ، ونادت بفراقها ، وذكرت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيباً ؟ فيا أيها اللذام لها المعلن نفسه بغرورها ، متى خدعتك الدنيا ، أم بماذا استندت إليك ؟ أبصرع آباءك في البلى ، أم بمضجع أمهاتك في الأثرى ؟ كم مرضت بكفيلك ، وكم علت يديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف الاطباء ، غداة لا ينفعه بكأوك ، ولا يغنى عنه دواؤك ! »

# أعلام الأزهر

الشيخ حسين المرصفي

المتوفى سنة (١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م)

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقي  
المدرس بكلية اللغة العربية

هو الشيخ حسين المرصفي نسبة إلى مُرصفا ، بلدة بالقنوية أنجبت بجمهرة من أعلام الفقه واللغة والأدب ، وكان والده الشيخ أحمد حسين المرصفي ، من أئمة العلم في عصره .

ولد المترجم له في مصر ونشأ بها ، وبعد أن أتم حفظ القرآن التحق بالجامع الأزهر ، ف تلقى العلم على كبار شيوخه ، ثم ما زال يُلدِّدُ ويبعث حتى صار من العلماء المحوّل ، وتصدر للتدريس فقرأ بالأزهر أمهات الكتب في العلوم العربية كغنى اللبيب في النحو لابن هشام .

وكان رحمه الله مكفوف البصر ، وقد عرف منذ صغره بحدة ذهن ، وثوقه الذكاء ، وإذا صح ما قيل من أن والده حفظ القرآن في ستة أشهر فإن ذكاءه موروث عن أبيه ، وكان إلى جانب ذلك جاداً مثابراً شديد التوافر على كتب الأدب يرتوي من محاسنها ، ويستظهر من روائعها ، لم يسترح إلى الأدب الشائع في عصره ، ولم يرقه نهجه ، بل كان من أوائل من تخطوا في هذه البلاد إلى قدر الأدب القديم ،<sup>(١)</sup> .

(١) المتصل في تاريخ الأدب العربي - ٢ ص ٣٦٨ .

وكان من حبه للأدب العربي القديم ، وقدرته على تفهم أسرارها ، وتذوق بلاغته ، يقرأ كثيراً في كتب البلاغة العربية ، ودواوين الشعراء الفحول . ويذل جهده في استظهار ما يتزله ، ويحيل قلبه على غرار ما بهره من هذه الآداب حتى استقام له ميانه الرصين .

وكان إلى جانب هواه بالأدب شديد الميل إلى العلوم العربية ، دائم البحث في أسرارها وتفهم دقائقها واكتناه خفاياها حتى صار في العلم بها حجة ثبنا .

وقد قرأ الخط العربي والفرنسي في أقرب زمن مع انكشاف بصره وهو حروف اصطلاح عليها اصطلاحاً جديداً تدرك بالجلس باليد<sup>(١)</sup> .

وتولى تدريس الأدب وعلوم العربية بمدرسة دار العلوم وتخرج على يديه طليعة الناهضين من أبنائها الشعراء والأدباء .

#### أثره في النهضة الأدبية :

، الشيخ حسين المرصني ، شيخ الأدباء في ذلك العصر ، وأستاذ الطبقة الأولى من دار العلوم : فقد تخرج عليه طلائع الناهضين في هذه المدرسة من أمثال حفي بك ناصف وأترابه .

وكان قبلة الشعراء والأدباء ينهلون من علمه وأدبه ، ويتفهمون بتوجيه وإرشاده ، صاحبه ولازمه أعيان البيان العربي فعرضوا عليه منظومهم ومشورم ؛ فتفتح ما شاء له ذوقه وعلمه ، وهذب كثيراً من بيانهم ، وراضهم على ما تهدي إليه من الأدب العربي القديم الرصين .

انتفع بتوجيه عبد الله فكري باشا ، فكان أحد تلامذته الذين أقادوا منه . بل إن البارودي ، نفسه وهو زعيم النهضة الشعرية ورائع لوائها في العصر الحاضر كان أحد تلامذته الذين صاحبوه ولازموه ، علم المرصني زعيم الشعراء اللغة العربية الفصيحة ، وهدهد إلى الأساليب المجودة الفحلة ، وعرض عليه شعره فهدبته قريحته التي صقلها الأدب العربي وطبعها بطابعه الجميل ، وإن لصلة

(١) الخط التوقيفية - ١٤ ص ٤٠ .

البارودي به لحديثاً طريفاً تمر به سراعا ولكننا أنفضنا فيه حيث تسكنا عن شعر الأزهر وكيف أن الأزهريين كانوا أساتذة زعماء الشر في العصر الحاضر .

وكان من أثره في الأدب فصوله الممتعة التي كان ينشرها في صحيفة ، روضة المدارس ، ، فقد رسم بها للأدب أمثل الطرق في ممارسة البيان العربي الجزل ، وكان قدوة السكاكين بطريقته الذميمة التي تجمع بين الجزالة والسهولة .

أما أسلوبه فظلي رصين ، واضح فصيح ، لا يلم بالسجع إلا لمساماة ولا تستويه الصيغة التي يكلف بها أصحاب الأدب الفسارغ فيسترون بخسرها نقص أدبهم وفراغته ، وهو في سلاسته وترتيبه المنطقي أقرب ما يكون شياً ، بأن خلدون ، في مقدمته ، فهو بحق ، من أولئك الأفاضل الأعلام الذين ردوا على اللغة في العصر الحديث ما كان لها من البهاء القديم في العصر القديم ، (١) .

ومن حديث المرحوم ، الشيخ عبد العزيز البشري ، عنه قوله ، ويقوم ذلك الكاتب الأديب المجدد حقاً فيلقت جمهرة الأدباء هن ذلك الأدب الضامر ، ويوجه أذمائهم وأذواقهم جميعاً إلى الخالص المختل من أدب العرب في جاهليتهم وفي إسلامهم ، ويعت لم شعر أبي نواس وأبي تمام والبحرئ وغيرهم من خوله الشعراء ، كما يدل على بيان ابن المقفع والجاحظ والصولي وأحمد بن يوسف وأضرابهم من متقدمي الكتاب ، فسرعان ما يصفو البيان ويحلو ، وسرعان ما يجزل القول ويعلو ، وسرعان ما تنفجر آفاق الكلام ، وتنشط أسلحة الأفلام في كل مقام ؛ وناهيك بفرس يخرج من ثماره إبراهيم المويلحي في الكتاب وعمود سامي البارودي في الشعراء ، (٢) .

#### ١ ثاره ومؤلفاته :

ألف كتاب ، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ، وهو كتاب جليل القدر لا يستغنى عنه أديب ، وقد شاع الانتفاع بما فيه من الآداب والعلوم ، ولا يزال متجعج الأدباء إلى يومنا هذا ، والكتاب جراً يقع الثاني منهما في صفحات تربي على ثلاثة أمثال الجزء الأول .

(١) المنتخب من أدب العرب - ٢ ص ٥٨٣ هامش .

(٢) المختار - ١ ص ٤١ .

« والوسيلة الأدبية » مجموعة من الآداب والعلوم المختلفة من نحو وصرف وفقه لغة وبيان ومعان وبدیع وتاريخ ، ساقها المؤلف لتعليم الكتابة الإنشائية وترويض الملكات اليباية على غرارها ونهجهما العربي الصحيح . وهو يتبع في هذه الكتابة طريقة الشرح والإفاضة والتتابع والاستطراد ، فإذا ألم يبحث على وقتي جوانبه ، وبسط في آفاقه ، ولم يدع فيه ما يحتاج إليه الباحث المتعقب ، وإذا أورد قصيدة أو رسالة أو خطبة شرح معانيها اللغوية شرحاً دقيقاً متمكناً ، ثم بين مراد الأديب بما قاله ، وتعرض له بشيء من أخباره وآثاره ، وقد يستطرده فيقرن المعنى بمشابه له أو مقارب منه أو مضاد له ، يفيض في كل ذلك بأسلوب رصين واضح فصيح .

وقد عمد فيها اختاره من آثار أدبية إلى روائع الأدب : من شعروثر وخطب ورسائل ، فهو حسن الذوق في كل ما يهتدى إليه ، غرير المادة بما يفيض فيه ، قريب الشبه في ملكه بالكعب التي هي أصول للأدب من أمثال . الأماي ، و . الكامل ، و . العقد ، إلا أنه لم تغلب عليه ناحية خاصة تستأثر به ، وتدعه ضعيفاً في غيرها مما يقوم عليه بحثه وشرحه ، وتقده وتعليقه ، وإنما هو في هذه النواحي جميعاً المتمكن الذي يعدل بينها .

والوسيلة بجزئها تتضمن تمهيدا وأربعة مقاصد ، يشتمل كل منها على فصول ومقالات ، فالتمهيد في بيان فضل العلم وتقسيم العلوم وتعريفات لعلوم العربية والأدب مع إفاضة بذكر الأمثلة ، والمقصد الأول في العقل وشرح أنواع المعقول ، والمقصد الثاني في تعريف اللغة وبيان الداعي لوضع علوم العربية ونهايته نهاية الجزء الأول ، والمقصد الثالث وهو أول الجزء الثاني يحتوي فنون البلاغة بإسهاب وشرح وإفاضة مع دقة وتحليل ، والمقصد الرابع وهو أوسع المقاصد وأكثرها بساطة : يتضمن المكائبة والترية الأدبية والأدعية التي جرى السلف على استعمالها في مكاتباتهم ، وفي مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، ومكاتبة الملوك والأمراء والأدباء وفي الأمثال العربية وغير ذلك من البحوث الأدبية المهمة ، وقد ختم الجزء الثاني بكلمة ضافية عن المرحوم عبد الله فكري باشا . ومن أهم ما حواه الجزء الثاني حديثه عن البارودي الشاعر العظيم .

والكتاب مطبوع بمطبعة المدارس الملكية بمصر من سنة ١٢٨٩ - ١٢٩٢ هـ .

وله كتاب : **الكلم الثمان** : وهو رسالة شرح فيها كلمات جرت على ألسنة الناس في عهده ، وكثر ترددها ، ولحقوا بذكرها مما دعاه إلى بسطها وتبينها كلفظ : **الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والثرية والإنسان والمربى** ، وكيف يجب أن يكون وما به تكون **الثرية** ، كتبها بأسلوبه الرصين الرشيق ، وهي مطبوعة بالمطبعة الشرقية بمصر سنة ١٢٩٨ .

وله أيضا كتاب : **دليل المسترشد في الإنشاء** : وهو كتاب وضعه لتعليم طرق الإنشاء وأساليبها ، وكيفية افتتاح المراسلات والمكاتبات والموضوعات الإنشائية المختلفة ، وأورد فيه طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتب خلفائه الراشدين إلى القياصرة والأكاسرة والعرب خاصتهم وعامتهم ، وجمهرة من القصاصد والمقاطيع مشهورى الشعراء من الطبقات الأولى الثلاث .

والكتاب يتضمن مقدمة تحتوى ما يحتاج إليه المثنى من معرفة مبادئ العلوم وتمييز بعضها عن بعض ، ثم يحتوى بحوثا قيمة في تعريف الكتابة وبيان طرق التعليم والأغراض التى يحاول المثنى أن تحسن بها صناعته ويجود بها لإنشائه ، والكتاب مخطوط لم يطبع .

#### نماذج من إنشائه : كتب في التخلق ببعض الأخلاق فقال :

« غير خاف أن التخلق بالكبر والخيلاء والعجب ، والتعظيم على الناس بما أفضل الله به على الإنسان ، من علم وجاء ومال أمر غير حسن ، لما جلبت عليه العوس من الإباء والنفرة عن تعظيم عليها ، فأكثر ما يُدَلَّ حسن الود والتألف ، بأشنع العداوة والتنافر ، لكن لذلك موضع يكون فيه حسناً .

وبيانه : أن من المشاهد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تربيته ، وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة وإنصاف ، بأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ، فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسمى فى الأرض بالقصاد ، وجب على الناس تأديبه بما يعيده إلى الصلاح ، وربما كان التكبر والزهو عليه أنكى له وأرجى لمتاب فكره ، وإحياءه إلى حيز الاستقامة ، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فارساً من أصحابه يمشى بين الصعين محتالاً ، يميل يميناً وشمالاً . فقال : هذه مشية يكرها الله تعالى إلا فى هذا الموضع ، فقد علمنا أن للتكبر موضعاً يكون فيه حسناً . »

# معرفة الغيب

لمضية الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحيد محمود المسلول  
المدرس في كلية اللغة العربية

الإيمان الحق حين تخالط بشاشته القلوب ، وتمازج طهارته الافئدة ، وتسطم  
أشعته على البصائر فتملؤها نوراً وحكمة .

هذا الإيمان يهدي الناس في حياتهم إلى النهج الواضح ، ويدلهم على السبيل  
اللاحب ، ويفرس في أعماقهم الثقة برب العالمين ، والاطمئنان إلى عدالة أحكم  
الحاكمين ، ويخلص هفائدهم من الزيغ والضلالات ، ويظهر نفوسهم من الأوهام  
والخرافات ، ويحذرها من البدع والآفات .

ومحال أن يصح إيمان في نفس مؤمن ثم يلنوى قصده ، ويضطرب نهجه ،  
وتختل حياته .

أما حين يضعف الإيمان في النفوس ، وبين سلطانه على القلوب ، وتقل ثقة  
الناس بخالقهم ، وتختل حياتهم فترات صدود عن الأعمال ، وانصراف عن  
الواجبات ، فإن الأوهام تجد فيهم حينئذ مرتداً خصبياً ، وتصادف لديهم  
مجالاً رحيباً .

والمدارس لطباع الناس وعاداتهم ، والباظر فيما يشيع بينهم من المعتقدات  
والتقاليد ، يرى أن البدعة لا تقوى إلا عند ضعف الإيمان ، وأب الخرافة  
لا تتأصل جذورها إلا عند قليل الثقة بسنة الله في الكون .

من الأوهام الضالة الخبيثة التي توارثها الناس جيلاً بعد جيل ، وخضعوا لها  
فجيلاً إثر قبيل ، والتي أثرت أسوأ تأثير في حياتهم وأعمالهم ، وجعلت أمورهم

تعتل ، وأوضاعهم تختل ، وأفسدت عليهم عقائدهم وتفكيرهم . اعتقاد كثير من الناس أن في بني آدم من يستطيعون استشفاف العيب ، واستكناه المجهول ، واستطلاع ما وراء الحجب ، مما يستعجلون معرفته ، ويشتهون الوقوف عليه ، بل إن فيمن لم يهذبهم العلم الصحيح ، والمعرفة الناضجة ، من يعتقد أن في بعض الأماس من يقدر على التحكم في مجرى القدر ، واتجاه القضاء ، فيحولونه من نحس إلى سعد ، ومن شوم إلى يمن ، ومن سوء حظ إلى حسن طالع ، وأن فهم من يستخدم الجن في قضاء المصالح ، وتدير الأمور ، وشفاء المرضى ، وإسقام الصحيح ، وتوثيق الصلة بين اثنين ، أو فصل هري المودة ، وبتر أسباب الالفة بين المتحابين . وأنهم يستطيعون أن يسهلوا للناس ما هسر من أمرهم ، ويسروا عليهم ما شق من أمور الدنيا ومظاهر العيش ، وهكذا مما لا يقدح له منطق ويسفه عقل ، ولا يقره إدراك صحيح وتفكير مستقيم .

وأول ما يبده الإنسان في هذه المشكلة التي أختبت الناس إليها ، أن من أضفوا عليهم هذه الألومية أمام مفهوم حسن السمات ، وجمال المظاهر ، وعلاتم الاستمرار والاستثناء . فهم من شطفت العيش وقلب القفر ، وقذاره المظهر ، وشفاء الحياة على جانب كبير . فهل من المعقول أن يُسبغ هؤلاء الناس وهم أشقياء ؟ يجلبون لهم أسباب الفع أو يذهبون مظاهر الضر ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ أما كان الأجدر بهؤلاء الدجالين المضلين أن يستلوا عليهم في رفاهية أنفسهم ونعيمها وكفايتها ، بدل أن يعيشوا على هذا الاتجار الرخيص والارزاق الدني .

في كل ناحية من نواحي الحياة نجد لهذه المعايث والضلالات أثرا قبيحا ، نجد رضى بها ، واستسلاما لها ، أفسد على الناس أمرهم ، وكدر صفوهم وأخرم أشم تأخير .

في الأمراض ، في المنازعات والقضايا ، في الحب والبعض ، في الحمل والولادة ، في إطالة الأعمار ، في الارزاق ، في كل شيء يحرص عليه المرء بمجد الخرافة الشاذة قد تسربت إليه وعهدت عليه ، وبجد الناس قد لجؤا إلى من يلتقط لهم غيب

السماء ويستشف لهم علم ما في اللحد ؛ بل ويجعل طيرهم يجرى يميناً ونحوهم تحول إلى سعود .

إن الشاهر الجاملي الذي لم يدرك ديناً ، ولم يسطع عليه الإسلام بنوره كان يقول :

وأعلم علم اليوم والامس قبله      ولكنني عن علم ما في غد عمي  
واقه تعالى يقول : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، ويقول جل شأنه :  
« قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » .

ولو أدرك هؤلاء البسطاء ما يصيبهم من شر ، وما يدخل على حياتهم من اضطراب وخلل من جراء هذه الأوهام الضارة وهذا الصغار الممقوت لاشفقوا على أنفسهم من هذا الضلال المبين .

ولكن الجبل حين يعمى القلوب ويظلم الضمائر ، يسبب للحياة الفساد ، ويضني عليها المذاب والشقوة ؛ وبدلاً من أن يطلب الإنسان غناه ويهتدى إلى حاجته من الطريق الصوي الذي شرعه الله وهو الجهاد والعمل ، يهمل السعي ويتردى في هوة الكسل ، لأن رجالاً من الدجالين الذين مرضت قلوبهم ، وخربت ضمائرهم ووران الجبل والظلام على نفوسهم ، يستخدم له الجن في فتح أبواب الرزق وتيسير سبيل الفنى ، وهكذا يظل تائهاً في ضلاله ، يحنا في خداعه حتى يتمكن منه الفقر ويضله اضطراب الحياة .

وقد يركب بعضهم سبيل الظلم ، ويعمد الى الإضرار بالناس ، والقادى في خصوماته ، لأن نصائباً من هؤلاء وعده باستخدام الجن في التأثير على القضاء ، ويمرض المريض فلا يظهر من الرغبة في استدعاء الطبيب بمقدار ما يتأفقت في استفتاء هؤلاء المشعوذين .

ولقد يسرق بعض المتاع من بيت ، فلا تكون هناك حيلة ولا توجد وسيلة ، إلا أن يلجأ أصحابها إلى دجال يكشف لهم عن الغيب ، فربما أشار بجمله الى جار أو دل بسوء ظنه على قريب ، فإذا بالعداوات تفسد والخصومات تعنف والصلوات تمزق والروابط تنفكك ، ويعيش هؤلاء في الويل والحلاك ، لم تكفهم مصيبتهم

فيا سرق؛ بل زادوا عليها مصيبة أخرى هي خلق المشكلات وانتجار الخصومات .  
ليت شرى أى علم هذا الذى اختص به من دون الناس جميعا هذا الصنف  
من الخلق ؟ ومن أى كتاب أخذوه وفى أى مدرسة أو أى جامعة تعلموه ؟  
ولماذا لا تسخر الجن والشياطين إلا هؤلاء الدجالين الذين تلازمهم القذارة ،  
ويستبد بهم الجبل ويستول عليهم شظف العيش ، وتحوجهم الحياة إلى الارتزاق  
من هذا السيل .

إن الله تعالى يقول : « وهندة مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر  
والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب  
ولا يابس إلا فى كتاب مبين ، ويعصى هؤلاء الجبلة ربهم ، ويأخذهم الغرور  
وخداع الناس فيقولون بل نحن نعلم الغيب . وكذبوا فإن خاتم الأنبياء وأفضل  
الرسل قد أمره الله أن يقول للناس : « قل لا أملك لنفسي نقما ولا نفرا إلا ما شاء  
الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما عسى السوء . إن أنا إلا نذير  
وبشير لقوم يؤمنون » .

وهؤلاء يدعون أنهم يعلمون ما فى الأرحام ، ويعطيلون الأعمار ويكتبون  
للناس السلامة من الآفات والأمراض ، ويعلمون متى يموت الإنسان ، وإذا شاءوا  
أخروا هذا الميعاد بعض التأخير مع أن المولى جل شأنه يقول : « إن الله عنده  
علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا  
وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير » .

لقد قيل : إن ملكا أراد الفوز فأعده له عدته ، واتخذ أهبة ، وقبل أن يشخص  
إلى عدوه بيوم ، جاءه أحد المجندين وطلب إليه ألا يفزو هذا العام : لأن جيوشه  
ستنهزم إذا غزا : فصدق الجنود وآمن الناس ، ووقع الملك فى حيرة وارتيباك ، إن  
خالف هذا الدجال ، ثار الجنود وحلوا لواء التمرد والعصيان ، وإن سكت هن العزرو  
استضعفه الأعداء ونالوا من هيئته : فلم يجد بدا من السكوت على ألم ومضض ،  
ثم أرسل عند الفجر إلى الدجال من قتله وأراحه منه ، فلما أصبح الناس وجدوه  
مقتولا . فقال لهم الملك : لو علم هذا الرجل الغيب لعرف مصيره ، وأدرك فى أى  
يوم منيته . ثم خرج بجيشه فنرا عدوه وانتصر عليه نصرنا ميثا .

إن رسل الله قد حرصوا على أن يفهم الناس عنهم مبلغون ومبشرون ومنذرون ، لا يعلمون الغيب ولا يدخلون في علم الله ، وإذا كان رسل الله لا يعلمون غيبه فهل يعلمه صعلوك من صعاليك الناس ؟ وهذا كلام الله على لسان نوح يتبرأ من هذا الادعاء : « ولا أقول لكم عندى خرائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك » . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . ويقول أيضاً : « من أتى كاهنا فسأله حبيبت عنه التوبة أربعين ليلة ، فإن صدقه بما قال كفر » .

فهل بعد تلك الآيات الدامغة والبراهين الساطعة ، يدعى أفاك أنه يعلم الغيب بنفسه أو باستخدام الجن : ذلك جهل مطبق بدين الله ، وجهل مطبق بعالم الجن وماله من خصائص ومميزات .

إن الجن عالم آخر وحق من خلق الله لا صلة لنا به ولا تأثير لنا عليه ، نحن لا نفهم لغته ولا ندرك كنهه ولا قدرة لنا على الاتصال به : لأن الحواجز التي جعلها الله بيننا وبينه يستحيل أن تزول بحيلة أو براعة أو قدرة على كتابة الطلسم والمعميات أو إقامة الزارات .

ولنفرض المستحيل من أنه يمكن لبعض الناس أن يتصلوا بالجن ويستخدموهم . فن أين للجن معرفة الغيب وعلم ما لم يقع . والله تعالى يقول : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا » .

إن الإنسان لعجيب في أطواره وأحواله ، عجيب في تفكيره وتصوره ، يحجب الله عن علمه الغيب لحكمة جليلة وسر بديع ، فيحتال على المولى بالجن ويستعين بالشياطين والمفاريث ؛ لإظهار ما أخفاه الله وكشف ما ستره . بالبلادة العقول وبلادة الإدراك !

أن أعظم دليل يسوقه القرآن على جهل الجن بالغيب ما حكاه المولى عن نبيه سليمان ومعجزة تخيير الجن له : فإنها لم تعمل إلا الصناعات التي يعرفها نثر آدم من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب ، ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه يأذن ربه ، ومن يزغ منهم

عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور ، فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خرت تبنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، فإلجن جهلوا موت سليمان وهو أمامهم يمررون عليه في الصباح وفي المساء . أبعد هذا دليل قاطع وبرهان ساطع ؟ .

يجب أن يعرف الناس العقائد السليمة ، ويرجعوا إلى الدين الصحيح ، ويدركوا أن سنن الله في الكون واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وسيله في عباده سوي لا عوج فيه ولا انواء .

وبذلك يعيشون في أمان واطمئنان يعمهم دائماً الخير ، وتظلمهم أسمى ألوان السعادة .

### قوة معاوية وحله

مرض معاوية بن أبي سفيان مرضاً شديداً فأرجف مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم . فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه أنه يرجف ، ويسلط أقواما على أن يحذو حذوه ، وذلك ليرى رأيه فيه . فلما دخل مصقلة على معاوية قال له أذن مني . فلما دنا منه أخذ يده فجذبه فسقط مصقلة على الأرض فقال معاوية :

أبقى الحوادث من خلد لك مثل جندلة المراجع  
صليبا إذا غار الرجا ل أبل تمتع الشكائم  
قد وامن الأعداء قب لك فاستعت من المظالم

فقال له مصقلة : يا أمير المؤمنين قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك حلما وكلا ومرعى لأوليانك ، وسما ناقما لأعدائك . كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ، وأنت أمير المؤمنين .

ثم نهض مصقلة ، فوصله معاوية ( أي أعطاه صلة ) وأذن له في الانصراف إلى الكوفة . فقيل له كيف تركت معاوية ؟ فقال زعمتم أنه لما به ، والله لقد غمزني غمرة كاد يحطمني ، وجذبني جذبة كاد يكسر عضوا مني .

# المعاقبة الإسلامية

بين الأغنياء والفقراء

لفضيلة الأستاذ الشيخ المنشاوي عبود الخولي  
المدرس بمعهد القاهرة

اقتضت حكته تعالى ألا يكون الناس أمة واحدة في الغنى والثروة، ففضل بعضهم على بعض في الرزق، وبسط المعطاء لعريق وقدر على آخر؛ وذلك خاضع لسنته الكونية في عباده حيث أوجدكم في الحياة الدنيا ليلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل لهذا الابتلاء ألواناً متعددة وصوراً متنوعة، فقد يكون بما وهب من نعمة أو بما قصى من نقمة، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون، هذا، وإن تفاوت الأشخاص في المعطاء الإلهي بمعلوم أيضاً فيما بينهم مظهراً من مظاهر ذلك الابتلاء، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة، أنصبرون، وكان ربك بصيراً.

فأراد تعالى أن يختبر الغنى بالمال؛ ليعلم هل يمتاز بربه بحسب ويقدره حق قدره؛ فيبذل المال في مرضاته ويسخره في طاعته، ويجعل منه مورداً عذباً للسائل والمحروم؛ أم أنه يأخذ الصلف بماله ويدفعه الحرص الأثيم إلى أن يجعل يده مغلولاً إلى عنقه، ويتردى في هاوية من الضلال البعيد، فيكفر بنعمة ربه ويقول في عتو واستكبار: إنما أوتيته على علم عندي.

وكما اختبر جلّت حكمته الغنى بالمال اختبر الفقير بالحرمان منه، ليعلم الراسخ في إيمانه الصابر على ابتلاء ربه، والواثق بعمونه وإمداده، من هذا المماقق الخلوغ الذي يعيد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به، وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. ولما كانت الصلة بين الغنى والفقير

هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع والدعامة القويمة التي يرتكز عليها بناؤه ، ونشيد صروحه ، عنى الإسلام بتلك الصلة عناية فائقة ، وأحاطها بكل أنواع التدريس والرعاية . وما كان له وهو البلم الشافي لأمراض القلوب ، أن يهمل تلك العلاقة ويحمله سببه لزعزعات الشر وعواصف الفساد ، وتستطيع أن تجزم - من غير إسراف - أن تلك الرابطة لم تظهر في تشريع ما يمثل ما ظفرت به في الإسلام ، وليس ذلك بدعا فهو دين الإنسانية الخالد ، وحرمة الأمن ، وحصنها المسكين الذي يحفظها من المذاهب الهدامة ، ويدفع عنها أعاصير الفتن ومعاول الهدم والدمار . وإنك لو استقصيت الآيات والأحاديث التي وردت في رعاية تلك الصلة ، لحسبت أنها وحدها المقصود من رسالة الإسلام .

حكك أن تذكر أن آيات الزكاة والصدقة تربي على الحسنيين ، وأنتك قلنا نجد سورة ليس فيها ذكر الفقير والمسكين وإثارة العاطفة للحبب هليهما ، وما ل ركن من أركان الإسلام مثل هذه العناية والاهتمام ، وما ذلك كله إلا لأن إغمال تلك الصلة ينجم عنه خطر داهم ، وشر مستطير ، انظر إلى قوله عليه السلام : « واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ؛ حلمهم على أن يفسكروا دماءهم ويستحلوا محارمهم » .

لكن الإسلام قد حل هذه المشكلة حلا فطريا عادلا ، وشرع لها علاجا حاسما اجتث به جذور الشر ، وصرع الفتر في مهده ، وأحكم أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء ، فأصبحوا بنعم الله إخوانا ، يتنافسون في رعاية تلك المعاهدة القدسية ؛ لأن كل واجب والزام يتبعه حق وامتيار ، فقد أوجب على الفقير أن يحترم ملك الغنى ، فلا يدفعه عن ماله ، ولا يحذر من إرادته ولا يتقصه حرية التصرف ، ولا يحول بينه وبين العمل المشروع لزيادة المال وتنمية الثروة .

كل ذلك في نظير أن يستمتع الفقير بركاة مفروضة على الغنى في ماله ؛ هي ركن من أركان الإسلام التي يقوم عليها بناؤه ؛ وبالتاليون في أدائها يصير ذلك البناء عرضة الزوال والانحيار .

ليست الزكاة فرعا ولا نافلة ، وانفسب الواجبة فيها تصف الفقير ، وترفع عنه ولا تحجب بالغنى ؛ لأنها ليست شيئا مذكورا بجانب ما يقذف به الأغنياء في الترف الماخن واللهو الآثيم .

لقد بالغ الإسلام في الوصية بهذه المعامدة ، فحُض على رعايتها بكل عبارة ناجمة وأسلوب أخاذ ، وألُهب جذوة الخناس لتنفيذها والوفاء بحقها ، وحذر عاقبة التفريط في شرط من شروطها ، فقال تعالى ميثاقاً حرمة مال الغير : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » ، وبذلك منع الفقير من الاهتداء على مال الغنى ، وأبلغ من ذلك أن الله تعالى لم يطالبه بالكف عن العدوان فقط ، بل طلب منه أن يحافظ عليه لمحافظة على ماله تماماً : لأن المسلمين كففس واحدة قال البعض مال الكل ، لأن المال عصب الدولة التي يتغيا السكل ظلالها ، ويقتطف ثمراتها ، فكان لازماً على الجميع أن يتكافؤوا لصيانه والمحافظة عليه . ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ، وما يملأ النفس روعة وجلالاً ، أن الوصية لم تقتصر على كف العدوان وتسخير الخواس في المحافظة على مال الغنى ؛ بل طلب أيضاً من الفقير أن يطهر قلبه من حسده والحقد عليه ، ولم يسمح له أن يصغى إلى خاطر الشر وأمنية السوء . ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . .

أى تشريع يرمى المال لصاحبه بمثل هذه الصيانة والإحكام ؟

تلك هى وصية الإسلام لأحد الطرفين ، أما الطرف الآخر فقد سلك معه مسلكاً حكماً ، بمن أوتار القلوب فيجعلها تواق للذل والعطاء مستبشرة بالإحسان والموااة . ونجعل ذلك فيما يأتى .

(١) آذنه أن ماله ملك لله ، وأنه فقط نائب عنه فى الإشراف عليه ؛ فلا يحمل به أن يعصى المسالك فى ملكه . وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . .

(٢) قضى على ما يتردد فى نفسه من أن الإنفاق مذهب للال ، فبين له أن ذلك هو الممراج لكسب رضوان الله ومضاعفة المال ، الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم . .

(٣) سمى الإحسان قرصاً له تعالى يأخذه ليرده بريح وفير . من ذا الذى يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة . وما قيمة امرئ يخل بإقراض بعض المال لواجبه الذى سيرده حتماً أضعافاً مضاعفة ؟

(٤) أعلمه أن بقاء الزكاة في المال من غير إخراج وسيلة لتلفه وزواله؛ يقول عليه السلام : « ما خالطت الصدقة مالا إلا أهلكته » .

(٥) أخبره أن الصدقة تحفظ المال وصاحبه من جميع الآفات؛ قال عليه السلام : « الصدقة تدفع البلاء » .

(٦) حذره من البخل وصور له ما ينجم عنه من المواقب الوخيمة، التي تلعب صاحبها لذة الأمن والطمأنينة، وتجعله غرضا لفتنة جامعة وبلاء شامل يقول عليه السلام : « ويل للأغنياء من الفقراء » .

(٧) جعله مهديا بالفتاء والاستئصال إن هو قبض يده عن الإنفاق في أبواب البر، ما أنتم هؤلاء تدعون لتفقوا في سبيل الله، فنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء، وإن تولوا يأتكُم قتال من لا يكوون أمثالكم، إلى غير ذلك من التعاليم والوصايا.

من هذا يتبين أن النظام الإسلامي يجعل بين الغني والفقير نسيا موصولا، وإعلاء قويمًا وتجاوزا روحيا، يتبادلان المودة والوفاء والانس والصفاء، فيحس الفقير أن ما نقصه من المال قد عوض له بإحسان الغني، ويستمتع الغني بما بقي من ماله مفتبطا بلذة الأمن متبججا بإخلاص الفقير الذي أسره بالإحسان، فصار هائلا بملك المال والرجال.

لم يقتصر الإسلام في رعاية تلك العلة عند هذا الحد : بل جعل للفقير موردا دائما في مال الغني : كما ترى ذلك ماثلا في كفارة الحنث في اليمين، وكفارة العود في الظهار، وكفارة القتل الخطأ، وكفارة الفطر في رمضان، وكفارة المخطورات في الإحرام للحج، وزكاة الفطر ولحوم الضحايا، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحض على الجود في كل مناسبة كريمة، ترفع من شأن الأمة وتنهض بها إلى أوج العزة والكمال.

أيها المسلمون : إن هذه التعاليم القدسية لا توقي أكلها بمجرد بحثها ودراستها، بل لا بد أن تكون جزءا من النسيج العقلي، تغزو القلوب متحركة فيها، والضمائر مهيمنة عليها، فلا يتصرف الشخص إلا بإعانتها، ولا يصدر إلا عن وحيها.

ويجب أن يجتمع الحكام والمحكومون على احترامها وتقديسها . وأخذ النفوس بقانونها ، وتصبح تشريعا عمليا ترهب بسلطانها من لم يمسر قلبه جلالها ، وتحذره نفسه بحياتها .

عندئذ حدث عن هذه الآثار القيمة ما شئت أن تحدث ، فقها تحقيق لفكرة التأمين الاجتماعي التي هي هدف كل حكومة رشيدة ، وفيها قضاء على المذاهب المتطرفة التي تهدد كيان الدول ، وتحاول أن تأتي عليه من الفوائد ، وتجعله هشيا تذروه الرياح . ولعلاج ذلك تلاقى الحكومات من صنوف الغنى ما يجعل أممها في تخفيف الولايات شاق الحصول عزيز المال .

في هذه الآثار الطيبة هزيمة قاهرة لأعداء الإنسانية الثلاثة : الفقر والمرض والجهل . إذ يوفر لدينا المال الذي هو الدعام في قضاء الحاجات وطب الأجسام وثقيف العقول .

وفيها أيضا إقامة لآخرة شاملة جامعة طالما تاق إليها الفلاسفة والمصلحون . والله أسأل أن يوفق قادة الأمة إلى العمل بشرع الله الحكيم ، والاستمساك بهديه الرشيد ونصرة دينه القويم ، ولينصروا الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

## شذرات من كلام الامام

قال علي رضي الله عنه : رأى الشيخ أحب إلى من شهد العلام — الناس أعداء ما جهلوا — بقيه عمر المؤمن لا ثمن لها ، يدرك بها ما آفات ، ويحيي ما أمات — الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال — لا تتخافن إلا ذنبك ، ولا ترجون إلا ربك — وجها آمالك إلى من تحبه قلوبكم — الناس من خوف الذل في الذل — من أيقن بالخلف جاد بالعطية — بقيه السيف أسمى عددا ، وأجرب ولدا .

## الدين والسياسة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم على أبو سعيد

كان العرب قبل الإسلام يعيشون في ظلام الفوضى والاضطراب والفساد ، لا رابطة تربطهم ، ولا نظام يجمعهم ، ولا دين يبر لهم سبل الحياة ، ولا قانون يهذب عدم ما اضطرب من أمر الدنيا ، وما انتثر من نظام الاجتماع ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، ولا يردون الحقوق إلى أربابها ، ولا يعمدون الودائع إلى أصحابها ، وليس فيهم تهديس لدماء الناس وأرواحهم ، ولا احترام لحرمهم وأعراضهم ؛ فالأموال تنهب ، والمحارم تستباح ، والعهود تنقض ، والذمار يخفر ، ويُعتدى على الأمن في وضوح النهار ، دون رهبة لسلطان قانون ، ولا خشية من صولة حاكم .

فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، دعاهم إلى خير الدنيا والآخرة ، وسعادة الحياة والممات ؛ فهدب أوضاعهم ، وعدل نظامهم ، وجمع شتاتهم ، وجعلهم أمة واحدة مترابطة متألّفة ، قوية الدائم ، راسخة البنيان ثابتة الأركان بما سن لهم من الشرائع ، وما أشاع فيهم من الآداب ، وما أوجب عليهم أن ينعموه من القوانين ، ويخضعوا له من الأنظمة .

أصلح الإسلام قلوبهم ، وهذب أخلاقهم ، وصقل آدابهم ، وخلق من هذه الأمة الشامة العصية ، المتأكدة المتنافرة التي تتأبى على الظلم ، وتمرد على قواعد الاجتماع ، أمة كريهة ضيقة مهذبة لا تعرف الجفوة ، ولا تحب الغلظة ، ولا تبغى على أحد ، ولا تظلم مخلوقاً . وكان شعارهم في ذلك قول الله جل شأنه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . كذلك شرع الإسلام للناس ما ينفعهم في حياتهم ،

ويحفظهم من الفساد والفوضى في دنياهم . فلم يدع ناحية إلا أضنى عليها النور ، وبسط عليها النظام ، وجعل السيادة فيها للقانون .

وإن نظرة واحدة إلى ما شرعه القرآن من أنظمة ، وما دعا إليه من آداب كريمة ، وسنن قوية تجعل المرء يؤمن من أعماق قلبه أن الإسلام جعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، تقودهم إلى الخير ، وتوجههم إلى الغايات المأثلى ، وتدلم على السعادة الحقة . كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . .

ولنا الآن بصدد أن نفصل ماسنه الإسلام من شرائع : لإصلاح نظام الحياة ، وتهذيب كل ناحية من نواحيها ، وتأمين الناس حتى لا يبنى بعضهم على بعض ، ولا يأكل أحد مال أحد أو يلج في عرضه أو يكشف ستره ، أو يهتك حرمة ، فذلك أمر يطول الحديث فيه ؛ ولكنني أقتطف زهرة فواحة من بعض النواحي ، وفيها غنية لكل عاقل يلزمه النظر الصحيح والإدراك السليم ، ودلالة أبلغ الدلالة على أن الإسلام دين ودولة ، أدب وسياسة ، عبادة ومعاملة ، نظام يربط العبد بربه ، ويصل الإنسان بأخيه الإنسان صلة كريمة لا يبنى فيها ولا عدوان ، وليس الإسلام كما يصفه بعض المعتنقين ، ضعاف العقول قصار النظر ، راجت عندهم شبه الباطل ، ونفقت لديهم وساوس المضللين من أن الإسلام لا شأن له بالدنيا ، ولا يبنى له أن يدخل في نظام الاجتماع .

لو أتبع هؤلاء حظ من التعقل والإنصاف ، ولو تجردوا ساعة من شهواتهم وأهوائهم ؛ لأدركوا أن الإسلام في أجل صورته ، وأقدس مظاهره ليس له من هدف إلا أن يكون العبد قويا بالإيمان بربه ، عظيم الثقة في خالقه ، وأن يكون مع ذلك في هذه الأمة عضوا من جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداهى له سائر الأعضاء بالسهر والحنى ؛ فلينظر هؤلاء إلى ماسنه القرآن من أحكام تصلح كل مظهر من مظاهر الحياة .

في المعاملات التي تقوم بين الناس ، يشرع لنا رب العالمين أحكم القوانين وأبدع العظم التي تجنبنا الفوضى ، وتقينا شر الفساد . يأبى الذين آمنوا إذا تداينتم

يدين إلى أجل مسمى فاكثبوه ، وفي الزواج يقول تعالى : « فانكحروا ما طاب  
لكم من النساء متى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ويضع لنا  
دستورا فيمن حرم علينا من النساء فيقول : « حرمت عليكم أمهاتكم ، الآيات ،  
وفي المواريث يقول : ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، الآيات .

ويدعو إلى المحافظة على الأموال فيقول جل شأنه : « ولا تأكلوا أموالكم  
بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم  
تعلمون ، ويحرص أشد الحرص على صيانة الدماء فيقول : « ولا تقتلوا النفس  
التي حرم الله إلا بالحق ، . ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ،  
وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً .

ويضع القصاص فيقول : « كتب عليكم القصاص في القتلى ، ويشرع الحدود  
فيقول : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما  
رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة  
من المؤمنين .

ويدعو إلى الوفاء بالعقود واحترام العهود حتى مع المعاهدين ومن دخلوا  
في ذمة المسلمين ، إلا الدين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا  
عليكم أحداً ، فأنموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ، . وإن أحد من  
المشركين استجاركم فأنجزوه ، حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم  
قوم لا يعلمون .

وهكذا في كل ناحية : تشريع حكم ، ونظام دقيق ، وحكم هادئ رقيق ،  
لا هدف فيه ولا قسوة ولا ظلم ولا إجحاف ، ولا يشعر أحد بما يشق عليه  
أو يضر ما دام يؤدي واجبه ويقوم بقبضاته .

فهل بعد هذا نظام يحفظ كيان المجتمع من التهدم ، ويصونه من الانحلال  
والشذوحر ؟ وهل بعد هذا القانون المذهب الصحيح قانون يمكن أن يؤخذ به  
الناس ، وتسير عليه الجماعات ويصلح به شأن الدنيا ؟ .

هل بعد هذا النظام الدقيق الشامل الذى أصلح ظاهراً الناس وباطنهم وعلايتهم وسرهم ، يطمع طامع أن يوجد قانون آخر يهذب الجماعة ، ويملئ شئها ويجمع شئها ؟ .

لقد خلق الإسلام من العرب دولة قوية شائعة ، وأمة فتية ناهضة ، نشرت العدل والنظام ، ورفعت لواء الحق والأمن ، وحملت نبراس الفضائل ، قطعت الأم سلطانها ودانت لمعلمتها ، ودخل الناس في نظامها طائعين مختارين . وفي ذلك عبرة لمن تحذوهم نفوسهم أن الإسلام دين ليس له شأن بالدولة ، وعبادة لا تتصل بالسياسة . ادعاء مريض ، وتفكير مقيم ونظر قليل ، لا يعرف الحقائق الدامعة ، ولا يصبر ما تحفل به صحائف التاريخ من مجد أثيل وجاء عريض .

لقد كان الإسلام ديناً ودولة ، يقدس الناس قوانينه ، ويحترمون نظامه ؛ ويرهبون القائم عليه ، ويأخذون أنفسهم بطاعته ولو كان عبداً حبشياً ؛ فآمن في ظله الخائف ، وشيع الجائع ، واكتفى العارى ، وأنصف المظلوم ، وجبر المبهض ؛ فامتدت رقعة إلى أبعد الآفاق والحدود ، لأن الناس لم يكونوا يعرفون هذه الكلمات الجوفاء ، التي يرددها البعض دون أن يدركوا مدى ما تبثه من فرقة ، ولا ما تحدثه من انقسام ، وما نجره من ضعف خلقى وتحاذل اجتماعى .

الإسلام نظام للدين والدنيا ، وشريعة تهذب أمور الناس في حياتهم ، وتهدىهم إلى الفوز والنجاة في آخرتهم .

وما الدين إلا نظام للحياة إذا سار الانام على مواله سعدوا

ولقد تهدد المولى جل شأنه من يحيد عن سنته ويأبى عن شريعته بالعذاب الأليم ، والشر الدائم المقيم . تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

فهل بعد هذه الآيات البينات ، وتلك الحجج الواضحات الدامغات ، يقول ضال أو يتشدد مفتون ، ما للإسلام والدولة ؟ وماله وسياسة الأمة ؟ فليشعر الناس قلوبهم ، وليذروا نفوسهم آداب الإسلام وسماحته ، وسكون لم حينذاك المكانة التي لا تدانيها مكانة ، والمزلة التي لا تسمى إليها منزلة .

# من طبائع الشعر الجاهلي

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حامد عوف  
المدرس بكلية اللغة العربية

إن وعوثة الصحراء ، وخشونة العيش ، وحرية الفكر ، وطبيعة الجو ، وسذاجة البدو - كل أولئك طبع الشعر الجاهلي بطابع خاص ، ومازده بسمة ظاهرة .  
لهذا كانت له مزايا لم توجد في سواء ، وقد يكون أبرز هذه المزايا ، وأولها بالحديث ، الصدق في تصوير العاطفة ، وتمثيل الطبيعة ؛ فقلبا تجدد فيه كلنا بالخرف أو تكلفا في الأداء ، ولذلك كثر فيه الإيجاز وقل المجاز وندرت المبالغة ، فلا يقولون من الكلام إلا ما يخطر لهم ، ولا يصورونه إلا كما يتمثل تخيلاتهم ، والقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير بن أبي سلمى وهو قوله :

وإن أشعر بيت أنت قاله بيت يقال إذا أنشدته صدقا  
فإذا تم أحدم الحب مثلا وأراد التعبير عن شوقه وهيامه ، وصف ما يشعر به كما هو ، فلا يغالى مثلا في وصفه بالضعف ، فبزم أنه استحبال إلى خيال أو طيف كما يفعل المتنبي إذ يقول :

كنى بحسى نحو لا أنى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترق  
أو بزم أن الشوق أضناه وأفناه ، حتى لم يبق فيه غير خواطر تجول ؛ كما يقول الجوهري :

فلم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا  
أو يبلغ في بكائه وزفيره ، فيدعى أنه غرق في بحر دمه ، أو احترق بنار زفيره ، وإنما يقول كما قال ابن الدمينة :

فديتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشياعي إليك قليل  
وكنيت إذا ما جئت جئت بعملة فأفنيك علاقي فإذا أقول ؟  
لما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك وصول  
فلا يسمع محب هذه الآيات وأمثالها إلا رأى الشاعر يعبر عن شعور  
صادق ، وإذا رثى أحدم ميتا لا يوم السامع أن السماء طبقت على الأرض ،  
وأن الشمس كسفت ، والدنيا لبست الحداد ، وإنما يقول كما قالت الخنساء ترى  
أخاها صغرا .

ألا يا صغرى إن أبكيت عيني فقد أضحككتي دمرا طويلا  
يكنيتك في نساء معولات وكنيت أحق من أيدى العويلا  
دفعت بك الجليل وأنت حى فمن ذا يدفع الخطب الجليلا ؟  
إذا قبج البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجيلا  
وإذا أراد أن يهجر توخى الحقيقة ولم يمد الواقع في الهجاء كما يقول يزيد  
ابن قنافة يهجر حاتما :

لعمري وما عمري على بهين لبس الفتى المدعو بالليل حاتم  
غداة أتى كالثور أخرج فاتق يجهته أفتاله وهو قائم  
كان بصحراء المرابط نعاما تبادرها جنح الظلام نعام  
أعارتك رجلها وهانق لها وقد جردت بيض المتون صوارم

وهذا على غير ما صار إليه الشعر يمدُّ من البذاء والفحش ، وحسبك  
مقذعات أبي نواس وبشار بن برد ومن على شاكلتهما دليلا على التوقع فيه  
إلى حد الإفراط .

على أن أشد الهجاء عندهم ما كان أعفه وأصدق ، ومن لطيف تجافهم  
عن الهجاء ما قاله صغرى بن عمرو المسلمي يرى أخاه معاوية وقد قيل له : امج  
فقلته ، فتعفف وقال :

وقالوا ألا نهجو فوارس هاشم ومالي وإهداء الحنا ثم ماليا  
أبي الهجو أنى قد أصابوا كريمي وأن ليس إهداء الحنا من شماليا

قد عبر عن الهجو بإهداء الحنا ، وهو تعبير جميل يدل على مدى تخرجهم  
عن الهجاء .

فإذا اضطر العربي إلى ذكر ما يمدد ذكره بذاء وقبحا ، فعل ذلك لانهكا ،  
بل وصفا للحقيقة ، وبياننا للواقع ولا يمد ومما .

قيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط  
بالمق ، قصار مثلا .

كذلك إذا تحمس أحدهم أو تفاخر فلا يحمل نفسه أو قومه في عداد الآلهة ،  
وإذا مدح فلا يغلو في مدحه غلو الفائل :

وأخضت أهل الشرك حتى إنه لنخسأفك انتطف التي لم تحلق  
وإذا وصف حادثة ، أو وصف حيوانا أو امرأة ، تحرى على الجملة تصوير  
الطبيعة كما هي ، ومثلها بلا مغالاة في المجاز أو السكناية كما يفعل المتأخرون .

وهكذا فتشاهروا مندفع في كل ذلك بدافع الطبيعة ، لا يفكر في غير ملوس  
بين يديه ، ومنظور أمام عينيه ، وعاطفة بين جنبيه ، وشعيرة تختلج في صدره ،  
وصورة مطبوعة في مخيلته منعكة عن طرق معيشته وفطرته ؛ ولا يتطلع إلى  
ما وراءها ، ولا يتخطى إلى غير مشهوده ومعقوله ؛ لذلك جاء الشعر العربي مثالا  
صادقا لبدائونهم وحضارتهم .

ذلك أن العرب في جاهليتهم فطروا على السذاجة ، والبعد عن العمل  
والتمنع في كل شيء حتى في مواطنهم ، فكانوا لا يتوطنون صقعا خاصا يأوون  
إليه ؛ بل كانوا يجمعون منازلهم على متوهم ؛ لا يحملون ضياعا ، ولا يقيمون على  
خسف ؛ قال شاعرهم :

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعان

فتمكنت الحرية من طباعهم ، وكانت الشجاعة الادبية من أعين صفاتهم ، وأوضح سماتهم حتى ظهرت في أقوالهم وأفكارهم وأشعارهم .

بذلك على ذلك ما ظهر من حريتهم في أقوالهم منذ صدر الإسلام ، يوم كان أحدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس ، وإذا رأى فيه اعوجاجا أو انحرافا انتقده في وجهه ، والخليفة يومئذ لا يشكر عليه انتقاده ، ولا يرى فيه غرابة . وما إلى تعلم مبلغ تمكن تلك الحرية والجرأة من طباعهم .

تزوج صحابي بابة خالة له في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمرها عشرة آلاف درهم ، فتما علم ذلك إلى عمر ، فقام وخطب الناس يوم الجمعة فقال رضى الله عنه :

أيها الناس ليس فيكم من هو أكرم على الله من ابن عم الرسول ، وإيست فيكم من هي أكرم على الله من زوجة البتول ، حتى يدفع أحدهم عشرة آلاف درهم مهرأ ، وهو يعلم أن فراش البتول إهاب كبش ، ووسادتها حشوليف . فقاطعته بجوز في الجماعة بحمية وجرأة قائلة . تبالك يا عمر ! وكررتها ثلاثا بكل ماتلك من قوة صوت . فارتعدت فرائص عمر ، ثم قالت : أين أنت يا حامي لواء الإسلام من قوله تعالى : « وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » الآية فتقاطرت هيناه بالدموع حتى بليت موقفه على المنبر ، وأجاب من فوره : أصابت امرأة وأخطأ عمر — ردها ثلاثا . ثم قال تقدمتك الناس عليا ورشدا حتى العجاثر ! ثم نزل منكس الرأس .

فانظر إلى أي حد وصلت هذه الجرأة ، حتى على من كان تعدو له الأقبال والأكامرة ، ولكن هكذا أبت الطبيعة العربية إلا أن تظهر في ثوبها الحقيق .

فليس يدع أن يكون الشر الجاهل أفضل أنواع الشر القديم لأنه — على سذاجته — يمثل لنا طبيعة الإنسان وعواطفه كما مر ، ويبهج فينا عاطفة الشتم والرغبة في فضائل الرجولة ، وأنه لا ينبغي أن تقف في سبيلها رغبة أو رهبة ، كما ينبغي أن يتطامن سلطان الحكم لنصيحة الحق حيثما كان .

# ألوانٌ أهملتُ ..!

لفضيلة الأستاذ كامل محمد مجلان

المدرس بالازهر

كانت التعابير المأثورة من مقول القبيلة أو ثارها، ثم من الخليفة أو قائده، تحمل خصائص الإيجاز المشافه والافتتاح الخطابي المؤثر، مما يدخل إلى الأسماع مريما ويتدفق على اللسان في المحررات السياسية والاشتبكات المتشاجنة في الرأي، وكأنها المثل أو الحكمة، أو السائر من بيت في قصيدة، أو عين في مقطوعة.

فلما استقرت حضارة الامبراطوريات الإسلامية، وجعلت القرائح حقلها الصحف ترسل في مجاريها الرسالة الإخوانية أو الرسالة السياسية أو الفكرة الاجتماعية أو ولاية همد أو منشور سياسة في التأييد أو الانارة، وجد فن التوق اليباسي والإبداع الإنشائي عند كتاب المقامة كالبديع والحريرى.

وتمكن القلم الذى يتقد المجتمع، ويحلل النفوس ويبسط مرايا المحاسن والمساوى وارتقى هذا اللون على يد الجاحظ، الصاع.

وبدأت المكتبة العربية تذر من مخلفات عباقرة الإسلام آثارا قليلة لا تزال ولا تزال في دثارها، تكشف عن ملاح خالدة تربط فيما عالجه بين الماضى والحاضر، وتصدق إن نحن تلمسنا صداقها في حياتنا الحاضرة، لأن النفس الانسانية في كل عصر لا تختلف في الخصائص الاصلية، واختلافها في مقتضيات البيئة وتطور الزمان، وكل ذلك عارض تطره متبدلات الحضارات، وأما الأعماق من حب وبغض، ومن سمو وضعه، ومن مهاوى الغرائز ومثالب، فكل أولئك تجسد فيه ملتقيات تشكل في زى المعاصرة، والمعادن عند ما تصهر تحلف بقايا

تَكَادُ تَتَّحِدُ ، وَهَذَا يَسْتَعِيدُ الْمُفْتَنُ قُوَاتِ الْمَاضِي وَيُظْفَرُ مِنْهُ بِمَا يَبْنِي عَلَيْهِ الْمُسْتَقْبَلُ ، وَهَذَا مَكَانُ التَّأْسَى وَحَدِّ التَّعَلُّقِ بِالْمَاضِي ، وَمِرَادُ الْقَلَمِ الْمُتَبَصِّرِ الْمُنْصَرِفِ الَّذِي لَا يَنْسِكِرُ قَدَمُهُ وَلَا يَجْنُ مَجْدِيده .

ومن بدع القصد أي تحلية المشور من فن القلم بفرائد من الشعر تنساق في مسارب الفكرة، وتمضي بين الرسالة أو الخطبة أو المفاضة أو المقالة في التمامة الإشراف، وانطلاق الانبعاث، مُحَلِّية، مُحَلِّية، وممكنة في نتاج العبقرين كالجناح والبدیع والصافي، مزينة كالخال على خد الحستان في أقلام المصنفين كالفاضل الفاضل ومن لف لفة من كتاب مدرسته .

ويبدو لي أن كتاب الأندلس في حاجة إلى التفرد بإشادة ، لأنهم بالفوا في اللجوء إلى الشعر والإكثار من حصائده المتنقلة المتخيرة ، لأن كتاب الأندلس كانوا من الرقة ومن الشاعرية على حظ موفور ، بل ربما كان الكاتب في هزات قلبه يتمتع من مسایل الشاعرية ، ويرسل الانفاظ في تخايل الأنواب الشاعرة المقدودة من اللحمة العاطفية . وفي رسالتي ابن زيدون ما يقنع الشاك ورضي المتصدي للاستدلال .

ومساعد الاندلسيين على هذا السج : جمال الطبيعة في بلادهم ، ومفان الجمال الصامت والناطق في فردوسهم الضائع وجنتهم الدانية القطرف .

وفي عصرنا الحديث عرف الأدب العربي أقلّ ما منها المغفور لهم ، محمد السباعي ، و ، حافظ ابرهيم ، في الشعر ، والمويلحي في حديث (عيسى بن هشام) . ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد ، وإنّا الذي بهما هو انصراف الأقلام عن تلك الشفّة وهذه السنة .

وأستطيع أن أعزو ذلك لقلة التحصيل عند حملة الأقلام، أو تطور الدوافع والدواعي عند من يكتبون.

وربما قال المعتذر إن انسلاك الشعر في مشور القول كان للتطور في أسلوب  
الكاتبين، وإنا أضحينا في زمن يخضع الأدب فيه إلى مطالب الآلة، وأكثر  
الكتاب يعيشون على حقول الصحافة، والصحافة لا تريد غير الأسلوب

التقريرى والبيان ، الخبرى ، . وتلك هى الطامة التى سجنى على فتية الأسلوب ، وإن روجت له وكثرت منه وأشاعته وقربت من عوام القراء ، وأشباه المثقفين .

والمهم عندى أننا فقدنا لونا من الأساليب التى جمعت دقة الفكرة وجمال التعبير وشاعرية الأداء ، وكتمت فى طواياها بدائع من الشعر وطرائف من النظم مقبوسة من الحكمة أو مقطوعة من الرأى أو مقطوعة من الغزل .

وظنى أننا سنعود فى عهد قريب ، بعد أن نجد الجفاف يسيطر على ما يخلفه القلم البائر بسبب مجاعة التشبيه المطرب ، والكناية المخدرة ، والاستعارة اللامحة ، ومعاداة التخلية بيت من الشعر أو بمقطوعة من النظم :

فعم سنعود الى بدائع الجبال النعيرية ، والافتان فى إخراج العسكرة وتظليل أثوابها ، بعد أن عرفناها غرجت وجمالها يقضى عليه ما يعد كالجدرى ، فى وجه الحسناء ، أو كالصدأ حف بالمعدن النعيس .

ونصيحى إلى الشادين فى الأدب : أن يكفوا على زاد الأدب العربى من مشور ، ومنظوم ، وأن يرعوا حقه يوم تقدم ثقافتهم من موائد الغرب ، فإذا استطاعوا أن يحفظوا حق ماضهم إذا أضاعوا من الجديد الغربى ، كان لهم مقام صدق ، وكان لهم القدر الملقى ، واستطاعت صناعتهم أو استطاع أثرهم أن يباهى ويتقدم بخطاه الى سدة الخلود ، فإن ارتد عن هذه السدة فلا أقل من أن يجد مدرجه فى الحياة الشرقية التى تهرما تجلل بالشعار الشرق وتسربل بالدثار العربى .

## حماسة

نسبت إلى على بن أبى طالب عليه السلام هذه الايات :

لمن راية سوداء يحقق ظلها	إذا قيل قدمها حصين تقدمها
فيوردها فى الصف حتى تردها	حياض المنايا تقطر الموت والدماء
جزى الله قوما قاتلوا فى لقاءهم	لدى الروح قوما ما أهن وأكرم
وأطيب أخبار وأفضل شيمة	إذا كان أصوات الرجال تعمها

قلت : نسب هذا إلى الإمام وفيه تشكيك ؛ لأنه كان كثيرا ما يفتى إليه ما لم يقله بسبب إكبار الناس لأقواله .

# انحمال الشغرى

للشيخ أحمد محمد صقر

الطالب بكاية اللغة العربية

يمتاز الشعر من الفنون الأخرى بم حاجته إلى الخيال ، ويفرد عن أنواع الأدب بأن الخيال لازم له دونها جيماً . . فالكاتب يستطيع أن يجد طريقه إلى النفوس بوسيلة غير الخيال ، والقاص يستطيع أن يفسج من الواقع ثوباً جذاباً لقصته ؛ بل ربما كان القصص الواقعي أقرب إلى النفوس، مما عداه .

ولكن الشعر لا يروج إلا حيث يكون الخيال موفوراً ، ولا يلذ للناس إلا إذا طاف بهم على صور تنزعها الخيلة من شيء غامض ، يدق مأخذه ، ويمد لأول نظرة اقتراحاته بالحس . وإذا كنا نسمعهم يصفون الشعر ، بأن أعذبه أكذبه ، فما ذاك إلا لأن الخيال عمدته ، وما أوقى الشاعر حظاً كبيراً من التحيل ، فإيه بالغ ما أراد من التأثير ؛ فإذا فقد هذا العنصر ، برد الشعر ومال إلى الغثاء ، بل أصبح بالنظم أشبه 1 وروعة الخيال تأتي الشعر من طرفيه ، فإما أن يبلغ الذروة في الرقي فيبرز النفس ويتغلغل فيها ، وإما أن يبلغ الغاية في الهزل فيبرزها أيضاً ؛ فإن وقع وسطاً بين الغائتين ، خرج عن الشعرية وانضاف إلى الاعتدال ، فلم يرقص الجوامح ولم يبعث الوجدان . ذلك أن الشعر لا يخاطب العقل ، وإنما يخاطب الشعور ، ولا يجرى مع المنطق ، بل يجرى مع العاطفة ، ولا يسير القواعد والأصول ، بل ينطلق إلى ما وراء القواعد والأصول ؛ فلا يخضع للقيود لأن الأحاسيس لا قيود لها ؛ فليس من الشعر في شيء تلك الحكم والمراعات والفلسفة والطريات ، وقد أحسن نقاد الشعر حينما نفوا عن المتنبي والمحرى وأمثالهما أن يسموا شعراء ، ورأوا أحقية البحري بهذه التسمية . ويميد

ما بين إنسان يتوسخى المنطق ويخلق في أجواء أرسطو وأفلاطون؛ وبين آخر يسبح في تأثير الروح ويطوف بالهوس والعواطف يستلهمها، وإيس هذا إغماضاً لشأن العلوم فليست العاية مقارنة بين شعر وعلم ، فكل ههنا أن نتحدث عن الخيال وقيمه في الشعر . . وسواء أكان هذا الخيال مخترعاً أم محكماً مفترعاً . . فقد يسبق الشاعر بالابتكار ، ولكن المتأخر يولد ويزيد ويقلب ويترعرع ، وبلع على المعنى ، حتى يضيف إليه شيئاً جديداً ، فبعد ذلك له فضلاً لا يقل عن فضل المبتكر .

وقد ابتلى المتأخرون من الشعراء بتأخر زمانهم وجحد القدماء بتقديم عهدهم؛ فافتظفوا أزهار المعاني وتركوا أشواكها للتأخرين ، ونهلوا من مناهلها وهي صفو لم تسكن مطروقة ولا مرتقة ، لجاء من بعدهم يقلبونها حياء فيظهر فيهم أثر التقليد ، وتعلوم علامات الاقطاع والبحر . ويجددون أحياناً أخرى فيأتون بالمعجائب الذي تنقطع أعناق القدماء دونه ، فيتخذ المتعصبون من النقدة جديدهم دليلاً على الإفلاس ، وتقليدهم دليلاً على عظمة القدماء ، ثم يصير الأمر إلى عرض قضية الخيال الشعرى على محكة الهوى ؛ فيحكمون على الخيال حكماً يفيض تمجيداً وظلماً ، فيقولون : « إن العقل البشرى سائر نحو الارتقاء إلا من حيث الخيال الشعرى فإنه لا يزال في مكانه ، هذا هو مبدوس لا يزال نابعة الشعراء وقدمر عليه نحو ثلاثة آلاف من السنين ، والناس يتقدمون في كل شيء : وامرؤ القيس والباغة الذايق وزهير بن أبي سلى ، وغيرهم من الجاهليين لا يزالون من نوايغ الشعراء إلى الآن . » ونحن نكرر أن يكون الخيال الشعرى صورة للعقل البشرى ، إذ أن العقل شيء والخيال شيء آخر ؛ فإن الخيال إذا خضع للعقل ضائق ولحقه المسخ والتشويه ، فهو تابع للإحساس معتمد على القلب والعواطف والوجدان ؛ ونشكر كذلك أن يكون الخيال الشعرى واقفاً حيث تركه امرؤ القيس وأهل عصره ؛ ولكهم يحكمون على الخيال للشعرى بالارتكاس بناء على شيئين :

أولهما : اعتراف المتأخرين بفضل السابقين ، وتقليدهم إياهم مع ظهور عجزهم في هذا التقليد وتلك المحاكاة ، واعتبار القدماء فوق مراتب الطعن والتجريح .

ثانيهما : أن الزمن كلما تأخر بالناس ضاقت خيالاتهم ، وانجهوا إلى المادية وغلبت عليهم تلك النزعة .

ودفع هذين الدليلين ليس من الصعوبة بمكان ، وما علينا إلا أن نتخذ الشعر العربي مجالاً للتطبيق والبحث ، فإنه لا يضير المتأخرين تهديسهم للجاهليين ؛ لأنهم إنما يحترمون السليقة ويعظمون الفطرة ، ويعترفون للملكة بالفضل ؛ فهذا الاعتراف على ؛ لأننا ما زلنا إلى اليوم نعتبر القدماء مثابة للفصاحة ، ونحتج بمأثوراتهم لصحة الكلام واستنباط القواعد . وجاء الأمويون فرفعوا من قدر الجاهليين ، وأشعلوا نار العصية العربية ، وأحيوا عادات الجاهلية ، وحرّصوا على رواية أخبارها ، فانساق شعراء عصرهم وراء هذا التيار . فلما جاء العباسيون وحدثت تلك الثورة الأدبية الكبرى ، على أثر ذلك الانقلاب الاجتماعي بالانتقال من البداوة إلى الحضارة ، جدد الشعراء وطافوا بأخيلتهم حول كل بعيد المنال ؛ فحققوا للشعر ما لم يحلم به ، وجعلوه مادة أساسية في الحياة اليومية ، وارتقى خيالهم الشعري ارتقاء يحسّه كل مصنف ، ويعترف به كل باحث مدقق .

وما ظنك بالإنسانية حين ترتقي في كل مرافقها ، ويطلع الناس على صور لم يشهدوها من قبل ، وتفتح أعينهم على مشاهد تفجر بمحور الشعر في الضلوع ، وتشق الأكام عن زهر المعاني ، وتبعث الخيال غصنا نظيرا .. ؟ أمر الشاعر يخلق البيته أم البيته هي التي تخلقه ؟ إن البيته كانت في العصر العباسي حلاقة تبعث الهزبل فنياً .. وتجبر الخيال الشعري على الارتقاء عما كان عليه قبل ذلك . لما بضاعة الجاهل التي يستمدّها خياله . ؟ إنها الناقة والكلب .. والزمان والجهال والسماء ، بعثته على الخيال والتصوير ؛ أيكون من الإصناف في شيء أن نحكم بضيق الخيال بعد ذلك ؛ لأن البيته اتسعت ودواعي التصور ازدادت ؟ ثم هذا التلاقي بين العرب والأجانب والخلاط بين البدو والحضر ، الذي من شأنه تنمية الحس وتلطيف الذوق ، وحسب المعاني .. أيكون كذلك سمعت جمود ، وسيل موت ؟ في الحق إن الخيال ارتقى والشعر تلوّن بألوان الحياة ، فلا سبيل إلى الإنكار ، أما صيرورة الناس إلى المادية ، وتلك تضعف الخيال وتهبط به

من ممانه إلى حضيضها ، ففى كان الناس كلهم ماديين ؟ ومتى كان الشعراء يذهبون هذا المذهب فشعرهم ليس شعرا وإنما هو شيء آخر ؛ لأن الروحية مدد للخيال الشعرى ، وإذا بردت برد الشعر وتضاءلت قيمته الشعرية الفنية ، ولم يكن كل الناس على شاكلة واحدة فى يوم من الأيام .

فلا تزال للشعر حصونه المنيمة من نفوس الشعراء ، يرتفع فيها عن وهدة المادية ، ويستعلى بها على طبيعة الجمود ، ولا يقف عند الحدود والسدود ؛ وعصرنا الحاضر عصر آلى حضا ، ولكنه مع ذلك ملء بالانجماوات الشعرية ، والخيالات البديعة ؛ إذ الفرد الواحد يستطيع أن يكون أمة كاملة ، لامتزاج العالم بامتزاج الثقافات وتلاقح الأفكار ، وفى ذلك كله للخيال الشعرى مدد يزيده ارتفاعا ، ويعوضه من استهلاك المعاني جدة ونضارة . وإذا كان الشعراء فى هذه الحقبة لا يؤمنون بالأساطير التى آمن بها هوميروس ، ولا يعجبون بالخرافات التى أعجب بها الجاهليون ، فإن ذلك لا يضيرهم ولا يحد من خيالهم ، ولا يزالون يرتفعون بهذا الخيال ، فالشاعر الحق يسبق الزمن بتصوره ، ويرتفع عن معشره بوجدانه .

## الرجال قليلون

قال ابراهيم بن السندى : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها : كان لا يحب لبده ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء ، فقلت له : أجبرتني عن الحالة التى خفت عليك النصب ، وهونت عليك الثعب فى القيام بحوائج الناس ما هى ؟ قال : والله سمعت تغريد الطير بالاسحار فى فروع الأشجار ، وسمعت خفق أوتار العبدان ، وترجيع أصوات القيان ، فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن ، بلسان حسن ، على رجل قد أحسن ، ومن شكر حر لمنعم حر ، ومن شفاعة محتصب لطلال شاكرا .

قال ابراهيم : فقلت له قد أبوك فقد حشيت كرما .

# فَقَصُّ الشَّيْخِ

طرف من حياته الداخلية

لحضرة الأستاذ الشيخ حسن خطاب الوكيل

من أشهر الحوادث في تاريخ العباسيين مقتل الوزير جعفر البرمكي . فلقد كان أثراً عند هرون الرشيد ، محبباً إليه ومقرباً منه ، وقد اتخذه وزيراً بعد أبيه ، وأطلق يده في كبريات الأمور وصغرياتها ، ثم فوجيء الناس بخبر مقتله ، فدهشوا ولم يقفوا من ذلك الأمر على سبب .

ولكن المقربين من الخليفة كانوا يلاحظون منه أحياناً ما ينههم إلى برمه به ، واستقاله له كأنه وقف منه على دخيلة سوء . من ذلك ما تدل عليه القصة التالية :

بينما الرشيد في مجلسه ، إذ دخل عليه أحد قواده . فقال له الخليفة : ما وراءك ؟ فأجاب القائد : لقد ظفرتنا اليلة يحيى بن عبد الله ! فالتفت الرشيد إلى جعفر البرمكي وقال له : خذ هذا عندك ، واحتفظ به في محبس ، ثم سله من طلبه للخلافة ، وحفره مغبة الخروج علينا ، وتول ذلك بنفسك .

فقام جعفر بما عهد له إليه أمير المؤمنين ، وسأله عما نسب إليه . فقال له يحيى : اتق الله يا جعفر في أمري ، ولا تعرض أن يكون خصمك غداً محمد صلى الله عليه وسلم ، فوافقه ما أحدثت حديثاً ، ولا آويت محدثاً ! فصدقه جعفر وقال له : اذهب حيث شئت من بلاد الله ، فقد صدقتك . فأجابته يحيى : وكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ بعد قليل فأرد إليك أو لغيرك ؟ فقال له جعفر : إني مرسل معك من يملكك مأمرك . فاطمأن يحيى ومضى حيث غاب عن أعين الرقباء ...

واقضى وقت من الزمان ، وإذا بأحد الجواسيس يسأذن على الرشيد . فلم يأذن له لأنه مشغول عنه ، فأرسل الجاسوس رقعة فيها : يا أمير المؤمنين نصيحة فادع بي إليك ، فأرسل إليه الرشيد بهرثة أحد قواده ليسأله عن نصيحته ، فأبى الجاسوس أن يبرح له شيء ، وقال له : إن الذي عندى لسر من أمرار الخليفة . فقال الرشيد : لا يبرح الرجل حتى أفرغ له . ثم قال بعد قليل : إلى بالرجل . فلما مثل بين يديه رأى بعض أبناء الخليفة ، وبعض حراسه ، فقال أخفى يا أمير المؤمنين على أن تؤمنى . فقال الرشيد انصرفوا يا فتيان ، وإني مبلعك مأسك ، وعحسن إليك . فتقدم الجاسوس وقال : كنت بحلوان في خان من خاناتها فإذا أنا بيحيى بن عبد الله ابن حسن في دراعة من صوف غليظة وكساء صوف أخضر غليظ ، ومعه جماعة ينزلون إذا زل ويرحلون إذا رحل ، يوممون من رآهم أنهم لا يعرفون يحيى ، وهم من أعوانه ، ومع كل واحد منهم منشور يأمن به إن تعرض له أحد .

فأراد الرشيد أن يتعرف حقيقة الأمر ، فسأله : أو تعرف يحيى بن عبد الله ؟ فأجاب الجاسوس : أعرفه قديماً ؛ وذلك الذى حقق معرفتى به بالأمس . فقال له الرشيد : صفه لى . فأجاب : إنه مربوع أسمر رفيع السمة حسن العينين عظيم البطن . فقال الرشيد : صدقت هو ذاك فما سمعته يقول ؟ فأجاب الجاسوس : ما سمعته يقول شيئاً غير أنى رأيته يصلى ، ورأيت غلاماً من غلمانه أعرفه قديماً جالساً على باب الحان ، فلما مرع من صلاته أتى بثوب غسيل فألقاه في عتقه ، ووزع عنه جبة الصوف . فلما كان بعد الزوال صلى صلاة ظننها العصر وأنا أرقمه ، أطال في الأولين ، وخفف في الأخيرتين ، فأعجب الرشيد بوصف الرجل وقال له : فه أبوك نعم تلك صلاة العصر وذاك وقتها عند القوم ، أحسن الله جزاءك ، وشكر سميك ! فن أنت ؟ فأجاب الجاسوس : أنا رجل من أصحاب أبناء هذه الدولة ، وأصل من مرو ، ومولدى بمدينة السلام .

فسأله الرشيد : كيف احتمالك لمكروه تمتحن به في طاعنى ؟ فأجاب : أبلغ من ذلك حيث أحب أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : كن بمكانك حتى أرجع إليك ، ثم عاد ويده كيس قد ملئ بالدينانير ، وأعطاه له وقال له : دضى وما أدبر قبلك . ثم فكر ملياً ونادى باغلام ، فدخل اثنان من حراسه ، فقال لهما : اصفعا ابن اللعناء

وأخرجاه إلى من بالدار وعمامته في عنقه ، وقولا : هذا جزاء من يسمى بيطانة أمير المؤمنين .

ولما كان ما حدث هو من الأهمية بمكان ، وفيه سلامة الدولة ، أراد الرشيد أن يخطر خطوة خطيرة ويتثبت من حقيقة ما وصل إليه بنفسه ، فدعا وزيره جعفر لينتدى معه ، وليستدرجه في الأمر . فلما أحضر فإذا به يحمل معه البريد والرقيمات . فسأله الرشيد : ماذا قلت بصدد مذنب عفونا عنه . فأجابه جعفر قلت يا مولاي العدل أوقعه ، والمغفر أطلقه .

ثم قال له : وماذا قلت للوالي الذي شكاه الناس كثيرا ؟ . فأجاب جعفر كتبت إليه : قد كثرت شاكوك ، وقل شاكروك ، فلما تهدلت ، وإما عجزت . فسأله الرشيد : وماذا قلت لأصحاب الشكوى منه ؟ هلا ذكرت لهم عين الخليفة تكلؤكم ، ونظره يعمكم .

هذا وما زال الرشيد يستدرجه تارة بمدح بعض أصناف الطعام ، وتارة بظرف الحديث ، إلى أن فاجأه مفاجأة خطيرة بقوله ، ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ . فأجاب جعفر : هو بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والآكبال . فاسترسل الرشيد في سؤاله بأن قال له بحياقي ! فارتبك جعفر ، وعرف أن الرشيد قد علم بأنه أطلق سراح يحيى . فأجاب قائلا : لا وحياتك يا سيدي ، ولكنني علمت أن لا مكروه من إطلاقه فأطلقته . فقال له الرشيد مغالطا : إنك ما عدوت ما كان في نفسي . ولما هم جعفر بالانصراف أتبعه الرشيد نظره حتى كاد يتوارى عن بصره ، وقال متمتا : قتلني الله إن لم أقتلك ! . أما الوزير جعفر فتوجس خيفة من الرشيد : فأراد أن يتعرف ذلك بغيره لا بنفسه فقال لصديق له يدعى زيد بن علي : يا زيد إنني استرعت بأمر هذا الرجل ، وإنني أردت أن أعتبر ذلك بغيري ، فكنت أنت فارمق ذلك من يومك هذا ، وأعلمني بما ترى منه . فقال له صاحبه وهو يحاوره : أفعل ذلك . ثم توجه إلى قصر الرشيد حيث السمر والغناء ، فلما نهض الرشيد من مجلسه خرج زيد بن علي مسرعا حتى سار إلى شجر في طريق جعفر ، واختفى فيه ومر جعفر ومن معه في الندماء حتى إذا

قرب من مكان صديقه ، قال : اخرج يا فلان وأخبرني بما عندك : فدهش صديقه وقال : حتى تخبرني أنت كيف علمت أني هاهنا . فأجابه جعفر عرفت عمايتك بما أعنى به ، وأنت لم تكن لتصرف حتى تعلمي بما رأيت منه ، وعلمت أنك تكره أن ترى واقفاً هنا في مثل هذا الوقت ، وليس في طريقك موضع أستر من هذا الموضع ، فقضيت بأنك فيه فهات ما عندك . فقال زيد : رأيت الخليفة يهزل إذا جددت ، ويحمد إذا هزلت ليكيذك بذلك ، فأعجب جعفر بذلك . صاحبه وقوة فراسته وقال له : هو كذلك عندي .

### لفت نظر

قرطنا كتابين لحضرة الاستاذ النابه على فكرى بك أحدهما في عدد صفر وعنوانه : البيان الفاصل بين الحق والباطل ، ذكرنا فيه أن نسخته التي بين أيدينا من طبعته الثانية ، والحقيقة أنها من طبعته الأولى ولم يطبع للمرة الثانية بعد .

وقرطنا في عدد جمادى الأولى كتابه الذي عنوانه : خلاصة الكلام في أركان الإسلام ، وقلنا : « وقد صدرت منه طبعته الأولى ، نعى التي بين أيدينا ، والحقيقة أنها طبعته الثانية . قرأنا أن تصحح هذا الخطأ . »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

الرابعة المادية والرابعة الدنوية

قلنا في العدد الذي سلف : إن أول عناصر المدنية لإحكام أو أواصر الاجتماع في الجماعة ، واليوم نقول : إن كل اجتماع لا بد له من رابطتين ، إحداهما ذات أغراض مادية ، والآخرى ذات غايات أدبية ؛ فالرابطة الأولى تقتضيها الحاجات الجسدية ، إذ لا بد للاجتماع أن يكون لهم محاولات لتحصيل ما يوفى بضرورياتهم الجثمانية ، وهذه المحاولات لصعوبتها تستدعي التضافر على إيجادها ، ولا تغنى فيها الجهود الفردية ، فهي رابطة حيوية قوية ؛ إذ لا تقوم الحياة الجماعية إلا بها ، وهي ضرورية تعنى بها الجماعة عنايتها بحياتها ، وتيسع في سبيل صيانتها وجودها الدنيوي رخيصة ، وهي تتولد تولداً آلياً في نفسية الجماعات دون أن تحتاج لدعوة .

والرابطة الأدبية هي من ضروريات الحياة البشرية أيضاً ، ولم تصادف جماعة مجردة منها في مدى الأدوار التاريخية كلها ، وهي تتألف من أصول ومبادئ يوحى إليها بما يحصولها العلى مناسبةً لمداركها العقلية ومواعبها النفسية ؛ فهي تحكم على الوجود وقواه وأحداثه واقتلاباته ، وعلى الإنسان وحياته وتطوراته ومُسْئَلُهُ العلى ومصيره ، تحت ضوء ما ورثته عن أسلافها من دين ، وما طرأ عليها من عادات وتقاليد .

والرابطة المادية كما تتولد آلياً ، تتطور الأدبية آلياً كذلك ، دون أن تحدث في الجماعة أى اضطراب ، لأن المحاولات المادية من شأنها أن تشعب تحت ضغط

الحوائل والحاجات ، فتقبل الجماعات تطوراتها كوسائل إقناذ من العنت والرهق ؛ وعلى خلاف ذلك الرابطة الاديية ، فإنها لتعلقها بالمقائد الدينية ، والمعادات القومية ، والتقاليد الاجتماعية ، تستعصى على التطور ، وتتألب على دفعه . فإن دفع العلم والنهذب العقلى فريفا إلى قبوله ، أدى ذلك إلى انقسام الجماعة شطرين فى الميول والمُشَلِّ العليا ؛ وقد يتفاقم أمره فيؤدى إلى الثورات المسلحة ، فيقتل بعض الجماعة بعضا غير آبهين بما يصيب أمتهن من الوهن ، وبما يمرض وجودها للخطر .

وقد تكون مظاهر هذه الثورات اجتماعية باحة ، ولكنها ترجع بالتحليل إلى عوامل أديية ، كشمور الطبقة العاملة بحيف واقع عليها من ناحية الطبقة القابضة على زمام الثروة العمومية ، وعدم معاملتها بروح العدالة التى تقتضيها الاخوة القومية . فالعوامل الاديية فى الجماعات هى الأسس التى يقوم عليها بناء المجتمع ، فإذا لم تكن مرنة صائرة لحركات التطور الشورى والادبى للنفوس البشرية ، فلا يعقل أن يستقر نظام أو تزدهر مدنية .

ومن يتأمل فى كثير من أحوال الجماعات الأوروبية ، التى بلغت مدى بعيدا فى المدنية ، يأخذ العجب مما آلت إليه من اضطراب شئونها ، واختلاف ميول شعوبها ؛ حتى لم يوفق بعضها لإقامة حكمه تلبث أمام هذه الأعاصير من القلاقل بضعة أشهر . والسبب فى ذلك تحول طرأ على مبادئها الاديية تحت تأثير خطباء من ذوى اللسن والحلاية الكلامية ، حشوا هقولهم ، إن حقا وإن باطلا ، بأن العدل يقتضى أن يكون نصيبهم من ربح الأعمال التى يقومون بها ، يكفيم ويكنى من يعولونهم الحاجة . وما لم يعطوا أجورهم على هذا الوجه ، فلا يفتأون يمتصبون ويضطربون ، بل يثورون حتى تحباب مطالبهم . فانظر كيف أثر هذا التحول فى المبدأ على الجماعات ، حتى جعلها فى أمر مريع لا تخلص منه إلا حدوث إصلاح عام للبدأ نفسه ، تنق به هذه الزعازع . وكيف يمكن أن يتم إصلاح تستقر الأمور عليه على طريقة الارتمجال ، وهو إذا أرضى فريفا أسخط فريفا آخر لا يقل عن

الأول إثارة القلاقل والارتباكات ؟ فانظر إلى أى حد يضطرب نظام الجماعات تحت تأثير المبادئ والأصول ؟ ثم انظر إلى أى حال من الدقة والاتزان يجب أن تكون تلك المبادئ والأصول ، لتعيش في ظلها الأمة أجيالا متواليه قرونا كثيرة ، لتصل إلى مدنية تستفيد منها البشرية انتقالات مادية وأدبية ؟ .

فلنرجع الآن بعد بسط هذه المقدمة إلى موضوعنا الأصلي وهو : . عناصر المدنية في الديانة الإسلامية ، فنقول : العنصر الثاني بعد توثيق أواصر الاجتماع هو :

فرض ، رابطة أدبية ، على الجماعة تضمن حقوق الأفراد ، وتعين واجباتهم ، وتحدد دوائر نشاطهم ، وتكون من المرونة وقبول التطور بحيث لا تصطدم في أدوار وجودهم ، بما ينادون إليه من ترقيات مادية وأدبية ، بل تسيرهم في تلك الأدوار ، وتمشيهم في طريقهم إلى المثثل العليا من جميع محاولاتهم ، بما يناسب جميع طبقاتها ، وروائهم حوافز نفسياتها ، فتعيش وهي مركبة من طوائف شتى ، في نطاق هذه الرابطة ، كأعضاء الكائن الحي ، تكافل جميعها على إبلاغه العناية القصوى بما 'قدّر له من ارتقاء وبقاء .

لا يعرف في تاريخ العالم الإنساني بأن رابطة اجتماعية قامت على هذا النحو غير الرابطة الإسلامية ، فقد جاءت في كل هذه الشئون البشرية بالنهايات التي ليس وراءها مرمى ، تاركة فهم مكاتها من السمو للأجيال المقبلة : . سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . . ولذلك أوصلت الأمة التي تولتها إلى أرفع المكنات الاجتماعية ، دون أن يحتاج أهلها إلى تعديل عوج في أصولها ، أو تبديل نص من نصوصها . بخلاف جميع الأمم التي وصلت إلى غايات بعيدة في مدنياتها ، فإن روابطها بدأت ساذجة جائرة ، ليس للضعفاء فيها حق يحترم ، ولا للمساواة فيها مبدأ يلتزم ، بل كان السلطان كله للقوة والغلب ، فكانت في كل مرحلة من مراحل وجودها تجد نفسها في معمان ثورة بين الأقوياء والضعفاء ، تنتهى عادة بخيال من حقوق ينالها هؤلاء بعد جهاد هيف ، ولا يزالون يشهدون هذه المساواة ، ولم ينالوها كاملة إلى يومنا هذا .

ألا تعجب أن أكبر العقول البشرية عجزت عن قبول مبدأ المساواة في الحقوق الوطنية، فقرر أفلاطون شيخ الفلسفة، وتلميذه أرسطو أميرها، أن العمال وأرباب الصنائع يجب أن يكونوا مجردين من الحقوق الوطنية. أما السود من العبيد ومن على شاكلتهم، فلا يجوز أن يمتد أن لهم أرواحاً إنسانية خالدة كأرواح البيض، فهم بعد موتهم يستجلبون إلى تراب كما تستحيل إليه أجساد الحيوانات العجم؟

ولما خلفت هذه المدنية اليونانية المدنية الرومانية، جرت على شاكلتها في معاملة سواد الأمم، فاعتبرتهم مستخرين للكبراء وأصحاب الثروات، ومضت في ذلك 'قدماً حتى ضج العامة من فداحة ما همولوا به من الامتهان والظلم، وفضلوا أن يهيموا على وجوههم في القفار على أن يصبروا على إذلالات لا تطيقه الطبيعة البشرية. فاضطر الخاصة أن يرضخوا لهم ببعض مطالبهم، فعادوا معلومين على أمرهم، ينتهزون كل فرصة للشغب والخروج عن الطاعة، وما زالوا على ما كانوا عليه من سوء الحال حتى تأللت القبائل الهابطة المجاورة للإمبراطورية الرومانية في إيطاليا على إبادتها فيادت في سنة (٣٩٥) م وتلتها في الزوال الإمبراطورية الرومانية الغربية حين فتح الأتراك القسطنطينية هاجمتها في سنة (١٤٥٣) م بعد أن كانوا جردوها من جميع ممتلكاتها الأوروبية.

أما الرابطة الإسلامية فقد خلصت من جميع العلل الاجتماعية، فلم تطو على أصل يناقض العقل أو يداير العدل، أو يؤدي إلى اصطدام الطبقات والأجسام في دور من أدوار الاجتماع، أو يقف حائلاً بين الجماعة والفرق في مرحلة من مراحل حياتها الطويلة، أو يمكن تأويله لمصلحة فريق دون فريق، وهذا الأمر الجلل من الآيات الخالدة، يدل على أنه وحى من مدبر الوجود والكائنات، لأنه ثمرة تفكير فلسفي، أو تدبير علمي؛ فقد سبق زمان وحيه بما لا يقدر من الأجيال، وجاوز حدود الطاقة العقلية والفلسفية لعهد نشره بما لا يتخيله إنسان.

ألا تعجب أنه بينما كانت أرقى فلسفة في العالم، تقرر أن الصنائع والعمال لا يستأهلون أن يعترف لهم بالحقوق الوطنية، وأن الأرقاء مثلهم كمثل الحيوانات

المنجّم لا أرواح لهم تبقى بعد موتهم ، كان الإسلام يسوى بين جميع الطبقات في الحقوق الوطنية ، ومهم العيد السود ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لبيض على أسود ، إلا بتقوى الله وعمل صالح ، » وجرى العمل على ذلك من ذاك العهد ، فعين رسول الله بلالا ، وكان عبداً حبشياً ، والياً على المدينة وفيها أبو بكر وعمر ، وجمهور كبير من كبار الصحابة ، وولى غيره قائداً لجيش كان من جنوده الصديق والفاروق وغيرهما من أجلاء المسلمين ، هذا عجيب حقاً ، وهذه المساواة في الحقوق ، كانت إحدى الأسباب التي صانت وحدة المسلمين من التفكك ، وحتمت من الاضطرابات الثورية ، في مدى قرون متوالية . فهي بهذا الاعتبار ، كما كانت من أوثق حوافظ الترابط الاجتماعي ، كانت كذلك من أقوى عناصر المدنية ، ومن أشدها شجذاً للهمم في الذهاب بها إلى أقصى حد يمكن أن تصل إليه : لأن المدنية تستمد إبداعها المادى من الصناعات اليدوية ، فإذا كان رجال هذه الصناعات يحدون أنفسهم محرومين من الحقوق الوطنية ، فلا يحدون من البواغث على الإقحان والابتكار ما يجده المتمتعون بجميع الحقوق الاجتماعية : لذلك لم يكذب يخلف المسلمون الأولون من سبقهم من الأمم في الخلافة العالمية ؛ حتى نهضت الصناعات اليدوية نهضة فجائية يزوا بها جميع الأمم التي تقدمتهم في الوجود ، وصارت بلادهم مثابة لطلاب العلم والحكمة والصنائع ، يقتبسون منها ما يسدون به حاجتهم الاجتماعية . واستمر الحال على هذا المنوال مئات من السنين . فإذا كانت الشعوب الإسلامية قد تدهورت إلى ما هي عليه الآن من الناحية الإبداعية والفنية ، فإنما كان ذلك لأسباب انحراف المسلمين عن الصراط السوى الذي قام عليه أسلافهم ؛ أما وقد أدركوا ذلك الآن ، وبدأوا يستقيمون على الطريق السوى الذي كان يسلكه أوتائهم في الدين والدنيا ، فيصلون إن شاء الله إلى مثل ما كانوا عليه من السبق إلى كل غاية كريمة .

نأتى إن شاء الله في مقالاتنا المقبلة على بقية عناصر المدنية .

محمد فريد وهبى

## السنة التشريعية:

# الرجبية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج أحمد والنسائي، والبيهقي والحاكم وصحاحه من حديث الحارث بن عمرو أنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فقال رجل: يا رسول الله، العتائر والفرائع، قال: «من شاء عتّر، ومن شاء لم يعتّر، ومن شاء ففرّج، ومن شاء لم يفرّج».

\*\*\*

كان من عادات العرب في الجاهلية أنهم يذبحون في الشهر الأول من شهر رجب ذبيحة، يتقربون بها لأصنامهم، يسمونها «العتيرة»، وكانوا يسمونها «الرجبية» أيضاً، كما وقع ذلك في حديث مخنف بن محمد بن سليم، ولفظه: «هل تدرون ما العتيرة؟» هي التي تسمونها الرجبية، وسميت عتيرة - بوزن عظيمة - أخذاً مما كان يفعل من الذبح، وهو العتّر، فهي فعيلة بمعنى مفعولة، وسميت رجبية لحصول ذلك في شهر رجب. قال النووي: «واتفق العلماء على تفسير العتيرة بهذا المعنى المتقدم، ولكن قيل: العتيرة نذر كان يذره من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها رأساً في رجب. وقيل: هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية: إن بلغت إبل مائة عتّرت منها عتيرة».

وكذلك كان من عاداتهم أنهم يذبحون أول الشتاء لطواغيتهم، ويسمونه «الفرّج»، ويقال فيه «الفرّجة» أيضاً باللهاء، واختلفوا في تفسيره، فأكثر أهل اللغة وجماعة من أهل المسلم على أنه أول نتاج الهيمة، كانوا يذبحونه، ولا يأكلونه رجاء البركة في الأم، وكثرة نسلها، وهؤلاء نظروا في تفسيرهم هذا إلى اعتبار أول نتاج الدابة على أفرادها. فأما من نظروا إلى اعتبار نتاج الجميع ففسروه بأنه أول النتاج للإبل، وبهذا فسره البخاري ومسلم، وغيرهما من أصحاب

السن . وقيل : هو أول التاج لمن بلغت إبله مائة . قال أبو مالك : كان الرجل إذا بلغت إبله مائة ، قدم بكرا ، فحره لصنمه ، ويسمونه قَرَعًا . وقد أطلق الفرع أيضاً على الطعام الذي يصنع لتاج الإبل ، كالحرس ، للولادة .

\*\*\*

اختلفت الأحاديث الواردة في حكم العتيرة والفرع ، فمنها ما يدل على عدم مشروعيتها في الإسلام ، كحديث أبي هريرة المنفق عليه ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا فرع ولا عتيرة » ، وكرواية أحمد والنسائي : أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الفرع والعتيرة .

ومنها ما يدل على مشروعيتها ، ولكنها ظاهرة في عدم الوجوب ، وخالية من الدلالة على ما ينفي الاستحباب أو يثبت ، كالحديث الذي معنا .

ومنها ما يدل على المشروعية أيضاً ، ولكن في صورة الوجوب ، كحديث مخنف : « على كل أهل بيت في كل عام أضحية وعتيرة » ، وحديث نبيته : « قال رجل : يا رسول الله ، إنا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية في رجب ، فأتأمرنا ؟ قال : اذبحوا لله في أي شهر كان ، قال : إنا كنا نفرع في الجاهلية ، قال : في كل سائمة فرح ، تغفوه ماشيتك ، حتى إذا استعمل ذبحته ، فتصدق بلحمه ، فإن ذلك خير ، وحديث عائشة : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفرحة من كل خمسين واحدة » ، وحديث عمرو بن شعيب : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرع ، فقال : الفرع حق ، وأن تركوه حتى يكون بكرا ، أو ابن مخاض ، أو ابن لبون فتعطيه أرملة ، أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبجه فيلحق لحمه بوبره ، وتكفأ إناذك ، وتوله ناقتك » (١) .

وإزاء هذا التعارض الواضح بين ظاهر الأحاديث ، تعددت أقوال العلماء في هذا الشأن ، فذهب جماعة منهم إلى أن الأحاديث المانعة من مشروعية العتيرة

(١) يعني بذلك أن ذبحه في هذه الحالة يذهب لن النافعة ويقضيها ، وذلك أهم كانوا يذبحونه حين يولد ، ولا شح فيه ، فيلحق لحمه بوبره ، ويكون صاحبه كأنما أكرم إناذه ، وأراق لبنه ، فيسنى أن يترك حتى يكبر ، ليطيب لحمه ، ويستمتع بابن أمه ، ولا يشق عليها مفارقتها ، لأنه يكون قد استغنى عنها .

والفرع ناسخة للأحاديث المثبتة لها وذكر القاضي عياض : أن جماهير العلماء على النسخ ، وبه جزم الحازمي ، ولكنه تعقب بأن النسخ لا يتم ، ولا يجرز الجزم به إلا إذا ثبت تأخر تاريخ ما قيل إنه ناسخ عما قيل إنه منسوخ ، ولم يثبت ذلك .

وذهب جماعة آخرون إلى أن أعدل الأقوال هو الجمع بين هذه الأحاديث المتعارضة في الظاهر ، وذلك بأن تحمل الأحاديث الفاضية بالمتنع من العتيرة والفرع على نفي الوجوب ، وتحمل الأحاديث الأخرى المفيدة للوجوب على الاستحباب فيكون معنى حديث : « لا فرع ، ولا عتيرة » — لا فرع واجب ، ولا عتيرة واجبة . أو يحمل معناه على نفي ما كانوا يذبحون لأصنامهم في رجب ، أو هل أن الفروع والعتيرة ، ليسا كالأضحية في تأكيد الاستحباب ، أو في ثواب إراقة الدم ، لأن تفرقة اللحم على المساكين برّ وصدقة . فالحديث على هذا لم يفد إلا نفي الوجوب ، أو أنه لم يبطل الفرع والعتيرة من أصلهما ، وإنما أبطل صفة من كل منهما ، فأبطل من العتيرة خصوص الذبح في شهر رجب ، وأبطل من الفرع كونه يذبح أول ما يولد ، كما أشير إلى ذلك في حديث : « الفرع حق ، فإنهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم ما كانوا يصنعونه في الجاهلية خوفاً من أن يكره في الإسلام . أعلمهم أنه لا كراهه عليهم فيه ، وأمرهم استحباباً أن يقدوه ويتركوه حتى يحمل عليه في سبيل الله . وأما قوله : « حق » ، فعناه أنه ليس بإبطال ، وهو كلام عربي خرج على جواب السائل .

وأما الحديث الذي معنا ، فهو وإن كان صريحاً في عدم الوجوب ، ومسكوتاً فيه عن نفي الاستحباب أو إثباته ، إلا أنه يمكن أخذ الاستحباب من دلائل أخرى كحديث أبي داود : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العتيرة حسنها ، وحديث أحمد والنسائي عن أبي رزين العقيلي قال : « يا رسول الله ، إنا كنا نذبح ذبائح في رجب ، فنأكل منها ، ونعلم من جاءنا ، فقال له : « لا بأس بذلك » .

وقتل الطحاوي عن ابن عون أنه كان يفعله ، وما ل ابن المنذر إلى هذا ، وقال : كانت العرب تفعلها ، وفعلها بعض أهل الإسلام بالإذن ، ثم نهى عنها ، والهي لا يكون إلا عن شيء كان يفعل ، وما قال أحد إنه نهى عنها ، ثم أذن في فعلها ، ثم نقل عن العلماء تركها إلا ابن سيرين .

ويرى بعض أهل العلم أنه يصح في حديث تحسين العتيرة، وحديث أبي رزين العقيلي أن يعتبروا كالقرينة الصارفة للأحاديث المقتضية للجواب عنه إلى الاستجاب .

وأما ما جاء في رواية لاحد والنسائي من أنه صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الفرع والعتيرة ، وأن معنى النهى الحقيقي هو التحريم ، فإن هذا لا يؤثر في الجمع بين الأحاديث السابقة بالطريقة التي ذكرناها ، لأن النهى يبق على معناه الحقيقي إذا لم توجد قرينه تصرفه عنه ، ومعنى وجدت هذه القرينة أخرجته عن هذا المعنى ، وقد سبقت الإشارة إلى بعض الأحاديث التي يصح أن تكون قرينة على ذلك . على أنه يمكن أن يعمل الهى على معنى آخر ، وهو أن يجعل موجهها إلى ما كانوا يذبحونه في الجاهلية لأصنامهم ، وحيث أن يكون الهى باقيا على معناه الحقيقي ، ويكون غير متناول لما ذبح من الفرع والعتيرة ، ولغير ذلك مما فيه وجه قرينة . وما يكون الدخ فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى برأ بالفقراء ، وسدأ لحاجاتهم . ومن هذا استدل الشافعي بقوله عليه الصلاة والسلام : « ادبحوا لله في أى شهر كان ، على مشروعية الذبح في كل شهر إن أمكن ، وقال في سنن حرمة : إنها إن نيسرت في كل شهر كان حسنا ، لما يعود على الفقراء من البر والمنفعة .

### أدب جعفر

كان جعفر بن محمد من آل البيت ، يقول : إني لأملق أحيانا ، فأناجر الله فربحني . وقال رضى الله عنه : « من تخلق بالخلق الجليل ، وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه لا محالة زائل ، وهو إلى خلقه الاول آيل ، كطلى الذهب على النحاس ، يفسحق وتظهر صفته للناس .

وهذا كقول العرجي :

يا أيها المتحلى غير شيمته ومن خلانقه الأقصار والملق

ارجع إلى خلقك المعروف وأرض به إن التلق يأتى دونك الخلق

وكان يقول : ما توسل إلى أحد بوسيلة هي أقرب إلى من يد سلفت منى

إليه ، أتبعها أختها لتحسن ردها وحفظها ، لأن منع الآخر ، يقطع لسان الأوائل .

## نَاحِيَةٌ مِنْ أُسْلُوبِ الْفَرَنْجِ فِي الْقَصَصِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد بن محمد

المفتش بالأزهر

اختلف الناس في ، ذى القرنين ، المذكور في قوله تعالى : « ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا » : من هو ؟ فقال بعض العلماء : إنه هو الإسكندر الأكبر اليوناني ، ملك مقدونيا المشهور في التاريخ ، ومن هؤلاء الإمام الرازي ، فقد أطال في الاحتجاج لذلك مستدلاً بوجوه منها : أن ملكاً كهذا الملك الواسع ، الذي بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال ، لا شك أنه على خلاف العادات ، وما كان كذلك وجب أن يبق ذكره مخلداً على وجه الدهر ، والابن عصفياً معتزلاً ، والملك الذي اشتهر في كتب التاريخ ، أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ، ليس إلا الإسكندر ، ثم انتهى الرازي إلى ما يشبه الجزم بهذا الرأي حيث يقول : « فوجب أن يكون المراد بذي القرنين هو هو » - يريد الإسكندر الأكبر - لكنه أورد بعد هذا إشكالا لم يحله ، هو أنه كان تليداً لأرسطو الحكيم ، وكان على مذهبه ، وتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطو حق وصدق ، وذلك مالا سبيل إليه .

وقد حاول اليسابوري الرد على هذا بأن مذهب الفلاسفة ليس يبطل كله ، فربما كان الإسكندر على الحق الذي فيه دون الباطل .

وبعض المفسرين يرى غير ذلك ، ومهم من يرى أنه كان نبياً ، يوحى إليه بدليل قوله تعالى : « قلنا إذا القرنين » ، وقد رد ذلك بأن القول في القرآن كثيراً ما يراد به غير الخطاب اللفظي كالوحي ، ومن ذلك قوله تعالى : « فقال لها وللارض انثيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » ، وقوله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل » . فمضى قوله تعالى « قلنا إذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا » : ألهمناه ذلك .

والذي أميل إليه أن ذا القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر الأكبر ، كما ذكر الرازي واليسابوري وغيرهما للأدلة التي استدلوا بها ، أما الإشكال الذي ذكره الإمام الرازي ، فإنه لا يقوم عقبة في طريق هذا الرأي ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يصرح عن ذي القرنين بأكثر من أنه قد مكن له في الأرض ، وآتاه من كل شيء سبباً ، وهذا قدر لا يدل على أنه كان رجلاً مثالياً في دينه وعقيدته .

وكل ما يمكن التمسك به في تعزيز أنه كان متصفاً بصفات أهل الإيمان ، هو ما جاء في قوله تعالى : « قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً » قال أمان ظلم فسوف نعذبه ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً .

وفي رأي أن هذه المحاور وما فيها من الأقوال ، ليست على ظاهرها المفيد صدور ذلك من ذي القرنين لفظاً ونطقاً ، وإنما هي تصوير لحديث نفسه وإلهام الله إياه بما يفعل ، ولا شك أن الملوك حين يفتحون بلداً أو إقليماً ، تدور في حواطم أحاديث نفسية عما يفعلون بالمفلولين ، وقد هلنا من تاريخ الاسكندر أنه كان حكيماً ، أو أنه كان واسع العقل متصلاً بالفلسفة ، فمن الطبيعي وهذا شأن أن الله قذف في روعه هذه المعاني التي تحدثت عنها الآية ، ويسرها إلى نفسه ، فكان له مرحلتان في التأمل ، أولاهما : أنه بحكم الفتح والغلب قادر على أن يعذب هؤلاء القوم أو يمهو عنهم : الثانية : أنه يحسن به أن يفرق بين من ظلم فيعذبه ، ومن لم يظلم فيعفو عنه .

فالآية تفسر هذا الحديث النفسي ، ولكن بأسلوب القرآن الذي يعبر عن خلجات النفوس ، وحواطم الأشخاص تعبيراً فيه مزج بين ما يكون من الناس ، وما يكون من الله ، يراد منه الإشعار بأن الأمر كله لله ، وأن هذا تيسير الله وقوله وتوجيهه ، فهو يجرى قول الله الذي هو بمعنى سنته وتيسيره ، وتهيئته على لسان من يقص عنه ، لأنه أدار هذا المعنى في نفسه ، أو لأنه سخره لتحقيقه ، وما كان القول المنسوب إلى ذي القرنين إلا قولاً لله في الحقيقة ، فهو الذي يقرر بسنته وتيسيره وتوجيهه لعباده ، أن الظالم يقع في الدنيا تحت سلطان من يعذبه

وينتقم منه ، وفي الآخرة يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأن المؤمن الذي يعمل الصالحات ، له في الآخرة جزاء الحسن ، وله في الدنيا التيسير ، وأن يحيا حياة طيبة ، وسنقول له من أمرنا يسرا ، أى سنجعل أمره يسيراً عادياً لا صعوبة فيه . وشبه بهذا قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لييسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، ولا أجد فرقاً بين قوله تعالى : فسقوا له من أمرنا يسرا ، وقوله جل علاه : فسنيسره لليسرى ، وعلى هذا يكون الكلام كله في الآية ، منسوباً إلى ذى القرنين ، لأنه حديث تحدثت به نفسه على الإجمال ، وهو من حيث المعنى والتعبير هذه الصورة المركزة المكتملة ، التى فيها الحديث عن جزاء الدنيا وجزاء الآخرة ، وعن التيسير لليسر قول من الله أضافه إلى من صدر عنه الفعل ، وكان مظهراً لتحقيق مضمونه .

وهذا الأسلوب فى القرآن الكريم كثير ، وأمره يختلط على من لا يلتفت ، وما يوضحه قوله تعالى فى آخر هذه القصة : قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقاً ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ، ونفخ فى الصور لجمعناهم جمعا ، وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاء . فقد مزج فى هذه الآيات بين ما يمكن أن يكون صادرا من ذى القرنين وهو : هذا رحمة من ربى ، إلى ، وكان وعد ربى حقاً ، وبين ما هو صادر من الله جل علاه ، وهو قوله : وتركنا بعضهم ، الخ ، فالقرآن يسوق ذلك كله ، ولا يعبأ بتحقيق إسناد الأقوال إلى مصادرهما ، لأنه لا يريد إلا أن يفهم الناس معنى القول فى ذاته ، سواء أفهموا أنه صادر منه تعالى ابتداء ، أو حكاية عن مصدر آخر لم يكن إلا مظهراً لتحقيق قول الله وسنة الله والله قائل بلسانه .

ولعل ما يقرب هذا المعنى ما جاء فى قصة الهدد وسليمان إذ يقول الله تعالى حكاية عن الهدد : إني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم ، وجعلتها وقوماً يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون . لا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . .

مع الاعتراف بأن الكلام المروى على ألسنة الطير أو الحيوان ، قد يأخذ في معنى نسبته حكماً غير الكلام الذي يروى عن الناس ، فإن أكاد أجزم بأن الأمر في الحالتين واحد ، من حيث عناية القرآن بإبراز المعنى في ذاته وتسميته ، دون أن يربأ بتحديد مصدر القول : أمر المتحدث عنه في القصة أم الله جل جلاله ، وهنا نجد الكلام منساقاً على ظاهر يحمل من يقف عند حرفيته على أن ذلك كله من كلام المحدث ، مع أنه من حيث المعنى يشتمل على أصول دينية ، كثيراً ما يتكلم فيها القرآن صادرة من الله جل جلاله ، ولينأمل القارئ قوله تعالى :  
 « يسجدون للشمس من دون الله ، الخ .

وعما يقرب ذلك أيضاً قوله تعالى فيما يحكا عن الجن : « وأما منا المسلون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأما القاسطون فكأول الجهم خطياً ، وأن لو استفادوا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا . لغفتمهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً ، وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً . »

فلست أقول : إنه لم يصدر قول من الجن والكلام على التصور والتثيل . لست أقول ذلك وإلا لكنت حاكماً بخلاف الظاهر في أمر غيبي أخبرنا الله تعالى به ، وإنما أقول : إن الجن صدر منهم كلام كما قال الله ، ولكن السياق قد يدور منه أن هذا الكلام كله من قول الجن ، لأنها جعل متعاطفة تتصل بمعنى واحد ، بينما نجد في بعض هذا الكلام قرينة لفظية على أنه من كلام الله لا من كلامهم ، هي قوله « لاسقيناهم ماء غدقا لغفتمهم فيه ، الخ فهذا المعنى الذي أردت تقريره ، ويدل على أن القرآن يسترسل في تجميع المعاني ، وهو بصدد الحكاية عن يقص عنهم ، وقد وجدت في هذه الآية قرينة لفظية ، وفي آيات أخرى قد لا توجد مثل هذه القرينة اللفظية .

هذا فهم أقرره ولست محتذاً فيه أحداً قبلي ، وأرجو أن يفتح الله لي فيه أبواباً من التمثيل غير ما قدمت ، ويوفقني إلى تتبعه وترسيخه .

وأحسب أن هذا التخريج أولى ما يحل به إشكال الإمام الرازي رحمه الله .

## مِنْ تَوَجِّهَاتِ الْفِرَاقِ

١٠. قد أفلح من نزي  
ب. فلا تزكوا أنفسكم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي  
المفتش بالأزهر

١ - مقدمة : شئ من الفطنة يذوقه القرآن الكريم إلى ما بين آياته  
من توجيهات أكيدة إلى تربية الخلق ، وتكوين الشخصية المعنوية في الفرد  
وفي الجماعة .

والقرآن حينما يعرض للخلق لا يكون حديثه عن أمر ثانوي ، أو في غرض  
تبعي ، وإنما يكون معنياً بالغاية الفضلى التي بها يرتبط نظام المجتمع ، والتي لاجلها  
كانت رسالة الأنبياء ولجلها كان التشريع . وإنما بعثت لأتم مكارم الاخلاق ،  
تلك الغاية هي : إصلاح الخلق والاعتماد على الاخلاق في تكوين الشخصية المعنوية  
للفرد والجماعة ، تكويناً تمثل فيه الإنسانية الرفيعة ، وتستقيم إلى جانبه الحياة في  
أوضاعها الصحيحة .

قيام الظلم على سلامة الاخلاق ، وإصلاح الحياة بصلاحها ؛ يبدأ فطري ليس  
من عمل لإنسان ولا من مصطلحات الجماعة ، ولم تجر سنة الله يوماً في خلقه  
أن يستقيم شأنهم على فساد الخلق ، أو يطيب لهم هيش وتزوق لهم الحياة على  
مخرج وعيب .

هذا مبدأ ماير الزمن ونهضت تحوم حوله العقول من تاريخ قديم ، وما علمت  
الفلسفة الأخلاقية في أطوارها المختلفة ، ومناهجها المتعاقبة سوى التحليق حول  
الخلق ، وتجميع قواها لبحث الخلق وتبسيطه ، وتقسيمه وتحديد به جملة وتفصيلا ،  
والإبانة عن أثره في حياة الناس إيجابا أو سلبا .

فإن يكن الخلق منبعاً من منابع الفلسفة ، وإليه الورد وعنه الصدر لعقول  
ناضجة وأفكار نابغة - وإن يكن لفلسفة الأخلاق جهود مضنية في استقصاء الخلق  
والإلمام به ، أو تكن لمجهود مشكورة في توجيه الناس إلى حسن الخلق ومحاولة  
أخذهم به ، فكل ذلك استجابة للفطرة فيما دعت إليه ، من إقامة النظم على أساس  
الخلق ، والاعتصام به من ربكة الحمجية ومتاعب القوضى .

ونظرة إلى الفلسفة الأخلاقية في أوسع حدودها - وأن لم أكن  
من دارسها - وإلى جهود الفلاسفة في أروع صوت لها ، تريك أن شيئاً من هذا  
على فرض صوابه كله لا يزيد ولا يبعد عما جاء في القرآن الكريم ، . وإنما ترقق  
القرآن فعمد إلى الجوهر وذكر ما ذكر من أنواع الأخلاق بأسمائها في بساطة  
وإيضاح ، وترك للملم تفصيل ما هنالك مما تحي به الفلسفة الرزينة .

وترقق القرآن فيسرودعا إلى التيسير في توجيه الناس نحو الخلق ، وترك للعقول  
الحصيفة اختيار ما تقضى به الضرورات المصلحية من وسائل أخرى .

وما ترك القرآن في محتوياته شيئاً من مقومات الحياة الكريمة ، إلا اشتمله  
إن لم يكن تفصيلا فإجمالاً ، والقرآن حين يحمل يعتمد على السنة وبيان الرسول ،  
ثم على أولى العلم من أهل الذكر في مختلف الأزمان ، وقد فرض الله علينا  
أن نرجع إلى رسوله ليبين لنا ما نزل إلينا ، وفرض على رسوله أن يبلغ ويبين ،  
وفرض الله علينا وعلى أهل الذكر من بعد أن نتفهم ونتعرف .

فإذا لم يصادفنا إزاء هذا الكلام جدل ومكابرة ، أمكن أن ندرك حقاً قول  
الله سبحانه ، ما فرطنا في الكتاب من شيء .

٢ - ونحن الآن فيما تيانا للحديث عنه أمام آئين من كتاب الله يختلف أسلوبهما ويتحد مرماهما .

(١) فأولاهما . وعد مر الله بالفلاح لمن تزكى ، ووعد الله في غنى من اتنا كيد ، ولكنه مع ذلك جاء في آيتنا مؤكدا بلفظ قد ، ليكون من وراء الأكد اطمئنان ، وليكون بدل الشك يقين ، ويكون الاقتناع حاسما لزعة الجدل في الألمان ، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ، فهنا دعوة إلى التزكية ، والمتزكى مفلح على التأكيد .

(ب) وفي الآية الثانية : نهى عن التزكية ، والهي على أصله يقتضى تحريم الفعل المنهى عنه ، فتزكية النفس محظورة ، والمركى لنفسه آثم خاسر ، وهذا في ظاهره إشكال ، ومثله مألوف في الدراسة الأزهرية فيما ترى ما التزكية التي تطلب إلينا مرة وتنهى عنها أخرى ؟

التزكية من الزكاة ، وهو في لغة العرب التماء والزيادة ، وكما يكون التماء أو الزيادة في الامور الحلية تكون في المعنويات ؛ وهنا يرادفها الطهر من الأدناس ، والسمو عن النقائص ، ووضع النفس حيث يطيب موضعها ، ويرتفع قدرها لتأخذ بين الناس نصيبها من الكرامة ، وعند الله حظها من رضوان ؛ ذلك هو معنى التزكية ، وهو معنى لا يرغب عنه ، فكيف تنهى عنه بعد أن دعينا إليه ؟

وجوابنا : أن الوصف الخلقى له قيمته حسبما يملك اليه المرء سبيله ، فيكون أخذا به دأبا عليه حتى ليرقى به - أو يكاد - من تطيع إلى طيع ، ومن تصنع إلى عفيدة وديدن .

وحينما يبلغ المرء هذا المبلغ في جانب الخير والعمل المحمود ، يكون أوفى على الغاية ، واستغفر في وضع كريم ، وفي حكمة من يحاول توجيه نفسه ويتعاشى الفعل البغيض ، ويجاهد ما استطاع في مناصرة عقله على هواه ، ومغالبة الخير على سواء ، ولو لم يصل الى أن يكون طبعاً أصيلاً فيه . فكلما هذين مصداق من تزكى قريباً بنفسه عما يشين قدره ، ويجرح سمعته أو ينقص دينه . وتلك هي التزكية التي دعينا إليها ، وحشا القرآن عليها ، ووعد بالفلاح من أخذ بها ، ولم يتحرف عنها .

وهناك أناس ، قعدت بهم الهمة عن تكييل أنفسهم ، وصدم الكسل عن المحاولة ، وطالب لهم أريميشوا على نقص في خلقهم ، ولكن الأمانة تدفعهم إلى الخداع ، فيخلعون على أنفسهم مدائح ليست فيهم ، ويتحللون مكارم لم تعرف عنهم ، ويزجون بأشخاصهم في عداد أهل الخير ، ويلبسون من أهل الخير في أسبقية ، بل ولا في شيء .

فهذه تزكية للنفس ولكنها مكذوبة ، وهي خدعة يراد منها الدخول إلى قلوب الناس ، حتى ينحرم الشاء ، ويضفوا عليهم شيئا من الإجلال .

هذه التزكية المسانية الباطلة هي التي نهى الله عنها ، وحظرها علينا ، لأن من وداتها خطرا يمس صاحبها ويتعداه إلى سواه .

صاحب هذه الخدعة مصروف عن التفكير في تكييل ماله من نقص ، وعلاج ما فيه من مرض خلقي ؛ فهو ساذج في غفلة ، وسار في ظلمة ليل .

وصاحب هذه الخدعة يستدرج الناس إلى تمجيده ، وقد يقتربذ كراه من لم يعرف شأنه على الحقيقة فيقع في أحبوة من شره ، ويكتوى بشواظ من ناره . واحد من هؤلاء الأدهياء يكنى للتغيب على جماعة ، بل لإفساد الحياة بين قوم وجماعة من أولئك المخادعين كفيلة بالغش من شأن أمة كريمة ، والمهبط بسعنها ، واستفزاز الخصوم وغير الخصوم إلى سوء العقالة فيها .

لهذا الخطر الذي قد يستهين به أناس ، ندد القرآن بالأدهياء ، ونهى عن تزكية النفس بالقول ؛ حتى عم في النهي وتناول به الأخيار من أهل الخير ؛ فهم كذلك منيرون عن تزكية النفس هل هذا النحو المردول ، مخافة أن يمسهم غرور أو يعلق بهم ديا .

وانظر إلى النهي وإلى ما اقترن به ؛ فاقه تعالى يقول : فلا تزكوا أنفسكم . ثم يقول : هو أعلم بمن اتقى . يني أريحوا واستريحوا من ثنائكم على أنفسكم ، ثوب الرياء يشف عما تحت ، وشهادتكم لا ترفع من شأنكم ، وكل منكم مجزى بعمله .

وقد تظاهرت آيات أخرى من كتاب الله مع الآيتين هنا فيما تضمنته من توجيه إلى العمل الجدى ، والتجنى عن زخرف القول وباطل الدهوة ، مما يعتبر فى ميزان العقل هزلا وضعة وسفها ، فن قيل الآية الأولى قوله عز شأنه : « قد أطلع من زكاهما ، وبأبى الله تعالى إلا أن يقر هذا الوعد بوعيد لمن كاثرا من الفريق الآخر إذ يقول : « وقد غاب من دسأها ، يعنى دنسها وهبط بها . ومن قيل الآية الأولى كذلك ، ومن تركى فإنما يتركى لنفسه ، .

ومما يظاهر الآية الثانية قوله تبارك شأنه : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولم عذاب أليم ، فذلك شأن من يعمل القبيح ويود أن يذكر بالخير .

ونحن فيما نشهد نرى اللص والمحتال والمريد وأرباب النقائص ، يحب كل منهم أن يوصف بغير ما فيه : مما يعرف بمركب النقص دون أن يحاولوا التنزه عن تلك الماهيات التى يتحمل المجتمع غرمها ويعانى أليها .

لذلك حرص الإسلام على استئصال الرذيلة من أصولها ، ودرء المفساد بسد أبوابها : لتلا تأسل وتصبح داء عياد ، وهو غير بعيد منا اليوم .

ومما يصور لنا هذا التوجيه أصدق تصوير قول النبى عليه السلام : « هلكم بالصدق فإن الصدق يهذى إلى البر ، وإن البر يهذى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل أو العبد - يصدق ويتحرى الصدق : حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهذى إلى الفجور ، وإن الفجور يهذى إلى النار ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ، يعنى يصدق العبد فى أول أمره أو يكذب ؛ فإذا تمادى ودأب أصبح طبعاً أصيلاً فيه ، وعلى مقتضاه يسير ؛ فيجرى عليه بالخير عند الله أو يؤاخذ ، وهكذا ، وهذا باب واسع المدخل فيسبح الأرجاء ، وسنعود إليه مرة أخرى إن شاء الله وكان فى الاجل بقية .

# السَّيرافي

لفضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمد بن الفحام  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

## اسمه وكنيته ونسبه :

أجمعت المصادر التي بين أيدينا على بيان اسمه وكنيته ونسبه :  
أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي . من أصل فارسي .  
وكان أبوه بجوسيا ، يسمى بهزاد ، فأسلم بعد ابنه ، فسماه ابنه هذا  
عبد الله . .

## تاريخ ومكان ولادته:

أجمع المؤرخون على أنه ولد بسيراف ، فرضة على الخليج الفارسي ، إليها  
نسب ، وبها اشتهر . أما تاريخ ميلاده فلم يعلم بالضبط ، فان القديم وياقوت  
اقتصرا على قولهما : إنه ولد قبل سنة ٢٩٠ هجرية . ثم ذكر ياقوت نقلا عن علي  
ابن عيسى أن السيرافي ولد سنة ٢٨٠ هجرية . ويؤخذ من كلام ابن خلكان أنه  
ولد في سنة ٢٨٤ هـ : لأنه قال : إنه مات سنة ٣٦٨ هـ عن أربعة وثمانين عاما ،  
ومعنى هذا أنه ولد سنة ٢٨٤ هجرية . ونستطيع أن نؤكد أن ماجاء بكتاب  
السيوطي : بنية الوعاة ، من أنه ولد قبل سنة ٢٧٠ هجرية ، خطأ من الناسخ  
أو من الطابع ، حيث كتب ٧٠ بدلا من ٩٠ .

## نشأته العلمية:

بدأ السيرافي دراسته بمسقط رأسه ، سيراف ، لحفظ القرآن ، وتعلم مبادئ  
الفقه واللغة ، ثم ترك سيراف ولما يبلغ العشرين من عمره ، وعبر البحر إلى عمان ،

حيث تفرغ فيها لدراسة الفقه الحنفى ، ثم عاد إلى سيرا ، ومنها إلى هكر مكرم — مدينة من مدن الأهواز — حيث درس علم الكلام على أبي محمد بن عمر الصيمرى . ثم سافر إلى بغداد حيث أتم دراسته ، وقضى بها بقية عمره ، مفتياً وقاضياً ومدرساً .

### أشياخه

درس السيرا فى علم الكلام على أبي محمد بن عمر الصيمرى ، واللغة على أبي بكر بن دريد ، والنحو على أبي بكر بن السراج ، والقرآن على أبي بكر بن مجاهد ، والتفسير على أبي بكر بن زياد النيسابورى ، وعلى أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى .

### مكانته العلمية:

كان السيرا فى مبرزا فى علوم اللغة والنحو والفقه والتفسير والحديث ، والقراءات والعروض والقوافى والحساب . وقد تصدر لتدريسها جميعا فى بغداد ، وأخذ عنه بعض أشياخه ، فقد قرأ عليه النحو أبو بكر بن مجاهد وابن دريد ، وأخذ عنه القرآن والحساب ابن السراج ومبرمان . وكانت له شهرة خاصة بشرح كتاب سيويه ، فكان العلماء يسافرون إلى بغداد من جميع البلدان الإسلامية حتى من الأندلس ، ليشهدوا بحالته ، ويفتروا من مناهل علمه .

وكان متبحراً فى فقه الحنفية ، فظل مفتياً بمسجد الرضا فى بغداد مدة أربعين سنة على رأى بعض المؤرخين ، أو خمسين على رأى بعض آخر ، فما وجد له خطأ ، ولا هتر على ذلة . وكان يجتهد أحيانا ، فيفتى بما لا يتفق ومذهب الحنفية .

وكان ينوب فى القضاء عن أبي محمد بن معروف ، فى الجانب الشرق ببغداد ، ثم فى بغداد جميعها ، ثم فى الجانب الشرق فقط . وكان حسن الحظ ؛ طلب للعمل بديوان الإنشاء قاي .

صلاحه وتقواه :

كان السيرافي — رحمه الله — مثلاً عالياً للعالم العامل ، جمع بين شرف العلم وحلية العمل ، كان تقياً تقياً يكثّر من قراءة القرآن ، ومن الصلاة بالليل ، والصيام بالهار ، وقد قيل إنه صام أربعين سنة ، وما قرئ عليه شيء فيه ذكر الموت والبحث إلا بكى . وكان زاهداً في الدنيا ، لا يقبل هدايا المظالم ؛ بل لم يأخذ أجراً على فتوى أفتاها ، ولا على درس عليه ، ولا على قضاء قضاءه .

وكان — رحمه الله — ورعاً ، لا يأكل إلا من كسب يده ، فكان لا يذهب إلى الحسك ، أو إلى إلقاء درس قبل أن ينسخ عشر ورقات من مخطوط يبيعها بما ينفعه على نفسه .

وقد طارت شهرته في جميع البلدان الإسلامية ، فكانت الرسائل تأتيه من ملوكها ووزرائها وعظماؤها ، يستفتونه في مسائل علمية ، ويخاطبونه بعبارة التبجيل ، ويلقبونه بالإمام ، وبشيخ الإسلام ، وبشيخ الشيوخ ، وبالشيوخ الجليل .

غير أنه كان ككل عظيم نابضة ، له خصوم ومنافسون ، وحساد يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . وقد ذكر لنا المؤرخون اثنين من منافسيه : أحدهما أبو علي الفارسي النحوي المشهور المتوفى سنة ٣٧٧ ، فقد حلق على أبي سعيد لما شرح كتاب سيويه ، وجعل الفارسي وأصحابه يحثون عن نسخة من شرح الكتاب لا تنقاده ، وإظهار عيوب وأخطاء يكون في إشهارها تشهير بالسيرافي وحط من قدره ، ولكنهم لم يوفقوا إلى العثور على المخطوط إلا في السنة التي مات فيها السيرافي ، عثروا عليه بالتي درم ، وقد جددوا في البحث عن عيوب وأخطاء الكتاب ، فما كانوا من المهتدين .

والثاني هو أبو الفرج الأصهباني صاحب كتاب الأغاني ، المتوفى سنة ٤٣٥ هـ

فقد هجما السيرافي بهذين البيتين :

لست صدرا ولا قرأت على صد ر ولا هلك البكي بشاف  
لمن الله كل نحو وشعر وعروض يحى من سيراف

مؤلفاته :

ينسب مؤرخو السیرافى إليه الكتب الآتية.

(١) شرح كتاب سيويه . ومنه نسخ خطية بالمكتبة الملكية المصرية ، لإحداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير . وقد انفع بهذا الشرح المستشرق الألماني « جين » ، في ترجمة كتابه سيويه إلى اللغة الألمانية ، الترجمة المطبوعة ببرلين سنة ١٨٩٤ م . وقد حل كتاب سيويه بهذا من هذا الشرح في طبعة المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١٦ هـ .

(٢) شرح مقصورة ابن دريد .

(٣) ألفات الوصل والقطع .

(٤) شرح شواهد كتاب سيويه .

(٥) المدخل لكتاب سيويه .

(٦) الإقناع ، في النحو ، كتاب لم ينسبه السیرافى ؛ لكن أمه ابنه يوسف من بعده .

(٧) كتاب الوقف والابتداء . كتاب يتعلق بقراءة القرآن .

(٨) صنعة الشعر والبلاغة .

(٩) أخبار النحاة البصريين . طبع في بيروت سنة ١٩٣٦ م مع تعليقات للمستشرق . ف . كرنكو . وقد صرح المصطفى في مقدمة كتابه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » أنه اطلع على هذا الكتاب واستعان به في مؤلفه .

(١٠) كتاب جزيرة العرب ، كتاب اعتمد عليه ياقوت في تأليف كتابه « معجم البلدان » .

# التقليد وفطره

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

(تمت)

- التقليد في الأمور العامة
- التقليد في العلم والدرس
- النتيجة العامة للبحث

من البلاء المبين أن يعمد التقليد من الأفراد للجماعات المختلفة ، وإلى هذه الامة  
مثلة في الاداء التي تدبر أمورها العامة ، وهي ما تعارفنا على تسميته بالحكومة .  
وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن المغلوب مولاتع دائماً بتقليد الغالب ؛  
إذ يمتد في الفسوق في التقاليد والعوائد ومذاهب الحياة ، وأن هذا هو السبب  
في ظموره عليه . وهذا مع صحته في الماضي والحاضر ، لا يمنع من القول بأن  
الإفراط في تقليد أوربا في عامة شئوننا ، لا يجعل منا أمة لها شخصيتها التي يجب أن  
تقوم على ما تحرص عليه من دين ولغة وتاريخ وتقاليد خاصة بنا .

إن من البلاء المبين أن تقليدنا للغرب لم يقف على الأفراد ، أو على ما هو  
ضروري من الأمور كالصناعات والوسائل الفنية ؛ ولكن تعدى هذا وذاك  
إلى العادات والتقاليد التي ترجع في أسسها إلى الدين ، كما سبق أن تعدى إلى  
الشرائع والقانون .

وفي الساحة العلمية ، تدور في الأزهر في حلقة مفرغة من التقليد ، لا تدرى  
آخرها من أولها . نجد هذا الكتاب في هذا العلم أو ذاك لا يختلف عن الآخر  
إلا بشيء من التغيير في الوضع والترتيب . أما الأفكار والآراء فهي هي ، قد

جددنا عليها فلا نبغى بها بديلا ، بل صرنا من التقليد إلى أننا لا نستطيع الوصول إلى هذا البديل لو أردناه !

وكان من هذا أن ندر بيننا الكتاب الممتازون والفقهاء المشرعون ، مع كثرة من يحدق فينا علوم اللغة والفقه ! وأن صار لنا كثير من العلماء بالمنطق والتوحيد ، وليس لنا من حاول إصلاح المنطق القديم كما حصل في أوروبا ؛ ولا من حاول أن يجعل علم الكلام هليا يتناسب وعقليات العصر ويهتدى به الضال ! وكان من هذا أيضا أننا نجمع على أن الإسلام دين الله الحق الصالح لكل زمان ومكان ، ومع هذا لم نحاول حتى الآن عرضه كما يجب : صفيده وتشريعا وأخلاقا واجتماعا واقتصادا . أقول ، واقتصادا ، عامدا ، لأن الإسلام ، وهو دين شامل عام ، وفق هذه الناحية حقها ، هذه الناحية التي تعرق العالم اليوم معسكرين متعاديين ، وله طرقه الحكيمة الناجمة في معالجة مشكلة الطبقات ، وما تجره من مشاكل الفقر والجبل والمرض . وعليها نحن استخراج مذهبه في هذه الناحية لثقي العالم — على الأقل الشرق والإسلامي — خطر الشيوعية والانحلال وحرب الطبقات ، ولكننا نكتفي في هذا السبيل بدعوى عريضة نرسلها وقرارات نصدرها .

يا قوم ! إن الأمر خطير ، ولا يحل هذه المشاكل قرارات تصدرها لجنة الفتوى أو الأزهر كله بهيئته المختلفة .

علينا ألا نكتفي بالدعوى ، وبالركون إلى الموجود من المؤلفات في الإسلام ، نقلها بين أيدينا كأننا نقلب جسيما ، لأحياة فيه تنفع في هذا الزمن ، علينا أن نكتب كتبنا جديدة ، نعرض فيها الإسلام من تلك النواحي ، ونبين فيها كيف يجب أن نعمل لتحقيق العدالة الاجتماعية : فإنه لا نزول هذه الفوضى ، ولا يمكن أن تنق الشيوعية إلا بالقضاء على سبيلها الوحيد وهو الظلم الاجتماعي ، فذلك سنة الله التي لا تبدل لها .

بذلك نكون قد أدبنا واجبا كبيرا للامة وللإنسانية كلها ، وبذلك نستطيع أن نكون صالحين قدامون مع مثل المسيحية : لتكوين جبهة لمحاربة الإلحاد والمبادئ الهدامة . أما بالصكوف على القديم وحده ، وبالتقليد في كل شيء حتى

في التفكير ومناهج الدرس ، فلن نستطيع أن نصل إلى خير ، ونكون جناة على أمتنا وأبنائنا جناة يثقل علينا حملها ووزرها .

إنها جناة أن نحمد على ما ورثناه عن أسلافنا من تراث ، فلا نتناوله بالتعديل والتغيير ، مستهدين بتقدم العلم وحاجات العصر ، ولو لمنى أجدادنا العظام بما كُمنينا به منذ قرون من جمود وتقليد ، لما كان لنا اليوم إلا مذهب واحد في الفقه والتشريع ، وعلوم الكلام والفقه والتفسير مثلا .

إن من الواجب أن نرفع الصوت بأن كل من تقدمنا في الحياة ، ما عدا الأنبياء والمرسلين فيما أرسلوا من أجله ، يصيرون ويخطئون ، فلا معنى إذا للتقليد في كل شيء ، ولعل بعضنا يكون أفهم للأمر ، وأقرب للحق وأهدى للمسواب من كثير من هؤلاء السابقين . ومن أجل هذا ، يكون واجبا على كل منا أن يستعمل عقله فيما وُهب له من أجله ، وأن يطلب لنفسه الاستقلال في الرأي الذي يتبعه الاستقلال في الشخصية ، وإلا كان مقصرا في طلب الكمال الذي جعل الله له وسائله .

\*\*\*

هذا ، وإذا كان لكل حديث نهاية ، ولكل بحث غاية يهدف إليها ، فيأبى أحب أن أجمل هذه الغاية أو النتيجة في كلمات :

١ — لو لم يكن من غرائز الإنسان أو من طبيعته التقليد ، لكان عيباً كل العصر ، إن لم نقل متعذراً في كثير من الأحيان ، أن يصل الإنسان إلى كثير من المعارف وإتقان كثير من الأعمال . ولولا هذه الظاهرة الطبيعية ، لعز على المرء أن يبلغ بطفله أو تلميذه إلى ما يريد له من كمال .

٢ — ولكن ينبغي أن نحذر في الإفادة من هذه الفريضة ، فلا نسرف في التقليد ، وبخاصة فيما لا نعلم علم اليقين أنه خير ، فذلك إثم أكبر من نفعه ، وحسبنا أنه ينتهي بحسب شخصية المقلد ، وصيرورته تابعا لتأثيره في تفكيره وطرائق حياته الاجتماعية على الأقل .

وما ينبغي لأحد منا أن يتعلل بما يذكره بعض رجال المذاهب الأخلاقية ، من أن سعادة المرء في أن يحسن التكيف بما تكون عليه يدهته ، أى في القدرة

هل هذا التكيف وإحسانه في غير غنى أو مشقة . ما ينبغي لنا ذلك ، لأنه فرق كبير بين رعاية البيئة أو الوسط الاجتماعي فيما هو خير ، وبين الانطباع بهذا الوسط خيره وشره ، كما هو ملحوظ في حالات كثيرة في هذه الأيام . إن منا من يغير رأيه في هذه المسألة أو تلك ، بعدد ما يغير من مجاله أو جلساته مع غيره .

٣ - من الواجب ، ونحن في نهضة اجتماعية ، ألا يكون الواحد منا مادة تتفعل بغيره ، وبما يكون من ذلك الغير من أحداث ؛ بل يجب أن يكون المرء في نفسه قوة تفعل ، قوة لها أثرها الطيب هنا وهناك .

\*\*\*

إن عامة الغربيين يرون فينا ، معشر الشرقيين ، جماعات لم تبعد لها كيان مستقل ولا شخصية خاصة ، مادام الكل يرى في الغرب مثله الأهل يقتلده في أكثر طرائق الحياة ؛ أما الخاصة من رجال الغرب ، أعي العلماء الذين لهم بصير يتجاوز ظواهر الأمور إلى حقائقها ، فيرون أن هذا الانبعاث من الشرق للغرب اتباع ظاهري ، وأن للشرق وراء هذا روحه الخاصة به ، هذه الروح التي لا تلبث أن تظهر من جديد ناصعة ، قوية يفيد منها الشرق والغرب معاً ، بعد أن صار هذا الأخير - وقد أهككت قواه الفلاسفة المادية - بحاجة إلى بعث جديد يقوم على روح جديد ، يلتمسونها لدى الشرق والإسلام .

فلنبين إذاً لصاعة الغربيين خطأ ما يعتقدون من أن الشرق أصابع روحه وشخصيته في تقليد الغرب ، ولتحقق للخاصة منهم ، وهم العلماء الذين لهم بصير مافذ ، ما يعملون على التماسه لدينا من خصائص في الطابع والشخصية والروح ، لا أقوام للشرق بدونها ، ولا غنى للغرب عن الاستفادة منها .

بهذا يعود من الممكن لنا أن نحفظ بما لنا من كيان خاص ، ونساعد العالم على اجتياز المحنة التي تطعنه طحناً هذه الأيام ، ونكون قد ساهمنا في تقدم العالم وسعادته ، وفاقه ولي التوفيق .

# مَكَارِمُ الْإِخْلَاقِ

## بين الفلسفة والأدب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر ذكرى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

### الفصل الثاني

وفضيلة العدالة صفة إنسانية تتفاضل وتتفاوت تبعاً لأسبابها ومقوماتها في النفس الإنسانية .

وهذه الأسباب والمقومات ، إما أن تكون أموراً كسبية إرادية ، كالتهذيب في شتى ضروبه وأشكاله ، وإما أن تكون أموراً جبرية وهبات لا دخل للكسب فيها ، كركة الطاع ، ودمنة الخلق التي تظهر أحياناً مبكرة في الطفولة الإنسانية ، إما بعامل الوراثة ، أو بعوامل أخرى عليها عند مبدعها وخالقها تعالى . ولا بد لكمال فضيلة العدالة من تضافر هذه الأسباب والمقومات جميعاً ، لإخراج شخصية إنسانية ، كاملة الدلم ، موفورة الذكاء والانتباه ، مهذبة الفرائز ، تدرك تمام الإدراك ، العاية التي خلقت لها والطريق الموصل إليها ، وثق كل الثقة في الخلق العلياً ومرامها السامية ، وتغرق بين مطالب الأمانة الفردية ، ومبادئ الواجبات الاجتماعية بمحدود واضح المعالم ، وترتبط مع مجتمعها برابط وثيق من الشعور المتبادل ، أو ما يسميه علماء النفس وعلماء الاجتماع : المشاركة الوجدانية ، عالمة تمام العلم بما لها على المجتمع ، وما للمجتمع عليها من حقوق وواجبات ، وتشمع شعوراً واضحاً مطرداً بما للإنسانية من قيم ذاتية .

أما عندما تنعدم تلك الأسباب والمقومات كلها أو بعضها ، فإن صفة العدالة تنعدم كذلك من الشخصية الإنسانية ، فتزل من درك إلى درك ، حتى تنحط إلى مستوى البهيمية والوحشية ، شأن الهديج الطمعة ، الذين لا يعيشون على أديم الأرض ، إلا ليبتلوا تنازع البقاء بأغس الوسائل وأقبح المظاهر . وهذه الحال

هى ما يسميها بعض الكتاب : « شريعة الغاب » . وعندى أن شريعة الغاب  
تظلم ، إذ يشبه بها ذلك النوع البشع من السلوك الإنسانى . إن حيوان الغاب  
لا يمدو غالباً إلا بدافع الحاجة الملحة ، والجوع المستمر ؛ هل حين أن الظالمين  
من بنى البشر يندفعون إلى ذلك بعامل بطر الغنى وأثر القوة ، إن الإنسان  
ليطغى ، أن رآه استغنى .

وإن الذين تستهويهم شياطين الجبل والغرور والإدلال بالقوة والجماه  
والوصول ليحسبون أنفسهم دائماً ، خلقاً آخر لا يمتون إلى العالم المحيط بهم  
بصلة ولا يربطهم به سبب ولا نسب . ولو رجع أولئك الأغرار إلى طبيعتهم  
العاقلة وأجادوا التبصر والفهم ، لأدركوا تماماً أنهم مرضى الجبل والهوس  
والكبرياء وحب الظهور والتعالى الكاذب ، الذى يحيل إليهم أن الإنسانية كلها  
تحت مواطيتهم أقدامهم ، وعلى أشلائها يجب أن تحتك هاماتهم بنجوم السماء ؛  
شأن فرعون إذ قال : « يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات ؛  
فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذبا . وكذلك زين لفرعون سوء عمله . . . »

ولو أحسنوا التبصراً أكثر فأكثر ، لعلوا أن هذا الشذوذ الخلقى الغبى الوخيم  
الاعمى ليس إلا مرضاً لا يخفى على ذوى البصائر من محاطيهم ومواطنيهم ، وإن  
من بين الانظار المصرية إليهم أنظار ساخرين وصاحكين ومستهزئين ، بينما يظن  
البلهاء أنها جميعاً أنظار مكبرين وممجين .

ولو أمتعوا فى التأمل لعلوا أنهم لو اقتطعوا وأفردوا أفراد البعير المبعد  
عن أولئك الدين يحقرونهم ، ويعدون على قدسية حقوقهم من إخوانهم  
ومواطنيهم ؛ لما تواروا ولا كانوا أحقر من قلامة ظفر . . . نعم . لو أمتعوا  
فى التأمل وأدركوا ذلك لهانت عليهم أنفسهم وقدروها حق قدرها ، ووقر  
فى نفوسهم أنهم كبقية الخلق ، من طين وماء ، وأن عليهم للناس حقوقاً بقدر  
ما لهم من واجبات ، وأن العدالة خير ميزان ينصفهم من الناس وينصف الناس  
منهم ؛ فيعيشوا سعداء ويعيش بهم بحتمهم سعيداً قرير العين ، تسعهم جميعاً رحمة الله  
وتفيض عليهم نعمه ظاهرة وباطنة .

ولست فضيلة العدالة - لمؤ حظ الإنسانية - بالفضيلة التى يسهل الحصول  
عليها ، ويتأتى الوصول إليها بأيسر الاسباب وأهون الكلف . إنها ، على الضد

من ذلك ، وعرة المرتقى عالية الذروة . هي فضيلة الحكماء الحقيقيين ، وصفة  
الامراء الداهيين ، وتاج الملوك الموضفين ، وحلية الرؤساء البارزين ، وسلاح  
الساسة الناجحين . ولا بد للحصول عليها من منبت شريف ونسب زكى ووراثة  
نقية من الفوائد ، وهمة نزاعة الى الممالى . أما الظلم فإيسره وأكثره ، إنه  
كأشواك أودية العوسج ، يكاد يمد على الإنسانية مسالكها ، وينقص عيشها  
ويقض مضجعها .

أما أثر العدالة في الجماعات الإنسانية ؛ فإن التاريخ يرينا بلاء أهينا أنها أم  
ال عمران ، ودعامة الجراح وسبيل التقدم في مدارج الحضارة ، وأوثق وسيلة لبلوغ  
الامم أوج العظمة والمجد الباذخ ؛ كما أن الظلم كان ولا يزال سبب الفشل والخراب  
والانحطاط والضعف والتدهور إلى حضيض الهون .

ولقد ضرب الله سبحانه لنا في كتابه الكريم ، أمثال أمم بادت وانقضت  
بمامل الظلم والعدوان وتآسى فضيلة العدالة السامية ، لقد كان لبأى مكنتهم  
آية : جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور .  
فأعرضوا ، فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل حط وأنل  
وشىء من مسدر قليل ، ذلك جزيناكم بما كفرتم ، وهل نجازى إلا الكفور ،  
وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ؛ سيروا  
فيها ليلالى وأياما آمنين ؛ فقالوا ربنا باهد بين أسفارنا ، وظلّوا أنفسهم ، فجعلناهم  
أحاديث ، ومرفقام كل يمزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور .

كذلك أدال الله من دول بلغت أوج المجد ، ثم فسدت طوية أهلها فتظالموا  
وتقاطعوا وتفاخموا على أنفسهم كالقياصرة والاكاسرة الذين عا الله ملكهم ،  
وحلص العالم من طغيانهم ؛ إذ أرسل عليهم جنود عدله حملة لواء الإسلام ، فأورثهم  
أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكانت عدالة الإسلام خير وسيلة لنقض جموعهم وفتح  
حصونهم ، وخير ملجأ ينضوى إليه المظلومون من عامتهم وخاصتهم ، والظلم  
مرآته ويبل وخيم لا يبق ولا يذر .

كانت العدالة أساس التناليم المحمدية السامية ، ورباط بجنمها الوثيق ، يقوم  
فيه الرسول الكريم بأعظم وأسمى قدوة عرفت لمعلم أخلاق على مر القرون .  
كان يعدل بين الاسود والابيض والاحمر والاصفر ، لا فضل لعربي على عجمي

إلا بالقوى ، . رسالة تضمن الحق لكل من ثبت له صفة الإنسانية . لا تفاخر ولا تعاول ولا تعاظم إلا بالعمل الصالح المتواضع والخلق السامى الركين ، سماحة وحبر وعز ودياسة وهدى وإرشاد لا ظلم ولا انتقام ولا طغيان .  
وكان خليفته الأول أبو بكر رضى الله عنه الساج على منواله ، والسائر على هديه ، والذي يرى القوى ضعيفاً حتى يأخذ الحق منه ، والضعيف قوياً حتى يأخذ الحق له ، والذي يرى نفسه مشغولاً حتى عن عدوان ذنب على شاة لأحد الرعية ، ولو كان بأقصى ملكة الإسلام الواسعة . وهل بمد هذا دقة في الثمور بالمسئولية واستشعار العدالة ؟

أما عمر بن الخطاب عليه رضوان ربه ، فكان أبعد الخلفاء في ذلك غوراً وأخلاقهم سيرة . إن صحائف تاريخه الناصع تروى لنا أنه ما كان يسمح لنفسه يوماً أن تستغمر لها مبرة على أحد من رعاياه . كان يسمع اللوم والقرع من كل من يتقدمه نقداً عادلاً لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين حر وعبد ، ولا بين كبير وصغير . وحبينا عدالة بحاكم كان يسهر الليل جواب آفاق ، والناس نيام ، ليستوضح أحوال الرعية ، ويلبس بنفسه من وراء الحوائط آلام البائسين ، ويقف على خللات المعوزين ، غير منتظر منهم ولا من أعوانه لمصالحها إليه في مجلس عدله . لأن من الناس من يقبح يؤسه ، ويستر جرحه الزاف قصونا وضنا بالكرامة : ومن الأعموان ، مهما أخلصوا من لا يستر يمثل ما يستر هو به من عظم الوزر وجلال المسئولية ، فمن ذا الذى يستطیع أن يغط له اللثام عن كل شاردة وواردة من آلام رعيته ، إلا أن تكون نفسه الحساسة بمواضع الآلام ؟ ولرب يؤس في الحياة مقع أربى على يؤس بغير قناع . وبهذا كان أكثر من أب حذب على أبنائه يعدون بالملايين .

ومن أبدع ما يروى عن عدله الدقيق : أن بعض رعاياه ، كانوا ينزلون بداره ضيوفاً ؛ فيصيبون من طعامه الذى يقدم له ما يجعلهم يأفون على حظهم ، لفوات ما كانوا يقدرون أنهم سيألفونه هل مائدة خليفة واسع السلطان من الطيبات . ولكنهم لو علموا أن رجل العدالة رجل قلب لا رجل بطن ، وأن له من لذة الإيمان بالعدل ما تنفقه معه أطايب المطاعم والمشارب ، وجميع لذات الدنيا ؛ لما عجبوا ولا دهشوا .

ولقد كان أقرب خطم الرهبة من يده القوية خطام أهله وعشيرته الاذنين ؛ يتخذ منهم هدفاً لمضى العدالة ، يراه الناس ، فيأتسون ويؤمنون ويعملون ويخلصون . وأية ثقة بعد الثقة بحاكم يقدم عند الشدائد نفسه وأهله ، ويقدم عند المخاطر سواهم . ليقم حجة العدالة ناصعة سافرة كالشمس الطلقة رآد الضحى ؟ ومن يُرد عجائب عدله فليرجع الى صفحات التاريخ فإنها تجب الدهر .

ومن بديع مآثور التاريخ في هذا المعنى ما روى من أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل ، كان يقتر على نفسه حتى لا يمس درهما من مال الدولة بغير حقه . وراق له يوما أن يستنبر خادمه بعض ما لا يعلم من أحوال الرهبة فقال له : « ماذا يقول الناس فيما بعد أن صار هذا الأمر إلينا ؟ ، فأجابه الخادم في حدة وغيط : « وماذا يقولون ؟ والله لقد كنا قبل هذه الخلافة أسعد حالاً منا بعدما . . . وهنا بدا للخليفة الصالح أن خادمه يكابد من العيش ما لا قبل له بمثله ، فأحسن اليه وسرحه مرأحاً جميلاً ، وقال له : « أنت حر مطلق وسأبقى أنا فيها حتى يكتب لي الله عنها مصرفاً . . . وقد بقي فيها ما شاء الله أن يبقى دون أن يجيد من سبيله القويم ؛ حتى وافاه أجله ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن الطرائف في تحرى العدل ما روى : أن المأمون الخليفة العباسي كان يوماً يمشى قاضيه على طريق في بستانه . وكان القاضي يستره من الشمس بظلة ، فلما أراد الرجوع ، حاول القاضي أن يظل ناحية الشمس ليبقى ستاراً له ، فأبى المأمون إلا أن يكون ستاراً للقاضي واحدة بواحدة . فقال له القاضي : « يا أمير المؤمنين لو استطعت أن أقيك بنفسى من حر النار لفعلت ، فقال المأمون رحمه الله : « نعم ؛ ولكن ليس ذلك من كرم الصعبة . .

وبعد ، فهل يحسن بمعاقل يحترم نفسه وإنسانيته أن يحمل قيمة العدالة ، وما لها من آثار صالحة في سعادة الأفراد والمجتمعات ؟

العدالة فضيلة أساسية تقتضيها جميع المعاملات الاجتماعية ؛ تقتضيها علاقة المرء بأهله ، وعلاقة الجار بجاره ، والقريب بذوى قرابته ، والرئيس بمرؤوسيه ، والحاكم بمحكومييه ، وكل مواطن مع مواطنيه ، حتى يكون السبيل أهدى والطريق أقوم . نسأله تعالى الهداية .

# الطفولة الضائعة

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغي

مدير المكتبة الأزهرية

لا أتوجه بكلمتي هذه إلى الحكومة ؛ فأنبها إلى ضرورة العناية بهؤلاء الأطفال ، الذين قدر لهم لأسباب كثيرة أن يشرذوا في حياتهم ، ويهيموا على وجودهم في مسالك الأرض حيارى محرومين من نعمة الرعاية والتوجيه ؛ ولا أتوجه إلى وزارة الشؤون فألفت نظرها إلى وجوب جمع هؤلاء الأطفال ، والامتطالع بتربيتهم وتعليمهم في مدارس خاصة ؛ ليكونوا بعد ذلك أعضاء نافعين في جسم الوطن ، بدل أن يكونوا أداة إجرام وإفساد تهدد أمنه وتشوه جماله ؛ ولا أتوجه إلى مصلحة السياحة ، فأدله على مواطن الخطر على سمعة الوطن إذا وقعت أنظار السائحين عليهم ، يستجدونهم ويتعبون أنظارهم وأنفسهم بمنظرهم وميثاقهم ؛ لا أتوجه إلى هذه الجهات فهي جد عديمة بمشكلاتهم ، دائمة البحث عن علاجها ؛ وإنما أتوجه بكلمتي هذه إلى أصحاب الشأن الأول ، والمسؤولين بالأصالة عنهم ، وأعني بهم أولياء أمور هؤلاء الأطفال ، الذين خلقوا هذه المشكلة بدافع من شهواتهم الوقتية ، غافلين عن مسؤولية الآباء نحو أبنائهم ديناً ومسروعة ؛ أتوجه إليهم لأحسبهم باسم الدين لأباسم القانون ، والدين أنجمع وأبعد تأثيراً في نفوسهم من القانون .

أحسبهم باسم الدين ، فأقول لهم : إن الدين أوجب عليكم العناية بأطفالكم ، والجهاد في سبيل معاشهم وتعليمهم ، وأوجب عليكم أن تؤثروهم على أنفسكم ، ووعظكم على هذا الجهاد المعونة في الدنيا والجزاء في الآخرة .

إننا نعلم أن كثيراً من أولياء أمور هؤلاء الأطفال ، يؤثر نفسه على أبنائه

بما قدر له من رزق أوليته يؤثرها عليهم فيما يورثه خيرا في صحته أو عقله أو خلقه ؛ لكنه يؤثرها في شهواته الوضيعة ، وفي لذات تورثه صيق اليد ومرض الجسم ، وذل الحاجة . كثير من أولياء أمورهم يكدر يومه ثم يذهب بما جمعه لا إلى منزله وأولاده ، ينجز لهم ضروراتهم المعاشية ، بل يذهب إلى أوكار المخدرات أو مواطن الفجور ، يتمتع نفسه ويرضى مزاجه ؛ كما يقولون ، ثم يخرج كفافا وعليه آثام كثيرة في حق نفسه وحق أولاده وحق أمته ، ويدفع بأبنائه إلى طرق الذل والمهانة ، يسرقون ويستجدون ويحرمون ، ويدفع بزوجه كذلك إلى الامتهان بالخدمة ومسالك الرية .

إلى هؤلاء نقول : إن الدين جعل عليكم مسئولية العناية بأبنائكم في معاشهم ومعادهم ، وإلنه سبحانه سيحكم عليهم ويماقبكم على التفريط فيهم ، وإهمال شئونهم ، ويجزل جزاءكم على الجهاد في تربيتهم والإنفاق عليهم ، وإعدادهم للمستقبل الكريم .

وبشر الذين يجاهدون في معاش أطفائهم وتربيتهم تربية سالحة ، بأقرب المنازل عند الله ؛ فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال » ، وقال : « من حسنت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كباثنين - يعني أصبعيه - » ، وقال : « من كان له ثلاث بنات ، فأفق عليهن ، وأحسن إليهن حتى يغتنين الله هنه ، أوجب الله له الجنة ، البتة البتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له » ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ووضعت إلي فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابتناها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأها ، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله قد أوجب لها به الجنة ، أو أعتقها به من النار » .

وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو : تعلمون عملا هو أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا ما نعلم ذلك . قال أنا أعلم . قالوا فما هو ؟ قال : رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل ، فنظر إلى صبياته قياما متكشفين ، فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه .

وأُمِر الذين يهملون أطفالهم ويصيغونهم بالعقاب على ذلك الإثم ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عن يملك قوته » . ونقول لهم باسم الدين إن الدين لم يجعل شأن الزواج رهناً بهوى النفس ، وسلطان العاطفة ؛ فيزوج الرجل متى شاء بمن شاء : بل قيده بقيود كثيرة من أهمها القدرة على المهر والإعاق ، ومطالب الديش . وطلب إلى الفقير الذي لا يجد ما ينفقه على زوجته وعياله ، أن ينتظر إلى الميسرة ، حتى لا يضطره ضيق اليد إلى الكسب الحرام والوقوع في الحرج والإعنات ، فقال تعالى : « وليستغفب الذين لا يجدون فسكاحا حتى يغفبهم الله من فضله » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وقد أباح بعض العلماء منع الحمل بسبب الخوف من كثرة الحرج ، بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ، ودخول مداخل السوء ، فإن قلة الحرج معين على الدين .

تمثل هذه الآيات والأحاديث وأقوال العلماء تحدثت إلى أولياء أمور الأطفال ، لئلا يتركوا نفوسهم الماطفة الدينية نحو أبنائهم ، حتى يستشعروا المسؤولية التي ألقتها الشريعة على كواهلهم في سبيل تربيته ، وإعدادهم لحياة كريمة ، يرضاهم الإسلام لأهل .

هذا وإن إخواننا الوعاظ أقدر منا على الحديث ، وأبعد أثراً ، فارجو أن يتحدثوا إليهم في الأحياء المناسبة ، والأوقات المناسبة ، كما أرجو أن يستجيب هؤلاء لدهوة الدين بعد أن استمعوا على دهوة القانون .

## الدنيا

قال أبو نواس :

وما نحن إلا هالك وابن هالك      وذو نسب في الهالكين هريق  
إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت      له عن عدو في ثياب صديق  
فكان المأمون يقول : « لو قيل للدنيا صني نفسك ما عدت هذا البيت » .

# صِنَائِعُ الْمَعْرُوفِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ،  
والصدقة خفياء تطفي غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر ،  
وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ،  
وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، وأول من يدخل الجنة  
أهل المعروف » .

رسول الله ، وإمام هذه الأمة ، سيدنا المصطفى المختار ، يحيط هذه الأمة  
بسياج من الفضل ، ويوثق بين أفرادها برباط من المحبة ، ويجمعها على ألفة  
لا تفصم ، يفيض عليهم من نور النبوة ، ويلبسهم من نسج الحكمة ، وينثر عليهم  
من عذوبة ألفاظه ، وسحر بيانه ، وجرامع كلمه ، ألوانا فيها متعة السمع والنفس  
والفؤاد ، وفيها هزة الدنيا وسعادة الآخرة .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن من الناس لا يستجيب لهذا التوجيه الحازم ؟ فإن في الحياة مزالق  
وهزات ، وإن في الحياة أحداثا تفرح على المظلمين بآبه ، ثم تثب ، فتدفع في حنف  
وتصرع دون إشفاق ، والذي يقف هذه القوارع ، ويدفع تلك المصارع ، إنما  
هي صنائع المعروف ، فهي الوقاية من لفحات هذه المهلكات ، وهي العصمة من  
تلك الكيوت القاصيات .

فإذا كانت هناك يد تمتد بالمعطاء في الخفاء ، ليست بذات من ولا رياء ،  
وإذا صدق البر بالأقارب ، وتابعت صلة الأرحام ، وإذا أغيث الملهوفون ،  
وفرج المكروبون وانتصف للظالمين ، وأخذ على أيدي الظالمين ، كانت تلك  
صدقات ، وكانت هذه منافع ، تقبل المتمر من عثاره ، وتكفل النجاة من هذه  
الأحداث .

وصدق رسول الله ، كل معروف صدقة ، فليست الصدقة قاصرة على بذل  
المال ، بل الصدقة مال وجاء ، والصدقة حب وحفظ ، والصدقة تزاور وتألف ،  
والصدقة عدل ونصفة ، والصدقة كف عن الأدنى ، ورد عن الشر .

روى البخارى ومسلم عن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال :

« على كل مسلم صدقة ، قيل أرأيت إن لم يجد ، قال يعمل يديه فيبغ نفسه  
ويتصدق ، قال : أرأيت إن لم يستطع ، قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال .  
قيل له أرأيت إن لم يستطع قال : يأمر بالمعروف أو الخير ، قال : أرأيت  
إن لم يفعل ، قال يمسك من الشر فإنها صدقة . »

مها هو ذا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اعتبر كلا من هذه  
الاحمال صدقة .

وما دام كل معروف صدقة ، فالمتصدقون هم أهل المعروف ، هم الذين  
استجابوا لدعوة الحق ، واستطابوا بحبة الخلق ، عرفهم الناس في الدنيا أبرارا  
أخيارا ، يصلون فلا يقطعون ، ويدلون فلا يمسكون ، ويواسون فلا يتبرمون ،  
وهؤلاء هم أهل المعروف في الآخرة ، يشهدهم المخلوقون وهم في رحمة من الله  
ورضوان ، جزاء ما عملوا ، وكفاه ما بذلوا ، وما فعلوا من خير فلن  
تكفروه . ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ،  
ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . »

أما أهل المنكر في الدنيا ، أما الذين أظلمت قلوبهم ، وقست قلوبهم ، وعصت أسرارهم ، وساءت أفعالهم وأقوالهم ، فبدلوا من الوصلة قطيعة ، ومن البر لجورا ، وأحالوا الوفاء نقضا ، والولاء بفضا ؛

أما هؤلاء الذين ولغوا في الأموال ، فلم يشبههم حرام ولا حلال ، والذين ذهبوا في الأعراض ، فلم تقدم فضيحة ولا نكال ، أما الذين أنكرتهم الدنيا ، لأنهم تسكروا لأهلها بالبنى والعدوان ، والطمع والجشع ، فهم أهل المنكر في الآخرة ، لا يحدون من المال إلا حرمانا ، ولا من القوة إلا هوانا ، ولا من الأمن إلا ذعرا ، ولا من الأمل إلا خسرا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . .

\*\*\*

ثم يحتم الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، قوله بأهظم بشرى يتلقاها الناس ، بأن أول من يدخل الجنة أهل المعروف ، يتمتعون فيها بذلك التمتع الدائم الذي لا ينقضى ، وبهذه الألوان من التكريم ، الذي يلقونه بين يدي ربهم ، في جنة عرضها السموات والأرض ، يحلون فيها من أساور من ذهب ، ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ، متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتقا . .

وبعد :

فهذه صفات أهل البر ، لمن شاء أن يحتذيها ، وتلك ثمار الخير لمن رغب أن يحتذيها ؛ فإنها جمال الدنيا وهزة الآخرة .  
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . .

إذا أعجبتك خصال امرئ      فكفه يكن منك ما يعجبك  
فليس على الفضل والمكرمات      إذا رُميتا حاجب يعجبك

# الأدب الديني

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم أبو الحشب  
المدرس بكلية الشريعة

خطر بذهني هذا العنوان ووددت أن أكتب فيه كله ، وقد ترددت بادىء ذي بدء ؛ لأن الأدب هو الأدب في كل شريعة ومنهاج ، وأسلوب وتفكير ، ولون وتصوير ، فلا يمتاز الدين بطابع من الكتابة على غيره من أنواع السلوك أو الأخلاق .

ولا يعدو الأدب أن يكون ديباجة طليعة ، وبياناً سريعاً ، وألفاظاً مختارة ، وجملات مناسكة ، وليس لتعشق القراءة ، راعب في الاستفادة ، متمطش إلى الفهم والتحصيل ، أن يقول هذا شعر يحتاج عقيدة ، أو ينتصر لمذهب ، أو يدهو إلى غاية . وإذا كان هجاء ابن الرومي وحماد وبنار والمنفي لم يمنع القارئ أن يشاققه ، ويوقف على أطلال حسنه ، ورسوم جماله ؛ فإن المتأدب يجب عليه أن ينشد الأدب في كل دين وملة ، وعلم وفق ، وكتاب وكاتب ، وزمان ومكان ، وجيل وقيل . وهكذا قضية المنطق ، ودعوى الحقيقة ، ودين أصحاب ما يجب أن يكون ، وقد عرف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يحب هذا النوع من الأدب ، ويرغب فيه ، ويثيب أصحابه عليه ، وإذا لم يكن الشعر يبحث على فضيلة من الفضائل ، ويُفحص في رذيلة من الرذائل ، نفر منه ، ولوى أذنيه عنه ، وكان يطارد المهجائين ويتوعدهم ، ويذرم بالويل والثبور ، إذا لم يكونوا سلباً وسلاماً على الناس ، وربما كان النبي صلى الله عليه وسلم — كذلك — من أصحاب هذا المذهب فيما كان يستشده عائشة رضي الله عنها ، وفي قوله : إن أصدق كلمة قالها شاعر ، كلمة لبيد : « الأكل شيء ما خلا الله باطل » .

إلا أن القوم دأبوا على أن يفروا من الأدب الديني ، كما يفرون من الدين نفسه ، كأنه رجسية وجود ، وتأخر وانحطاط ، ولا يعنى بهذا الطابع من الأدب إلا الذين يرتزقون من التسواشيح ، يفتنون بها في الأذكار ، أو البردة والهمزية يتركون بهما عقب الصلوات ، وفي ساعات النجلى ، حيث تطيب الخلوة ، ويحسن الانفراد ، ويلذ للسكود الوحدة والانقطاع ، وعلى ذلك فإنه يجب اطراح قصائد الكهيت بن زيد الأسدي في آل البيت ، ونبت ما كان يسميه بعض أسلافنا الأزهرين ، فن المديح ، من تلك الروائع النبوية التي كانت ذوقاً من العاطفة ، وصوباً من الإحساس ، وفيضاً من الشعور ، ونوراً من الإيمان ، والتي بلغ من العناية بدراستها ، والاحتفال بشرحها أن كانوا يعقدون لها الحلق ، ويتخيرون لها الاوقات ، ويهشون للاجتماع لها ، ويفرحون بالاستاذ الذي يجعل صوته بيانها والكشف عن غامضها .

وكانت هي البقية الباقية من الأدب في الأزهر ؛ بل كانت هي المشرق الذي منه تطلع الشمس ، والافق الذي عنه يسجل الضياء ، استطاعت أن تربا خولا في البلاغة ، وأساطين في الشعر ، وجهاذة في صياغة الالفاظ ، وتتميق الجمل .

والتراجم التي بين أيدينا لأعلام النهضة الفكرية في العصر الأخير بعد اعتداء التتار ، وسقوط الخلافة ، للذين نهلوا من هذا المعين ، وساروا على هذا الدرب ، ولو ظلت العناية بهذه القصائد كما كانت ، والاهتمام بها على هذا الوجه ، يضيفها الطلاب إلى مجموع المتنون ، على غرار أسلافهم ، وطريقه أشياخهم ؛ لظلوا حملة اللواء ، ولكن فلسفة الجهل ، وخطرة التخبط ، وحماية الضلال ، وحى التجديد ، حينما سرت عدواها إلى صفوفهم ، وتعلقات جرائيمها في دماهم ، نفعت إليهم كل قديم ، وشوهت في نظرم كل حقيق ؛ فتمردوا على التاريخ ، وتناولوا على الماضي ، وتجاؤا ما يصلهم بالجدود ، وبفسهم إلى الأسلاف ، حتى الأدب مادام من هذا الطراز ، وعلى هذه الوثيرة ، ولا أعلم فيما أعلم سبباً لهذا البغض ؛ ودافعا لهذه الكراهية ، يتجاوز تلك المعاني ، مع أن أصدق مثال لهذا الأدب الذي

يتصلون منه ، ويقطعون أسبابهم عنه ، ويباعدون ما بينهم وبينه : القرآن ، وهو الكتاب الذي أحكت آياته ثم فصلت من لذن حكيم خير : سبحانه العرب بعد ما تحذوه فعبزوا ، وعارضوه فلم يستطيعوا ، وجروا في مضماره فكبروا ، وم سادة البلاغة ، وملوك اللسن ، ودماقين المتعلق ، وصيارفة القول .

وشوق وهو إمام المعاصرين ، وسيد المجددين ، لم يسجل اسمه في الخالدين ، ويعلى شأنه في السابقين ، أكثر من تلك الناحية في شعره التي يتنصر فيها للعقيدة ، وينافع من الحق ، ويؤيد الواجب .

وإذا صح ما يقوله بعض الناس ، من أن الأدب هو التصوير الجميل للمعاني الرائعة ، فإن في الدين خللا كريما ، وبجايا فاضلة ، ومزايا حميدة ، وسلوكا نبيلًا ، ونشرها حكيمًا ، كثيرا ما نجد في دقة تصويرها ، وحسن التعبير عنها ما يسمو بالأدب إلى أبد آفاقه ، وأوسع حدوده ، وأجل معانيه . . . ولقد كنت منذ حين أبالغ في إعجابي بقول النابغة يمتذر للثمان : « فإنك كالليل الذي هو مدركي ، حتى تذوقت قول الله جل جلاله ، وأحاطت به خطيبته ، فأيقنت أن ذلك هو السحر الباطلي ، والدياج الخسرواني ، وأن ما عداه فضول ، وقول مفضول ؛ على أن الأجانب الذين ينقلون عنهم ، ويترسمون خطاهم ، يبعدون » أدب الكنيسة ، ويحولونه من نفوسهم في مكان الإهزاز والاحترام ، والقداسة والتعظيم ، ويعتقدون أنه غنى بالخيال ، خصب بالنفكير ، يندارسونه ويتأقلونه ، ويؤدبون به أباهم وبناتهم ، كأنه وحى من السماء يلتفون حوله ، ويحتمعون على مائدته ، فهل يصيح الناشئون إلى هذا الرجا ، فيمودوا إلى الامتياح من ذلك النبع الصافي ، والمورد العذب ، تاركين وراء ظهورهم ما يقول الملاحدة من أن الأدب الديني ، أدب يدهو إلى الجود ، ويحمل على الرجعية ، ويسوق إلى حصر الجلال في أضيق صوره ، وأحقر ألوانه ، خصوصا هؤلاء الذين يعدون أنفسهم للذود عن الدين ، والدفاع عن حوزته ، فإنهم أمس به ، وأحوج إليه ، وأولى من غيرهم أن يحملوا رسالته .

# أعلام الأزهري

## المنفلوطي

١٨٧٦ - ١٩٢٤ م

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل النقي  
المدرس بكلية اللغة العربية

### نشأته وحياته :

« السيد مصطفى لطفى ، بن « محمد المنفلوطى ، ولد فى سنة ( ١٨٧٦ م ) بمدينة « منفلوط ، وإليها ينسب ، وقد انحدر من أسرة مريضة ، عرفت بالوجهة والحسب ، وتوارثت القضاء الشرعى ونقابة الصوفية زهاء مائتى عام ، أما أبوه فعربى واضح النسب يمتد إلى « الحسين بن على ، رضى الله عنها ، وأما أمه فهى وثيقة القرابة بأسرة « الحوريجى ، التركية الضاربة فى الشرف والمجد .

حفظ القرآن بالمكثب ، ثم اتجه إلى الأزهر فلتقى علومه به ، وكان معروفاً بين أقرانه بمجدة الذكاء ، وسلامة الذوق ، وصفاء الفكر ، وقد نزح إلى طريقة ارتصاها لنفسه غير الطريقة التى درج عليها أبناء الأزهر ، فكان يطالع الدروس على طريقة يخلص منها إلى تحرير الفكرة ، وتحديد الجوهر ، غير مهال بما يترشح من جدل ونزاع لفظى ، وأكب فى صباه على كتب الأدب يفتدى هواه ، ويروى فطرته ، فقد نشأ شغوفاً بالأدب مفتوراً على التقليب فى آثاره ، والتروى من رواته ومحاسنه ، ودرس فيما درس طائفة من كتب الطبيعة والحكمة والأخلاق ، وأقبل على الأشعار يحفظها والشوارد يتصيداها ، ونظم الشعر ، وحرر الرسائل وذاع صيته بين الناس ، وبين الأزهريين خاصة ، فقربه الإمام المرحوم « الشيخ محمد عبده ، ووجد فى ظلاله التوجيه النافع ، والهدى الموفق ، وما لبث « المنفلوطى ، أن اتسع له صدر الإمام فلازمه وصاحبه ، وتردد على درسه وغشى منزله ،

ودامت هذه الصلة الوثيقة عشر سنين ، كانت « المنفلوطي » غذاء لروحه ، وتوجيهاً لفكره ، وتعميداً لطريق حياته ، وأثمرت صلته بالإمام معرفته بالمرحوم ، سعد زغلول باشا ، فنهش له ، وقدر مواهبه ، وتفظن لما شب عليه من صفاء القريحة ، وسلامة الأسلوب ، فقر به ورعاه .

وقد بلغ من حب « المنفلوطي » للإمام وتعلقه به أنه انتبه مكاناً قصياً إلى أهله « بمنفلوط » حين استأثر الله بالإمام وأظلمت الدنيا في عيائه ، وابتنأس حين أوحشت حياته من لقائه .

ثم يدد عزائه النائية التي بكى فيها أستاذه وموجه « الشيخ محمد عبده » ، فراسل « المؤيد » برسائله الممتعة التي طالما أثلج الناس إليها أعناقهم ، واستشرفوا لفقائها ، وتزاحوا على ورودها .

وقد كانت ترد إليه رسائل من أقاصى البلدان تسأله أن يعالج موضوعاً ، أو يحلّ حادثاً ، أو يعلق على أمر ذي بال ، والناس لطلعها مشوقون .

وقد تأثر « المنفلوطي » بالشيخ « محمد عبده » فطبع بطابعه ، ونهل من شعوره ، وانصرف منصرفه في معالجة الشؤون وتناول الإصلاح الوطني والخلق والاجتماعي .

« وينجلي تأثيره به في الرحلة التي شن غارتها على المفاسد التي دخلت على الإسلام ، وفي دعوته إلى الإصلاح ، تلك الدعوة التي اصطبغت بالصيغة التي نجهدها في كثير من كتابات الشيخ محمد عبده <sup>(١)</sup> . »

وقد نسب إليه في أثناء طلبه العلم بالأزهر أنه هجا الحديو السابق بقصيدة نشرتها إحدى الصحف الأسبوعية لحكم عليه بالسجن ، وقضى به مدة عقوبته ، ثم شفع له بعض المقرئين لدى الحديو فعفا عنه ، ويرى بعض الأدباء أن القصيدة من عمل غيره ونسبت له .

ولما ولي سعد باشا نظارة المعارف عينه محرراً هريالها ، فأصلح من أسلوب الكتابة بها ، وأشرف على لغة الكتابة وتعمدهم بالرعاية والإرشاد ، حتى إذا

ما حول ، سعد ، إلى نظارة الحقاينة استصعبه معه لمثل هذا العمل ، فكان له فضل عظيم في ترقية الكساية وتقدم لغتها ، وتخلصها من الركة والمجمة والضعف بقدر ما وسعته الجهود ، وبعد عامين فصل من هذا العمل .

ولما انعقد البرلمان ، غير . كاتم سره . ، وكان القدر قد أراد أن تطغى شعلة ، فضى إلى ربه في العقد الخامس من عمره عام ١٩٢٤ م

وكان رحمه الله على النفس ، عزيزاً متوفراً ، يحيا صفائر الأمور ، ولا يتعلق إلا بجلال الأعمال ، نزاعاً إلى الحرية . هبوطاً عن كل ما يندس صفحته ، كريم الخلق ، طيب السريرة ، في تواضع جم ، وكرم نفاح . وقد عاش طول حياته لم يلوث يده بأجر على ما كان يكتبه ، على جلالة شأنه ، ونباهة ذكره ، وما يهينه من الرفعة وعلو المسكاة لمن يحظى بقلبه مؤيداً ومعاضداً .

وقد اجتمعت عليه عداوات ، وأرثت أحقاد ، من طول ما لقيه من الشهرة بأدبه ، وبعد الصيت بقلبه ونألت عليه الأقلام توشه ونهشه حقداً وموجدة ، وهو ثابت كالطود ، موفور الحسب والأناة ، واسع العفو والإغضاء ، فكان كما قال :

إذا ما سفيه نالني منه نائل من الدم لم يخرج بموقفه صدرى  
أهرد إلى نفسي فإن كان صادقا عتبت على نفسي وأصلحت من أمرى  
وإلا فاذنبي إلى الناس أن طغى هواها فما ترضى بخير ولا شر

وقد صور المرحوم ، أحمد شوقي بك ، أمير الشعراء حصومة حساده ، وكلمهم بتنبه ، وألصف حلمه وسعة صدره وعفوه عن خصومه اللد ، فقال في رثائه له :

سكن الأحبة والعدا ، وفرغت من كم غارة شئتوا عليك دفتها  
والجهد مؤت في الحياة ثماره فالجهد مؤت في الحياة ثماره  
فاذا مضى الجليل المراض صدوره فأذا مضى الجليل المراض صدوره  
فانزع إلى الزمن الحكيم فعنده نقد تنزه عن هوى ونزاع

## أدب المفلوطى :

لنى الأدب ، بالمفلوطى ، حياة جديدة ، وتنهيات له بقله جدة وروعة ، فأنتع وانتعش ، كان رشيقي القلم ، عذب البيان ، فصيح التعبير ، مشرق الديباجة ، محكم الرصف ، متين النسيج ، وكان مرهف الحس ، دقيق التفتن لمواطن البلاغة ، طروباً للتعبير الفخم ، والتركيب المنسجم ، يحتفل بأسلوبه ، ويجود فى صياغته ، إذا هبطت عليه بحجة فذاك ، وإلا لم يتكلف طلبها ولم يتعمل (١) .

وإذا جاز أن يكون الأدب العربى المعاصر قبل ، المفلوطى ، دائراً على اللفظ ، يعقل الفكرة فلا يتوضاها ، ويغضى عن المعنى فلا ينفذ إلى روائعه ، فإن المفلوطى ، كان أحد أولئك الأدباء القلائل ، الذين أدخلوا المعنى والقصد فى الإنشاء العربى ، بعد أن ذهب منه كل معنى ، وحل به الكاتبون عن كل قصد (٢) . وقد حدث عنه المستعرب ، أغناطيوس ، فيما قاله عن الأدب العربى الحديث ورجاله ، فقال : « امتاز مصطفى لطفى المفلوطى ، وهو أصغر تلاميذ الشيخ عبده سناً ، بما بذله من الجهد الموقفة ، لابتكار أسلوب جديد شائق ، ويمكننا أن نقول : إنه نجح نجاحاً كبيراً عن جدارة واستحقاق » (٣) .

وكان ، المفلوطى ، صاحب طريقة فى الأدب ، وذا مكان ملحوظ فيه ، ولقد بهر الناس أدبه ، وفننهم روعته وجذبهم طريقته السهلة المشرقة المندفقة ، حتى كان محفوظ التلاميذ ، مرقوب المتأدين ، وكان بحيث لو لم يذكره المفلوطى ، مع ما يكتبه ، لم أسلوبه عنه ، وهدى إشرافه إليه .

ومن أهم ما يأسر له هذه المكانة ، بعد روائع أسلوبه الذاتية ، بروز شخصيته فيما يكتب ويصور ، حتى قال له المرحوم ، سعد زغلول باشا : « إني لأرى لك فى كتابتك شخصية أتمنى أن أجدها كثيراً فى أقلام الكاتين » .

وكان رفيع الأدب فى كل ما يكتب ، فلم يسف فى مقال ، ولم يتدل فى موضوع ، بل كان ، الكاتب الفريد الذى يحافظ على أسلوبه فى جميع حالانه وشئونه ، سواء فى ذلك المعانى المطروقة لكتاب العربية الأولى ، أو التى لم

(١) الفصل ١٠ ص ٢٨٨ (٢) مراجعات المقاد ص ٢٧٠

(٣) ترجم الأستاذ أمين حنيفة لتلواى هذا البحث فى مجلة الرسالة ص ٨٦ ، السنة الرابعة

يكتبوا عنها شيئاً، ولم يرمموا لها أسلوباً، مما يدل على أن السليقة العربية ملكة من ملكاته؛ لا عارية من عواريه،<sup>(١)</sup>.

ولم يكن مفتوناً بالصنعة، متهاثراً على تجويد الأسلوب، بل كان طبعه يغلب صناعته، ولم تكن الصنعة لتخلق أديباً، كالمنفلوطي، في نباهة شأنه، وروعة أدبه، ولو رجعت الصنعة في أدبه لضل في ثناياها العرض، وعمرت الفكرة، وعرف عليك أن تجد له هذه الأفكار الحية، وتلك الموضوعات الاجتماعية التي يهتم فيها وينجد، والتي عبر فيها عن خلجات النفوس، وخفقات القلوب، ومسارح الفكر والشعور، وصور بها الآلام والأحزان صورة يرتسم فيها الأسى، حتى كان من أشد الأدباء تأثيراً بالأدب الغربي، واصطبغاً بصبغته.

وأول ما بهر الناس من أدبه، وفهم من جمال أسلوبه، ما نشره من «نظراته» في صحيفة «المؤيد» سنة (١٩٠٨ م) فقد اهتزت لها القلوب والاسماع، ورأى القراء الأدباء في هذا الفن الجديد ما لم يروا في فقرات الجاحظ وبجمات البديع، ومالا يزول في غثائفة الصحافة وركاكه الترجمة، فأقبلوا عليها لإقبال الهم على المورد الوحيد العذب<sup>(٢)</sup>.

هذه «النظرات» التي كان الأدباء يتشوقون إليها، ويمدون لها أيام الأسبوع يوماً بعد يوم، ويرقبون لرؤيتها ما يترقب الضال في ظلمة الليل البهيم من الفجر الطالع؛ والظالم في المهمة القفر، من الغيث الجامع<sup>(٣)</sup>.

امتازت هذه المقالات بطابعها الأنيق، ومعالجتها شتوياً مختلصة بأسلوب رشيق، جمع بين الأدب العالي وإرضاء الذوق، لأنها كتبت بلغة موسيقية صافية، فكانت بمثابة الوحي يهبط على جمهور تعود قراءة أدب الكلفة والتصنع، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية من بغداد إلى مراكش وهذا مما يدل على أنهم ألفوا فيها شيئاً قيمياً، كما كانت تمثل الشعور الذي تردد صداه في العالم الإسلامي أبلغ تمثيل<sup>(٤)</sup>.

(١) أشهر مشاهير أدباء الشرق للسندوقي ج ٢ ص ١٨٦

(٢) أحمد حسن الزيات: من مقال له في «الرسالة» السنة الخامسة العدد ٢١٠

(٣) أشهر مشاهير أدباء الشرق للسندوقي ج ٢ ص ١٨٦

(٤) من مقال لمستعرب انجليزي في مجلة «إسلاميك كلتشر»

كان « المنفلوطي » رحمه الله رحيم الفؤاد ، رقيق العاطفة ، يهتز لكل مأساة ، ويبئنس لكل كارثة ، وتسيل عبراته على ما تقع عليه العين من شقوة أو بأساء ، ومن ثم كتب في اليأس والمأساة مبلغ ما لم يبلغه أحد ، وصور ما يستلج في الأفئدة من هموم وأحزان ، بقلم باك ، وبراعة دامية وقال فيه عارفوه ومن صاحبه : إنه لم يكتب إلا هن فيض شعوره وحسه ، وإن كتاباته صورة حقيقية لنفسه .

### المنفلوطي القصصى :

ثم إن « المنفلوطي » تناول القصة فنهد لها في الأدب العربى طريقا ، وفسح لها في فونه مكانا ، وبلغ بها منزلة سامقة ، وذلك لأنه « كان يستعين بإخوانه ممن يعرف لغة أجنبية فيستوحيه معاني القصة فإذا ما استعرت في نفسه صاغها بعبارة الساحرة ، وزانها بقالبه الجميل (١) » .

ولم يكن يتقيد إذاك بعبارات المؤلف ومعانيه .

ولهذه الطريقة حسنات أهمها أنها تمكن الناقل من إظهار ما لديه من شخصية ومقدرة وعبقرية ؛ ولكنها من الجهة الأخرى « تخطئ » الغرض الأصيل إذا كان الغرض نقل الأثر الغربى الى اللغة العربية (٢) فالقصص التى ينقلها المنفلوطي بهذه المثابة قد تبعد عن الأصل في ترجمتها ، أما إذا اعتبرت من وضعه هلى أنه استعان بواضعها الغربى فهى من جهده الذى يفاخر به .

وأيا ما كان فقد كانت القصص والروايات التى تناولها « المنفلوطي » مرآة تنطبع عليها الميروب والمآسى الخلقية والاجتماعية بأسلوب مؤثر وعبارة فصيحة ، وإذا كسا لا نستطيع أن نقول : إن « المنفلوطي » فى عصره كان أبرع القصاص وأنبغ الروائيين ، فإنه لا ريب من خير من عبر هذه الطريق ، ومن طلائع الذين أودعوها خيال الغرب ، وذلك لا ينفى من ضعف الاداة والتحرير فى التعبير أحيانا .

[ يتبع ]

(١) مدكرة المرحوم الأستاذ محمد مصطفى فى الأدب الأندلسى والمعاصر وما بينهما ص ٣٤٩ .

(٢) مجلة الهلال العدد الصادر فى ١٢ من شبان سنة ١٣٢٨ هـ أول مايو سنة ١٩٧٠ م .

# اللِّسَان

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد المسلول  
المدرس بكلية اللغة العربية

لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه  
ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه  
حديث شريف

وسيلة الحكم على إنسان وتعرف ما ينطوى عليه من خير أو شر ، وما يحوى من صلاح أو فساد إنما تأتى من منطقه وتنبأ من لسانه .

فقدوة القلب أو ضعفه ، وسداد الرأى أو خطئه ، وعمق التفكير أو ضحوله ، ووثوق العزم أو تفككه ، وصدق الإيمان أو كذبه ؛ كل ذلك مخبوء وراء أحجية لا يهتكها إلا اللسان ، ولا يكشف سرها ويذيع خبرها سوى المنطق والبيان .

فاللسان أداة التعبير عن النفس ، وترجمان خيرها وشرها وتقواها ولجورها ، وعداها وغللاها ، وصلاحها وفسادها ؛ لذلك كان حسن اللسان عنوان قوة الإيمان وطهارة الجنان ، ورقة الوجدان ، وكان اعتدال المنطق وصدقه وإخلاصه دليل صفاء القلب ، وقماء الضمير وحسن التفكير .

ولا يتعقد المنطق إلا من تعقد النفس وظلمة القلب وفساد الية وخبث الطوية ، ولا يسوء اللسان إلا من سوء الخلق واعتلال الطبع وطغيان الفساد الداخلى على ظاهر الأعضاء .

عناية الإسلام بتقويم اللسان وتهذيبه : هى هايته بحفظ كيان الإنسان وإسعاده وإصلاح ديناه وآخرته ؛ فالمرء بأصغرية قلبه ولسانه ؛ إذا صلح القلب صلح الجسم كله ، وإذا استقام اللسان استقامت أمسور الحياة جميعا . ولا يمكن أن تحسن علاقة المرء بأخيه ، ولا أن يعظم ارتباطه بالساس إلا حين يكفهم شر قوله ، وسوء خلقه وزلات لسانه ، ولا تتولد الاحقاد والأضغان بين

الناس ، ولا تشب المداوات وتأصل الخصومات بينهم إلا حين يفقدون السيطرة على أنفسهم ، والقدره على أعصابهم ، ولا يملكون ضبط ما يصدر عنهم من قول ، أو يتصدر منهم من حديث ، ولقد صدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » .

فالكلمة ينطق بها الإنسان من غير وعى ولا تدبر ؛ ربما أكرهته شقاء وأورثته تعباً وهناء ، وجرت عليه الأحقاد والأضغان ، وخلقت له في نفوس الناس صورة مجللة بالبغض والكراهة ، وقد بما قالوا : إن البلاء موكل بالمنطق .

وحمل يثير الفتن ، ويهيج المدرات بين الناس إلا حصائد اللسان وزلاته ، وسوء المنطق وآفاته ، فكم من كلمة بدت من المرء هفواً ، فإذا بها تولد المداوات الفاجرة ، والخصومات الغادره ، والأحقاد النائرة ، وتشتب المهارات وتثير المنازعات . ولو خلصت من جفوة الخطاب وسلبت من خشونة القول ؛ لما أثارته هذه الفتن العاصمة ، وبغمت تلك التورات الطاغية الظالمة .

ومن هنا نظر الإسلام إلى الذي ساء لسانه نظرة مزرية مبيته ، وعده من أهل النار ، وإن صلى وصام وقعد وتعب ، وقام قائماً بالعشى والأبحار ، قيل : يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل ، وتصوم النهار ولكنها سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها . فقال صلى الله عليه وسلم : لا خير فيها ، هي من أهل النار .

أبغضهم هؤلاء الذين لا يزنون منطقاً يصدر عنهم يميزان الحكمة والعقل ، ولا يحملون حديدًا يصدر منهم بحيلة الأدب وجمال الصدق ، أن منطق الدين يحتمل أشد المقت ، وأوضاع الحياة ، وبجامع الناس وهمساب القلوب ، وخلجات النفوس تزدريهم أفحج ازدراء . والرجل الذي يخف عليه لسانه ويفلت من يده زمامه ؛ فيحوض في كل عرض ، ويبلغ في كل حرمة ، وينشر على الملأ ما خفي من أمور الناس ، وما استكن من أحوالهم ، لا بد أن ينضب ما عنده من حياة ، ويفقد ما فيه من إنسانية ، ويفقد ما لديه من كرامة ، ويتولد في نفسه استخفاف بالخلق واستهتار بالمجتمع ، وثورة على الأخلاق والآداب ؛ فلا يتقيد بوعده ، ولا يتمسك بعهده ، ولا يحفل بما يقذفه لسانه من كلام ، يقول ويؤكد ، ويمزم ويصمم ، ويعلم بلسانه حتى يظن الناس أن هذا القول الموثق لا ينقض ، وذلك الكلام الجازم لا يمحى ؛ حتى إذا حان وقت الجند وآل أوان العمل ، رأينا كيف تستحيل النار المشتعلة

إلى رماد ، وينقلب الحامس المندفع إلى فتور وتراجع ، ويتغير الاقدام السريع إلى إدبار شنيع ونكوص دريع ، وذهباً نتحس قوله الجازم ونرى أين مكانه : فإذا هو أصوات جوفاء ذهبت مع الريح في كل مذهب ، ولم يبق لها حتى في نفسه مكان ولا أثر .

كل ذلك من ضعف الإيمان ، وتحلل الأحلاق وهوان الدين على النفوس ، ونزول قيم الرجولة نزولاً خسيماً .

والله تعالى مفت هذه الخلة ونهى على أصحابها ، وأزرى بعينهم فقال جبل شام : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . وما شوه جمال الحياة ، وكدر صفو العلاقات ، ومزق الروابط وهناك أواصر المودة ، وقطع وشائج الألفة والأخاء ، إلا هؤلاء الذين تملكهم شهواتهم ، وتستبد بهم نزواتهم ، وتطغى عليهم فلتات المستهم وشروخ منطقهم : فترى قولهم دائماً يسبق تفكيرهم ، وخطوهم يتقدم تقديرهم ، وهدمهم أكثر من جدمهم ، وخطأهم أضماف إصابتهم ، ومع ذلك فهم سادرون في غيهم ، متبادون في عمايتهم لا يدعون أديماً إلا مزقوه ، ولا عرضاً إلا شوهوه ، ولا حرمة إلا هتكوها دون تخرج ولا رقابة لضمير ولو أصاب هؤلاء حظاً من الإدراك ونصيها من العقل : لعلوا أنهم أبعد الناس عن رحمة رب العالمين ، وأنآهم عن عجة خاتم النبيين الذي يقول صلى الله عليه وسلم : لا أخبركم بأبفضكم إلى ، وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة : الثرثارون المتضيقون .

وهذا عقبة بن عامر يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجاة : فيجيبه بكلمة تبدل ظلام الحياة نوراً وحكمة : إذ يقول : أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وأبك على خطيئتك . وفي الحديث الشريف : إن لسان المؤمن وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه : فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ، ولم يتدبره بقلبه . هناك أنماط أخرى من الناس مروا على نوع من المنطق معسول ، وتودوا على لون من الكلام خادع ، وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم . حديثهم جذاب ، وكلامهم سائح خللاب ، وظاهرهم لا مع براق ، ووراء ذلك قلوب قاسية لا تعرف الحشية ،

ولا المراقبة، ونفوس عاتية لا تداخلها الرحمة ونيات خبيثة، ضربت عليها الظلمة، وصاحبها المكر والخداع والختل، ومازجها التعبد والالتواء، ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.

وما أفسد الأوضاع وبذل النظام فوضى، والمدل جوراً، وأحل الخصام محل السلام، وقتل الكفاية إلا ما تمناده بعض الالسنه من ألوان الملق، وأنواع الرياء، وقدرتها على إخماد البغض وإظهار الحب، ونسج حلل التناء بما يحترقه الوهم وبزينة الخيال، ويفترضاف العقول بما يسمعون، فيظنون به الصدق، ويتوهمون فيه الإخلاص؛ حتى تكشف لهم الأيام وتفسر الأحداث عما كان يستقر في أطواء النفوس من خداع، ويكن في أعماق القلوب من نفاق ورياء.

ومن الناس من صمرت همهم، وضعفت هزيمتهم، وقعدت بهم الأسباب، ومخلفت عنهم القدرة؛ فتعلقوا بخيال رئيس، أو حطوا رحالهم على جاء عظيم، ثم حاولوا بعد ذلك أن يتحلقوا برغبته ويسايروا هواه، فترام دائماً أسرع إلى إشارته وأقرب إلى نظراته، وأشد أطوعاً بالوقية، وأكثر تبرعاً بالندسية، يزينون القبيح ويمسنون الكريه، ويقبحون كل مافع، ويحقرون كل عظيم، ويصفرون كل جليل. لا يقدهم خلق ولا يزهم دين، ولا يكفهم عن هذا العبث والصغار خمير، وكما كابد الناس من هذه المآسى، وقاسوا من تلك المحازي، وشربوا من مرها ما ألم النفوس وأدى القلوب؛ مع أنه لا يحمل إنسان هذا الخلق، ولا يقسم أحد هذه الخلائق إلا شاء الله، وأظهر شأنه وفضحه بين الناس، وجعله بينهم هبة ومثقة، وإن طال الأمد بنشه وخذاعه.

ألا ليت شرى هل يفهم هؤلاء الخادعون الفاشون أنهم يسبون إلى أنفسهم، وإلى الناس جميعاً أشنع الإساءة، وألا يعلمون أن اللسان إذا اعتاد السوء، وألف المكر، وصرن على الإباحة والتحلل؛ اندفع في كل تيار وجرى في كل مجال، وألف أشد الألفة أن يستغل كل سر مكون، وينشر كل خبر مدفون؛ بل أصبح فضيحة متقلبة، يكشف العورات ويذيع السوءات، ويبتكر عن الناس من المساوي ما يجمله مادة الحديث، وأداة للهو والتسلية من غير إبقاء على دين ولا احترام لخلق، وروح

الله أبا بكر الصديق ورضي عنه ؛ فإنه مع شدة يقينه وقوة إيمانه الذي لو وزن بإيمان الأمة لرجحه ، كان يمسك بلسانه ويقول : هذا أوردني الموارد . وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : معلم الأمة ونبي الرحمة يقول : « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » ، وكان يقول : « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه » .

إن المؤمن سمح النفس ، صادق الحديث ، مهذب الكلام ، هذب اللسان ليس بفحاش ولا نمام ؛ يقول بعد أن يفكر وينطق بعد أن يتدبر ، لا يشارك في مالا يعنيه ، ولا يدخل في مالا يهيمه ؛ فإذا حسن إيمان العبد حسن لسانه ، وتهذب خلقه ، ولان منطقته ، وطلع الناس بما يحبه له الإسلام من صدق القول ، وعفة المطلق ولين الكلام . نسأل الله الصحة من أغلاط اللسان والسلامة من آفات الكلام .

### قريش

قريش هي القبيلة العربية المهاجرة التي اختار الله أن يجعل منها خاتم رسله محمداً صلى الله عليه وسلم ، قال الجاحظ إمام البلاغة يصفها :

قد علم الناس كيف كان كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها ودكاؤها ، وكيف سياستها وتدبيرها ، وكيف إنجازها وتحجيرها ؛ وكيف رجاحة أحلامها إذا خف الخليم ، وحدة أذهانها إذا كل الحديد ، وكيف صبرها عند الفناء ، وثباتها في الأواء ، وكيف وقاؤها إذا استحسن العذر ، وكيف جودها إذا أحب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدوثها من جهة الفصد ، وكيف إقرارها بالحق وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها وصونتها لأعراقها ، وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدرة بعد غدته ، وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟

## أطراف من الاندلس :

### الطَّبِيعَةُ فِي شِعْرِ ابْنِ زَيْدُون

لعضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسن جاد  
المدرس بكلية اللغة العربية

لا شك في أن الشعراء الاندلسيين كانوا أفصح اللسان التي هفت بالطبيعة ،  
وأعذب الأوتار التي رجعت عن شدوها ، وأشجى البلايل التي شدت بمفاتها  
ومجالها ، ونفت على رباعها ومفاتها . ولا بدع فالاندلس عروس البلاد ،  
وفتة الوجود ، وأغنية الزمان . « طبيعة ترسل النسيمات أنفاساً موسيقية تؤخذ  
شعراً ، وتلفظ الحناً » . طبيعة ، هي الشعر فلم نجد من تلهمه النطق بها لكانت  
أفصح من الشعراء . ففي رباعها المشرفة ، ووديانها المنبسطة ، وأنهارها الدافقة ،  
ومعانيها الباسمة ، وعنانها الجميلة ، وأدواحيها الظليلة ، وفي رفيف المروج  
كالاهدا ب على عيونها المذاب ، والتفاف أنهارها كالأساور على معاصم الهضاب ،  
في كل ذلك ، وفي بعض ذلك ما يفتح مغالق النفس ، ويوقظ غواقي الحس ، ويلهم  
الشعر ، ويخلق بالخيال .

يبد أن شعراء الطبيعة في الاندلس وغيرها يختلفون في إحساسهم بها ،  
ويتباينون في تصورهم لها ، وتصويرهم لمعانيها ومعانيها ، وليس كل شاعر بالطبيعة  
خالياً أن يمد من شعراتها ، ومن ثم قل في الشعراء من هو جدير بلقب  
« شاعر الطبيعة » على كثرة الشعراء الذين تغنوا بها . فمن نقرأ قول ابن  
سهل الإسرائيلي :

أنظر إلى لون الأصيل كأنه لا شك، لون مودع لفراق  
وقوله :

الأرض قد لبست رداء أخضرا والطل ينثر في رباهما جوهرها  
هاجت ، غلقت الزهر كأنورا بها وحسبت فيها البر ممكا أذفرا  
والنهر ما بين الرياض تخاله سيقا تعلق في نجاد أخضرا  
ونقرأ قول ابن عمار :

والروض كالحسنا كساه زهره وشيا ، وفلده نداء جوهرها  
وقول ابن خفاجة :

وأراك ضريت سماء فوقنا تددى وأفلاك الكؤوس تدار  
وكانها وكان جدول مائها حسناء شد بخصرها زناد

ف نجد كلا منهما قد فتن بمظاهر الطبيعة ، وأخذ بأحرها وأبيضها وأصفرها  
وأخضرها ، وهو لا يصدو أن يصف من الألوان والزرا كش ما قد يجد مثله  
في ألوان الحلى ، ونفوس الطنافس والجدران ؛ وكأنه ينظر إلى دمية فائقة بروقه  
وجبهها المشرق وحسنا المفاض ، ولا يفنش عما وراء ذلك من طوية وإحساس ،  
ونحن نريد أن نتجاوز هذا الجمال الحسى ، وأن نفنش عن سر آخر في الطبيعة  
وراء ألوانها الحرس وتموشها الصم ، نريد أن نتجاوز تشبيه اللون باللون ، والطعم  
بالطعم ، والرائحة بالرائحة ، وأن نخلق في الطبيعة الحياة ، ونمنحها الحس والشعور  
حتى نتخاطبها كما نتخاطبها ، وتشعر بنا كما نشعر بها ، وتعطف علينا كما نعطف عليها .  
ولقد نجد من بين الشعراء من يمنحها هذه الحياة وذلك الشعور ، كما يقول  
ابن سهل :

والشمس تنظر نحوه مصفرة قد شممت ذيل الوداع لتنهضا  
فيعطى الشمس حياة الإنسان ، حتى إنها لتنظر وتشعر بالوداع ، فتشعر  
ذيلها للنهوض ، كما يقول ابن خفاجة في زهرة :

ومائة تزمى وقد خلق الحيا عليها حلى حرا وأردية خضرا

أو كما يقول :

والفجر ينظر من وراء غمامة      عن مقلة كحلت بها زرقاء  
والليل مشمط الذوائب كبرة      خرف يدب هلى عصا الجوزاء .

ولكن هذه الحياة وإن كانت خطوة في سبيل السمو الذى نبنيه ، ليست كل شيء . جميل أن نعد تشبيه حمة الورد بالحد ، والزهر بالكافور ، والنهر المتعطف بالسوار الجامد ، إلى هذه الحياة التى تدب فى الشمس والفجر والليل ، ولكن لماذا لا تشمر الطبيعة بنا وقد رزقت هذه الحياة كما شعرنا نحن بها ؟ هذه هى الخطوة الأخيرة التى نهدف إليها .

إن ابن خفاجة ، وإن كان قد تخصص فى الطبيعة ، ووقف عليها نفسه من دون شعراء عصره ، لم يخط هذه الخطوة ، فقد كانت نظراته تعود عقله إلى مظاهر الطبيعة كما يقولون ، وكانت هذه المظاهر تروح وتعدو بين نظره وعقله لا تتجاوزهما ، فكل معلوماته وآرائه من طريق النظر والتأمل فى جمال الألوان ، وتناسق الأشياء . أما نفسه فما كانت تتفاعل بشيء من هذه المناظر أو تتفاعل معه ، وليس أدل على هذا من أنه كان ينظر إلى الطبيعة من جانب واحد ، هو جانب الهجة والسرور ، فجاء شعره كله ضاحكاً مفرقاً فى الضحك ، مرحاً موغلاً فى المرح .

ولقد يقال إنه صورة حياته النفسية المملوءة بالهدوء والسرور والإعجاب بالجمال ، فنقول : هل سلت حياته النفسية على الدوام بما يعلق بالفوس عادة من الحب والبغض والحزن والألم ؟ ثم يبقى بعد هذا أنه لم يتفاعل مع الطبيعة على الصورة التى نريدها ، فهى لم تفرح لفرحه ، ولم تساجله الهجة والإعجاب .

أما الطبيعة التى تُسحب وتُساجى ، ويتم التعاطف بين الشاعر وبينها ، بما فيها من حياة وإحساس ، ونفس تنفخ إلى نفس ، تساجلها العطف ، وتجاذبها المودة ، فهى الطبيعة عند ابن زيدون ، ذلك الشاعر الأندلسى الذى امتزج بها كل الامتزاج ، بعد أن نفث فيها الحياة والشعور ، فأجابته وأجابها ، وأخذ منها وأخذت منه ، وعطف عليها وعطفت عليه ، حتى كانت مظاهرها مسخرة لهواه وحبه :

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك الفسيم  
ومفسرة لآلامه ومشاعره :

يا سارى البرق عاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا  
ويا نسيم الصبا بلغ تحييتنا من لو على البعد حيا كان يحينا .  
ويشتد امتزاجهما حتى يعبر عنها وتعبر عنه ، ويلبسها وتلبسه ، وتستقر  
معانيها في نفسه كما تستقر معانيه في نفسها ، فيقول :

أما غرسٌ في ثرى العلياء لو أبطأت سفيك عنه لذبل  
جفاءً هو الليل ادلم ظلامه فلا كوكب للعذر في أفقه يسرى  
حائم شكوى صبحتك هو ادلا تاديك من أفان آداني الهدل

فتجاوبه هي الأخرى وتستعير منه ، فيكون اعتلال النسيم رقة لحاله ، ويحول  
رقرق الندى في أعين الزهر رثاء له :

إني ذكرك بالزمرام مشتاقا والآنق طلق ووجه الأرض قد راقا  
وللنسيم اعتلال في أمثاله كأما رق لي فاهل إشفاقا  
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقا  
كأن أعينه إذ عاينت أرقى بكت لماني ، لجال الدمع رقرقا .

وكان كل شئ في الطبيعة يذكره بلبلاء : البرق بشاياها ، والقمر بمجاها ،  
وشدو الحائم برنين عقدها :

وإني ليستهوينى البرق صبوة إلى برق ثمر، إن بدا كاد يخطف  
وتذكرني المقد المرن جمائه مرثات وُرق في ذرا أيلك نهتف .

وهذه صورة رائعة ترى الحياة في الطبيعة كما تراها في الإنسان :

بدت في لدات كزهر النجوم حسان التحلى ملاح العطل  
مشين يهادين زهر الربا يبانع زهر الصبا المقبل  
فن قضب قنتى بريح ومن قضب قنتى بدل  
ومن زهرات تسدى بمك ومن زهرات تسدى بطل .

ولولا هذا النسب الوثيق وذلك التجاوب في الأحاسيس بينها وبينه ، ما راح  
يعتب عليها في سكوتها على محنته ، وينسى عليها لانتها لم ترث حظه وتندب جاهه ومنصبه :  
ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي      ويطلب تأري البرق منصلت النصل  
وهلا أقامت أجم الليل مأتما      لتدب في الآفاق ما ضاع من ثل  
ولو أنصفتي رمي أشكال هني      لالتفت بأيدي الذل لما رأت ذلي .

وكان يرى فيمن يحب ما يراه في الطبيعة من أفانين الوشي والزهر :

باروحة طالما أجنحت لواحظنا      وردا جللاه الصبا غصناً ونسرنا  
ويا حياة تملينا بزهرتها      مَنى ضروباً ولذات أفانينا  
ويمثل الطبيعة يحملها الحب كما يقول في ورقة آس :

ورامشة يشقى العليل نسيمها      مضمخة الانفاس طينة الشر  
أشار بها بحوى بنات منعم      لأغيد مكحول المدامع بالسحر  
سرت نصرة من عهد ما في غصونها      وعُطَّت بمك من شمائله الزهر .  
ويمثل الحب تجعله الطبيعة وترعاه :

أين أياما وأين ليال      كرياض لبس أفواف زهر  
حين تغمدو إلى جداول زرق      يتغلغلن في حداثق خصر  
في هضاب مجلوة الحسن حر      وواد مصقولة البت عُفْر .  
وقد ظفرت قرطبة من هذا التمثيل بأوفى نصيب ، حيث صور جناتها  
ومعاهدها وترها ورباحها تصويراً يمثله بالعين والنفس معا :

نهارك وضاح وليك صحيان      وتربك مصبوح وغصنتك نشوان  
وأرضك تكسى حين جوك عريان      ورباك روح للنفوس وريحان  
وحسب الأمانى ظلك المتفياً

وكم مشهد عند العقيق وجسره      قدتنا على حر النبات وصغره  
وطي يسقينا سلافة نحره      حكى جسدي في السقم رقة خصره .

وما كان في هذا الوصف وأمثاله مفتوناً فقط بالألوان ، يؤلف بينها وبين  
أشتات الحسن دون أن يكون لذلك صلة بحسه ونفسه ، وإنما تناولها على أنها

مظاهر لجمال الحب في ظلال الطبيعة ، أو لجمال الطبيعة في ظلال الحب ، ولذلك لا يذكر هذه المظاهر الحسية بألوانها وزرا كشها ، إلا في معرض الذكرى والحنين لعهد مضى وزمان تقدم : فبين هذه المظاهر ونفسه عهد وثيق ، وسبب ممكن ، وهذه البقعة الحسية ، تصاحبها بقطة في الشعور الباطن ، تسرى به في كل مسرى .

ولذلك لتحس هذه الصلة بين نفسه والطبيعة ، في أنه يتمثل ربيعها في نفسه ، وإن لم تقع عليه عينه ، فليس الربيع ما تبصره العين وإن بدا ، ولكن ما تحسه النفس وإن ولى : وليس الربيع هذه فترة من الزمن ، أو ظواهر من الوشى والألوان ، وإنما يفد إلى صميمه ولبابه ، الذي لا يقاس بالأيام والفصول ، والذي تستشعره النفس ، وتفتح له بأزاهير المنى والنشوة :

أدركها فقد حسن المجلس      وقد آن أن تترج الأكؤس  
ولا بأس إن كان ولي الربيع      إذا لم تجد قدسه الأنس .  
وهكذا فذنت الطبيعة ابن زيدون واستولت على حسه ، واستبدت بكل نفثة من نفثاته ، وخاطر من خواطره ، حتى اصطبغ بها كل فن من فنون شعره ، كما يقول في المدح :

أغر إذا شما سمائب جوده      تهلل وجهٌ واستهلت أامل  
لديه رياض السجايا أيقنةً      تغفل فيها للمعاطيا جداول  
وكا يقول في الرثاء :

وعاهد ذاك القبر عهد غمامة      إذا استعبرت في تربة ابتسم الزهر .  
وكأنه في هذا وأمثاله لنوثق الصلة بينه وبين الطبيعة يريد أن يعقد هذه الصلة دائماً بيننا وبين الناس كما عقدها بيننا وبين نفسه .

هذا هو ابن زيدون في الطبيعة وهذه هي الطبيعة في نفس ابن زيدون .  
الا تشمر بأنها منحت أكثر مما صحت غيره ، وأنها كشفت له عن سرائرها وأسرارها حتى تجملت له على حقيقتها ؟

إنه لكذلك وإنه لخليق من أجل هذا بلقبه شاعر الطبيعة ، ؟

## الإسلام في وحدته وتعاليمه

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أحمد جميلة  
المدرس بكلية اللغة العربية

الإسلام الحق عقيدة وعمل ، والعقيدة إذعان وقبول ، والعمل مظهر ظاهرى  
ترسم فيه العقيدة ويتحقق به الامتثال ، وهما متلازمان روح وجسم ، لا يملك  
أحدهما عن الآخر ما دامت ترجى حياته ويطلب بقاؤه . والنظر فى الكون  
أول مبادئ الوصول متى صح النظر ، وتابعت الفكر والعبر . قل أنظروا ماذا  
فى السموات والأرض ، ، أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق  
الله من شيء . .

ونفسك التى بين جنبك من أعقد ما يرنو إليه بصرك : تخفيها مجهول وظاهرها  
مشهور ، وكلها أمعن فيها يبصرك ، وتأملتها يصيرتك وقعت منها على سر خفى ،  
ينتقل بك إلى نور جلى ، حتى تصل إلى ربك العلى . وفى أنفسكم  
أفلا تبصرون .

ومن نظر عرف ، ومن عرف تيقن ، ومن تيقن آمن ، ومن آمن اهتدى ،  
ومن يؤمن بالله يهد قلبه . ومن سلك سبيل الهداية فاض الخير على جوانبه ،  
فيتشكل ظاهره بمظاهر الحق ، وتتقيد جوارحه بتكاليف رب العالمين لأعصيان  
ولا اختراع ولا مخالفة ولا ابتداع ، فأمر الحلال والحرام بين ، وإذا ما اشتبه  
شيء رجما فيه إلى الله فى كتابه ، وإلى رسوله فى سنته ؛ ذلك خير وأحسن  
نأويلا .

ومن يعم النظر فى الوجود ، ويأمله بقلب بصير ، يرى فى الإسلام ديناً يحل  
الطالبات ، ويرى الثمرات ويدفع الشبهات ، وينشر الحق ويهدى إلى سواء السبيل ،  
لا إفراط ولا تفريط ولا ظاهر متقطعاً عن باطن ، ولا باطن مفرداً عن ظاهر ،

وإنما هو دين واحد رب واحد ، نزل على نبي واحد ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المؤمنين بلسان عربي مبين .

فدعوة الإسلام ناصحة بينة ، وتعاليمه واضحة خالدة ، فهو نور الله القوي بعث به رسوله الأمين ، ليبدد عياهب الجهل ، ويكشف عن سوءات الظلم ، ويحو آثام الشرك ، ويحقق للإنسان ما هو جدير به من كمال ، فيحرر رقبته من ريقه العبودية الزائفة ، ويظهر كرامته بإخلاص الدين لمن خلقه وفضله على كثير من خلق تفضيلا .

لقد نزلت بالإنسان وسأوسه وأرغامه إلى الدرك الأسفل : فتعدى في الهاوية واتخذ إلهه هواء وأضله الله على علم ، فأصممه عن سماع الحق وأعمى بصره عن رؤية آياته ، فتعت الحجر بيده وعبدته ، وأوقد الباروقصدها بدعائه ، ورعى بيده ما يطوف به . ويقوم فيه يترقب قضاء الخواصج ، وانفراج الصعاب أو يصلل به خلق الله ! فيترأموالم بغير حق ملعبا عقله مذلا لإنسانيته ، مهدرا فطرته متجاوزا حدوده ، لم يتأدب مع مبدعه وخالفه ، أفن يخلق كمر لا يخلق أفلا تذكرون . . فهذا الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله ، أو هذا النور الذي حمل مشعله النبي العربي الذي حاول ويحاول كثير من صارحوه العداء وهم أهون عليه ، أو بمن شايعوه نهارا وكفروا به ليلا وهم أشد قسوة وأكبر خطرا — أن يعضوا من شأه ويقللوا من قيمته بما ينوهون من أساليب ، ويفيضون من أحاديث ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . .

بلغ الرسول دعونه كما تلقاها عن ربه لا مبتدعا ولا محتلقا ، . ولو تقول علينا بمصر الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين . .

بلغنا الصادق الحق عن الحق بلاغا عاما لا انتقار فيه ولا احتصاص . يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، فدهوته عامة ، ورسالته عامة ، وكل مكلف بلغته عليه أن يتعرفها من مطالها متى استطاع السبيل إلى ذلك ، لأنه مدعو بها وماخوذ فيها ومحاسب عليها .

فقاطعة بنت محمد سيد خلق الله ، وأفضل خلق الله على جلة قدرها ، وقوة إيمانها ومنزلها . يقول لها أبوها : لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويقول في جموع حاشدة من البدو والحضر والأحرار والعبيد ، والرؤساء والمرءوسين والأنصار المهاجرين ، - والعصية الجائعة لازالت حرارتها في قلوب القوم - : لا أفضل لعربي على مجيئ إلا بالتقوى ، كلكم هدت من كبرياتهم فبددت الظنون ، وقضت على الأرواح وقطعت الشكوك ، ووحدت الأمر وأجهزت على الأباطيل والخرافات ، وردت أمر العباد إلى بارئها . فلكم الدين الخالص وفي كتابه دستور الأمة ، وفي سنة نبهه بيان لمراميه وشرح لمعانيه . إنا نحن نزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم .

فالإسلام المنجى من عذاب الله ، توحيد لا يشوبه شرك لا في مظهره ولا في مخبره ، وإيمان بما أنزل الله من كتاب وأرسل من رسول ، وتصديق بالملائكة والبعث ، وبما وراء ذلك من اتباع للأمر واجتناب للنهي .

وقد وحد الإسلام في خطابة بين المكلفين ، فلا سيد ولا مسود ، ولا تابع ولا متبوع ، وليس لسكان من كان أن يدهى لنفسه منزلة دينية من ربه ، وتمكنه من التصرف في عباد الله بغير ما أنزل الله ، فيحل لهم أو يحرم ، أو يجلب النفع أو يدفع أو يزل السوء أو يكشف . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً .

وايس في الإسلام أصرار ثورتها الآباء للأبناء ، والشيوخ للأتباع ، وإنما سر الإسلام يواتيك متى تابعت نبيك ، وأخلصت قصدك ، وطهرت قلبك ، وراقبت ربك ، فينجلي عليك ويتولاك ، وهو يتولى الصالحين . فالدين كله لله ومبلغه خاتم رسل الله ، والناس أمام الدعوة سواسية ، لا قريب ولا بعيد ، ولا عالم ولا جاهل ، والتفاوت إنما هو في فهم ما اشته من الأمور ، وأشكل من الحوادث وهذه وظيفة العلماء من هذه الأمة ، أما يعلم ضرورة من الدين : كتوحيد الخالق وتصديق الرسل ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وتحريم الربا والزنا والفهار والغيبه ، وقطع الرحم وإيذاء الجار إلى غير ذلك مما يتساوى المسلمون

في معرفته — فهم مخاطبون بالدعوة إليه ومطالبون بالمحافظة عليه ، كتم حير أمة  
أخرجت للناس تأسرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، .

فالدعوة لهذه الامور عامة من الناس وإلى الناس ، فلا يعرف الإسلام جماعة  
تحتكر تعاليمه أو تحتس قواييه ، أو تتحكم في أصوله ، فتبدل وتغير طبقا لاهوائها  
وشهوائها ، وإنما يعرف الإسلام ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم  
عنه فانتهوا ، .

هذه تعاليم الإسلام نقية طاهرة بعيدة عن المذنسات والمخبطات ، كل ما فيها  
بر وإصلاح ، واستقامة وإنصاف ، قد حفظ بما شرع من أصول تثبت دعائم الحق ،  
وتزول أقدام الباطل للفرد كيانه وللجمتمع وجوده .

وما هو ذا الإسلام يجمعنا تحت لواء واحد ، ويدهونا إلى مقصد واحد ،  
لا يعترف بفروق جنسية أو حدود أقليمية ، وإنما جعل أرض المسلمين وطناً  
للمسلمين ، يذبون عنها كل مفتعّب ، ويصدون عنها كل طامع .

وما هو ذا الإسلام يباهض من أعداء عديدين ، يقفون له بالمرصاد ، ويختلفون  
فيما بينهم على كل شيء ، ويتفقون على الكيد له ، يودون بمحذ الانف أن تمحي رقعة  
من الوجود ، وأن تطمس خريطته من العالم ، وليس للمسلمين خلاص إلا بتوحيد  
جهادهم وجهودهم ، وتمسكهم بمرودة دينهم : فلا يتخذوا من حصوم الله وخصومهم  
أولياء يلقون اليهم بالمودة ، ولا يمكنوا للدخلاء مهما جودوا العطاء وأحسنوا  
العرض ، فإن ما وصلنا إليه من مهانة ولحقنا من بوار ، كان بتفريطنا في صلاتنا ،  
وتساهلنا في روابطنا ومقوماتنا ، ولا أبغض في الحياة من ضيع دينه ودنياه ، فلم يصب  
بهرج المترفين ولا نعيم المتقين .

# الإيلاء

## مثل من احترام الإسلام للمرأة

لفصيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور رجب  
المدرس بكلية أصول الدين

الشريعة الإسلامية تحترم المرأة، وتحذرها من ظلم الرجل، ومن مظاهر ذلك أن أزال أو أمرت بإزالة عادة مدمومة ركبا العرب، ومشوا عليها حتى جاء الإسلام؛ ذلك أن بعض العرب كان يتزوج المرأة، ثم هو لا يحب أن تبقى له زوجة، ولا هو يحب أن يتزوجها غيره. فساذا يصنع؟ يحلف ألا يقربها، ويقيمها عنده في الضرر، ويتركها على ذلك. فلما جاء الإسلام أمهل من يحلف على زوجته ألا يقربها، أمهله أربعة أشهر يترى فيها، ويتأمل، فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضارة يرجع إلى زوجته وهي امرأته، وإن رأى المصلحة في مفارقتها، يفارقها لتتزوج غيره إن شئت؛ ولذلك يقول الكتاب العزيز: «الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فأن فاهوا فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم».

ومدلول الإيلاء في اللغة: الحلف. يقال: آلى يؤلى إيلاء، وهو والقسم، واليمين، والحلف كلها بمعنى، والتربص: الانتظار يقال: تربص بفلا انتظر به خيرا أو شرا يحل به، والفَيْص: الرجوع. يقال: فاه المولى من امرأته: كفر عن يمينه ورجع إليها. وعزم الطلاق: أمره ابن عباس: بانقضاء الأربعة الأشهر.

والإيلاء في عرف الشرع هو الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقا، أو مدة تزيد على أربعة أشهر. وكان الإيلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه. ولكن هل كان طلاقا في الجاهلية يبيح للمرأة أن تتزوج؟ يقول سعيد بن المسيب: «كان الرجل الذي لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره؛ يحلف ألا يقربها، وكان يتركها بذلك لا أيما ولا ذات بعل، وهذا القول صريح في أن المولى منها

كانت ترك كالمعلقة . هذه عادة من عادات العرب ، كان العرض منها مضارة المرأة ، ومكنت المرأة ثمن من هذه العادة الممقوتة : حتى جاء الإسلام بإنسانيته فألفسها ، ورفع عنها الظلم الذي كانت تلقاه من عنت الرجل وقسوته . وما هنا أمحات :

أولا : إذا حث الرجل في يمينه ورجع إلى امرأته هل عليه كفارة أولا ؟

يرى بعض الفقهاء أن هذا اليمين وأمثاله لا كفارة له : بل كفارته نفس الخنث فيه . والقاعدة عندهم : « أن كل حاث في يمين في المقام عليها ضرر لا كفارة عليه في حثه فيها ، بل كفارته نفس الخنث فيها » . وهؤلاء يفسرون غفران الله في الآية بغفران الكفارة . ويسدون هذا الرأي للحسن رضى الله عنه فإنه كان يقول : إذا فاه فلا كفارة عليه .

ويقول آخرون : إذا فاه المولى فعليه الكفارة . ويروون عن ابن عباس قوله : للذين يقولون من نسائهم ترخص أربعة أشهر هو الرجل يحلف لامرأته بآفه لا يسكنها ، فيترخص أربعة أشهر ، فإن موكنها كفر يمينه بإطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . ويروى أيضا أن سعيد ابن المسيب كان يرى هذا الرأي . وهؤلاء يقولون غفران الله بأسقاط العقوبة في العاجل والآجل .

ثانيا : هل يقع الطلاق بنفسه بمضى الأجل الذي ضربه الإسلام وهو انقضاء الأربعة الأشهر ؟ أو انقضاؤها يعطى المرأة فقط حق أن تطالب زوجها بالبيعة ، أو الطلاق ؛ فإن امتنع الزوج منهما طلق عليه القاضي ؟

بالأول قال أبو - نعيمة . والذين يرون أن الطلاق يقع بنفسه يقولون : إن قول الله تعالى « فإن فاهوا فإن الله غفور رحيم » هو تفصيل للحكم المتقدم كما تقول : أما نزيلكم هذا الشهر ، فإن حدثكم أقمت عندكم إلى آخره ، وإلا لم أقم ولم أتحول . وأيضا يقولون : إن الإبلاء طلاق في نفسه . فالطلاق إشارة إليه . وأيضا المالب أن العازم للطلاق ، والضرار ، وترك الفينة لا يخلو من حديث نفس ، وذلك هو الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان « فإن الله سميع عليم » .

وبالثاني — وهو أن الطلاق لا يقع بنفسه — قال الشافعي والذين يرون

هذا الرأي يقولون : إن الفاء في قوله : « فإن فاءوا » تقتضي كون ما بعدها من حكمي الفينة والطلاق مشروعاً مترخياً عن انقضاء الأربعة الأشهر ، وأيضاً قول الله تعالى : « وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم » صريح في أن وقوع الطلاق إنما يكون بإيقاع الزوج ، وفي أن الزوج لا بد أن يصدر عنه شيء يكون مسموعاً ، وما ذاك إلا إيقاع الطلاق .

ثالثاً : هل الطلاق الذي يلحق المرأة بمضى هذا الاجل هو تطليقة واحدة بائة تملك المرأة به نفسها ؟ أو هو طلاق رجعي يملك الزوج فيها الرجعة ؟ وهل لها على كلا الرأيين عدة ؟

أما العدة فهل اتفقا ، وأما نوع الطلاق فهل خلاف . يرى قوم أنه طلاق بائن تملك المرأة به نفسها ، ويستند هؤلاء إلى ما يروى عن عبد الله بن أنيس ، وأراد من أهله ما يريد الرجل من أهله فأبى ، خلف ألا يقربها ، فطراً على الناس بمعت من الغد فخرج فغاب ستة أشهر ، ثم قدم فأبى أهله ما يرى أن عليه بأساً ، فخرج إلى القوم فحدثهم بسخطه على أهله حيث خرج ، وبرضاء عنهم حين قدم . فقال القوم : فإنها قد حرمت عليك . فأبى ابن مسعود فسأله عن ذلك : فقال ابن مسعود : أما عذبت أنها حرمت عليك ؟ قال : لا . قال : فاطلق فاستأذن عليها ، فإنها مستكر ذلك ، ثم أخبرها أن يملك التي كنت حلفت عليها صارت طلاقاً ، وأخبرها أنها واحدة ، وأنها أملك بنفسها . فإن شامت خطبتها ، فكانت عندك على ثنتين . وإلا فهي أملك بنفسها .

ويروى عن ابن عباس أيضاً مثل هذا الرأي ، وقيصة بن ذؤيب أيضاً كان يقول . هي تطليقة واحدة بائة ، وتأتلف العدة وهي أملك بأمرها .

وإذا كان ابن عباس ، وابن مسعود ، وقيصة بن ذؤيب عن يرون هذا الرأي : فيروى عن أبي يونس السقوي أن سميد بن المسيب قال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق . قال : لتلك عن يقول : إذا مضت أربعة أشهر فقد بان ؟ لا ، ولو مضت أربع سنين ، ويروى أيضاً عن غيره أنه كان يقول : إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة ، وتستقبل عدتها وزوجها أحق برجعتهما .

رابعا : هل يشترط في الإيلاء أن يقع في حال غضب أو لا ؟

يشترط بعض الفقهاء في الإيلاء أن يقع في حال غضب ، وسندهم في ذلك ما يروى عن رجل توفى أخوه وترك ابنا له صغيرا ، فقال لامرأته : أرضعيه ، فقالت : إني أخشى أن تعيلهما - العَيْلُ : اللبن ترضعه المرأة ولدها وهي توفى ، أو وهي حامل . وفي الحديث لقد هممت أن أهوى عن العيلة - خلف لا يقربها حتى تقطمها ، ففعل حتى قطمتهما ، فخرج ابن أخى عطية إلى المجلس فقالوا : الحسن ماغذى أبو عطية ابن أخيه . قال : كلا زعمت أم عطية أنى أغيلهما خلفت ألا أقربها حتى تقطمهما . فقالوا له : قد حرمت عليك امرأتك . فذكرت ذلك لى رضى الله عنه . فقال على : إنما أردت الخير وإنما الإيلاء في الغضب . وفي رواية أخرى يقول على رضى الله عنه : الإيلاء ما أريد به الإيلاء . ويروون عن ابن عباس قوله : لا إيلا إلا بغضب .

ويقول آخرون . كل يمين حلف بها الرجل في مساواة امرأته فهي إيلاء منها على الجماع ، حلف أو غيره في رصا حلف أو سخط . وحجتهم عموم الآية ، وأن الله تعالى ذكره لم يخص من قوله . للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر . بعضا دون بعض ؛ بل عم به كل مول ومقسم .

وعلى كل فالإسلام نصير المرأة ، اعتبرها كائنا بشريا لاشيئا من الأشياء ، كما كانت تعتبرها الشرائع الأخرى . كانت تقفل خشية الإملاق ، وكانت لا ترث ؛ بل كانت تورث هي كما يورث المتاع ، فأعطاها حق الحياة وحق الملك ، وعاملها على أنها كائن عاقل رشيد . وإذا كنا نرى اليوم من يضار المرأة ويتفنن في إبدائها ، ويخرجها غضبه عن طوره ، فيهجر امرأته مدة قد تطول أو تقصر ، فقد رأينا حكم الشريعة الإسلامية في أن ضربت لذلك أجلا إذا تخطيتاه وقعنا في الحرج والإثم ، وإذا كان الإيلاء مثلا من احترام الإسلام للمرأة ، فعيده في شرعة الإسلام كثير وكثير .

# العقيدة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ بدر المتولى عبد الباسط  
المدرس بكلية الشريعة

قال رسول الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه». الثنتين فطرة فطر الله الناس عليها، فابن الغابة وابن المدينة وابن البادية وابن الحاضرة، كل أولئك ينشأون على اعتقاد أن هناك قدرة قوية تدير هذا العالم، وتدير أموره، وتنظم شئونه، قوى يلتصمها الإنسان فيما حوله من الكائنات، فأما قصار النظر فوقفوا عند المحسوس، أو اطعموا إلى ما عليه الآباء والجدود، وأما أولئك الذين أنار الله بصائرهم فلم يقفوا عند حدود المراتب، بل تغلبوا بمقوله إلى ما وراء ذلك حتى وصلوا إلى الحق، وقد صور الله سبحانه حيرة الإنسان في طريق وصوله إلى الحق، بما ذكره في قصة إبراهيم عليه السلام، حينما كان يحاور قومه ليرشدهم إلى الإله الحق على طريقة الاستقراء المعروفة عند المربين، قال سبحانه: «فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازعا قال هذا ربي، فلما أفل قال لن لم يهتدي ربي لأكون من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازعة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت، قال يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حقيقاً وما أنا من المشركين». ولما كان أكثر الناس لا يؤمنون إلا بالمحسوس، ويكفرون بما وراءه، وجدنا منهم من عبّد الجاد والحجر، وقّس الحيوان والشجر، وسجد للشمس والقمر، بل إن بعضاً من الناس ألغى عقله، فصنع الحجر يده ثم شربه ساجداً، وقرب إليه القرابين، وتزلف إليه بجميع أنواع الزلّتي، وما ذلك إلا لافتتاه بالمحسوس أو اتقياده إلى التقليد الأعمى.

لهذا لم يدع الله الناس إلى عقولهم لحسب ، لأنه كثيرا ما تطنى عليها الأهواء وتعمىها ظروف البيئة ؛ بل أرسل إليهم رسلا مبشرين وحذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة ، وكانت المهمة الأولى للأنبياء والمرسلين ومن على طريقهم من العلماء والمرشدين : هي إصلاح مافى عقائد الناس من خطأ ، وإرشاد العقول إلى طريق الحق والصواب ، وإرجاع الناس إلى فطرتهم السليمة التي أفقدتها البيئة ، وطفئت عليها الأهواء . شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . فحمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله على حين فتره من الرسل ، طمست فيها الشرائع ، وبذلت فيها العقائد ، واحتكر الدين قوم أغلقوا على أنفسهم الصوامع والبيع ، وباعدوا بينهم وبين الناس ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ، فجدد ما اندرس من هذه الشرائع ، وأرشد الناس إلى العقيدة الصحيحة ، وجعل العلم حقا مشاعا للجميع ، فرض عمله على كل مسلم ومسلمة ، وأطلق العقول من قيودها ، وأيقظ الأفكار من سباتها ، وهيا الإنسانية لحياة حرة كريمة .

وليس الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كلمة تقال ، أو حركات ورسوم ، وإنما هو عقيدة صحيحة متغلغلة في سويداء القلوب ، مقلطة على الجوارح والأعضاء ، فديته عقيدة تؤيدها الأقوال والأفعال .

والعقيدة هي الأساس لهذا الدين فهما انصف الإنسان بكرم الخلال ، أو قدم من صالح الأعمال من غير أن يكون صحيح العقيدة ثابت اليقين ، يكن كن يبنى على شفا جرف هار ، فانهار به في نار جهنم .

« مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد . »

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب ، أو كظلمات في

بحر لجلى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ؛ حتى إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فإنه من نور .

إذا كان هذا هو شأن العقيدة في الدين ، فلا عجب أن كان تصحيح العقائد أول مهام الأنبياء والمرسلين ، وخلفائهم من العلماء العاملين . ولا عذر لأحد في الجهل بأصول دينه مع توفر أسباب العلم ، وكثرة وسائله ؛ فواجبك الأول أيها المسلم والمسلمة أن تنظر في عقيدتك ، وترى أمى صحيحه أم فاسده . والعقيدة الإسلامية لا تتواء فيها ولا غموض ، ولا لبس فيها ولا تعقيد ، بل هي فطرتك التي فطر الله الناس عليها ، ليس فيها تعاليم سرية ، لا تلقن إلا من وراء الحجب والاستتار ؛ بل هي واضحة المعالم فيرة الطرق ، متفقة مع العقول السليمة والبصائر النيرة .

وأساس هذه العقيدة هو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، ومعنى إيمانك بالله تعالى أن يعتقد قلبك اعتقاداً جازماً لا شك فيه ، أن لهذا العالم إلهاً ليس كمثل شيء ، واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله ، قادراً مريداً سميعاً بصيراً متصفاً بكل صفات الكمال ، منزهاً عن كل صفات نقصان ، وأن كل من سواه مفتقر إليه في كل أموره وأنه غنى عن كل ما هداه ...

والإيمان بالله على هذا الوجه هو النور الذي يهدي الناس إلى سبل السعادة في الدنيا والآخرة ، وهو رأس كل خير وأساس كل فضل ، وعصمة للإنسان عند الرخاء ، وعدة له عند البلاء ، ومن حرم الإيمان بالله تعالى ، فهو في ظلمات بعضها فوق بعض ؛ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجياً ، كأنما يصعد في السماء ؛ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون .

وإذا كان هذا هو شأن الإيمان بالله تعالى بالنسبة إلى الأفراد ، فهو للآمة حماية لها من الأفكار الهدامة والنزعات المتطرفة ، وسياج لها من فساد الأخلاق ، فكل أمة نشأ فيها الإلحاد والكفر بالله ، تحللت أخلاقها ، وتفرقت كلمتها بتفرق أهوائها ، فكل آرائها تكون صادرة عن الهوى والغرض ، وما أكثر الأهواء والأغراض !! لهذا كان الإيمان بالله تعالى رأس الأديان السماوية كلها .

ولقد أقام الله البراهين القطعية على وجوده ووحدانيته ، واتصافه بكل كمال  
وتكملة من كل نقص ، ولا أقول لك التمس هذه الأدلة من كتب الفلاسفة  
والمشككين ، ولكن أقول لك التمسها من كتاب هذا الكون البديع . فكل  
ما تراء عيناك ، أو تسمعه أذنيك أو تلمسه يدك ، أو يذوقه فمك أو يشمه أنفك دليل  
على الإله القادر الحكيم .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وليبدأ الإنسان بالنظر إلى نفسه ، وما أودع فيه من قوى ظاهرة وباطنة .  
وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ، ثم لينظر نظرة أخرى إلى ما حوله من كائنات  
علوية وسفلية ، فإنه مع تباين أجناسها ، وتمدد أنواعها ، واختلاف أشكالها  
والأواها ، وخصائصها وميزاتها ، تجدها كلها مرتبطة بأوثق رباط ، وأحكم الصلات ،  
فتجد الأرض مرتبطة بالسماء ، والسماء مرتبطة بالأرض ، والهواء مرتبطاً بالماء ،  
والماء مرتبطاً بالهواء ، والحيوان مرتبطاً بالنبات ، والنبات مرتبطاً بالحيوان ،  
والكل مسخر للإنسان : . أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما  
خلق الله من شيء . . فهل يكون كل ذلك عن طريق المصادفة البحتة ، مع هذا  
الإنقان والإحكام ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! ثم إن كان كل شيء قد وجد  
بطبيعته ، فمن الذي ربطه بين أنواع الموجودات ؟ ومن الذي خالف بين أفراد  
النوع الواحد مع اتحاد الأسباب والمؤثرات ؟ هل تقذف الطبيعة إلى الوجود  
إلا شكلاً واحداً للنوع الواحد ، كآلة لا تقذف إلا نموذجاً واحداً ، لما تخرجه  
من المصنوعات ، أفلا يدل ذلك كله على الصانع الحكيم ، الذي يدبر شئون هذا  
العالم وينظم أموره : . ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم  
والألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، . وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنان  
من أعشاب وزرع ونخيل صنوان ، وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ويفضل بعضها  
على بعض في الأكل : إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . .

فهذا الكون ما هو إلا سفر كله آيات على صحة عتيدتك أيها المسلم والمسلة  
في الله تعالى فلا تلتبس في سواء دليلا .

وكما تقدم العلم وتيسرت وسائله ، تكشفت لنا أدلة جديدة تؤيد هذه العقيدة .  
 . سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، ف هذه هي الذرة  
 قد انكشف لنا شيء من سرها . من الذي أودع فيها تلك القوة الجبارة ، وجعل  
 كل ذرة مع صغر حجمها وتفاهة شأنها ، مثل مجموعة شمسية في كواكبها وأقلا كها ؟  
 فليتقدم العلم ما شاء له الإنسان أن يتقدم ، فلن يكون إلا حجة للدين ، وبرهانا على  
 وجود رب العالمين .

لعل أحدا من المسلمين الآن لا يشك في وجود الله تعالى ، اللهم إلا أن تكون  
 طبيعت قد فسدت وبصيرته قد عميت ، وهؤلاء قد خلدوا ربة الإسلام من أعناقهم ،  
 وليس إنكارهم عن حجة أو شبه حجة ؛ ولكن عن مرض في نفوسهم .

وقد نكر العيون ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم  
 وأمثال هؤلاء قد وجدوا في كل أمة ، وفي كل زمان كمكروبات الأمراض  
 المختلفة من وجدت البيئة التي تناسبها ، فتكت بالناس فكها الذريع ؛ لكنها  
 لا تؤثر في من عنده مناعة في بيئته . فلنحم عقولنا وعقول أبنائنا من سموم هذه  
 المكروبات البشرية .

وإذا كان مما يُسر له أن أكثر المسلمين صيحوا بالعقيدة في الله تعالى ،  
 إلا أنه مما يؤسف له أن أكثرهم لا تظهر عليهم آثار هذه العقيدة ، فبينما  
 نراهم يعتقدون بأن الله وحده هو الرزاق ذو القوة المتين ، إذا بك ترى كثيراً  
 منهم يلتمسون الرزق من غيره ويطلبونه من سواه . وبينما يعتقدون أنه وحده  
 هو الذي يجب المنظر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، إذا بهم يصرون في الشدة  
 إلى غيره ، ويلتمسون كشف الضر من سواه ، وبينما يعتقدون بأنه سبحانه حكيم  
 في أفعاله وأحكامه نراهم إذا نزلت بهم نازلة سخطوا وجزعوا ، وإذا نهم عن منكر  
 أو أمرهم بمعروف لم يمشلوا ؛ بل منهم من يرى الحكمة في غير ما حكم الله ، وهؤلاء  
 لاحظ لهم من الإسلام إلا أن يتسموا بأسماء المسلمين ، ويدفوا في قبور المسلمين ،  
 والعقيدة مالم يكن لها سلطان في القلوب كانت فكرة مجردة ، وشتان بين العقيدة  
 والمكرة . ونعوذ بالله من فكر بلا عمل ، كما نعوذ به من عمل على جهل .

# أدب الجوار

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم أبو سعيد

جعل الله الحياة متشابكة المصالح متعددة المنافع ، متشعبة التواحي ، لا يستطيع النهوض بها فرد ، ولا القيام بأعبائها إنسان ، مهما أوقى من قوة العزم ، وشجاعة الجسم ، وسعة الحيلة ونفاذ البصيرة . وهل يستطيع شخص أن يقوم بشئون حياته وحده ، ونحن نشاهد ، ونبصر بعيوننا تعدد مشاكلها ، وقسوة مطالبها ، وشدة متاعها ، وكلما انتهى المرء من علاج أمر فيها ، راعه وأزعجه أمر آخر ، لا قبل له به ، ولا طاقة له عليه ، ولا حيلة إلا أن يقف عاجزاً حائراً مضطرباً .

هذه الحياة المعقدة المتشابكة ، لا يسهل على الإنسان شدتها ، ولا يلين له قسوتها إلا تعاونه مع غيره تعاوناً يسوده الإخلاص ، وتزبه مراقبة الله عز وجل ، واتفاقه مع سواء من بني جنسه ، اتفاقاً أساسه شرف النفس ، ورقة الحس ، وخلوص القلب ، ونقاء الضمير ، وحفاء السريرة ، والبعد عما حرم الله .

ألا وإن أعظم مظاهر التعاون والتساند ، ما يكون بين الجار وجاره من حسن التآلف ، وصدق الترابط ، وتوثق الإخاء ، وإحكام روابط الألفة ، ووشائج المودة .

لجارك أقرب الناس إليك ، وأسمعهم لصيحتك ، وأسمعهم لنصرتك ، يسعفك وقت الشدة ، ويحف إليك حين النازلة ، يحاول أن يخفف عنك من الكرب ، ويسر عليك ما نزل من الثوب ، بما يذل من مساعدة سريعة ومعوقة عاجلة ، يحتاجه المرء في أشد ساعات الليل ظلاماً وأكثرها حلكة ؛ فلا يمز عليه طلبه ، ولا يعسر عليه حضوره ، فالحاجة إليه شديدة ملحة ، وعشرته طويلة مستديمة .

من هنا جاء الإسلام بآداب وتعاليم تركز الروابط ، وتحكم الصلات ،

وتقوى الآلة ، والمحبة بين الجار وجاره ، أمر الدين بحسن الجوار ، وحث عليه حثا قويا مؤكدا ؛ ليقوم النفع والانتفاع ، والتعاون بين الجيرة على أساس متين من الحب ، وصدق المودة ، ودعا دعوة جازمة صريحة إلى بذل الخير للجار ، وكف الأذى عنه ، قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذي القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم ، إن الله لا يحب من كان غفلا غفورا » .

وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم شديد العناية بالجار ، كثير العطف عليه والوصية به ، يبذل لجاره من خالص ماله ، ومن إخلاص قلبه ، ومباحة نفسه ومن عاطفته وجهه ، ما يطلق الآلة بالدعاء والشكر ، ويفعم الأتفة بالتناء والحمد ، ويغرس فى أطواء الصلوب أعنى الحب ، وأصدق المودة ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يفتأ يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار : حتى ظننت أنه سيورثه » ، والمعنى يلحقه بالقرابة القريبة التى يؤول إليها مال الإنسان وما يملكه بعد حياته .

فهل بعد هذا احترام لصلات الجوار ، وتنديس لروابطه ؟ وهل بعد هذا حث على أن تقوم الملاق ، وتنهض الصلات بين الجيران على أقوى دعائم الآلة والمودة ؟ ليثمر الجار أنه حين يخدم جاره ، ويبذل له عونه ونصرته إنما يخدم نفسه ، ويحسن إلى شخصه ، وأنه يدخر لنفسه عند الله ثوابا وفيرا ، وأجرا كبيرا .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق . الجار المسلم ذوالرحم ، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الجار الذى له حقان ، فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، والذى له حق واحد الجار المشرك » .

فالإسلام بأسمى تعاليمه ، وأروع آدابه ، يحترم الجار ولو كان مشركا ؛ فإن له حق الجوار ، وهو الإحسان فى المعاملة ، وكف الأذى عنه ، وتقديم الخير له .

أليس مما يوجب أشد الأسف ، وأمضى الحزن ، وأحر اللوعة ، ما نراه شائعاً الآن بين الجيرة من تدار ، وما نلمحه في صفوفهم من تناثر ، وما ينشأ بينهم من خصومات ومنازعات ، لا تقف عند حد ، ولا تنتهي إلى نهاية ، وبدلاً من أن يدعم الجوار إلى الاتحاد والوئام ، كان سبب التحاسد والخصام ، ومدعاة المنافسات الحاقدة ، والمكائد الآثمة ، والاعتداءات الظالمة .

أول ما يجرب الإنسان شروره يجربها بين جيرانه ، وأول شرارة تنبعث من آثامه إنما تنقض عليهم ، فهو ينتهز فرصة الجوار ؛ لينتهك الحرمات ، وينشأ الأعراض ، ويطلب الحقوق ، ويكشف العورات ؛ كما تفعل أشد الحيوانات شراسة ، وأقبحها وحشية ، يحقد عليه إن كان قويا عنه ، ويستعبده ويستذله إن كان ضعيفاً لا يستطيع الثبات أمامه ، وما دام يستطيع الإفلات من يد القانون ، والحرب من وجه العدالة ، فليكثر الإيذاء ، ولتتمدد الشرور إلى حد لا يقره شرف ، ولا يرضاه دين ، ولا تستبجه رجولة .

فهل عند هؤلاء ذرة من الإيمان الصحيح ؟ وهل عندهم لحظة من مراقبة جبار الأرض والسماوات ؟ .

هذا هو منطق الإسلام ، صريح لا غموض فيه ، مستقيم لا هوج فيه ولا التواء ، وقد دفعهم بقارعتة ، وسلبهم الإيمان الذي يملأ القلب نوراً ، والنفس رحمة .

يقول صلى الله عليه وسلم : « واقفه لا يؤمن ، واقفه لا يؤمن ، واقفه لا يؤمن ! قيل من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بواقفه . قالوا : وما بواقفه ؟ قال : شره وظلمه . » .

فهل بعد هذا صراحة في سلب الإيمان عن شخص لا يكف شروره ، ولا يمنع ظلمه من جيرانه .

ولكن لا يعتبر بهذا ، ولا ينصت إليه هؤلاء الذين تسلطت عليهم شرورهم ، واستلكتهم شياطينهم ؛ فأخذوا يمحطون جيرانهم وأبلا من عدوانهم وإساءتهم .

ألا ما أروع أدب الاسلام ، وما الملع حكمة البوة الخالدة ، وأجل تصوير الرسول صلى الله عليه وسلم لحق الجار ، وشدة عايته بحايته ! لقد قال صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : « ما تقولون في الزما ؟ قالوا : حرام حره الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال صلى الله عليه وسلم : لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ! فاقولون في السرقة ؟ قالوا : حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام . قال صلى الله عليه وسلم : لأن يسرق الرجل من عشر آيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره ! »

فهل يتدر هذا من يتعاملون عن هذه الآداب ، ويمضون عيونهم عن تلك التعاليم ؟ وهل يتعمق أولئك الذين يدعون نفوسهم تستجيب لأهوائها ، وتخضع لنزواتها ، وتضعف أمام أحقادها ؛ فيشتد التآكر بينهم وبين جيرانهم ، من أجل ذلك تفسد الروابط ، وتفصم العلاقات ، انفصاما تاما لا ارتباط بعده ! يقترب الواحد منهم من أخيه وجاره ، ويسمع صوته بل همه ، ويشاهد من أحواله ما لا يطلع عليه إلا أقرب الناس إليه ، وأمسهم به رحما ؛ فإذا تقابلت الوجوه ، تبادرت القطيعة ، وتنافرت الالفة ، وغابت المودة ، ولوى كل وجهه ؛ فلا سلام ولا تحية ، ولا تعارف ولا اتصال ، ولا زيارة في محبة ، ولا عبادة في مرضى .

أليس كل عاقل يدرك أن هذا ضعف في الخلق ، ونقص في الرجولة ، وجبل بآداب الدين والاجتماع ، لقد انعكست الأوضاع ، وانقلبت الأمور ، فأصبح الجوار وسيلة إلى الإيذاء ، وسبيلا إلى الشر ، ومدعاة إلى العدوان والظلم ، وهامى دور المحاكم والقضاء شامدة على ظلم الإنسان لجاره الإنسان ، مع أن نبي الإنسانية صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا أبا ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وإذا اشتريت لحما ، أو طبخت قدرا ؛ فأكثر مرقة واغرف لجارك منه . »

ويجعل النبي الكريم شهادة الجار في جاره مقياسا لما هو عليه من خير أو شر وصلاح أو فساد ؛ سأله رجل فقال : يا رسول الله كيف لي أن أهدأ إذا

أنا أحسنت أو أسأت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتم يقولون قد أسأت فقد أسأت » .

وهل في أي شرع من الشرائع ، أو أي دستور من الدساتير ، دعوة إلى تقديس الجار وحمايته ، واحترامه والإحسان إليه . مثل هذه الدعوة الكريمة التي جاء بها الإسلام على لسان رسوله العظيم ؟

يقول صلوات الله عليه : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أهته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عده ، وإن مات تبعته جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابه مصيبة هنأته ، ولا تستغل عليه بالبناء ؛ فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فادخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ؛ ليفيظ بها ولده » .

هذا هو الدين الحق ، والأدب الكريم ، والخلق المستقيم ، والمعاملة الطيبة ، فمن أبصر فلسفه ومن عمى فعلها ، وما ربك بظلام للعبيد .

## الاستبانة والتبيين

قال علي بن الحسين رضي الله عنهما :

« لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج في صدورهم ، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المازعة إلى كل حال سوى حالم ، وعلى أن أدرك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغرور بالجهل ، ومفتون بالصجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبوت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم » .

نقول لقد كشف الإمام عن أشد أدواء القلوب ، وعن أشق علاج لها ، وهو أن الجاهل لا يستبين ما لا يعلمه ممن يعلمه ، فيبقى طوال حياته غريقاً في جهالته مصروفاً عن علاج حله .

# عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْدِيمُ الْعِلْمِ

للأستاذ عمر طلعت زهران  
أستاذ في الآداب

حل العلماء المسلمون العبء الأكبر في البحث والإنتاج من منتصف القرن الثامن إلى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم والمعرفة — قبل عصر النهضة — كما كانت لغة الثقافة عامة ، لا للمسلمين لحسب ، وإنما لجميع الأمم والمجتمعات التي أخذت المدنية الإسلامية ؛ كالمسيحيين ، واليهود ، والفرس ، وأهل الشام ، والعرب ، والأتراك .

والنشاط العقلي ، فيما يدلنا التاريخ ، ليس حقاً وراثياً لأي جنس أو مجتمع ، وإنما هو نتيجة استقرار الحياة ، وخلوها من كوارث الطبيعة أو الحروب أو الطغیان . والحياة جادت بالمباقرة حيث وجد السلام والرخاء ، في كل عصر ، وفي كل جنس ودين . وكلما ساد السلام ، وعمت الطمأنينة والرخاء ، في مجتمع ، كلما استطاع أن يحقق قدراً أكبر من الإنتاج العلمي .

ومن المأثور عن الحكم الإسلامي — فيما يروى التاريخ — تشجيعه للزراعة والتجارة ، ورعايته للعلوم والفنون ، فكان من نتائج هذا أن ساهم المسلمون ومواليهم بقدر كبير في تقدم العلوم .

وترك لنا المؤرخون ، وكتاب السير والعلماء ثروة ضخمة ، أضاع الكثير منها المغول في الشرق ، ومحاكم التفتيش في إسبانيا في الغرب ؛ وما بقي ظل في أيدي بعض الجهال من المسلمين ، فاحتفظوا به ، بوصفه من آثار السلف ، أو باعوه ، فذهب إلى المكتبات الأجنبية .

ومن هنا كنا مدينين للمستشرقين من الغربيين ، حين نشرحوا وشرحوا بعض كتبنا التي طال عليها النسيان ، نخدموا المدنية عامة ، والثقافة الإسلامية خاصة . بدأ المسلمون بعصر الترجمة عن اللغات الإغريقية والفارسية ، وما لبثوا حتى بدت شخصيتهم واضحة جليلة ، فبحثوا وألفوا . وما إن حل القرن التاسع الميلادي ، حتى تميز بأنه « عصر إسلامي » . فقد كان العلماء المسلمون فيه يعملون لواء العلم ، كما كانوا هداة المدنية ورعاة الحضارة . وذهب صيت الكندي والخوارزمي والفرغاني وغيرهم ، يدوي في أرجاء العالم العقلي : في الرياضيات والفلك والفلسفة والموسيقى وغيرهما من الفنون . وظلت أبحاث الفرغاني الفلكية حجة علماء هذا الفن ، حتى القرن الخامس عشر ، وترجمت إلى اللاتينية والعبرية ، فقد قاس محيط الكرة الأرضية ، وعرف كثيراً عن المسافات بين الكواكب ، وقدّر أحجام ومحيطات بعضها .

أما أبو مشعر ، ويعرفه الغرب باسم Albumasar ، فقد شرح تأثر الهند والجزر بالقمر .

وفي النصف الثاني من نفس هذا القرن ، عرف العالم الغربي مسائل أرخميدس وكتابات أبولونيوس<sup>(١)</sup> ومينالوس عن طريق المهني ، وهلال الخصي ، وأحمد ابن يوسف ، كما أتم الخوارزمي مسائل هندسية دقيقة وصنف البطلي ، ويعرفه الغرب باسم Albatelgnius ، قائمة تضم ٨٨٠ نجماً ، كما عرف المجموعة الشمسية ، واكتشف اكتشافات فلكية هامة حققها العلم الحديث أخيراً . وكان أبو كامل ابن أسلم ، وإبراهيم بن سنان - والاول من علماء الجبر ، والثاني من علماء الهندسة - أشهر رياضيين ، زاننا عصر المسعودي أعظم المؤرخين قاطبة .

ونجد الفلاسفة المسلمين على هم واسع غزير ، ألما بنواصي العلوم ، وتمكنوا من دقائق الفنون ، فلم يكن أبوزكريا الرازي ، وهو Rhazes الذي شاد بذكره الغربيون ، طبيباً متمكناً خصب ، وإنما كان عالماً تجريبياً في الطبيعة والكيمياء أيضاً ، وترك أبحاثاً رائعة خالدة في الطب ، وسبق لافوازييه<sup>(٢)</sup> في أبحاثه عن طبيعة العناصر الكيميائية .

(١) أبولونيوس دورجا ، عالم هندي إغريقي عاش في الاسكندرية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد

(٢) عالم فرنسي كيميائي شهير من مؤسسي علم الكيمياء الحديثة له نظريات كثيرة ، وله

وإن أى عصر ليفخر بأمثال عبد الرحمن الصوفي، وابن يونس، وابن الهيثم، والبيروني، وابن سينا، وعمر الخيام، وابن رشد. كان الأول راصداً فلسفياً ممتازاً، لا يزال كتابه «صور الكواكب» ـ متبعاً لدراسة الظواهر السماوية. ووضع ثانيهم جداول في القاهرة أدت إلى استكشافات فلكية هامة. أما الثالث فهو إمام الرعيل الأول من علماء الطبيعة، وكتابته في علم الأبصار صحح أخطاء نظريات كثيرة عن طبيعة الأبصار.

وأبحاث البيروني تضعه في الصف الأول من صفوف علماء الفلك، كما كان باحثاً منهجياً في الظواهر الطبيعية، كما يظهر من وصفه لضوء الشفق، وارتفاع المياه في الجداول، وتاريخ وادي نهر السند. وما زال قانون ابن سينا في الطب إنجيل القرون الطبي، وقد اكتشف أن بعض الأمراض تنتقل عدواها عن طريق الماء؛ وإن شهرة «عمر الخيام» كعالم رياضي تفوق شهرته الواسعة كشاعر بهر العالم برقة شعره ومعانيه.

ولم يكن ابن رشد ندماً لأرسطو — مثله مثل الفارابي — فحسب، وإنما تميز باكتشافات عدة منها معرفته بالبعث الشمسية، وابتكاره آلة قياسية دقيقة.

وكانت تراجم محمد الأصفهاني لحسة كتب من سبعة ألفها أبولونيوس، هي المصدر الوحيد الذي عرفها به العالم. وكان «نصير الدين الطوسي» أول علماء هولاء، وكتب كتابه الذائع الشهرة: «المتوسطات وشكل القطع»، وناقش نظريات إقليدس مناقشة أخذها عنه «سيرولانوسا كيري»، وبنى عليها أساس الهندسة غير الإقليدية. وشرح أحد تلامذته تكوين قوس قزح فسبق ديكارت<sup>(١)</sup> بثلاثة قرون.

وكم من دقائق اقتصادية وجغرافية وجنسية نجدها في رحلات ابن الخوئل وابن جبير، وابن بطوطة، وما زالت أهمية كتب ياقوت والإدرسي قائمة توثق ثمارها.

وكان الزهروى أكبر علماء عصره في التشرح، وذكر في كتابه «التصريف»

(١) ديلوف وطبيب وعالم هندسي فرنسي، كتب: «مقال عن المنهج وتأملات ميتافيزيقية» ومات في استكهولم وهو يبالغ ملكتها سنة ١٦٥٠.

حقائق كثيرة ، وطبع منه الجزء الخاص بالجراحة في جامعات البندقية وبالواكفور .

وكتب ابن النفيس في الحديث وأمراض العين والتغذية ، وبين في كتابه شرح تشریح ابن سینا ، وظيفة القلب في توزيع الدم . وكان الاطباء المسلمون حجة في أمراض العيون ، فكان كتاب نور العيون ، لصالح الدين بن يونس مرجع الاطباء لقرون بعد وفاته .

ونظراً لرخص المنتجات اليدوية - في القرون الوسطى ، ورخص حيوانات النقل ، وقلة الحاجة الى الكياليات ، فإن العناية لم تنج الى الابتكارات الميكانيكية . ومع ذلك نرى العرب عرفوا الساعة المائية ، وبحثوا في قوة الماء والنافورات ، وهرقوا البارود ، واستخدموا البوصلة المغناطيسية في الملاحة . وقاد ابن مجيد سفينة فاسكودا جاما <sup>(١)</sup> الى الهند .

وعرف العرب الاعشاب الطبية ، وعلفوا في أنحاء العالم بحثاً عنها . ولنا نبأ ان نذكر : ان العرب بدأوا الزراعة في اسبانيا على أسس علمية ، ومنها انتشرت الى أوروبا . ولم يقتصر اهتمامهم بالنبات ، وإنما تمدوا الى عالم الحيوان ، فاحتسوا بالناقة والمواد خاصة ، وعرفوا نظرية التطور ، عرفوا النظام . المتوفى سنة ٨٤٥ م ، وما دحي بن يقظان ، لابن طفيل إلا قصة علمية سطحية عن التطور .

وبجانب شهرة جابر بن حيان في علم الجبر ، فإنه كان أكبر باحث - في عصر ما قبل النهضة - في الكيمياء .

وان هذه المعلومات وأمثالها ، إنما نستقيها ، من دوائر معارف إسلامية لأنثال ابن التديم الوراق ، وابن أبي أصيعة ، وياقوت وابن خلكان وغيرهم . ولنا نذكر أخيراً أبحاث ابن خلدون في علم الاجتماع التي سبق بها أوجست كونت <sup>(٢)</sup> الذي يقولون - زوراً - إنه مبتكر هذا العلم .

(١) ملاح برتنالي اكتشف سنة ١٤٩٨ م طريق رأس الرجاء الصالح حول أفريقيا ، الى الهند .

(٢) السالم الراجي وثقيل وف لفرنس المعروف ، وصاحب المذهب الوضعي ماش بين

## إعجاز القرآن:

### مذهب الصِّرفَةِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حسن العماري  
مبعوث الأزهر بالسودان

- ٣ -

إذن فليس أمامنا — مما يمكن أن نطمئن إليه اطمئنانا كاملا — إلا هذا النص الذي وقع لنا في كتاب الحيوان للجاحظ ، ولكي نفهم هذا النص فيها أقرب إلى الصواب ، نحب أن نقدم بين يديه ما يسد رأينا في فهمه ، وما يلقي لنا ضوءا على المقصود منه .

يكاد يكون من الأمور المشهورة عن الجاحظ أنه يرى في إعجاز القرآن ، رأى أهل العربية . ذكر صاحب المواقف في كتاب النبوات ذلك فقال : « وقيل — أى في إعجاز القرآن — كونه في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها ، وعليه الجاحظ ، . وفي كتب الجاحظ ما يؤيد ذلك ، وهو تارة يقول : إن القرآن معجز من ناحية أسلوبه ، وتارة يقول من ناحية نظم ، والمطالع لكتبه يجد تحديثا بذلك في مواضع كثيرة ، ومن قوله في ذلك بعدما ذكر ما كان من شأن النبي مع قومه : « وهو في ذلك يحتاج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحا ومساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها ، وتفرعاً لمجرم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفياً ، ويقول في موضع آخر . « وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق ،

نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد... الخ، بل إن الجاحظ يرى أن العرب لا يستطيعون أن يسموا النبي صلى الله عليه وسلم في فصاحته، وأن يحاروه في بلاغته، ويشيع هذا المعنى في كتابه البيان والتبيين، ومن ذلك قوله: «فإذا رأيت مكانه - يريد النبي - الشعراء، وفهمته الخطباء، ومن تعبد للبحاى، وتعود نظمها، وتنصيدها وتأليفها وتسيقها واستخراجها من مدافها، وإثارتها من أما كتبها؛ علوا أنهم لا يلفون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم، وبكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم في طلبه، واختلاف إلى أهله».

على أن النظام نفسه له رأى في إعجاز القرآن غير القول بالصرفة، فإن كل الذين نقلوا عنه من غير أصحابه يضمون إلى القول بالصرفة قوله: «إن القرآن معجز لما فيه من الإخبار بالأمور الماضية والآتية، ومعنى هذا أنه يرى أن العرب غير قادرين على الإتيان بمثل القرآن: لما فيه من الإخبار بالمغيبات، وقد قرأت كلمة لبعض الكاتبيين في مجلة الأزهر<sup>(١)</sup> يقول: «فذهب النظام إلى القول بالإعجاز البياني كما يقول أهل العربية، فإن كان لهذا القول مصدر فهو مما يؤيدنا فيما نذهب إليه».

ثم نسوق نص الجاحظ<sup>(٢)</sup>: تكلم في تفسير قوله تعالى: «وتفقد الطير فقال: ما لي لا أرى المدهد أم كان من الغائين: لا عذبة عذاباً شديداً، أو لا ذبحته أو ليأتيني بسلطان مبين»، ثم أورد اعتراضاً محصلاً أن الله تعالى أعطى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فلذلك على الجن فضلاً عن الإنس، وعليه منطق الطير وسخر له الريح، فكيف لا يعرف ملكة سبأ مع قرب دارها، واتصال بلادها، ثم يجيب: «إن الدنيا إذا خلاها الله وتدير أهلها ويجارى أموراً وعاداتها: كان لعمري كما تقولون، ولكن قه تدبيراً تعجز عن فهمه العقول، ثم ساق أمثلة على ذلك: أن يعقوب كان أبه أهل زمانه، وكان يوسف وزير ملك مصر ومن النباهة بالموضع الذي لا يدفع، وله البرد وإليه يرجع جواب الأخبار، ثم

(١) هو الشيخ يوسف البيوى في العدد الخامس من السنة ١٣٦٢ ص ٢٦١.

(٢) الحيوان ٤ ص ٣٠ وما بعدها طبعة سلس.

لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب عليهما السلام دهرًا من الدهور . ثم قال : « وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه في التيه ، فقد كانوا أمة من الأمم يكسبون أربعين عامًا في مقدار فراسخ يسيرة ، ولا يهتدون إلى المخرج ، وما كانت بلاد التيه إلا من ملاحهم ومتزهاتهم ، ولا يعدم مثل العسكر الأدلاء والجمالين والمكاريين والقبوح والرسل والتجار ، ولكن الله صرف أوهامهم ، ورفع ذلك القصد من صدورهم ، وبعد أن ساق أمثلة أخرى قال : « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحدام الرسول بنظمه ، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك لجاء بأمر فيه أدنى شبهة ، لعظمت القصة على الأعراب ، وأشياء الأعراب ، والنساء وأشياء النساء ، ولالتقى ذلك للسلبين عملا ، ولعللوا المحاكمة والتراضى يحض العرب ، ولكثر القيل والقال ، فقد رأيت أصحاب مسيلة وأصحاب بنى النواحة إنما تعلقوا بما آلف لهم مسيلة من ذلك الكلام ، الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن ، فسلبه وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه ، فكانت ذلك التدير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له . »

ولا يفوت الرافعى — رحمه الله — هذا النص ، وأنه يناقض المشهور عن الجاحظ . فيقول : « وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر أستاذه ، وهو شيء ينزل على حكم الملايسة ، ويعتري أكثر الناس إلا من تنبه له أو نبه عليه ، أو قد يكون ناقلًا ولا ندري ، ولكننا لو فرغنا أذهاننا مما قاله المتقدمون في معنى الصرفة ، ونظرنا إلى هذا النص على ضوء ما قدمنا لوجدنا أنه ليس غريباً على الجاحظ ، بل ولا على الرافعى نفسه ، فليس الصريف هنا عن الإتيان بكلام يكون في مرتبة القرآن ، ولكنه عن الإتيان بكلام يمكن أن يجادل عنه ، ويتناضل دونه ، ويقال فيه كما قال الجاحظ نفسه في موضع آخر « فلم يرم ذلك — يريد المعارضة — خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ، ويحامى عليه ، ويكابر فيه ، ويژهم أنه قد عارض وقابل وناقض ، وهذا النص نبعد كلام

الرافى فى أن ما قاله الجاحظ من أمر الصرف ، إنما جاء استطراداً ، على أننا نلاحظ أن الجاحظ لم يرد فى نصه هذا شيئاً من الإعجاز ، ولا ذكر لفظة ، فمن أين جاءهم أن المراد بالصرف ، الصرف عن الإتيان بمثل القرآن ، فيكون هو وجه الإعجاز .

والسألة صريحة واضحة لا لبس فيها ولا التواء ، : العرب لا يستطيعون أن يجيئوا بمثل القرآن لأنه فوق مستواهم ومحال — أكرمك الله — أن يرى الجاحظ أن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم فوق مستوى العرب ، ولا يرى بلاغة القرآن ، ولكى تبعد كل شبهة عن القرآن ، رفع الله من أوهام العرب — ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقصار الموجزة ، والكلام سيد عملهم — رفع من أوهامهم أن يحاولوا أن يجيئوا بشيء فى معارضة القرآن ، أعنى شيئاً من مثل كلامهم البليغ بعنوان المعارضة ، وهذا يفسر لنا خلل الكتب من شيء صدر عن العرب ذى بال فى معارضة القرآن ، وهذا المعنى عبر عنه ابن حزم فقال : فما منهم — يريد البلغاء — أحد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط ، وصار مهزأة ومعية يتاجن به ، وبما أتى به ويتطايب عليه ، منهم مسيلة ابن حبيب الحنفى ، لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك التكللى ، وقد تماطى بعضهم ذلك يوماً فى كلام جرى بينى وبينه فقلت له : أتق الله على نفسك ، فإن الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها ، والله لأن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسيلبك الله هذه النعمة ، وليجعلملك فضيحة وشهرة ومسخرة ومضحكة ، كما فعل بمن رام هذا من قبلك ، فقال لى : صدقت والله وأظهر الندم والإقرار بقبحه ، وكلام ابن حزم هذا إنما نسوقه على مقدار ما يؤدى لنا من غرض فى هذا الذى نحن بصده ، أما تفسيره للصرفة فله منا موقف آخر ، قلت : والرافى يستعمل — على حسب تعبيره — إلى هذا المعنى فيقول عن المتنبي ومعارضته : « ولم يكن المتنبي كاتباً ولا بصيراً بأساليب السكتابة وصناعتها ووجوهها ، ولا هو عربى قح من فصحاء البادية ، وإن كان فى حفظ اللغة ما هو ، فليس يمنع سقوط ذلك الكلام الذى نسب إليه من أن تكون نسبته إليه صحيحة : لأنه لو أرادته فى معارضة القرآن ما جاء بأبلغ منه ، »

بقى هاشمى وهو أنه ربما قال قائل : إن المعارضة للقرآن قد وجدت ، وإن الجاحظ أثبتنا هنا ، وذكرها هناك في الكلام على الضدع ، فكيف تقولون إن معنى الصرفة أن الله صرف العرب عن أن يمارضوا ؟ والجواب : أن معنى المعارضة هو ما ذكره صاحب الطراز ؛ بل المقصود من التحدى إنما هو الإتيان بما يظن كونه مثلاً أو قريباً من المثل ، وإمارة ذلك وقوع الاختلاف بين الناس في كونه مثلاً أو غير مثل ، والجاحظ نفسه يسخر من كلام مسيلة ، ويجعله بما لا يشك السامع في نزوله عن درجة الاعتبار ، ونحن نقول : إن العرب ما كانوا ليستطيعوا أن يقولوا شيئاً في مرتبة القرآن ، وإنما كان في مقدورهم أن يقولوا كلاماً يشبه فيه الأمر على الأعراب وأشياء الأعراب ، أنهم يعجزوا عن الأولى لأنها فوق طاقتهم ، وصرفوا عن الثانية لئلا يكون القرآن موضع جدل ومحاكاة وتراض ، وعلى هذا نفهم رأى النظام والجاحظ في الصرفة ، ونجملها أن يقولوا إن بلاغة القرآن في تناول العرب ، ولا نلزم بهذا الفهم ، ولا تدعى أنه الحق وحده ، بل تقبل من كل من يرى أننا أعصفنا الطريق ، أو تنكبنا الجادة أن يرشدنا ويهدينا . أما الذين يصرحون من المتأخرين بمعنى الصرفة على ما فهمه العلماء فلما معهم حديث آخر ، وتعالى الله وكلامه .

## معاوية

وصف الوليد بن عتبة معاوية بن أبي سفيان فقال : « إنه لبعيد الغور ، ساكن الغور ، وإن العود من لحائه ، والولد من آبائه ، واقه له لبات أصل لا يخلف ، ونجل لخل لا يقرف . »

( اللحاء ) قشر العود والمراد أنه مؤصل . ( قرفه ) أى اتهمه وعابه من كلامه : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم ، فإذا ذُكِرَ ذَكَرَ ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز .

# الإسلام والتبني

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي

المدرس بمعهد القاهرة

أخذ كثير من المسلمين أخيراً يتبنون أطفالاً من أبناء الملاجم ، أو من القطاء ، ويعطون هؤلاء الأطفال أسماءهم وألقابهم ، ويعتبرونهم كأبنائهم الشرعيين الحقيقيين في كل شيء ، فهم يعاشرونهم ويخالطونهم ويورثونهم ، ويتخذون من الإجراءات الرسمية والفعلية ما يؤيد هذا الادعاء ، دون أن يقدروا أن الإسلام لا يرضى عن هذا الافتعال الأثيم والتصرف الذميم ، ويعتبره كبيرة من الكبائر المحرمة ؛ حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « كفر من تبرأ من نسب وإن دق ، أو أدهى نسباً لا يعرف ! »

لقد كان النبي أسلوباً من أساليب الجاهلية التي دفعت إليها الممجيّة والاضطراب في الحياة ، والاختلال في نظام المجتمع ، فقد كان الواحد منهم يختار من الأولاد المجاهيل من يشاء وينسب إلى نفسه ، ويجري عليه جميع الحقوق التي يتصنع بها الأبناء ؛ فلما طلع فجر الإسلام بنوره الوضاء على ظلام القبراء ، أراح اللاغبين الحائرين من هذا التزوير في الأنساب والأرحام والقرابات ، وهداهم إلى صراط الحقيقة والواقع ، حُرم عليهم تبني من ليسوا بأولاد حقيقيين لهم ، فقال القرآن المجيد : « وما جعل أديعائكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ » . وبذلك حرّم الإسلام ذلك التلاعب الخطير ، وأوجب أن ينسب الولد إلى أبيه إن كان معروفاً ، وإن لم يعرف له أب ، بأن كان لقيطاً أو مجهول النسب ، جعلناه أخاً لنا في الدين ، ومولى من موالينا في الملة ، يعامل بشرعة العدالة والإحسان ، وليس وراء ذلك إصلاح أو تعظيم ..

وقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يقضى على هذا المنكر الجاهل في معرض مشهور وموقف ملحوظ ، فاختار لخدمه في سبيل القضاء عليه أحب الخلق إليه رسوله محمداً صلوات الله عليه ، فقد كان للرسول عبد مملوك اسمه زيد بن حارثة ، وكان قد أسر ويبيع كما يباع الرقيق ، وانتهى به الأمر إلى عشرة الرسول ، فرأى من مكارم النبوة ما فضل معه حياة العبودية على حياة الحرية ، وكان العرب حسب عادتهم يسمونه ، زيد بن محمد ، على طريقتهم في التبنى ، وعلم أهل زيد بوجوده عند الرسول ، فأرادوا اقتدائه وتخليصه من الرق ، فأقبل أبوه وعمه وأخوه إلى رسول الله يعرضون عليه الفداء ، ولاقوا في الطريق زيدا فسألوه : كيف صنع مولاك إليك ؟ فأجاب : إنه يؤثرني ويفضلى على أهله وولده . . . فذهب والده حارثة إلى الرسول وخاطبه قائلاً : يا محمد ! أنتم أهل حرم الله تعالى وجيرانه وعند بيته ، تشكون العاني وتطعمون الأسير ، وابن زيد عندك ، فأمن علينا ، وأحسن إلينا في فدائه فإنك ابن سيد قومه ، وإنا سترفع لك في الفداء ما أحببت فأجاب الرسول الكريم النبيل : بل أعطيك خيراً من ذلك ، فاستشيروه ، فإن اختاركم فخذوه بغير فداء ، وإن اختارني فكفوا عنه . . . فأثروا عليه وفرحوا فدعاه الرسول قائلاً : أتعرف هؤلاء يا زيد ؟ قال : نعم . هذا أبي وعمي وأخي فقال الرسول : هم من قد عرفتهم . فإن اخترتهم فاذهب معهم ، وإن اخترتني فأما من تعلم : قال زيد : لست بمختار هليك أحداً أبداً أنت مني بمكان الوالد والعلم . . . وهير زيداً أهله بالمبودية ليفضل هاها الحرية فأبى زيد فراق الرسول ، فرجموا يائسين ، ثم أعتقه وجعله بمنزلة ابنه ، واشتهر ذلك بين الناس : فأزل الله تحريم ذلك كما سبق ، فأطاع الرسول أمر ربه ، وخضع لتوجيه السماء ، وأوجب أن لا يتاديه أحد إلا باسمه زيد بن حارثة .

ثم أراد الله أن يتأصل شأفة هذا النظام الفاسد باستئصال أهم نتائجه ، وهي تحريم زوجة الولد المتبني على الرجل المتبني ، فاختار رسوله مرة أخرى ليهدم ذلك بنفسه ، فقد كان زيد هذا متزوجاً من زينب بنت جحش ، وهي قرشية رفيعة ، فكانت تتعالى عليه ، فشكاهما زيد إلى رسول الله وعزم على طلاقها ،

فنصح الرسول أولاً ، بأن يمسك عليه زوجته ، فأصر زيد على الطلاق ، وكان الله قد أراد لنبيه أن يتزوجها ، بعد أن قضى زيد بها وطراً ، حتى يهدم بذلك عقائد العرب الوهمية السخيفة ، فوجد الرسول من تنفيذ ذلك الأمر شيئاً في نفسه أول الأمر ، وأخفى عواطف كانت تضطرم في فؤاده خوفاً من قالة الناس وإفترائهم ، ولكن الله غالب على أمره ، فأمر رسوله بتنفيذ ما أراد ، فتزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد ، وكان أمر الله قديراً مقدوراً ؛ وإلى ذلك أشار القرآن الكريم حيث يقول : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » ، ومن يهمل الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ، وإذا قول للذي أنعم الله عليه ، وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتحفي في نفسك ما الله مبديه ، وتحشى الناس والله أحق أن تحشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً .

وقد يترضّئ متفلس فيقول : ولماذا يحرم الإسلام ، التبني ، مع أنه من وسائل المعطف والحنان ، والنهاية بطائفة من البائسين والمحرومين ؟ فتقول : إن ميادين البر والإحسان في الإسلام كثيرة عديدة ، وقد فتح الله أمام الناس ما فتح من مسالك الصدقة والهبة ، والمطية والمعونة ، والخدمة الاجتماعية ، والمساعدة الإنسانية ، والرحمة البشرية ، ولكنه حرم ، التبني ، لأنه ينطوي على كثير من الأخطاء والآثام التي تنصر بالصالح العام ، فهو أولاً قائم على الافتراء والكذب ، ومحاولة صيغ هذا الافتراء بصيغة واقعية دائمة ، مع أن المجتمع الإسلامي قائم على الحق والصدق حتى في أقل الأمور ، فلو كذب الرجل على الطفل الصغير بلا ضرورة لكان مشلولاً ؛ ولذلك وصف القرآن الكريم التبني بأنه ادعاء وفول بالافواه ، لا يصيب له من الواقع ، والله يقول الحق الثابت ، الواقع في نفس الأمر ، وهو سبحانه يهدي إلى السبيل القوى . . . والافتراء الموجود في التبني يؤدي اليوم أو غداً إلى اختلاط الانساب ، واضطراب القرابات ، والروابط العائلية الأصلية ، مع أن حفظ الانساب أصل من أصول

الإسلام، وقد كان أحد الأسباب التي حرم الله من أجلها الزنا، والاشتراك بين أكثر من رجل واحد في امرأة؛ فالتبني إذن اقتراف يتبعه أخطاء ١.

ومن أخطار التبني إيقاع العداوة غالباً بين الأولاد الشرعيين، أو الأقارب الحقيقيين وبين الولد المتبني بسبب النفقات أو الميراث، وكثيراً ما يحتل تصرف الرجل في التبني، فيؤثر الدهي اللقيط بخيره وبره، ويقدمه على أولاد صلبه، وقد يحرمهم بسببه من الميراث، وقد حدثت فعلاً حوادث كثيرة في هذا الباب، أدت إلى جرائم قتل، ونشبت عنها قضايا كثيرة معقدة، ضاعت فيها جهود وأموال، وتقطعت بسببها أواصر قرى، وروابط محبة، وعلاقات أسر.

ومن أخطار التبني سوء الاستغلال، فقد يتبنى الرجل بنتاً يبالغ في إكرامها أولاً، ولكن عاطفة النبوة الحقيقية لا توجد، فقد يسوء معاملتها على أخطاء لها مسرفاً في ذلك، أو تشذ نفسيته فيتصل بها اتصالاً غير شريف، أو سرق ذلك من مواقف التحول عن جادة الطريق إلى التقصير أو الفجور؛ ومن الممكن الميسور لمن يريد أن يكون حنوناً عطوفاً أن يفيض أنهار بره، وأن يسبغ أثواب خييره على من يشاء، جهرًا وسراً، دون لجوء إلى هذا التبني الذي يحرمه الإسلام لما فيه من آثام.

وحسب التبني شناعة أنه تشبه بالكافرين، وتغيير لما صنعه يد الله، وتحريف لما نظمه الخالق الكريم، ولذلك قال الرسول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام». وقال: «من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً (أو توبة ولا فدية)».

إن ميادين المساعدة كثيرة عديدة، ومن أراد الخير والبر فلن يعدم - والله - لها طرقاً وسبلاً، فما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنها مدرجة الحاوية، والله يعلم وأتمم لا تعلمون، وما وضعت يد الحكيم الرحمن لا تقضه أبداً يد الإنسان... ١.

# دوح النور

لساحة الأديب الكبير الأستاذ السيد ،

شجرة صناعية مورقة ، أقيمت فيها ثريات النور ، مقام النمر والنور ، وقد  
جُمِلَ عند أصلها طائر جميل الصنع ، هذه الكلمة في وصف تلك الشجرة :

لقد أبدع الحسن حتى استلب      وخف له القلب حتى وثب !

ومنها في وصف الشجرة الصناعية :

نفل دجى الليل عن دوحة	جرى النور في زهرها فانسكب
لقد أوردق الغصن حتى زها	وشف به الزهر حتى التهب
لمن فن يحمل المبدعات	كما يحمل العود حلوى الطرب ؟
سرى من الحسن في مترف	من الغصن يزهى بنور عجب
عن السلك أومض نواره	فهل من قلبي حتى وجب
يحوم على حته للقلوب	فراش إلى زهره يجتذب
جميل التوقد بدع الخنور	كما لاح ثم تهاوى الحبيب !
أزاهير تصدق وعد الضياء	وما صدق الفجر حتى كذب

• • •

ومزهرة من بنات الرياض	كما حليت غادة بالذهب !
من الدوح نزلة بالقصور	كان بها طفلة تقتضب !

فنجم أضواء ونجم غرب !	سمااء نألق بالثيرات
يفض الجوانح لاهن لذب !	ثريات نور كهر الجوى
وخف بها الليل حتى ذهب	تعلّى بها الجنح حتى انجلى
كما بددت قبلة تنهب	تجملت حلّ وانتكس لجأه
ووجه تهلل ثم اكتأب	ضياء فكف كغمر الجفون
مراحا كما شق ثوب الطرب	سناه صدمت به الداجيات
فكحوله منه والمختضب	كان الدجى نية للجمال
وكم نزل الجسد بين القلب	مضى العلم يلعب في دوحه
لأثمن سلب النها كالغيب	فلو أعطيت حسننا المثمرات
لأنشد في حسننا بل نسب	كست ظلها طائرا لو يفوه
وأطعمه الزهر حتى ارتقب	زهته الملاحة حتى بدا

\*\*\*

لا فى الجبال ولا فى النشب ؟	طريف الحياه وابن الطريف
وزهدت فى الحسن حين اقرب !	غيت فساءلت أين التراء
أحين بدا أم غداة احتجب ؟	حان العشيات أين الجبال
كأنفاس أبنائها تستلب	سئمت المعاد وأن الحياة
فطمعها نحن جزل الخطب	حياة توقد بالعاجيات
بنفسى لو غازلت من كشب	كان المني قبيلات البريد
وإن بفتاه المنتخب	فوا كبدي هل يدوم الحديث
بريف الجمال وزيف الأدب	فتنا وكم نعبد الزائفات
فأقبل يروح تحمى القلب	فنى لقبوه أمير البيان
ضلال فساءل به من شغب !	هو الحق مطلبه فى الوفاق

# فجاء المؤلفان الجليلان

## اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم

منى الناس منذ القدم بالخلط بين الخصائص النبوية وبين الصفات الإلهية ، وقد تبادت كثير من الأمم في هذا الشطط حتى ألّفوا رسلهم ، وهذا ضلال بعيد تردى في حماه أكثرهم مبالغة في تعظيمهم ؛ لذلك 'شرع آخر الأديان وهو الإسلام بالعلاج الحاسم لهذا الشر المستطير ؛ فكثّر في كتابه المنزل ما يدفع هذا الوهم عن العقول البشرية ، حتى لم يدع لونا من ألوان البيان إلا أتى به حماية للنفوس من أن تلتفت بهذه العقيدة الباطلة . وقد حى الله المسلمين من شر هذا الكفر الصراح ، بحيث لا يخشى معه أن تروج لهذه البدعة دعوة مهما أوتى الداعي إليها من سحر البيان ، وخلاصة اللسان ، ومهما تستر بالقوية ، وترس بالتأويل ، فإن النصوص التي وردت في هذه المسألة لا تحتمل التضييل بأى وجه من الوجوه .

نعم إن رجالا من المضللين ظهروا في عصور مختلفة روجوا بدعا من هذا القبيل ونشروها في فئام من صفار العقول ، إما مبالغة منهم في تقديس الرسول ، وإكبار شأنه ، وإما محاولة منهم إفساد عقائد العامة لتزيق وحدة المسلمين ، فلم يوقفهم الله لبلوغ أربهم ، وبقيت العقيدة الإسلامية على نقائها الأول عند جمهور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وبقيت بقايا من هذه الفرق تعاني الانحلال تحت تأثير البهوض الأدبي للمسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض .

ومن أفعال ما يعين هدأة هذه الشراذم على نجاح حركتهم التطهيرية كتاب جليل الشأن ألفه وطبعه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ المصلح الشيخ عبد الجليل هبسي أبو النصر شيخ كلية اللغة العربية أسماء (اجتهاد الرسول) ، جمع فيه كل

ما قاله أئمة المسلمين في التفرقة بين الخصائص النبوية وبين الصفات الإلهية ، فجاء أجمع كتاب في هذا الباب . وقد أجاد تبويبه وترتيب مباحثه حتى إن القارئ لا يكاد يتم فصلا منه حتى يشتاق لقراءة تاليه .

ويمكن بنا أن ننقل كلمة الأستاذ لتكون نبراسا لكل مسلم وهي :

« فالمسلمون الذين يؤمنون بأن علم اللوح والقلم من علم الرسول الكريم ، ويرون أن الدنيا والآخرة من فضل جوده صلى الله عليه وسلم ، أو يستفدون أنه كان يعلم كل ما كان وما يكون ، يعكسون آية رسالته ، ويضعونه فوق الرسول ويشبهونه بالله ، أو يجعلونه شريكا له . وليس ذلك مما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديده منزله كما أمره ربه ، وليس ذلك يستقيم مع مثل هذه الآية الكريمة : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما لأحكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا . »

## هذا هو الاسلام

هذا كتاب حافل بالبحوث الدينية ، والمناقشات الفلسفية المتصلة بالاسلام وحركته الاجتماعية ، وضعه الأستاذ النابه محمد عبد القادر العماري للدفاع عن الدين من حيث هو دين ، وعن الإسلام من حيث هو خاتم الأديان السماوية . سلك فيه سبيل التحليل الفلسفي للتيارات الفكرية التي كان لها أكبر الآثار على تطورات العقلية البشرية وإجهاها على غناصمة الدين ، وبدأ بثورة أوروبا على الكنيسة ، التي كان طابعها الاعتماد على العقل وحده في النظر إلى الأشياء والناس والسموات على طريقه الفلسفة اليونانية ، حتى انتهى الأمر إلى عهد فولتير الفيلسوف الفرنسي الذي أبلغ العقل إلى منزلة من التقديس لم يكن يحلم بها .

ثم عرج على الثورة الروسية التي جرت على تعاليم ( كارل ماركس ) وهي أشد عداء للدين من سابقتها ، ومر بثورة تركيا وأثبت من تعاليم أقطابها أنها هي الأخرى منابذة للدين ، ومنتهم إياه بأنه العامل الرئيسي في دهوره الشعوب وتضليلها . وفاته التنويه بالثورة الفكرية في مصر التي اختمرت في عقول عدد

لا يستهان به من المتعلمين ، وأصبحت تهدد بالانتشار والذيع كغيرها بين الطبقات  
المتعلمة في العالم كله .

بعد هذه المقدمة شرع يبحث عن علة تأذى الحالة النفسية للشعوب ، إلى ما آلت  
إليه من الالحاد . فقال : « إن الذي يتحمل المسئولية وتصب عليه كل التبعات  
في الانقلاب على الدين ، ومحاولة محوه من الوجود ، ووصه بكل هذه الصفات  
كما رأيت ، إنعام رجال الدين أنفسهم ، لأنهم لم يحاولوا أن يفسروا الدين  
بعقلية حرة تجديدية ، وعلى ضوء نظام التطور والارتقاء الخ ،

وأما هنا أخالف المؤلف كل المخالفة ، لا لأبرئ رجال الدين ، ولكن  
لأثبت أنهم لو كانوا قبلوا هذه الثورة على العقائد بكل ما يمكن أن يؤتوه من  
إحاطة بالعلوم ، ومن لمن ماض ويان فياض ، لما استطاعوا أن يقفوا هذا  
السيل الجارف من التيار الإلحادي ، الذي يشكو منه المؤلف ، لأنه قائم على أصول  
فلسفية ومقررات عقلية ليس في وسع أحد دهرتها إلا بالوسائل التي تماثلها  
أو تتفوق عليها تأثيراً في النفوس ، وإقناعاً للعقول .

ذلك أن العلم قرر ، بعد أن بلغ أشده ، في دستوره الرسمي ، أن كل قول  
لا يستند إلى دليل محسوس لا يجوز الأخذ به ولا اعتباره علماً ؛ فإن كان يحمل  
بعض الاشكالات العلمية ، ولا يتعارض مع بعض المقررات السابقة ، يمكن اعتباره  
رأياً علمياً ويضم إلى أمثاله من الآراء العلمية ، حتى يثبت دليل محسوس أو يلفظ  
نهائياً للحلول رأى آخر محله .

ولا يحمل أحد أن الدين يقوم على عقيدة ثابتة بوجود خالق للكون دبر  
عوامله بقدرته ، وأرسل للناس رسلاً ليهديهم إلى الصراط السوي من الأخلاق  
والمعاملات ، وأنه يعيدهم بعد الموت ويحاسبهم على ما فعلوا من خير وشر .  
والعلم الذي له السلطان اليوم على العقول يقرر أن كل هذه المقررات دعاوى  
أوجدتها الأهواء الإنسانية ، ودانت لها يدافع حينها للبقاء وإنها بقية من وساوس  
أهل القرون الخالية ، أوجدتها الجهالة ، وارتاحتها السذاجة الفكرية .

فكان لانتشار العلم في هذه العصور المتأخرة ، وفيما هم على يديه من الفتوحات العظيمة في عالم المادة ، أثر كبير في خضوع العقول والقلوب لسلطانه ، وفي تلقف أحكامه وفلسفته الإلحادية بالقبول البالغ درجة التقديس .

فادام العلم الذي يدرس في جامعات العالم كله يقف من العقائد هذا الموقف ، فلا أمل في إعادة سلطان الدين على العقول مهما بلغ نشاط دعائه ، إلا إذا غير العلم مرقعه وخضع لسلطان الأدلة العملية القاطعة التي أثبتت أخيراً وجود العالم الروحاني ، وخلود الإنسان بعد الموت ، وقرر صحة النتائج التي وصل إليها العلماء الذين اشتغلوا بهذا البحث في أوروبا وأمريكا ووصلوا منها إلى وجدان الأدلة الحاسمة الحاصلة على جميع الشرائط العلمية في إثبات هذه الحقائق . وأي مانع يحول بين المسلمين وبينها وقد دخلت الجامعات الكبرى في إنجلترا وأمريكا ، وقال بها الوف من رجال العلم في العالم كله ؟

هذه هي السبيل إلى إثبات صحة المقررات الدينية في هذا العصر ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة للحد من شطط بعض شذاذ العلماء الذين لا يزالون ينشرون الفلسفة المادية في أرجاء الأرض . وكل وسيلة غيرها لن تجدى نفعا ولو تذرع صاحبها بجميع المغريات الكلامية .

هذه الحقيقة يشعر بها على وجهها الصحيح كل من يشتغل بالعلم في هذا العصر طالبا كان أو أستاذا .

هذا رأينا والكتاب الذي نحن بصدده وإن كان قد أغفل الإلمام بهذا الحائل الشديد أمام كل دهوة دينية مهما كانت بالغة ، إلا إنه جدير بالقراءة لانه ألم بكثير من الشؤون العقلية والاجتماعية ، ونظر إليها نظرات صائبة ، وحاكها محاكمات عادلة ، وهو حافل بآراء كثير من الذين سبقوه بالكتابة في هذا الموضوع وقد ناقشها مناقشات قيمة دلت على منطقته السليم ، وعقليته الخصبية . فنحن لذلك نوصي بالاطلاع على هذا الكتاب فقد يغيد المتكلمين في الدين فوائد قيمة .

## تحقيق كلمة الاخلاص

هذه رسالة قيمة للمحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ ، حققها وضبطها وعلق عليها صاحب الفضيلة الشيخ محمود خليفة المدرس بكلية الشريعة ، والشيخ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر جاء في مقدمتها قولها :

« وبعد ، فإن كتاب ( تحقيق كلمة الاخلاص للإمام المحافظ ابن رجب الحنبلي من نوادر السكتب ، فهو على صغر حجمه جليل الأثر ، حريد الثمر ، من حقه أن يكون تحفة دينية يتهاذاها أبناء الإسلام ويحيلون فيها أبصارهم ، ويسملون في معانيها بصائرهم ، ولا غرو فقد بسط فيه ابن رجب ما انطوت عليه كلمة الاخلاص وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، من أبكار المعاني والأسرار الأفسكار . »

وقد وفاء حضرتا ناشره الفاضلين حقه من تحقيقه وضبطه ، والتعليق عليه ، والترجمة لرجاله ، وشرح ما يحتاج إلى شرح من ألفاظه وعباراته . لجاء حافظا بهذه التحقيقات والشروح حتى زادت على مادة الأصل نفسه ، وكلها مما يحتاج إليه تاليه ، من معاني الألفاظ ، ومؤديات العبارات ، وتراجم الرجالات ، على ورق جيد ، وطباعة متقنة ، لجاء كما قالوا تحفة يتهاذاها أبناء الإسلام ، فشكر لها ما بذلاه من جهد في نشرها ، وما عنيا به من إتقان في طبعها .

## تصحيح خطأ

حدث خطأ في المقال الافتتاحي صفحة ( ٥٧٨ ) فسقط بعد كلمة ( الحاجة ) في السطر العشرين منها هذه العبارة وهي ( على وجه لم يرعه أصحاب رموس الأموال ) فترجو القارئ أن يضعها بالقلم بين السطرين ليستقيم المعنى .

## مصائب الدخان

هذه رسالة تقع في مائة وعشرين صفحة أتى فيها مؤلفها حضرة الاستاذ محمد عبد العفار الأفغانستاني في تعداد مضار التبغ ، على فصول كثيرة في التنديد به وبمدخنيه . ومما ذكره نقلا عن حضرة الدكتور صلاح الدين عبد النبي الإخصائي في الأمراض المصيبة هذه الفذلكة وهي :

« كانت عادة التدخين منتشرة في أمريكا حينما اكتشفها ( كريستوف كولومب ) إذ كان أهلها يضعون بعض الأعشاب في مواقد النار ثم يستنشقون الدخان المتصاعد منها ويخرجونه من أفواههم وأنوفهم . ثم نقلت بعد ذلك شجيرات التبغ إلى أوروبا وعرفت باسم ( نيكوتينا ) نسبة إلى نيكوتين سفير البرتغال في جنوب أمريكا ، وذاعت منذ ذلك الحين عادة التدخين حتى سيطرت على جميع شعوب العالم . »

ثم نقل عن حضرة الدكتور المذكور قوله : « إذا أصبح الإنسان أسير عادة الدخان فانهما تؤثر تأثيراً سيئاً في صحته من غير شك وبخاصة في القلب إذ تضطرب دقاته والدورة الدموية ، ويشعر الإنسان بالدوار من آن لآخر نتيجة تقلص شرايين الدماغ ، وقد يتعرض مع تقدم السن لضعف الدم المرتفع والذبحة الصدرية ، كما أن جهازه الهضمي والتنفسي يتأثران بالتدخين فيفقد المدخن شهية الأكل وينتابه السعال المعروف بسعال التدخين . وإذا تأثر الجهاز العصبي يشعر المدخن بتحمل وغدر في الأطراف وبآلام في الأعصاب . »

وقال جوزيف برن مدير دار التجميل الأمريكي : « ان وجوه السيدات المدخنات تغدو ظمآنة عجفاء مزيلة ضامرة وضعيفة ومخروطة ما دام قد تمسكت منهن عادة التدخين . وتجتمع الفضون حول زوايا أفواههن ، وتمتد شفتن السفلى إلى الأمام ، وتبرز تحت الشفة العليا ، وتحمق عيونهن ، وتسترخي جفونهن . »

وقال الدكتور تسارلس باير من مدينة شيكا الأمريكية : « إن طفل المرأة المدخنة يولد ضعيفاً منهوك القوى فهو مقسم الجسم ، وقد يموت في غضون الأسبوعين الأولين من ميلاده حيث تبين من الوصفات التشريحية أن أسباب الموت في أطفال المدخنات كانت ترجع إلى تلف الكبد والقلب وغيرهما من الأعضاء الرئيسية . »

وكتاب الاستاذ الأفغانستاني يحتوي على كثير من الفوائد الملية بمكافحة آفة التدخين فنشكره على همته في وصحه ونرجو له التوفيق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في عيد جلوس الملك

احتفال البعوث الإسلامية للأزهر

احتفلت البعوث الإسلامية بعيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول في يوم السبت السادس من شهر مايو سنة ١٩٥٠ في فناء كلية اللغة العربية، فأمه عدد كبير من العظماء، وأصحاب الفضيلة العلماء، وكبار الموظفين ومئات من طلاب العلم تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر، وشرف ذلك الاحتفال مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم، حضرة صاحب العزة أحمد حسن بك السكرتير الخاص المساعد لجلالته. وقد بدأت هذه الحفلة وختمت بثلاوة آيات من القرآن العظيم، ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة، فافتتح الحفلة بكلمة بليغة ذكر ما يخامر قلوب أفراد البعوث الإسلامية من الشعور بالعاية الملكية، التي تحوطهم بالمعطف والرعاية، وتمكنهم من طلب العلم والعيش في ظلاله، بما رتب لهم من المخصصات الشهرية والهبات السخية.

ثم عقبه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد طاهر مراقب تلك البعوث؛ فألقى كلمة بين فيها ما لحصره صاحب الجلالة الملك المعظم من الأباذى البيضاء على هذه البعوث، بما يمدح به من عطفه السامى، وما ينصم به من الرعاية العظيمة خدمة للدين، وعناية بهؤلاء الطلبة الأنجاء الذى هاجروا بلادهم، وفارقوا أهلهم طلباً للتفقه فى الدين، ورغبة فى نشره بين أقوامهم إذا رجعوا إليهم، فتوبلت هذه الخطبة بالإعجاب والتقدير.

وبعد ذلك توالى على منبر الخطابة نحو ستة وثلاثين خطيباً من نجباء طلاب البعث الإسلامية فألقى كل منهم كلمة ، شكر الله تعالى فيها على ما حيّاهم من عناية جلالة الملك المعظم ، فأماكمهم بفضل رعايته أن يبلغوا أربهم من تلقى العلم ، ويسر لهم وسائل التوفر عليه ، بما جادت به مكارمه عليهم من المراتب الشريفة ، فكان اجتماعهم في صعيد واحد ، وإجماعهم على ما يجدونه من جود جلالة وعنايته بهم ، من المشاهد التي تثير الإعجاب ، وتوجب الإعجاب .

## كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر<sup>(١)</sup>

### شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشاذلي

أبنائي طلاب البعث الإسلامية :

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فلقد سرني وأثلج صدري أنكم في هذا اليوم السعيد المبارك ، قد جمعتكم بحجة مولانا الفاروق العظيم ، لجئتم على قلب رجل واحد ، تحتفلون بعيد جلوسه السعيد الذي فاض على البلاد بمقدمه الخير العميم ، وعم بمظلمه النين والبركات ، وامتدت هوارفه فشملت البلاد الإسلامية جميعها ؛ فأصبحت كلها تستظل بظله الوارف ، وتتم بمظلمه السانع ، وتستضيء بنوره الهادي .

وإني إذ أقدر فيكم شعورك بالوفاء لولي النعم ، مولانا الفاروق المعظم الذي جمع شمل أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض في صعيد واحد ، ليربطهم جميعاً برباط الأخوة الإسلامية ، ويقوى بينهم أواصر المحبة والآلفة والتعاون ، وليلام قلوبهم بحجة الله ، وعقولهم بالعلم والحكمة ، وينير بصائرهم ، ويرشد في دين الله ليكونوا خير هداة لشعوبهم وأممهم إذا رجعوا إليهم ، وأصلح دعاة ومرشدين تتحقق بهم أمنية الملك الصالح العظيم ، من رفع لواء الإسلام في الخائفين ،

[١] طُبعت خطب البعث الإسلامية ووزعت على الموجودين بعد الجمعة ، وقد ضمها ضيفة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مأمون الشاذلي بهذه الكلمة القيمة .

والنهضة بالشعوب الإسلامية ، نهضة تعيد لها سالف مجدها ، وتضمن لها مكاناً رفيعاً ، تتصدر به أمم الأرض في توطيد المحبة والسلام .

أرجو أن تسكفوا على العلم ، وأن تستزيدوا من المعرفة ، وأن تحرصوا على كتاب الله وسنة رسوله وفضائل دينه الخفيف ، وأن تفيدوا من هذه الفرصة الذهبية التي طوحتها لكم أريحية الملك العظيم ، بما لم يعرفه التاريخ من قبل . فقد دعاكم مولانا العظيم - رعى الله عرشه وأيد ملكه - وبسر لكم سبل الحياة ، وأفاض عليكم النعم ، ومياً لكم كل ما يوفر لكم الانصراف إلى العلم هادين مطمئنين . . . فاعملوا يا أبنائي جادين لترضوا الله ورسوله ، وتحققوا أمل الفاروق العظيم فيكم ، فإن الأمة الإسلامية كلها تعقد على شباب الإسلام في ظل الفاروق المحبوب أكبر الآمال .

وإني لأوجه في هذه المناسبة الكريمة باسمكم واسم الشعوب الإسلامية جمعاء ، والأزهر الشريف علمائه وطلابه ، بالتهنئة الصادقة ، إلى مولانا المعظم الملك فاروق الأول - أعزه الله - بهذا العيد السعيد ، رافعاً أكف الضراعة إلى الله أن يصون ملكه ، ويحفظ عرشه ، ويحقق للإسلام والمسلمين على يديه المجد والمظمة ، وأن يحياه حياة طيبة مباركة بهم نفعها البلاد والعباد . والسلام عليكم ورحمة الله .

## كلمة

حضرة صاحب الفصيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك

سادق ، أبنائي :

نحتفل اليوم بعيد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول أعزه الله ، وقد طلب أبائنا طلاب البعوث الإسلامية بالأزهر أن يكون لهم شرف الاحتفال بهذا العيد الميمون ، للإعراب عما تكنه نفوسهم من الحب والولاء والإخلاص لصاحب العرش المقدس .

ولما رفعت إلى سامع جلالة هذه الأمنية تفضل حفظه الله ، فشمع هذا الحفل برعايته السامية ، وأرسل سعاده المندوب ليكون للحفل مظهر الشرف والتكريم ، وأمر بأن تهدي صورته الكريمة للطلاب رمز حبهم وعطفه عليهم . وفي الحق أن تنظيم أمور البعوث الإسلامية بالأزهر لم يكن إلا جانا من جوانب الإصلاح العامة ، التي تمت في الأزهر بإرشادات حضرة صاحب الجلالة الملك .

فقد سنة ١٩٤٤ تقرر بقانون ، إنشاء قسم للبعوث الإسلامية بالأزهر وأصدر المجلس الأعلى لائحة بتنظيم هذا القسم . وبهذا التنظيم أصبح من الممكن للطلاب الذي يحضر من بلاده لتلقي العلم بالأزهر أن يدخل الكليات أو المعاهد إذا أراد أن يتعلم على النظام الحديث ، أو أن يتنظم في هذا القسم الجديد إذا أراد أن يتعلم على طريقة الأزهر الأولى .

ومع هذا فقد أعدت دراسات خاصة للطلاب الذين لا يعرفون اللغة العربية تؤهلهم للدخول في الكليات أو المعاهد أو السير في هذا القسم .

ويأرشاد جلالة الملك وتوجيهاته السامية ، أعدت للبعوث مساكن مؤقتة ، ومضادة بالكهرباء يمدون فيها راحتهم وطمأنينتهم ، كما رعت لهم إعانات شهرية تنفعهم في معيشتهم وتمينهم على طلب العلم .

وجلالته يتمهدم دائماً بالسؤال عن أحوالهم ، وما هم عليه من راحة وهناءة .  
ولما بلغ إلى مسامع جلالته أن ميزانيتهم أصبحت لا تكفي أمر - حفظه الله -  
بصرف مبلغ عشرة آلاف جنيه مرة ، وفي هذه الأيام القرية أمر بصرف  
خمسة وعشرين ألفاً حتى تصدر ميزانية الأزهري العامة .

لحقيق بهم وهم ينعمون بهذه المزايا العظيمة ، والموظف السابغ ويميشون  
تحت وارف ظله ، أن يذيعوا على الملأ ما يملأ قلوبهم من صادق الولاء وخالص  
الحب لذاته الكريمة . وأنى أكتفى بهذا وأترك لهم الفرصة ليتألوا أكبر قسط  
من الوقت في إذاعة كلماتهم التي أعنوها .

حفظ الله الملك ، وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين ، ومثاراً للعلماء والطلاب ،  
والسلام عليكم ورحمة الله .

---

## كلمة

### مراقب البعوث الإسلامية

حضرة صاحب الفضيلة الامتاز الشيخ عبد الحميد طاهر

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم .

في مثل هذا اليوم منذ أربعة هجراما ، جلس على عرش أجداده الاجداد ،  
عرش الاسرة العلوية المجيدة ، ملك إسلامي عظيم ، وملك شرق جليل ، هو  
حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الملك فاروق الاول ، حفظه  
الله وأبناؤه .

حقاً إنه ملك إسلامي بعيد المدى عظيم الأثر ؛ إذ ما كاد يتولى الملك وهو  
في إيمانه ونصرة شبابه ؛ حتى أخذ في خدمة الإسلام والمسلمين ، وفي رفع شأنهم  
ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وكَم من المشاكل الكبيرة الكثيرة التي وقعت في  
هذه السنين الأخيرة ؛ والفضل في حلها وتبسيطها وتذليلها ، عائد إلى جلالة الملك  
فاروق ، بما أعطاه الله من جاه ونفوذ وشجاعة ، وسداد رأي وحجة وإيمان .

ولأنها لمزايا خص الله بها جلالة الفاروق ، حتى جعل عرشه ملاذاً للمسلمين  
في أمور دينهم ودنياهم ، كما جعل شخص جلالاته رمزاً لأمانهم ومعقداً لرجائهم  
وقيلة لأشدنهم ؛ وحتى صارت عجة الفاروق جزءاً من حياتهم . وإنك مهما تمش  
في مناكب الأرض ، فإن تجد مسلماً يجهل الفاروق ، بل إنك لتجد المسلمين في  
مشارك الأرض ومغاربها ينطقون باسم الفاروق ، ويتعلقون بشخصه المحبوب  
ويعقدون الآمال عليه ، ويزينون بيوتهم بصورته ، ويباركون أبناءهم باسمه ،  
ويعلمون إليه بتحياتهم ، ويدعون له في صلواتهم .

وليس عجيباً أن يعتقد إجماع المسلمين والشرقيين على حب الفاروق ، هذا  
الحب النادر الفريد ، فقد مرت بالناس ظروف من الشدائد والحن ، وثوارت

في النفوس ، دينية واجتماعية ، كادت تهدد كيان الأسرة الإسلامية الكبرى ، وتقلب الأوضاع الاجتماعية ، والاسس الدينية ، لولا نجدة الفاروق ومبادرة جلالاته بإحياء القوة المعنوية ، والاخذ بالشعائر الإسلامية والتقاليد الشرفية ، وإبرازها في أجل مظاهرها ، والحث عليها ، والدعوة لها ، والعمل بها ، فكانت بذلك حركة الإنقاذ الحاسمة ، وما ذلك إلا بفضل عناية جلالاته ، ودقة توجيهاته وسرعة إرشاداته العالية الغالية النفاذة .

حقاً : حقاً لقد أنقذ الإسلام والشرق من تلك الأباطيل المادية ، والمبادئ الهدامة ، ورفع من مستويات المسلمين والشرقيين ، فشهدوا بالقوة الكامنة فيهم ، كما شعروا بقيادة الفاروق وبعد نظره .

ولقد كتب جلالة الفاروق منذ اليوم الأول أنصح صفحة في التاريخ ، وسيتق على الأجيال المتعاقبة أعظم مثل لشباب الملوك في وثباتهم ورياستهم وتجاربهم . وإني وقد جئت إلى هذه الصفات النادرة في الملوك ، فلن يفوتني أن أذكر بالتمجيد والتمظيم ملك مصر الراحل العظيم فؤاداً الأول ، أسكته الله فسيح جاته ، وما كان له من الأيادي البيضاء التي تذكر فتشكر : هو مؤسس النهضة الفكرية والاستقلالية ، ووضع الحجر الاساسي للنشاط الثقافي والاجتماعي ، وموطد الحركة الدينية والتعليمية ، وهكذا ، هذا الشبل من ذاك الاسد سادق :

هذه هي جماعات البعوث الإسلامية الناضرة بالأزهر ، وفدت من جميع أنحاء العالم ؛ تلك الشبية التي هي عدة الإسلام في المستقبل ، هم سفراء أمهم إلباكام سفراؤنا إلى أمهم ، هم رسل الإحاء الإسلامي ، وهم رسل التوحيد الإسلامي .

هذه الشبية الفتية إنما هي بعوث الأمم الإسلامية ، جاءوا في هذا اليوم السعيد ، يحتفلون بعيد جلوس حصرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق ، ملك لا يرتبط ملكه بعرش دور هرش : فهو ملك لكل واحد منهم ، إذ قد تملك هل الأفتدة بما أعقد عليها من نفعاته وما منحهم من تمطفاته ، حتى أكل لهم دواعي راحتهم في معيشتهم ودراساتهم . ولا غرو إذا كانوا ألسنة تلج بفضل الفاروق والإشادة بعظمته وعنايته ، إخلاصاً وولاء ومحبة إلى يوم يعثون .

وقد تجلّت نتائج هذا الاهتمام الملّكي السامي ، فتوسّعت البعوث وازداد  
عديدها ، وازدهرت فبلغت أقصى ما بلغت إليه ، إذ وصل عدد المبعوثين إلى  
طالب نجيب ؛ في حين أنه لم يبلغ فيما مضى أكثر من نصف هذا العدد ، مع زيادة  
العناية بتنظيم حياتهم الاجتماعية والتعليمية والمعيشية .  
سأدق :

إني أتشرف بأن أرفع إلى المقام الملّكي السامي فروض الشكر على تفضل  
جلالته برعاية هذا الحفل ، وإيقاد منقوبه السامي تكريماً لهذه البعوث ؛ كما أدعو  
الله تعالى أن يحفظ جلالته ، ويديم ملكه ، ويقيه ذخراً للإسلام والشرق .

---

## ذكرى وفاة الملك العظيم فؤاد الأول

في يوم الجمعة الموافق ٢٨ من مارس سنة ١٩٥٠ اجتمع عدد كبير من كبار رجال الحكومة والعلماء والوجهاء وطلاب الجامعة الأزهرية ، للاحتفال بذكرى المغفور له الملك العظيم فؤاد الأول ، في فناء كلية اللغة تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر ، وقد شرف هذا الاحتفال سعادة أحمد حسن بك وكيل ديوان صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول .

بدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الكتاب الكريم ، ثم نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر وألقى كلمته القيمة في مناقب الملك فؤاد ، وما تم على يديه من اصلاحات مادية وأدبية للأمة والبلاد ، فكان لها وقع حسن في الاسماع والقلوب . ثم أعقبه ثلاثة خطباء من الطلبة المنتهين ، وألقى كل منهم كلمة في تعداد مآثر المغفور له الملك الكبير على الأزهر والأزهريين .

وبعد أن تم إلقاء الخطب نهض سعادة وكيل الديوان الملكي فوزع على الأوائل المتقدمين جوائز من نقود وصور ، وتم الاحتفال بقراءة آيات من القرآن العظيم والدعاء لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بطول البقاء .

## كلمة حضرة صاحب الفضيلة وكيل الأزهر

حضرة صاحب العزة مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك .

أيها السادة :

في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٦ لحق بالرفيق الأهل عامل مصر ساكن الجبان ، المغفور له الملك فؤاد الأول ، بعد أن أدى لشعبه الوفي خير ما يؤديه ملك عظيم لأمته ووطنه .

كانت الحماية البريطانية على مصر شغله الشاغل ، كما كانت كذلك بالنسبة للأمة ، فعمل بما وهدبه الله من الجلد ، والمبر وحسن التدبير لاستخلاص مصر من هذه الحماية ، وكان لعمله أثر عظيم في تقوية روح الأمة في جهادها وثباتها في هذا السبيل ؛ حتى كانت منه ومن الأمة قوة عظمى ، حفزت الحكومة البريطانية على إعلان رفع الحماية واستقلال مصر ، ثم أعلن هو للبلاد أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وأنه اتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر ، وأصدر الدستور على أحدث النظم الدستورية ، وافتتح البرلمان في ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ .

كانت هذه الفترة من حياة الملك فؤاد منذ تولى عرش مصر من أشد الأيام وأشقها ، ولكن كان له من قوة نفسه ، وحسن سياسته وتقديره للأمور ما جعله ينهض بالعبء ، ويناصر الأمة في جهادها ، ويخطو بمصر إلى الامام حتى صارت دولة مستقلة دستورية ، نبوات مكانتها بين أمم العالم المستقلة .

وكان للملك دؤاد أعظم الله مثواه ، شغف عظيم بالإصلاح في شتى مرافق الأمة ، فسارت الحكومة مسترشدة بأرائه وحسن تدبيره في الإصلاح بخطى محمودة موقفة ، حتى عم الإصلاح التواحي المختلفة من الصحة والري والزراعة والصناعة والتشريع والتعليم وغير ذلك .

وكان للإصلاح التعاوني في عهده الزاهر أثر ملحوظ في مريان الروح التعاونية بين طبقات الشعب ، وإقدام الجماعات على إنشاء الجمعيات التعاونية على اختلاف أنواعها بما أفاد الأمة إفادة عظيمة ، خصوصا في الأوقات الحرجة التي مرت بها .

والتعليم ، وإن كان قد خطى في عهده الميمون خطوات طيبة ، حيث ارتفعت فيه نسبة المعلمين من سنة ١٩٠٨ / ، وفي الذكور إلى ٢٦ / إلا أن هناك أمران جديران بالتنويه والإشادة بآثره فيهما وهما : الجامعة المصرية والأزهر .

أما الجامعة المصرية التي تعد مفخرة من مفاخر مصر ، بل هي بحق مفخرة فؤاد العظيم ، فقد أشرف على تأسيسها منذ كان أميراً وعمل على إنجازها ، ومع ما صادفه وأعضاء اللجنة من الصعوبات ، أمكن افتتاحها في سنة ١٩٠٨ ، ثم أخذ

يرعاها ويتمهدها ويقومها بكل ماله من نفوذ وجاء إلى أن صارت جامعة فؤاد الأول ، ووضع يده حجر الأساس لبنائها الفخم القائم الآن ، واستمرت في رعايته إلى آخر حياته .

أما الأزهر فكان رحمه الله شديد الاهتمام بشأنه ، وكان من أعز أمانيه أن تصلح أموره على الأسس الصالحة التي تمكنه من القيام برسالته على وجه يحقق الفائدة المرجوة منه ، وذلك بنشر تعاليم الإسلام بين الناس في مصر وغير مصر ، وتعريفهم جميعا ما فيها من خير وهدى ونور .

زار جلالة الأزهر عقب توليه عرش مصر بأيام ، ووجه طلابه مبلغاً عظيماً من المال ، ولم يلبث أن أصدر أمره الكريم بترتيب جائزة سنوية للبتوقين في شهادة العالمية ، وهي الجائزة التي توزع اليوم على الطالبين الأولين من كل كلية من الكليات الثلاث .

كان لهذه الرعاية الكريمة أثر بالغ في نفوس الأزهريين ، لما فيه من مظهر التكريم لهم وللمعهد العظيم من الجالس على عرش مصر ، وقد أصدر عدة قوانين ومراسيم إصلاحية ، كان من أهمها القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٢٣ ، وهو القانون الذي نظم أقسام التخصص في الأزهر ، فكان له أثر عظيم في تمويد العلماء على البحث العلمي المستقل والأليف . وفي الأزهر الآن مئات المؤلفات من الكتب والرسائل التي ألفت في عهده الزاهر . وما الحركة الوعظية المباركة التي انتشرت في أنحاء البلاد ، فكان لها الأثر المحمود في إصلاح النفوس وتوجيهها إلى الخير ، إلا من آثار هذا الإصلاح في عهده .

وبعد هذه الخطوات المباركة ، كان الإصلاح الشامل الذي قصد به أن ينهض الأزهر نهضة قوية يسير فيها النهضة العامة في العصر الحاضر ، مع المحافظة على آثار الفكر الإسلامي وما فيه من علم ودمرة ، فأصدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ الذي نظم الأزهر تنظيمًا جامعيًا ، وأدخلت في تعليمه اللغات الأجنبية والشرقية ، وأمر طيب الله ثراه بإعداد المباني الفخمة ، التي تناسب هذا النظام ، فكان ما أراد ، ورصدت الحكومة مئات الآلاف من الجنيهات لهذا الغرض .

وما هو ذا الفاروق العظيم — أعزه الله — يتم ما بدأه والده العظيم من هذه المنشآت، وقرىبا تم إن شاء الله .

كان من أثر هذه النهضة الإصلاحية المباركة ، التي رباها فؤاد العظيم ، وأحاطها بعنايته وحسن رعايته ، أن اتصل الأزهر بأوروبا وغيرها ، فأرسل عدة بعوث من العلماء إلى جامعات أوروبا للتزود من العلم ، وأرسل بعوثا أخرى إلى بعض البلاد لنشر الدين والثقافة الإسلامية ، وتعريف الناس ما في الإسلام من خير وصلاح للمجتمع .

وفي الحق أن للبك فؤاد مآثر عظيمة على الأزهر والأزهريين ، ولو ذهبنا نعدد مآثره من إنعاش المعاهد والأبنية الفخمة ، ورفع ميزانية الأزهر إلى أضعاف ما كانت عليه ، وغير ذلك من الشئون ، لما وسعنا هذا المقام .

رحم الله فؤاداً العظيم ، وجعله في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

---

## عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

بيننا في مقالنا السابق ، ما للرابطة الادينية من تأثير على حياة الاجتماع ، وانتظام وجوده ، واطراد ترقيه ، فإذا تأثرت بأقل عارض اضطرب له جثمان المجتمع ، ونزلت أركانه ، وأذنت بالتصدع والانهيار ، إذا لم يبادر حفظه تلك الرابطة إلى إزالة ذلك العارض . وما الثورات التي يشب أوارها في المجتمعات ، فتندلع ألسنته في جميع نواحيها ، وتأتي على الأخضر واليابس منها ، إلا نتيجة كما قلنا ، لتأثر تلك الرابطة . وهي تتألف من ركنين عظيمين : دين الأمة وعاداتها المألوفة ، وتقاليدها الموروثة .

ولما كان من المحال أن تقيم الأمم على حالة واحدة من الحياة والمعادات والتقاليد ، ما دام ناموس الترقى عاملاً رئيسياً في حياة الأمم ، فلا مندوحة من طرؤه تأثيرات متواليه من ناحيته عليها ، فلا تنقطع مادة الثورات والانقلابات الاجتماعية في أدوار متقاربة أو متباعدة من حياتها .

نعم ، قد يظهر أن ناموس الترقى عديم التأثير في بعض الجماعات البدائية ، فإن منها من مضى عليها عشرات من القرون ، وهي ملازمة لحالة واحدة لا تزيح عنها ، ولكن لذلك أسباباً طبيعية ، وهي أنها تقيم بعيدة عن العمران ، وتعيش في بيئات مجربة لا تحصل فيها على مقومات حياتها إلا كدأ ، فلا تجد أي حافز يدفعها ، لأن تتقدم خطوة واحدة في مجال الحياة . فإن طرأت انقلابات اقتضت أن تقرب منها جماعة أخرى أرقى منها ، وحدث اتصال بينهما ، كان ذلك فاتحة انتقال لها من حال إلى حال أخرى أرفع منها ، بما تقتضيه من وسائل جارتها ، وما تستفيدة من تجاربها ، ووجد ناموس الترقى مجالاً له في بعضها من رقادها . على أنه قد شوهد أن من الجماعات من جمدت على ما هي عليه ، فأصبحت تستعصى على الترقى ولا تقبله مهما كان جذاباً ، كهنود أمريكا الشمالية والجنوبية

قد احتلتهما الدول الأوروبية منذ قرون ، ففضل أهلها الأولون البعد عن المتعدين والعيش على أسلوبيهم متوحشين ، على أن يحسنوا من شأنهم بارتباس مآهم في حاجة اليه من نظم الاجتماع ، ومآهم محرومون منه من وسائل العيش الرغيد ، ولا يزالون يعيشون على طريقتهم القديمة بعيدين عن العمران ، وتحذ ، تأثير عسوامل الانقراض والفناء .

فناموس الارتقاء هو الحافز الأول في بث روح الثورة في الجماعات ، وهي وإن كانت تسبب كثيرا من المتاعب لها ، إلا أنها بما تستتبعه من الانتقالات الاديية والمادية تعتبر من الضروريات للجماعات . على أنها من العوامل الخطرة ، وخاصة إذا كانت تشب في طائفة تجاور أخرى مزاحمة لها في البقاء ، فإنها بما تحدثه من التفكك في رُبطها ، وما تستدعيه من الفوضى في نُظمها ، تسهل لجاراتها الإجهاد عليها .

وإذا تأملنا في بواعث الخلاف الذي يؤدي إلى تآحر الآحاد في الجماعة الواحدة ، تحت تأثير عوامل الارتقاء ، وجدناه يرجع إلى أسباب دينية وعادية . فالأديان بما تشابه به من الخرافات ، والمعادات بما تلتك به من الجلود ، قد تصبح عوامل معطلة للارتقاء ، وقد يدرك هذه الحقيقة جمهور من السباه ويعملون على التجديد ، فيخيل للجامدين أنهم أصبحوا خوارج على تراث الآباء من عادات ومعتقدات ، فيحقنون عليهم ، ويتداعون إلى الإيقاع بهم ، فتشعب نار الثورة بين الإخوان ، ثم تخمد بعلة أحد الفريقين ، فإن كان الفائزون هم المحافظون ، ازدادت الجماعة تقهقرا في مجال الحياة ، وإن دارت الدائرة عليهم استطاع المجددون أن يخطوا بجمعهم خطوة أو خطوات في سبيل الارتقاء . وهذا التدافع الاجتماعي لا مناص منه حتى في أدوار الرسائل السماوية . ألم تصادف رسالة الإسلام ، وهو الدين العام ، من هذا التدافع ، مع نصوع أدائها ، وتبجلى حكمتها ، ووضوح الحاجة إليها ، ومن التآلب على أبطالها ، ما يمتبر من أغرب أطوار الحالات النفسية والعقلية للجماعات البشرية ؟

كل هذا مسلم به ، ولكن تأمل فيما حدث بعد أن تكونت أول جماعة للمسلمين : تألفت هذه الجماعة من شتى القبائل العربية ، ولكل منها عقائد موروثة ،

وتقاليد مألوفة ، وعادات امتزجت بنفوسهم ، ككل جماعة بدائية لم يهذبها علم ، ولم تقوّمها حكمة ، فهي وإن كانت قبلت الدعوة المحمدية ، فلم تتجرد من شخصيتها البدوية ، فكان المعقول أن تفهم ما يلقى إليها من التعاليم على أسلوبها ، فتحوّله إلى ما درجت عليه من سيرتها ، وتجمد عليه كما جمدت على موروثاتها قروناً طويلة ، وتقع من جديد تحت سلطان ناموس الترقى ، فتكابد من جمودها وعوامله ، ما تمكّبه كل جماعة في مثل عقليتها . ولكن الأمر لم يمر على هذه السنة الطبيعية ، بل جاءت سيرتها غارقة للعادة ، تعتبر بحق أكبر معجزة وقعت في هذا العالم . ذلك أن هذه الجماعة أخذت تزداد كل يوم عدداً ، وما مضى عليها سنوات معدودة حتى انقلبت إلى أمة فاتحة ، ذات نعمة إصلاحية مدوّية ، وما هي إلا ثمانون سنة حتى أصبح لها امبرطورية لم تنبغ لامة قبلها ولا بعدها ، وما بلغت سنّها مائة وخمسين سنة حتى آلت إليها خلافة الله في الأرض ، فصارت جامعاتها العلمية محجاً لطلاب العلم من جميع بقاع المعمورة ، ودورها الصناعية مورداً لهذا الطلاب الفنون الجليلة ، ومكتباتها الفضة ملئى لعشاق المعرفة ، وفلاسفتها وأطبائها وفلكيوها وكياويوها ومشترهوها أئمة لكل راغب في الغايات القصية .

حدث كل هذا دون أن يحدث شيء من التدافع بين طوائفها ، إلا ما لا بد منه عند ميلاد كل رأى جديد ، أما الثورات المسلحة ، وأما الدماء المهرقة ، وأما التطاحن الماحق لطيبات الأمم ، بسبب النافس بين أنصار القديم ، وأنصار الجديد ، فلم يكن له أثر في تلك الملايين الكثيرة من المسلمين في تلك المصور البعيدة . فأين ما ذكرناه من أفاعيل ناموس الترقى في الجماعات البشرية ، وقد بدأ المسلمون جماعة أمية لا عهد لها بكتاب ولا عم ، وما زالت تتطور بسرعة لم تعهد في تاريخ أمم العالم أجمع ، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من سعة في الملك ، وكثرة في العدد ، حتى صارت أكبر دولة في الأرض ؟ فأين التدافع الاجتماعي الذي يصيب الجماعات عند كل مرحلة من مراحل التطورات المدنية ؟ بل أين الانقلابات المدوّية التي تصاحب كل حضارة في أدوار الانتقالات التجديدية ؟

عجب لا يشبه عجب ! لقد اتبعت هذه الأمة من سنة التطور ما يكابده الطفل من يوم ولادته حتى يبلغ أشده ، دون أن يصيبه مرض يقفه عن النمو ، ولم

تؤثر عليها الفواعل المحيطة بها ، بما يحول بينها وبين بلوغ غاية نموها ، هل كثرة العوامل العالمية التي كانت تحتربها من كل جانب ، حتى صدق عليها قوله تعالى : « وهذا الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يمبدوتني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

نعم إن الذين يؤمنون بالتأييد الإلهي ، والتوجيه السماوي للأمم ، هم وحدهم الذين يفهمون في هذا الموطن معنى هذا التأيد الإلهي : أما الذين لا يؤمنون به ، ويرون أن العالم يجري على السنن الطبيعية ، دون أي تأييد فوق الطبيعة ، فلا يستطيعون أن يفهموا سر تطور المسلمين من أول مراحل الاجتماع ، حتى يصلوا إلى خلافة الله في الأرض ، بعد سنين معدودة لا تكفي لنقل جماعة سوام درجة واحدة من درجات الرقي ، دون أن يمحووا بإقتلابات تزلزل لها الأرض التي تحمها أقدامهم ، وتضيق لها المداخل التي أمام أعينهم .

نعم إن هذا الأمر المعجز أثر ناطق للتأييد الإلهي المباشر ، وللتوجيه السماوي المحكم ، ليكون لأهل القرون المتأخرة آية تحرر لها العقول ساجدة ، وتزودها العلوم جامدة ، فتغلب على الشبه والشكوك التي يثيرها الملحدون حول أمثال هذه المعجزات الخالدة . ولكن أنسى لهم إنكارها ، وقد ملا الخافقين لآلها ، وهم العالمين سلطانها ، وبقيت إلى اليوم آثارها ، فلا ينسى لأحد إنكارها ؟

قلنا إن الروابط الأدبية للأمم تتألف من ركنين : أديانها وهوائدها ، فإذا كانت الأمة الإسلامية قد مثلت معجزة اجتماعية تعتبر غاية العايات في الجلالة ، فإنما يرجع ذلك إلى ديانتها دون هوائدها ، لأنها أهدت بإسلامها أنها قاطعت جميع هوائدها ، اكتفاء بما تمدها به ديانتها من آدابها ، وبذلك ينحصر سر نهضتها بتلك السرعة والثبات المحيرين للعقل ، في ديانتها ، فرأينا أن نبداً في دراستها من الناحية التي نحن بصدها من العدد المقبل إن شاء الله .

## وَلَا يَسْتَمِرُّ الْمَرْأَةُ

لمضية الاستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج البخارى وأحمد وغيرهما عن أبي بكر بن نافع بن الحارث ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى ، قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

• • •

يتصل بهذا الحديث واقعتان هامتان توضحان معناه ، وترشدان إلى العرض المقصود منه ، وتفيدان إلى حد كبير في بيان موقف بعض من كانت لهم في الماضى ولاية أو قيادة ، ومعرفة مدى نجاحهم أو فشلهم في ذلك ، وإحدى هاتين الواقعتين تتعلق بسبب ورود الحديث ، والآخرى تتعلق براويه .

فأما الأولى : فهي أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كتب إلى كسرى كتاباً يقول فيه : « سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِ . لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، أَسْلَمَ نَسْلُكُمْ ، فَإِنِ أَيْتَ ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ » ، ثم دفع بهذا الكتاب إلى عبد الله بن حذافة السهمي القرشي ، وأمره أن يدفعه إلى المنذر بن ساوى البعدي عظيم البعيرين ، ونائب كسرى عليها ، فذهب إليه ، وأعطاه الكتاب ، فدفعه هذا بدوره إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليه بقوله : « اللهم مزق ملوكه » ، فاستجاب الله دعاءه ، وسلط على كسرى ابنه فقتله ، ثم قتل إخوانه ، وأفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة ، فخر ذلك إلى ذهاب

ملكهم ، وتمزيق ثملهم ، وإدبار الدنيا عنهم ، وانقراض أمرهم في خلافة عمر  
رضي الله عنه . ذكر أصحاب المغازي أن كسرى هذا ، لما علم بأن ابنه شيرويه  
يحمل على قتله ، احتال هو أيضاً على قتل ابنه بعد موته ، فوضع في بعض خزائنه  
المختصة به حُقاً مسموماً ، وكتب عليه : « حُق الجناح » — من تناول منه كذا ،  
جامع كذا — فلما عثر عليه شيرويه ، وقرأ ما كتب فوقه ، تناول منه كمية  
كبيرة ، فكان فيها هلاكه ، فلم يمش بعد أبيه سوى ستة أشهر ، ولم يخلف أحداً ،  
لأنه كان قد قتل إخوته حرصاً على الملك ، ولم يعقب ذكراً ، وكرهوا أن  
يخرج الملك عن هذا البيت ، فلكوا أخته ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

وأما الواقعة الثانية المتعلقة براوى الحديث ، فهي أنه لما قتل عثمان ،  
وبويع على بالخلافة ، خرج طلحة والزبير إلى مكة ، فوجدوا عائشة — وكانت  
هاك للحج — فاتفقوا وأبهم على التوجه إلى البصرة ، يستنفرون الناس للبطالة  
يديم عثمان ، فبلغ ذلك علياً ؛ فخرج إليهم ، فكانت الوقعة المشهورة المدسوسة إلى  
الجل الذي كانت عائشة قد ركبته ، وهي في هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح .

ولما قيل لأبي بكر — راوى الحديث — : ما منعك أن تقاتل مع أهل  
البصرة يوم الجمل ؟ — ذكر كلاماً سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في هذا  
الشأن — ، ثم قال : لقد نفى الله أيام الجمل بكلمة سمعتها من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بعد ما كدت ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم ، ثم ساق  
الحديث الذي معنا ، وزادت بعض الروايات في آخره أنه قال : فعرفت أن أصحاب  
الجمل لن يفلحوا ، وفي رواية عن الحسن أن عائشة أرسلت إلى أبي بكر ، فقالت :  
إنك لأم ، وإن حقتك لعظيم ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : « لن يفلح قوم تملكتهم امرأة » .

فهاتان الواقعتان مع اختلافهما في الزمان والمكان : والبيئة والوسط ،  
والعقلية والتفكير ، تدلان بصفة عامة على صواب نظر الحديث ووجهة  
وجهته ، وتشيران إلى أن كل قوم يجعلون قيادتهم في يد امرأة ، ويرسلون  
لها الجبل على العارب ، ويعطونها مطلق الحرية ، ويتركون لها سلطة التصرف

فتستبد بالامر دون الرجال ، تفعل ما تشاء ، وتدع ما تريد بلا رقيب ولا حسيب ، ولا ناصح ولا مشير ، ولا مدبر ولا مفكر ، فلا بد أن طبيعة المرأة ستؤدي حتما هؤلاء القوم إلى الوقوع في العشل والإحفاق .

نعم قد وجدت في العصور الحديثة بعض الدول الكبرى التي كان يحمل تاج الملك فيها بعض النساء ، وقد بلغت هذه الدول في عهدهن من الرقي والتقدم والفلاح والنجاح شأوا بعيدا ، ولكن الواقع أن تلك الدول لم تكن محكومة للمرأة حكما مطلقا ، بل كانت دولا ديمقراطية ، تعتبر المرأة فيها زمرا للتاج فقط ، وتمارس شئون الملك بواسطة رجال الهيئات المختلفة الممثلين في السلطات : التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وفي المجالس العليا في الجيش والبرلمان والتعليم وغيرها ، وبواسطة التقاليد المرحية ، والأنظمة الدبلوماسية ، والأحكام الدستورية الكفيلة بوضع الأمور في مواضعها ، فالحاكم في الحقيقة هو الرجل لا المرأة .

على أن المرأة — حتى في مثل هذه الحالة أيضا — لا يمكن لها أن تفسى طبيعتها ، ولا أن تتخل عن سميتها ، فلا بد من أن يفرط منها ما قد يدعو إلى إثارة المشاكل والصعاب ، ويؤدي إلى تفويت ما يراه المصلحون والمفكرون من خير وفائدة ، فإمادها عن معتك الولايات العامة أنفع وأجدى على البلاد والعباد .

\* \* \*

بدعونا التحقيق العلمي ، والإنصاف التاريخي إلى هذا إلى التعقيب على الواقعة الثانية بما يحلو الغامض ، ويزيل الشبهة ، فقد فهم البعض من كلام أبي بكر أن فيه شيئا من التضييف لموقف عائشة ، والملاحظة هي رأيها ، والنقد لتصرفها ، فراح يدفع ذلك ، ويوضحه ويبين وجهته فيه ، فقال : إن ظاهر حديث أبي بكر يوم توهين رأى عائشة ، فيما فعلت ، وليس كذلك ، لأن المعروف من مذهب أبي بكر ، أنه كان على رأى عائشة في طلب الإصلاح بين الناس ، ولم يكن قصدهم القتال ، ولكن لما انتشرت الحرب ، لم يكن لمن معها يد من المفاظة ، ولم يرجع أبو بكر عن رأى عائشة ، وإنما نفرس بأنهم يغلبون ، لما رأى الذين

مع عائشة تحت أمرها لما سمع في أمر فارس ، وبذل لذلك أن أحداً لم ينفل أن عائشة ومن معها تازعوا علياً في الخلافة ، ولادعوا إلى أحد منهم ، ليولوه الخلافة ، وإنما أنكرت هي ومن معها علياً على "منه من قتل قتلة عثمان ، وتركه الاقتصاص منهم ، وكان علي ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكوا إليه ، فإذا ثبت علي أحد بعيه أنه ممن قتل عثمان ، أقتص منه ، فاختلعوا بحسب ذلك ، وخشى من نسب إليهم القتل أن يصطلحوا على قتلهم ، فأنشروا الحرب بينهم إلى أن كان ما كان ، فلما انتصر علي عليهم ، حمد أبو بكره رأيه في ترك القتال معهم ، وإن كان رأيه موافقاً لرأى عائشة في الطلب بدم عثمان .

ولكن المعتمد من مذهب أبي بكره غير هذا ، فإنه كان يرى الكف عن القتال في الفتنة ، فليس هو علي رأى عائشة ، ولا علي رأى علي في جواز القتال بين المسلمين أصلاً ، وإنما كان رأيه ترك القتال وفقاً لعمد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وغيرهم ، ولهذا لم يشهد صفين مع عائشة ، ولا مع علي ، ولما لقي الأخنف بن قيس خارجاً بسلحه لنصرة علي ، نهاه عن القتال ، فهو إذن ليس متحاملاً على عائشة ، ولا متعصباً لعلي ، وما ذكره في الحديث من انتفاعه بكلمة الرسول ، وعدم خروجه مع أصحاب الجبل ، إنما هو تأكيد لرأيه في وجوب اعتزال القتال بين المسلمين ، وترك الدخول في الفتنة ، وإن كان هذا الرأي يخالف ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين من وجوب نصر الحق ، وقتال الباطل ؛ قال الطبري : لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الحرب منه بلزوم المنازل ، وكسر السيوف ، لما أقيم حق ، ولا أبطل باطل ، ولو وجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال ، وسفك الدماء ، وسبي الحرم ، بأن يحاربهم ، ويكف المسلمون عنهم أيديهم بأن يقولوا : هذه فتنة ، وقد نهينا عن القتال فيها ، وهذا مخالف للأمر بالاعتزال على أيدي السفهاء .

ولشيوع هذا الرأي بين جمهور المسلمين في ذلك الوقت ، كان عدد الذين توقفوا عن القتال في واقعة الجبل و صفين أقل كثيراً عن عدد الذين قاتلوا ، والكل متأول مأجور إن شاء الله تعالى ، فقد اغتفر أهل السنة على وجوب منع

الظن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، ولو عرف الحق منهم ،  
 لأهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا من اجتهاد ، وقد عفا الله عن الخطيئة  
 في الاجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، وأن المصيب يؤجر أجرين ،  
 وقد حملوا أحاديث الوعيد الواردة في ذلك على من قاتل بغير تأويل سائق ، بل  
 بمجرد طلب الدنيا والمالك .

\* \* \*

أهل فارس : هم أمة الفرس المعروفة في التاريخ ، وفارس تطلق على الفرس ،  
 وعلى بلادهم ، فعلى الأول يصرف إلا أن يراد القبيلة ، وعلى الثاني يجوز الأمران  
 كسائر البلاد ، وقد جوز بعض أهل اللغة صرف الأسماء كلها .

وملكوا عليهم : جعلوها ملكة عليهم ، والمالك : هو المتصرف بالأمر والنهي  
 في الجمهور ، وذلك يختص بسياسة الناطقين ، ولهذا يقال : ملك الناس ، ولا يقال :  
 ملك الأشياء ، والمالك : ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم . والمالك ضربان :  
 ملك هو التملك والتولى ، وملك هو القدرة على ذلك تول أو لم يتول ، والمالك  
 كالجنس للملك ، فكل ملك ملك ، وليس كل ملك ملكاً ، والملوك : مختص  
 بملك الله تعالى ، والمملوك : سلطان الملك وبقائه التي يملكها ، وأما الملك :  
 فالحريري جعلوه من لفظ الملائكة ، وجعلت الميم فيه زائدة ، وقال بعض  
 المحققين : هو من الملك ، والمتولى من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له :  
 ملك بالفتح ، ومن البشر ، يقال له : ملك بالكسر .

وبنت كسرى : هي بوران بنت شيرون بن كسرى بن برويز ، وكسرى  
 بفتح الكاف ويكسرهما ، وقال ابن الجواليقي : الكسر أفصح ، وهو فارسي معرب  
 خسرو ، ومعناه بالعربية المظفرى ، وقال الجوهري : جمعه أكاسرة على غير قياس ،  
 لأن قياسه كسرون بفتح الراء ، وهو لقب لكل من ملك الفرس ، كما أن قيصر  
 لقب لكل من ملك الروم .

استنبط العلماء من هذا الحديث أن المرأة ليست من أهل الولايات، وأنه لا يحل لقوم أن يولوها شيئاً من الأحكام العامة بين المسلمين، لأن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب.

والجمهور على أنها لا تلي القضاء، لأنه يحتاج إلى كمال رأى، ورأى المرأة ناقصة، ولا سيما في محافل الرجال.

وأطلق ابن جرير الجواز في توليتها القضاء، ونقل ذلك عن بعض المالكية. وذهب الحنفية إلى جواز توليتها القضاء فيما عدا الأحكام التي لا تقبل فيها شهادة النساء، كما في الحدود والقصاص.

ومن العلماء من أخذ من هذا الحديث أنه لا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها، ولا أن تلي العقد على غيرها، مستندا في ذلك إلى العموم الموجود في قوله: «ولوا أمرهم»، فإن المراد به كل أمر، والأمر في اللغة هو الشأن، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها، ولكن الظاهر أن الحديث وارد في الشؤون العامة لا الخاصة، كما يشعر به سبب ورود، وكما تلائمته حكمة التشريع، ولأننا لو حملنا العموم على إطلاقه، لتمطلت وظيفة المرأة في المجتمع؛ ولتعارض ذلك مع ما أثبتته الشارع لها من أنها راعية في بيت زوجها، وفي شؤون عيالها.

### سحر البيان

عن عبد الله بن عباس قال: وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان ابن بدر وعمر بن الأتم. فقال الزبرقان: يا رسول الله أما سيد تميم، والمطاع فيهم، والنجاب منهم، أخذ لهم بحقهم وأمنعهم عن الظلم، وهذا يعلم ذلك مني.

فقال عمرو: أجل يا رسول الله إنه مانع لحوزته، مطاع في هديرته، شديد المعارضة فيهم. فقال الزبرقان: أما والله يا رسول الله قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي. فقال عمرو: أما لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن، زمن المروءة، أحق الأب، ثم الخال، حديث الفتى. فرأى الكرامة في وجه رسول الله لما اختلف قوله: فقال: يا رسول الله رخصت فقلت أحسن ما علمت، وغضبتي فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الثانية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة.

## فَاحِيةٌ مِنْ أَسْلُوبِ الْفَرَازِ فِي الْقِصَصِ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

المفتش بالازهر

عما يتصل ببيان الأسلوب القرآني في القصص ، ما جاء في قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف ، حيث اختلف النسق فيما أجاب به العبد الصالح عن اعتراضات موسى ؛ ففي أمر السفينة قال : « فأردت أن أعيبها » ، فأسند الإرادة والتميب إلى نفسه ، وفي أمر الغلام قال : « نخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » ، فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . فأسند الخشية والإرادة إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه ، أو معه غيره مع إسناد الإبدال إلى الرب جل جلاله ، وفي أمر الجدار قال : « فأراد ربك » ، فأسند الإرادة إلى الله جل شأنه

وقد ذكرت أوجه كثيرة في تخريج ذلك ، والذي أراه بعد التأمل ومراجعة ما قيل في هذا الشأن - وقد يتلاقى في بعض جزئياته مع آراء الآخرين - أن يقال :

١ - في أمر السفينة ، علم العبد الصالح ، أن ملكاً غاصباً سيقدم على هذا الموضع ، وأنه يجمع السفن الصالحة ، ولما كانت هذه السفينة لمساكين ليس لهم غنى هنا ، اجتهد في وسيلة يدرأ بها ذلك عنهم ، فأداه ذلك إلى أن يبيعها عيباً يمكن إصلاحه فيما بعد ، حتى إذا رآها الملك ، ظنّها غير صالحة ، فتركها فيصلحها أصحابها وتسلم لهم .

وهذا التصرف يمكن أن يلجأ إليه الناس عادة ، فهو من فعله ، ومن جهة أخرى كان اعتراض موسى على خرقه السفينة بأسلوب قد يدل على أنه موجه إلى التية والقصد من هذا الفعل ، لا إلى الفعل نفسه ، وذلك أن موسى عليه السلام قال للعبد الصالح لما رآه خرق السفينة في موضع يؤدي إلى غرقها : « أخرقتها لتغرق أهلها » ، فكأن موسى يشير أن هذا قصد اعتدائي ، ونية سيئة ، فأجاب العبد

الصالح بكلام يفهم منه أنه فعل ما فعل قاصداً به أمراً حسناً ، بناء على ما تبين له من أمر الملك الغاصب ، ومن حال المساكين ، فإسناده الفعل إلى نفسه طبعي ، لأنه تحديث عن الواقع ؛ إذ كان هذا هو ما لجأ إليه تحايلاً على تحقيق مصلحة رأها . ووصفه لهذا القول الذي هو « أردت أن أعيها » بين ما سبقه من أنها « لمساكين يعملون في البحر » وما لحقه من أنه « كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فيه إجماع بأن إرادة تعيها تصرف قد اكتشفه سيان حملا عليه ، وأنه لم يكن عن نية فاسدة ، وقصد اعتدائي .

بقي أن يقال : إن قوله في آخر القصة « وما فعلته عن أمري » يدل على أن ذلك بأمر الله لا برأيه وتصرفه هو ، والجواب أن اجتهاد المجتهد لتحقيق مصلحة من المصالح في دائرة ما علمه الله هو استلزام لأمر الله ، وتطلب لحكم الله .

٣ - أما في أمر الغلام فقد كان العبد الصالح يعلم عن أبويه وعنه ما لا يعلمه موسى ، فأبواه مؤمنان . والغلام - فيما يظهر - كانت تظهر عليه علامات الفساد منذ الصغر ، ولعله كان معروفاً في البيئة التي كان فيها بذلك ، ولعل هذه البيئة كانت تخشى منه ضرراً على أبويه إذا كبر ، وكانت تتوقع أن يرهمها طغياناً وكبراً إذا عاش ، وكانت تتطلع إلى موته رفقاً بحال هذين الأبوين ، فلذلك فعل العبد الصالح ما فعل ، وعمل ذلك بقوله « نخشينا أن يرهمها طغياناً وكفراً » فأردنا أن يبدلها ربهما . فالخشية ليست منه فقط ، والإرادة ليست منه فقط ، وإنما كان ذلك هو إحساس من يعرف الغلام وأبوى الغلام ، وكانت هذه هي إرادتهم - أي رجاءهم وتطلعاتهم - فالإرادة هنا بمعنى الرجاء ، وما يكون من حديث النفس في مثل هذا الشأن ، حيث يلتمس من الله أن يريح مثل هذين الأبوين المؤمنين ، من مثل هذا الغلام الشرير ، ويرزقهما بدله مولوداً أبرهما وأرحم ، أما إبدالها خيراً منه ، فقد أسنده إلى الله وهو يتضمن معنيين : معنى اهلاك الغلام ومعنى تعويضهما خيراً منه ، وكلاهما لا يكون إلا بأمر الله ، وقد أمر الله العبد الصالح بقتل الغلام تحقيقاً للشطر الأول ، بدليل قوله في آخر القصة : « وما فعلته عن أمري » ، ولم يحدثنا عن تعويضه إياهما من هذا الغلام المقتول ، كما هي سنة القرآن في عدم استقصائه من الحوادث إلا ما تدعو إليه العبرة ، وتطلبه الحال .

فالحاصل أن قوله ، نخشينا ، وقوله ، فأردنا ، الضمير فيهما للعبد الصالح ومعه غيره من عباد آخرين يلوح الله لهم ؛ ولا يصرح بذكرهم ، وليس في الكلام ما يدل على أن العبد الصالح كان منفردا بهذا العلم عن غير موسى .

٣ — أما في قصة الجدار فالامر ظاهر ، حيث أسندت الإرادة إلى الله في قوله ، فأراد ربك أن يلقا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، ولا شك أن إرادة بلوغهما أشدهما لا تكون إلا الله ، لأنهما بمحض قدرته ، وأن إرادة استخراجهما كنزهما كذلك ؛ لأنهما حكم بما يكون في الغيب المستقبل الذي لا يعلم إلا الله ، فأمر الله العبد الصالح ببناء هذا الجدار وإقامته ، ليكون ذلك وسيلة عادية في حفظ الكنز هل صاحبه ، وتنبها على أن الله في رحمته ولطفه قد يكرم الأبناء إكراما لأبائهم الصالحين ، ولا يأخذهم بما فشا في مجتمعهم من فساد واهوجاج .

### النبوغ

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، قدم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فأقرأب منهم غلام للكلام .

فقال عمر : يا غلام ! ليتكلم من هو أسن منك .

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه ، فإذا منح الله عبده لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد أجاده الاحتيار : لو أن الأمر بالنس لكان هنا من هو أحق بمجلسك منك .

فقال عمر : صدقت ، فهذا هو السحر الحلال .

فقال الغلام . يا أمير المؤمنين نحن وفد التهته ، لا وفد الترتزة ، ولم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، لانا قد أمنا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا .

وكان محمد بن كعب القرظي حاضرا ، فنظر إلى وجه عمر بن عبد العزيز قد تهلل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يملأن جبل القوم بك معرفتك بنفسك ، فإن قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم هبوا في النار ، أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة .

فبكى عمر بن عبد العزيز حتى خيف عليه ، وقال : اللهم لا تحملنا من واعظ .

# مِنْ تَوْجِيهِاتِ الْفَارَسِ

## في تربية الخلق

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي

المفتش بالأزهر

أ — وإن المتقين في جنات ونهر ،

ب — وإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ،

قف معي أمام هاتين الآيتين ، واستشعر بوجدانك بُعد ما بين الفريقين ، ثم صاحبي في الموازنة بين المقامين ، علما نهتدي من وراء ذلك إلى ما هنا من توجيه نحو أخلاق في ذات الشأن في التفريق بين فريق وفريق

شعار هذا المقال يتم عن وعظ ، ويوحى بأنه للترغيب والترهيب ، ولئن كان ذلك المعنى شاخصا فيما أكتب ، فإن القصد الذي عنيته بالذات ، وأردت القارىء على أن يؤازرنى فيه هو أن نواصل ما بدأنا من تتبع ما هنا من توجيهات خلقية سبقت إلينا في تأكيد من القول ، ولكننا على جفوة منها أو تجاهل ، حتى كأنها لم نسكن لنا وبنا ، أو كأننا في حل منها عملا والتزاما .

أ — ينساق إلى بعض الأذهان أن القرآن حينما يتحدث عن المتقين ، إنما يقصد خصوص القائمين برسوم الإسلام من صلاة وركعة ونحوهما ، وإن ومن فيهم جانب الأخلاق ، وأنه حينما يتحدث عن قفاص المنافقين لا يعنى بهم سوى المنافقين في الإسلام ، على عهد الرسول عليه السلام ، وإن توفرت كثرتهم بيننا في هذه الأزمان .

ولو صح ذلك لكانت الفضيلة أرخص ما يدعيه الأدعياء ، ولوجدت جبهة الأشرار يزحون خيار الناس في مناقبهم ، ويحتلون من الشرف منازلهم .

ولكن القرآن وضع للفضيلة حدوداً ومعالماً ، وماز الحديث من الطيب ، بما ذكر من خصائص النفوس ، واختلاف النزعات ، فإذا توارت عن بعض العقول حدود الفضيلة ، أو تعامت عن معالمها بصائر ، أو تطاول نفر من الحق فزعموا لأنفسهم أكثر مما لها ، فلن يكون ذلك عامساً لما رسم القرآن ، ولن يخلط الأوصاف التي تأتي أن تبدل ، والتي ستظل في حيازة الدين ، وفي رعاية العلم ، وستظل كذلك ما دام عقل يرن ، وضمير يحكم .

ليس الأمر كما فهم أولئك الذين زعموا أن دعوة القرآن إلى الخير ، تقف عند فرائض قد يؤديها من لا يحسها ، وقد يياهي بها من يسير في حياته على مناهضتها ، ولا يستشعر بشيء مما توحى به في رسمها ، وفي معناها وأهدافها ، وإنما القرآن أوسع رحاباً مما تخيلوا وأسمى مآرباً مما فهموا .

فهو ينظر في الإنسان إلى عقيدته وعمله ، ويعتبر الخلق جانباً من العمل ، ناظرًا إلى أثره في الوجود ، وما يتجم عنه من خير أو شر ، فهو لا يحكم على الخلق ، ولا يرتب عليه جزاء إلا بقدر ما يتحقق من ورائه ، إن خيراً أو شراً ، وإن شراً فشر .

ثم يرى القرآن فيما علنا أن الخلق - العمل - من متعلقات العقيدة وفيه تشمل قوتها ، أو يبدو ضعفها ، وعلى ذلك ترى القرآن حينما يذكر المتقين ليثبدهم ، وحينما يبشرهم بما أعد لهم في أخراهم ، إنما يقصد بهم أولئك الذين صحت عقيدتهم ، وسلبت من شوائب الدحل طويهم ، فكان مطهرها خالصاً وصادقاً فيما يبدو من خلق كريم ، وما يبدو من عمل حميد .

وما من شك في أن العقيدة مصدر الإلهام للجوارح ، وصاحبة السلطان في التوجيه ، فتدفع إلى الخير وتحبه إلى النفس ، أو تذود عنه وترغب عن سواء . . . وإلى هنا يتضح أن العقيدة وحدها ، أو عملاً طيباً لا تكوّن العقيدة مبعثه ، أو لا يكون مشغوعاً بخلق حس ، شيء من ذلك وحده لا يكفي لاتظام صاحبه في المتقين ، ولا ينهض شأنه أن يأبه القرآن لذكره ، والإشادة به ، واستنهاض المزايم ، وإيقاظ النفوس لأن ترسم آثاره ، وتأسى بصنيعه .

وقد تقرر عند أولى العلم أن الإيمان عقيدة ، وقول ، وعمل ؛ فإذا ما اعتور النقص واحداً من هذه الثلاث امتنع أن يوصف بالتقوى ؛ إذ التقوى هي كمال الإيمان .

نم تكون تقوى نسبية في مقابلة من يكون أقل من ذلك منزلة ، ولكن ليست التقوى التي يردد القرآن امتدادها ، ويقام لها الوزن الراجع في اصطلاح علم الاخلاق .

ولدينا المثل لتطبيق هذا ، فإن حيار الناس الذين امتلأت الدنيا بذكرهم ، وجرت على لسان الزمن سيرتهم ، كان امتيازهم بعد العقيدة بادياً من ناحية الخلق . وكانت أخلافهم نماذج للإنسانية الكاملة ، ومعلم وصادة لهداية الناس ، لاي جانب دون جانب ، بل في جوانب الحياة عامة ، وفي كل شأن يتصل به شئون الجماعات ، وقد رأينا القرآن حينما يعرض الثناء على المتقين ، يذكر أول ما يذكر ناحية الخلق . فهو يمتدح فيهم كظم الغيظ ، والمغوع عن الناس ، والإعراض عن اللغو ، وعفة اللسان ، ويذكر لهم الأيتار ، والقناعة ، والإخلاص وحب الخير للناس والوفاء ونقاء السريرة ، وقوة العاطفة ، والصبر ، والرضا ، ويذكر كل ما يعتبره الدين من كمال الدين وكل ما يراه علم الاخلاق من محاسن الاخلاق . ونرى القرآن حينما يختص النبي محمداً صلوات الله عليه بذكر مناقبه ، يمتدح فيه الرحمة ولين الجانب وسعة الحلم ، وجيل الصفع ، ويحمل ذلك وما إليه من شيمائه الكريمة في قوله : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وفي ذلك توجيه لنا إلى أن المسألة ، ورقة الطبع ، ولطف المعشر أقرب الوسائل إلى امتلاك القلوب ، وتأليف الجماعات .

ثم في مقام آخر يعمد القرآن الى الإحاطة بكل ما يتأتى أن يمدح به النبي ، ويطوى ذلك في أسير عبارة تجري على اللسان فيقول : « وإنك لعلی خلق عظیم » ، فهذا نمط القرآن حين يتحدث عن التقوى والمتقين ؛ إذ يذكر أفعالهم وخصالهم ، ولا يقف عند ذلك التحديد الضيق الذي يقف عنده الذهن السكليل . ومع أن القرآن ينثر أوصاف المتقين في مواضع كثيرة من آياته ، ويثبت

مدائحهم في ألوان عدة من الثناء ، فقد نراه يوجز كل ذلك في وعد كريم يشف عما لهم عند الله من قدر ، كفاء ما تجعلوا به من خلق . أفرايت قولاً أحفل بالرضا ، وأدل على سمو المنزلة من قوله ، فقال : « إن المتقين في جنات وعيون » ، « إن المتقين في جنات ونعيم » ، « إن المتقين في جنات ونهر » ؛ بل هناك من حسن التقدير ، وبالغ الوصف ما هو أحفل وأعجب ، وحسبك قوله عز شأنه : « لم يمشوا على شيء ، وهم يكسونهم » ، فكأنهم غير مجزين بقدر أعمالهم لحسب ، بل لهم الآمال الفسيحة ، والمطامع الممتدة ، والرغبات المستجابة — ذلك جزاء المحسنين .

يلتقي به إلى ذلك من كان يظن أن التلون بلون الدين في عبادة جافة ، أو في زهادة لا يؤازرها خلق ، أو في تزمّت وغرور ، أو في تكاسل مع الإسراف في حسن الظن بمغفر الله ، من كان يظن أن شيئاً من ذلك يرقى به إلى مكان يروقه من الإيمان ، أو يهض به إلى منزلة أعدت لمن عرفوا الدين ديناً وخلقا ، فهو دون المهم الصحيح ، والظر الصائب بيون شاسع وأمد بعيد .

ب — ذلك هو المقام الكريم من مقامين ، فأين منه مقام آخرين على طرف مضاد ؟ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ؟

وصح في كلمة سبقت لنا : أن القرآن في دعوته إلى تزكية النفس ، يستحثنا على الصدق فيما نتحل من قول وعمل ، وينبأ بنا عن مساوىء الدعوى المصطنعة ، والتفنع بالكمال المدحول ، مع الركون إلى سفاسف الخلق ، والاحتيال في جلب الثناء من غير طريقه .

يرى القرآن فيما يتجه إلينا به أن هذا اللون الزائف من الخلق المموه ، شر ما يطمس معالم الإنسانية وقد كرمها الله ، وأقبح ما ينتاب المجتمع من تحلل النفسيات ، والتبجح في قلب الأوضاع ، والطفيان على المبادئ القويمة التي هي موارد الكرامات والتي تعتبر من مباح الحياة .

وما كانت أقدار الناس متمايزة في قياس العقل ، ولا كانت القيم الأدبية على تفاوت بين أنسان وأنسان ، بل بين الإنسان والحيوان الأعجم إلا لأن هناك

مدارك وحساسية توفرت في جاف دون جانب ، وبرزت آثارها في فرد أو جماعة أكثر مما توفرت وبرزت في آخرين .

فهذا إنسان أينع فيه الخلق الفاضل ، حتى ارتقى في مكانته لدى من يقدره ، واقترب في إنسانيته أن يكون ملائكيا ، وذلك آخر هيبت في المدارك ، والحساسية ، ودببت نفسيته حتى ارتكس إلى سفل ، وكان محسوبا على الإنسانية وهو ثقل على عاتقها ، وعزاة في رجحها ، أو كانت حياته شقوة تلحق بمجتمعه ، وتكدر العيش على من يتغنون العيش مطمئنا في ظلال رفية من حسن الأخلاق . يسوقنا ذلك ، أو يسوقنا إلى ذلك ما صنع القرآن في حديثه عن النفاق وأهله ، فقد انتهج مع المنافقين أقصى مما انتهج مع أهل الكفر الصراح .

ليس لأن الكافرين بدهوة القرآن أحب إليه من مافقوا ، ولكن لأن الكفر الصراح يعتبر من الوجهة الاجتماعية عنادا سافرا وعداء مكشوفاً . أما النفاق فعداء ملفوف ، وضمن كامن ، فيه ما في الكفر الصراح من قبح ، وفيه فوق ذلك مكر يبتونه ، وشباك ينصبونها وراء ذلك الود البراق .

وكثيرا ما يضع المسلم المظمن في حبال النفاق ، إذا استنام إلى ظاهره ، ولم يفتن إلى خباياه أنه من الهين على المرء أن يتحاشى عدوا سافرا أكثر مما يتحاشى عدوا كامنا .

لذلك كان النفاق مينا غاية المهانة ، وكان بغضا نهاية البغض ، فليس فيه شيء يخفف من سوء ماله ، ولا يجتمع مع النفاق اعتزاز بشخصية ، ولا احتفاظ بكرامة ، ولا خشية من معرة .

ذكر القرآن من أوصاف المنافق ما كشف عن شخصية متأرجحة ، لا تملكها عقيدة ، ولم يثبتها إيمان ، فهي بين وسوسة وقتية ، ورعدة لازمة ، ويظل المنافق بين وسوسته وخوفه مفكك الشخصية ، مائع الخلق ، غير متأسك الرأي ، وهو إزاء اضطرابه ذلك يحاول أن يستند إلى غيره ؛ كمن يلعب برأسه دوار ، أو كمن غارت قواه عن الوقوف ؛ فلم يتألك أن ينهض على قدميه ، فد يده إلى جانب ، والآخرى إلى جانب ، ثم ترحل في حركته ليقف كما يقف الأقوياء ، وليس هو من الأقوياء .

يحرص المنافق على أن يمالئ هذا وذاك ، ويلتمس الرضا هنا وهناك ، فهو مع كل زامر يقص ، ومع كل منشد يطرب ، وأنى يكون إنسانا من كان كذلك ، أو على شيء من ذلك ؟

وليس أصدق من قول الله فيمن ينافق « مذبذب بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ، ولا يحسن حاسب أن النفاق جملة نقائص تتجمع في شخص ، بل النفاق خصال وضيفة ، فمن تجمعت لديه فهو ممن في نفاقه ، ومن ابتلى منها بشيء فهو منافق إلى حد ما . والنفاق شر كله وإن كان هينا على من اقترفه أو اقترف منه طرفا يسيرا .

ذكر القرآن أوصاف النفاق في مناسبات من آياته : فأنت تراه يقول عن المنافقين « يحلفون على الكذب وهم يعلمون » ويقول : « في قلوبهم مرض » ، « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » ، « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » ، « يتفقون أموالهم رباهم الناس » ، « فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » ، « يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » ، « فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه » ، « يخادعون الله وهو خادعهم » .

وهكذا من الآيات التي تشهد على المنافق بالصمة ، وتمطيك من صورده أنه ، مرء وكذاب ، ونفعي ومتصنع ومريض القلب ، وما إلى ذلك مما يماهه السمع الكريم ، وتناؤه من هوله الجماعات ، فهل بعد هاته الدنيا يمرض للنفاق شأن أو يقام له حساب ؟

من كان كذلك فهو دون الغير في الاعتبار ، بل هو دون العير حتى في الهوان ، فقد يكون خصم له قدر ، وقد يكون خصم تنخطاه الأنظار ، ويتجاوزته الحديث حتى في عداد الخصوم لو كانوا شرفاء ، فإذا رأيت القرآن يؤكد لك أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار فقد سلك بهم مسلكهم ، ووضعهم في آخراهم حيث وضعوا أنفسهم في دنياهم ، وجعل قرارهم في الدرك الأسفل ، بعد أن جعل مثوى المتقين في مقام أمين ، ولم يكن هناك بين هؤلاء وأولاء سوى كرامة وأخلاق . . . واليوم يا بعد ما بين مقام ومقام !

# لغويات

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

## مستشزرات

يورد علماء البلاغة بيت امرئ القيس في وصف شمر من يتغزل بها :  
غداؤه مستشزرات إلى الملا تفضل العناص في مثنى ومرسل  
وهم يمتنون كلمة مستشزرات ، يحملونها مثلا للكلمة في تأليفها تنافر وثقل  
يخل بالفصاحة ، ويبدو أن ذلك من قبل تقارب الأصوات لأحرف هذه  
الكلمة ، فالسين والشين صفيريان والشين قرية من الزاي ، وقد تقرر ثقل  
التأليف من الحروف المتقاربة .

والذي ينبغي في هذا المقام بيان معنى مستشزرات في اللغة . والمستقر - إخال -  
في أذهان الدارسين ما كتبه شراح البلاغة . وأذكر من هذا قول السعد  
التفتازاني في شرحه للتخلص : « مستشزرات أي مرتفعات إن روى البيت  
بالكسر على لفظ اسم الفاعل ، أو مرفوعات إن روى بالفتح . استشزره : رفعه .  
واستشزر أي ارتفع ، يمتد ولا يمتد ، والقاري لهذا يقر في نفسه  
لا محالة أن الاستشزار هو الرفع والارتفاع ، وأنه في سعة من أن يقول :  
استشزرت الكتاب أي رفعته ، واستشزر البيت . ارتفع ، وهو يرى أنه جار  
على سنن أهل اللغة والبيان . وقد ارتبت في هذا ولم استسعه أن يقال في معروف  
الكلام ، وكان على بالي من هذه المادة ، النظر الشزرة أي النظر بمؤخر العين  
أو جانبها ، وهذا المعنى لا يتفق مع هذا الذي ذكرته للاستشزار ، فكان أن  
بحث هذا الذي أسطره في هذا الموطن . ورجعت إلى معاهد التصيص - وهو  
شرح لشواهد التلخيص - عسى أن أجد فيه تعقيا على كلام السعد فإذا فيه :

« الاستشزار : الرفع والارتفاع جميعاً ، والفعل منه لازم إن كسرت زايه ، ومتعد إن فتحت ، وترى أنه يقرأ السعد على تفسيره ويؤيده في قوله .

وقد تبين أن مصدر هذا الكلام الزوزنى الحسين بن أحمد المتوفى سنة ٤٨٦ في شرح المعلقات ، إذ يقول : « الاستشزار : الرفع والارتفاع ، فيكون الفعل منه تارة لازماً ، وتارة متعدياً . » ورأيت أن أقف على كلام الكاتين على المعلقات غير الزوزنى ، فوجدت النحاس يقول : « المستشزرات : المقتولة شزراً ، أى على غير جهته لكثرتها . » وروى ابن الأعرابي مستشزرات بكسر الزاي ، أى مرتفعات ، وقد تبعه في هذا أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه للعلاقة ، إذ يقول : « مستشزرات - بفتح الزاي - : مفتولات على غير جهة القتل ، وذلك لكثرتها ، وبكسرهما : مرتفعات ، وترى هذا بعينه في المعنى <sup>(١)</sup> في شرحه للشواهد .

ويرى القارىء في هذا التهج الذى منه أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ تقريباً بين استشزره واستشزور . فاستشزره : قتله على غير جهة القتل ، واستشزور : ارتفع . والمعروف أن اللازم في مثل هذا ، يكون مطاوعاً للمتعدى ، فلا يخرج عن معناه ، بل يظل بسبب من المتعدى وعلى سمته وأمه ، كما يقال : جبر الله الكسير فجبر هو . قال العجاج : قد جبر الدين الإله فجبر . فإذا كان استشزره : قتله ، فإن استشزور يجب أن يكون : انقتل . تقول على هذا : استشزرت الحبل ، أى قتلك على غير جهة القتل فاستشزور الحبل . وهذا ما يؤخذ من كتب اللغة . فشزور الحبل - وما جرى مجراه كالشعر - واستشزاره : قتله إلى جهة اليسار أو إلى فوق على خلاف دور المغزل الذى يكون إلى تحت . ومادة الشز فيها الانصراف من سنن القصد : تقول : قتله شزراً : قتله على غير استقامة ، بل قتله إلى جهة اليسار . وفي اللسان : « الشز من القتل : ما كان عن اليسار ، وقد شزره ، واستشزور الحبل واستشزوره قاتله ، وروى بيت امرئ القيس بالوجهين جميعاً : عذاره مستشزرات إلى العلا تظل المدارى في مثنى ومرسل

ويروى مستشزرات . . . . . والشزور من القتل ما كان إلى فوق خلاف

(١) هامش الحزاة ٤/٥٨٧ .

دورة المغزل ، يقال : حبل مشرور وغدائر مستشزرات ، فترى أن الاستشزار لا يخرج عن القتل ، فاستشزار الغدائر أى ذوائب الشعر قتلها ، وإذا قيل : استشزرت المرأة الشعر فعنى ذلك فتلته إلى جهة اليسار ، وبرى بعضهم أن السين والتاء فى استشزرت اللازم كأنهما للطلب كأن الحبل مثلاً سأل ذلك من الفاعل .  
وينبجلى من هذا البحث أن تفسير الاستشزار بالرفع والارتفاع ليس على ما ينبغى ، وإنما الاستشزار القتل ، وكأن الذى أوقع الزوزنى ومن تابعه فى ذلك قول الشاعر : مستشزرات إلى العلا فقصن الكلمة بالعلا أوقع فى الوم أن الاستشزار الارتفاع والرفع . والله أعلم .

### الوقائع والأحوال :

تذكر الوقائع فى جمع الواقعة للحادثة تقع وتنزل . فيقال : جرت اليوم واقعة من الوقائع الحسنة تذكرنا بالوقائع القديمة . ومجيفة . الوقائع المصرية ، صحيفة قديمة كان من الكتابين فيها الشيخ حسن العطار صاحب المؤلفات فى شتى الفنون ، وقد أنشئت ليدون فيها ما يحدث من الحوادث ويؤمن من القوانين فى نظام الدولة ، وما زالت تضطلع بهذه المهمة إلى اليوم . وقد جرى كلام فى جمع الواقعة على الوقائع : فقياس جمع الواقعة الأواقع وأصلها الوقائع ، ويقضى قانون الإبدال بقلب الواو الأولى همزة : كما يقال فى جمع واقية أواقٍ وواصة أواصل ، وقد جاء الأواقع فى قول الشاعر :

فإنك والتأبين عمروة بعد ما دعك وأيدينا إليه شوارع  
لكالرجل الحادى وقد تلع الضحى وطير المنيا فوقهن أواقع

وعلى هذا فالأوفق بقواعد العربية أن يقال : الأواقع المصرية ، غير أن الناس استمروا على هذا ، وأصبح من العسير تغييره .

والوقائع ترد فى اللغة جماعاً للوقعة ، وهذا قياس جمعها . والوقية ترد فى اللغة ثلاثة معان : فالوقية العنيسب وأن قال أمراً بما يشبه ريثلم عرضه ، والوقية القتال والحرب ، والوقية نُقْصرة فى الجبل تملك الماء . ومن بجمات الأساس : فى قم الوقائع الوقية ، أعذب من ماء الوقية . فالوقية الأولى الشتم والعيب ، والوقية الثانية صنع الماء .

وقد يشهد لصحة استعمال الوقائع في النوازل والحوادث ما ورد في الأساس : « نزلت به وقعة من وقعات الدهر ووقائعه ، وظاهر هذا أن واحد الوقائع وقعة ، وهذا جمع على غير قياس ، كما جمعوا الضرة على الضائر والكنة على الكنائن ، وأيا ما كلن الأمر ففيه استعمال الوقائع في الحوادث ، وهو ما جرى به العرف والاستعمال .

مهما أسأت إلى فلن أصدف عن ودك

يجرى هذا في الاستعمال ، ونرى فيه مهما مستعملة في عموم الأحوال ، فالمعنى لن أصدف عن ودك لإساءتك إلى أبدا . وبقضى النظر الإعرابي بأن تعرب مهما ظرف زمان ، وكأنه قيل : أي وقت أسأت إلى فيه فلن أصدف عن ودك . وإنكار مثل هذا قديم ، فإن المعروف استعمال مهما في عموم الأفراد ، وعلى ذلك يجرى بيانها ببعض الأشياء ، كما في قوله تعالى : وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فسنحن لك بثؤمنين ، فقوله من آية بيان لمهما ، وقال زهير : ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن حالها تخفى على الناس تعلم

فترى أن مهما بيئت في البيت بخليفة ، ولكن بعض الناطرين في العربية رأى استعمالها في الأحوال فلقي نكيرا شديدا من العلماء ، ويقول الزعرى في التنديد بهذا الرأي عند قوله تعالى : وقالوا مهما تأتنا به من آية : « وهذه الكلمة — يريد مهما — في عداد الكلمات التي يجرى فيها من لا يدل في علم العربية فيضنها غير موضعها ، وبحسب مهما بمعنى متا<sup>(١)</sup> ما ويقول : مهما جئتني أعطيتك . وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ، وقد أخذ بهذا الاستعمال المتكرر المناطقة فجعلوا مهما سورا للكلية الموجبة من الشرطية المتصلة : ككلها نحو مهما جئتني أكرمتك فهي في معنى كلما جئتني أكرمتك ، ويعترف علماء المنطق بالقل والتعريف لوضع العربية فيقول السعد في شرح الشمسية : « ولفظ مهما — بحسب اللغة — إنما هو لعموم الأفراد حتى يصلح سورا للكلية الخلية . وم قد نقلوها إلى عموم الأوضاع وجعلوها سورا للمتصلة الكلية ،

على أن ابن مالك - وعلمه بالعربية لا يسكره أحد ، وحسبك بمن يقول

(١) يرى ابن درستويه كتابة متي بالالف إذا اتصلت بها لتوسطها . راجع شرح القاموس .

للزحشرى إنه نحوى صغير - يرى مجيء مهما ظرفاً ، ويستند ذلك إلى العرب . فهو يقول فى شرحه للكافية الشافية إن جميع التحريين يحملون مهما مثل من فى التجرّد عن الظرفيّة مع أن استعمالها ظرفية ثابت فى أشعار الفصحاء من العرب . وأورد من ذلك قول طُفَيْل الغَتَسَوِى :

نبئت أن أبا سُتَيْم يدعى      مهما تعش تسمع بما لم تسمع  
وقول حاتم الطائى :

وإنك مهما تعط بطنك مؤله      وفرجك نالا منتهى الذمّ أجما  
ومن طريف ما يذكر هنا أن ابنه بدر الدين أنكر عليه ، وقال : إنه لاجبة فيما أورده على أن مهما ظرف ، فقد يجوز أن تكون مهما مفعولاً مطلقاً ، فى قوله مهما تعط بطنك مؤله ، المعنى أى إعطاء تعط بطنك . . . وهذا أمر لا يعنينا فى مقامنا هذا ، وإنما يعنينا ورود هذا الأسلوب ، وهو يوافق ما يجرى على ألسنة الناس ، وينكره الزحشرى ومن شابهه .

ومما جاء فيه مهما فى غير الأفراد ، كما يرى ابن مالك قول ساعدة بن جؤينة فى وصف الصوار - وهو القطيع من بقر الوحش ، المذكور فى بيت سابق - :

قد أُرِيْتُ كلَّ ماءٍ فى صاوية      مهما نصب أفقاً من بارق نسيم  
أُرِيْتُ (١) : مُنِيت ، وصاوية : يابسة من العطش ، يقول : إن الصوار مُنِيت الماء فأصبحت قاحلة من العطش ، وهى متحرقة للآاء متشفوة له ، فإذا أحس برقاً فى أفق وناحية شامته ، ونظرت إليه ترجو أن يعقبه المطر فتروى منه ، وقوله نصب أفقاً من بارق ، على القلب أى نصب بارقاً - وهو السحاب يبرق - من أفق أى ناحية .

وكان بعض الفضلاء لدهر مضى ، زعم أن من هذا الاستعمال قول المتنخل الهذلى برئى أباه هويمراً :

إذا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مطواعة      ومهما وَكَلَّتْ إليه كفاه

يقول (٢) : إذا سُدَّتْهُ وكنت فوقه أطاعك ولم يحسدك . والامر فى هذا ليس على ما ظن ، فهما مفعول به مقدم لوكلت ، والمعنى : أى شئ . وكلت إليه كفاه .

(١) أنظر شعر الهذليين ١٩٨ / ١ طبع دار الكتب . وقوله صاوية بالصاد المهملة ، وجاء فى المعنى ومواده ضاربة بالضاد المعجمة ، وهو تحريف (٢) أنظر شعر الهذليين ٢٠ / ٧ طبع دار الكتب .

# مفردات فلسفية

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
الأستاذ بكلية أصول الدين

كنا اعتزمنا أن تكون مفردات هذا المقال هي كلمات : الواقعية ، الاسمية ، التصورية ، أو المفهومية ، ونحوها مما يتصل بنظرية المعرفة والكليات أو المفاهيم العامة . لكن مسألة هذه الكليات كان لها شأن كبير لدى فلاسفة اليونان ، وبخاصة أفلاطون ، ثم صارت في العصور الوسطى محور التفلسف والفلسفة . وعرفها أيضاً المفكرون الإسلاميون ، وأخذت قسطاً كبيراً من تفكيرهم ؛ لذلك رأينا من الخير ، بل من الضروري أن نقدم بين يدي هذه المفردات كلمة عن هذه المشكلة الأساسية ، نغني مشكلة الكليات .

• • •

كان يراد في العصور الوسطى باسم الكليات : المعاني أو المفاهيم العامة التي تعتبر أنواعاً أو أجناساً للكائنات الفردية الجزئية ؛ وذلك مثل الإنسانية ، أى الحيوانية الناطقة ، التي هي ماهية كل فرد من أفراد الإنسان ؛ والحيوانية التي هي الماهية العامة لكل حيوان ، أى الكائن الناقص الحساس المتوالد .

وهذه الكليات هي الأمور المساعدة التي لا بد منها للفكر والعلم ، وفائدتها - لهذا - ليست موضع شك أو تساؤل ، لأنه بالتصنيف والعميم للوجودات ، أى جعلها أنواعاً وأجناساً ، يمكن أن تصل إلى مبدأ من المبادئ أو قانون من القوانين العامة .

ولكن يجب أن نعلم ما إذا كان لهذه المعاني العامة ، التي لا نستغنى عنها في أحيادنا ، وجود حقيق خارج عنا ، أو ما إذا كانت ليست إلا اختراعات ذهنية وأعطياها أسماء ، ليكون من السهل علينا ترتيب معارفنا .

مثلا ، ماهية الإنسان التي نطلقها على جميع أفرادها ، وهي الحيوان الناطق ، هل لها وجود في العالم الطبيعي ؟ أى هل لها حقيقة خارج أفرادها ؟ أو إنها لا توجد إلا في الفكر أو الذهن بفضل الاسم الذى أعطيناها لها ؟ هذه هي المشكلة التي نشأت عنها هذه المذاهب : الواقعى ، والاسمى ، والتصورى .

ومن الهام جدا أن ملاحظ أن اختيار جانب من تلك الجوانب ليس عملا يسيرا من أعمال العقل ، بل هو على الضد ، قرار خطير يتخذه العقل ، وذو نتائج كبيرة ضخمة ؛ ذلك بأنه يجر مباشرة انحيازنا إلى هذا التصور أو ذاك من التصورات الخاصة بالكون والعالم ، وإلى طريقة خاصة لمعالجة أو حل أى مشكلة من المشاكل .

فإذا كنا حقيقين أو واقعيين ، كان العالم المعقول الذى نفكر فيه موضوعا أو شيئا Objet حقيقيا موجودا ، شيئا هو نتاج الخلق الخارج عنا ، ويكون وجوده لا يتوقف علىنا ولا يتوقف عليه حواسنا .

إن هذا الوجود الواقعى الذى يفرض نفسه علينا كيقين لا شك فيه ، يجب إدراكه - مادنا من أنصار المذهب الواقعى - أن يكون الأساس القوى المتين لتفكيرنا وضروب استدلالنا ، ونقطة الارتكاز ، التي بفضلها نصل بالاستنتاج إلى الأشياء والظواهر الجريئة التي تعطينا حواسنا صورها .

وعلى الضد من هذا كله لو كنا إسميين : إن الكائنات الفردية والأشياء المحسة التي ندركها نحن ، مثل هذا الإنسان وهذا الحصان الذى أراه الآن ، تكون هي وحدها الموجودات الواقعية الحقيقية ؛ وكل ما عدا هذه الموجودات المحسة لا يكون إلا خيالا لا حقيقة له ، ولا تكون الماهيا العامة ، مثل نوع الإنسان ونوع الحصان وجنس الحيوان ، إلا عملا من أعمال العقل لا حقيقة له ، أى لا تكون إلا مجرد أسماء .

ومن ثم ، يرتقى الاسميون ، بالسير من ملاحظة الحوادث الفردية الجزئية ، وبالطريقة التجريبية الاستقرائية ، من الإدراك الحسى إلى معرفة المبادئ والقوانين بواسطة التجربة والمقارنة والتجريد .

٢ — وهذه المشكلة والحلول التى تحمل بها ، أهمية كبيرة فى الحياة العامة فى العصور الماضية وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، وبكى فى هذا أن نذكر أنها تحصر بين طرفيها ، الواقعية والاسمية ، كل النزعات التى يثذب بينها التفكير الإنسانى ؛ وذلك حسب اعتباره أن الموجود الحق هو الخاص أو العام ، الفرد أو الكلى ، الذاتى أو الموضوعى ، النسبى أو المطلق ، العرضى أو الدائم ، الممكن أو الضرورى ؛ ثم حسب تفضيله ، فى سبيل الوصول إلى المعرفة ، التجربة أو المبادئ الموضوعية ، الملاحظة أو الحدس ، التحليل أو التركيب ، الاستنتاج أو الاستقراء ، الأمر المدلل عليه أو الموضوع وضعا ، المحسوس أو المعقول ، المشخص أو المجرد ، الصيرورة أو الكائن الموجود الدائم .

وقد بين بوضوح أكبر أهمية هذه المشكلة وحلولها فى الحياة العملية ، أن نشير إلى السوفسطائيين اليونان - على أن لكل عصر نصيبه من السفطة والسوفسطائيين ، ولعصرنا الحالى حظ من ذلك موفورا - وسقراط . فقد كان السوفسطائيون لا يرون وراء مدركات الحواس المختلفة ، باختلاف الشخص والزمان والمكان ، حقائق عامة ثابتة ، ومن ثم كان مذهبهم فى الأخلاق مذهباً هداماً . بينما كان سقراط يعترف بالحقائق أو المبادئ العامة الثابتة للأشياء ، هذه المبادئ الكلية التى يستخلصها العقل من مدركات الحواس ، وذلك بالملاحظة والمقارنة والتصنيف للدرجات الجزئية .

٣ — وهذه المشكلة تصعد من الناحية التاريخية ، كما رأينا إلى أيام اليونان ، بل إلى أول عهد الناس بالتفلسف والفلسفة ، ولكنها لم تأخذ أهميتها الحقة البالغة إلا فى العصور الوسطى ، إذ أمكن للفكرين استخلاصها من ترجمة نص من الأفلاطونية الحديثة ، ففى به إيساغوجى أو المدخل لفورفورجوس الصورى الذى كان يعيش فى القرن الثالث للمسيح عليه السلام ، وهذا النص يثبت قبل

كل شيء أن هذه المشكلة التي ليست إلا مشكلة موضوعية أو ذاتية معارفنا ، شغلت الأدهان قبل العصور الوسطى بزمان طويل .

حقيقة ، إننا نجد هذه المسألة في مذهب أفلاطون وأرسطو ، لأن الأول بنظريته الشهيرة عن المثل ، يقدم أكل نموذج للحل الحقيقي أو الواقعي ؛ بينما الثاني ، بطريقته التجريبية ، فتح الطريق للمذهب التجريبي المعتدل ، الذي نجد له لدى كثير من مفكرى العصر الوسيط الواقعيين .

وإذا أردنا أن نرجع في التاريخ الى ما قبل أفلاطون وأرسطو ، نجد من اليسير استحلاص النزعة الواقعية من مدرسة فيثاغوراس ، التي كانت ترى أن للحقائق الرياضية وجودا واقعيا خاصا غير وجودها في الأشياء الملموسة . كما نجد من اليسير أيضا أن نرى في مفكرى المدرسة الإيونية أو الذرية ، الماديين بمنزلة للنزعة الاسمية .

هذا ، وما هو ذا نص قورفوروس الذي أشرنا إليه :

« سوف لا أبحث عما إذا كانت الاجناس والايوان توجد بنفسها ، أو أنها ليست إلا مفاهيم وتصورات مجردة ؛ ولا في حال ما إذا كانت حقائق واقعية ، عما إذا كانت جسمية أو لا ، أو عما إذا كانت توجد مفارقة للأشياء المحسوسة أو مختلطة بها . هذا البحث عسير كل العسر ، ويتطلب مناقشات طويلة ليس هذا موضوعها . »

من هذا النص نجد أن هذه هي القضايا الثلاثة ، التي تعرض حتما لمن يتصدى للبحث في الكليات : وجود هذه الكليات ، هل هو حقيقي أو متوهم ؟ جسمى أو غير جسمى ؟ مفارق أو غير مفارق ؟ وأخيراً ليس من سمحنا في هذه الكلمة التهديدية ، أن نبحث فيما ثار من جدل ، وفيما كان من حلول لهذه المسائل ، طوال العصور الوسطى ، ولا في أثر هذه المذاهب في السياسة والاجتماع . وحسبنا أن ذلك كان تمهيداً لا بد منه ، لفهم ما سنعرض له من مفردات فلسفية خاصة بهذه المشكلة ، وبما يتصل بها .

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

لى أخ مدرس بكلية الزراعة ومندب لمهمة عليّة في أمريكا أرسل إلى يستفتى فيما يلى :

ورد في القرآن الكريم آيات تحرم الأكل في مختلف السور ( ١٧٣ ) البقرة ١٩٣ آل عمران ٣ المائدة ١١٩ الأنعام ١١٥ العجل ( . كما أحل طعام أهل الكتاب في قوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات . . . . » المائدة . .

١ — إن السائل يقيم في دار غربة وهي بلاد بعض أهل الكتاب ، ولا يدرى نوع ما يُقدم إليه من لحم حلال هو أم حرام . فهل يجوز له أن يأكل ما يقدم إليه ولو كان لحم خنزير وهو لا يعلم حقيقته ، أو من ذبيحة لا يعرف طريقة ذبحها ؟  
٢ — وهل يكون السائل حيث يقيم في حكم المضطر ؟ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه . .

٣ — ورد في حديث الدارقطني عن عائشة ومالك رضي الله عنهما : أن أناساً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : « يا رسول الله إن قوماً يأثوثنا باللحم لا يدرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله : سموا عليه واكلوا . فهل يسرى هذا النص على أكل أهل الكتاب ، الذبيح الذي لا يعرف نوعه ولا طريقة ذبحه ، وهل ذكر اسم الله عليه عند الذبح أم لا ؟ ، وهل يجوز أكله أم لا ؟ ترجو الإفادة .

محمد عمر الخطاب  
مصلحة المجارى الرئيسية

### الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد أطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بما يلي :

قال الله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت » ، وما ذبح على النصب » .

وقال تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، فقد حرم الله بالآية الأولى تناول شيء مما ذكر فيها إلا ما أدرك قبل زهوق روحه ، وذبح من المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . فإن هذه إذا أدركت وفيها حياة أية حياة ، وذبحت وسال الدم الأحمر منها فإنها تكون حلالا .

وما حرم الله مما ذكر في هذه الآية على نوعين .

الأول : ما كان له علة تحريمه إرادة حفظ العقيدة وحمائها من الشرك وعبادة غير الله تعالى ، ويشمل هذا ما أهل به لغير الله وما ذبح على النصب .

والثاني : ما كان تحريمه لمعنى في الحيوان نفسه ، ويشمل بقية المحرمات المذكورة في الآية من الميتة والدم ولحم الخنزير والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع .

وتحريم جميع ما مدرج في هذين النوعين عام يشمل ما يكون للسلم ولغيره . فكما يحرم على المسلم تناول شيء من حيوان قتله بالحق ، أو بالوقد مثلا يحرم عليه تناول ذلك كله إذا حصل شيء منه عند غير المسلم أو بفعله ؛ فموقوذة غير المسلم كموقوذة المسلم كلتاها محرمة على المسلم .

وهذا هو الحكم في أخوات الموقوذة مما ذكر في الآية الكريمة .

أما قوله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، فالغرض منه رفع الحرج عن المسلمين في تناولهم ما يصنعه أهل الكتاب ، من طعام وما يذبحونه من حيوان ، فقد كان المسلمون قبل نزول الآية يتخرجون من طعامهم وذبايحهم لمخالفتهم لإيام في العقيدة ؛ فبين الله تعالى أن ذلك حلال لهم كجميع الطيبات من

المآكل والشارب ، وأرام أن اختلاف العقيدة لا يمنع تبادل أسياب المعيشة ،  
 فيطعم المسلم من طعام الكنتاني كما يطعم الكنتاني من طعام المسلم .  
 وبهذا يتبين أن الآية الثانية وأردت في غير ما وردت له الآية الاولى ، وأن  
 طعام أهل الكتاب الذي أحله الله للمسلمين لا يصح أن يتناول ما وردت بتحريمه  
 الآية الاولى من الميتة والخنزير والموقودة والمختقة وما إليها .

فالطعام الذي يصمه أهل الكتاب من الحيوان الذي يحل أكله ، لو ذبحه  
 المسلم كالبقرة والغنم حلال ، ما لم يعلم أن هذا الحيوان من الميتة وأخواتها . فإذا  
 علم أن الحيوان مذبوح ولو بعد ضربة قاتلة بيلطة أو نحوها ، وأنه ذبح دعما مخرجا  
 للدم الأحمر ، وكان وقت الذبح حيا أية حياة ولو غير مستقرة حل أكله . وكذلك  
 يحل أكله إذا جهل أنه ذبح بعد الصرب أو لم يذبح متى كان غالب الأمر عندهم  
 هو الذبح ، ولو بعد الصرب على نحو ما قدمنا . فإذا لم يعلم المسلم ما هو العالب  
 عدم ، ولم يعلم كذلك حال ما يقدم له في أحد مطاعمهم أهو من الحلال أم من  
 الحرام حل له التناول أيضا .

أما إذا علم أنهم لا يذبحون ، أو كان الشأن عندهم عدم الذبح ؛ بل يضربون  
 الحيوان حتى تزحم روحه ، فإنه لا يحل في هذه الحالة لأنه يكون إذا من  
 الموقودة المحرمة .

هذا وما لم يعلم أنهم سموا عليه غير اسم الله تعالى فهو حلال ، وهذا يتناول  
 ما إذا علم أنهم يذكرون عليه اسم الله ، وما علم أنهم يتركون فيه التسمية أصلا ،  
 وما جهل فيه الحال .

وخلاصة ما تقدم جميعه أنه إذا كان المسلم في بلد من بلاد أهل الكتاب  
 اليهود أو الصاري ، وكان لا يعرف حال ما يأكلون أو يبيعون من لحوم  
 الحيوان أهو من الحلال كالبقرة والغنم المذبوحة على نحو ما تقدم . أم عما حرمه الله  
 من الخنزير والحيوان غير المذبوح ؛ فإنه يحل له أن يأكل ما يقدم له في أى مطعم  
 من مطاعمهم ؛ إذا لم يعلم أن ما قدم له هو من المحرم ، أو يعلم أن العالب عندهم هو  
 المحرم ، لأن الأصل في طعام أهل الكتاب هو الحل ، والأحكام تنبى على  
 الأصل ما لم يعلم خلافه .

هذا هو المأخوذ من قواعد العلامة ابن رجب الحنبلي ، كما يعلم بالرجوع إلى صفحة ٣٣٨ و ٣٤٤ من هذا الكتاب .

ويؤيد هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بعد نزول قوله تعالى : « واطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم » : يتناولون من أطعمه أهل الكتاب ولم ينقل أنهم كانوا يتخرجون من أكلها أو يسألون عنها حيثئذ .

هذا . وإذا أراد المسلم أن يدفع عن نفسه ما يجده من ريبة وشك ، فليسأل من ينق به ، ولا يهتمه بالكذب ، وليعمل بخبره ولو كان غير مسلم ، دفعاً لما يجده في نفسه من الريبة والشك .

هذا والمضطر الذي تناول الميتة ونحوها هو الذي يخشى على نفسه أو تلف عضو من أعضائه لو لم يتناول الميتة ونحوها ما لا يجد من الطعام الحلال ما يدفع هذه الحشية .

هذا ما اختارته اللجنة من أقوال الفقهاء ، لأنه هو المنفق مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية من التيسير ودفع الحرج والمشقة .  
وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

### الجمع بين التعزية والتهنئة

أول من فتح الباب في الجمع بين التعزية والتهنئة : عبد الله بن همام فولجته الناس جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا .

ومن جيد ما قبل في ذلك قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح الواثق بالله ويرثي المعتصم من خلفاء بني العباس ، يقول فيها :

إن أصبحت مصائب قدس أزالها	قدر فما زالت مصائب شمام
أو يفتقد ذو الون في الهيجان فقد	دفع الإله لنا عن الصمصام
أو كنت منا غارباً غدوا فقد	رحنا باسمي غارب وستم
تلك الرزية لا رزية مثلها	والقسم ليس كساتر الأقسام

# الحُكَمَاءُ السَّبْعَةُ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المنعم الصعدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

نشرت مجلة الأزهر في جزء ربيع الأول سنة ١٣٦٩ هـ من المجلد الحادي والعشرين مقالا للدكتور الفاضل أحمد فؤاد الأهواني تحت عنوان - الحكماء السبعة - قال فيه : ولست أدري أعرفهم العرب في الإسلام أم لا ؟ نفى أسماء الحكماء السبعة وصفاتهم وأقوالهم ، وأهم يمثلون أول ظهور الحكمة أو الفلسفة ، وقد ذكر القفطي في أخبار الحكماء<sup>(١)</sup> أساطين الحكمة ، تكلم عنهم عدد ما تعرض لانبأذ قليس ، فقال : إنه حكيم كبير من حكماء اليونان ، وهو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة ، وأقدمهم زماناً ، والخمسة هم : أيبذقليس هذا ، ثم فيثاغورس ، ثم سقراط ، ثم أفلاطون ، ثم أرسطاطاليس ، ولم تقع على نص آخر في الفهرست ، أو طبقات الأبطال أو كتب فلاسفة العرب يدل على أنهم عرفوا الحكماء السبعة ، نقول وليس فيثاغورس حكماً ، بل هو متأخر عن الحكماء السبعة ، وإليه يعزى القول : لست حكماً ولكني مؤثر للحكمة ، والمؤثر للحكمة هو الفيلسوف ، كأن الفلسفة في اليونان نشأت في أحضان الحكمة العملية التي جرت على لسان الحكماء السبعة<sup>(٢)</sup> .

ولو أن الدكتور الفاضل بحث في كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لوجد فيه نصاً عن أولئك الحكماء السبعة ، ولعرف منه أن العرب عرفوا أيضاً هؤلاء السبعة من الحكماء القدماء ، كما عرفوا الخمسة الذين أتوا بعدهم ، وكانوا يسمون أساطين الحكمة .

(١) يعني كتابه أخبار الملأ بأخبار الحكماء .

(٢) ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ من المجلد الحادي والعشرين من مجلة الأزهر .

وهذا النص يوجد في ص ٤٤٧ من الجزء الثاني من كتاب كشف الظنون<sup>(١)</sup> وهذا عند الكلام على علم الحكمة ، فقد عرفها أولاً ، ثم قسمها إلى حكمة عملية وحكمة نظرية ، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً ، ثم تكلم على تاريخ الحكمة عند الأمم القديمة من الكلدان والقبط والبربر واليونان والروم والفرس ، إلى أن قال : وأول من تكلم في الفلسفة على زعم فرفوربوس المصري في تاريخه السرياني سبعة : أولهم طاليس - طاليس - وقال آخرون : فوثاغورس ، وهو أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم ، وله رسائل تعرف بالذهبيات ، لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب ، ثم تكلم على الفلسفة سقراط من مدينة آتة - أيتنا - بلد الحكمة ، ومن أصحاب سقراط أفلاطون ، كان من أشرف يونان ، وكان في قديم أمره يميل إلى الشعر ، فأخذ منه بحظ عظيم ، ثم حضر مجلس سقراط ، فرآه يثلب الشعراء فتعركه ، ثم انتقل إلى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة ، وعنه أخذ أرسطاطاليس ، وألف كتباً ، وترتيب كتبه هكذا : المطلقيات ، الطبعيات ، الإلهيات ، الخلقيات ، وقد مضى بعد هذا في الكلام على كتب أرسطاطاليس ومن ترجمها في الإسلام الخ .

والمهم في هذا النص هو القول الأول الذي يجعل - طاليس - لافوثاغورس هو أول الحكماء السبعة ، لأن هذا يوافق كل الموافقة ما نقله الدكتور الفاضل من الأقوال في هؤلاء الحكماء ، لأن الأقوال التي نقلها متفقة في جعل - طاليس - على رأسهم ، كما تتفق في ثلاثة آخرين ، وهم يياس وبنافوس وسولون ، وإنه ليكن في ذلك في معرفة العرب هؤلاء الحكماء ، وإن كان صاحب كشف الظنون قد اقتضب النص الذي نقله عن فرفوربوس ، ولم يذكر من هؤلاء الحكماء إلا حكماً واحداً ، وهو - طاليس - لأنه يذكر في أولهم ، ومن المرجح أن هناك نصواً أخرى غير هذا النص الموجود في كشف الظنون في الكتب العربية التي تعنى بالكلام على الفلسفة ، ومن المرجح أيضاً أن هذه النصوص قد توسعت في الكلام على هؤلاء الحكماء ، وذكرت أسماءهم كاملهم ، كما ذكرت الأقوال المختلفة في تعيين أسمائهم ، على نحو ما ذكر الدكتور الفاضل ، وكان هذا سبباً في اقتصار

صاحب كشف الظنون على ذكر - طاليس - وحده ، اكتفاء به عن ذكر غيره ، لأن كتابه لا يسمى إلا بذكر إلهامات صغيرة من كل علم ، على أنه مع هذا ينقل عن كتاب لفرغوريوس ذكرت فيه أسماء هؤلاء الحكماء ، ولم يقتصر فيه على - طاليس - وحده ، فلا بد أن يكون صاحب كشف الظنون قد اطلع عليهم في هذا الكتاب ، ولا بد أن يكون غيره من فلاسفة العرب قد اطلع عليهم قبله ، لأن فرغوريوس كان معروفا لهم ، وكذلك كانت كتبه معروفة لهم لترجمتها إلى العربية .

وقد كان فرغوريوس الصوري من فلاسفة القرن الثالث الميلادي ( ٢٣٣ - ٣٠٥ م ) ولد في صور ، وأخذ على أفلوطين ، وقد شرح محاورات أفلاطون الكبرى ، وشرح من كتب أرسطاطاليس المقولات والأخلاق والطبيعة والإلهيات ، ووضع كتاب إيساغوجي ، وهو كتاب المدخل إلى مقولات أرسطاطاليس ، وقد نقله إلى العربية أبو عثمان الدمشقي ، وله أيضا كتاب أخبار الفلاسفة ، وقد ذكر القفطي في كتابه - أخبار العلماء بأخبار الحكماء - أنه وجد منه المقالة الرابعة بالسرياني ، والظاهر أنه هو الكتاب الذي نقل عنه النص السابق صاحب كشف الظنون .

ومن هذا يتبين أن الحكماء السبعة عند العرب غير الحكماء المعروفين عندهم بأساطين الحكمة ؛ لأن هؤلاء الحكماء خمسة متفق عليهم عندهم ، أولهم ابيدقليس ، وقد قيل إنه كان في زمن داود عليه السلام ، وآخرهم أرسطاطاليس ، وقد كان موجودا في القرن الرابع قبل الميلاد ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق م ) .

وأما الحكماء السبعة فأولهم طاليس ، وقد كان موجودا في القرن السادس والسابع قبل الميلاد . ( ٦٢٤ - ٥٤٦ ق م ) وما نقله العرب من ذلك يوافق ما نقله فلاسفة أوروبا بعدهم ، وإنى أرى أن معرفة الحكماء السبعة ليست من الدقة بحيث تخفى على فلاسفة العرب ، وقد عرفوا كثيرا من دقائق الفلسفة ، فأهون بهذه المسألة أن يعرفوها أيضا .

## على بن أبي طالب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوي

وكيل معهد أسبوط

لو أن لي نبأ من ينبوع بلاغتك ، أو قبا من نور هدايتك ، أو رشفا من ديم مزايك . أو مرقى إلى مستوى عليك ، لملكيت تصويرك للقراء الكرام ؛ وإنما 'يخمن' التصوير ولا سيما لمثلك بليغ منطق ، وإنما يقدم حكما عليا مثلك حكيم عالم ، ولكنني محب معجب ، أراد أن يوفى بعض الحق لإمام من أئمة الإسلام ، هو في الحق مجمع لعدة إمامات ، وشمس سطعت على الكائنات ، فيحق أقول : إنه عالم رباني أوتي من ظاهر العلم وباطنه ما استعصى على غيره بعد النبيين ، ومتكلم حكيم تطرق إلى أبواب لا يحسنها سواه من الناطقين في عذوبة خلاصة ، وأسلوب بديع .

أيها الإمام المظلوم : مثلك من غبن حقه في هذه الدنيا فلم تصف له ، ومثلك من جمد على الحق غير مبال أن ينفض من حوله ، ومثلك من عرف قيمة هذه الحياة فشجع ولم يبال بالموت ؛ يا إمام الاتقياء ومن أرق الحكمة ؛ فكان أخطب خطباء هذه الأمة بعد السيد الرسول صلوات الله عليه . هل درى الناس بمثل هذه المرايا ؟ وكيف اكتسبت تلك المواهب والعطايا ؟ أحاولت أن تكون عليا فكنت ؟ أم ذلك محض فضل من الله نلت ؟ وما من شك في أن الكل من الله ، ولكنه حين يريد يؤتي الأسباب ، ويسر الطلاب

أيها القارئ الكريم : هذا هو علي بن أبي طالب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره الذي حاول معاوية بن أبي سفيان أن يقتل عليه فقال لغلامه أكتب إليه :

محمد النبي أخى وصهرى وحمة سيد الشهداء ع  
وجعفر الذى يسمى ويضعى يطير مع الملائكة ابن أوى  
وبنت محمد سكنى وعرمى منوط لها يدى ولحى  
وسبطا أحد ابناى مها فأيكُم له سهم كسهمى  
سبقتكم إلى الإسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلى

ولد والرسول صلى الله عليه وسلم رجل برشته الله سبحانه للنبوة فى الثانية والثلاثين من عمره ، ونشأ فى بيت محمد بن عبد الله لفرأى طالب إذ ذاك ، وما ظنك بنائى . فى بيته محمد ، تربته على العلم ، والأدب والحكمة ، والكمال والجد والرجولة ، لهذا كرم الله وجهه فاسجد لوثن قط ، وما عرف طريقا لم يسلكه الرسول قط ، لهذا أحبه وآثره وآواه ، فقال : أنت منى بمنزلة هرون من موسى ، غير أنه لا نبى بعدى . وهذا حق - وأليك - فى أخوة نسب ، وأخوة صداقة ، وأخوة اتفاق فى المزايا والصفات ، إلا ما خص الله به عبده محمدا ، وهو ذو الفضل العظيم ، لقد أفاد على بهذه الصلة الخاصة الكريمة ما لم يجتمع لسواه ، وهو من أجور طيبين من عنصر بنى هاشم وهم صفوة الله من عباده ، أبوه أبو طالب المعروف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم جد هذا البيت الكريم . فلا غرو إذا أفاد من ذلك القرآن وتلك الصحبة .

لقد أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان إذا غضب لم يخاطبه أحد سواه ، ولقد بذل له من النصح والإخلاص فى التحليم والتزينة ما صار به عالما ربانيا ، لا يتسامى إلى منزلته غيره . أخرج ابن سعد عن على أنه سئل بم كنت أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ؟ فقال : « إني كنت إذا سأله أنبأ ، وإذا سكت ابتدأنى ، » لقد أثمر ذلك الحب الخالص بين على وبين ابن عمه ، ذلك العلم القلبى النافع ، لا العلم اللسانى الضار فكان على يؤثر غيره بالدنيا على نفسه ، ويعلم الطعام على حبه ، مسكينا ويتما وأسيرا حتى قيل : إنه طوى ثلاثة أيام ، وفى الثالث جاءه رزق فأناه ضيف وهو على مائدة الإفطار مع زوجته وابنيه الحسن والحسين ؛ فرفع الطعام من فوق المائدة وآثر به السائل ، ولم يطعموا ليلتهم على ما بهم من مسغبة ومجاعة ، فضرب المثل الكريم لأهل الإيثار ، وعلم الناس كيف

يروضون النفوس ويملكونها ، ومن ملك نفسه وشهوته فهيأت أن يذل أو يسمل  
بوما ، كان على يصوم حتى يقال لا يفطر ، ويقوم حتى يقال لا ينام ، يضرع إلى  
الله ربه ويبيكي من ذنبه ، ويحاسب نفسه على كل ما يصدر منه ، ولهذا كانت نفسه  
مرآة صافية ، وواحدة خالصة لا يعيش ولا يكذب ولا يظلم ، صريحا لا يعرف المواربة  
وواحدا لا يقبل الخدعة ، وقويما لا يرضى المداورة . إذا سمع خطبة لا يؤمن بها  
قال . لا بئله فيه ، يدور مع الحق أنى كان ، ومع من كان ، لا يطلب الخلافة لأنهم ملك  
ودنيا بصيها ، ولكن ليضع الحق في نصايه ، خليا من كل خطر نفسى ، ومأرب ذنوه  
«والذى فلق الحبة ، وبرأ الذئمة ، لولا ما أخذ الله على العلماء ألا يقاربوا على كفة  
ظالم ولا سب مظلوم ؛ لالتقيت حبلها على غاربها ، ولالتقيتم دنياكم هذه أزهد عندي  
من عطفه عز ، بل اندججت هل مكنون علم لو بحت لكم به لاصعارهم اضطراب  
الارسة في الطوى البعيدة ، لقد أفاد من تلك الصلة الكريمة مع ذلك الاستعداد  
التخصيب ؛ فكان جريئا في الحق ولو على نفسه ، أو من هو في احتياج ملح إلى  
نصره ، والاعتزاز به فبشر قاتل خصمه ، والمؤلب عليه وتبرا منه ، لأن ذلك الخصم  
من خيرة أصحاب محمد ومن كانوا موضع تقديره : اغتال عمرو بن جرموز المجاشعي  
الزبير بن العوام وهو قائم ، وأقبل برأسه على ابن أبي طالب لما كان من على  
إلا أن قال : أبشر بالنار . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اشروا  
قاتل الزبير بالنار » . فخرج عمرو وهو يقول :

أتيت عليك برأس الزبير وكنت أحسبها زلفة  
فبشر بالنار قبل العيان فبئت بشارة ذى التحفة

ثم أتى بسيفه ففطر إليه مليا وقال : رحمه الله الزبير لعالمنا فرج به الكرب  
عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحمتك الله يا على لقد كنت موثلا للشرعة  
الإسلامية ، فأرز إليك كما يأرز الضب إلى حجره ، ولقد كنت مصدرا آمينا  
من مصادر التشريع ، اتخذك الشيخان أبا بكر وعمر مستشارا لها ، لا يفصلان  
في معضله إلا بعد فصلك ، ولا تختلف واحد منها عليك في رأى ، إلا رجع إلى  
قولك ، حتى ضرب الناس المثل بك في معضلات الأمور ومشكلاتها ، فقالوا : قضية

ولا أبا حسن لها - وكان ذلك مصداق ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم  
«أنا مدينة العلم وعلى بابها»<sup>(١)</sup>.

وافسد كنت تقول فصلا وتحكم عدلا ، حتى قل أن يترك لك قول الحق  
صديقا ، ولو كان ابن عباس حبر هذه الأمة ، وابن عمك المخلص الأمين إن صح  
ما يقول المؤرخون .

وقد أفاد من ذلك خصمك معاوية ، ورزأك بتساعه وليه في خلاصتك  
ونصحتك ، حتى في أخيك عقيل الذي طلب منك قتلته : أصبر حتى يخرج عطاؤك  
مع المسلمين ، فلما ألح بك ، قلت لبعض القوم : خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت  
أهل السوق ، فليدق الأقفال وليأخذ ما في الحوانيت ، فقال لك : تريد أن تتخذني  
سارقا فقلت له : كما أردت أن تتخذني سارقا آخذ أموال المسلمين ، فاعطيكها  
دونهم ، ولما ذهب إلى معاوية أعطاه مائة ألف ثم قال له : اصعد على المنبر  
فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك ، ولكن الفتى الهاشمي المطلق عقيل لم يبع  
كرامته من معاوية ، ولم يقبل خطة الضيم في أخيه ؛ فصعد المنبر حمد الله وأثنى  
عليه ثم قال : أيها الناس إني أخبركم أني أردت عليا على دينه فاخترت دينه ، وأردت  
معاوية على دينه فاخترتني على دينه . وقله أنتم يا بني هاشم .

إن علي بن أبي طالب لو قيل أن يستبق معاوية على إمرة الشام ، ويفضي على  
بعض أمره ، لقد كان ذلك جدرا أن يخفف ضائقة العداة القائم ، وربما غير  
ذلك وجه السياسة ووجه الدقة وجهة علي ، ولكن رفض كل الرفض من جميع  
الساسة والعظماء الذين أخلصوا له ، لأنه لا يؤمن إلا بوحى ضميره ، ولأنه على بينة  
من ربه ، فلم يرض أن يقره ولا أحدا من عمال عثمان ، حتى يستتب الأمر وما ظلك  
بالاستهداف لخصومة الرؤساء . ولكنه الذي لا يبالي ، والذي يقول حين يباغض :  
« ما شككت في الحق منذ أريته من وقعه بماء لم يظما » .

وقد اتصل بهذا التمسك الحبيب والتمسك الطليب ، ورع وزهادة ونيل  
ومجادة ، وتمغف أنجب العدو والصديق ، وكذلك من رأى الحق رأى العين ، وكان

(١) احتلف المحققون في الحديث فمن قال بوضعه كابن الجوزي ، وقال أصحته كالحاكم  
والأرب أنه حسن .

مع الله . قال المؤرخون : إنه نهى أصحابه يوماً عن انتهاك الأموال بعد أن اتخنوا في أعدائهم الجراح ، فجعلوا يبرون بالذهب والفضة ، فلا يمرض له أحد إلا السلاح الذي قاتلوا به ، والدواب التي حاربوا عليها فسدوا من يناقشه لعله يرحم أطباعهم ويبل ريقهم : يا أمير المؤمنين : كيف حل لنا قتالهم ، ولم يحل لنا سبهم وأموالهم . ويقول على : ليس على المرحدين سبي ، ولا ينم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه ، فدعوا ما لا تعرفون وألزموا ما ترمون ، وحك الله يا باب العلم والأمانة ، إني أعلم أن أحكام الخارجين من المسلمين ومعاملتهم وما في ذلك من غوامض أنه مصدره ومرجعه في الفقه الإسلامى بما شرعت للناس من أحكام لم تعرف من قبلك .

فأما شجاعة علي واستبساله فقد تواتر حتى دخل في حد الأوليات ، وأول موقف عجيب له كان ليلة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين مكثت قریش بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يخرجوه أو يثنوه ، وجاءوا يترصون خروجه لصلاة الفجر ، وأقام علياً في مكانه ، يستهدف لخطره ، ويفدى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه من مكرم . وكان يوماً حادثاً جميلاً لا أرق فيه ولا تكبير ، لأنه يوم الذي يصف نفسه : ما أمانى أسقطت على الموت أو سقط الموت على ، وافته لابن أبي طالب آفس بالموت من المصيبة بشدة أمه ، ويخرج على إلى الصلاة فلا يجدون سواه . . .

ولقد بارز في كل غزوة بما تلبثك كتب السير بمجائبه ، وخوارقه التي لولا ما يصح بالرواية منها لدخل في حد الحرافات .

وهو إلى ذلك مهذب مؤدب ، متواضع ينزل عن بعض صفاته لخدمة أحبائه ، ويقوم على ذلك بحجة . أخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال : أخبروني من أشجع الناس ؟ قالوا : أنت : قال أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن من أشجع الناس ؟ قالوا لا نعلم فن ؟ قال : أو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً ، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا يهوى إليه أحد ؟ فوافقه ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحد إلا أموى إليه . فهذا أشجع

الناس . رحلك الله يا علي لقد فتن الناس بمواهبك لما كان يظهر من عبقريتك ، فعلتك كهية المسكون وشجاعتك تحار فيها الظنون ، وفصاحتك لم يتطلع إليها المتعلمون ، وزهدك أعجب به الراميون ، وقد كان يلد لحصمك معاوية أن يسمع من أصحابك عنك ، وهو من أهدم الناس بك ، ويلج في الطلب وما أبدع وأوجز ما وصفك به عدي بن حاتم في كلبته الطويلة التي يقول فيها عك : « يقول فصلا ويحكم هدلا ، تنفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان واقه عزير الدمة طويل الفكرة ، يحاسب نفسه إذا خلا ويحاسب نفسه على ما مضى ، يمجبه من اللباس ما قصر ، ومن العيش ما خشن ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، يعظم أهل الدين ، ويتجنب إلى المساكين ، لا يخاف القوى ظلمه ، ولا يياس الضعيف من عدله ، فاقسم لقد رأيت ليلة وقد مثل في محرابه ، وأرخى الليل سدوله ، وهو يتملئ بتملئ السلام ، ويكي بكاء الحزين ، فكأنني الآن أسمعه وهو يقول : يا دنيا غري غري إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوفت ؟ هيات غري غري طالق يا دنيا ، طالق ثلاثاً لا رجعه بعدما ، وقد كان معاوية يبكي حين يسمع وصف علي ويترحم عليه ، وبعد فلعل لم رجعه إلى التنويه بالإمام بوصف فصاحته ، وما خلف من أدب هو الذخيرة لمن أراد الثراء الأدبي النفيس .

## من كلام الامام

من كلام علي عليه السلام قوله : رأى الشيخ خير من مشهد الفلام . الناس أهداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا ثمن لها ، يدرك ما فات ، ويحبي بها ما أمات . أخذ معنى هذه الفقرة الأخيرة أبو الفتح علي بن محمد البستي من مجيدي شعراء القرن الرابع الهجري المتوفى سنة (٤٠٠) هـ فقال :

بقية العمر عندى ما لها ثمن      وإن غدا وهو محبوب من الثمن  
يستدرك المرء فيها ما أفات ويح      بي ما أمات ويبحو السوء بالحسن

# مع الشعراء

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ إبراهيم على أبو الخشب  
المدرس بكلية الشريعة

الحديث عن الشعر فيه من الطرافة والحسن ، والجمال والروعة ، والنزوع  
والرغبة ، والحنين والشوق ، ما يثير الإحساس المرهف ، والوجدان المثيقظ  
والقلب الملاح ، والفكر المتوثب ، وأما من هؤلاء الذين يبيتون له من الفراغ ،  
ويعدون له من البال ، وينظمون له من الدراسة ، بمقدار ما يجعله منهم كالذاه  
الملح ، والعة التي يستعصى علاجها ، ويتعسر التطيب لها ، وربما اعثرت  
بالييت والآليات فوددت لو تكلمت من بوق عظيم لأنغمه للناس ، أسمعه  
لمن في الأرض جميعا ، وأعتقد أنه إذا كان للأشياء من مسمياتها نصيب ، فإنه  
سمى بهذا الاسم ؛ لأنه يمتاز عن غيره من أساليب الكلام بكونه يخاطب  
الشعور ويلهب العواطف ، ويمرر أوتار الحس ، ولولا هذا لما قالت  
فريش حينما دهمش للقرآن الذي ملك عليها أقطار البلاغة ، وقطع دونها طريق  
المعارضة : « إنه شعر » .

والحق أنه ، إذا تكاملت لصاحبه الملكة ، وتوفرت له الدواعي ، وأسعفته  
الالفاظ ، يبلغ في سفارته للعقول ، وقوله بالافتدة ، ولعبه بالآهواء ، وسلطانه  
على الصبائر ، ما لا تبلغه التعاويز والرقى ، والسحر والحيلة .

ولهذا جعلته الأمم فنا من فنون الجمال ، يحتفلون به ، وتهرم العناية له  
والانكباب عليه ، ويباهي الرجل أو المرأة بما يربطهم به من نسب ، ويصلحهم به  
من وشائج ، وإذا كان لأحدهم تذوق له ، وفهم فيه ، طاول بعنقه ، ولوى عطفه

واشتمر بأنفه، وزها زهو الملوك الفاتحين، والقواد الطافرين، وبجل التاريخ  
أن الشعر لعب دوراً هاماً في نهوض الجماعات والشعوب، وتقدم الأفراد والأمم  
وأن البيت الواحد كان يقيم دولة، ويخفف حولة، ويوجه رأياً، ويناصر مذهباً،  
ويقضى على سياسة، ويناهض فكرة.

ومن أجل ذلك أثر عن العرب أنها ما كانت تغتبط لشيء مثل اغتباطها  
بشاعر يولد، أو غرس شتج، وكانوا يقيمون له الاسواق، كما تقيم الدول  
المتمدنية المعارض الدولية: لتبرز فيها أحسن ما صنعته أيدي الصانع فيها من كل  
ما يدل على تقدمها وتبوغها، وصلاحياتها لأن تجارى ركب الحضارة والتقدم،  
والسياسة والعمران، وكثيراً ما تتجلى لنا القضايا العلية، والمسائل العقلية،  
في لباس الوزن الموسيقى، والجرس التوقيعي، والتفاهيل الخليلية، فتناقلها  
معجبين، وتندارسها فرحين، ثم لا تلبث أن تدوى في الحافقين، وتطير  
من غير جناحين، وإذا الالسنه ترددها، والآذان تصنى إليها، ولامر ما كان  
الخلفاء يحتفلون بالشعراء يترشحونهم، ويخطبون مودتهم، ويقدمون عليهم  
من العطاء، ما يطلق ألسنتهم بالتثناء، وقد عرفنا من بلغ به الترف والعمة،  
والسراء والسمة ما جعله أشبه بأصحاب الجاه والملك، في مأكله ومسكه،  
وسمته ومظهره، وحديث المنهى مع سيف الدولة، وافتراضه أوامره عليه،  
وتحكيمه فيه، ليكون له قصر مثل قصره، فيه من العبيد والخدم، والجواري  
والإماء، والتهارق والبسط، ما يحيل للرائي أنه لا فرق بين الرجلين، ولا خلاف  
في مظهر الشخصين، يؤيد هذه النظرية إلى أبعد حدود التأييد، وإذا كان  
بعض الناس يهتمون الشعر بأنه من طو الحياة وفضولها، وعبت التفكير وبجونه،  
وأنه لا يشتغل به، ولا يلتجئ إليه، إلا أولئك الذين صرفهم الله عن الواجب،  
ولوى عنائهم عن الجادة الصحيحة، والمهيج المستقيم، لاهم يفرقون في الخيال،  
ويعبدون في الوهم، ويعيشون في أضغاث الأحلام، فإنهم يسرفون ولا ينصفون،  
ويتجاملون ولا يتجاملون، ويخطون خط المشواء في الية الظلماء.

وقه عبد القاهر الجرجاني حين سئل في ذلك ، فقال : هو من الكلام جيده  
جيده ، ورديته رديته ، ونقل حافظ إبراهيم عن المرحوم الأستاذ الإمام في  
مقدمة ديوانه هذه الجملة : ، لو أنهم سألوا الحقيقة أن تختار لها بيتاً تشرف منه  
على الوجود لما اختارت غير بيت من الشعر .

ومن الغريب أن الذين يميون الشعر وينكرونه على الناس ، لا يلبثون إذا  
أعنيهم مسالك التعبير ، وضائق بهم دروب المنطق ، وأعجزتهم أساليب البيان ،  
أن يطلبوا منه الشواهد ، ويستعينوا به على الإقحام ، معتمدين أنه : جبهة ، التي  
قطعت قول كل خطيب ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : خير  
ما يقدمه الرجل بين يدي حاجته الايات من الشعر يهبها الكريم ، ويستنزل  
بها اللثيم ، وكلنا يعرف أن التراث العلى الذى وصل إلينا من الأندلسيين كان  
خاليا من الجفوة ، بعيداً عن الغلظة ، سالماً من غرابة التأليف ، وتعميد التراكيب ؛  
لأن أهله غلب عليهم الطابع الادبى ، والاسلوب الشعرى .

وإذا صح ما يقول القائلون من أن أصحاب المواهب والملكات ، والمقول  
والافكار ، لم رسالة في الحياة ، لا شك في أنه يجب عليهم أن يؤدوها على أكل  
وجه ، وأحسن مثال ، فإن رسالة الشعراء أنبل وأشرف ، وأثمن وأغلى ، وأخلد  
على الزمن ، وأبقى على الأيام والليالي ، لا لأنهم أقدر على التعبير ، وأملك لعنان  
القول ، وأعرف بمواطن الشعور ، ومسارب الاحاسيس ؛ بل لأنهم — مع  
ذلك — أشد الناس معرفة بمعنى الحياة ، وأكثرهم فهماً لما لا بد أن يهدف إليه  
الاحياء ؛ ليؤدوا ضرورية وجودهم في هذا الكون الفسيح ، ونحن نرجو أن ينفخوا  
في روع المعاصرين ، ويأخذوا بأيدي المدلجين ، لتستقيم بنا السبيل ، وتعتدل  
الحجة ، فليس الشعر آهة تلهب ، وأنفاساً تحترق ، وليلاً يطول ، وحالاً تحول ،  
ومعانى تحمل على الضعف ، وتفرى بالفسوق والعصيان ، ولكنه الاتجاه إلى أنبل  
الاهداف ، وأسمى المقاصد ، وأحسن الغايات .

# أعلام الأحرار

## المنفلوطى

١٨٧٦ - ١٩٢٤

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل النقي  
المدرس بكلية اللغة العربية

- ٢ -

المنفلوطى الناقد :

« والمنفلوطى ، إذ تعد الأحوال السياسية أو الشؤون الاجتماعية أو الأدبية ، أو تناول نقداً شخصياً بينه وبين مصاول كان بارع النقد ، لماسح الفكر ، يعالج الموضوع فى تحليل مستوعب ، وإلمام شامل ، ولا يجمع قلبه فيما ينقد ، أو يتجاوز العفة والنزاهة وتوخى الحق فيما يرى ، وقد أثر عنه كرم القلم ، وترفع الأسلوب ، ونزاهة الرأى ، على رغم ما ارتصد له من عقارب تنفت سمومها على الصحف وفى المجتمعات ، ولكنه كان يعتصم دائماً بقوله : « إن الله وحده هو الذى يستطيع أن يغير طبيعة الإنسان » .

ومهما يكن من شئ . « فالمنفلوطى ، فى الأدب أمة وحده ، نهج فيه نهجاً رفيعاً مبتكراً ، وخلد بهذا الفن الرائع ذكره ، واستحق أن تصفه صحيفة ، الهلال . بأنه « أمير النثر العصرى » وأن يقول فيه الأستاذ أحمد الزيات : « فإذا قدر الله لأدب المنفلوطى أن يفقد سحره وخطره فى أطوار المستقبل ، فإن تاريخ الأدب الحديث سيقصر عليه فصلاً من فصوله ، يجعله فى النثر بمنزلة البارودى فى الشعر » (١) .

شعره :

« للمنفلوطي ، شعر جمع بين الجزالة والسهولة ، وصين النافية ، نظم التعبير ، وله قصائد رائعة ، متينة السبك ، محكمة النسيج ، لطيفة المعنى ، بارعة الوصف ، وله في الوجديات غرر ، وفي الحكم بذائع ، غير أنه مقل ، لم يتجه إلى الشعر اتجاهاه إلى النثر الذي ملك عليه نفسه ، واستأثر بقلبه ، ولو أنه ولع بالنثر ترقى به وخلق بينه وبين الشعر أحيانا أخرى ، لكان من أبرع الشعراء وأبه الفحول .

آثاره الأدبية .

النظرات : وهي مقالاته الفذة الرائعة الأسلوب ، التي كان ينشرها في المؤيد ، تباعا ، ويعالج فيها شئون المجتمع ، وقد كانت منار شهرته ، وبعده صيته ، وهي مطبوعة طبعا متعددة .

العبرات : مجموعة روايات موجزة ، وضع قريبا منها ، وترجم قريبا آخر ، وقد ساقها عظة وتذكرة ، وهي اليتيم ، والشهداء ، والحجاب ، والذكرى ، والهاوية ، والجزاء ، والعقاب ، والضحية ، ومذكرات « مرغريت » ، وهي مطبوعة تكرر طبعا .

الشاهر أو « سيرانودي برجراك » : رواية أدبية تهذيبية ، غرامية تمثيلية ، استخلصها من روايات « آدمون أوستان » تكرر طبعا أيضا .

ماجدولين : أو تحت ظلال الزيرفون . ألها الكاتب الفرنسي ( الفونس كار ) ونقلها عن الفرنسية إلى العربية « المنفلوطي » في قالب قصة خيالية تخيل وقائما في ألمانيا ، وأمل عليه ترجمتها الحرفية صديقة الأستاذ « محمد فؤاد كمال بك » ، ثم تصرف فيها « المنفلوطي » بأسلوبه ومذهبها بحذف ما يجافي الذوق العربي منها مع حفاظه لطابع الرواية ومفزاها<sup>(١)</sup> .

وقد كتب الأستاذ « خير الدين الركللي » خلاصة شعرية لهذه الرواية ، وهي نسخة في مجلد واحد تكرر طبعا .

(١) إذا قلنا نقل هذه الرواية من فرنسية إلى عربية المنفلوطي قلنا ما نرى أنه كلف من نقلها بلهجة الفرنسية .

الانتقام : رواية أدبية اجتماعية أخلاقية ، تصور حكاية المسيو ، كاريبي ، وكيف قضى شطراً طويلاً من حياته سعيداً بزوجه وثروته ، حتى هصف الأدمر بها ، مع تصور ما وقع لابنته مع زوج أبيها من بؤس ونفس إلى غير ذلك من مشاهد ما طبعت بمطبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٢٢ م وغيرها .

في سبيل التناج : ألف هذه الرواية الشاعر الفرنسي الشهير ، المسيو فرانسو كوييه ، ثم نقلها ، المتفوطى ، إلى العربية ، وقد وقعت أحداث هذه الرواية في القرن الرابع عشر بين العثمانيين وشعوب البلقان ، وأراد مؤلفها أن يجارى بها ، كورفى ، ودراسين ، عميدى الشعر التمثيلي في القرن السابع عشر ، طبعت بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٠ م ثم توالى طبعتها .

الغصية : رواية ألفها الكاتب الفرنسى الشهير المسيو ، برنارد دى سان بيير ، ثم نقلها ، المتفوطى ، إلى العربية بتلخيص وتهذيب ، وهى من الروايات الأدبية الأخلاقية الاجتماعية التى تؤرخ لحوادث غريبة ، كسبت عن جزيرة ، موريس ، إحدى جزر إفريقيا الواقعة فى المحيط الهندى قريباً من ، مدغشقر ، وقد وصفت طبيعة هذه الجهة ، وصورت الاستعمار الأوروبى بها ، وتحدثت عن أشخاص عاشوا بهذه الأصفاع ، وبآخرها قصيدة فى العطفة والعبرة خاطب بها ، د پول ، و ، فرجينى ، سنة ١٩٢٣ م ثم أعيد طبعتها .

مختارات المتفوطى : هى روائع من الظم والنثر مما استجاده واحتز له فؤاده ، ووقف عنده معجباً بأسلوبه وتصويره ، وقع عليها من كثرة ما يحيل النظر فى الكتب العربية وآدابها ، وهى دالة على حسن ذوقه ، وروعة اختياره .

### نماذج من نثره

الحرية : نيفة مما كتبه بهذا العنوان .

« إن كثيراً من أسرى الاستبداد من بنى الإنسان لا يشعرون بما تشعر به هذه المرأة المحبوسة فى العرقة ، والوحش المعتقل فى القفص ، والطيور المقصص الجراح من ألم الأسر وشقاءه ، بل ربما كان بينهم من لا يفكر فى وجه الخلاص ،

أو يلتمس السبيل إلى النجاة بما هو فيه ؛ بل ربما كان يفتنى البقاء في هذا السجن ويأنس به ، ويتلذذ بآلامه وأسقامه .

من أصعب المسائل التي يحار العقل البشرى في حلها : يكون الحيوان الأعجم أوسع في الحرية مبدئاً من الحيوان الناطق ، فهل كان نقطه شؤماً عليه وعلى سعادته ؟ ، وهل يحمل به أن يتمنى الحرس والبله ليكون سعيداً بحريته ، كما كان قبل أن يصبح ذكياً ناطقاً ؟

..... ليست جناية المستبد هل أسيره أنه سلبه حريته ، بل جنايته الكبرى عليه ، أنه أفقد عليه وجدانه ، فأصبح لا يحزن لفقد تلك الحرية ، ولا يذرف دموعاً واحدة عليها .

لو عرف الإنسان قيمة الحرية المسلوبة منه ، وأدرك حقيقة ما يحيط بحجمه وعقله من السلاسل والقيود ، لانتحر كما ينتحر البلبل إذا حبسه الصياد في القفص ، وكان ذلك خيراً له من حياة لا يرى فيها شعاعاً من أشعة الحرية ، ولا تخلص إليه نسمة من نسائتها .

ولاسبيل إلى السعادة في هذه الحياة إلا إذا عاش الإنسان فيها حراً ، لا يسيطر هل جسمه وعقله ونفسه ، ووجدانه وفكره إلا أدب النفس .

### نماذج من شعره

قال في الوجديات ، وشعره فيها أشبه بشعر البدو :

سقاها وحيا تربها وابل القطر	وإن أصبحت قفراء في مهمه قفر
طواها البلى طى الشحيح رداءه	وليس لها يطوى الجديدان من نشر
مرايض آساد وماوى أراقم	تجاور في قيماتها الفيل بالجحر
يكاد يضل النجم في عرصاتها	ويزور عن ظلماتها البدر من دهر
لقد فعلت أيدي السواقى بتزجها	وأحجارها ما يقبل الدهر بالحجر
وقفت بها في وحشة الليل وقفه	أثار شجهاها كامن الوجد في صدرى
ذكرت بها العهد القديم الذى مضى	ولم يبق منه غير بال من الذكر
وعيشا حسناء من الحسن روضة	كساها الحيا منه أفانين من زهر

فأنشأت أبكى والآسى يتبع الآسى  
وما حيلة المحزون إلا لواعج  
إلى أن قال :

وفي القصر بين الظل والماء غادة  
تريك هبونا فاطقات صوامتا  
لهوت بها حتى قضى الليل نجه  
لمعرك ما راحت بلي صباة  
ولا هاجنى وجد ولا رسم منزل  
ومن كان ذا نفس كنفى قريحة  
كأنى ولم أسلخ ثلاثين حجة  
أخو مائة يمشى الهوى كأنه  
إذا شاب قلب المرء شاب رجاءه  
حيث بآمالى فلما كذبتنى  
وأصبحت لا أبني سوى الجرعة التي

تميس بلا سكر وتأى بلا كبر  
فاشئت من نحر وما شئت من سحر  
وأدرجه المقدار في كفن الفجر  
ولا نازعتنى مهجتي سورة الخمر  
هفاء ولكن هكذا ستة الشعر  
من الهم لا يعنى بوصول ولا هجر  
ولم يجر يوما خاطر الشيب في شعري  
إذا ما مشى في السهل في جبل وعمر  
وشاب هراء وهو في ضحوة العمر  
قمت فلم أحفل بقل ولا كثير  
أذوق إذا ما ذقتها راحة القبر

## كفاك شره

من كلام الإمام علي أمير المؤمنين :

عبر المال ما أغناك ، وخير منه ما كفاك ، وعبر إخوانك من وأساك ، وخير  
منه من كفاك شره

أخذ هذه الحكمة أبو الحسن محمد بن لسكك البصري وهو من أديباء القرن  
الرابع الهجري فقال وأجاد :

عدبا في زماننا عن حديث المكارم  
من كنى الناس شره فهو في جود حاتم

# المروءة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ علي رفاهي  
مفتش الوعظ بالأزهر

المروءة كلمة لفطها كعناها حلو جميل ، إن قرعت السمع فعظمة وجلال ، وإن نفذت إلى القلب فنبيل وسمو وشعور بالكرامة والكمال ، ولست أعدو الحق إن قلت : إن المروءة هي جماع الصفات ، ورأس المكارم ، وعنوان الشرف ، بها يسمو المرء ، ويرتفع ذكره ، وبفقدائها يفقد كل مكرمة ومعدة وفضل : فهي ميزان الرجال ، وأصل الجمال ، فالمروءة تجمل النفس بما يزينها ، وتحصنها عما يعبئها ويزري بها ، بحيث تكون للحماد أهلاً ، وعن النقائص بمنأى ومبعد ، ولا يكون ذلك إلا لمن راض نفسه على التخلق بالحسن من الصفات ، والتجمل بأحسن العادات ، حتى يصبح التطبع جبلة ، والتعود غريزة ، وليس يستطيع ذلك إلا من جاهد نفسه ، ونازع هواه ، ورغبة في حسن الاحدثة ، والذكرى الجيلة ، وحذراً من شين يزري بسمو النفس وينقص من كمالها ، ولذا قيل من شرائط المروءة : أن يتعفف عن الحرام ، ويتصلف عن الآثام ، ويتنصف في الحكم ، ويكف عن الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يستطيل على من لا يسترق ، ولا يعين قوياً على ضعيف ، ولا يؤثر كذباً على شريف ، ولا يمسر ما يعقبه الوزر والإثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم .

وما المرء إلا حيث يحمل نفسه في صالح الأعمال نفسك فاجعل

وتمكاد لا تجد ذا مروءة إلا إذا كانت نفسه شريفة ، وهمة عالية ؛ إذ شرف النفس يدهو إلى إعزازها وإكرامها ، بالبعد عما يحط من شأنها ، ويتنقص من قدرها . فشريف النفس لا يقبل الهوان ، ولا يتحمل المذلة من أي إنسان ، متمثلاً قول الأول :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها      هو أنا بها ، كانت على الناس أهونا  
 نفسك أكرمها وإن ضاق مسكن      عليك لها ، فاطلب لنفسك مسكناً  
 وإياك والسكنى بمنزل دلة      يعد مسيئاً فيه من كان محسناً

وعلو الهمة يحمل المتعالي به على الترفع عن الدنيا من ظلم الناس والكذب عليهم ، وخلف مواعيدهم . وكيف يكون عالى الهمة من يجهل على غيره ، ويفترى الكذب فى حديثه ، ولا يقبى بما يعد ، إن هذا إلا وصف اللئام ، وحلية الادياء من أشباه الرجال ؛ ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب معالى الأمور وأشرفها ، ويكره دنياها وسفاسفها » . وفى حديث آخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو من كملت مروءته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته » .  
 ولأصحاب المروءات علامات تدل عليهم ، وأمارات ترشد إليهم كما قال الأول :

ومعشر صيد ذوى تحلة ترى عليهم للنسب أدلة

فهم لأرحامهم وأصلون ، ولأموالهم فى إغاثة المحتاج باذلون ، ويتقوى الله عاملون يتعففون عن المحارم ؛ كما يترفعون عن المآثم ، لا يقربون الفحشاء ولا يخوضون فيها لا يمتيهم ، شعلهم كرم نفوسهم عن الناس إلا فيما يعود على العباد بالخير والنفع . يروى أن معاوية بن أبى سفيان سأل عمرًا عن المروءة فقال : هى تقوى الله تعالى وصلة الرحم ؛ وسأل المغيرة فقال : هى العفة عما حرم الله تعالى ، والحرفة فيما أحل الله تعالى ؛ وسأل يزيد . فقال : هى الصبر على البلوى ، والشكر على النعمى ، والعفو عند القدرة ، فقال له : أنت منى حقاً .

وقال حكيم لابنه : السكامل المروءة من حصن دينه ، ووصل رحمه وأكرم إخوانه . ولعمري الحق ، ما المروءة إلا فى التمسك بأهداب الفضائل ، والعمل بأوامر الدين ، فالدين يأمر بالإحسان وبرعب فيه . ويحث على إغاثة الملهوف ، وإغاثة المحتاج ، بببارات تستدر عطف البخیل ، كما تراه يأمر بصلة الأرحام ، وضبط الفرج والبطن عن الحرام ، فالمرءة هى الدين ، والدين هو المروءة ، وليست المروءة أن تعين إنساناً بمالك أو جاهك حسب ، وإنما أن تكون تقوى الله

أساس عملك والعمل على مرضاته أول عمك ، فلا تعمل عملا في السر تستعج منه في العلانية ، فإن ذلك برهان خبيث النفس ، ودليل لؤم الطبع وعلى مارسمنا من حد المروءة وشرائعها ، صح لذلك الذي رأى ما عليه الناس من النقص ، وفقد المروءة أن يقول :

مردت على المروءة وهي تبكي      قلقت علام تشعب الفتاة ؟  
فقلت كيف لأبكي وأهل      جميعا ، دون خلق الله ماتوا

واعلم - هديت الرشاد - أن صيانة النفس عن الابتذال ، وذل السؤال بالمجد والكفاح في الحياة لتحصيل ما يصلحك ، ويقوم بأود من تعمل ، هو لب المروءة وسنامها ، ولن يضير ذوى المروءة أن يعملوا لكسب العيش ، وإصلاح الحال من أى طريق ما دام سيلا مشروعا ؛ بل هذا هو الذى حث عليه الدين ورغب فيه سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، حفظا للكرامة ، وصيانة للنفس من الهوان الذى يلحقها بذل السؤال وذهاب ماء الحياء بالتطلع إلى ما فى أيدي الناس ؛ ولذا نرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجروا - عرض عليهم الانصار أن يقاسمهم أموالهم وضياعهم ، أبت عليهم عزة نفوسهم قبول ذلك ، وقالوا لإخوانهم الانصار : دلونا على السوق ، نبيع ونبتاع ، ونأكل من عمل أيدينا ؛ تلك ورثي هي العزة - وقه العزة ورسوله وللمؤمنين ، ، فبالعمل يتمكن المرء من إصلاح شأنه وبر إخوانه ، والمطف على جيرانه ، ونيل عظيم الثواب بصلة أرحامه ، ومن تمام المروءة إيثار الغير على النفس .

ومما يروى من عجائب المتقدمين فى الإيثار ، ما حدث به أبو عبد الله محمد بن عمر الوافدى ، قال : كان لى صديقان أحدهما هاشمى وكنا كنفس واحدة ، فالتى ضائقة شديدة وحصر العيد ، فقالت امرأتى : أما نحن فنصبر على البؤس والشدة ؛ وأما صبياتنا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم ؛ لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا فى عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ؛ فلما احتلت فى شئ فصرفته فى كسوتهم . قال : فكتبت إلى صديق الهاشمى أسأله التوسعة على بما حضر . فوجه الى كيسا محتوما ذكر أن فيه ألف درهم - فما استقر قرارى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمى ؛ فوجهت إليه

الكيس بختمه ، وخرجت إلى المسجد فأقت فيه ليلتي مستحيا من امرأى ، فلما دخلت عليها استعسنت ما كان منى ولم تعفى عليه : فبينما أنا كذلك إذ وادى صديق الهاشمي ومعه الكيس كيئته . وقال لى : أصدقنى عما فعلته فيما وجهت به إليك ففرقت الخبر على وجهه فقال لى : وجهت لى "وما أملك على وجه الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبته لى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه لى كيسى بحاتمى . قال الوافدى : فتواسينا ألف درهم ، وأين من يفعل ذلك أينا ؟ أولئك قوم شروا الثناء فى الدنيا والعيم فى الآخرة بمرض زائل ، فرجوا به عن إحواهم الكربات ، فنالوا الحسنيين وفازوا بالسعادتين .

يبقى الثناء وتذهب الاموال ولكل دهر دولة ورجال  
ما نال محمدا الرجال وشكرهم إلا الجواد بماله المفضل  
لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فمال  
ولو ذهبت أحصى لك أخبار أهل المروءة ، ومواساتهم لمن يصرفون ومن لا يعرفون ، لما اتسع لى ولك المجال . ولكن ينبغي أن تعرف :

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المكارم عن أب فأضاعها  
أمرته نفس بالدناءة والحقا وهته عن سبل العلاء فأطاعها  
فإذا أصاب من المكارم خلة يبنى الكريم بها المكارم باها  
ومروءة الرجل ذخيرة لأولاده من بعده ، ينالون بها جميل العطف ، ويدفع بها  
عنهم كثيرا من حوادث الدهر ونوائبه . حكى أن الإمام على كرم الله وجهه قال :  
لما أتينا بسبايا طيء ، كان فى الناس جارية حسناء تقدمت لى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت ألا تخلى عنى ،  
فلا تشمت بى أحياء العرب : فأنى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العاني ، ويحمى  
الزمار ، ويقوى الضعيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام  
ويغشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طيء . فقال لها النبي صلى  
الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفة المؤمن ، خلوا عنها ، فإن أياها كان يجب  
مكارم الأخلاق .

# العقيدة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ بدر الختولي عبد الباسط  
المدرس بكلية الشريعة

## الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة المقربين أصل من أصول الدين ، فقد قرن الله الإيمان به بالإيمان بهم ، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » .

وجميع الكتب السماوية ثبت وجودهم ، وتوجب الإيمان بهم ، فهم الصلة بين عالم السماء وعالم الأرض وعالم الغيب وعالم الشهادة ، ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ، ملكا ، فيوحى بإذنه ما يشاء ، الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة منق وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير . .

بل إن المشركين أنفسهم كانوا يعتقدون وجودهم وبرونهم أحق بمقام الرسالة إلى البشر من الأنبياء والمرسلين ، وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، بل إن الأمم العريضة في القدم والمدينة ، كانت تؤمن بهم وترام مضرب المثل في الكمال والجمال ، قال تعالى حكاية عن صواحب يوسف : « وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » .

ولا عجب أن يؤمن الناس من قديم الزمن بوجود الملائكة ، فإن الملائكة - وإن كانوا غير مرئيين لنا - لا ينفي العقل وجودهم . فالفطر السليمة والعقول الصحيحة لا تدعي أن الإنسان قد أحاط بكل شيء علما ، ففي كل يوم يكشف لنا العلم

عن كائنات حية لم تكن نعلها من قبل . فهل كانت قبل اكتشافها عندما لم وجدت يوم اكتشافها الإنسان ؟ .

إنه لا ينبغي للإنسان أن يبلغ به الغرور مبلغا يفكر معه وجود ما لم يره . فإعلم جنود ربك إلا هو ، وإذا كان العقل لا يتنى وجود الملائكة وقد أخبرنا الصادق المعصوم بوجودهم ، وجعل الإيمان بهم قرين الإيمان بالله تعالى وجب أن تؤمن بهم ، فإن الكفر بهم كفر بجميع الشرائع السماوية التي فيها هداية البشر إلى خيري الدنيا والآخرة .

وإن أولئك الذين ينكرون وجودهم لو رأوا الملائكة بمشون بينهم مطمئنين . لقالوا إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ، : وأمثال هؤلاء مهيا حاولت إقناعهم فلم يزدادوا إلا جحوداً لأنهم لا يطلبون الإقناع والاقتناع ، فإن كانوا لا يؤمنون بالله فكيف تطلب منهم الإيمان بما لا يعرف إلا من الله . وإن كانوا يؤمنون به فكيف يكذبونه ؟ .

ولما كان لا سيّيل إلى معرفة الملائكة إلا من طريق الوحي السماوي ، وجب أن يكون أيماننا بهم على الصورة التي جاء بها القرآن الكريم لا تزيد ولا تنقص . فإن الزيادة عما ورد فتح لباب الخيال الكاذب ، وتهجم على عالم الغيب من غير حجة أو دليل ، والانتقاص عما ورد تكذيب لله ورسوله .

والمتنبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يعلم أن الملائكة مخلوقات عاقلة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، : والذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ، .

والقول بأنهم قوة مجردة ملهمة للخير لا مخلوقات عاقلة ، ومحاولة تأويل الآيات التي وردت في الملائكة تأويلاً يعطل معناها قول يناقض نص الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة ، فإننا إذا تتبعنا الآيات الكريمة التي وردت فيها ذكر الملائكة

المقربين يقين لنا بوصوح أنهم مخلوقات ناطقة مفكرة خيرة . وهانحن نسوق إليك بعضاً من هذه الآيات : ترى أيمكن تأويلها بأنهم قوى مجردة كقوة الكهرباء والمغناطيسية ، ولعلك تخرج معي بعد سرد هذه الآيات بأن مثل هذا القول إنكار مقنع لوجود الملائكة ، ولا أدري ما الذى يحمل هؤلاء القوم على ركوب متن الشطط في التأويل مع أنه لم يفهم برهان ولا شبه برهان على استحالة وجودهم ، والتأويل لا يكون إلا إذا كان ظاهر النص قد عورض بدليل أقوى منه . وماذا هم قائلون في مثل قوله تعالى : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، فأية قوة هي التي قالت لمريم هذا ، وفي مثل قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السماوات والأرض ، جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة . . وهل القوة المجردة تكون ذات أجنحة ؟ وفي مثل قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، وتقديس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . »

وهل كان هذا الحوار بين الله سبحانه ، وبين قوى مجردة غير عاقلة ، وهل تطمع في عمران الأرض بدل الإنسان قوى مجردة ؟ ولو ذهبنا نعدد أمثال هذه الآيات لطال المقام . .

وإذا كان القرآن الكريم قد حدثنا عن المادة التي خلق منها الإنس والجن فقال تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجن خلقناه من قبيل من نار السموم ، فإنه لم يحدثنا عن المادة التي خلق منها الملائكة فليس لنا أن نقول إنهم خلقوا من نور أو من غيره من العناصر ، وإلا كان ذلك جرأة على طام الغيب من غير سند أو برهان .

ويشير القرآن الكريم إلى أن الإنسان العاقل لا يستطيع رؤيتهم على الصورة التي خلقوا عليها ، وأن فيهم اعتماداً لئن يتشكوا بغير صورهم قال تعالى جواباً على تمني أولئك الذين طلبوا أن يكون الرسول ملكاً : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ، وللبسنا عليهم ما يلبسون . » وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم

من طرق مختلفة أن جبريل عليه السلام ، كان يأتيه في بعض الأحيان بصورة رجل ؛ فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويحييه ، ليعلم الناس الذين على طريقة السؤال والجواب ، والله سبحانه يعطى من شاء من خلقه ما شاء من الخصائص والمميزات ، فكم لبعض النباتات والحيوانات من مزايا قد تصل إلى درجة المعجزات .

وليس لنا أن نبحث عن حقيقتهم أو نظام حياتهم ، أو كيفية تكاثرهم فإن الله سبحانه قد زجر قوماً قالوا فيهم قولاً عن خيال مقيم كاذب ، فوصفهم بالأنوثة فقال : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أنثاً ، أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون » . وهذا أدب من الله سبحانه لمبادءه أن لا يقولوا في الأمور الغيبية بما توحى إليهم عقولهم ، أو تصوره لهم أخيلتهم ، فإكان العقل ليستعمل بدرك ما هو مغيب عنه إلا عن طريق الإخبار عن يقطع بصدقه .

وقد سمي لنا القرآن أسماء بعضهم كجبريل وميكائيل ، قل من كان هدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله هدو للكافرين ، كما سمي منهم مالكاً حازن النيران قال تعالى : « ونادوا يا مالك ليقبض علينا ربك » ، قال إنكم ما كنشون ، « وحدثنا كذلك إن الموت ملكا : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم » ، وإن منهم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ، كما أن منهم حمة عرشه ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا » .

كما حدثنا أن منهم خزنة للجنة وآخرين النار ، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ، « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين » .

وبعد فإذا كان الخير وسطاً بين شرين ، فإن المسلم الحق لا يجوز له أن ينكر وجود الملائكة إنكاراً صريحاً أو مقنعاً ؛ كما لا يجوز له أن يتخلع عليهم من الصفات ما لم ينزل به الله سلطاناً ، بل يقف عند حد ما ورد ويقول كما قال المؤمنون الصادقون : « ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين » .

# الصَّنْعُ البَدِيعِي فِي مَدَرِّ السَّكَاكِي

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد موسى  
المدرس بكلية اللغة العربية

## حكومة الخطيب على البديع :

وزَّع أبو يعقوب السكاكي البلاغة على عِلَينِ اثنتين : المعاني والبيان ، وجعل  
البديع — وإن لم يسمه بذلك الاسم — متضافراً مع مباحث العِلَينِ في الوصول  
بالكلام إلى أعلى مراتب التحسين ، وكان صنيعة هذا في بادية النظر مؤذناً  
باستفلال مباحث البديع عن على البلاغة ؛ فكان بذلك المصنِّد الأول لمن  
يؤلفون في البلاغة من بعده ، أن يجعلوا البديع فناً مستقلاً عن أخويه ، وإن كان  
لم يعتمد إلى ذلك ، ولا إليه قصد كما أسلفنا ذلك في تبيان منهجه ؛ وقد سَنَّ للناس  
سنة الاختصار ، حيث اختصر القسم الثالث من كتابه في كتاب دعاء التبيان ، كما  
لفت أذهانهم إلى وضع الحواشي والتقريرات ، بعزمه على إملاء حاشية تكشف  
عن قصده بعد الفراغ من تأليف كتابه ؛ ولا إعمالك قد نسبت ما جره على البلاغة  
من عقم وتمقيد بأحضاها لقوانين المنطق والفلسفة ، وما أصاب البديع على يديه  
من وضعه في ذيل العِلَينِ الآخرين وضعاً سهلاً على من خلفوه على كتابه أن  
يجعلوه ذنباً لهذين العِلَينِ ، ومن جملة مساوياً للمردات اللغوية في الاختصار على  
التعريف ، وسوق مثال واحد لا يصور ذلك اللون ، ولا يكشف عن جماله  
ولا يركزه في الأذهان ، فهما أستعين على مصطلحات البديع بالرد والتكرار  
فأُها إلى التفات والزوال ؛ ذلك إلماع عاطف إلى موقف السكاكي من البديع  
وبلاغة ، فهو وإن كان برزخاً بين المتقدمين والمتأخرين في العرض والتصوير ،  
لا يستطيع باحث أن يفهمه من تحمُّل التبعة في عقم البلاغة وجودها ، وإلجائها  
إلى مضائق التدهور والانحطاط ، وجعلها ضحيةً مختصرات والحواشي  
والتقريرات .

وقد أحصى صاحب كشف الظنون<sup>(١)</sup> عددا وافرا من توفروا على القسم الثالث من المفتاح بالاختصار ، أو النظم ، أو الشرح ، إلا أن يمن الطالع ، وسعادة الخط ، وتمام التوفيق ، لم تكتب لغير من تلخيص الذي صنعه قاضي قضاء الأقليمين<sup>(٢)</sup> : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ، الذي ينتهي نسبه إلى أبي دلف المجلى القزويني ، ثم الدمشقي الشافعي ، والذي شهر بالخطيب القزويني ، وكان مولده بالموصل سنة ٦٦٦ هـ وتفق على أبيه ، وأخذ الأصلين<sup>(٣)</sup> من الأربلي ، وسكن الروم مع أبيه واشتغل في أنواع العلوم ، وسمع من أبي المباس الفاروق وغيره ، وولى الخطابة بدمشق ، ثم القضاء بها ، ثم بالديار المصرية ، ثم نقل إلى قضاء الشام ، وبقي كذلك حتى قضى سنة ٧٣٩ هـ<sup>(٤)</sup> .

وقد نال تلخيص المفتاح للقزويني قسطا وافرا من الشهرة والرواج ، حتى غطى على أصله منذ ظهوره إلى يومنا هذا ، وقد استبدت بجهود يتضاد أمامها ما بذل في القسم الثالث من المفتاح ، قال صاحب كشف الظنون<sup>(٥)</sup> : ولما كان هذا المتن مما يتلقى بحسن التلقي والقبول ، أقبل عليه معشر الأفاضل والفعول ، وأكسب على درسه وحفظه أولو المعقول والمقول : فصار كأصله يحط رجال تحريرات الرجال ، ومهبط أنوار الأفكار ، ومزدهم آراء البال ، فكتبوا له شروحا . . . ثم مضى يعدد هذه الشروح ، فساق جملة وافرة منها ، تفي به عن عناية فائقة ، واهتمام معدوم النظير ، ولست آتيا بمجديد إذا سردتها هنا ، وما عليها من حواش وتقريرات ، فهي - والحمد لله - متعالة مشهورة ، حالفها جمهور قراء هذا البحث منذ سلكوا طريق التعليم إلى يومنا هذا .

وقد كان الباعث على تأليف هذا المختصر ، ما يحدثنا به الخطيب بقول : لما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرا ، وأدقها سرا ؛ إذ به تعرف دقائق العربية وأمرارها ، وتكشف عن وجوه الإنجاز في نظم القرآن أستاذنا ،

(١) ٢ - ص ٤٨٠ (٢) الشام ومصر (٣) أصول فقه والتوحيد

(٤) وله ترجمة وافية قارة في موطنها من كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب

(٥) ١ - ص ٣٣٣

وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذى صنفه الفاضل العلامة : أبو يعقوب يوسف الصكاكى ، أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً ، لكونه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً ، ولكن كان غير مصون عن الخشو والتطويل والتعقيد ، قابلاً للاختصار ، ومفتقراً إلى الإيضاح والتحرير ، ألفه مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ، ولم آل جهداً فى تحقيقه وتهذيبه ، ورتبته ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه ، ولم أبالغ فى اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه ، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه ، وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت فى بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم أظفر فى كلام أحد بالتصريح بها ، ولا الإشارة إليها ، وسميت « تلخيص المفتاح » .

وإن المتصفح لهذا الكتيب والقسم الثالث من المفتاح ، ليدرك مبلغ التسامح فى تسميته تلخيص المفتاح ، وقد أحس ذلك القزوينى نفسه فيه هله كما رأيت فى مقدمته ، ولو أن مثل هذا البحث يتسع لغير هذا المسلك الذى وضعناه لأنفسنا ؛ لرجعنا كل مسألة من مسائله إلى منبعها الذى منه نبعث ، ولكن حسبنا أن نقول : إن الخطيب القزوينى قد تأثر فوق تأثره بالقسم الثالث من المفتاح بأبرز الكتب التى سبقت ، وأخصها سر الفصاحة للخفاجى ؛ ولا سيما المقدمة ، وأسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز للجرجاني ، والمثل السائر لابن الأثير ، والعمدة لابن رشيقي ، والصناعتين لابى هلال العسكري ، والبديع لابن أبى الأصبع ، وبغير أولئك مما أعان القزوينى على إبراز هذا الكتاب ، الذى جمع فيه مسائل البلاغة نقلاً أو استنباطاً ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبورها أدق تبويب ، ولولا متابعت الصكاكى بأخصاصه البلاغة للحد والتفنيد ، وخططها بالمنطق والفلسفة ؛ وإعمالها من الشواهد الأدبية الغزيرة التى تعين على تربية السلاقي ، وتكوين الملكات لعاد صنعة هذا على البلاغة بأحد النتائج ، وأطيب الثمرات ، ولكن التقليد غلب عليه ، فكان ثانياً اثنين أسهما بأوفر قسط فى تجريد البلاغة من حلى الأدب والبيان ، وسلكها فى سلك العلوم النظرية التى لا تربي ذوقاً ولا تعود مياناً .

أما محتويات هذا المختصر فحسبنا أن نقول : إنه رتبة هي مقدمة ، وثلاثة فنون ، وخاتمة ، فالمقدمة في شرح معنى الفصاحة والبلاغة ، والفن الأول في علم المعاني ، والثاني في علم البيان ، والثالث في علم البديع ، والخاتمة في السرقات الشعرية وما يتصل بها .

ونظرة إلى هذا الصنيع نتقنا على مبلغ تجديد الخطيب بالنسبة إلى البديع ، فقد جعله علما مستقلا عن أخويه الذين طالما خالطهما جميعا ، أو جمهور مسائلهما منذ عهد التأليف فيه إلى عصر الخطيب ، فكان بهذا العمل أول الجانبين على أصباغ البديع من ألغوا في البلاغة بوضعها هذا الوضع الشائن البغيض ، وانظر إلى تعريف علم البديع بقوله : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، كيف قصى على ألوانه بأن تكون حلي مزينة ، تكسو الكلام بهجة بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وأنها عرضية ليست بالذاتية ، ولعل الخطيب نظر نظرة غير ممتنة إلى صنيع السكاكي ، فخدع به وحكم عليها هذا الحكم الجائر الذي قلل من شأنها ، وهون من حطرها في نظر من لغوا لف الخطيب تأليفاً وتعليلاً ؛ ولم يلتفت إلى مغزى كلمة السكاكي في العلاقة بين هذه الألوان ، وبين ما تقدمها من مسائل على المعاني والبيان .

وقد ألمعنا إلى عذر السكاكي في هذا الصنيع في كلمة سابقة ؛ ونمك الآن هن تهجين خطة القزويني التي قصت على هذه الألوان ، بجعلها أذنا با وذويلا للبلاغة ، وهي منها في الصميم ، بل في أكرم موضع ، وأعز مكان ، إلى موطنه من هذا البحث ، ثم نحصى في الكشف عن الجديد في البديع على يد الخطيب فنقول : إن السكاكي قسم ألوان البديع إلى قسمين : معنوي ، ولفظي ، وساق من المعنوي حشرين لونا من بينها : الاحتراس والالتفات ؛ والإيجاز ، والأطاب ، وجعل الطباق والمقابلة نوعين مستقل كل واحد منهما عن صاحبه ، فتابعه الخطيب في تقسيم المحسنات إلى القسمين المذكورين ، سوى أنه عدَّ من المعنوي ثلاثين لونا في التخييص ، وواحدًا وثلاثين في الأيضاح ليس من بينها : الالتفات

والاعتراض، والإيجاز. والإطناب، واكتفى بعدها ضمن مباحث علم المعاني، وجعل الطبايق مشتملا على المقابلة، متأثراً بطريقة ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة حيث اختار إطلاق الطبايق على جميع أنواعها: من السلب والإيجاب، والمقابلة، وغيرهما، كما أنه ضم الأشياء بعضها إلى بعض، وحدد الألوان، وقسمها، تحديداً وتقسيماً أدنى إلى الضبط العلوي مما صنع السكاكي، مع الإشارة إلى عدة الأسماء التي تكون للثبوت الواحد، وقد أربى على السكاكي في المحسنات المنوية: بالإحصاء، والعكس، والرجوع، والاستخدام، والتجديد، والمبالغة، والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والتفريع وتأكيده الهم بما يشبه المدح، والإدماج، والهمز الذي يراد به الجدة، والقول بالموجب، والاطراد، والاستطراد؛ وكذلك فعل في المحسنات اللفظية فزاد: الموازنة، والتشريع، ولزوم ما لا يلزم؛ وهو في كل أولئك مسبوق، وليس بالمتبذع المبسر كما يرى من سائر هذا البحث من مطلقه إلى الآن؛ غير أن الذي يهمننا التنبيه عليه هو: أن نظرة إلى ما صنعه الخطيب في تلخيصه بالنسبة للبديع تقفنا على مبلغ تأثيره بغير القسم الثالث من المفتاح، وترشدنا إلى حسن استخدامه لجمهور الكتب التي سبقته مع إحكام الترتيب، ودقة التبويب، وضبط الأقسام، ومهارة الاستنباط؛ وقد أحسن الخطيب بالأمور يشيع في عبارات تلخيصه، فعمد إلى شرحه في كتاب دعاء الإيضاح، أوضح فيه غامضه، وشرح مبهمه، وأربى عليه بكثرة الأمثلة والشواهد، وبمكت في كثير من أنعمائه الحياة والقوة بما نقله عن عبدالقاهر، وأودعه ثورته على السكاكي، واعتراضه عليه في كثير مما يكتب، ولم يرد فيه شيئاً من ألوان البديع على ما ذكره في التلخيص سوى الاستطراد، وقد استعوز هذان الكتابان على حظ وافر من الشهرة والرواج، فلحقا كل أعجاب ملك على الناس حواسهم، وسيطر على مشاعرهم واستنفذ منهم موفور جهودهم، ولا يزالان موضع القداسة والتقدير إلى يومنا هذا.

أما أثر التأليف في حياة البديع الأدبية، وكيف انتهت به هذه الحياة إلى البديعيات فذلك ما سنعالجه في كلة تأتي إن شاء الله.

## الفضيلة عند أرسطو

لحاضرة الأستاذ سعيد زايد

تتلذ أرسطو على أفلاطون في الأكاديمية حفة من الزمن ، خرج بعدها وفي جميعه منهج منظم للتفكير في مجال الكون ، كان من نتيجة استخدامه مذهب فلسفي متناك الأطراف متشعب النواحي متنسق الجوانب ، فهذا رأى في الطبيعة يفسر لنا ما غمض من أسرارها ، وهذا وضع لعلم المنطق ينظم ما تواضع عليه الناس في نقاشهم وحججهم ، ويصوغه في قضايا مبوبة وفصول منمقة يبدو للناس أنه اختراع ، وما هو في الحقيقة إلا تأمل نفذ إلى الصميم ، واستنباط عما يلزم العلماء والعامة على السواء في خطابهم وجدالهم ، إلى غير ذلك من الآراء التي يطول شرحها وتخرجنا عن الموضوع الذي نحن بصدده .

ولئن كان المعلم الأول ، كاد يتملكه اليأس - شأن كثير من العلماء الذي يكتبون بعق - من عدم إقبال أهل زمانه على ما يكتب ، إلا أن الناحية الإنسانية التي تبثت في كوا من نفسه ، دفعت إلى أن يعالج علما يهدف به إلى خير الذي يعيش فيه ، والمجتمع الإنساني بوجه عام إن لم يتحقق خيره في زمانه ، فلا بد أن الأجيال القادمة ستنتفع به ، ذلك هو علم الأخلاق .

ويطول بنا المقام إذا حاولنا أن نعرض لعلم أرسطو الأخلاق وأسبابه ونتائجه ، ولكننا سنكتفي بناحية واحدة مه هي كلامه عن الفضيلة ، وحتى هذه ستقصر كلامنا على الجانب العملي منها ، مقيدين بوجه خاص بفضيلة أطال فيها القول ألا وهي فضيلة العدالة .

يشترط ، المعلم الأول ، لعلم الفضيلة ، أن يدرك المرء ما هي السعادة ، وهذه لا تدرك إلا بدراسة النفس دراسة تحليلية ومعرفة نوازعها ، والنفس في رأيه ، تكون من جزئين متميزين ، بصرف النظر عن الملكات الأخرى ؛ الجزء الأول العقل ، والثاني هو الذي نطبع به العقل ، وبالتالي تصبح الفضائل قسمين : القسم الأول الفضائل العقلية كالتبصر مثلاً ، والثاني الفضائل الأخلاقية كالشجاعة .

والتبصر وإن بدا أنه هو والعقل شيء واحد، إلا أنه لا يزيد على كونه جهة من جهاته، أما الشجاعة فلا يمكن أن تقوم بذاتها وهي لا تصبح كذلك بدون العقل الذي يهذبها ويهديها، وإلا تجاوزت الطور وضلت وأصبحت تهورا، ومن هذا نرى أن المعلم الأول سار على هدى أستاذه أفلاطون، حين قرر أن في الإنسان، إلى جانب القوة الشهوية أو الغضبية قوة عاقلة، هي التي توجه تصرفاته وتقربها نحو السكال، ولكن أرسطو لم يتعمق تعمقا كافيا في تقسيمه للفضائل إلى نوعين، وبدا وكأنه ضحى بنظريته في الفضائل العقلية لنظريته في الفضائل الخلقية، مع اعترافنا بأن تقسيمه هذا جدير بكل تقدير؛ والرد على بعض من نقدوه بقولهم: إن خواص العقل هي بذاتها خواص القلب ولا فرق بينهما؛ مع وضوح التمييز بينهما في مجال العلم والحياة.

والتعليم والتجربة، في رأى أرسطو، واجبان لنمو الفضائل العقلية، أما نمو الفضائل الأخلاقية فبالعادة التي هي طبيعة ثابته على حد تعبيره، فالفضيلة والرذيلة إذن لا تولدان مع الإنسان، ولكنهما مكتسبتان، فالفطرة أو الطبع خير في ذاته، والمرء يمكنه تميته، وبذلك يسير مع الفضيلة أو يتشكك الطريق، ويكون قد سار فوق الرذيلة، وهنا يقرر المعلم الأول مبدأ الاختيار، فالإنسان عنده قادر على تغيير عادته إلى ما شاء؛ لأنه ليس خاضعا للقوانين الثابتة، والتي لا تصدق عنده إلا على المادة، ولذا كانت التربية عاملا مهما في بناء الفضيلة لأنها توجه إلى طبع الطفل منذ البداية، وقول أرسطو: إن القوانين الثابتة لا تصدق إلا على المادة، وإن الإنسان خير بطبعه، يخالفه في الأولى زعيم علم الاجتماع الحديث العلامة «دوركيم»، الذي يقرر أن الظواهر الاجتماعية تسير وفق قوانين عامة ثابتة لا تقبل التخلف، وفي الثانية العلامة الإيطالي، لامبروزو، في نظريته الشهيرة في الجريمة التي تقول: إن الشخص يولد ولديه استعداد عام لنوع من الجرائم، وباستئصال جزء خاص في المخ، تزول منه الدوافع نحو ارتكابها.

والفعل الفاضل عند المعلم الأول لا بد لتحقيقه من ثلاثة شروط: هي علم الفاعل بما يفعل، واختياره لفعله دون توقع منفعة، وتصميمه تصميميا جازما على عدم وقوع الفعل على غير ما يقصد، والشرط الأول نجدده بوصوح في فلسفة

شيخ فلاسفة الإغريق سقراط وتلميذه أفلاطون ، مما يظهر أهميته وجعله نصب أعينهما ، وكان الأجدر - ونحن في ميدان الاخلاق - أن يهتموا بالآخرين إذ أن الفعل هو الأساس .

هذه هي نظرية أرسطو في الفضيلة بوجه عام ، من المستحسن أن نعرف مدى تغلغل نظرية الإرادة فيها قبل أن نتوسع في الكلام عن الفضائل . لقد كان أرسطو أول من فصل في القول في الحرية ، وجعلها نظرية من النظريات الواجب دراستها ، فقد ميز بين الفعل الإرادى والفعل اللاإرادى ، وجعل شاهد في هذا وجدان الإنسان ، الذى هو في رأيه العلة فيما يصدره من الأفعال في كثير من الأحوال ، وأيضا النوق العام الذى يبعد بعض الأفعال ويذم بعضها الآخر ، وسنة الشارحين التى تقرر العقوب والعقاب لمركب الفعل حسبما يترأى لها من نية حسنة أو سيئة . وهذا التفصيل لنظرية الإرادة ، أتى بعد أن نقد أرسطو نظرية أستاذه أفلاطون ، التى تقول بأن الائم غير إرادى ، فلم ير هذا رأى ؛ بل الإنسان عنده حر التصرف لا بد أن يحاسب على أعماله . ومن أسف لم يسر المعلم الأول في نظريته إلى نهاية الشوط ، ولم يخطر بباله أن هذا الامتياز الذى منحه الإنسان لا بد له من كنه ، وأن حريته في أعماله تهر إلى المسئولية بعد الموت أيضا ، فلم يكلف نفسه عناء البحث عن علة الحرية ولا غايتها ، بل وقف عند هذه الظاهرة بما يتسق مع مذهبه فيها وراء الطبيعة .

والفضيلة بعد ، هي ضرب من الوسط بين افراطين ، فالشجاعة مثلا هي افتقار بعض الاخطار واتقاء البعض الآخر ، لكن نجش جميع الاخطار بلا تمييز أو تزو بعد تهورا ، كما أن خشية جميع الاخطار كيفما كانت بعد جينا . ويجب ألا يفهم من الوسط الذى ذكره أرسطو الوسط الحسابى بالمعنى الدقيق ، فإن المعلم الأول لم يقصد البتة أن كل فضيلة واقعة على مسافة متساوية من رذيلتين متضادتين . فإنه لو أراد ذلك لما أسعفته العنة ، ولكنه يقرر أن الضابط الحق للفضيلة هو أنها وسط يعينه العقل .

بقى علينا أن نعرض لإحدى الفضائل التى تناولها أرسطو ، وهو كما قلنا في صدر المقال يميز بين نوعين من الفضائل ، فضائل نظرية وفضائل عملية ، وسنكتلم هنا عن إحدى الفضائل العملية ، التى أولاها المعلم الأول عنايته وفصل فيها القول ،

بمكس جميع الفضائل ، اللهم إلا فضيلة التبصر وهي إحدى الفضائل النظرية ، ولعل السياسة التي عاش فيها ، وغيرها هي التي أوحى إليه بهذا ، فأراد أن يرسم صورة مثل لما تكون عليه العدالة في معاملة الفرد والمجتمع .

والعدالة في رأى أرسطو حد وسط بين الظلم والانفلام ، ولقد ميز تمييزاً واضحاً بين جهتها ، أى بين العدالة السياسية والعدالة القانونية ، ومهمة الأولى الإشراف على توزيع الحقوق والأموال ، والسعادات بين أفراد المجتمع ؛ ومهمة الثانية تعويض الفرد عما يلحقه من ضرر نتيجة فعل فرد آخر ، وأحسب أن هذا التمييز أو هذا التقسيم هو الذى سارت عليه الأمم فيما بعد ، ويظهر بوضوح فى الدساتير الحديثة . والعدالة السياسية تشمل الأشخاص والأشياء جميعاً ، وهي فى ذاتها مساواة تناسية . فلأجل أن تتحقق يجب أن تقرر بين الناس بالتساوى ، ولكن هذا التقرير أو هذا التوزيع ، مع ما فيه من ضبط ، لا يتيسر عملياً ، وإن تيسر لا تستقيم معه الأمور ، ولقد كان الأجدر بالمعلم الأول ، أن يكتفى بالقول بتكافؤ الفرص ، ويترك بعد ذلك للسلطات والمواهب أن تبرز وتعمل وتفيد ، لكى تستقيم أمور المجتمع . أما أن توزع المناصب على التابيين والحااملين على السواء فما أحسب المجتمع يسير بهذا نحو الكمال .

وإن كان المعلم الأول قد فاته ذلك الذى نأخذه عليه فإنه قد بلغ أوج عظمته فى كلامه عن العدالة القانونية ، فالكل - عنده - سواء أمام القانون ، لا فرق بين كبير وصغير ، لأن القانون لا يهدف إلى عقاب الأشخاص ، بل إن هدفه الأول ، القضاء على الجريمة ، ولما كان القانون لا يستطيع أن يحيط بكل الجرائم المتوقعة ، فإن عدالة القاضى وذكاءه تساعدان على الفصل فى القضايا ، أى أنه يجب أن يكون القاضى كفواً ، واسع الحيلة ، حاد الذكاء ، وهذا يبرر نقدنا له فيما سبق أن قررته عند الكلام عن العدالة السياسية ، من أنها يجب أن تشمل الأشخاص والأشياء جميعاً . وقول أرسطو إن الهدف هو القضاء على الجريمة ، هو المبدأ الذى سارت عليه المدرسة الاجتماعية الفرنسية والعلامة دور كيرم ، فى جميع أبحاثها فى باب الاجتماع القضائى . وبعد فهذا عرض سريع لنظرية الفضيلة عند أرسطو ، تظهر فيه مقدار أصالة المعلم الأول ، وفقراته الصائبة .

## الدين والسياسة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم علي أبو سعيد

— ٢ —

إنما تحيا الجماعات الإنسانية حياة كريمة مبهجة ، وتستشعر في أعماقها جلال النظام ، وقدس الأخوة ، وسمو المحبة ، وشدة المطف والمحب ، وتوقير الكبير ، ورحمة الصغير ، واحترام القانون والطاعة لأحكامه ، والامتثال لأوامره حين يبسط الدين سلطانه على النفوس ، ويتغلغل بنوره إلى أغوار القلوب .

وكل قانون لا تسنده رقابة الخالق ، ولا تحيطه الرهبة والخوف من رب العالمين ؛ لا يمكن أن يجنى الناس من ورائه سعادة ، أو يحصلوا على أمن واطمئنان !

والجماعة التي تناس بالدين ، ونحكم في مشاكلها وأحوالها بقضريه أحكام الحاكمين ؛ لا يمكن أن يصيبها الضعف ، أو يدخل إليها الوهن ، أو يستذلها عدو ، أو يستبد بها دخیل . وحين يستعرض المرء مظاهر التشريع ، ويتأمل فيها أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من سياسة وأدب ، يرى أن الإسلام وضع الدواء الساجع لكل داء ، والبسم الشافي لكل جراح ، وعالج كل مشكلة ، يمكن أن تصيب الجماعة بالتصدع ، والاضمار ، ففي الأمور التافهة البسيطة لا يغفل الإسلام علاجها ، ولا يهمل وضع قوانينها ، ولنستمع إلى الرسول الكريم يقول : « ألا أخبركم بشراركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من أكل وحده ، ومنع رفده ، وضرب عبده . ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من لا يقبل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً . ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من يفيض الناس ويغضونه . »

وفي الأمور التي يخشى على بناء المجتمع من سطوتها ، وطفانها يقول الله عز وجل : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، فهذه دهوة صريحة مؤكدة إلى حاية الجماعة من نهب الأموال ، واستلاب حقوق الناس .

ولعلنا لعلنا إلهاماً عابراً بهذه الواحي في مقالنا الأول ، على أننا نحب هنا أن نؤكد تأكيداً قاطعاً أن الإسلام لم يضع هذه النظم ، ولم يشرع تلك الأحكام والقوانين للعبث ؛ إنما شرعها ليأخذ الناس بها ، ويحملهم عليها ، ويحمل راعي المسلمين مسئولاً عن تنفيذها ، وسياسة الناس بها .

والمطلع على تاريخ الإسلام ، والمتبع لسيرة المسلمين منذ أشرق هذا المعبر على الدنيا يجد أن سيرة النبي والخلفاء ، وسيرة السلف الصالح كانت تهدف إلى أخذ المسلمين بهذه السياسة ، وإقامة دعائم حياتهم على أسس متينة من شرائع الحكمة وآداب السامية ، ولقد ظلت دولتهم قوية البنيان متينة الأركان ، لا يتسرب إليها ضعف ، ولا يداخلها وهن ما قامت فيها تعاليم الإسلام ، وسار حكام المسلمين على هدى الدين وتعاليم الشريعة .

فلما انحرفوا عن الجادة ، وتهاونوا في تنفيذ ما أمر الله أن يفد ، ولما تراخوا في إقامة الحدود الإسلامية والضرب على أيدي العابثين الآثمين ، ضعف شأنهم ، وتفرقت وحدتهم ، وقلت هيبتهم ، ووهنت عزيمتهم ونال منهم أعداؤهم كل نال . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما لم تحكم أنفسكم بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

فلتتعرف المسلمون إلى تاريخهم ، وإلى ماضيهم ؛ ليدركوا أن دينهم يحمل في ثناياه أروع الأنظمة ، وأحكم السياسات ، وأجمل القوانين لدولة عادلة مهيبة نابضة بالقوة والسمو والعظمة ؛ وإن رغبت أنوف ، وكابر في ذلك جاحدون .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود الجيش في الحروب ، ويشن الغارات على أعدائه ، ويقسم الفداء ، ويجوزع الغنائم ويسن للمحاربين من أتباعه وأوليائه أبلغ سنن الحرب ، وأقوم قوانين القتال وأسمى آداب الخصام .

فإذا وضعت الحرب أوزارها ، فرغ إلى أمته يأخذ من غنيهم لفقرهم ، ويدبل من قويمهم لضعيفهم ، ويماقب المقصر على قصوره ، ويثيب المحسن على إحسانه ، ويقوم حدود الله من قارف خطيئة أو لابس جريمة ، أو أقام على عصيان .

أليس ذلك سياسة لهذه الأمة الإسلامية على وفق ما شرع الله من أحكام ، ويتقضى ما وضع من حدود وآداب ؟

أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصر نفسه على العظة والتذكير ، دون أن يأخذ الناس بسياسة الإسلام ، ويحملهم حملاً على التزام حدود الله ؟

إن بعض الواهمين المفتونين ، يتعلقون ولاهامهم ببعض ما لم يفهموا من كلام رب العالمين . مثل قوله جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم : « إن عليك إلا البلاغ » ، « إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، فأنهم أن أمثال هذه الآيات لارتباط لها بسياسة الأمة ، ولا صلة لها بما كان يأخذ به الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من حملهم على الجادة ، وتسديدهم على النهج القويم ، والصراط المستقيم ، إنما أراد بها المولى أن يسلي نبيه ورسوله عن إعراض قومه ، وتأنيبهم عن الهداية واستكبارهم عن الطاعة ؛ إذ أن ذلك يشق عليه ، ويؤلم نفسه ، ويحزن قلبه ؛ فأنزل عليه المولى أمثال هذه الآيات ؛ ليمله أنه ليس عليه هدام ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وأنه وإن بئح نفسه ليس في طوقه أن يحولهم من كفرات إلى هداية صحيحة ، ومن طغيان أثيم إلى هدل كريم : « وإن كان كبير عليك إعراضهم ؛ فإن استطعت أن تبغى نفقاً في الأرض أو مسلماً في السماء ، فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » ، فلا تكون من الجاهلين ، فلما دخل الناس في الدين ، وأصبحت للسليلين جماعة كونت دولة ، رعى محمد صلى الله عليه وسلم هذه الدولة ، وأخذها بأدب الإسلام ، وأمضى فيها شريعته كما أوحى إليه ربه ، وأمره مولاه .

ولما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم راحى هذه الأمة ، والمدير لشئوننا ، والمنظم لأمورها ؛ قام بالأمر من بعده خليفته أبو بكر ، ولكنه لم يكدر ينهض بالعبء وينوء بالمهنة ؛ حتى وجد أن الشيطان قد نزع في العرب نزغاته ، ونفت فيهم سمومه ، فإذا ببعض منهم يرتد عن الإسلام ، والبعض يمنع الزكاة ، وبعض بالبر على من يستحق البر ، ويخل بالمعروف على من يستأهل المعروف ، ويشير بعض المشيرين على أبي بكر أن يلزم بيته ، ويمتكف في مسجده ، وأن يدع الناس قيام فيه ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة . ولكن أبا بكر وهو رئيس هذه الأمة ، والمستول عن سياستها يسخر منهم أبلغ السخرية ، ويقول لهم في ثبات وقوة إيمان : « أو كلكم رايه هذا ؟ والله لأن آخر من السماء فتخطفني الطير أحب إلى من أن يكون رأيي هذا !

والله لو متعوفى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لحاربتهم عليه حتى يصرنى الله أو أهلك دونه ، أليس هذا كلام رجل يؤمن أعق الإيمان أنه مسئول عن سياسة الأمة ، وأخذ الناس بتعاليم الإسلام ، وحملهم حملا على التزام الحدود والسير على الطريق المرسوم .

وهذا عمر بن الخطاب يقول بملء فيه : ، والله لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لحشيت أن يسأل عنه آل الخطاب .

فهل يصح هذا القول إلا من رجل يدرك أنه في مقام الرياسة ، وأنه مسئول عن أمن الناس وراحتهم ، وإقامة العدل ، وإشاعة النظام بينهم .

خبروني أيها الناعبون الداعون إلى فرقة الأمة ، وتشتيت شملها ، وتمزيق وحدتها ، واختلال صفوفها ماذا تريدون بالسياسة ؟ وإذا تحدثت معانى الألفاظ سهل علينا الوصول إلى مقطع الحق ، والاهتداء إلى مفصل الصواب ؟

ألستم تريدون من كفة السياسة ، أخذ الأمة بأحسن الانظمة ، وأروع الأساليب في حكمها وإصلاح نواحي الحياة فيها بما يكفل لها الرخاء والأمن ، ويضمن لها السعادة والراحة والاطمئنان ؟

ألستم تريدون بسياسة الأمة أن تطبق فيها القوانين التى تجعل الفرد عضوا عاملا نافعا في الجماعة ، يأمن على نفسه وعرضه وماله ، ويجد القوة التى تحميه من عدوان العادين ، وظلم الظالمين ؟

ذلك كله مما أمر به ديننا الحنيف ، ودعت إلينا شريعتنا السمحة .

إن الدين في كل تعاليمه وجميع أحكامه يهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، ويضع لذلك أحسن الأسس ، وأروع النظم ، وهو لا يدع ناحية من نواحي الحياة إلا أفاض عليها من جهاته ونوره ما يبدد ظلامها ، ويتفرض غبارها ، ويقم العدل فيها مقام الظلم ، والنور مكان الظلام .

وشتان بين نظام يضعه الرحمن ، وأنظمة يلفقها الإنسان !

فليعد الناس إلى نظام رب العالمين ، وشريعة الإنسانية الفاضلة ، والمدنية المهيبة ، وهم لا شك واجدون فيها السعادة الدائمة ، والنعم المقيم .

# الإسلام والصين

لمحاضرة الأستاذ عمر طلعت زهران  
أستاذ في الآداب

[ الصين بلاد عظيمة الاتساع ، تزيد مساحتها قليلا عن ٤١ مليون ميلا مربعا ، وسكانها حوالى ٤٥٠ مليون نسمة ، كانت مسرحا لمدينة من أعظم مدن العالم ، كما كانت وحدة ثقافية رفيعة . وتشمل الآن أربعة أقاليم هي : الصين ، منغوليا ، سيبيريا ثم التبت ، وقد تقاطعت في المصور الأخيرة أمور جسام ، فإن أوروبا حاولت أن تفتح أبواب الصين وخزائنها ، فلتشبت بينهما حروب ، كانت نتيجة منع الأجانب امتيازات جائرة بحقوق الوطنيين ، ثم غزتها اليابان ، فكان أن نشبت فيها ثورة انتهى بها حكم أسرة مانشو ، وأعلنت الجمهورية سنة ١٩١٢ . وتطورت الحوادث ؛ حتى كانت الحرب الأخيرة والصين بجانب المنتصرين ، فخرجت منها اليابان ، ولكن دخلها الخطر الشيوعي ، الذي استنسر بها ، فأصبح الشيوعية فيها دوة ]

الصين بلاد لها وضعها الخاص ، في سائر الأمور ، وفي الدين خاصة ، فإننا نجد فيها أديانا مختلفة ، ونجد الظلم الأخلاقية فيها تتخذ سمعة الدين . ومع ذلك فلنا نستطيع أن نصف الفرد الصيني العادي بالدين ، على الرغم من أنه قد يمارس طقوس عدة أديان معا . وإن انطبق هذا الوصف على الصينيين بمختلف أديانهم ، فإننا نستثنى من بينهم المسلمين ، وإن كانوا أقل من مسلمي البلدان الأخرى تقى

وتمسكا بالدين . ومهما يكن من أمر فإننا إن وصفنا أى قصة فى الصين بالتدين ، لا نتصرف الذهن توا إلى مسليها .

ومجد بجانب الإسلام ، فى الصين أربعة أديان أخرى ، على الأقل : التاوية ، والبوذية ، وعبادة السلف ، والكونفشيوسية ؛ كما عرفت الصين الدين المسيحى ، وإن لم ينتشر بها ، رغم أن الكثيرين خارج الصين يظنونه ذاتما هنالك . وقد تأتى هذا الظن الخاطئ . من أن المتعلمين فى الصين يسمون أنفسهم بأسماء مسيحية أوربية ، وإن كان لا شأن للاسم عندهم بالدين ، فليست بمستطيع تمييز دين فرد بمعرفة اسمه .

• • •

أنشأ التاوية ، فى القرن السادس ق . م . كنج فو — تزو ، من معاصرى كنفسيوس ، ويعرف أيضاً باسم ، لاو - تزو ، ، ومعنى كلمة ، تاو ، : طريق ؛ والتاوية تمثل الطيعة غير المجسمة التى نلجدها فى كل مكان ، والتى ترجع إليها جميع الأشياء ، وهى طريقة صوفية تسكر وترفض الحاجات الدنيوية ، وقد خرجت التاوية اليوم عن صورتها الأصلية ، فلا يمارسها كما كانت إلا نهر قليل ، ولها معابد تنتشر فى الصين جميعاً ، تمتلئ بتماثيل وصور متباينة ، ويقوم كهنتها بطرد الأشباح والجن ، ويحضرون الأرواح ، يسألونها ألا تصيب الناس بضر . والتاوية مختلطة بأوهام وخرافات بدائية ، مثلها مثل الهندوكية فى الهند ، حافلة مثلها بالأساطير ، متطلعة إلى الخيال أكثر منها إلى الشعور الدينى .

أما البوذية : فقد دخلت الصين منذ نحو عشرين قرناً ، وازدهرت منذ ذلك الحين ، خاصة وأنها لا تتعارض مع التاوية . وللبوذية مدارس لا عداد لها ، على عكس التاوية التى يسودها العموض . وكلتا الديانتين تعترفان بالأشباح والجن ، ويمارس العوام الديانتين معاً فى معابد كل منهما . وجوهر البوذية هو تنقية الروح بالتعبد على شهوات الجسد ، والتخلي عن لذات الحياة ، والرغبة فى التقرب من الله ، وتعاليمها كثيرة تتضمن الأعمال الطيبة ، والرأفة بالكائنات جميعاً . وعلى الرغم من أن الصينى يحب الحيوان والطيور ، إلا أنه قد يقسو على أخيه الإنسان ؛ فإزال الرق قائماً يلقى أسوأ معاملة ، والبوذية تحرم القتل ،

ولكن الصينيين يقتلون الإنسان والحيوان، وقطاع الطرق عديم، 'قدت قلوبهم من سحر صلد، تضرب بقوسهم ووحشيتهم الأمثال .

ولست الكنفوشوسية في حقيقة الأمر ديناً ، على الرغم من وجود معابد لها ، كان الناس يتعبدون فيها في سالف الأيام ، وما هي إلا نظام أخلاق وسلوك إجتماعي ، تتميز بصفتها الفلسفية ، وتلتزم حدود التقاليد ، والولاء الأبوي ، بما فيه من احترام وطاعة للأكبر سناً ، والعرش ، والسلطة . وتلين طيمنتها من قول كنفشيوس حين سئل عن السماء : 'إنا لا نعرف الأرض ، فلم نعتى أنفسنا بأمر السماء . ومن ثم فإن كنا لا نعرف شيئاً عن الحياة الدنيا ، فليس ثمة ضرورة للبحث في الحياة الآخرة . وتبنى مبادئ كنفشيوس على عبادة السلف أكثر منها على المبادئ الدينية .

وعبادة السلف أقدم صور الأديان في الصين ، ترجع إلى العصور البدائية حين كان الناس يظنون أن الآباء هم ما نحو الحياة . وما زال هذا الاعتقاد يسود الصين على شكل ما ، فتخصص في كل منزل حجرة توضع فيها صور وغلفات الموتى ، ويتمتع فيها أهل الدار بين وقت ووقت . وكانوا — قديماً — يدفنون زوجات الملوك وخدمهم وحاشيتهم مع الملك المتوفى ، ويضعون معهم التيبذ والطعام وغير ذلك ؛ بل كانت الأرملة تتحرم مفضلة الموت ، على حياتها بعد وفاة الزوج ، ولكن كنفشيوس منع هذه العادات ، واستبدلت فيما بعد بدفن تماثيل مختلفة مع الميت ، وإن لم يمكن منع الزوجات الراغبات في تضحية أنفسهن بعد وفاة أزواجهن ، ويحتفل الصينيون بموتهم احتفالات رائعة بمجازات فخمة ، ومدافن جميلة .

ونرى أن المسلمين عامة يشاركون في احترام الموتى ، وأبلغ مظاهر هذا الاحترام ، هو قراءة فاتحة القرآن على أرواح الموتى ، ولكن الأمر بالنسبة للصين جد مختلف ، فإن احترام الموتى مبدأ ديني .

وبجانب عبادة السلف ، نجد نوعاً آخر بدائي من الدين هو عبادة السماء ، وهي عبادة مبنية على مبدأ اتحاد السماء بالأرض ؛ فقبل مولد المسيح بآلاف من السنين ، رأى أحد الأباطرة قتيلاً يخرج من الماء ، يحمل على ظهره نقوشاً خاصة ،

وتكررت رؤية الأباطرة للتين حتى صارت حقيقة واقعة ، وصار من حق  
الامبراطور أن يصلي للسماء نيابة عن الشعب بأجمعه ، وهو حق الامبراطور ، ليس  
لسواه أن يقوم به . وبقيت هذه العبادة قائمة - تمارس في معبد في بكين - حتى سنة  
١٩٩١م ولهذا السبب كان أباطرة الصين يسمون أنفسهم «تئين - تزوء» : ابن السماء .

\*\*\*

هذه هي الصورة التي وجد الإسلام الصين عليها ، في القرن السابع الميلادي ،  
أو الأول الهجري ، حينما جاء العرب عن طريق البحر إلى كاتون وهانجشو ،  
وجاءها المسلمون عن طريق إيران وتركستان . والعلاقات التجارية بين العرب  
والصين ، علاقات قديمة ، ترجع إلى عصور لا يذكروها التاريخ . يقول «ام . وبرى» :  
«كان للعرب مصالح تجارية قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بعصور ، في الهند  
وجزر الهند الشرقية والصين . كانوا يحملون الأحجار الكريمة والذهب والفضة  
والتوابل والحرير ، يحملونها بحرا إلى الخليج الفارسي والاسكندرية ، ومنها تنقل  
إلى أوروبا » .

وتقول المصادر الصينية الإسلامية : إن الإسلام دخل الصين في بدء الدعوة  
الإسلامية ، وإن كان الأكثر احتمالا أنه دخلها بعد ذلك بزمان ، وتروى المصادر  
أن «تاي نسونج» (٦٢٧-٦٥٠م) استقبل مندوبين عن الفرس والروم ، يفتانه  
بهزيمة الدولير أمام العرب ، وأرسل الامبراطور الصيني حوالي عام ٥٦٠م  
مبعوثا عنه إلى الخليفة الإسلامي ، عثمان بن عفان .

وما انقضى قرن ، حتى عرف الصينيون قوة العرب ، فقد أرسل امبراطورهم  
جيشا من ٣٠٠٠٠ رجل هزمه قتيبة بن مسلم ، وما لبث قتيبة حتى أرسل  
للإمبراطور يسأله الدخول في الإسلام أو دفع الجزية . ولولا موت يزيد  
ابن عبد الملك ، واعتياله قتيبة ، لكانت الصين الآن من البلاد الإسلامية .

كانت نتيجة هذا كله ، أن اعتنق بعض الصينيين الإسلام ، ومن بين هؤلاء  
قبيلة «هوى تشى» فأطلق اسمها على المسلمين ، وظل الأمر كذلك حتى عصر  
المعول ، فمرف المسلمون باسم «هوى تشى» ، ويعرفون الآن باسم «تشنج جن» .  
كما يعرف الإسلام باسم «تشنج جن جياو» . ومن ذلك الوقت تفتحت أبواب  
الصين للإسلام ، فاعتنقه منها عدد جم غفير .

وثار أحد الأمراء ضد إمبراطوره الصينى ، فاستغاث هذا بالخليفة العباسى ، فأرسل إليه ، أبو جعفر المنصور ، جيشا من عشرة آلاف جندى تام العدد ، أقر النظام وأعاد الهدوء ، ولم يرجع الجنود إلى حراسان ؛ بل أقاموا بالصين ، وتزوجوا بها فكانوا نواة مسلمى الصين الحاليين .

وجاء الصين مسلمون آخرون عن طريق البحر إلى كانتون ، وهانجشو ونشروا الإسلام فى الجنوب ، كما نشره الأولون فى الشمال والشمال الغربى . ومن بين هؤلاء سعد بن أبى وقاص ، الذى لا يزال مسجده قائما فى كانتون ، وتوالت بعثات المسلمين إلى الصين ، وقد لاقوا فيها معاملة حسنة ، انتشر خبرها بين مسلمى التركستان والبلدان المجاورة ، فزح منهم عدد كبير إلى الصين ، شغلوا وظائف هامة ولقوا من ملوكها عطفاً وحدا .

ونزح إلى الصين - فى عهد المغول - عدد عظيم من المسلمين ، كان من بينهم كثير من العلماء : فلكيين وأطباء وفقهاء ، وزارها ابن بطوطة وتحدث عنها فى رحلته المعروفة ، وظهر أثر المسلمين فى حياة الصين واضحا ، فاقبض الصينيون الفن والنفوس العربية ، وما زالت باقية فى آثارهم .

ولم تستمر الصين أرض سلام للمسلمين دائما ، فقد لقوا فيها عناء واضحا ، فأسسوا عسقا وظلما تحت حكم أسرة مانشو ، منذ سنة ١٦٤٤ م .

ولكن المسلمين عموما ، تميزوا بالنشاط ، وشغلوا مناصب هامة عسكرية ومدنية ، وأقاموا شعائر دينهم فى حرية ، وعملوا على الاتصال بالمسلمين فى جميع أنحاء العالم .

ولعل أبهر مظاهر هذا الاتصال ، كان اتصالهم بمصر التى أوفد أزهرها بعثة تعليمية ، واستقبل بعثة منها ، تلت علومها به ثم رجعت إلى بلادها تنشر الهدى والعرفان .

وأجل ثمرات هذا الاتصال ، كانت المكتبة التى أهداها المغفور له الملك مؤاد إلى الصين ، وهى باقية تحمل اسمه فى بكين يؤمها طلاب العلم ، فيذكرون مليكنا الراحل ويذكرون أرض النيل .

# السُّوفِطَائِيُّونَ فِي نَظَرِ الْعَرَبِ

تقد حلة جائزة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاهين

كما تال أستاذي الدكتور ، غلاب ، مذهب المتكلمين في المفاهيم الذهبية ، وفي الصفات الإلهية بالنقد الجائر والمناقشة القاسية على النحو الذي عرضناه ، ثم عارضناه في مقالنا السابق ، فقد تناول كذلك رأى العرب في السوفسطائية بالطريقة نفسها ، فخطأهم في إطلاق السفطة بمعنى المنطق الفاسد القضايا ، الباطل الجزئيات . ورواهم بالتخييل لا اعتبارهم أتباع بروتاجوراس ، وأصحاب جورجياس : مدرستين منعصنين أو مذهبين مختلفين ، وغلطهم في عدم ، اللا أدرية ، أتباع بيرون من السوفسطائية ، وإليك بعض ما قاله في ذلك ص ١٥٢ ج أول من كتبه الفلسفة الاغريقية . تحولت كلمة ، سوفسيم ، إلى ، سوفيستيك ، وأصبحت مرادفة لكلمتي التصيل والتفريق تمام المرادفة ، وما زالت كذلك حتى ترجمت الفلسفة الاغريقية إلى اللغة العربية ، فلم يلحظ ترجمة العرب المعنى القديم للكلمة فأصبحت السفطة عندهم : عبارة عن المنطق الفاسد القضايا الباطل الجزئيات ، وهذا حق من بعض الوجوه ، ولكنهم تخطوا في تقسيم رجال هذه المدرسة تخطاً لافتاً للنظر ؛ فرموا أنها تنقسم إلى ثلاث فرق : المدنية والمادية واللا أدرية . فالمدنية ترى أن حقائق الأشياء نابعة لعقائد المؤمنين بها ؛ لأنهم هم أقيسة الحقائق . والعنادية تجزم بأن لا حقائق في الكون لا في ذاتها ولا بالقياس إلى المؤمن بها . وأما اللا أدرية فهي التي تتوقف عن الحكم في كل شيء فهي لا تجزم بوجود ولا بعدم .

ثم علل الدكتور هذا الخطأ من العرب فقال : وهذا خطأ أوقعهم فيه اختلاف لفظي جاء في جملتين شهيرتين ، لزعمي هذه المدرسة ، بروتاجوراس وجورجياس حيث قال الأول : كل شيء حق . فرد عليه الثاني قائلاً : لا شيء بحق .

وهذان التعبيران ، وإن ظهرا مختلفين إلا أنهما متفقان تمام الاتفاق ، لأن جملة بروتاجوراس ، كل شيء حق ، أى فى نظر من يعتقده ، ومعنى جملة جورجياس ، لا شيء بحق ، أى فى ذاته ، وكل منهما يؤمن تمام الإيمان بمذهب صاحبه ، ومن ظن من فلاسفة العرب ومن نهجوا منهجهم من المحدثين ، أنهما مذهبان مختلفان فهو واهم . أما ما يسميه العرب بفرقة اللا أدريه فى هذه المدرسة ، فهو خلط منهم . هل السبب فيه هو التباس إنكار الحكم العام الذى قال به السوفسطائيون بالتوقف عن أى حكم كان ، وهو الذى قالت به المدرسة اللا أدريه التى ظهرت بعد هيرارسطو . انتهى كلام الدكتور بحروفه ، وقبل أن نبدى رأينا فى هاته الخلة الشعواء على العرب ، نحب أن نذكر للدكتور غلاب أنه فى الوقت الذى كنا نستمع إليه فيه يقرر هذا عن العرب ، كنا نختلف إلى زميل له من أساتذة الفلسفة بكلية أصول الدين ، فتلقى عنه فى هذه المسألة عكس ما ذهب إليه أما هذا الزميل فهو صاحب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى ، وقد تعرض لهذه المسألة فى كتابه . تاريخ الأخلاق ، عند الحديث عن الأخلاق فى نظر السوفسطائية ، فقال : وهؤلاء الناس ، السوفسطائيون ، لنا بهم إلف لكثرة ما يرد من دكرهم فى كتب علم الكلام ؛ لذلك نرى من الخير أن تبسط الحديث قليلا فى بيان مذهبهم وطوائفهم ، وبعد أن ساق الدكتور نصين أحدهما للطومى ، وثانيهما للسفسق ، سأتلأ ، الحجة فى الفلسفة الإغريقية ، وعلاقتها بالمذاهب الكلامية الإسلامية كما يقول .

قال فى ص ٢٤ من كتابه . تاريخ الأخلاق . ما نصه : ويرى بعض المعاصرين أن من الخطأ التفرقة بين هذين المذهبين بقسمة أحدهما بالعندية ، والآخر بالعادية ؛ لأن عليهما على ما يرى وهما بروتاجوراس وغورجياس . كل منهما يؤمن تمام الإيمان رأى صاحبه ، وفتقد أن هذا بعيد عن الصواب ، فإن بروتاجوراس قال فى كتابه ، الحقيقة ، والإنسان مقياس الأشياء جميعا هو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد ، وإن أفلاطون شرح هذه القولة فى محاورته ، نتياس ، بأن الأشياء هى بالنسبة لى على ما تبدو لى وهى بالنسبة لك على ما تبدو لك ، وأنت إنسان وأنا إنسان ، فلا شك بعد هذا فى صحة تسمية

مذهبه بالعندية ما دام الحكم على الاشياء مرجعه إلى ما يظهر عند كل إنسان ، من صفاتها وخواصها وأموالها ، كذلك زميله « غورغياس » وضع كتابا في اللاوجود لخص فيه آراءه في هذه القضايا الثلاث : لا يوجد شيء . وإذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه . وأخيرا إذا فرضنا أن إنسانا أدركه فلن يستطيع أن يطلع عليه من الناس ؛ وإمعان النظر في هذه القضايا يجعل المرء مطمئنا إلى أن المتكلمين أصابوا المحزن في تسمية مذهبهم بالعنادية .

والآن يظهر الصواب في جانب العرب إذا اعتبروا العندية والعنادية مذهبين منفصلين بشهادة « ساتلانا » الذي تابعه الدكتور غلاب في ترجيح مذهب أفلاطون في السكليات على مذهب أرسطو ، وإذا فلا عبيرة بهذا التوفيق الذي حاول به الدكتور غلاب بحواله عارقي بين كلمتي « بروتاجوراس » و « جورجياس » . فإن التأويل اللغوي لا يصح في منطق العلم دليلا ولا يغني قتيلا . بقي على العرب أنهم عدوا أصحاب « بيرون » ، إلا أدريه فريقا من السوفسطائية وهو ما أنكره منهم « ساتلانا » ووافقهم الأستاذان يوسف موسى ، وعلاب : وربما الأخير في هذا بالخلط والتباس الحق ، وعندى أن الحق في ذلك مع العرب أيضا ، وباطل ما فهمه أولئك النقاد من النصوص العربية التي توهموا بها ، أن العرب يعملون أصحاب « بيرون » ، فريقا من سوفسطائية اليونان في القرن الخامس ، بمعنى أنهم عاصروهم ، وشاركوهم في الزمان والمكان ، وهو غير لازم لتلك النصوص العربية .

ولما يعتبر العرب أصحاب بيرون من السوفسطائية ، بمعنى أنهم يشاركونهم في منهج التفضيل والمكابرة في المناظرة ، وإذا قد عرف الدكتور غلاب السوفسطائية في اصطلاح العرب بأنها ترادف المنطق الفاسد القضايا الباطل الجزئيات ، ونقل الدكتور موسى عن الطوسي أن كل غلط في مذهب سوفسطائي ، فاما مسائل الاسادين . هل هذا التعريف كما يصدق على أتباع بروتاجوراس وجورجياس ونحوهما من السوفسطائية في القرن الخامس ق م ؛ كذلك يصدق على أصحاب بيرون أم إنه لا يطبق في معجم الفلاسفة إلا على الأولين لحسب ؛ فإن اختاروا الأول . قلنا وهذا هو السبب الذي سوغ للعرب عد اللا أدريه من السوفسطائية ، وبطل ما ذهب إليه الدكتور غلاب من أنه قد التبس عليهم إنكار الحكم العام بالتوقف

عن الحكم . وكيف نسب إليهم هذا الالتباس في فهم تلك المذاهب ، بعد أن حددوها لما بهذه التعريفات الدقيقة التي وصحت ماهياتها وميرتها بعضها عن بعض ؟ وإن اختارا الثاني فلا نسلم لها ، لأن التشابه بين البيرونية وبين العنودية والعنادية تام ، فكلها قائمة على الشك في البديهيّات ومكابرة الحقائق الثابتة والمخالطة في الجدل والإقناع ، والدكتور غلاب قد ذهب في كتابه الفلسفة الشرقية إلى أن هذا اللون من التفكير المغالط غير خاص باليونان ، فكيف يجعله هنا خاصاً بأتباع جورجياس وبروتاجوراس فقط ؟ وهو في محاضرته عن البيرونية يعترف بالتقارب بينها وبين العنودية ، ومن يعمّن النظر فيما قاله في شرح بعض المأثور عن بيرون يجد توافقاً تاماً بين البيرونية والعنودية . . .

ولو سلمنا جدلاً أن اسم السوفسطائية لا ينطق في لسان الفلسفة إلا على العنودية والعنادية لا غير . . . لكان الدكتور غلاب نفسه قد تورط فيما أنكره على العرب ؛ حيث أطلق هذا الاسم والسوفسطائية ، على إحدى مدارس الفلسفة الهندية التي ناهضت البرهمانية في ص ١١٢ من كتابه الفلسفة الشرقية ، مستنداً إلى مثل الإعتبارات التي من أجلها جعل العرب اللادينية فريقاً من السوفسطائية الإغريقية ، وما زالت السفسطة تظهر في عالم الفلسفة من حين إلى حين ، حتى في الفلسفة المصرية فقد انبعثت السفسطة على يد « داوود هيوم » ، وأصحاب مذهب الدرائع ، ويخطئ من اختصها بالقرن الخامس ق م أو يحصرها في الفكر الاغريقي وحده .

### من حكم الأحنف

الأحنف بن قيس سيد بني حنيفة الذي قيل فيه : إذا غضب الأحنف غضب له مائة ألف سيف ، له حكم قبعة منها قوله :

من لم يصبر على كلمة ، سمع كلمات . وقيل له من السيد ؟ فقال : هو الذي إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

ومن أقواله . من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون . ومن أقواله أيضاً : الكامل من عدت هفواته .

## أصداء الذكرى

### في مجاز إقبال

لفضيلة الاستاذ الشيخ كامل محمد مجلان  
المدرس بالأزهر

في كل عام تحتفل باكستان بذكرى وفاة شاعرها  
، محمد إقبال ، . وعلينا أن نشارك إخواننا في الذكريات  
الحالدة .

ولهذا أبعث إلى الروح الطيب ، بتلك التحية ، تذكراً  
للشرق ، وتخليداً لذكرى شاعر مسلم ، يعد نقرأ للعبقريّة .

في محراب إقبال بين رحاب الخلد ، أفق شاشما ، يحدوني التشوف ،  
وتهزني التأملات .

في محراب إقبال ، أصبح وأصبح بأماشيد أرسلها غريد الشرق وصداح  
الإسلام ، فسرت نوراً يستضاء به في دياجي الشجون .

في محراب إقبال ، يكاد ساء الاثراق يخطف بصري ، فأجد لروحي ملاذاً  
عند هادي الحيارى ، ومواسي المكرومين ، ومسد المؤملين .

في محراب إقبال ، أجد على النور هدى تؤمنني تلك المثل العليا ، التي  
فسحت برديتها دعوة الإسلام ، ازفع القيم الإنسانية ، وتقضى على العبودية ،  
وتأق على عروش الاستعمار ، وتجتث من النفوس جذور الطمع الآثم ، وتطهر  
الروح البشرية من أوحار الذلة ، ومسوح الضعف ، وغلائل الأوهام .

في محراب إقبال تأخذني فتوة تسكرها مشنف من دين الفطرة ، وكأسها في قرارها عدالة السماء ، وحباها مدي النبوة ، ونداءها أصفاء الرسالة المحمدية ، وشيمها سمات من روائح الجنة ، عرفها برأيها التنزيل .

في محراب إقبال تقدح الشرارات التي تدلح مارا تأكل المصف الحامد ، أو ترسل نورا يصبى الشرق وما حوله ... ولقد مزج الأشراق بين الموجتين ، ووصل ما بين المحيطين .

في محراب إقبال متاف المعالم الإسلامية ، وبث المعزة للوطن الإسلامي ، وتوحيد الكلمة بين الموحدين لله تحت راية القرآن .

في محراب إقبال تدقت جداول الأدب لا تشاب بريف من الضعة ، ولا تفرق فيها عبرات اليأس والحنول ، ولا ترق بكدر من الملق والرياء .

للعاشق في جداوله سلوة وللحائر على شطآنها اعتناء ، وللتأمل في موجاتها أمان ، وكل من اغترف منها لا يمسب نصب الشك ولا ظمأ الإلحاد ولا دوار التردد ، ولا قول التبع .

في محراب إقبال مذكبات الشعور ومرعفات الأحاسيس وموقظات الأمم وباعثات الهمم ، وما أدراك ما قارعات الشاعر وفارعات الجرب ، ومقنعات الخطيب ، ومحكمات الحكيم ، ولغات الفيلسوف ، وما ينطق إلا عن أمل الشرق ووحى الإسلام ، بما عليه ذو القوة المتين ، وتعالى الله ملهم الإنسان وواهبه عبقرية التعمق والخلق والإيمان .

في محراب إقبال وعلى مائدته ما تشتهي من ألوان الخير ، وما تنوق إليه من طرائف فيها للعقول متاع ، وللنفوس غذاء ، وللأرواح شفاء ، تسامى فن لم يبق في زاده القلى إلا الحب والإخاء والسلام والوفاء ، ولم ينشد من الحياة والأحياء إلا أن تحسم الشرور ، وتبقي الآثام حتى يخلو وجه الفضيلة وضاحا للإنسان .

على مائدة إقبال يمتاز الحديث من الطيب ، ويسفر ضوء الحق كأنه فلق الصبح ، فلا تنساب الأفاعي القاتلات من زيف الحضارة وبهرجها الكاذب الخداع .

في محراب إقبال تغنى النفس بما وسمها أن تغنى من شيع وري ، قستصم  
على الآراء الهدامة والنزعات الملوحة ، تلك التي تمحو آية الشرق في إجماده  
الموروثة ، وتقاليد التي أقامت عمود التاريخ ، ووجهت ركب الإنسانية في طريق  
سوى ، فشاقت ظلاً ، وراقت ماء ، وطابت جنى .

• • •

على مائدة إقبال تؤمن النفس بأنها ينبوع الحياة ، وتطمئن بأن الفلاح لمن  
زكاه ، والخسارة لمن دساها ، فتكبح جماح لجورها ، وتفسح السبيل لتقراها .

• • •

يا شاعر الشرق الإسلامي ١ . سلام عليك في الخالدين وتحيات اليك مع  
الأبرار الطاهرين .

ويا أيها الشرق : هذه مائدة إقبال فاتخذ منها زاد الأجيال وعتاد الآمال ،  
واحفظ لشاعرك ذكره في الخالدين ، وسلام عليه في عليين ، ونم أجر  
العاملين النابغين .

## آداب الأكابر

سائر يوم ما عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح أمير المؤمنين العباسي بظهر  
مدينة الأنبار ، وهو ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس ، ويدور به ، فأشدد عبد الله :

ألم ترجو ما لما تبني بناء نفعه لبني بقية  
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

وكان أبو العباس له مكرما ، ولحقه معظما ، فتبسم مغضباً ، وقال : لو عملنا  
لاشترطنا حق المسيرة . فقال عبد الله : هذه من بوارد الخواطر ، وإغفال المسامح  
واقه ما قلتها عن روية ، ولا عارضني فيها ذكر ، وأنت أجل من أقال ، وأولى  
من صفح . فقال له العباس : صدقت ، فخذ في غير هذا .

# فَعَلِ الْمَوْلَى الْقَائِمَ بِالخِلافةِ

## أحسن القصص :

لقد وفق الاستاذ الكبير على بك فكرى إلى تهريب ما كان بعيدا عن الناس ومقصورا على المختصين منهم ، من البحوث الدينية ، والمسائل الشرعية ، لجمع ما يهم الجمهور القارىء ، من تلك البحوث والمسائل ، وأحسن تبويبها وترتيبها ، من الموضوعات التي تهتمهم ، ويكثر تساؤلهم عنها ، ووضعها على الترتيب والتبويب الذي ألفه متبعوه ، فكان منه لهم تهريب لما كان بعيدا عنهم ، ووضعها باللغة التي ألفوها فانتشر العلم بها بينهم ، بعد أن كان يدها حجاب لا يستطيعون اقتحامه ، وهذه خدمة لا يقدرها قدرها إلا الذين يعلمون أن في تعميم العلم بهذه البحوث والمسائل تعميما للعلم بالدين ، ونشرا لفضائله بين من كانوا يجهلون من أهل الجيل الجديد ، وسيكون فيما نرجى سببا لرقى هلى كبير ، وفاتحة لخير أدبى كثير . وقد قرطنا عددا يذكر من هذه المؤلفات .

واليوم تراها إزاء الطبعة الثالثة لكتاب من خير كتبه ، وهو أحسن القصص في تاريخ الأنبياء وهو يقع في جزئين أولهما تاريخ الأنبياء غدا أولى العزم منهم ، والثانى في تاريخ أولى العزم منهم ، ولا يخفى أن مقتضى هذا الموضوع يخوض بحراً لا ساحل له ، ويصادف فيه من أوامم المؤلفين ، وأهواء المبالغين ما يقف بالكاتب المثبت موقف الحيرة ، ويستدعى غاية الجهد في التمهيص والتدقيق ، وهو عمل شاق ، ذو تبعه لا يقدرها قدرها إلا العارفون . والذي تبين لنا من الاطلاع على ما قام به مؤلفنا النشط أنه سلك سبيلا من التمهيص تضع الأمور في نصابها ، ولا تنجأى الثابت من الأقوال في جعلتها ، فجاء عمله شاقا مضنياً وجهاده عنيفا مجدداً . وقد ظهر في هذا المؤلف الطبعة الثالثة فذاشكر له عمله الحسن ، وخدمته القيمة ، ونرجو له التوفيق .

## تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى

يحتفل المسلمون وخاصة في القرون المتأخرة بالمولد النبوى في جميع البلاد الإسلامية ويتساءل الكثيرون هل لهذا الاحتفال من أصل في عاداتنا الدينية ، وكان قدامونا يحتفلون به ، وإلى حد زدنا فيه أو نقصنا منه ؟ وقد أورد حضرة الأستاذ الجليل الشيخ حسن السندوف رئيس مكتبة وزارة الأوقاف بقبة الغورى مؤلف الكتاب الذى نحن بصدد مثل هذا السؤال عن بعض إخوانه ، وانتهى حوارهم فيه إلى رجائه بوضع تاريخ له ، فأجاب دعوتهم ووضع هذا الكتاب الثمين . وكان عما قاله في هذا الموضوع :

« ولا أريد أن أقترح ما لاقيت — في تحقيق هذه الفكرة وإبرازها على أفضل ما رأيت من الوجوه الصالحة — من العنت والارهاق ، لأن أبواب هذا الموضوع موصدة في وجه مستفتحها ، ومغاليقه محكمة أمام طارقيها ، وذلك لأن جمهور المؤرخين وكتاب الأخبار لم يعطوا هذا الأمر شيئاً مما يستحقه من العناية والاهتمام . »

وليس يعلم ما يمانيه الكاتب المحقق في سبيل تحرير الصواب فيما يعرض له من بحوث ، وما يضحى به في تفريم أخطاء المؤلفين من قدماء ومحدثين ، وما يذل من دم القلب ، ونور البصر وضياح الزمن ، إلا من دفع في أمثال هذه المآزق :  
« وهذا كتاب يجد فيه العالم بغيته ، والباحث ديتته ، والأديب لذته ، وعجب الاطلاع طلبته ، فهو للعارف مسلاه ، وللشاذى معارف ومعلومات . »

وأما أشهد أنه كذلك . وهو فوق ذلك أثر قيم ، لأديب سجلت له الكتب والمجلات من هيون البحوث ، وروائع الطرف ما أضاف اسمه الى أسماء الخالدين .

وقد جعل كتابه مرتباً على الدول من عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا وهذا عمل يجمع إلى المنفعة الأدبية ، الثقة التاريخية ، ولست أذكر للقراء ما جعل أديبنا الكبير هذه البحوث التاريخية من بيانه الساحر ، وأدبه الرائع ، وطرائفه اليافة ، بما جعل كتابه روضة أدب وعلم وتاريخ ، فله ما الشكر الكثير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

قلنا في المقال السابق : إن الأمم في انتقالها الاجتماعية ، خلال الأدوار المتتابعة التي تتوالى عليها ، إنما تتأثر بعاملين قويين : عاداتها الموروثة ، ودياناتها ؛ وإن كثيراً ما جرحها التدافع بين هذين العاملين إلى شرور وفساد بين أحاديها . وكثيراً ما قصى عليها هذا التناحر بالاضلال والتلاشي . إلا الأمة الإسلامية ، فقد كان أمرها عجبا : بل كان آية خالدة لم يرو لنا تاريخ البشرية ما يشبهها ولا ما يقرب منها ؛ فأقرب الأديان إلينا وأشهرها اليهودية والنصرانية ، فالأولى كانت خاصة بين إسرائيل ، دعا إليها موسى صلى الله عليه وسلم ، فاختلف عليه قومه حتى هربوا بالته ، ولم تظم لهم دولة إلا بعد أدوار شتى . وأما النصرانية فكانت أبداً خطى من سابقتها حتى أنه لم تتأسس باسمها دولة إلا في سنة ( ٣١٣ ) على عهد الإمبراطور ( كونستانتين ) الروماني . أما الإسلام فلم يطل عهد الدهوة إليه أكثر من عشر سنين في مكة فلما هاجر منها محمد صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ، كان ذلك بداية للدولة الإسلامية ، وهي الديانة العالمية التي أرسل خاتم المرسلين لإعلانها للناس كافة ؛ فأرسل رسولها ليعامل الأمم التي كان يمكن الاتصال بها في ذلك العهد ، وهي الدولة الرومانية ، والدولة الفارسية ، والدولة الحبشية ، وغيرها ، كتباً يحيطهم بها بقيامها ، ويدعوهم للدخول فيها ، وينذرهم بالمثلات إن لم تنكبوا عنها . حدثت جلل لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر ، ولم يظم به محمد صلى الله عليه وسلم إلا بوحي من ربه ، وكيف كان يقدم على ذلك من تلقاء نفسه ، وهو على رأس قلة من الرجال لم يأمنوا على وجودهم بعد ، وكاوا إذا قاموا للصلاة تقدمت طائفة وحرسهم أخرى ، خشية أن يكبهم أعداؤهم وهم مجردون من أسلحتهم فلا تقوم لهم بعدها قائمة ؟ ولكن الحق جل وعز وعدم - وهم في تلك القلة يخشون أن يتخطفهم الناس - بأنه سيضعهم خلائقه في الأرض ، وأنه سيؤيدهم وينصرهم على أعدائهم ماداموا موفين بعهدم الذي عاهدوه

عليه ، وهو قوله : « وهذا الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمراً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

هذه آية اجتماعية لم يتم لها نظير في العالم كله ، وهي أن تتألف جماعة من طوائف شتى ، فتزداد هداً بسرعة لم نعهد في أي دور من أدوار البشرية ، ثم تنساح في الأرض بعد نحو خمسة عشر سنة من تألمها ، فتنتشر فيه ديناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتؤسس ملكاً قوى الدعائم ، ركين الأركان ، لا تعرب عنه الشمس ، يبلغ أهله في مائة وخمسين سنة من العلم والصنائع والمدنية ما يعوقون به العريقين فيها أنفسهم ، ويسمرون حاملين لواءها قروماً متوالية ينشرونها حيث حلت أقدامهم من بقاع الأرض .

نعم هذه كبرى الآيات الإلهية في تاريخ الإنسانية ، يرجع الفضل فيها إلى تعاليم الإسلام وإلى الروح التي يثبثها في القلوب ، والأسلوب الذي يسيطر به على العقول والميول . فالأمة الإسلامية التي تالت خلافة الله في الأرض ، وتولت زعامة العالم نحو ألف سنة ، وإن يكن أصابها من الفتور ما يصيب الجماعات البشرية ، تحت تأثير عوامل شتى ، إلا أنها لا تزال تذكر ما ضيها الماجد ، وتحن إلى استرجاعه ؛ ولا تشك في أنها تستعيده كاملاً غير منقوص متى أتم مصلحوها مهمتهم من استخلاص دينها عما شابها من البدع ، وما ألحق به مما ليس منه في شيء .

نرجع بعد هذا الاستطراد الذي كان لا بد منه ، إلى تجلية ما كنا بصده من بيان خصائص الإسلام في بناء الأمم ، وفي كفايته لتوفيته بمحاجاتها من عوامل النهوض ، وتداركه لما يساور هذا النهوض من فواعل التثييط ، وعلاجه لما يعتور تدرجها فيه من دواعي الانحراف ، دون أن تحتاج الأمة إلى ما جرت به سنن الاجتماع من الخلاف والتناحر الحزبي الذي يجر إليه ، ويدفع بمجموعها إلى التفتت الموجب لتفقرها أو لتلكؤها في أداء رسالتها آماداً طويلة ، هذه خاصة في الديانة الإسلامية ميزها الحق بها دون الأمم كافة .

ذلك لأن الديانة الإسلامية أوجبت محالية من جميع بواعث الشقاق بين العقل والعقيدة ، وبين جميع أطوار الترقى العلمي وأصولها الأولية ؛ فمن أية جهة يندس

الخلافاً لدى دويها بين المقول والمعقول ، أو بطرق التناقض في نظرم بين أصولها ومقتضيات الظروف ؟ هذه ناحية تحتاج لتفصيل بإليك :

قرر الإسلام أن الدين فطرة فطرة الله الناس عليها ، وأن أساسه الاعتقاد بخالق الكور ، وأنه واحد لا شريك له ، وأنه تدانى عن الأبصار فلا تراه عين ، وهن العقول أيضاً ، فلا يدرك كنهه عقل ، فكلمنا خطر بيالك ، فهو بخلاف ذلك . وأنه متصف بجميع صفات الكمال ، فهما بالغ المتكلمون ، وأطنب المؤمنون ، فاقه لا يحيط بكلمه وصف ، ولا يبلغ إلى مدى نفعه بيان .

فهذه العقيدة لا تقبل أى جدل ، ولا تحتل أى خلاف ، ولا تتسع لأية منازعة ، وبها أمن أمه كل ما بليت به الجماعات ، من شرور الظنون والأوهام ، ومن الإغراق فى التلاشى والخصام ، فإذا كان كل ما خطر بيالك فاقه بخلاف ذلك ، فن البث إضاعة الوقت فى التحديدات والتقييدات ، وفى كل ما يجر إليه محاولة التسكلم فى هذا الموضوع من المباحكات .

بهذا الطراز من العقيدة سد الإسلام باب الخلاف سدا محكما لا يجرؤ على محاولة فتحه إلا متعسف أو متزندق ؛ وبعد هذا الباب سلت جماعة المسلمين من شر مستطير ، هو الانقسام فى أصل العقيدة ، وتفرق كلمتها تبعاً لها ، ووقوع الاضطرابات المهددة لكيانها .

فلم لم يسلم المجتمع الإسلامى من متطولين ومتزندق ، لحارل بعضهم فتح هذا الباب على مصراعيه ، ولكمها كانت محاولات فاشلة ، لماقتضتها نص العقيدة مناقضة صريحة ، فلم تصل واحدة منها إلى مستوى تستطيع معه أن تدفع بجماعة المسلمين إلى الفرقة ، فاعتبرت كلها خوارج على الدين ، ثم آل أمرها إلى التلاشى والزوال ، وبقيت العقيدة الإسلامية إلى يومنا هذا قوية ، وجاء العلم فأيدها ، فأصبحت الوحيدة التى لا يحيد عنها ، وتابع المسلمون حركتهم الاجتماعية والمدنية لم تحل بينهم وبين بلوغ غاياتهم البعيدة أية عقبة .

يأتى بعد العقيدة فى الله ، العقيدة فى الرسل وفى الأديان ، وهى أيضاً كانت مناراً لمنازعات بين الجماعات لا تقف عند حد ، والإسلام فى هذه الناحية يقرر بأن النوع البشرى من يوم وجد كان فى حاجة إلى رسل يهدونه الطريق القويم ، ويلقونه مابه نجاحه فى هذه الحياة ، ونجاته فى الدار الآخرة ؛ وأمر أتباعه بالإيمان بهم أجمعين ، دون أن يفرقوا بين أحد منهم ، ودون أن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض .

فإن وُجد في مجتمعهم طوائف من أديان سابقة لا تؤمن بالإسلام ولا بخاتم المرسلين ، أمر المسلمون أن لا يتعرضوا لهم بسوء ، وأن لا يفرقوا في المعاملات بينهم وبين المسلمين ، وأن يدعوهم أحراراً في تقديم وعباداتهم ويسمهم وكنائسهم ، وأن يحوم حمايتهم لأنفسهم ، وأن يذودوا عنهم ذياتهم عن إخوانهم في الدين .

هذا الوضع الحكيم يحسم من أسباب المازعات والخلافات مالا يحصىه عد بين أبناء المجتمع الواحد ، فإدام المسلمون مأمورين أن يؤمنوا بجميع الرسل وأن لا يفرقوا بينهم ، وأن لا يتعرضوا لعقائد من تخلف من أهل الملل عن الدخول في دينهم ، وأن لا يفرقوا في المعاملات بينهم وبين أهل ملتهم ، فأى فتنة 'يقل أن تنشأ في مجتمع هذا شأن تحفظاته في هذه الناحية الحساسة ؟ وليس في القراء من ليس يدري أن هذه الأمور كانت ولا تزال مثار قلق اجتماعية في جميع الأمم ، حتى في الجماعات الأوروبية ، فإن في تاريخها حوادث من الاضطهاد أدت إلى مذابح بين البروتستنت والكاثوليك ، وبين هؤلاء جميعاً وبين اليهود كانت مثالا للوحشية البالغة ، والجاملية المنطرفة ، ولا ينسى أحدا ما حدث في فرنسا من قتل نحو خمسة وعشرين ألفاً من البروتستنت في ليلة واحدة ، ومن هجرة خمسمائة ألف منهم من فرنسا سنة (١٦٨٥) هرباً من الاضطهاد ، سارمين ووطنهم من صنائهم ومعارفهم ، وحاملينها إلى البلاد التي أووا إليها ، فكان ذلك خسارة هائلة لفرنسا لا تقدر .

وإذا كان هذا في فرنسا وكانت في مقدمة الأمم ثقافة وذكاء ، فإذا أنت ظان فيما حدث في سواها من الأمم الأخرى ؟ وليس في قرائنا من يجمل ما كان يحدث لليهود قبل الحرب العالمية الأولى من العنف والاضطهاد والتشريد في جميع الممالك الأوروبية حتى اضطروا لإنشاء وطن قومي لهم ، وضفت جميع الأمم عليهم بقطعة من الأرض ولو في مجامل إفريقيا ، وأخيراً تفضلوا عليهم بها ولكن على حساب المسلمين في فلسطين .

هذا من ناحية سمو التعاليم الإسلامية ، وقطعها لذرائع الاضطرابات الطائفية في جماعاتها من ناحية الخلافات الدينية . بقي علينا دراسة هذا الموضوع من الناحية الاجتماعية لتجلية عناصر المدنية فيها ؟

محمد فريد ومجدي

من ذخائر السنة :

## في أنهار الجنة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعان ، وسبعان ، والنيل ، والفُرات ، من أنهار الجنة » .

• • •

أورد القُدَامِي من أصحاب الروايات والأخبار ، آثاراً كثيرة في مؤلفاتهم ، تدلّ بحسب ظاهرها على أن نهر النيل وبعض الأنهار الأخرى من الجنة ، وقد أكثر الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » عند الكلام على النيل ومزايده وخصوصياته من ذكر هذه الآثار ، وأتى فيها بالمعجب العجيب .

وليس يعني في الواقع من كل هذه الآثار ، إلا ما جاءت به المصادر الصحيحة ، وأخرجته المراجع المعتمدة ، فهذه في الحقيقة « هي الجديرة بالنظر والتفكير والخليفة بالعناية والتقدير » ، أما ما عداها مما ورد في مدونات أخرى ، فالحظ به فيها سهل ، والأمر في قبولها أو ردّها لا يحتاج إلى جهد أو كبير عناء .

• • •

اتفق البخاري ومسلم في أحاديث الإسماء والمراجع ، على أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما بلغ سدرة المنتهى رأى أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقال : يا جبريل ما هذه الأنهار ؟ ، فقال : أما الباطنان ، فهبران في الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفُرات

وانفرد مسلم عن البخارى بإخراج الحديث الذى أثنائه فى صدر هذا الكلام ، واقظه : « سبحان ، وجحان ، والنيل ، والفرات من أنهار الجنة » .

وإزاء هذين الاثرين القويين الواردين فى مصدرين عظيمين ، اتفق علماء المسلمين فى المشرق والمغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصحّ منهما ، قد يقف المثقف المادى مترددا حائرا متسانلا عن قيمة ما ورد فى هذين الاثرين ، وعن معانيهما ومرماهما ، وعن مدى اتصالهما بالحقيقة ، ومبلغ اتفاقهما مع ما تحكم به المشاهدة : من مواقع هذه الانهار ومناكبها ومجاريها ومصباتها ، بل وقد يقف منهما بعض أصحاب العقليات الحديثة موقف الاستبعاد والإنكار .

ولو تمهل أولئك المتسائلون ، وترثيث هؤلاء المنكرون ، وكلفوا أنفسهم هذه الرجوع إلى آراء العلماء ، وجشموها مؤونة البحث عما قالوه فى تفسير دينك الاثرين ، وشرّح معانيهما ، وبيان المراد منهما : لظهر لهم وجه الصواب ، وانبلج أمامهم نور الحقيقة ، ولوفروا على أنفسهم ما يجلبه التساؤل والإنكار من نتائج ومؤاخذات .

قال النووى فى شرح مسلم : إن مياه هذه الانهار أصلها من الجنة ، وإنها تخرج من أصل سدرة المنتهى ، ثم تسير حيث أراد الله ، ثم تنزل إلى الأرض ، فتستقر فيها ، ثم تخرج منها ، وهذا لا يمتنع عقل ولا شرع ، وهو ظاهر الحديث ، فوجب المصير إليه .

وذكر القاضى هياض فى كون هذه الانهار من ماء الجنة تأويلين : أحدهما : أن الإيمان عمّ بلادها ، وأن الاجسام المنفذية بمائها صائرة إلى الجنة .

والثانى : أن لها مادة من الجنة . ولكن يجتدل إلينا أن أصحاب العقليات الحديثة ، سوف لا يعجبهم هذا الكلام ، وسوف لا يرضيهم رأى النووى ، ولا يروقهم تأويل القاضى ، وأنهم سيهتزون أكتافهم ، ويدنون أعطافهم ، ثم يعضون سراعا سادرين عابئين .

وإذا كان الامر لديهم كذلك ، فليدعوا رأيا آخر فى تفسير الحديث ، هلّه يشقى غلتهم ، ويروى ظمام ، ويذهب بما فى نفوسهم من ريب وشكوك ،

وهذا الرأي هو ما حكاه القرطبي عندما تناول هذا الموضوع بالشرح والبيان ، قال :

ولأنما أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيها لها بأنهار الجنة ، لما فيها من شدة المنوبة والحسن والبركة .

ونظن أن فيما حكاه القرطبي ما تضمنه العقليه الحديثة وتفسيره ، وما يكفي لإرضاء غلواتها ، وإدفاع تفكيرها الخاص بها .

• • •

أشير في أثر البخاري ومسلم إلى وجود نهرين باطنين في الجنة : وقد وردت الآثار أيضاً بأن في الجنة عيناً تجري يقال لها : السليل ، وأنه ينشق منها نهران ، أحدهما : الكوثر ، والآخر يقال له : نهر الرحمة ، فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران ، وقال مقاتل : النهران الباطنان هما السليل والكوثر .

فأما النيل ، فهو نهر مصر ، وقد ذكروا له مزايا كثيرة ، منها أن ماءه من أصعب المياه وأحضرها وأعذبها وأحلاها ، وأرواها وأمرأها ، وأعمها نفعا ، وأن أرضه من أحسن الأراضي ، وأغناها زروعاً وثماراً ، وأكثرها غلة وإنتاجاً وأعظمها خراجاً ، ومنها أنه يأتي أرض مصر في أوان اشتداد القَيْظ والحر ، ويبس الهواء ، وجفاف الأرض ، فييل التربة ، ويرطب الهواء ، ويلطف الجو ، وينعش النفس ، ويعتدل الفصل ، وتزدهر الحياة ، ومنها أنه يأتي من الجنوب إلى الشمال ، فيسكون فعل الشمس فيه دائماً ، وأثرها في تنقيته وإصلاحه متصلاً ملازماً .

وأما الفرات ، فهو نهر بغداد ، وقد خطأ الثوري من قال : إنه بالعراق ، وقال : هو فاصل بين الشام والجزيرة ، وكذلك خطأ من بقوله : الفرات ، بالناء المربوطة ، وقال : إنه الفرات بالناء المفتوحة في الخط في سالي الوصل والوقف ، والفرات في اللغة : الماء العذب جداً يقال للواحد والجمع ، ومنه قوله تعالى :

« وأسقيناكم ماء فراتا » ، ولعل في تسميته النهر المخصوص بذلك الاسم إشارة إلى ما يدل عليه هذا المعنى اللغوي .

وأما سيحان وجيحان ، فهذان عظيمان جدا ، وهما يقعان في بلاد الأرض ، وسيحان نهر أذنة ، وجيحان نهر المصيصة ، وهو أكبرهما ، قال صاحب النهاية في غريب الحديث : سيحان وجيحان نهرا بالعواصم عند المصيصة وطرطوس ، وهما غير سيحون وجيحون ، لأنهم اتفقوا كلهم على أن جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ ، واتفقوا على أنه غير جيحان ، وكذلك سيحون غير سيحان ، ولم يذكر هذان النهران في حديث الإمراء ، لكونهما ليسا أصلا برأسهما ، والاحتمال أن يكونا متفرعين عن غيرهما .

وبعد ، فذلك هي آراء العلماء في بيان معنى كون هذه الأنهار من الجنة ، فمن استطاعت عقليته أن تهمضم مثل رأى الوردى ، أو تأويل القاضي ، فليأخذ بهما ، أو بأيهما شاء ، ومن لم تستطع عقليته أن تقبل شيئا من ذلك ، فليأخذ بما حكاه القرطبي ، فإن التشبيه لا حرج فيه ، ولا مصادة فيه بين العقل والمنطق والرأى السليم ، والمقاييس العلمية الصحيحة ، ولم يسمع أحد مطلقا ، لا من أصحاب العقليات القديمة ، ولا من أصحاب العقليات الحديثة ، بل لقد بلغ من أمره أنه كلما كان أقرب إلى العرابية ، وأدنى إلى المغالاة ، وأشبه بالبحال ، كان بذلك أدخل في باب الحسن والجمال والبلاغة ، ولأنه لا يشك شك في أن مياه هذه الأنهار عذبة حلوة ، سائغة للشاربين ، مستلذة للمتذوقين ، راوية للظامئين ، وأنها حسنة في المنظر ، جميلة في المرأى ، ممتازة في الموضع ، بديعة في انسكابها وانعطافها ، بهيجة في وداعتها وهديرها ، وأنها تمود على البلاد التي تجري فيها بالخصب والخاء ، واليسر والرخاء ، والخير والبركة ، وهذه المعاني كلها مشتركة بينها وبين أنهار الجنة ، فيكون حمل الحديث على التشبيه أسلم وأحكم ، وأبعد به عن الاندفاع في تيار الجدل ، وأنأى عن مجال التجريح والتضعيف ، وأرضى للعقليات التي تميل إلى الأخذ بالواقع الملموس .

## مِنْ فِقْهِ عُمَرَ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني  
المفتش بالأزهر

عما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه منع المؤلفة قلوبهم من نصيبهم المفروض لهم في الزكاة بقوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » ، وعمر بن الخطاب كان ذا بصر بالفقه مع ورع وتقوى في الدين ، فكيف سوغ لنفسه أن يخالف آية صريحة كهذه الآية ، وكيف وقتت حكمها بقوله : « ذاك حين كان الإسلام ضعيفاً ، أما وقد أعزه الله فالسيف يتنا وبين من خرج عليه » .

وقد تمسك بعض الناس بصنيع عمر هذا ، وزعموا أن المصلحة حاکمة على ما سواها من الأدلة ، ولو كان نصاً في كتاب أو سنة ، وأيدوا هذا أيضاً بتصرف آخر لعمر في مسألة الطلاق الثلاث ؛ وذلك أن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وفي أول خلافة عمر ، كان يقع طليقة واحدة ، ثم رأى عمر أن يلزم الناس بوقوعه ثلاثاً لمصلحة رجحها ، هي أن الناس تتابعوا على ذلك وأكثروا من الخلف به ، واستعملوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فكانت المصلحة في أن يحضبه عليهم ، وقد وافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعدهم ، وأصبح ذلك هو الحكم المقتضى به ، المعمول عليه في المذاهب الأربعة المعروفة

قالوا : إن الشارع قد جعل قول الرجل لامرأته : أنت طالق ثلاثاً سبياً في وقوع طليقة واحدة ، فهذا حكم وضعي ليس لأحد إلا للشارع<sup>(١)</sup> ، فكيف

(١) الحكم الوضعي هو جعل الشيء سبياً أو شرطاً . . الخ والذي يحكم بهذا الجمل هو الشارع ، وذلك كجعل ذلك الشمس سبياً في وحوط الظهر مثلاً ، ومنه ما مما ما من جعله لفظ الطلاق بالثلاث سبياً في وقوع واحدة ، فليس لأحد أن يجعله سبياً في أكثر .

ساغ لعمري أن يجعل اللفظ سبياً لوقوع ثلاث طلفات وهو ، يعلم أن سببية الشيء لشيء إنما تكون بحكم الشارع ، فهو الذي يجعل صيغة ما سبياً لثبوت حكم ما . وإذن فلا بد أن يكون عمر قد سلك في الأمر مسلكاً آخر ، هو تغليب مصلحة الناس على العمل بهذا الحكم الثابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعما ذكره في ذلك أيضاً ما رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر يادى ، من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فوجده عمر فردده وقال : « إذن يتكلموا » وكذلك رد عمر أبا هريرة عن فعل ذلك في حديث صحيح ، وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة .

وقد خرج بعض العلماء صنيع عمر في هذه المسائل الثلاث ، ونحوها بتخريج الخصم فيما يأتي :

١ — قالوا في مسألة المؤلفات قلوبهم : إن عمر رضي الله عنه لم يبطل النص ، ولم يحكم عليه بالمصلحة ، وسأشاه أن يفعل ذلك ، فإن النص خالد ، والمصلحة مارة الشارع ، وإنما فهم عمر أن الله سبحانه وتعالى جعل نصيباً للمؤلفات قلوبهم : حيث كان الإسلام في حاجة إلى تأليفهم واحتضانهم ، لأنهم كانوا أهل جاه ورياسة في أقوامهم ، فلو أسلوا أسلم من وراءهم من الاتباع فمز بهم الإسلام وكثر سواده ، أما وقد أصبح الإسلام عزيزاً ، وأصبح أهله كثرة تخشى وترجى ، فلم يعد به حاجة إلى تأليف أحد ، فهو يرى بهذا أن النص على إعطائهم مقيد بهذه المصلحة ، دائر معها وجوداً وعدماً ، فإذا وجدت مصلحة في التأليف بالمال في أي عصر من العصور ، جاز للإمام على هذا أن يدفع نصيباً لمن يرى تأليف قلوبهم ، والانتفاع بجاههم وما يفيدون الإسلام والمسلمين ، وإذا لم يظهر في ذلك مصلحة فلا يجب دفع هذا النصيب ، وكان النص مصرح فيه بهذا القيد ، وأرى أن عمر قد لمح هذا المعنى من العبارة عنهم بلفظ « المؤلفات قلوبهم » ، فهو يفيد أن هناك تأليفاً لقوم ، والتأليف لا يكون إلا حيث يرى أن المصلحة قاضية به ، وإلا كان صرفاً للبال في وجه آخر قد يسمى إحساناً مثلاً ، أو إعطاء أو نحو ذلك ، بحيث سماه « تأليفاً » فقد دل بذلك على أنه يريد معنى تقر بهم للإسلام ليفيدوه ، فالعبرة إذن بالفائدة .

ومن هذا يتبين أن عمر رضى الله عنه لم ينسخ النص أو يزعم أنه نسخ ، ولكن النص باق ؛ لأنه لم يكن فى أى وقت نصاً مطلقاً ، وإنما هو من أول أمره مفيد وقد ظل كما هو وسيظل إلى يوم القيامة .

٢ — وقالوا فى مسألة الطلاق الثلاث : إن عمر رضى الله عنه لم يشرع بسببية لفظ لغير ما شرعه الشارع ، وإنما نظر عمر فطرة أخرى ؛ ذلك أنه إذا طلق الإنسان امرأته طلاقاً ثلاثاً فى لفظ واحد ، ووقع بذلك طلقة واحدة كما كان العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبى بكر وأوائل عهد عمر ، فعنى ذلك أن الزوج حقاً فى مراجعة زوجته بعد هذا اللفظ ، والمراجعة أمر مباح كسائر ما يباح للناس من طعام أو شراب أو تزوج أو نحو ذلك ، غير أن عمر رأى استخفاف الناس بمخالفة السنة قد استشرى دأؤه ، فرأى أن يحرم الناس من هذا الحق الذى كان لهم ، كالو رأى حاكم لمصلحة ما أن يمنع الناس من إيقاد الأضواء بعد ساعة معينة خوف إغارة الأعداء مثلاً ، كما كان يحدث فى زمن الحرب ، فحرمان أصحاب الحق المباح من استعمال حقهم لمصلحة قاضية به لا يعد حكماً بسببية صيغة فى شيء لم يجعلها الشارع سبباً له .

وبهذا يتبين أن عمر لم يشرع حكماً وضعياً ، وإنما قيد استعمال المطلقين لفهمهم فى الرجعة .

٣ — أما المسألة الثالثة فظاهر أن عمر لم يرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف وهو خير من الرسول الكريم عن الله رب العالمين ، ولكنه لم يحد فى الناس استعداداً حينئذ لتلقى هذا الخبر ، وغاف عنهم أن يتكلموا ، وأن يضعف جهادهم ونصرهم وتضحياتهم فى سبيل الله .

وقد يقول قائل : أليس قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالداء فى الناس بهذا ؟ فما بال عمر يرد هذا الأمر فأقول : لم يكن رد عمر رداً للمعنى الذى قرره الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه رأى رأاه فى مناسبة ذلك لمصلحة الناس ، أو عدم مناسبتها فى خصوص هذا الوقت ، وكفى لعمر من مراجعات مع الرسول الكريم كان يتلقاها بالنبول ، وشتان بين النظر فى تأجيل الإخبار بحكم أو التخصيص به ، وبين نقضه ورد معناه .

## سيبويه

لفضيلة الأستاذ الجليل الدكتور محمد محمد بن الفحام  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

كنيته ، اسمه ، نسه :

أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحرث بن كعب . وقيل مولى  
آل الربيع بن زياد الحارثي من أصل فارسي ، وقد جاء اسمه واسم أبيه واسم جده  
في شعر اللخخشي :

الأصلي الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر  
فإن كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أصحاب منبر  
وسيبيوه لقب له ، تغلب على اسمه وكنيته فاشهر به ، وهو لفظ فارسي  
مركب ، ترجمته العربية : رائحة التفاح .

وقد اختلف في توجيه تلقيه بهذا الاسم ، فقيل : لأن أمه كانت ترقصه  
بذلك في صغره ، وقيل : كان من يلقاه يشم منه رائحة الطيب ، وقيل : كان يعتاد  
شم التفاح ، وقيل : لقب بذلك للطفاته . وقال إبراهيم الحربي : سمي سيبويه :  
لأن وجنتيه كانتا كأهما تفاحتان ، وكان في غاية الجمال .

وأهل العربية يضبطون هذا الاسم ونحوه - مثل نبطويه ، وخالويه - بفتح  
الواو وسكون الياء . والعجم يقولون : سيبويه ونبطويه ، بإسكان الواو وضم  
ما قبلها وفتح الياء .

وقد جاء هذا الضبط في شعر لابن بسام ، يذم فيه نبطويه :

رأيت في النوم أبي آدمأ صلى عليه الله ذو الفضل  
فقال : أبلغ ولدي كلممن كان في حزن وفي سهل  
بأن حوا أمهم طالقإن كان نبطويه من نسل

وما ذكرناه من أن ترجمة « سيبويه » هي « رائحة التفاح » هو المشهور في كتب النحاة والمؤرخين العرب ، واستظهر بعض المستشرقين : « ف. كرنكور » أن الترجمة الصحيحة هي « تفاحة صغيرة » لا « رائحة التفاح » .

### تاريخ ومكان ولادته :

لم يعرف بالضبط تاريخ ميلاده . أما مكان ولادته فقريبة من قرى شيراز تسمى البيضاء ، بلدة الحسين الخلاج المتصوف المشهور ، والقاضي البيضاوي المفسر الشهير .

### نشأته العلمية :

ترك سيبويه البيضاء ، مسقط رأسه وهو صغير ، وذهب إلى البصرة يدرس الفقه والحديث على إمام الحديث ، وشيخ أهل البصرة في العربية إذ ذاك ، حماد ابن سلمة بن دينار ( المتوفى سنة ١٦٧ هـ ) وكان سيبويه يستمل عليه يوماً .

فقال حماد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء ، فظن سيبويه أن حماداً لحن في الحديث ، فاستعمل المصوب مكان المرفوع ، فرد على حماد قائلاً : « ليس أبو الدرداء ، فقال حماد : « لحن يا سيبويه ، فقال سيبويه : « لا جرم ، لا طلعن علياً لا تلحنن فيه أبداً » .

ثم لزم الخليل واتقطع لدراسة النحو ، حتى بلغ فيه الغاية ، وصار أعلم أهل عصره ، واستحق بمجادة أئمة ، إمام البصريين .

وقد حلد اسمه ، وأبقى ذكره في الناس كتابه العظيم ، الذي لم يسبقه إلى مثله أحد من المتقدمين ، ولم يجاراه في تأليفه أحد من المتأخرين ، فكلمهم عيال عليه .

### شيوخه :

أشهر شيوخ سيبويه الذين اتصل بهم ، وأقاد منهم خمسة :

١ — عيسى بن عمر النخعي ( المتوفى سنة ١٩٤ هـ ) وكان قد ألف كتابين في النحو ، الإكمال والجامع ، ولم يوقف لها على أثر . وفيهما يقول تليذه الخليل .

بطل العو جميعاً كله غير ما أحدث هيسى بن عمر  
 ذاك لإكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر  
 ٢ - الخليل بن أحمد ، صاحب كتاب العين ، وواضع علم العروض  
 (المتوفى سنة ١٧٥ هـ) حكى سيبويه في كتابه الكثير من المسائل عن الخليل ،  
 وكلما قال في كتابه : « وسأله ، أو قال . » قال . من غير أن يذكر الفاعل وإنما  
 يعنى الخليل . فإذا حكى قولاً عن الخليل ثم أردفه بقوله : « وقال غيره . » وإنما  
 يعنى بذلك نفسه . سيبويه ، « وهذا مظهر من مظاهر أدب سيبويه مع استاذه ،  
 وكان الخليل يحله ويكرمه . قال ابن النطاح : كنت عند الخليل يوماً ، فأقبل  
 سيبويه ، فقال الخليل : « مرحباً برائر لا يمل . »  
 قال أبو عمرو الخزومي - وكان كثير المجالسة للخليل - « وما سمعت الخليل  
 يقرها لأحد إلا لسيبويه . »

٣ - يونس بن حبيب (المتوفى ١٨٢) ، وكانت له بالبصرة حلقة يختلف  
 إليها الأدباء وفصحاء العرب ، وأهل البادية ، روى عنه سيبويه كثيراً وسمع منه  
 الكسائي والفراء ، وقال أبو زيد الأنصاري : جلست إلى يونس بن حبيب عشر  
 سنين ، وجلس إليه قبل خلف الأحمر عشرين سنة . عاش يونس نحو تسعين سنة  
 لم يتزوج فيها ، ولم يتسر .

٤ - الأخفش الأكبر ، عبد الحميد بن عبد المجيد المتوفى سنة (١٧٧) هـ  
 أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا  
 إذا فرغوا من القصيدة فسروها ، ونقل عنه سيبويه كثيراً في كتابه فقال :  
 وسألت أبا الخطاب .

٥ - أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٥) هـ . صاحب كتاب النوادر .  
 وكان عالماً بالنحو واللغة ثقة .

قال أبو زيد هذا : « كان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي ، وله ذؤابتان . فإذا  
 سمعته يقول : « حدثني من أتق بعريته ، وإنما يعينني . »

تاريخ ومكان وفاته :

اختلف في تاريخ وفاته : فقليل مات في سنة إحدى وستين ومائة (١٦١) :

وقيل سنة سبع وسبعين ومائة (١٧٧) : وقيل سنة ثمانين ومائة (١٨٠) ، وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة (١٨٨) : وقيل سنة أربع وتسعين ومائة (١٩٤) ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وقيل ميف وأربعون . واختلف أيضا في المكان الذي مات فيه . فقيل : مات بالقرية التي ولد فيها ، البيضاء . وقال ابن قانع : مات بالبصرة . وقال ابن الجوزي : توفي بمدينة ساوة .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أن سيبويه مات بشيراز وقبره بها ، ورجح هذا القول : لأن ابن دريد خير بأخبار البصريين ، ثقة فيها . قال أبو سعيد الطوال : رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات مكتوبة : - وهي لسليمان بن يزيد المدوي - .

ذهب الأحبة بعد طول تزاور      وماى المزار ، فأسلموك وأقشعوا  
تركوك أوحش ما تكون بقفرة      لم يؤنسوك ، وكربة لم يدفعوا  
وقضى القضاء وصرت صاحب حفرة      هنك الأحبة أهرضوا وتصدعوا  
وكان سيبويه - رحمة الله - كثيرا ما ينشد هذا البيت .

إذا بل من داء به ظن أنه      نجما وبه الداء الذى هو قاتله  
كتاب سيبويه :

لم يؤلف سيبويه إلا كتابا واحدا ، عرف عند أهل العربية بإسمه الكتاب ، وهو أقدم كتاب وصل إلينا ، مؤلف في علم النحو . ولم يصدره مؤلفه بمقدمة كمادة المؤلفين ، ولكنه بدأ بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين .

هذا باب علم ما السكلم من العربية . الخ .

والكتاب شاهد بفضل مؤلفه ، وسعة إطلاعه ، وغزارة علمه ، فلم يترك من مسائل النحو صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ونسب فيه إلى كل من شيوخه أقواله . وكان ثقة في كل ما قال .

روى عن أبي عبيدة أنه قال : قيل ليونس بعد موت سيبويه : إن سيبويه صنف كتابا في ألف ورقة من علم الخليل : فقال يونس : ومتى سمع سيبويه هذا

كله من الخليل ؟ جيئوني بكتابه ، فلما رآه يونس قال : يجب أن يكون قد صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عن ،  
وقال الجاحظ : « لم يكتب الناس في النحو كتابا مثل كتاب سيويوه ،  
وجميع كتب الناس عليه هيال » .

### شراح الكتاب .

تناول كثير من العلماء كتاب سيويوه بالشرح والتعليق . فمن شراحه :  
السيرافي ، وابن السراج ، وابن خالوية ، ومبرمان ، وابن الباذش ، والشلوپين ،  
وابن خروف ، والبطلاني ، ومسي ، والرماني ، وابن الضائع .  
ومن شرح شواهد : السيرافي ، وابيه يوسف ، والرخشري ، والشفتري ،  
ويحيى بن عبد المعطى صاحب الألفية المشهورة .

ومن تعقب سيويوه أبو بكر الزيدى الأندلسي المتوفى بأشبيلية سنة ٣٧٩  
فقد ألف كتابا سماه ، الاستدراك على كتاب سيويوه . وقد أقر هذا الكتاب  
بمناية المستشرق الإيطالي . جويدى ، وطبعه بمدينة روم سنة ١٨٩٩ وصدره  
بمقدمة باللغة الإيطالية .

### طبقات الكتاب .

طبع كتاب سيويوه ثلاث مرات :

الأولى بالمطبعة الأهلية بباريس سنة ١٨٨٣ بنهاية المستشرق دِرْ نُجُورِج  
والثانية بكلكتا سنة ١٨٨٧ . والثالثة بمطبعة بولاق الأميرية سنة ١٨٩٦ .  
وتتماز طبعة باريس بأنها مصدرة بمقدمة طويلة باللغة الفرنسية بينت  
مسودات الكتاب ، وأمكنه وجودها ، ونبذة من تاريخ سيويوه ، وطائفة من  
النحاة الذين اشتغلوا بكتابه .

وتتماز طبعة بولاق بأنها مزينة بنيف من شرح السيرافي ، وشرح شواهد  
الاعلم الشنتشيري المسمى « كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر  
الأدب في علم مجازات العرب » .

وقد ترجم كتاب سيويوه إلى اللغة الألمانية ترجمة المستشرق الألماني Jahn جهن ،  
وطبعت ترجمته الألمانية ببرلين سنة ١٨٩٤ م ولا نعرف أنه ترجم إلى لغة أخرى .

# مفردات فلسفية

لمفضلة الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ بكلية أصول الدين

تحدثنا في الكلمة السابقة عن مسألة الكليات أو الماهيا العامة ، ونشأتها في التاريخ ، وكيف صارت مشكلة لها خطرها وبخاصة في المصور الوسطى ، وأشرنا إلى أن وجه الإشكال فيها ، من ناحية المعرفة والوجود ، هو معرفة ما إذا كان هناك وجود حقيقى لهذه الماهيا خارج الأشياء التى توجد فيها وجودا حسيا : أو أنه ليس لها وجود إلا فى هذه الأشياء فقط : أو أنها ليست إلا أسماء لا حقائق لها ولا تدل على أى ضرب من ضروب الوجود . ثم أشرنا إلى أن الخلاف فى هذا كله كان من هذه المذاهب :

١ — المذهب الواقعى Réalisme

٢ — المذهب الاسمى Nominalisme

٣ — المذهب التصورى Copceptualisme

واليوم نتناول بالبحث هذه المذاهب الثلاثة

\*\*\*

## المذهب الواقعى :

يذكر الأستاذ لالاند A. Lalande ، لهذا المذهب معان ودلالات مختلفة حسب المصور وحسب نواحي المعرفة المتعددة ، ومن هذه المعانى نذكر ما يلى :

١ — مذهب أفلاطونى يرى أن الكليات ( كالحياة والإنسانية ) أدخل فى الحقيقة والوجود من الكائنات الفردية المتشخصة ( مثل هذا الحيوان

ومذا الإنسان اللذين أراهما أمامي ) التي تتمثل فيها هذه الحقائق ، والتي ليست إلا ظلالا وصورا لهذه الكليات أو المعاني العامة "les idées".

ب — وفي العصر الوسيط صار هذا المصطلح يدل على المذهب الذي يعتبر أن هذه الكليات العامة لها وجود مستقل عن الأشياء التي تظهر فيها . فالإنسانية لها وجود خارجي مستقل عن هذا الإنسان ؛ وكذلك الجمال والعدالة مثلا ، لكل منهما - كاهية أو فكرة عامة - وجود مستقل عن الشيء الجليل والعمل العادل . وبهذا المعنى ، يكون مقابلا للمذهب الاسمي والمذهب التصوري ، ولكن من وجهتي نظر مختلفتين على ما ستعرف .

ج — وبراديه عند الرياضيين المعاصرين الفكرة التي تقول بأن الأشكال والحقائق الهندسية ، أو الرياضية بصفة عامة ، ليست من اختراع العارف العالم بها ، بل إنها موجودة قبله ، وعمله ليس إلا كاشفا لها ، أي - كما نقول في الأزهر - عمله ليس إلا مظهرها ، لا مثلتها .

د — وفي علم الجمال قد يراد بهذا المذهب أن الفن ليس له أن يبحث في أن يمثل لنا وجودا أعلى مما هو موجود في الطبيعة ، أي أنه ليس له إلا أن يعز لنا الخصائص الحقيقية الأساسية لما هو موجود فعلا .

هذا ما نختاره مما ذكره الأستاذ أندريه لالاند ، ، ومنه نعرف أن أصحاب هذا المذهب يرون بصفة عامة أن المفاهيم العامة موضوعية ، وأن لها وجودا أقرب للحقيقة من وجود الكائنات المحسوسة . ومن هؤلاء الذين ذهبوا هذا المذهب قبل أفلاطون ومن أخذ أخذه ، من غلو إلى درجة تقرير أن هذه الكليات لها وجود ومتحقق خارج الذهن سابق على وجودها في الأشياء التي تتمثل فيها .

• • •

### المذهب الاسمي :

يقابل هذا المذهب المذهب الواقعي ، إذ كل منهما في طرف مقابل للطرف الآخر . ذلك بأن المذهب الاسمي ، هو مذهب الذين يكرون حقيقة ووجود المعاني أو المفاهيم الكلية ، فلا يرون فيها إلا كلمات وأسماء اصطلاح عليها للدلالة على ما تشير إليه من معان ومدركات .

وعلى هذا المذهب ، لا تكون ماهية الإنسان ، أى الحيوان الناطق ، لها وجود خاص ، وحقيقة مجردة يسبق وجودها وجود الاناس نفسها كما يقول أفلاطون . بل لا تكون هذه الماهية إلا ، اسماً ، يدل على هذا الإنسان ، وذاك الإنسان الآخر ، دون أن تكون حقيقة قائمة وحدها بنفسها .

والخلاف بين هذين المذهبين ، فيما يختص بمسألة المعرفة خلاف خطير ، نشأت عنه معارك عنيفة في العصر الوسيط . ونعتقد أنه لا يزال لهذا الخلاف أثره حتى اليوم ، ما دام لا يزال لكل من المذهبين ممثلون في هذه الأيام ، كما نعتقد أن في كل من هذين معالاة ، وأن الحق قد يكون في الاعتدال والتوسط بينهما .

• • •

#### المذهب التصوري :

لهذا المصطلح . كأغلب سائر المصطلحات الفلسفية ، دلالات مختلفة ، نختار بعضها هنا :

١ — إنه مذهب من يرى أن الكليات لا توجد في نفسها ، لا قبل الأشياء ولا في الذوات التي تتكون هذه الأشياء . ولكنها ليست إلا من عمل العقل وخلفه ، هذا العقل الذي يتزع الماهية العامة للشيء من الخصائص الثابتة في أفرادها جميعاً . وإذا ، فلا تكون الكليات ، حسب هذا المذهب ، موجودة وجوداً مستقلاً كما يقول الواقعيون ، ولا مجرد أسماء كما يرى الاسميون ، بل لها وجود ، ولكن في العقل فقط ، وهذا الوجود يتزع عن الأفراد كما قلنا .

٢ — ويذكر الأب . إيل بلان Elie Blanc ، في قاموسه الفلسفي ، أن هذا هو مذهب . أبيلارد - Abélard ، المبسوف الفرنسي المعروف . وهو كأنه مذهب وسط ، بين المذهب الحقيقي والمذهب الاسمي ، إذ بحسبه تكون المفاهيم العامة تصورات للعقل .

ومثل هذا نجد في قاموس : لاروس الجديد ، ثم يزيد أن المفهوم العام إن فصل من الأشياء التي يتمثل فيها ، لا يكون حقيقة في نفسه كما يقول الحقيقيون ، ولا مجرد لفظ أو اسم كما يرى الاسميون ، ولكنه يكون تصوراً للعقل يجمع الخصائص الثابتة العامة لأفراد هذا الجنس ، أو الفصل جميعاً .

هذا، وأخيراً مذكر أن الناظر لشرح المواقف للإريحي وحاشية السالكوتي، قد يسمى هذا المذهب بالمذهب الصوري، لا بالمذهب التصوري. فقد جاء بالجزء ٢: ص ١٧٠ من طبعه مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ م عند الكلام على الكلام على المقصد الرابع في الوجود الذهني، بأن الأشياء في الخارج أعيان، وفي الذهن صور. كما جاء أيضاً ج ٢ ص ١٦٩، بأن الوجود الخارجي أو العيني، هو وجود لأشياء في نفسه، بخلاف الذهني فإنه وجود لصورته. . . . . ولكننا، مع هذا، آثرنا تسميته هذا المذهب بالمذهب التصوري، إذ أخذت هذه التسمية حظاً من الذبوع والقبول هذه الأيام.

## الشعر الفحل

من أعلى طبقات الشعر ما قاله أبو هبادة البحري في الوزير الفتح بن خاقان يعصف مقابلته له ويمدحه :

ولما حضرتا سدة الاذن آخرت      رجال على الباب الذي أنا داخله  
فأفضيت من قرب إلى ذي مهابة      أقابل بدر النم حين أقابله  
إلى أن قال :

نسليت فاعناقت جناني هينة      تنازعني القول الذي أنا قائله  
إلى مسرف في الجود لو أن حاميا      لديه لأضحي حاتم وهو عاذله  
فلما تأملت الطلاقة وأنتى      إلى يبشر آفستى مخايله  
دنوت فقبلت الندى من يد أمرى      جميل يحياه سباط أنامله  
صفت مثل ما تصفو المدام خلاله      ورقق رقى النسيم شمائله

# لغويات

لمضية الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

## صفار اللون

يتردد هذا في ألسنة العامة . ويظن كثير أن هذا لا يجافي العربية ، فالصفار كالسواد والبياض وعلى وزهما ، وهذا يدخل على الروم صحة استعمال الصفار . ولقد غر هذا الأستاذ اللغوي القدير عبد القادر المغربي ، وذكر في كتابه « عثرات اللسان » الذي نشره في هذه الأيام كلمة « الصفار » فيما تخطيء العامة في شكله وضبطه وأقر الصيغة ، وإنما الخطأ عنده في فتح الصاد وهي في العربية مضمومة . على أنه يرى أن هذا الخطأ في الشكل إنما هو على حسب ما في المعاجم ، وهو يرى أن لا بأس بتصويب ما يطق الناس بالفتح قياساً على السواد والبياض . وهندي أن الصيغة والزنة خطأ في اللغة ، وإنما هي العُصفرة ، وما رأينا أحد ذكر الصفار في موضع العُصفرة . وإنني أسوق كلامه في كتابه ثم أعقب عليه : « صفار اللون صفرته . وصوابه ضم الصاد وهم يفتحونها ، ويقولون : صفار البيض ، ورجع فلان بصفار الوجه . أقول : لكنني لم أجد كلمة صفار إلا في اللسان . وهذه عبارته : والصفار صفرة تملو اللون والبشرة ، وصاحبه مصفور ، وضبط الصفار بضممة فوق الصاد . وتبعه صاحب أقرب الموارد فقال : الصفار - بالهمز - صفرة تملو اللون والبشرة ، وانظر لماذا لم تكن صفار بفتح أولها كأخواتها : سواد وبياض وخضار ، . وأقول : إن الوارد في اللسان هو الصفار على أنه دام يصفر منه اللون والبشرة ، ولما كان دام جاء على صيغة الأدواء . ففعال ، ولم يجيء على صيغة اللون ، وانظر قوله : « وصاحبه مصفور » أي مصاب بداء العُصفار ، وما عهد في وصف اللون مفعول : وإنما الوصف من الاصفرار أصفر

كما هو معروف والصنفارداء في البطن ويقول فيه صاحب القاموس ، إنه الماء الأصفر يجتمع في البطن ، ويقول ابن القوطية في أعماله : « صُفِرَ صُفْراً . أصابه الصفار : داء في البطن » . فترى أن ليس حديث اللسان في صفار اللون كما فهم الأستاذ المغربي . وترى الأستاذ يثبت الخضار لونا للخضرة ، ولم أر هذا ، والخضار - كما في القاموس - : اللبن يُمدَّق بالماء ويُخلط . فالخضار والصفار لا مد لها في العربية . و صفار البيض لا يقال ، وإنما هو صفرة البيض ، أو مَخْ البيض أو عته أو صفراؤه . ولا يقال صفار الورق بالفتح ولا بالضم .

### على حسن الخلق ، وهو محبوب

وفي كتاب « عثرات اللسان » أيضا مخطئة العامة في تسكين هاء . وإذا دخل هليما واو العطف كما في هذا المثال ، وهو يقول : « ( وهو ) ضمير هو بضم الهاء ، فإذا أدخلت عليه واو العطف قلت : وهو ، أى يابقاء الهاء مضمومة . لكننا نسلمهم يقولون : وهو ، بتسكين الهاء ، ألا يكون هذا خطأ من قولهم ايلي ، ولكنه في علم العروض جائز ، يريد أنه جائز في ضرورة الشعر لا في النثر والاختيار . وتسكين هاء هو بعد واو العطف جائز في الشعر والنثر ، وقرئ به في القراءات المتواترة ، ولهذا حرصت على التنبيه عليه في هذا الموطن خشية أن ينكر على بعض القراءات الصحيحة ، ويقول الرضى <sup>(١)</sup> في شرحه للكافية : « وتسكين هاء هو وهي بعد الواو والفاء ولام الابتداء جائز ، وفي تفسير <sup>(٢)</sup> النيسابورى على هامش الطبرى : « وهو وبابه يسكون الهاء أبو جعفر ونافع غير ودرش وهلى وأبو عمرو » . وفي تفسير الخطيب الشربيني عند قوله تعالى في سورة البقرة : وهو بكل شئ عليم : « وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي » : وهو يسكون الهاء ، والباقون بضمها » .

### لم يسافر محمد بعد ، ما قدم على بعد

يجرى على ألسنة الناس هذا الأسلوب . تقول : هل سافر فلان ؟ فيقول المستول : لم يسافر بعد . والمفهوم من آخرى هذا الأسلوب نفي الحدث في الماضي

وتوقعه في المستقبل ، فإذا قلت : لم يسافر بعد فكانك قلت : لمّا يسافر . وقد وقع السؤال عما يضاف إليه بعد هنا ، ففي هذا المثال لم يسافر بعد ماذا ؟ وقد عني كثير بالجواب فلم يهتدوا إلى الوجه فيه ، وفي الحق أن الأمر فيه غامض غير بّين . وقد توقف بعض الباحثين فيه ولم يحزم بأنه عربي ، فكان من الواجب تقديمه تجلية أمره من هذه الجهة . فهل أثر عن العرب مع شيء ، أم هو أسلوب مولد جاء به الناس بعد عصر الاحتجاج . وقد وقفت على هذا الأسلوب في خبر رواء ابن هشام في سيرته<sup>(١)</sup> وهو : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو جالس في الناس إذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر ابن الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال : إن هذا الرجل لملئ شركه ما فارقه بعد . وقال<sup>(٢)</sup> قيس بن كريع :

وفي عمرو العذري إن مت أسوة وعمر بن عجلان الذي قتلت هند

وبن مثل ما ماتا به ، غير أنني إلى أجل لم يأتي وقته بعد

وبعد اليقين بمرية هذا الأسلوب يتوجه البحث في تخريجه ويبدو لي أن الأصل . لم يسافر بعد مدعاة السفر وكتيبته ، أي بعد أن كاد يسافر ، وبعد هنا في معنى مع ، كما تقول : على علم ، وهو بعد هذا رضى الخلق . وهكذا يقدر المضاف إليه في سائر الأمثلة على هذا النهج ففي قول عمر : إن هذا الرجل لملئ شركه ما فارقه بعد أي بعد إضلال الإسلام له وغلبته ، ومقاربة إسلامه لقوة دلائل الإسلام وعظم سلطانه . وقول قيس : لم يأتي وقته بعد أي بعد أن أشرفت عليه وكاد يتركني من هول الحب وفرط المشق .

ويبدو لي وجه آخر وهو أن الأصل في قولك لم يسافر على بعد جملتان : لم يسافر ، سبب سفر بعد أي بعد زمن الحاصل إذ كان هذا يفيد في الماضي وتوقع المستقبل كما أسلفت ، واختزل الكلام وصيل به إلى الإيجاز ، حذف فعل الإنبات ، وأصبح الباقي أسلوباً مفهوماً الغرض بين المراد .

(١) ص ١٢٩ ج ١ على هامش الرض .

(٢) من أمالي قتال ص ٢٩٩ ج ٢ طبعة دار الكتب .

وقد عرض العلماء لاسلوبين فيما بعد لا يبدو فيهما ما في أسلوبنا من إشكال وهو أن يقال لك : أسافرت ؟ فنقول : أسافر بعد أى بعد ما مضى ، وإذا قلت : لا أسافر بعد فالمعنى بعد ما نحن فيه . فص عليه أو البقاء في كليانه <sup>(١)</sup> ، وكان ذلك لأن المضارع في الأول للحال فهو بعد الماضي ، وفي الثاني للاستقبال فالبعدي فيه منسوبة للحال ، وذلك أن <sup>(٢)</sup> لا تخلص المضارع للاستقبال كما يراه سيويو ومن قبله ، وإن خالف في ذلك ابن مالك .

### أعطيت لفلان كتاباً - أعطيت الجائزة لفلان

يفشو هذا الاستعمال في السنة الناس ، ولا يحس كثير منهم فيه حرجاً . وهو بعد مخالف للعربية ؛ فإن فعل الإعطاء يتعدى إلى مفعولين بنفسه ، والشواهد على هذا من الكثرة بحيث تستغنى عن الإبراد والإطالة . على أنه قد جاء في شعر الليل الأخيلى تمدح فيه الحجاج قولها :

أحجاج لا تعط النصاة منام ولا الله يعطى للمصاة منها

ويجمل التحويرون اللام في هذا البيت زائدة . ومثل ذلك زيادتها في قوله تعالى في سورة النحل : قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجبون : فردف في معنى تبع يتعدى بنفسه إلى المفعول ، ولكن زيدت اللام لنا كيد وصول الفعل إلى المفعول ، كما زيدت الباء في قوله تعالى : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . ولا يرضى بعض العلماء القول بزيادة اللام في الآية ويميل إلى تصمين ردف معنى دنا أو أرف أو قرب . وقد جعل من زيادة اللام في المفعول قوله تعالى في سورة الحج : وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ، فإنما هو : بوأنا لإبراهيم مكان البيت أى أقامه في هذا المكان وجعلناه له مباءة ومرجعاً . وقد ورد تعدية بوأ إلى مفعوله بنفسه في قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ، وقوله تعالى : لنبوتهم من الجنة عرفاً ويرى بعضهم في آية الحج أن المفعول الأول محذوف أى بوأنا الناس مكان البيت واللام في لإبراهيم للتعليل ، وهذا رأى بعيد .

وزيادة اللام ترد باطراد وقياس عند جميع النحويين إذا كان العامل فعلا مؤخرا ، أو كان وصفا ، وذلك كقوله تعالى : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، وقوله : هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ، وقوله تعالى : فعال لما يريد ، وقوله مصدقا لما معهم . ويرى ابن مالك تخصيص ذلك بالفعل المتعدى لواحد ، ولا يرصى ابن هشام هذا التخصيص . فأما إذا كان العامل فعلا مقدما كما في المثالين اللذين صدرت بهما البحث فخمرة النحويين على مع الزيادة للام باطراد ، ويقصرون ذلك على السماع ، وما يوردونه من ذلك قول ابن ميادة في عبدالواحد بن سليمان أمير المدينة :

وملكت ما بين العراق ويثرب      ملكا أجار لمسلم ومعاهد  
قالوا : التقدير أجار مسلما ومعاهدا . ولكنا نرى بعد هذا البيت قوله :  
مالهما ودميهما من بعدما      غشى الضيف شعاع سيف المارد  
ويبدو لي أن مفعول أجار هو : مالهما ودميهما ، فاللام في مسلم ، ليست بزايدة .

ويرى المبرِّد أن لا بأس بزيادة اللام في قولك : قرأ محمد للكتاب تريد قرأ الكتاب . وإن أسوق هنا كلامه في كامله <sup>(١)</sup> ، قال : « والذي يستعمل في صلة الفعل اللام ؛ لأنها لام الإضافة . تقول : لزيد ضربت ولعمرو أكرمت ، والمعنى : عمرا أكرمت ؛ فإنما تقديره : أكرمتي لعمرو ، وضربتي لزيد ، فأجرى الفعل بجرى المصدر . وأحسن ما يكون ذلك إذا تقدم المفعول ؛ لأن الفعل إنما يجيء وقد عملت اللام ؛ كما قال الله - جل وعز - : إن كنتم للرؤيا تعبرون . وإن أخر المفعول فمربى حسن ، والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة ؛ قال الله - جل وعز - وأمرت لأن أكون أول المسلمين . والنحويون يقولون في قوله - جل ثناؤه - قل عسى أن يكون ردف لكم ؛ إنما هو ردفكم وقال كثير :

أريد لأننى ذكرها فكأنما      تمثل لي ليلي بكل سيل  
فانظر قوله : « وإن أخر المفعول فمربى حسن ، فهو يجيز أن يقال :

أعطيت لمحمد كتابا ، وهو يرى أن الفعل يذهب به مذهب الحدث والمصدر ،  
ولذلك ساغ بحى اللام في المفعول . وهذا التخرج لا يعني في هذا الموطن ،  
وإنما يعني تصحيح الأسلوب .

نخرج لنا من هذا البحث أن قولنا : أعطيت لمحمد الكتاب يحظره جمهرة  
التحويين ولا يجوزونه ، والمبرد يجيزه في سعة الكلام

ولا بأس باتباع المبرد في هذا ، فهو إمام فيه للنزى أسوة ، ونأهيك به  
من نحوى ثقة بصير .

ومع هذا فيحسن بالكتاب ترك زيادة اللام في فعل الإعطاء فهو المصحح  
البين الذى لا لبس فيه ولا اختلاف .

وعما يذكر هنا أن المثال الثانى . أعطيت الجائزة لعلان . فيه إنابة المفعول  
إلى عن الفاعل ، وهو جائز لفهم المراد كما قال ابن مالك :

وبإتفاق قد يربوب الثان من باب كسا فيما التباسه أمن  
واقه المستول أن يوفق للساد .

## الوعد والمطل

قال سعيد بن مسلم : وعد أبى الشاعر بشارا أن يصله على قصيدة مدحه بها .  
فاستعجل بشار الجائزة ولم ينتظر غير يوم وكتب إليه :

ما زال ما منيتنى من همى الوعد غم فاسترح من غمى  
إن لم ترد مدحى فراقب دى

فقال له أبى : فلا استعجرت الحاجة بعير الوعد ، فإذا لم تفعل فتربص ثلاثا  
وثلاثا . فأتى واقه ما رصيت بالوعد حتى سمعت الأبرش الكلبى يقول لهشام :  
يا أمير المؤمنين لا تصنع إلى معروف حتى تعدنى ، فإنه لم يأتى منك سبب على غير  
وعد إلا هان على قدره وقل من شكره .

# مَكْتَبُ رَمْلِ الْأَخْلَاقِ

## بين الفلسفة والأدب

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ أبو بكر ذكرى

الاستاذ بكلية أصول الدين

### الفصل الثالث :

والآن وقد عرضنا تلك الفضيلة ، فنجلة العدالة ، عرضا فلسفيا تاريخيا على قدر ما سمح لنا به الزمان والمكان ، فتستعين تعالى في معالجة الناحية العملية لهذه الفضيلة : لأن معالجة النواحي النظرية والتاريخية المحضة لا توقي من الثرات كل ما يطمح إليه المصلح الأخلاقي .

وإن عاصر هذا البحث لتستدعى ، بديا ، إيضاح الأسباب والعوامل النفسية ، والطبيعية ، والاجتماعية ، التي تتحرف بالافراد والجماعات عن سنن العدل ، وتحملهم على مركب الجور والبني ، وتلسمهم من رذيلة الظلم لبوسا ما كان أحرامهم بأن يلبسوا بدلا منه لبوس العفة والعدالة ، لتظهر إنسانيتهم في أبهى مجالها وأسمى معانيها . كما أنها تستدعى ، بعد ذلك متابعة البحث عن أفضل طرق العلاج الاخلاقي ، وعن أجمع الادوية والمطهرات النفسية التي يرجى منها برء النفوس الإنسانية من أدران تلك الرذيلة الخبيثة الفائلة .

ونعني هنا بالاسباب والعوامل النفسية تلك الظواهر المعنوية ، التي يدلنا البحث الدقيق على أنها بعض طبيعة الإنسان منذ سوى إنسانا ، ومن قبل أن تلجئه طبيعة البيئة أو عدوى المجتمع إلى مقارفة الظلم والعدوان ، كما نعني بالاسباب الطبيعية تلك الضرورات المادية التي يلجأ سببها الكائن الإنساني إلى

العدوان دفاعاً عن النفس ، مضطراً إلى ظلم سواء في سبيل العيش أو قتل نفسه جوعاً وحرماً إذا كُف عن ذلك العدوان . أما الأسباب والعوامل الاجتماعية فتعني بها تلك النزوات التي تدفع الإنسان إلى العدوان ، متأثراً بروح الجماعة التي يعيش فيها ، ولأجل تحقيق مطامع لا تقتضيها ضرورة الحياة ، وإنما هي ضرب من الأثر والبطر والتجنى وحب الغلب والسيادة والظهور بظاهر البطولة ، يقلد الصغير فيها الكبير ، ويتبع اللاحق فيها السابق .

وبالرجوع إلى مظاهر التطور الإنساني في التاريخ ؛ نجد أن النوع الأول وهو العوامل النفسية هو أقدم الأسباب والعوامل جميعاً في الطبيعة الإنسانية ؛ بل لقد ذهبت بعض الديانات ، واشتط معها بعض الفلاسفة المتشائمين ، إلى أن العدوان والبغى هو الطبيعة الإنسانية كلها ؛ ولذا أوجبت البرهمية أن تكون نهاية هذا البدن المذنس أن يحرق بالنار بعد الموت تطهيراً له ، إذ لا سبيل إلى تطهيره مادام ينبض فيه بالحياة عرق . ويقول بعض الفلاسفة المتشائمين :

خست يا أمنا الدنيا فأف لسا بنو الحنيسة أوباش أخساء  
ويقول :

إذا بكر جنى فتوق همرأ فإن كليهما لآب وأم  
أما الحكيم الشاعر المتنبى فيقول :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلعله لا يظلم  
ولعل هذه الحكمة ، على ما يتوثر فيها من ثورة نفسية ، لم تبعد عن الحقيقة كثيراً .

إن الظلم بلا مرء ، هو بعض شيم النفس الإنسانية . وكما فيها من عجائب وغرائب أكرم فيها من خير وكما فيها من شر ، وإنما الموضع في حكمة المتنبى أنه يضع الظلم في الكفة الراجحة ، لأرأية فضيلة تقابله لم تستطع الرجحان إلا ومعها علة تنبئ في الطبيعة الإنسانية مغزاً . وعندى أنه مهما يكن في تلك الفضائل التي تقابل الظلم من معان ، ومهما تكن علمها تعد خيراً إذا ما قورنت برذيلة الظلم نفسها هل يشاعتها وقبحها .

وهذه العوامل النفسية الى تمد رذيلة الظلم في الطبيعة الإنسانية تتدوع وتتشكل ، فبعضها يرجع إلى العرائز نفسها حين تتحرك في الإنسان ؛ كما تتحرك في الذئب والفرد والنمر ثم لا يجد بأزائها من الحصانة العقلية والحكمة ما يرد على ميولها السافلة ، ويكسر من شرها ويلطف من حدتها . والنتيجة العميقة لتلك الميول إما أن تكون على انفس أو على المرص أو على المال أو على السمعة الى يمتاز بها ذور المواهب والفصائل ، أو على مواهبهم نفسها .

ولسنا نبالغ إذا ما قلنا إن جميع الناس ، خلا المعصومين منهم ، عرضة لمقارفة هذه الرذيلة ، خطأ مادراً في الاختيار ، وطبعاً وعادة في الاشرار .

وبهذه الدوافع النفسية كانت أول مأساة من الظلم إذ أزمق فيها قاييل نفس أخيه هابل ؛ غير وحسداً دون ذنب أو جريرة تستأهل ذلك العدوان ، واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلك قال إنما يتقبل الله من المقمين ، لئس بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدى إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين . . . ، الآيات الكريمة من سورة المائدة .

وقد يكون من تلك العوامل النفسية حالات مرضية طاغية ، يزيد بها غرور المنصب والسلطة هوساً إلى هوس . ومن ذلك ما يروى عن الظالم الشهير الإمبراطور نيرون الحاكم الروماني في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي : أنه أضرم النار في مدينة روما ثم جلس على مرتفع يطل منه على المدينة متشياً بمنظر اللهب ، يدمر كل شيء تدميراً على حين كانت أنعام الموسيقى تصدح في مجلعه لتزيده جنونا على جنون . وسواء أحمحت الرواية في هذا أم كانت مبالغة في تهويل ظلم ذلك الطاغية ، فإنها صورة من صور الطغيان جذيرة بأن تضرب مثلاً لذلك النوع المرضى الجنوني من الظلم . على أنها مع ما فيها من بشاعة ليست أمراً مستحيلاً ولا مستبعداً . وقد أسلفنا في مقال قبل هذا ما كان من أمر فرعون موسى إذ قال . يا هامان ابن لي صرحاً لعل أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً . . . ، وفي هذا ما يمكن أن يضرب مثلاً للهوس وجنون القوة .

أما عن أسباب هذا المرض النفسى نفسها فأمر يجدر بنا أن نترك التعمق و تحليلة لأساطين علم النفس . ومع ذلك فإن الملاحظة التاريخية تشيرنا بأن منها ما هو خلل فى الفطرة نفسها ، كما مر مثاله فى نيرون و فرعون . ومنها ما هو من قبيل مركب النقص ، الذى تبدو أعراضه على كثيرين من الذين يمتدحون إلى بيئات وصيعة ثم يصلون من طريق الوصولية ، أو سواها ، إلى الرياسة والنفوذ . ولنا نبالغ إذا قلنا إن أكثر الصوالين بالظلم هم نبت هذه البيئات ، ولنا نرى ما البيئات الفقيرة ، كما قد يظن ، فكم يبت بها أحيانا من عطاء وفضلاء حقيقيين ؛ إنما نرى تلك البيئات المحملة المسرفة التى لا تعرف قانوناً للحياة يتزم ، ولا دستوراً للأدب يحتذى ، والتى تتردى دائماً بعماياتها فى مهاوى الهوى . إن نبات هاتيك الأسر لن يكون ، فى غالب الأحيان إلا حشكا وزقوما وعويها شائكا كذلك الذى يقول فيه الشاعر .

عذرنا النخل فى إبداء شوك      يردبه الأامل عن جناه  
فما للعوسج الملعوب أبدى      لنا شوكا بلا ثمرة نراه

والحق أن الشوك والشوكة سلاح مشروع فى سبيل الدفاع عن العدالة والصالح العام ، أما شوكة الظالمين وأشواكهم فليست أكثر من أذى للإنسانية ليس وراءه من ثمر .

وإدق قد بان لنا أن الظلم فى صورته النفسية ، يرجع فى الأكثر إلى سببين : هما الخلل فى الفطرة ، وسوء المنبت الذى يظهر أثره فى صورة مركب النقص ، يحسن بنا أن نشير إلى أن مركب النقص قد يكون مرده أحيانا إلى عيب خلقى ، بكسر الخاء ، كأن يشعر الحاكم الظالم أنه متفرد الحظر من هذه الناحية ، لأنه ضئيل نحيل أو ذو عاهة سفرة ، أو بشع الصورة أو ما إلى ذلك من أسباب يساعدها جهله أن هذه العيوب الجسدية غير جذيرة بأن يؤبه لها فيصور له خياله السقيم أن لا مفر له من قمويض هذا النقص ، باظهار التجبر والعسف ، لينال الاحترام قمر بعد أن فاته طواعيته ولو كان له من العلم ما يشعره ، أن فضيلة العدالة هى أسهى من كل جمال جسمانى فى هذه الدنيا ، لاختار لبوسها وتزين بها ، فمكان من الموثقين .

وندلنا التجارب على أن ، الخلل في الفطرة ، دام عسير العلاج لأنه الحاقة التي تعي ، من يداويها . أما ، مركب القص ، فلا علاج له إلا أن يقبّه الرؤساء إلى ملاحظة مراءوسهم ، ويتبعوا سلوكهم وسيرتهم في الناس ، ويرشدوهم إلى ما هو الأقوم من السلوك مع أبناء مجتمعاتهم ، وأن يعلمهم بالقدوة في أنفسهم بحاسة الناس ، واحترام إنسانيتهم وأن الناس ليسوا خدامهم ولا عبيدهم ، وإنما هم مواطنوهم وسبب نعمتهم ، وأنهم بدون أبناء مجتمعاتهم لن يكونوا شيئاً مذكوراً . ومن يرجع إلى تاريخ الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يتعلم من فضيلة العدالة ما يفنى من دراسته أسفار كاملة . وحذا العمل الطيب لو تنبه وعاظنا إلى هذا السبيل ، وشعلوا أنفسهم به ، ودلفوا إلى كل من ينحرف عن جادة العدالة من عمال الدولة ، وأحذره بالنصائح اللطيفة ومدح التواضع ، وشرح مزية العدل وفوائده للحاكم والمحكوم على السواء ، وقديما أيام المصور المظلمة كان الوعاظ يتعاليون لوعظ الظالمين بوضع حكايات تعينهم ، على السنة الحيوان ، لتفرغ أسماعهم في لطف وتلج إلى قلوبهم في رفق . فهل يعز على وعاظ زماننا ، وهو عصر النور ، والحرية ، والصراحة أن يشوا حرباً سلبية حكيمة هل هذه الرذيلة الشقاء ! ليسلوا من أوصارها قلوب مرضاها ؟

أما الأسباب والعوامل الطبيعية ، والاجتماعية لرذيلة الظلم ، فوعا يتداخلان ويتشابكان لأن قسوة البيئة وإجداها ، مؤثرات مادية تدفع بطبيعتها الإنسان إلى العدوان ، دفاعاً عن الحياة ، كما شوهد ذلك في الجاهلية العربية ، وشعوب الجرمان قديما ، والجزائر البريكانية قبل أن تفزو وتفتح وتستخدم أساطيلها في السيطرة على الاقطار والامم المختلفة .

بدأت تلك الامم وأمثالها الحياة في بيئات فقيرة ، ندفع أبناءها إلى العدوان ؛ فقتلوا وسلبوا ونهبوا حتى تعودوا القتل والسلب والنهب ، ولكن بعض هاتيك الامم تقدمت في مدارج الحضارة والعمارة خطوات ، بل مسافات شاسعة ، وأصبح مكانها مرموقا بالإعظام ، لما هي عليه من العلم والحضارة والنظام . بيد أن عوامل أخرى للظلم والعدوان ، قد نشأت ، نشأة تطورها الاجتماعي وترقت معه كما ترقى . فأصبحت تلك الامم تنظم ذلك العدوان على الامم ، وتلبسه

اسماء مختصرة فقصيه ، ترقية الأمم المتأخرة ، ، حرية الأقليات ، أو ، مواقع استراتيجية ، . إلى غير ذلك مما عرفه العالم ، حتى أصبح نغمته معجوجة وحديثا معادا ، وما هو في الحقيقة إلا أن هذه الأمم مع ترقيا تعودت مستوى اجتماعيا من الحياة يفتضحها السيطرة على كل موارد العالم لو استطاعت إلى ذلك سبيلا .

ودعوى القوى كدهوى السباع من الظفر والنا بربها

ولو ذهبنا نحصى تلك الدعوى وتلك البراهين لدخلنا في طريق لا ينتهى . وحسبنا هنا أن ندعو تلك الأمم بدعوة الإنسانية لكي تتوب الى رشدها وتؤثر العدالة ، وتبذل جهودها في مساعدة الأمم الأخرى حقاً وصدقاً ، وإلا فإنها ستظل عادية معدية عليها ، قاتلة مقتولة ، لا تنتهى من حرب إلا لتدخل أخرى ، ولا تظهر بصر إلا وقد اشترته بأعلى من ثمة أضعافا مضاعفة . وعسى أن نفيق الإنسانية من سكرتها ، وتحمل العدل بحل العدوان ، فإن في ذلك أول دعامة من دعائم السلام والأمن والسعادة . وإن في تعاليم الإسلام السمحاء لدعوة سارة لهذه العدالة البيضاء . كما أن من دواعي المخر بحمدته تعالى أن موقف أمتنا المصرية من هذا المعتك العالمى يعد بحق من مفاخر الإنسانية .

وفتنا الله إلى درك الغاية الإنسانية الكبرى في ظل جلالة مولانا الملك العادل العاروق الأول أعز الله نصره ، وتخلد للعدل ملكه . هو حسبنا ونعم الوكيل .

### من كلام على بن الحسين

قال على بن الإمام الحسين رضى الله عنهما : المرء يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة ، والمغالبة من أمت أسباب القطيعة .

ومن دعائه رضى الله عنه :

اللهم ارزقني خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعد ، حتى لا أرجو إلا ما رُجيت ، ولا أخاف إلا خُوفت .

# المؤمنون الصادقون

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد النواب  
مفتش الوعظ بالأزهر

قال الله تعالى في محكم كتابه وهو أصدق الماتلين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

في هذه الآية الكريمة يصف رب المؤمنين جهاده المؤمنين بأوصاف ثلاثة تحققت فيهم ، فأظهرتهم بقوة إيمانهم ، وصدق يقينهم ، وجاهلتهم بئار تقواهم ، ونجح مساعهم ، وقصرت عليهم أجد تكريم ، وأعز تأييد ، بأهم وحدهم هم الصادقون عقيده ، والصادقون استجابة ، والصادقون عملا .

وصفهم ربهم بأنهم آمنوا بالله ورسوله ، ووصفهم بأنهم لم يرتابوا ولم يجد الشك سبيلا إلى قلوبهم ، ووصفهم بأنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . فالإيمان بالله تصديق بوحدهانيته وقدرته ، ونفاذ إرادته ، وإطمئنان لعدله وبالغ حكمة ، والإيمان بالرسول استجابة للأوامر والنواهي التي يلغها من الله ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فإنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

فإذا تركز هذا الإيمان بالله ورسوله في القلب ، وشع بنوره في جوانب المؤمن ، قويت العقيدة ، وصدق اليقين ، واستبصرت النفس في إغراق هذا الهدى معالم السكينة والإطمئنان ، فلا يتخالفها شك ، ولا يساورها ارتياب .

وكيف يرتاب من اطمأن إلى حكمة مولاه فيما يقدره ، وإلى عدله فيما يقضيه ؟

وهو عز شأنه إنما يصرف الدنيا بما وسعه عليه وفاضت به رحمته ، وقام عليه نظام هذا الكون في عوالمه ومعالجه .

فالشَّاكُونَ من أحداث القدر شاكُونَ في عدل المقدر ، والسَّاخِطُونَ من حكم القضاء جاهلون بحكمة المدبر ، ولا والله ليس لله في تدبيره ولا تقديره إلا أن تكون معدلة بقيمها ، أو محمّدة بزيكها ، وإلا أن يكون فضل يسبغه ليجزى به فضلا ، أو قهر يسلطه ليحطم به ظلماً ، أو ما وراء ذلك من اختبار بالوان مما يبتلى به المؤمنون في شدة ، أو ضيق ، أو مرض ، أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات ، لتحبص المؤمنين وترينهم ، وإعدادهم لما يريد لهم مولايم ، قال جل جلاله : ألم أحب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . .

والمؤمنون بعد هذا الابتلاء والتحبيص ظافرون بالثبوة والأجر ، ظافرون بتقدير نعمة الله ، ظافرون بقيامهم بحميد الشكر ، لأن من قدر النعمة قام بواجب الشكر ، ظافرون قبل ذلك كله ، وبعد ذلك كله بأن جعلوا من إيمانهم ونصديقهم سياجا يحيط بأنفسهم ، فلا يفتن إليها نظن ولا ارتياب ، فهم راضون ، مطمئنون شاكرون .

ثم يأتي بعد ذلك وصف الله هؤلاء المؤمنين يبدل لنفس والمال في سبيل الله ، وتنطق الآية الكريمة في التعبير عن هذا البذل بأه جهاد ، ولا عجب فإن أعز شيء يحافظ عليه المرء هو نفسه ، وأن أحب شيء ينافس من أجله في الحياة هو ماله . فبذلها في سبيل الله ، والجلود بهما في طاعة الله جهاد ، وأى جهاد .

وجاء هذا الوصف بالبذل كنتيجة لقوة الإيمان بالله ورسوله ، وأطراح الريبة والتشكك وراء النفس المؤمنة المطمئنة . المحبة لله ورسوله .

وإذن : فالنفس والمال بعد هذا اليقين ، وبعد هذا الحب ، لا يعدلان في شيء ما انطوى عليه قلب المؤمن من حب الله ورسوله ، فليبق في القلب حب

الله ورسوله ، ولين في سبيله ما تنز من نفس أو مال ، وفي ذلك وأيم الحق  
متعة القلب ، يتذوق فيها حلاوة الإيمان وجمال الأذعان .

ويقول في ذلك سيد هذه الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من  
كن وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن  
يحب المرء لا يحب إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف  
في النار .

ولقد تضمن وصف الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله ألوانا من العبادات  
والطاعات في العمل بها والاستجابة لها ، عزة الدنيا وسعادة الآخرة ، ففرو العدو  
المحارب ليسلم الدين والوطن جهاد في سبيل الله .

وكبح جماح الهوى الآثم جهاد في سبيل الله ، والارتفاع بالنفس عن مظان  
التهمة جهاد في سبيل الله ، وتحمل المشاق في أداء العبادة جهاد في سبيل الله ، وبذل  
المال في الزكاة المفروضة أو الصدقة المبرورة جهاد في سبيل الله .

وكل عمل إيجابي ، أو سلبي ، يعتز به الدين ، وتسمو به النفس ، ويسعد به  
الوطن ، وتتوثق به روابط الأهل والعشيرة جهاد في سبيل الله .  
فيأياها المجاهدون بالنفس والمال هنيئاً لكم ما قدمتم وما أخرتم ، وهنيئاً  
لكم ما أسررتم وما أعلنتم ، وهنيئاً لكم في الذروة الرفيعة من الشأن والتكريم ،  
وصف الله لكم بأنكم صادقون .

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم  
وانفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

وقه درأى المتاهية إذ يقول :

تمتع بمالك قبل الممات	وإلا فلا مال أب أنت متا
شقيت به ثم خلقتك	لفيرك بعداً وحقاً ومقتا
فجاندوا عليك بزور البكاء	وجدت عليهم بما قد ملكنا
وأرهنهم كل ما في يديك	وخلوك رهنا بما قد كتبنا

## سُبْحَانَكَ يَا رَبِّهِ الْأُولَادِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراءى

مدير المكتبة الأزهرية

أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان الأولاد ، يعرف ذلك من ذاق حلاوتهم  
ومن ابتلى منهم بالحرمات . وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على  
الإنسان ، وعلى الأولاد عمارة الأرض وهي مقصود خالق الله للأكوان .  
قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم :  
« الولد ثمرة القلب ، ولما بشر عليؑ بفاطمة قال : « ربحانة أشمها ورزقها على الله ،  
وحب الولد من طبيعة الإنسان لهذا تمنى الولد جميع الناس حتى الأنبياء ، وقد  
تضرع إبراهيم إلى ربه أن يهبه الذرية فقال : « رب هب لي من الصالحين ؛  
وبشرناه بغلام حلیم ، وتضرع زكريا عليه السلام فقال : « هب لي من لدنك  
وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .

ولقد صور كثير من الأدباء والشعراء أحاسيسهم بحب الأولاد ، وهذه  
الصور على تنوعها وتلوها تصدر عن عاطفة واحدة وطبيعة واحدة ، هي طبيعة  
الحب الخالص والود الصادق . قال الاحتف لمعاوية : وقد غضب على ابنه يزيد  
فبهجه : يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وحماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء  
ظلية ، وأرض ذليلة ، وبهم فصول هند كل جليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، وإن  
سألوك فأعطهم ، وإن لم يسألوك فأبتدئهم بمتعوك ودم ، وبمحبوك دهرهم ،  
ولا تنظر إليهم شرا ، ولا تكن عليهم ثقيلا ؛ فيمشوا وفانك ويكرهوا  
قربك ، ويملوا حياتك . وقال أبو تمام :

وإنما أولادنا بيتنا أكبادنا تمشي على الأرض

لوهبت الريح على بعضهم لامتعت عيني عن الغمض

والولد ليس ملكاً لوالديه فقط ، بل هو ملك للأمة ، ويسعد والداه ، وتسعد الأمة بمقدار توفيقهم في حسن تربيته ، وإعداد له لرسالته في الحياة إعداداً جسيماً وخلقياً ، وعقلياً ، وتربية الولد واجب مشترك ، بين الوالدين وبين الدولة ، في المنزل والمدرسة ، إلا أن الواجب الأول ، والعبء الأول ، يقع على كاهل الوالدين ، وعلى الوالدة بخاصة في حال الطفولة والصغر ، لأن تأثير الولد بوالديه في هذه الحالة يكون قوياً .

وقد قدر الإسلام خطورة هذا التأثير ، فحس أن يتزوج المسلم المشتركة ، خوفاً أن يعتن الأولاد في دينهم باتباعها ، وكذلك قدر علماء النفس والاجتماع فقالوا :

« لأنه على ما يتلقاه الطفل في المنزل من الوالدين ، يتوقف إلى حد كبير ، تكوينه وإعداد حياته . » وقال الإمام الغزالي : « والصبي أمانة عند والده ، وقلبه الطاهر جوهر نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، وقابل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير عليه وعلمه ، ونشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه ، وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر ، وأهمل إهمال البهائم ، شقى وهلك » وكان الوزر في رقبة القيم عليه ، الوالي له ، وقد قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم حاراً » .

وقد أرشد الإسلام إلى قواعد عامة لتربية الطفل جسمياً وعقلياً وخلقياً ؛ فأرشد إلى ما يقوى جسمه ، ويشد عوده ، بممارسة أنواع من الرياضة كالمسابقة والمصارعة ، والرمية ، والسباحة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة العملية في ذلك فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : مر النبي عليه السلام على نفر من أسلمة يتعضلون فقال : ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع بني فلان قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال النبي : ارموا فأنا معكم كلهم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا الحبيشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بجرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى حصصهم بها فقال : « دعهم يا عمر ، وصارع النبي صلى الله عليه وسلم دكانة فصرعه .

وعن عمر رضي الله عنه : هلوا أولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثبا . ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد في تأكيد فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولم يقصرم على لون منه دون لون إلا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الديني ، لأنه الوسيلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، ويتعلم الدين تستفر النفوس وتطئن القلوب ، وتسمى في شئونها راضية لا يطررها نجاح ولا يزلها فشل ، لأنها تكل مصائر الأمور إلى الله ، وجعل التعليم من حق الولد على والده وعن النبي صلى الله عليه وسلم : حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يحسن موضعه ، وأي يختار والدته من أصل طيب وأن يحسن أدبه ، وفرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة ، ولم يقصرهما على لون منه دون لون فلكل منهما أن يأخذ منه ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته ، وللرأفة أن تأخذ منه ما يمددها أن تكون زوجا صالحة تربي زوجها ، وتحسن القيام على شئون منزلها ، وأما صالحة تحسن تربية أطفالها ، وتوجهها إلى حياة فاضلة سعيدة ، والرجل أن يأخذ منه ما يمدده للرسالة التي يختارها لنفسه ، ويعينه على تحصيل رزقه .

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة في الفضائل وآداب الاجتماع هي أسمى ما تصل إليه الآداب في أرق المجتمعات ، تتمثل في آيات القرآن الكريم وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل أمهاته ، ودعا الآباء إلى أن يأخذوا أبناءهم بها لينشئهم جيلا صالحا يتحلى بالآداب والفضائل : لتسعد بهم الأسرة وتسعد بهم الأمة ، وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس قال تعالى . « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا قطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يابني إياها إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله .

إن الله لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ، وأنه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصمر خدك للناس ، ولا تمس في الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير .

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا ليسأذنكم الدين ملككم أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك بين الله لكم آياته والله عليم حكيم .

في هذه الآية يرشد الله الآباء إلى أن يعوّدوا أطفالهم الاستئذان للدخول عليهم في أوقات ثلاث هي مظان الراحة ، وعدم التقيد بلباسه في لبس أو جلوس ، ومظان أن ترفع الكلفة فيها بين الرجل وأهله ، حتى لا يطلع الطفل على ما لا ينبغي أن يطلع عليه في هذه الاوقات وهي : قبل صلاة الفجر ، وعند الراحة في الظهر ، ومن بعد صلاة العشاء ، وعن عمر بن سلة أنه كان غلاما صغيرا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يده تطيش في الصفحة إذا أكل - أي تحرك في الطبق دون انظام - فقال رسول الله : يا غلام سم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك . إلى آداب كثيرة استفاضت بها السنة وثبتت بالنقل الصحيح عن الصحابة .

وأرشد الإسلام إلى التلطف بالآباء في التربية والتوجيه ، حتى لا يفروا منها ولا يتبرموا بها ولتفرس في نفوسهم في قبض من العطف الأبوي الخالص . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان إذا رأى فاطمة رضي الله عنها مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ يدها فقبلها . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم ، وقد جاءه أعرابي فقال : أتقبلون الصبيان فما تقبلهم ؟ فقال له : أو أميلك أن يرع الله من قلبك الرحمة . . ؟

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنهما قالت : أتيت رسول مع أبي ، وعلى قميص أحصر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سه سه وهي

بالحبشية . حسنة قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرني أبي . فقال رسول :  
 دعها ثم قال : آتلى وأخلق ثم آتلى وأخلق  
 وندب الإسلام الى وجوب العدل بين الأولاد في العطاء ، حتى ينشأوا متحابين  
 متعاونين ، وانكر أنه يميز بين البنين والبنات ، حتى لا يحملهم التمايز على حقوق  
 الآباء وجفوتهم ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أن ساووا بين أولادكم في العطية  
 فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء ، وعنه أن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين  
 أولادكم حتى في القبل .

وينبى أن يأكل الوالد مع أولاده تأنيلاً لم وقياماً على توجيههم ورعايتهم  
 وعن سفيان رضي الله عنه : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت  
 يأكلون جماعة .

هذه التعاليم يدعو الإسلام الآباء أن يأخذوا أبناءهم ، ليعلموا وتعد بهم  
 الأمة وهذه السعادة غاية ما يهدف إليه الإسلام .

## أجر تسليمة

أرسل د. هـ بيل من شعراء القرن الثالث لطاهر بن الحسين هذه الأبيات .  
 أبأذا البين والدعوتين ومن هذه العرف والنائل  
 أترضى لمثل فتى أن يقم ييا بك مطرح غامل  
 رضيت من الود والعائدات من كل ما أمل الآمل  
 تسليمة بين خمس وست إذا ضحك المجلس الحافل ؟  
 وما كنت أترضى بهذا من سواك أبرضى رجل عاقل  
 وإن ناب شغل في دون ما تدبره شغل شاغل  
 عليك السلام فإني امرؤ إذا ضاق بي بلد راحل

ولا ندرى بعد ذلك أسمح له بهذه التسليمة أم لا ؟

# أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ

لعزيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم أبو الحشب  
المدرس بكلية الشريعة

لعل من الطريف الذي لا يُحْمَلُ ذكره ، والرائع الذي لا يعتره السَّحَفُ ،  
مهما تناولته الإعادة ، وأصابه التكرار ، الحديث عن بيت النبوة الميمون ،  
وأهله الكرام البررة . وإذا كان الكلام فيما يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم ،  
شفاء للقلوب من الصدا ، وجلاء للقرايح من الجهالة ، وذهاباً لما في الصدور من  
خبيث وحرَج . . فإن ذكرى من وصلتهم به الأسباب ، وربطتهم وإياه الوشائج ،  
ترطب الألسنة ، وتمير البصائر ، وتعمر القلوب ، وتذهب وساوس الشياطين .

وأول ما يخطر من مؤلاء في النفس ، وتحرك له أوتار الحس ، تلك التي  
أعطاهما من قلبه من الفراغ ، ومن فكره من العاية ، ومن هواجسه من الزرع ،  
ومن وجدانه من الحب ، ما جعله يخشى أن يجور ، وهو الذي يدعو إلى  
الصراط المستقيم ، أو يظلم وهو الذي يحارب الظلم والطغيان : اللهم هذا  
قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك وتملك .

والأخبار الواردة في حبه اماتة رضى الله عنها من الاستماتة والشهرة  
بحيث لا يختلف فيها أحد . وما كان من الحرج على فصل الله أن تنساب عاطفة  
رجل لوجهه إلى هذا الحد ، أو تتمكن منزلتها من نفسه إلى درجة أن تشغل من  
حديثه عنها ، وحنينه إليها هذا المقدار الملحوظ ، فلا يسعها إلا أن تستطيل على  
ضرائرها ، وتثير في قلوب من العيرة بها ، والحقدها عليها ، والفاق والاضطراب  
الذي كان منه ما كان من تنغيص زلزلت له أقدام النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وخارت عزيمته ، وصعف احتماله ، وهم أن يطلق وهو الذي يعلم التأسر أن الطلاق  
أبغض الحلال إلى الله سبحانه .

وهي مع ذلك أمثلة واضحة لناحية خفية من نواحي الإعجاز في تلك الشخصية النادرة : إذ استطاعت مع قيام المتاعب ، ووجود المضاعف ، أن تواجه صنوقاً من الآلام ، وألواناً من الأذى ، ثم لم يكن شيء من ذلك كله صارفاً عن الرسالة ، أو لاوياً عما نه عن السنن السوى ، ولعلم من لم يكن يعلم أن المرأة التي دل التاريخ وبرعت للحوادث ، على أنها الثمرة التي يجوز منها الضعف ، ويتطرق الوهن ، وينهدم بناء الأبطال والعظماء ، لم يطمئن بها خاطره — مدانا الله بهديه — إلا بمقدار لا يساعده على الاستقرار ، أو يعينه على الراحة ، أو يثلج صدره بالهدوء ، والصورة الاستعراضية التي تمر بذهن المتأمل لحياته الزوجية كلها سلسلة متلاحقة الحلقات ، مترابطة الأوصال ، من هذا الطراز وتلك الشاكلة ، وكأنها كانت تربية إلهية أراد له ربه بها أن ينصهر انصهار الجوهر الكريم ، ليصمد للخطوب حين تمتعه ، وللحوادث إذا أرادت أن تكيد له .

وهكذا كانت حياة الأنبياء والمرسلين ، على أن الذي بلغت النظر في حياة أم المؤمنين عائشة ، أنها مع ما وهبها الله من نصارة وغضارة ، وجمال وروعة ، وسحر وهب ، كانت تبادله صلى الله عليه وسلم حباً بحب ، وإخلاصاً بإخلاص ؛ بل كانت تذهب إلى أكثر من ذلك فتري أن ارتباطها به ، واجتماعها معه ، غاية من الله صادقتها ، ورعى أصابها ، ورحمة شاملة أضفى عليها رداها ، فهي من ذلك كله في جنة تجري من تحتها الأنهار ، ولما نزل قوله تعالى : يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتكن وأسرحكن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ، كانت هي أول من خطر بباله ، خيرها فقالت : أختار الله ورسوله . وفي الحديث : إن فضل عائشة على النساء ، كفضل الثريد على سائر أنواع الطعام .

ولعله صلى الله عليه وسلم لم يعترف بهذا الفضل استجابة لعاطفة ، أو نزولاً على إرادة الحب الذي كان يحس به ، ولكنه كان بعد تلك الشهادة من رب الأرباب بطهارتها التي لا يتطرق إليها الشك : لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم .

وقد امتازت رضى الله عنها على زوجاته كلهن بالفة في الدين ، حتى كأنها كانت تلقى من الوسى . أو تراحم النبي على جبريل ، وكان في الصحابة مكثرون عرفوا بأنهم توفروا على الرواية . وانقطعوا للتلق ، كانت هي أكثرهم ضبطا ، وأبعدهم عن مواطن الظن والاشتباه ، ولذلك كان من الأئمة من يقدمها على قول المحدثين من الحفاظ والرواة .

وليسست مبالغتها في الحذب على رسول الله والحب له ، راجعة إلى ما كان بين أبيها وبينه من مودة عريقة ووفاء صميم ، فإن عمر كذلك كان في هذا الحب لا يقل عن أبي بكر ، وله من المواقف والمضامد ما حلى جيد الزمن ، واسترعى عين الدهر ، وكانت ابنته حفصة تسام مع غيرها من الزوجات في الكيد ، حتى لقد ذهب أبوها إلى بينها يعنفها على ما اقترفت ، ويلومها أشد اللوم جزاء ما أثمت .

على أن عائشة مع كل هذا لم تكن — وحدها — صاحبة الحسن الرائع ، فقد كانت زينب بنت جحش لا تقل عنها وسامة وحسنا . وجمالا وروعة . وكان غيرها يراحمها في هذا الوصف ، ويشاركها في تلك الميزة ، فتحتم علينا بعد أن نفهم أنها رضى الله عنها لم تبادل بالحب حبا ، والوفاء بالوفاء ، إلا حين وجدت من صاحب الخلق العظيم ماحلها على أن ترد الجميل بمثله ، والمعروف بما يضاهيه ، وكذلك صنع الله سبحانه على عينه هذه الصورة للحياة الزوجية الصحيحة بين زوج طاهر ، وزوجة كريمة ، ليقول الخلق من أبناء آدم ، وبنات حواء : « وتلك الأمثال نضربها للناس » .

### عذر جميل

استبطأ الشاعر المشهور أبو تمام الطائي مدحوه عبد الله بن مالك الخزاعي فكتب إليه أبياتا يستعجله بها ، فيعث إليه بألف درهم وكتب إليه :

أعجلنا فأتاك عاجل برنا      فلا ولو أخرته لم يقلل

نقد القليل وكن كن لم يسأل      ونكون نحن كأننا لم تفعل

تقول هذا من أبدع الاعتذرات وهو يدل كرم وسمو نفس ، وأبو تمام جدير بأن يعتذر إليه بمثل هذا العلو كعبه في الشعر ، وبعد أثره فيه .

# وَجَيْلَانِ فِي الْجِهَادِ

لمضية الأستاذ الجليل الشيخ محمود أحمد جميلة  
المدرس بكلية اللغة العربية

والجهاد مداومة ومعالجة ، وانتصار الحق ، وتسكب عن الضلال والبهتان ،  
وبعد عن الضعف والخور ، ومقاومة الجبن والذلة ، وهو في الذروة من صرح  
الإسلام ، وفي السويداء من قلب الإيمان ، وفي القمة من أعمال الأركان ،  
والمجاهدون أعلى منازل في الجنة ، وأسمى منازل في الدنيا ، فهم الأهلون في الدنيا  
والآخرة ، لا يزال درجاتهم إلا من سقى سمهم ، وسلك سبيلهم ، لجاهدوا في الله  
حق جهاده بالقلب واللسان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسنان .

والمجاهدون أرفع الناس ذكراً ، وأعظمهم قدراً ، فهم قوم قد شتموا من  
ساعد جدم ، وأمسكوا بأعنة أفراسهم ، مستجيبين للدعوة مصدقين للوعد ، مؤثرين  
للجنة على ما سواها من نفس ومال ، فتوجهوا للجهاد ، وحبسوا أنفسهم عليه غير  
مبالين بما يصيبهم من نصب ، وما يحل بهم من عوج ، حتى يتم النصر ، وتحقق  
لهم الحسنى .

ومل الإنسان في الدنيا إلا في تنازعات دائمة ، وحروب قائمة ، تكشفه من  
كل مكان وتحيط به من كل جانب ، وتدخل إليه من كل باب لا تعيب إلا لتظهر ،  
ولا تحتجب إلا لتفسر ، ولا تدبر إلا لتقبل .

فالحياة جهاد متصل الحلقات ، مختلف الألوان ، متعدد الصور ، ترى في  
ميدانه نفسك التي بين جنيتك تنازعك وتخالعك ، أو شيطانك الملح في حصونك  
يرجف بك ويسول لك ، أو حاجديك ومنكريك ، يردون دعوتك ، ويكفرون  
حقك ، ويريدونك على الباطل ، ويحبونك والارفقون به وينعمون .

ومل هناك خلاص من الجهاد ، وفي الأرض حق وباطل ، وظلم وعدل ،  
وفضيلة ورذيلة ، وإيمان وكفر ، وتوحيد وشرك ، واستقلال واحتلال .

وليس في استطاعة الإنسان أن يتخلص من ظلم البعداء ، إلا إذا تخلص من  
ظلم ذوى القرابة والاتصال ، ففسك الأمانة بالسوء ، إلى تسكس بين جوانحك ،  
وتشملها ذاتك ، تحتاج لمباراة ومنازلة ، ومصارعة ومقاتلة ، حتى تقطعن وترجع  
إلى الحق راضية مرضية .

وقتل النفوس عنيف ، لأن النفوس عنيفة بما تزودت به من عددٍ دونها  
الذريات في بطشها وفتسكها ، وما الرغبة في استيفاء الحفظ . وتعلق الإنسان  
باللذات والشهوات ، إلا يخالب تنزع النفوس من سلامة العطر إلى عثامة العير .  
والمجاهد من جاهد نفسه ، لحملها على امتثال الأمر ، واجتناب النهي ،  
حتى يسلس قيادها ويؤمن عدوانها ، فيتفرغ منها إلى أعدائه العديدين  
وخصومه الملحين

وكيف يتمكن من خارج عنه وبداخله عدو شديد المراس ، قوى الحيلة ،  
قاهر مقلط ، فلا بد من التخلص منه بإخضاع النفس لأحكام الله ، وتخويفها  
عذابه ، والتعرض لخطئه ، وتجيئها فيما عنده ، وترغبها فيما أعده للنجين .

ومل قولة الحق عند أصحاب السطوة ، وكلمة الإنصاف أمام أهل البنى  
والعدوان ، إلا من أكمل طرق الجهاد وأشدّها ، فهو مفوتة للحفظ العاجلة ،  
ومعرضة لأصحابها لظلم ذوى السطان ، وبأس ذوى الجبروت .

وإذا ما استقامت النفس بعد المجاهدة ، وأخلصت الدين لله ، فاستمعت الأذان  
للدعوة ، وفتحت القلوب للاستجابة ، ونهيا للرسول أن تتأدى وأن تسمع ، وأن  
تصدع بما تؤمر - أمكنها أن تدفع أعداء عكروا صفو الحياة ، ودنسوا صفاء  
الوجود ، وأفسدوا في الأرض ، وتطاولوا على من رفع السماء فأشركوا به ،  
وكفروا بنعمته ، وجعلوا له أندادا ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحاه  
وتعالى عما يصفون .

وجهاد الكفار صريح سافر ، لا لبس فيه ولا تضليل ، فهو خفيف المؤنة ، سهل المعالجة . أما جهاد المنافق فهو أشق وأعقد ، إذ المتناقض يخفى شخصه وراء التواءاته ، ويمتد أمره بما يرى أنه من الجميع ، وما هو من الجميع ، إن هو إلا مخادع كذاب ، لا يلبث أن يفضح أمره ، ويهتك ستره ، ويكشف سره بما يبذله خواص الأمة في ميسه ، وإظهار زيفه .

أما الشيطان فهو عدوهم من في عداوته ، كره الناس للناس وأحبهم لنفسه أعوانا وخلافا . وماله بسحابة لا تنطره ، ورحمة لا تشملها ، وجنة لا تقبله ، فهو لا يزال بالإنسان يدور حول حلقته ، ويطوف حول محبته يأتيه من بين يديه ومن خلفه ومن عن يمينه ، ومن عن شماله ، يثبته عن جهاد نفسه ، وجهاد أعدائه في الله ، ويرجف به ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق ، وترك الحفظ ، وفوت اللذات والمشتيات ، حتى يترك نفسه من غير زمام ، ويكون هبة لأعداء الله في الأرض ، وطعمة لعذابه الله في الآخرة .

فالشيطان يجب أن يحارب بخيل تصد خيله ، وعدد يرد هدهد ، فهو عدو أمرنا بعداوته ، وناصح أمرنا باتهامه ومخالفته ، وليس هناك ما يرد كيده ويحبط عمله إلا التمسك بأوامر الحق والتعلق بأهداب الدين .

والجهاد في الله حق جهاده ، كتقوى الله حق تقائه ، وكما أن حق تقائه أن يطاع فلا يعصى ، ويدكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، فحق جهاده أن يجاهد نفسه فيذن قلبه ، ويصدق لسانه وجوارحه ، فيكون كله لله وبالله ، لا لنفسه ولا بنفسه .

ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ، ومعصيته أمره ، ومخالفته نصحه ، بإبه يبعد الفقر ويأمر بالفحشاء ، ويمتنع بالكذب ، ويمتنع عن التقي ، والهدى والصبر إلى غير ذلك من أخلاق الإيمان ، ومتى تم للمرء ذلك أمكنه أن يجاهد أعداء الله بقلبه ولسانه ، ويده وماله ، لتكون كلمة الله هي العليا .

وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه ، وألا يخاف في الله لومة لائم ، فيعبد الله حق عبادته ، ويجاهد نفسه وهواه ، واهداه في الله على قدر ما تحمل طبيعته ، ولا يحصل به جرح في الدين .

وجهاد النفس يحتاج إلى علم بالهدى وعمل بالعلم ، ودعوة إلى المعرفة ، وصبر على مشاق التحمل ، والتعرض حتى يصير العبد ربانيا .

وجهاد الهوى يكون ببحود امرته ، ومخالفة دعوته ، وإنكار ألوهيته ، وجهاد الشيطان يكون بدفع شكوكه وشبهه ، ورد ما يلقي من إرادات وشهوات حتى يوجد الصبر واليقين ، وهما الدعامة في إمامة الدين .

وجهاد الكفار بالنفس والمال والعدد والمدة والقوة والإقدام والإخلاص والصبر ، حتى يكون النصر ، أو يتم أجر الله .

وجهاد المنافقين بالكشف والبيان ، والبلاء والتمييز ، فلا تقبل ثملاتهم ، ولا تسمع اعتذاراتهم .

وجهاد المبتدعين ، وأرباب المسكرات ، باليد واللسان ، فإن عجزا فالقلب والجنان ، وهو أضعف الإيمان .

والجهاد من شيم النفوس الحرة ، والقلوب المؤمنة التي تريد أن تعيش في ظل الفضيلة والحق في الدنيا والنعم المقيم في الآخرة ، ولا يمكن لاية أمة ذات رأى في الإصلاح ، أو غرض في النعم والإفادة ، أن تنأى لحظة عن الجهاد وإلا كانت هدفا للأطماع وحرمة للضياع .

فالجهاد هو الحراسة القوية للبادئ الصحيحة ، والمقائد السليمة ، وغبنا الله فيه بشئ الأساليب ، ودعانا إليه بمختلف الطرق والوسائل ، حتى يمان دستور العدل والفضيلة والأخلاق ، ويبقى للامة طابعها وتقاليدها ، وعقيدتها ودينها ، وقد أجزل الله عطاء المجاهدين جزاء وفاقا ، لما ملأوه من نفس ونفيس مختارين طائعين ، فأبدلهم الله من الموت حياة يحمون فيها بما يرزقون ، ويفرحون بها ويستبشرون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

# الأدب والأديب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد محمود المسلول  
المدرس بكلية اللغة العربية

يدفعني دفعاً قوياً إلى الكتابة في موضوع « الأدب والأديب » وإطالة  
الوقوف عنده ما أراه شائعاً في البيئات الأدبية من تناقض واضطراب ، ومن تيه  
وخلال وبما يسيطر على نفوس الشداة والمتعشقين للأدب من خطل الرأي ، وفساد  
المذهب ، وظلام السيل وعمم الدراسة

فالذين يحبون الأدب أعشق الحب ، ويكلمون بصورة ومذاهبه أشد الكلف ،  
ويحاولون أن يأخذوا أنفسهم بدراسته وتعمقه - هؤلاء يعيشون في حياتهم  
الأدبية ، وفي أفكارهم وآرائهم تحت رحمة القدر - لا يجدون لهم قدوة يسرون  
على هداى ، ويأخذون أنفسهم بطريقته ، ولا يعززون على موجهه يرشدهم  
إلى الطريق اللاحب والنهج الواضح ؛ إذا ضلوا الصوى وأخطأوا السيل .

قد يتاح لهم أن يدرسوا ، ويفهموا وينتجوا ويصيوا ما يفتون من هدف ،  
وما يؤملون من مقصد ، وأن يلموا من الجاه والشهرة وذويع الصيت مبلغاً  
كريمياً ، وقد تقوم أمامهم الصعاب وترسخ العقبات ؛ فتنبط عزائمهم ،  
وتصرفهم صرفاً عنيفاً عما يتطلعون إليه من مجد أدق وجاه تقاف ؛ ذلك لأن أولئك  
وهؤلاء ليس لهم في حياتهم الأدبية ، ودراساتهم الفنية مناهج محدودة معلومة ،  
ولا مذاهب واضحة مرسومة ، ولا سيل معبد يمنهم العقبات ، ويقبهم مغبة  
السقوط والعتار .

ليس هؤلاء كما قلت قدوة يحتذون حذوها ، ويسرون على هديها ونهجها ،  
ولا يجدون في معترك الحياة ، وزحة الأفكار بصيصاً من نور ، يضيء لهم الطريق  
وينير أمامهم السيل ، ويفتح المغاليق .

فكل فارس في حلبة الادب ليس له من هم إلا أن يحمي في سبيله منظوميا على سره ، يحفظاً في أعماقه بما رآه موصلاً لعائته مسدداً لوجهه محققاً لأهدافه . وأما اتحدى أدباءنا الكبار ، وأسائذة هذا الفن الذين يشار إليهم بالبنان ؛ أن يكونوا قد طاموا الناشئين بنصح ، أو وجههم إلى هدف ، أو أخذوا بأيديهم إلى غاية ، وتلك فيما أرى حياة للادب ، وخلاص للفكر ، واحتكار رخيص للفن يوشك أن يودي به ويرديه في أعق حوة .

ولقد أخذت على نفسي في دراسي الادبية أن أكشف ما يترامى أمامي من نقص ، وما أبصره من عيب ، وأن أجلى للدارسين والمتأدين ، ما أعتقد أنه نافع لدراسهم مسدد لوجههم : حتى يتدققوا جمال أدبا ويستمرثوا حلاوته ، ويأخذوا صورته بالرغبة التي تحصن بناءه وتجلو رواه ، وتجعله في نفوسهم هذب المورد سائغ المذاق .

ولكن قبل كل شيء ما هو الادب الذي يصينا ، ومن هو الاديب الذي نعنيه ؟

لقد أخذ الناس من قديم يبدئون ويعيدون في تحديد معنى الادب ، وتوضيح مدلول هذا اللفظ ، ورسم شخصية الاديب ، وبيان السمات والخصائص التي تفرض على الناس الإيمان به ، ونعم عليهم أن يحبوا لبيانه ، ويتطامنوا لسلطانه ، ويعينوا لفنه . وأصبح من المؤلف لدى دارس الادب في كل مدرسة ومعهد ، أن يستمع دراسته بتعريف الادب ، ودرس تاريخ هذه الكلمة ، وكيف تطورت في استعمالات شتى إلى أن أصبحت ذات دلالة خاصة على ما يؤثر من بارع القول ، ورائع البيان وبلغ الكلام .

يبد أنما في هذه الكلمة لنا بسيل الإلمام بتلك الاطوار ، والحديث عن هذه الألوان ، التي صارت أقرب شها باصطلاحات العلماء ، وتعريفات المؤلفين ، إنما نريد أن نتحدث عن الادب الذي يحس الحياة ، ويتصل بها أوثق اتصال ، ويلونها بما هي خليفه به من ألوان ، ويصور ما تحفل به من مظاهر الخير والشر والنعم ، والبؤس والسعادة والشقاء . نريد أن نتحدث عن الادب كما ينبغي أن يعرفه الناس ، ويفهمه الأدباء والمتقنون ؛ حتى تتضح روحته وتلتهم بهجته التي لا يكدرها تعقيد المناهج وآصار القوانين .

إدراك الأدب فوق أنه فن تمشقه ونهواه ونحبه، وتنشأه وتؤثره العنبايع الشفافة، وترتاح له النفوس الصافية — له غايات وأهداف يسير إليها ويعمل لها — أردما أم لم نرد، طارعا أم تأينا — تلك هي تسجيل صور الحياة وإصلاح مظاهرها، وتخفيف أعبائها والاحتياط على تهوين آلامها، ورسم غلائل براءة عادة تلبسها المحن، وتنشج بها الأحداث الجاهدة، والمظاهر الناقصة العنيفة، لينخودع بها الحس، ويهون وقعها لدى النفس، وتحتمل صدماتها اللائمة. وذلك عمل الأدب الناضج الذي استوى فنه، واستحصت مواهبه يقول المرحوم الرافعي: «ففي عمل الأدب تخرج الحقيقة مضافا إليها الفن، ويحى التعبير مزيدا فيه الجلال، وتمثل الطبيعة الجاهدة خارجة من نفس حية، ويظهر الكلام وفيه رقة حياة القلب، وحرارتها وشعورها ورنها الموسيقى، وتلبس الشهوات الإنسانية شكلها المهدب؛ لتكون بسبب من تقرير المثل الأعلى الذي هو السر في ثورة الخالد من الإنسان على الفاني، والذي هو الغاية الأخيرة من الأدب والفن معا؛ وبذا يهب لك الأدب تلك القوة العامضة، التي تنسج بك حتى تشعر بالدينا وأحداثها مارة من خلال نفسك، وتحس الأشياء كأنها انتقلت إلى ذاتك من ذواتها — وذلك سر الأدب العبقري؛ فإنه لا يرى الرأي بالاعتقاف» والاجتهاد؛ كما يراه الناس وإنما يحس به فلا يقع له رأي بالفكر بل يلهمه إلهاما. وليس يواتيه الإلهام إلا من كون الأشياء تمر فيه بمعانيها، تعبره كما تعبر السفن البحر فيحس أثرها؛ فيلهم ما يلهم، ويحسبه الناس نافدا بفكره من خلال المكون على حين أن حقائق الكون هي النافذة من خلاله.

إذن فالأدب هو فن الإبانة عما في النفس من أحاسيس وانفعالات، وما يجيش في الفؤاد من صور الكون ومظاهر الحياة، وما يمر على المرء من أحداث تهيج شجونه، وتثير لوعته أو توقف إعجابه وتبعث نشوته.

وحين أقول فن الإبانة إنما أقصد قصدا كلة الفن بكل ما تحمله من معنى؛ حتى تقبل النفوس هذه الإبانة، وتفتح لها بكل ما فيها من حس وشعور وعاطفة؛ إذ أن كل إنسان يستطيع أن يبين عن حاجته، ويعرب عن رغبته.

فالأخرس لا تعوزه الإشارات ، ولا تستعصى عليه الحركات ، والعمى المحصر يستطيع بعد أن يكده لسانه بالفتمة ، ويجهد الآذان في التسمع أن يصل إلى ما يريد ، ولكنها إبانة لا تفعل لها النفس ولا يتأثر بها الحس ، ولا يش لها الفؤاد ، وأما لأقرب شها إلى إبانة الحيوان الأعجم عما يساوره من جوع ، أو يئتابه من عطش .

ومثل ذلك إبانة بعض الأناسى عن معان تطوى عليها نفوسهم ، وتحاول أن تصوغها السنتهم ؛ فإذا هي لا تطاوعها إلا الالفاظ الخشنة المنتشرة ، والأساليب العاجزة الملتوية التي لم تستطع أن تجمع شمل المعاني ، ولا أن تنظم شتات الأفكار في سمط .

أيمكن أن تؤثر هذه الابانة في نفس ، أو تثير إعجابا أو تستدر عاطفة ؟ كلا . لقد يرى الإنسان طفلا ربما صاحبه خفة الروح ، واطف الشكل ، وجاذبية القسيات ، وحلاوة السمات ، ولكنه يتشبع بثياب قدرة غير مهيبة ولا مرتبة ؛ فتعافه نفسه ويجفوه لأول وهلة ذوقه ؛ فإذا ما أخذ سمنا جيلا لا تجفوه الأناقة ، ووضعوا مهبذا لا ينبو به الذوق يلقاه المرء لقاء مرحا تهش له النفس ، ويرتاح الفؤاد ؛ كذلك شأن البيان كلما ألبه المرء حلة من الجلال قضى عليه حسن الرونى ، وخلاصة البريق ، وكلما سوى من خلقه وأبدع في نظمته ، وصقل من حواشيه ، وهذب من أطرافه ، كان أدعى إلى القبول وأحرى بالاستجابة ، وأخلق بأن تفتح له مفاقد النفس ، فتلقاه مؤنسة به مبهجة له أشد ابتهاج .

يقول الأستاذ أحمد أمين بك وهو يفرق بين العلم والادب : « أكبر ظاهرة في التفريق بين العلم والادب أن الادب يخاطب العاطفة ، والعلم يخاطب العقل ؛ فالكلام إذا لم يثر عاطفة لم يكن أدبا ، وإذا أmeen في إثارة العاطفة كان أmeen في الادب . »

من هذا ترى أن صور الادب البارة . وأخيلته اللامعة ، وطرانفه الفريدة خليفة أن تصفى على النفس روحانية وصفوا ، جذيرة أن تخلق فيها شق الاحاسيس ، وتثير له بها ألوانا من الانفعالات ، وتجعلها تجيش بالمعاني وتحفل بالصور الحية البارة .

صحابي من أدركهم أبو حنيفة

## أنس بن مالك

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور رجب  
المدرس بكلية أصول الدين

يقول ابن خلدون : وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة روى الله عنهم أجمعين . وهم :

(١) أنس بن مالك (٢) عداة بن أبي أوفى (٣) سهل بن سعد الساعدي (٤) أبو الطفيل عامر بن وائلة :

ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه ، وأصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت عند أهل النقل ، وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضى الله عنه ،

وأنس بن مالك من الصحابة اثنان : أنس بن مالك أبو أمية ، وأنس بن مالك أبو حزة الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تعين المصادر التي رجعنا إليها ، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ، والاستيعاب لابن عبد البر القرطبي ، سنة وفاة أبي أمية حتى نعرف هل يمكن أن يكون قد أدركه أو لا ؟ .

وابن الجوزي في كتابه ، المدهش ، يسمى من تأخر موته من الصحابة يقول : آخر من مات من أهل العقبة : جابر بن عبد الله بن عمر ، ومن أهل بدر : أبو اليسر ، ومن المهاجرين سعد بن أبي وقاص ، وهو آخر العشرة مونا ، وآخر من مات بمكة من الصحابة : ابن عمر ، والمدينة : سهل بن سعد بن معاذ ، والكوفة : عبد الله بن أبي أوفى ، وبالبصرة : أنس بن مالك ، وبمصر : عداة بن الحارث

ابن جزء ، والشام عبد الله بن يسر ، وبخراسان : بريدة ؛ وآخر الباطنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا : أبو الطفيل عامر بن واثلة .

وإذا قلنا إنه توفي سنة تسعين — قبل إحدى وتسعين ، وقيل اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين على ما رواه ابن الأثير في أسد الغابة وعرفنا أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين من هجرة سيد المرسلين يكون قد أدركه وهو ابن عشر سنين .

وروى الزهري عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين سنة ، وحدثنا أيضاً عن نفسه يقول . أخذت أمي أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية الخزرجية بيدي ، فأنت في رسول الله فقالت : يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب . قال . فخدمته تسع سنين فما قال لي لشيء قط صنعته : أسأت أو بئس ما صنعت .

وأم سليم هذه روى عنها ابنها وروى عنه ، وكانت من عقلاء النساء . ومن اللاتي لمن أثر يذكر في تاريخ التشريع الإسلامي ، وفي الفزوات . فكانت تفزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي التي جعلت الإسلام صداقاً تمهر به الزوجة ، فلما توفي عنها مالك بن النضر والد أنس هذا تقدم إلى خطبتها أبو طلحة الأنصاري وكان مشركاً فقالت له : أما إني فيك لراغبة ، وما مثلك يرذل ولكنك كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فلك مهري ، ولا أسألك غيره ، فأسلم فقالت : يا أنس زوج طلحة فتزوجها .

وكان ابنها أنس غلاماً مذاباً أي له ذوا به فأراد أن يحزمها فنهته أمه وقالت : كان النبي يمدحها ويأخذ بها . وداعبه النبي فقال له : ياذا الأدينين . وروى عن قتادة : يحدث عن أنس عن أمه أم سليم قالت : يا رسول أنس خادمك ادع الله له فقال : اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة . ويقول هو عن نفسه : قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة . فقد كان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك ، وقصر بالطف ، ومات وله من ولده وولد ولده مائة وخصرون ولدا ؛ وقيل مائة . وروى ابن الجوزي من العجائب أربعة أنفس رزق كل واحد منهم مائة ولد : أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر الليثي ، وخليفة السعدي ، وجعفر بن سليمان الهاشمي ، وكان يحب التجميل فقد كان نقش خاتمه صورة أسد رابض ، وكان يشد أسنانه بالذهب ، ويلبس الخبز ويتعمم به .

وكان من أبطال الرياضة البدنية، حبيت إليه لعبة الرمي، فكان فيها أحد الرماة المصيين، وكان يحبها إلى أولاد فتارة يرمون بين يديه، وتارة ينزل معهم في اللعب، فيغلبهم بكثرة إصابته. ولعبة الرمي هذه من الألعاب التي كان النبي يشجعها ويشترك فيها، فيروى البخاري أن رسول الله مر على نفر من بني أسلم يتصلون - أي يترامون - بالقسي للسبق والنضال - فأقبل عليهم قائلاً: أرموا بني إسماعيل فإن أياكم كان رامياً، أرموا وأنا مع بني فلان، فأمسك الفريق الآخر عن الرمي فقال لهم مالكم لا ترمون؟ فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم يا رسول الله؟ فقال أرموا أنا معكم كلكم.

وبهذه المناسبة أقول: إن رسول الله كان يحب الرياضة البدنية، ويشجع عليها فيروى البخاري أيضاً أنه كان يسابق بين الخيل بل بلغ من صايته بهذا النوع من الرياضة أن وضع له نظاماً، فجعل له أمداً معلوماً. وأن تكون الخيل فيه متساوية الأحوال فأرسل الخيل المضمرة - أي المجموعة - أرسلها من الخفاء إلى نفيه الوداع على مسافة ستة أميال تقريباً، وأرسل التي لم تضمر من نفيه الوداع إلى مسجد بني زريق وأمدّها ميل أو نحوه.

وإذا كان يشتبه في أنس بن مالك من الصحابة اثنان فيشتبه في إسم أنس وحده كثيرون. ومثل هذه الأسماء المشتبهة إذا لم يصرح في الحديث ببيانها لم يفرق بينها إلا الناقذ الثنت، وفي الفرق بينها فائدة عظيمة، وهي أن بعض الرواة ثقة ومثبه في الإسم يكون ضعيفاً فيعطل الفرق لذلك.

فلا رويت أحاديث عن أنس ولم يبين الراوي في روايته من أنس هذا؟ من ذلك حديث رواه ابن الجوزي مثلاً في كتابه - المدهش - قال: روى أبو قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصيام، ثم قال أنس هذا هو ابن مالك الفشيري - اختلف في نسبة أنس بن مالك أبو أمية هل هو قشيري أو كعب - وكنية أنس بن مالك خادم رسول الله أبو حمزة والنبي هو الذي كناه بقله يجنبها - الحمزة الأسد وبقله - وصمى على إسم عمه أنس بن النضر بن ضعضم وحمه هذا قتل يوم أحد شهيداً. يروى عن أنس قال: غاب عني عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، وواقه ثلث أشهدني

الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد استكشف المسلمون فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ . فقال : أي سعد هذه الجنة ورب أنس أحد ربيها دون أحد . قال سعد بن معاذ : فما استطعت ما صنع فقاتل . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم . ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفته أخته الرُّبِيع إلا بشأته . وقال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية — رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه — نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين .

وإذا كان أنس قد سمي بإسم عمه فأخته الربيع قد سميت أيضاً على إسم عمها . وهذه العمه هي التي كسرت ثنية جارية من الأنصار ، فذهب قومها إلى رسول الله يطلبون الفصاض ، فأمر النبي به فقام أخوها أنس بن النضر فقال : لا . والله لا نكسر ثنتيها يا رسول الله ، فقال النبي . كتاب الله الفصاض ، فرضى القوم وقبلوا الأرض . فقال النبي : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره .

وأنس بن مالك هذا لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه بعث إليه ليوجهه إلى البحرين على السماية ، فدخل عليه عمر فاستشاره فقال عمر : ابث فإنه ليب كاتب ، فبث ، وسئل أنس . أشهدت بدرأ مع رسول الله ؟ فقال للسائل : لا أم لك وأين غبت عن بدر ؟ ويقول العسقلاني في الإصابة ولم يذكر في البدرين لأنه لم يكن في سن من يقاتل ، وكانت إقامته بعد النبي بالمدينة ثم شهد الفتوح ، ثم قطن البصرة ومات بها في قصره بالطف وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة ودفن على بعد فرسخين منها ، ويروى أنه كان صده عصابة لرسول الله فلما مات أمر أن تدفن معه فدفت معه بن جنيبه وقبصه .

ذلك هو أنس بن مالك أبو حمزة الأنصاري ، خادم رسول الله صلوات الله عليه مد الله في عمره حتى أدركه أبو حنيفة اليمان رضى الله عنهما ، وأريت صحبته لرسول الله وخدمته وامثاله لأمر أمه حتى تولى تزويجها هو لأبي طلحة بعد موت أبيه ؟ إنه مثل أعلى في تفانيه لخدمة الحق كان مؤمناً مخلصاً ، وغنياً متجعلاً . وبطلاً رياضياً عظيماً . وبهذا السلوك الحكيم ساد المسلمون .

## موازنات أدبية :

## شاعران مبتدیان و ابن الجبارة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حسن جاد  
المدرس بكلية اللغة العربية

أما الأول : فشاعر بدوي أكسبه بلاد الشام الجيلة التي تجلجوا مناظرها العنينة ، وتضجح ذهنه ، وتفسح الخيال ، رقة في اللفظ وإشراقاً في الديباجة ، وسمواً في الخيال ، هو البحري الشاعر الشرقي .

وأما الثاني : فصادح الأندلس وغريد أيكها الرطيب ، هو ابن زيدون شاعر المغرب ، وبين الشاعرين نسب يعرفه الأدباء من قديم ، فقد قالوا : إن ابن زيدون بحري المغرب ، ولعلمهم يرجعون هذه الوشيجة إلى ما لوحظ من اتفاقهما في الصفة الشعرية ، من حيث إشراق الديباجة ووضوح المعنى ، فكلاهما رائع العظم ساحر الأداء ، وكلاهما شاعر فني قبل أن يكون حكيماً أو فيلسوفاً ، أو غواصاً على المعاني ، فلفظهما كثير الماء والرواق ، تشيع فيه الموسيقى والصنعة المستملحة ، ويتنبأ له كل ما يمكن من وسائل فن الصوت ، ويتفق الشاعران كذلك في كثرة الغزل وتخفيف أوزانه ، ووضوح فكرة الحب بلا فلسفة أو تعمق ، كما يتفقان كذلك في كثير من المعاني والصور الشعرية .

وإذا كان البحري قد اتصل بأبي تمام وعرف منه الماصح الجديدة ، فإنه لم يستطع أن يجاريه فيها لعرايتها على حسه وطبعه ، فوقف تأثره به عند الجوانب الظاهرة التي لا يحملها غموض ، ولا يكتنفها تعقيد .

ومهما يكن من أمر هذه التسمية التي خلعتها الأدباء على ابن زيدون ، وسواء أكان سببها تأثره بالبحري وتقليده له ، أم تجاوب فنه مع فن البحري ، وتوافق

طبيعتيهما ، فليس يعنينا الآن أن نحقق ذلك أو نبين إلى أى مدى يمكن أن تصدق هذه التسمية ، وغلاصة القول فى ذلك أنها صادقة إلى حد ما ، وأن لكل من الشاهرين شخصيته وخصائصه وسماته بالرغم من هذا الشبه القوى .

إنما نريد أن نعرض صورتين من هذه الصور التى اشترك فيها الشاعران ، مبرزين ملاحظتهما ، موضحين وجوه الشبه بينهما ، موازنين بين كل منهما .

فالصورة الأولى تهتة بالعيد تقدم بها كل منهما إلى مدوحه ، وصورة فيها عزّ الملك ، وقوة الجيش ، وبسطة السلطان ، وجلال الملك فى مصلى العيد . قال البحتري :

فأنتم يوم الفطر عينا ليه	يوم أعر من الزمان مشهر
أظهرت عزّ الملك فيه يحفل	لجب يحاط الدين فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد عدت	هددا يسير بها العديد إلا كثر
فالحيل تصهل والعوارس تدعى	والبيض تلح والاسنة تزه
والأرض خاشعة تמיד بثقلها	والجو معتكر الجواب أغبر
حتى طلعت بنور وجهك فاجلجت	تلك الدجى وانجباب ذاك العير
واقن فيك الناظرين فإصبع	يوى إليك ها وعين تنظر
حتى انتهت إلى المصلى لأبسا	ور الهدى يدور عليك ويظهر

وقال ابن زيدون :

وبشراك عيد بالسرور مظلل	وبالحط فى نيل المني متكشف
تجرد فيه سيف دولتك الذى	دماء العدا دأبأبغريه تظلف <sup>(١)</sup>
غدا بخميس يقسم الغيم أنه	لاحفل منها مكفها وأكثف
هو الغيم من رزق الاسنة برفه	وللطيل رعدى نواحيه يقصف
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة	يعاديه منا ماطر أو منطر <sup>(٢)</sup>
فإذ نحن طالعنا والافق لابس	عجاجته والأرض بالتحيل ترجف
وأينك فى أعلى المصلى كأنما	تطلع من محراب داود يوسف

البيت الأول عند ابن زيدون أحفل بالهتة وأجمع لبشريات العبد ، ذلك العبد  
الذى يطالع الممدوح بالحظ الوافى والامانى المرموقة ، وهو دون ذلك عند البحترى .  
وكذلك وصف الجيش تجد فيه عند ابن زيدون روعة لا تجدها عند البحترى ،  
روعة شعرية تهز قلبك وتزلزل جوانب نفسك ، حتى لتتلك جنيتك حذارا  
وفرقاً من عجاجة الألقى نعيم الجيش ، ورجفة الأرض بخيل الفرسان ، وخطف  
الابصار برق الاسنة ، وصم الأذان برعد الطبول . وأب قول البحترى :  
« والأرض خاشعة تئيد بثقلها . . . » من قول ابن زيدون « والألقى لا بس عجاجته  
والأرض بالخيال ترجف » ؟ وابن قوله : « حتى انتهيت إلى المصلى . . . »  
من قول ابن زيدون :

رأيتك في أعلى المصلى كأنما تطلع من محراب داود يوسف  
إنها لروعة أخادة ليس إلى وصفها من سليل ؛ وهكذا يتفوق ابن زيدون  
في هذه الصورة ويفوز على صاحبه .

أما الصورة الثانية فوقف من مواقف الهية ، هيبة الملوك ، ومشهد  
من مشاهد الجلال الذى يعتاق جنان الشعراء في حضرتهم . قال البحترى :

ولما حضرنا سدة الأذن أنخرت	رجال عن الباب الذى أنا داخله
فأنضيت من قرب إلى ذى مهابة	أقابل بدر التّم حين أقابله
وسلّمتُ فاعتاقت جناي هيبة	تأزهى القول الذى أنا قائله
فلما تأملنا الطلاقة وانثى	إلى يبشر آنستى مخايله
دوتُ فقبلت الذى في يداى امرئ	كريم يحيا سباط أنامله

وقال ابن زيدون :

ولما حضرنا الإذن والدهر خادم	نشير قيمضى والقضاء مصرف
وصلنا فقبلنا التدى منك في يد	بها يتلف المال الجسم ويخاف

أى الشاعرين وفقى في تصوير الهية وبرع في وصف الموقف ؟ أما أنا فأشهد  
للبحترى بالسبق ، واعترف له ببراعة التصوير ودقة الوصف . ففى قوله : « ولما  
حضرنا سدة الأذن » من الروعة الشعرية ما ليس فى قول ابن زيدون : « ولما

حضرنا الإذن ، وسر الجمال والروعة في كللة ، سدة ، ، وفي قوله : ، أخرت رجال عن الباب الذى أما داخله ، لفحة بحرية لازدحام باب الممدوح بالرجال ، ومحافظة الحجاب على النظام ، فلا يدخلون أحدا بغير إذن . وقوله : ، فأفضيت من قرب . . . ، أروع في تصوير الهية من قول ابن زيدون : « وصلنا ، فالبحترى في غمرة الجلال والهيبة يفضى إلى ذى المهابة ، ولا يدرى كيف وصل إليه . وابن زيدون يصور لك قوة الممدوح وعظمته ونفاذ أوامره ، وبسطة سلطانه ، حتى كأن الدهر عادم والقضاء بصرف ما يشير به ، وهو تصوير رائع . ولكن أروع منه هذا التصوير الذى صوره البحترى للهيبة ، فجعلنا نحسها ونستشعرها ونلحسها لمساً ، تلك هي الهية التى تعناق جان شاهر كبير كالبحترى وتنازعه القول ، وتضخم لسانه ، وتنسبه ما يريد أن يقول ، فهو مأخوذ مبهور ، لا يزيد على السلام ثم يعقد لسانه ، فلا يسعفه إلا طلاقة الممدوح وبشاشته ، وتهلل أساريره ونضارة جبينه ، وإشراق عيائه . وحينئذ يدنو منه فيقبل الذى في يمينه ، يمين هذا الرجل الكريم المحيا ، السبط الأنامل .

أست ترى أن البحترى قد صور الهية بأروع صورها ، وجمع لها كل ما يمكن من عناصر الفن والجمال ، وجعلها بكل ما يمكن من الألوان والظلال ؟ وأخيراً فالذى كل التدى في يد ممدوحه ، وليس هو بالتدى الخاص الذى في يد ممدوح ابن زيدون ، فقوله « فقبلنا التدى في يد امرئ » ، أبلغ وأروع من قول ابن زيدون « فقبلنا الذى ملك في يد » حيث يفته عن البيانية . وهكذا يسترد البحترى الجائزة من ابن زيدون ويفوز بها مضاعفة ، ويألفها من جائزة ترفع البحترى إلى ذروة الفن ، وتنتهى به إلى أمد الحاصل ، في هذا الوصف الرائع الجميل .

### الرأى والظن

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « إنك لا تتنفع بعقل الرجل حتى تتنفع بظنه » . وقد هجر عن هذا المعنى أوس بن حجر فقال :

الأممى الذى يظن بك الظن كأن قدرأى وقد سمعا  
وقال بلعام بن قيس .

وأبنى صواب الرأى أعلم أنه إذا طاش ظن المرء طاشت مقاديره

# الشرط في الفقه الإسلامي

بالنسبة للالتزامات

لحضرة الأستاذ صالح بكير

الأستاذ بكلية أصول الدين

الشرط هو تعليق الالتزام على أمر محتمل الوقوع في المستقبل ، وهو لا ينشئ الالتزام فوراً وإنما يؤخره إلى وقت تحقق الشرط ؛ فتنجح الشرط نشأ الالتزام ووجد أو سقط أو زال إن كان الالتزام قائماً معلقاً زواله على تحقق شرط . ومثل ذلك أن يقول شخص لآخر إن ثبت دينك على فلان فأني كفيل به فإنه إذا ثبت الدين ثبت التزام الكفالة .

وكأن يقول شخص لآخر إن جاء فلان من الحج سالماً فقد أبرأتك بمالي عليك . فجاء فلان هذا من الحج سالماً ، فإن الدين يسقط . وإذا فالشرط نوعان توفيقى كما في المثال الأول وفاسخ كما في الثاني .

والشريعة الإسلامية لا ترضى حمايتها على جميع الشروط التي تلحق الالتزام فبها ما تمنحه ومنها ما تحبزه ، ويترتب على المنع إما بطلان أو فساد الالتزام ، وإما اعتبار الشرط لاغياً وكأنه لم يكن ، وهذا يطابق ما في القوانين الوضعية من عدم وجوب مخالفة الشرط للقانون أو الأخلاق الفاضلة أو النظام العام .

والمتنبج لأقوال الفقهاء يتبين له أنهم قد اختلفوا في ضابط الشرط الساتفة وغير الساتفة . وفي ذلك ثلاثة مذاهب :

١ — المذهب الأول : يقرر أن كل شرط يخالف الشرع أو يزيد على مقتضى المقدر أو الالتزام ولم يرد به أثر من الشرع فهو لا تهره الشريعة الإسلامية ، وهذا هو مذهب أكثر فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية ؛ وذلك كما إذا اشترطت

المرأة في عقد زواجها بأن لا يتزوج الزوج عليها بأخرى، فإن مثل هذا الشرط لا يقتضيه عقد الزواج؛ بل هو زائد عليه وإذن فلا يكون له محل اعتبار. وهذا هو معنى المخالفة للنظام العام؛ إذ من النظام العام في الإسلام عدم تحريم ومنع ما أحله الشرع.

٢ — المذهب الثاني . يقرر أن كل شرط لم يتم من الشرع دليل على النهي به، أو على عدم اعتباره يكون ملزماً يجب الوفاء به، وهذا المذهب يوافق أصول كثير من الحنابلة، فأجازوا الشرط السابق في المثال السابق.

٣ — المذهب الثالث : لا يمتنع الشرط جائزاً إلا إذا ورد نص بإثباته؛ وقام الدليل على وجوب الوفاء به وهذا مذهب الظاهرية.

ويتضح إذن من هذا أن مذهب الحنابلة والظاهرية على طرفي تقيض، إذ الأول قد أفسح المجال لجميع الشروط التي لم يرد نص شرعي بالنهي عنها، أو التي لا تخالف القواعد الشرعية، بينما أن الثاني لا يجيز الشرط مطلقاً إلا إذا ورد به نص شرعي.

ويتضح أيضاً أن مذهب جمهور فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية وسط بين المذهبين السابقين؛ فإنهم يقسمون الشروط مع مشروطاتها إلى ثلاثة أقسام.

١ — إن كان الشرط مكملاً لحكمة المشروط كاشتراط الإمساك بالمعروف، أو التبرجح بإحسان في النكاح، فهذا الشرط صحيح شرعاً؛ إذ أنه مكمل لحكمة النكاح وملائم لمقصوده.

٢ — وإن كان الشرط غير ملائم لمقصود العقد كاشتراط عدم الإنفاق في النكاح فهذا الشرط باطل لعدم ملائمته للعقد.

٣ — أن لا تظهر في الشرط منافاة أو عدم ملائمة وفي هذا تجب التفرقة بين العبادات والمعاملات لاعتبار الشرط صحيحاً أو باطلاً.

فإن كان من العبادات لا يكتفى فيها بعدم المنافاة لاعتبار الشرط، بل تجب أيضاً الملائمة، وما كان من المعاملات أو العاديات فيكتفى فيها بعدم المنافاة لاعتبار الشرط.

وهذه أصول عامة وإن اختلف الأحناف والشافعية والمالكية في التفاصيل .  
فيرى الأحناف تقسيم الشروط إلى صحيحة وباطلة وفاسدة . وهذا التقسيم  
يستند إلى الأسس الآتية :

- ( أ ) كون الشرط موافقاً لمقتضى العقد .
- ( ب ) كونه مندرجاً تحت العمومات الشرعية .
- ( ج ) ورود نص به أو عدم وروده .
- ( د ) إقرار العرف أو عدم إقراره في حالة زيادته على مقتضى العقد .
- ( هـ ) تأثيره في العقد بتحقيق فائدة لاحد أو عدم ذلك .

وعلى هذا فالشرط الصحيح هو الذى يكون موافقاً لمقتضى العقد ، كتسليم  
الثلث قبل تسليم المبيع ، أو يكون مؤكداً لمقتضاه كاشتراط تقديم كفيل معين  
بالتن المؤجل ، أو أن يكون قد ورد به نص من الشارع كاشتراطه خيار الشرط  
لمدة معلومة ، فإن هذا الشرط غير موافق لمقتضى العقد ، وغير مؤكد لمقتضاه  
أيضاً وإنما ورد به أثر من الشارع . وكذلك يعتبر الشرط إذا جرى به عرف  
لكن بشرط عدم مخالفته لنص أو أثر شرعى .

الشرط الفاسد : هو ما كان غير موافق لمقتضى العقد ولا مؤكداً له ، ولم  
يرد به أثر من الشارع ، ولا جرى به عرف وفيه منفعة لشخص ، فإن اقتران مثل  
هذا الشرط بمقود المعاوضات يفسدها ، أو أنه يعتبر لاغياً ولا يبق العقد صحيحاً .

الشرط الباطل : هو ما ليس موافقاً لمقتضى العقد ولا مؤكداً ، ولم يرد به  
أثر ولم يجر به عرف ، وليس فيه نفع لاحد العاقلين ولا لغيرهما من هو من  
أهل الانتفاع ، كمن يبيع سيارة بشرط أن لا يستعملها إلا في أحوال خاصة ،  
فهذا الشرط باطل ، ولا يؤثر في العقد بطلان أو فساد ، فيلغو الشرط ويصح  
العقد ، سواء أكان العقد عقد معاوضة أو كان غير معاوضة .

هذا تقسيم الأحناف ، وأما المالكية : فإنهم يرون أن كل شرط لا يتفق  
مع ما يشترطونه لصحة العقد الذى اقترن به يكون مفسداً للعقد ؛ لأن العقد

لم يستوف حينئذ شروط صحته ، فلم تثبت حقيقته الشرعية ، كما أن كل شرط يؤدي إلى الضرر أو الجحالة يكون مفسداً للعقد إذا تمسك به صاحبه ، فإن لم يتمسك به لبي الشرط وصح العقد . وأما الشافعية : فيتلاقون في التقسيم مع الإحناف ، إذ الشرط الذي يقتضيه مطلق العقد يكون صحيحاً ، والذي لا يقتضيه العقد وفيه مصلحة للعقد نفعه ، كشرط الرهن بالثمن المؤجل فهو صحيح أيضاً ، يجب الوفاء به . وأما الشرط الذي ليس فيه مصلحة للعقد ويورث غرراً يؤدي إلى التنازع ، كشرط قرض مع بيع ، فتل هذا الشرط يفسد العقد ، والشرط الذي ليس فيه نفع لأحد يعتبر شرطاً لاغياً والعقد يكون صحيحاً غير فاسد .

وأما مذهب الحنابلة : فهو أوسع المذاهب وأيسرها ، لأن أكثرهم يوجبون الوفاء بالشرط طالما لم يقم دليل شرعي على عدم صحته .

#### آثار الشروط :

العقد المفقور بالشرط الصحيح لا يثنى ولا ينتج آثاره إلا إذا تحقق الشرط ، لأن العقد المعلق لا يتعقد سبباً لأحكامه إلا بعد وجود الأمر الذي رتب وجوده عليه ، فهو سبب أصح لأحكامه وليس سبباً فعلياً ، لأن تأثيره في إثبات الأحكام لا يكون إلا بعد وجود الشرط المعلق عليه . وهذا هو مذهب المالكية والحنفية . وأما الشافعية فعدم أن العقد يتعقد سبباً في الحال كالعقد المضاف .

ويلاحظ أن المقود من حيث تعليقها تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

- ١ - عقود لا تقبل التعليق مطلقاً ، وهي العقود التي تفيد التمليك سواء كانت عقود معاوضة أو عقود تبرع ، وبلا فرق بين تمليك الممثلة أو تمليك الرقبة .
- ٢ - عقود تقبل التعليق بالشرط الملازم كعقود الحوالة والكفالة ، والإطلاقات
- ٣ - عقود يصح تعليقها بكل شرط ملائم أو غير ملائم ، متعارف أو غير متعارف كعقود الوصية والإيصاء والوكالة .

هذه هي الأقسام الثلاثة لأنواع المقود من حيث تعليقها بالشرط ، ويتضح منها أن الفكرة العامة في الشرع والقانون ، هي أن الشرط لا يلحق العقد إلا إذا كان موافقاً للشرع أو القانون ، وأن العقد أو الإلزام لا ينشأ إلا من وقت تحقق الشرط .

# الانغضب

حديث شريف

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ صادق خطاب  
المدرس بكلية اللغة العربية

في الإنسان دوافع خير تصارعها نوازع شر، وعوامل صلاح تجاذبها بواعث فساد، فيه قوة تدفعه إلى الخير من طريق صعب المسلك، كثير المشاق جم العقبات ولكنه مأمون العاقبة، وفيه نزوة تعربه بالإثم وتزين له السوء من سبيل خلاب جذاب، خادع المنظر فتان المظهر، حافل بالمشتريات والمغريات، ولكنه أليم في نهايته مهلك في آخرته — فإذا علت فيه دعوة الحق على صيحة الباطل، وعلت صولة الخير على نزوة الشر، وسطع في فؤاده نور الهداية فعاظلة الفساد، فقد تهيأت له قوة الإيمان وصدق اليقين ومكارم الأخلاق ومباحة الدين، وإذا ضعفت مقاومته للشهوات ولانت عافته للآثام والمسكرات، وتمكنت من نفسه وساوس الشيطان، وأسباب الحسران، كان سبة لدينه وعارا لوطه، وعضوا فاسدا في جسم الأمة التي يعيش فيها.

من أقبح العيوب وأبشع المسكرات التي تحكمت في نفوس الناس، وتمكنت من مجتمعاتهم، وكان لها أسوأ الأثر في حياتهم، وتشويه علاقتهم وتمزيق روابطهم، وإشاعة فرقتهم وتوهمين كلتهم، طغيان الغضب وتحكمه في أخلاق الإنسان ومعاملته، فليست هناك علاقة بين صديقين ولا مودة بين أخوين، ولا تعاون على عمل من الأعمال، ولا اشتراك في مظهر من المظاهر إلا وقد دخل فيه الغضب بأسوأ أوزاره وأقبح آثاره.

غريزة من الغرائز الطبيعية، ركبها الله في نفس الإنسان، ليصون بها عرضه ويحمي بها نفسه، ويحفظ حرمة وينزود عن حماه فتكبح بها طريقها، وحاد بها عن صراطها واستعملها في هوى النفس، وسخرها لطغيان العاطفة؛ لذلك عد الإسلام

مجاهدتها وامتلاك النفس عندها من أمارات البطولة، وعلامات الشجاعة فقال الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » ، وكان الإمام الغزالي رحمه الله يقول : « إن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ، فالغضب دائماً يخرج صاحبه عن حده ويبعده عن وقاره ، وينسبه لإنانيته ويقربه من الوحوش الكاسرة ، ويجعله يستحل كل حرمة ويستبيح كل سلاح . فهو حرب كل مودة ونذير الفرقة لكل صلة . يقول ابن عمر : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرني بعمل وأقل ، لعلى أعقله فقال : لا تغضب . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا ينقذني من غضب الله قال : لا تغضب . ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن الغضب يدفع صاحبه إلى الهاوية ويرديه في الشقاء بقوله : « ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم » ، وقال له رجل : يا رسول الله أي شيء أشد ؟ قال : غضب الله قال : فما يبعثني من غضب الله ؟ قال : لا تغضب . فهذه كلها آثار ناطقة ، ودلائل قاطعة وبراهين مجمعة على خطر الغضب وقبح شأنه ، وأنه يجر الإنسان إلى الهاوية ، ويدفعه دفعاً قوياً إلى الهلاك ، إذ يطفى على عقله ويظلم فكره ويذهب لونه ووداعته وبشاشته .

إن نظرة واحدة إلى ما يعانيه المجتمع من آفات ، وما يشيع في أحواله من عيوب ، وما يكاد يقضى على بهجته ورونقه من أمراض خلقية تجعل الإنسان يؤمن من أعماقه أن أقصى هذه الآفات ، وأعتى تلك المكدرات الغضب . فنحن نغضب فلا تذكر خالقاً ولا تعرف فضيلة ولا تقف عند حد ولا نخشى عاقبة . لأقل حادث وأهون سبب ننظر فإذا الغضب يهيج في النفوس ، وإذا الشر يلعب ، بالرؤوس وإذا الوقار قد خف ، والحلم قد ضاعت آثاره ، وإذا ما كان يتحلى به المرء من سكية وادعة قد زال ولم يبق من مظاهره شيء .

حب فنفرط في المحبة حتى نحيل السيئات كلها إلى حسنات ، وننوم العورات ، فضائل وميزات ، فإذا غضبنا أصبحت المحاسن مخازي وفضائح ، وانقلب التسيحات إلى لعنات ، ولم ندع أديماً إلا مزقناه ، ولا عرضاً إلا هتكناه ، ولا لحماً

بشرى الا اكله متناً متعقناً : تلك ليست صفات المؤمنين . إنما هي صفات المنافقين  
 إذ أن من علامات المفاق أنه إذا خاضم لجر ، ورسولنا الكريم يعلمنا آداب  
 الاجتماع ، وشروط الصحبة بتوله : « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ،  
 وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .  
 أما الاستسلام للشيطان الغضب ، والاندفاع وراء النفس الأمارة بالسوء فلا  
 يكسب صاحبه إلا لعنة الله وغضب المجتمع ولقد صدق من قال : « إني والله  
 ما رأيت شيئاً أذهب الدين ، ولا أنقص الدرمة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب  
 من الخصومة » .

هذه آداب الاسلام ، وسياسة رسول الإسلام ، لا نلصق بها إلا كل  
 ما يمت الصداقة ويثير الانشراح والسرور ، ويذهب الاحقاد والاضغان من  
 الصدور ، ويجهل الانسان يعيش في دنياه مريح النفس هادى البال مطمئن الضمير .  
 روى أبو هريرة : أن أبا بكر كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلس ، فجاء  
 رجل فوقع في أبي بكر وهو ساكت ، والرسول صلى الله عليه وسلم يتسم ،  
 ثم رد عليه أبو بكر بعض الذى قال ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام من  
 المجلس ، فالحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله شتني وأنت تبسم ، ثم رددت عليه  
 بعض الذى قال فغضبت وقت . فقال صلى الله عليه وسلم : حين كنت ساكناً  
 كان ملك يرد علي ، فلما تكلمت وقع الشيطان ولم أكن لأجلس في مجلس فيه  
 الشيطان . ثم قال : يا أبا بكر ثلاثة حق إنه ليس عبد يظلم بمظلة فيعفو عنها  
 إلا أعزه الله وفصره ، وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله  
 فقه ، وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة إلا زاده الله بها كثرة .

ليتنا نعتبر بهذا حين نخطئ فخاصم ! . بل ليتنا هد الخصومة لا نفجر في  
 مظاهرها ، ولا نغضب في أسبابها بل نتعفف عن ذكر الأهراس ونبتش المدفون  
 من الأسرار ، والمجابهة بأشنع التهم وأبشع النعوت والتقاذف بما تفر منه  
 الإنسانية وبعائه الدين ولا تقبله المروءة .

لو فكر العاقل في دنياه لايقن أنها أضيق من أن تحمل عداوة أو تسع  
 لخصومة ، ولقد قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني اتخذ لك ألف صديق والآلف

قليل ، ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير . وقال سليمان عليه السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب ! فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم . وقال بعض الحكماء : لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ؛ فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة . وإياك والمجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك ، وكن سهلا ليناً للتريب والبعد ، ولا تكن جباراً عنيداً .

هذه لمحة من آثار الإسلام في معالجة غريزة الغضب ، فليحذر الناس أن يستسلوا لطغيانه أو يخضعوا لسلطانه ، وليحذروا مخالفه رب العالمين ، فليحذروا الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتته أو يصيبهم عذاب أليم .

## من أخبار آل البيت

جميع هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فلما أراد أن يستلم الحجر لم يستطع ، فينا هو ينتظر ، إذ أقبل على بن الحسين فتحنى له الناس هبة وإجلالا ، فقال رجل من كانوا مع هشام : من هذا ؟ فأجابه هشام ، لا أهرق ، وكان الفرزدق الشاعر المشهور حاضرا فقال قصيدة طويلة منها قوله .

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي التقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطائمه	والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رأيته قريبش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ومنها بعده .

ينفضي حياء وينفضي من مهابته	فا يكلم الا حين يتيم
-----------------------------	----------------------

ومنها :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
----------------------------	---------------------------

وختمها بقوله :

وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والمعجم
-------------------------	-----------------------------

# ابراهيم والتوحيد

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد النعم خفاجي  
المدرس بكلية اللغة العربية

١ — كان إبراهيم عليه السلام رجلاً ، وكان بطلاً ، وكان صديقاً نبياً ، وكان أمةً وحده ، وكان مثلاً أهلي في قوة العقيدة ، وعظمة اليقين ، وجلال التضحية ، وطوله الجهاد في سبيل الله والتوحيد والدين الحق ، دين الهدى والنور ، وشرعة السبأ البارة بالارض وبالإنسانية جميعها ؛ وليس هناك أروع من وصف الذكر الحكيم له : « إن إبراهيم كان أمة قاتنا لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً لا نعسه ، اجتناباً وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة ، وإياه في الآخرة لمن الصالحين ، ويؤكد الذكر الحكيم مكاتبه عند الله فيقول : « ولقد اصطفيناه في الدنيا وإياه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمتُ لربِّ العالمين ، « ويصفه الله جل جلاله في آية أخرى فيقول : « إله من هباده المؤمنين ، وفي آية أخرى يقول الله عز وجل : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً .

وهذا أعظم ما يصل إليه بشر ، وينطاع إليه إنسان ، ويسمو إليه بإيمانه وأعماله مؤمنٌ كريم ، سلام على إبراهيم ، لقد وقف في ظلمات الحياة وضلال البشرية ، وانحرف الناس عن كلمة التوحيد والحق ، يمدُّ للأرض صلتها بالسماء ، ويبعث في النفوس معاني السمو بالنفس والترفع عن عبادة الاوثان والتحرر من قيود الشرك والآهواء ، ويوقظ روح الإنسانية الواسية التي تاهت في مجاميل الحياة ويبداء الأوهام ، فنطق بكلمة الحق والناس غافلون ، ونادى بدعوة الخير وهم لاهون ، ورفع منارة التوحيد عالية بعد أن جامد جهاد الأبطال .

٢ — كان إبراهيم من سلالة الأنبياء المطهرين ، من ذرية آدم ونوح ، وكان يرث هذا النور الأبدى الخالد ، نور السماء الذى أشرق على الأرض أحياناً ثم انطفأ ؛ ونشأ تعلو وجهه سمات الشخصية الفذة والبطل المرجى والسبى المرتقب . وعاش فى الحياة ملكاً كريماً بأخلاقه وآدابه وشيمه وإباته وطموحه ، وحبه للخير وعمله له ما استطاع .

ولكنه كان فى شقاء بعيد بقومه وبالناس جميعاً ، يتلفت فلا يرى إلا ضلالاً وشركاً وآثاماً ، وأهواء مجابة وأوثاناً معبودة ، وانحرافاً تاماً عن دهوة الحق وثرات النبين من قبل : آدم ونوح .

كان يحب أن يرى الإنسانية تسير بل تطير إلى غاياتها المنشودة فى الحياة الفاضلة الكريمة ، وفى ظلال العقيدة الكاملة المثلى : عقيدة التوحيد والإيمان بالله ؛ ولكنه لم ير إلا الإلثم والوثنية والشر والشرك ، وكلبة الشيطان المستجابة المحبوبة من دون كلمة الله ، فسحق بحياة الناس وبأهوائهم وضلالاتهم ، وجنح هو إلى التفكير الطويل فى الدين والقوة العظيمة المسيرة للحياة ، وفى مصير الإنسانية وحاضرها الذليل ، ومستقبلها المرموق .

٣ — رأى والده ، آزر ، عاكفاً هو وقومه على عبادة الأصنام فلامه وضلله ، وإذا قال إبراهيم لآبيه آزر أمتنخ أصناماً آلهة ، إني أراك وقومك فى ضلال مبين ، ، لأنه كان يؤمن إيماناً ثابتاً أن لا إله إلا الله ، وأنه لا يستحق العبادة من دونه شيء .

ولا عجب فقد رباه الله على العقيدة الصحيحة ، ونشأ على الإيمان الحق ، وغرس فى نفسه كلمة التوحيد المطلق ، وفطره الفطرة الكاملة ، التى فطر الله الناس عليها .

وكان إبراهيم يفكر تفكيراً طويلاً فى الدين بعقله ، وكان عقله دائماً يرشده إلى هذه الحقيقة الثابتة الخالدة ، حقيقة الإيمان بالله وحده ؛ بل كان يرجع من تفكيره أكثر إيماناً وبقينا بالله .

رأى الكواكب فى السماء ، والقمر يملأ بنوره الفضى الجليل الكون فى الليل

البهم ، ورأى الشمس بازغة تمنح الحياة النور وكل مقومات الحياة ؛ فقال لعقله : ولم لا تكون هذه المظاهر الكونية العظيمة هي آلهة الكون وربة الحياة ؟ لكنه رأى الكواكب تغيب ، والقمر يأفل ، والشمس تختجب عن العيون وقت الغروب ؛ ومن ثم أرشده عقله ، إلى أنها لا يصح أن تكون آلهة معبودة ؛ فنطق إبراهيم بهذه الكلمة الرائعة : « إلى وجهتي وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين » .

وآمن إبراهيم بظنية إحياء الموتى إيمانا صادقا حقا ، ولكنه أراد أن يرى هذه الحقيقة بعيني رأسه ليطمئن قلبه ، فدعا ربه ، « رب أرني كيف تحيي الموتى » ، قال : « أولم تؤمن ؟ » قال : « بلى ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : « نغد أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سميا واعلم أن الله عزيز حكيم » .

٤ - وبلغ إبراهيم مبلغ الرجولة الكاملة ، والإنسانية العظيمة المصطفاة ، فأرسله الله جل جلاله رسولا إلى قومه ليهديهم إلى الله وإلى الحق وإلى طريق مستقيم .

« قال لآلئيه : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفئ هناك شيئا ، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فأتبعني أهدك صراطا سويا » ؛ ولكن والده لج في ضلاله واستمر على غوايته ، وقال لآلئيه إبراهيم : « لئن لم تنته لأرجنك ، وأهجرن مليا » .

ثم دعا قومه طويلا إلى الله وإلى الحق وإلى شريعة الأنبياء ، وكلمة السماء ، ولكنهم لجوا وضلوا وغووا وأصروا واستكبروا استكبارا .

قال لهم : « اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله آوثانا وتخلقون إفكا » ، وقال لهم : « إني براء بما تعبدون » .

وجادلهم في أصنامهم طويلا حتى إذا يئس منها ومنهم ، قال لهم في حرارة العقيدة وعظمة النفس المؤمنة بالله : « أفرايتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآبائكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين » .

والذى هو يطعمنى ويسقئ ، وإذا مرضت فهو يشفئ ، والذى يمتلئ ثم يحيين ،  
والذى أطعم أن يفرلى خطيئى يوم الدين . .

وأرشدكم إلى إلههم الحق وأنه رب السموات والأرض الذى فطرهم .

حتى إذا ينس من أن يستجيب قومه لكلمة الحق : ذهب إلى بيت الآلهة  
الذى نصبت فيه هذه التماثيل والأوثان فحطمها وكسرها ، وجعلهم جذاذا  
إلا كبيراً لم لهم إليه يرجعون . .

وأصبح القوم ، وشاهدوا مصرع الآلهة ، فأيقنوا أن إبراهيم هو الذى  
حطمها وفعل بها هذه القطة السكراء ، ومن غير إبراهيم يجرؤ على الآلهة  
هذا الاجترار العظيم ؟ فاعتقلوه وساكوه ، وقرروا أن يدموه حرقاً بالنار ،  
ولكن الله أوحى إلى النار أن لا تحرق هذا الجسم الطهور ، قلنا يا نار كوني  
بردا وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخيرين . .

نجاه الله فخرج من أرض قومه مهاجراً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين .

أقام بالشام يدعو الناس إلى الله ، ويهديهم إلى الحق والإيمان والمقيدة  
المثل ، وطلق يبلغ الرسالة ويؤدى الأمانة فى قوة ويقين وجهاد فى سبيل الله .

هـ — ووجه الله إسحاق ، وذرية صالحة كريمة ، ثم سمى إسماعيل ، فسعى به  
استجابة لداعى الله إلى الحجاز ، وأقام إسماعيل مع بعض القبائل العربية حول  
مكة ، وتفجرت له عين كريمة من الماء هى عين زمزم ، وأخذ قلب إبراهيم الكبير  
يرفرف بعطفه على ولده إسماعيل : فابتهل الى الله أن يجعل موضع إسماعيل كعبة  
للناس . ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا  
ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات ؛  
لعلهم يشكرون . .

وأخذ إبراهيم وإسماعيل يحددان بناء البيت الحرام ، ويطهرانه للطائفتين  
والعاكفين والركع السجود . وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا ما سنكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا واثم فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم . كما أخذ يؤذن في الناس بالحج إلى هذا المكان الطاهر الكريم . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . .

٦ — واسماعيل وهو الابن البار ، والشاب المحبوب . وفلذة كبد أبيه ، صم إبراهيم أن يضحي به وهو صغير استجابة لكلمة رآما في المنام .

قال له إبراهيم : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . .

استجاب الابن والاب لداعي الله . قلنا أسدا وكله للجبين ، وناديتاه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا هو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم . .

أي عقيدة بلغت من القوة والسمو واليقين هذا المبلغ العظيم ، الذي بلغت العقيدة في نفس إبراهيم .

وهكذا عاش إبراهيم ما عاش مؤمنا قوى الإيمان ، مجاهدا في سبيل إيمانه بربه ، مشردا عن وطنه ، داعيا إلى التوحيد المطلق ودين الإنسانية المهذبة ، وكلمة السماء الهادية للأرض ومن فيها .

٧ — وبعد فلقد وسع قلب إبراهيم الكبير كل معاني الخير والرحمة ، والبر والحنان والإنسانية الكريمة : كما وسع كلمة الحق والصدق والعقيدة والإيمان .

أشفق على أبيه أن نمسه النار ؛ فدعاه وحذره فأبى واستكبر فأخذ يدعو الله له أن ينقذه من عذاب الجحيم ، قال له . . سأستغفر لك ربى إنه كان بي حفياء ، ولكم حنان الآباء ووفاءهم للأبناء . لاستغفروا لك وما أملك لك من الله من شيء . . ثم أخذ يصرخ إلى ربه : . واغفر لابي إنه كان من الضالين ، . رب اغفر لي ولوالدي وللؤمنين يوم يقوم الحساب ، ؛ ولكن الله لا يرسم شركا . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عسى موعدة وعداها إياه فلما تبين له أنه هدوه الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم . .

مم أسكن إبنه في الصحراء فأخذ ينتهل إلى الله أن يجعل مكان إقامته بلدا  
أمنا وأن يرزقه وأهله من الثمرات .

وأشفق على قومه فنصحهم نصيح المشفق الأمين ، ثم أراد أن يطعن على  
مستقبل الإنسانية ، وعلى أن كلمة الحق والدين ستبقى ، وأن شعلة الإيمان لن  
تطفئ فدعا الله أن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، وأن يبعث فيها رسولا منها يطهرها  
ويركها ويصلها بالله .

وبعد فدين إبراهيم دين الحنفية البيضاء وشريعته هي الشريعة المطهرة ، التي دعا  
إليها الأنبياء بعده ، ولقد عاش إبراهيم عظيما ، ومات كريما وترك ذرية طيبة  
تعبده الله في الأرض ، وكان من نسله الكثير من الأنبياء والمرسلين ، حتى لقب  
« بأبي الأنبياء » ، ولقد تلقى إبراهيم عن ربه كلمات الدين والتوحيد فأمنهم ، وبلغها  
للناس تامات ووفى بمهد ربه ، ونشر كلمة الإيمان في الآفاق ، وذهب راضيا  
مرضيا ، وتركنا عليه في الآخرين : سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين .

### اتقاء الذم

روى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن شاعرا مدحه فأجزل ثوابه ،  
فلامه بعض أصحابه على ذلك . فقال :

« أتراني خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، ولا ابن  
علي بن أبي طالب ؟ ولكنني خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه ، فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مخلدا في الكتب ،  
محفوظا على السنة الرواة » .

فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني .

وقد أثر عن أخيه الحسن مثل ذلك فقد روى أنه أعطى مالا كثيرا ،  
ف قيل له : أعطى شاعرا يعصى الرحمن ويقول البهتان ؟ فقال : أن خير ما بذلت  
من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من إيتعاء الخير اتقاء الشر .

# الصَّوْمُ تَأْدِيبٌ وَتَهْذِيبٌ

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم هل أبو سعيد

النفس الإنسانية كثيرة المطالب ، متنوعة الحاجات والرغائب ، لا ينتهى طمعها ، ولا يفتقر جشعها ، ولا تقف عند حد أهواؤها وبوازمها : إذا منعت من شيء غضبت وسخطت ، وأرغمت وأزبدت ، وإذا أعطيت طمعت واستغلت ، بل بطرت وأنكرت نعمة الله ، وإحسان الخالق وحاجة المخلوق !

لذلك كان تشريع العبادات ، وفرض التكاليف الإلهية لتهذيبها وترقيق مشاعرها ، وإرهاق حسنها ، وتوجيهها إلى الحق ، ولقنها إلى ما يجب لها من قناعة وإسماح ، وما ينفع من سكينة ورضى ، وحسن إيمان ، وتذكيرها أن الله جل شأنه هو الذى يعطى ويرمى ، ويهب ويسلب ، ويثيب ويعاقب ، عطاؤه لسر ، ومنعه لحكمة ، ولا يدرك ذلك ، ولا يرضى به إلا المؤمنون الصادقون .

فكل ما شرعه المولى من عبادات ، ودعا إليه من تكاليف وطاعات ؛ إنما يرمى إلى تربية الفضائل فى النفس ، وتنمية روح الاجتماع فى الإنسان ، وإعداد أعدادا صحيحة لمواجهة الحياة الكريمة الفاضلة ، وإن فى الإسلام لأدبا وفضائل نحن أخرج إلى تدبرها ، والانتفاع بما فيها من سمو العبرة ، وجلال العظة .

والصيام عبادة من أجل العبادات ، وطاعة من أروع الطاعات ، شرعها المولى جل شأنه لغرس الرحمة فى القلوب ، وتطهير النفس من الشرور وتعويدها على الرضى بتصاريف القدر ، والصبر حين يفاجئها المنع ويستبد بها الحرمان . فهو

فضيلة من أعظم الفضائل ، ومدرسة حازمة لتربية الإرادة القوية ، والعزيمة  
النافذة ، والطاعة الحكيمة ، وهو كذلك نُجَّة من الشهوات ووقاية من ملابسة  
الخطيئات ، وحسن يحتمى به المؤمن إذا ساوره الهوس ، ونازعته  
غواية الشيطان .

يقول الله جل شأنه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ، كَمَا كُتِبَ  
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، فَمَا يَهْدِيهِمْ فِي الْقُلُوبِ ، وَبَعَثَ  
الْحَشِيَّةَ فِي النُّفُوسِ ، وَتَذَكَّرَ بِمَا يَحْسِبُ الْفَقِيرُ مِنَ الْمُنَاجَاةِ وَذَلَّ الْحَرَامُ ،  
وَمَرَارَةُ الْجُوعِ وَفُسُونُهُ ، وَإِرَاحَتُهُ مِنْ بَعْضِ أَطْعَمَاءِ ، وَاشْتِجَارُ أَهْوَائِهِ .  
وَنَحْنُ نَقْضِي أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْعَامِ بَيْنَ هُوَ وَلَعِبٍ ، وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ ، نَأْكُلُ  
مِنْ غَيْرِ نِظَامٍ وَلَا مِيعَادٍ ، وَلَا نَقِيدُ بِصَبَاحٍ أَوْ مَسَاءٍ ، ثُمَّ نَسْتَقْبِلُ شَهْرَ رَمَضَانَ ،  
نَسْتَقْبِلُ شَهْرًا تَتَمُودُ فِيهِ حَكْمُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي أَسْرَفَتْ وَجَازَفَتْ ، وَالَّتِي أَكَلَتْ  
حَتَّى مَلَّتْ وَتَعَبَتْ ، وَشَبِعَتْ حَتَّى أَحْمَمَتْ ؛ وَبِذَلِكَ يَكُونُ الصِّيَامُ وَسِيلَةً إِلَى حَكْمِ  
النَّفْسِ وَإِخْضَاعِهَا ، وَسَبِيلًا إِلَى زَجْرِهَا وَتَخْوِيفِهَا ، وَانْقِصَانِ الْإِنْسَانِيَةِ لِقُصُورِهَا  
وَتَمَرُّدِهَا لَا يُخَفِّفُهَا شَيْءٌ ، وَلَا يُرْهِبُهَا سِلَاحٌ بِقَدْرِ مَا يُخَفِّفُهَا الْجُوعُ ، وَ يُرْهِبُهَا  
الْحَرَامُ ! نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصْبِرَ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ ، وَنَحْمِلَ كُلَّ أَلَمٍ إِلَّا أَلَمَ الْجُوعِ وَذَلِكَ  
وَشِدَّتُهُ ؛ لِذَلِكَ كَانَ هَذَا السِّلَاحُ مِنْ أَسْلِحَةِ إِرْهَابِهَا وَتَخْوِيفِهَا ، وَتَوْجِيهِهَا إِلَى رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ الشَّيْطَانُ لِيَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ بِجَرَى الدَّمِ  
فَضَيِّقُوا بِجَارِيهِ بِالْجُوعِ » .

لَوْفَ هُمُ النَّاسُ الصِّيَامُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَأَرَادُوهُ عَلَى طَبِيعَتِهِ ؛ لَكَانَ حَرْبٌ كُلُّ  
مُفْسِدَةٍ ، وَهَدْوٌ كُلُّ شَرٍّ وَطَغْيَانٍ ، وَمُدْعَاةٌ إِلَى التَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ ؛ لَكِنَّ النَّاسَ  
أَلْفَوْهُ عَلَى غَيْرِ وَضْعِهِ ، وَتَعَمَّدُوهُ عَلَى غَيْرِ طَبِيعِهِ ، وَفَهَمُوهُ جُرْعًا تَمَلُّ مِنْهُ النَّفْسُ ،  
وَعَطَشًا يَنَادِي مِنْهُ الْإِنْسَانُ دُونَ حِكْمِهِ وَلَا غَايَةَ .

انْقَلَبَتِ الْعِبَادَةُ فِيهِ إِلَى عَادَةٍ يَوَاجِهُهَا الْإِنْسَانُ بِمَا يَخَفُفُ وَطَأْتَهَا ، وَيَسْتَهْلِكُ  
شِدَّتَهَا ، وَيَذِينُ عَلَيْهَا مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ ، وَهَلْ هُنَاكَ أَسْوَأُ أَثَرًا ، وَأَقْبَحُ خَطَرًا ،

وأشأم عاقبة من أن تغلب العبادة العظيمة إلى عادة ، تنبذ عندها المشاعر ، وتستغلق دونها الحواس ، ويتأهلها الناس بتألم واستكراه ؟ .

إن العبادة إن لم يكن لها أثر فعال في تهذيب مشاعر الإنسان ، وإدخال الرحمة على قلبه ، وتذكيره بخالقه ، وإثارة دوافع الخير ، وحوافز المعروف في نفسه ، فلا فائدة منها ولا أثر لإتمام الإنسان بها ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والمعش » ، لقد فهم الناس الصوم لونا من الحرمان يضجر الإنسان منه ، ويصطنع الحيل للتغلب عليه ، وليس غريبا على هؤلاء الغافلين أن يستعينوا على الصيام ، وقضاء رمضان بأكل يرمق المعدة ، وطعام يثقل البطن ، ونوم يستغرق اليوم كله ؛ فالأعمال فيه معطلة ، والحياة جامدة راكدة والوجوه عابسة قاتمة ، لا تعلوها بشاشة ، ولا يدايعها سرور ، والتفقات قد بلغت من السرف والتزيد حداً لا تحمله طاقة ، ولا تهض به قدرة !

أ تلك هي الحكمة من تشريع الصيام ؟ جنون في الإنفاق ، وإهدار للزمن ، وقعود عن السعى واستقامة عن العمل ، واستعانة على قتل الوقت بالنوم المستغرق العميق ؟

تعالى حكمة الله عن ذلك هلواً كبيراً ! لقد فرض علينا الجوع والحرمان ؛ لنعرف كم من النفوس الإنسانية الحساسة تكابد هذا المنع ، وتقاسى ذلك الحرمان ، وما دام هذا الجوع في سبيل الله ، وما دام ذلك الإجهاد والتعب في سبيل التهذيب الخلقى ، والكمال الإنسانى ، فكل مشقة فيه عبية ، والتعب راحة ولذة ، وقرب من الله ، والكربة المرذول سائغ ومقبول ، ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم يقول : « خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

ظن كثير من الناس أن الصوم إمساك عن الشراب والطعام ، وليس إمساكاً عن الفواحش والآثام ، فتركوا السقم — وهم صائمون — تجول في أهراض الناس ، وتخوض في العورات وتفسر السوءات ، وتخترع من مساوىء

الناس مادة للحديث ، وأداة للهو والقلية ، يفتطمون أنفسهم عن الأكل والشرب ،  
ويغذونها بأسوأ ما يتناوله إنسان من الفضائح والعيوب .

وما جدوى الصيام إذا لم تهذب به الآلة ، وتنظف به النفوس ، وتعود  
من الأدب الكريم ، والخلق القويم والطبع المستقيم ؟

وما فائدة الحرمان إذا لم تكن من ورائه عفة القول ، ومساحة الكلام  
ولين الحديث .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول : « من لم يدع قول الزور ، والعمل  
به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

فهل يتدبر هذا أولئك الذين جعلوا الصيام إثارة للأعصاب ، وتهيباً للشرور ،  
وإضعافاً لقوة التحمل ، وأكلاً للحرم للناس ، وولوغاً في أهواضهم ، لا يكاد  
الإنسان يتحدث إلى أحدهم حتى تتورث آثاره ، وتشتعل حفيظته ، ويشند غضبه  
وصخيه ، ويقذف لسانه بفحش القول ومجر الكلام ! ...

ويقول الناس : معذور إنه صائم .. اكلا والله ما هو بصائم ، ولو كان صائماً  
لكان مهذب الخلق ، رقيق العاطفة ، حلو اللسان ، يملك نفسه ، ويسيطر على  
أعصابه ، ويذكر دائماً أنه صائم وأنه قائم في عبادة ربه ، فلا يلحق به أن يفحش ،  
ولا يجمل به أن يسلم نفسه للشيطان ، ويلطخها بالمأثم والعصيان .

يقول صلى الله عليه وسلم : « الصيام حُجة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث  
ولا يجمل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقلل إلى صائم » .

إن الصيام رحمة فيجب أن تراحم ، والصيام محبة فيجب أن تتحاب ،  
والصيام رفع لدرجة الإنسانية إلى مرتبة الملائكة ، فيجب أن نكون فوق  
الحيوانية ، وفوق الغرائز الجشعة ، والشهوات الثائرة .

قيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فقال :  
« إني أعده لسفر طويل » ، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر  
على عذابه .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » .

## مقارنة وتحليل

## مِنْ طَرَفِ الْفَرَزْ الْحَكِيمِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحي

تستطيع أن تلاحظ مدى سهولة أن قصة موسى على طولها وكثرة دوراتها في القرآن الكريم، تلخص في أربع مراحل هي كل حياة هذا الرسول القوي الأمين .

المرحلة الأولى : وتبدأ بميلاده وتنتهى بفراره من الملائكة حين ائتمروا به إلى بلاد الشام .

المرحلة الثانية : وتبدأ بوروده ماء مدين ونزوله على شعيب ، وتنتهى بعودته بأهله إلى مصر رسولا إلى فرعون .

المرحلة الثالثة : وتبدأ برسائه إلى فرعون وصراعه معه ، وتنتهى بفراره من فرعون وجنوده إلى بلاد الشام .

المرحلة الرابعة : وتبدأ بنزوله وقومه بلاد الشام وتنتهى بانتهاء حياته .

كانت كل مرحلة من هذه المراحل غاصة بالحوادث الجسام ، ولقد أخذ القرآن على عادته في قص القصص، يذكر المرحلة الواحدة والمعنى الواحد في أكثر من موضع بأساليب تختلف إيجازا وإطالا وتقديما وتأخيرا ، وإبدال لفظ بآخر ونحو ذلك .

لنعد الآن إلى المرحلة الأولى ، ولنقب عما عسى أن يكون فيها من المعاني الواحدة التي حكيت في موضع بأسلوب وفي موضع آخر بأسلوب آخر ، ولنحاول الكشف عن مر ذلك تفصيلا ، ملتزمين المأخذ الذي أخذناه على أنفسنا في سالف هذه المباحث .

هذه المرحلة الأولى بما في طياتها من حوادث ميلاده وألفائه في الميم .

والتقاط آل فرعون له ، وردّه إلى أمه ، ثم قتله القبطى وفراره بنفسه إلى الشام لم تذكر إلا فى موضعين فى سورة طه من الآية ٢٨ إلى الآية ٤٠ وفى سورة القصص من الآية ٧ إلى الآية ٢٢ .

والقدر الذى يتفق ويغترق <sup>(١)</sup> فى آيات هذه المرحلة ، ويمكن عقد المفارقات فيه قليل بحيث لا يزيد المفارقات على أربع ، يجرنا البحث فى اثنتين منها إلى التعرّص لآيات وإن لم تكن من قصة موسى إلا أنها تشابه معها وتدخل فى نطاق بحثنا .

المفارقة الأولى : سورة طه ، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفه فى التابوت سورة القصص ، وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه ، فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .

الذى قاله الله لام موسى بشأن تهريبه من فرعون حيث يتبع المواليد ، يقتل أبناهم ويستحي نساءهم كان شيئاً واحداً ، فكيف اختلفت حكايته فى سورة طه أنه قال لها : فألقيه فى اليم وفى سورة القصص أنه قال لها : فألقيه فى اليم ؟ والجواب عن ذلك أن المآل واحد فى الإلقاء والقذف ، وإذا كانت الحكاية للمعى لا للألفاظ ضرورة أنها كانت بغير العربية ، وهذا لسان هريرى مبين ، وكان هذا التخالف بين اللفظين نفساً مبني على أحسن المناسبات ، ورعاية مقتضيات ، كان ذلك الصنيع أولى أن يعترض بعده من أن يعترض بوجوده ، فالإلقاء والقذف وإن كانا فى نهاية المعنى شيئاً واحداً ، إلا أن الأول فيه معنى الوضع والحط والثانى فيه معنى الرمي والتبذ والطرح ، فى الأول من العناية واللعف والإحكام ما ليس فى الثانى <sup>(٢)</sup> وعلى ذلك فقد وقع الأول جواباً لقوله تعالى فإذا خفت عليه ؛ لأن ما يخاف عليه ، ويشفق يوضع بإحكام ولا يرمى به ، ولما لم يذكر الخوف فى الموضع الثانى لم يكن بأس من التعبير بالقذف .

وباعتبار آخر . حيث ذكر الخوف عليه فى سورة القصص من إدراك فرعون له ، وكان هذا الخوف مدعاة تعجل فى رميه فى اليم دون عاية وإحكام

( ١ ) يتفق معنى ويغترق القاطا أو يتفق فى بعض الألفاظ ويعترق فى البعض الآخر .

( ٢ ) فى مفردات الراغب القذف الرمي البعد ، وفى المصباح ألقى التنازع على النهاية وضعت .

أشير إلى وجوب تحاشي ذلك ، بوقوع الجواب من مادة الإلقاء ، دون القذف  
وحيث لم يذكر الخوف عليه في سورة طه ، وقع التعبير بالقذف ، سيما وقد كان  
بمحاور القذف ما هو أدخل في باب نجاته ، وإحكام وضعه ، وهو التابوت حيث  
قيل : « فاقذفه في التابوت فاقذفه في اليم » .

فإن قيل ولم ذكر الخوف معلقا عليه في موضع دون آخر ؟ قلت أيا ما كان  
الامر من تعدد الوحي إليها في المحكي أو هدم تعدده ، فإن التعليق بما فيه من  
الخوف قد ذكر في سورة القصص ، دون سورة طه ، لما أن الأولى قصد فيها  
قصدا أوليا إلى اقتصاص هذه المعاني وتفصيلها ، على حين أن الثانية ذكرت فيها  
هذه المعاني على سبيل الاعتراض بها تذكيراً لموسى بنعمة قديمة عليه ، حين سأل  
ربه « هرون أخى أشدد به أزرى ، وأشركه في أمري » فأجاب به الرب « أوتيت سؤالك  
يا موسى ، ولقد متنا عليك مرة أخرى ؛ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفه  
في التابوت فاقذفه في اليم » (١) .

وعلى أن الوحي إلى أم موسى قد تعدد — كما اختاره وأميل إليه — بأن كان  
الأول معلقا صدر لها قبل ميلاده أو بعد ميلاده ، وقبل إحداق الخطر به ، وكان  
الثاني ماجزا عند إحداق الخطر به ، فقد ظهرت حكمة أخرى للتعبير بالإلقاء  
في الأول ، والقذف في الثاني من حيث أن القذف أدل من الإلقاء على الإسراع  
مخافة إدراك العدو له حين هجومه . ألا يرى إلى حروف الفاء المتتابعة المشعرة  
بهذا المعنى « اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم بالساحل » وإلى الإصرار  
على التعبير بالقذف مرتين متجاورتين . اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم ؟ .

« المفارقة الثانية ، سورة طه » إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من  
يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن ، سورة القصص . فقالت هل  
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها  
ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق . .

المفارقة ذات وجبين . الوجه الأول : حكاية قول أخت موسى في سورة طه

بطريقة ، هل أدلكم على من يكفله ، وفي القصص بطريقة ، هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فلم الوصول في العبارة الأولى وهو ، من ، يقابله في العبارة الثانية المضافان ، أهل بيت ، و ، يكفله ، في العبارة الأولى ذات ضمير واحد يقابلها في العبارة الثانية ، يكفلونه لكم ، هكذا بثلاثة ضمائر ، وقد كان من الجائز أن يكون كل منهما مكان الآخر جملة وتفصيلا ، والجواب بعد ما هو مفروغ منه من التفتن وحكاية المعاني لا الالفاظ ، أن المقام في سورة القصص مقام بسط واقتصاص معمود إليه مفتتح بقوله تعالى ، تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، .. الآيات : أما المقام في سورة طه مقام إيجاز واعتراض بهذه المرحلة من قصة موسى على ما سبق بيانه ، ألا يرى إلى زيادة قوله ، وهم له ناصحون ، في المقام الأول دون الثاني ؟

، الوجه الثاني ، قوله تعالى في سورة طه ، فرجعناك إلى أمك ، وفي سورة القصص ، فرددناه إلى أمه ، ؟ أما ضمير الخطاب في الأول ، والنية في الثاني ، فلأنه مقتضى المقام في كل .. أما وقوع التعبير عن معنى واحد بلفظين مختلفين ، حيث قيل في الأول ، رجعنا ، وفي الثاني ، رددنا ، فأحسبه بعد ما فيه من تلوين وتوزيع ، قد وقع الرد حيث هو واقع ، لأنه سبق في الموضع نفسه باللفظ نفسه ، حيث قيل قبله بقبائل في وعد الله لأم موسى ، إما رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فكأن حكاية نفاذ الوعد من لفظ حكاية الوعد ذاته ، فإن قيل ولم كان هذا السابق في الوعد بلفظ الرد ؟

قلت : إنه من تمكين المعنى بحس اللفظ وهيئته (١) فلا شك أن رجوع موسى إلى أمه ، إنما كان بحيلة تحريم الله المراضع عليه ، الأمر الذي اقتضى رده إلى أمه وهم لا يشعرون ، والحيلة بالنسبة للعباد ، فيها تعمل وتكلف يشبه ويناسب الثقل ، والعمل في الإدغام الواقع في قوله تعالى : ، إنا رادوه إليك ، هذا مع ما بينه وبين قربته في قوله تعالى : ، وجاعلوه ، من المشاكسة في الحركة والمعنى ، ففي كليهما خروج بالشئ من حال إلى حال .

كما أنه كان سبق هذا الوعد في سورة القصص هو السبب في اختصاص

(١) سبقت الإضافة في بيان هذه الظاهرة في القرآن الكريم في مقالات سابقة .

الوضع نفسه بزيادة قوله تعالى : « ولتعلم أن وعد الله حق ، دون شيء من ذلك كله في سورة طه (١) » .

المقارنة الثالثة : في قوله تعالى في سورة القصص في شأن موسى : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين ، مع قوله تعالى في شأن يوسف في سورة يوسف : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين ، فقد اختصت قصة موسى بزيادة قوله تعالى : « واستوى ، عقب قوله تعالى : « ولما بلغ أشده ، والجواب عن ذلك يقتضى أن نقول : لأنه قد وقع خلاف كبير في بيان الأشد والاستواء ، وهل هما شيء واحد أو شيان ؟ فقيل في الأشد : إنه سن البلوغ ، وقيل الواحد والعشرين ، وقيل الثلاثين ، وقيل الثلاث والثلاثين ، وقيل الأربعين . وقيل في الاستواء : إنه سن الأربعين ، وقيل قبل الأربعين ، وقيل بعده ، وقيل هما — الأشد والاستواء — بمعنى استكمال القوة واعتدال المزاج والبنية ، وكذلك حصل خلاف في المراد بالعلم والحكم . فقيل هما الرسالة ، وقيل النبوة ، وقيل الكمال النفساني من الحكمة العملية والنظرية ، ومهما يكن من هذه الأقوال أو غيرها ، فإن الآية الأولى دلت على أن الله أعطى موسى الحكم والعلم حين بلوغه الأشد والاستواء ، والثانية دلت على أن الله أعطاهما ليوسف حين بلوغه الأشد ، فهما في جانب موسى زيادة الاستواء ، وهي زيادة دالة على زيادة في معنى بلوغه الأشد والاستواء . أما على أن الاستواء قدر زائد عن الأشد ، فظاهر ، وأما على أنه غير مبين له ، فإنه لا محالة دال على زيادة في هذه المعاني ، ومحال أن يكون لغوا . وعلى ذلك لجأنا أن تكون هذه الزيادة من قبيل السن ، على معنى أن إيتاء العلم والحكم ، كان ليوسف قبل أن يكون لموسى بحسب عمر كل منهما ، ويؤيده ما هو ملاحظ في قصة يوسف قد أوحى إليه وهو في الحب ، كما قال تعالى : « وأوحينا

(١) لنستمع إلى الشيخ ذكراً الأنصاري في كتبه : « فتح الرحمن فيما يليق من آي القرآن » حيث يقول في هذه المقارنة : « وجئناك لتقاوم تحمل الرجح خفة فتح الكاف والرد ليقاوم خفة الرد تحمل خفة الماء وليوانق قوله إنا راحوه » اهـ .

إليه لتبنيهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ، وقد رأى الرؤيا فجاءت مثل فلق الصبح حين قال لآييه : « يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ، وأما موسى فلم تظهر عليه علامته الحكم والعلم مبكرة ، فإنه ظل دون وحى إلى قتله القبطى وفراره إلى الشام ، وقصائه أجل الأجارة وعودته بأهله من لدن شعيب ، وجاءه الحق ، وجاءته الرسالة . وكان المعنى في ذلك : أن يوسف من بيت علم ونبرة ، فظهرت عليه مخايل ذلك في صغره ، ولا كذلك موسى ، فإنه لم يعاجل بذلك بل استوفى به .

وجاز أن تكون هذه الزيادة لا من قبيل السن بمقصود ، ولكن من قبيل ما في الجسم وبنية الشخص ، والمعنى : أن الله أعطى ليوسف الحكم والعلم حين بلوغه الأشد ، وأعطاهما موسى حين بلوغه الأشد والاحتواء فكان موسى حين هذا الإتياء يزيد الاستواء على يوسف ، فكان أقوى جسما وأصلب عودا فيؤول المعنى إلى إثبات زيادة القوة البدنية في موسى عنها في يوسف ، فلئن كان يوسف قد أوفى شطر الحسن ، فقد أوفى موسى شطر القوة والفتوة ، وقد حدثنا القرآن أنه وكز رجلا ففضى عليه ، وحدثنا الحديث الصحيح : أنه صك ملك الموت ففقا عينه ، وقد قالت ابنة شعيب : « يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » ، ووصفه النبي في حديث المراج : بأنه يشبه رجال أزدشنوة الأشداء الأقوياء ، وكأما كانت هذه القوة فيه من إعداد الله له ليقوى على ملاقاته ما عاناه من الشدائد في حياته ، من مقارعة فرعون الجبار وتمرد بني إسرائيل عليه مرة بعد أخرى ، وهجرته إلى الشام من مصر مرة بعد أخرى .

المقارنة الرابعة : في قوله تعالى في سورة القصص : وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك . . . مع قوله تعالى في سورة يس : وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . . . الأصل في الفاعل أن يلى فعله لا يمدل من هذا الأصل إلا لموجب ، فإذا كان ما في سورة القصص على الأصل من إيلاء الفاعل لفعله ، فما هو الموجب الذي دعا إلى مخالفة هذا الأصل في سورة يس : حيث فصل بين فاعل المجيء وفعله بالجاء والمجرور ؟ الجواب أنه تقدم في نفس السورة قوله تعالى : واضرب لهم مثلا أصحاب القرية

إذ جاءها المرسلون . . . فذكر الله القصة ، وبين أن أهل القرية استكبروا وأصروا على الكفر بالرسول وتكذيبهم رغم تحذير الله لهم ، وتوكيد أقوالهم بكثير من أدوات التوكيد<sup>(١)</sup> فلما أراد الله أن يذكر بعد تصوير هذا النزاع أن رجلاً جاء فصدق الرسل ، ونصح قومه باتباعهم وكانت نفس السامع للقصة قد عرفت لإصرار القوم الحاضرين ، وأصبحت مستشرفة لأن يكون هذا المصدق إنما أتى من مكان بعيد ، جاء النظم القرآني مصحفاً للنفس بما تشوفت إليه وذلك بتأخير الفاعل ، وتقديم المكان الذي جاء فيه فإنه أهم وأولى .

وكم كان ذلك كله على طرف النعام من المناسبة بسابق القصة في السورة نفسها ، فإنه تحدث عن إصرار أهل مكة على الكفر والتكذيب بخاتم النبيين ، فواء أنذر أم لم ينذر فهم لا يؤمنون ، فكانت قصة أصحاب القرية هذه بما فيها من هذا الصنيع الذي يعمل له ، كالبشارة لخاتم النبيين ، فإنه إن أصر على الكفر به من عاية وبأثره فمضى الله أن يقيض له من المؤمنين به من نأت بهم الدار ، وشط المزار من أهل يثرب وهكذا قد كان .

قد يقال بعد ذلك ما بال هذه المدينة سميت قرية في نفس السورة في قوله تعالى ، واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ؟ وجوابه أن المدلول واحد فالمدينة والقرية والبلدة والمصر ، قد يجوز إطلاقها على مدلول واحد لكن لعل المدينة لما يراعى فيه الكبر والاتساع ، والقرية لما يراعى فيه الصغر والضيق فلما تعلق ببيان كبر ما غرض حين بيان أن الرجل الذي جاء مصدقاً كان من أقصاها البعيد ، وقع التعبير بالمدينة لإبعاد التهمة بأمر ربما كان له سابق تواطؤ مع الرسل دون شيء من ذلك في مطلع القصة الذي وقع التعبير فيه بالقرية ، أما المدينة في سورة القصص فهي هي في جميع مواضعها ، ودخل المدينة هي حين غفلة من أهلها . . . فأصبح في المدينة خائفاً يترقب . . . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، فلا سؤال في ذلك . واقع أعلم .

(١) واجع ما يشير إليه من المقامات والسور فهذا الذي ذكره هاهنا ليس أكثر من مفاتيح للبحث توضح بين يديك .

# الوحدة في تعاليم الإسلام

لمضية الأستاذ الشيخ المشاوي عبود الخولي

المدرس بمعهد القاهرة

من مظاهر التكريم الذي أسبغه الله على الإنسان ، أن أودع فيه حياً ذاتياً  
لبنى نوعه ، لجعله يحس بالحاجة الملحة إلى الإقامة في كنفهم ، وتبادل العون معهم .  
والاعتصام بحبل مودتهم ، والإذعان بأن وجوده مرتبط بوجودهم ، فلن يدور  
بخلافه أن ينأى عنهم ، ويحيا بعيداً عن محيطهم ، لأنه يعتقد أنهم عوامل بقائه .  
والعناصر المنعمة لوجوده . فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ،  
وبوحى الفطرة يدرك أنه لبنة في بناء المجتمع الذي يستظل بظلاله ، ويحني ثمراته ،  
وأن هذا المجتمع لا تقوى دعائمه ، ويحكم بناؤه إلا بتضافر القوى وتأزر الأفراد  
وتماسكهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، لكن هذه الفطرة قد تعرض لها  
ما يفسد جوهرها ، ويضعف سلطانها ، فجاء الإسلام للفطرة حامياً ونصيراً ،  
وعضداً وظهيراً ، ولقت الأذهان إلى تلك المعاني القيمة المركزة فيها ، وأوصى  
بضرورة الاسترشاد بهديها ، والاقتباس من نورها ، وأخذ النفس بقانونها ،  
وأعلن في صراحة ووضوح ، أن الاتحاد دعامة الأمة التي تركز عليها قواعدها ،  
وتشيد صروح عزها وباذخ مجدها ، وهضبة الحساس الذي يشد أزرها ويجعلها  
رفيعة العباد مرهوبة السلطان ، وروحها القوى الجبار الذي يبعث الحياة الماجدة  
في عروقها ، وينشر النهضة المباركة في جميع آفاقها ، ودرهما الحصين الذي تعصم به  
عند الخطوب فتفيض الثقة والأمن في ربوعها والخور والطلع في أعدائها .

فلا عجب إذن أن تعنى الدولة بضم صفوف أبنائها أكثر من عنايتها بسلاحها  
ومعداتها الحربية ، لأن السلاح لا يقنى قليلاً إذا كانت تحمله نفوس متآخرة

مشاذلة ، عندئذ لا يهرب العدو لها بأسا ولا يخاف بطشا ، ويهون عليه أمرها .  
والأمة إذا هان أمرها على أعدائها كانت عرضة للزوال والانتثار . أنظر  
إلى تصوير القرآن الكريم لحال قوم وقفوا من المسلمين موقف المحاربة ،  
وقد أفسدوا ذات بينهم ، ومزقت الفرقة أو أصر مودتهم : « لا يقاتلونكم جميعا  
إلا في قرية محصنة أو من وراء جدر ، ثم علل ذلك بقوله : « بأسهم بينهم شديدا  
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » ، ذلك بأنهم قوم لا يفكرون . »

لهذا كله عنى الإسلام بالوحدة هناية فائقة فترك عاملا من عوامل الفرقة  
والإنقسام إلا قصى عليه ، ولا بابا من أبواب جمع الكلمة وتآليف القلوب  
إلا دعا إليه . وتوجز ذلك فيما يأتي .

(١) عمد إلى بدعة التفاخر بالأنساب والمباهاة بالأجناس فهتك حجابها ،  
وبدد ظلامها وصراعها في مهدها ، وذكر في نداء صريح جامع أن البشر جميعا  
أبناء أب واحد وأم واحدة ، والكل إخوة متساوون في الانتساب إليهما ، فليس  
لأمة أن يداخلها الزمور بأصلها ، أو يزعم أنها شعب الله المختار بعد أن يرثي  
آذانها هذا الخطاب الرائع الوارد في قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من  
ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، فاعلموا أن شعوبا وأما إنما هو  
وسيلة لتعارفهم وتوحيد أهدافهم لخير الإنسانية وهماها .

يامن تشدون السلام هذا هو الإسلام يحقق ضאתكم ويعطيكم ملء أيديكم  
من السلام ، فهو يدعو إلى إخوة شاملة جامعة ، لا تعرف التفرقة بين شعب  
وشعب ، ولا بين أمة وأمة ويجعل تبادل الإحسان فيما بينهم وقاء بحق القرابة  
وصلة للأرحام ، تغذوا عنه ولا تولوا وجوهكم شطر مدينيات الغرب فدولهم تستر  
بالدعوة إلى السلام ، وتخفى وراء ذلك روغان الثعالب وغدر الذئاب .

أرايت أبلغ في الرد هل فريتهم من فقد السلام بينهم وهم دعاء ؟

ولقد عجزت إحدى تلك الدول عن النسوية في الحقوق والامتيازات بين  
رعاياها ، فقررت بين لون ولون ، أين هذا عما يدهو إليه الإسلام من المساواة ،  
وأعلنه نبي الإسلام من فوق منبر دولي عام في حجة الوداع فقال عليه الصلاة  
والسلام : « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

ثم يفتح الإسلام ميدان التسابق في الفضائل ، والنزود من المحامد التي بها توثق أواصر المودة والتآخي بين الشعوب جميعاً فيقول تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .  
(٢) أعله في صراحة وإيضاح أن الأديان كلها تنبع من معين واحد ، وتلتقي في غاية واحدة وهي توحيد الله تعالى والإخلاص في عبادته ، والإحسان في معاملته ، خلقه ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ، فلا يليق بعامل بعد هذا أن يعكس القصد من الدين ، ويجعله مادة للشقاق والنزاع الذي يزرع الأحقاد ويقطع الأرحام ، إنه إن أقررت ذلك فقد مزق رداء الإسلام ، وتقلص عنه ظله وفارقه برد اليقين ، إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . .

(٣) ترفق بخصومه من أهل الأديان ودعاهم إلى التفاهم في جو مغمم بصماء المودة ، والإخلاص للحقيقة فطلب من الرسول الأكرم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة معترف بها من الجميع ، ليست خاصة بفريق ولا تنسب إلى دين دون غيره . فإذا أثير في نفوسهم المتفق عليه لم يشق عليهم بعد ذلك الإذعان بالمختلف فيه . قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . .

وإنك لو صوبت النظر إلى أي حكم من أحكام الإسلام لوجدت الاتحاد ثمرته وغايته .

ففي العبادات شرع الله الصلاة وحث على الحرص في أدائها بالجماعة ، ليقف الكل على قدم المساواة ، فينددون بإمام واحد في صلاة واحدة متجهين إلى قبلة واحدة ، مخلصين العبادة لإله واحد ، عندئذ تجتمع القلوب في مناجاة والضراعة إليه والثقة به والتوكل عليه .

ولتحقيق الوحدة في صورة باهرة دعا الإسلام إلى اجتماع أسبوعي في صلاة الجمعة ، حيث يتضاهف العدد وتقوى أسباب الوئام .

وزيادة في تمكين الرابطة الإسلامية وإكسابها متانة وصلابة ، شرع الدين اجتماعين حاشدين كل عام في صلاة العيدين .

لكن هذه الاجتماعات كلها قد تكون قاصرة على أهل البلد الواحد ، فنقد الإسلام بشره للحج مؤتمراً عاماً شاملاً يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ، وقد تجاوب شعورهم وتوحدت أهدافهم ، يؤدون عبادة واحدة ، ويطوفون حول بيت واحد ، ويجأرون بالتلبية لآله واحد مقتبطين بالاجتماع على طاعته ، والاعتصام بحبل مودته ، متسابقين في الشكر على جزيل فضله وعظيم توفيقه إذ أصبحوا بتعمته إخواناً :

وناهيك بمشروع الزكاة الذي هو خير نظام اجتماعي ، يوثق أو أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء ، ويجعل منهما أعواناً متناصرين بل إخوة متحابين ، يكونون جهة منيعة تسعى بجاهدة في بقاء مجد الأمة ، وتصد عنها تيار النزعات الهدامة والمذاهب الجائحة .

ونظام العقود في الإسلام يحقق الوحدة في أروع صورها ، لأنه قائم على التزام الصبح والأمانة وبجانب الكذب والتدليس والحيانة ، حتى لقد حكم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بإخراج الفاسق من حظيرة الإسلام فقال :

« من غشنا فليس منا » .

وأما العقوبات فقد شرعت زجراً للعاوين وردعاً للفسدين وقضاء على فكرة السوء التي تطوف بأذهان المفتونين ، فتدفعهم إلى الاعتداء على الأمنين ، والعدوان أقوى هادم لبناء الوحدة ومثير للبعضاء الخالقة للدين . فرهبة العقوبة تمنع من التوجه إلى اقتراف أسبابها ، وبذلك يصاب جوهر الوحدة ويتبادل الجميع الأمن والاحترام والمودة والوئام ، وجعل الكل أمام قانون العقوبات سواء ، لتجتمع كافة الناس على تقديسه وخشيته طامعاً ، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع وغني وفقير ، ورئيس ومرءوس وسيد ومسود ، كان ابن الإيهم أميراً على الشام وفي أثناء طوافه حول الكعبة داس أعرابي على طرف رذائه فطمع جبلة ، فشكاه الأعرابي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحكم عمر بالقصاص وقال للجبلة لا بد أن تخضع للظمة مثلها من الأعرابي ، فقال له : أتسبون بين الملوك والسوق ؟ فقال له عمر : « الإسلام قدسوى يبيكما » . هل سمع الناس بمنزل هذا التشريع في سموه وعدالته الخالدة التي تنصف من الأمير لأحد رعيته ؟

ومل أنام نبأ ذلك الدين القيم الذى يجعل شعار الخليفة الإسلامى ، من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه ، يعلن هذا أحد الخلفاء فيرد عليه أحد الخاضعين لحكمه قائلاً : والله لو رأينا بك اعوجاجاً لقومناه بسيفنا . فيحمد الله تعالى أن جعل في الرعية من يقوم اعوجاج الخليفة بسيفه .

ومل علوا أروع من أن الإسلام يميز لاحد أتباعه أن يقاضى الخليفة أمام قاض من قصاة المسلمين ، فلا يبالي القاضى أن يحكم على من ولاء القضاء : إذا كان الحق في جانب خصمه ، ولا يتهيب أن يرد شهادته إذا لم تتوفر لديه أسباب الأخذ بها ، ذلك لأن نصرته للحق أحب لديه من صلته بالخليفة ، فنصرته للحق اعتصام بربه ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

هذا هو الاتحاد الذى فهمه الرعيل الأول من المسلمين ، وفتحوا له قلوبهم وسكنت جوارحهم ، واتخذوه مهاجماً عملياً ، في كل شئهم ، فظفروا بمون الله وإمداده وعزه وإسعاده . ونصرهم بالرعب ، وشرفهم بالخلافة عنه ، ومكن لهم دينهم الذى ارتقى لهم ، وجعلهم للعالم أمة مهتدين ، وقادة موفقين ، فلاورا الوجود حكمة ورشداً ، وعدلاً وفضلاً ، وتمت كلمة ربك الحسنى عليهم بما أصلحوا فسدوا بتحقيق وعده الكريم الوارد في قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » .

لكن المسلمين في هذه الأيام قد فرقت بينهم المطامع والأهواء ، وسدت مسامعهم الشهوات وحجبت عنهم منافع الهداية ، فقطعوا صلتهم بأسلافهم الأجداد ، وصاروا شيعاً متافرة ، وأحزاباً متناحرة ، فصاروا كثرة لا غناء فيها ، وغشاء كثناء السيل ، فزع الله هيبهم من قلوب أعدائهم ، وسلطهم عليهم فسلبهم لذة الأمن ، وساموهم الخسف والتكال ، ووضعوا يدهم على موارد الثروة في بلادهم ، وتقصى أمورهم في غيبهم ، ولا يستأدبون وم شهود .

ولقد بلغ من انحلال المسلمين أن اتخذ الأعداء من بعضهم مطية دولوا ، يركبونها لتفقد أطعامهم الجائعة ، وأغراضهم الآثمة ، وهذا الصف من الخوة المجرمين شر ما تبلى به الأمم ، لاهم أشد فتكاً بأمتهم ، وأسرع في القضاء عليها

من هدوها السافر ، فهم بالنسبة لها كالنار في الوقود ، لا تدعه حتى يجعله هشيما  
تذروه الرياح .

أيها المسلمون : إذا كان الاسبى قد أذاب نفوسكم حسرة وكنداً لهُوان أمركم  
على أهدانكم ، وهاجمكم الشوق إلى أن تقيموا بما نعم به أسلافكم من هبة الملوك  
وطهارة الخلائك ، فاعلموا أن عاوانكم لإرجاع حقوقكم المغصوبة ، مع تمزيق  
وحدثكم صبيحة في واد ، ومفحة في رماد ، لا يرفع العدو رأساً ، ولا يقيم وزناً .  
صوت الشعوب من الزئير بمجماً فإذا تفرق كانت بعض نباح

ولا عاصم اليوم من هذه الذلة والصفار إلا أن تجمعوا شملكم ، وتراخوا  
صدعكم ، وتقفوا أمام عدوكم جبهة متاسكة ، لا تذهب الأهواء ريحها ، ولا تلين  
قناتها . وليس هذا الدواء بعيداً عن أيديكم ، بل هو مائل في دينكم الذي يظلمكم  
لواؤه ، فأصلحوا ذات بينكم ، وضجوا صفوفكم ، وضاعفوا جهودكم ، ولا تياسوا  
من روح الله . فإنه قادر على إحياء الأرض بعد موتها ، والقادر على ذلك قادر  
على أقالة الأمم من شرها ، وإعزازها بعد ذلها ، وإمدادها بعد التخلي عنها ،  
وإعطائها بعد سلبها ، فأشعلوا جذوة الإيمان ، وألهبوا الحماس لسيى مجيد ، وعمل  
رشيد ، واقه معكم ولن يترك أعمالكم .

### طرائف الشعر

قال محمد بن علي لرجل : إنك لتروى طرائف الشعر فكيف قال الانصارى  
لاخيه ؟ فأنشده :

لعمرك ما إن أبو مالك	بوان ولا بضعيف قواه
ولا بالك له نازع	بصادى أخاه إذا ما نهاء
ولكنه غير غلاة	كريم الطبايع حلو تاء
وإن سده سدت مطوا	ومهما وكلت إليه كفاه

فقال محمد لآخيه زيد وكان حاضراً : هذه صفتك يا أخى وأعيذك بالله أن  
تكون قتيل أهل العراق .

# العَدَالَةُ فِي الْإِسْلَامِ

عدالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد علي منصور

لما قتل عثمان بن عفان أمير المؤمنين في فتنة قامت ضده ،  
هرع الناس إلى علي بن أبي طالب ، وطلبوا أن يباهيهم  
على الخلافة ، فأبى عليهم ، فأزالوا به حتى أقنعوه  
بضرورة قبولها ، حينما تنازعات ، وإطفاء لئيران  
الفتن ، فقبل رجاءهم كارها .

## شيء من أعماله :

تمت بيعة علي بالأغلبية ، فقام وخطب الناس ، ودعاهم إلى الخير وما فيه  
سعادتهم وفلاحهم ، وحذرهم الشر وما فيه شقاؤهم وهلاكهم . ونقل العاصمة  
إلى الكوفة ، وبدأ بتغيير عمال الأنصار ؛ لأنهم داعية الفرقة ، وسبب الشقاق ،  
ومن نجم من بينهم الاختلاف ؛ واستقبل أمير المؤمنين هبداً معلوماً بالفلاقل  
والفتن ، والثورات والحروب ؛ وحكم خمس سنين لم يصف له فيها يوم ؛ وقتل  
في النهاية بضربة من سيف مسموم بيد المجرم الاثيم عبد الرحمن بن ملجم الخارجي ،  
والمقدر واقع لا محالة ، والآخرة خير وأبقى لأمر المؤمنين !

## نماذج من عدالته وإنصافه :

١ - جلس كرم الله وجهه ذات يوم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛  
فدخل عليهما رجل من اليهود ، وطلب من عمر أن يحكم بينه وبين علي ؛ فظفر  
ابن الخطاب إلى علي وقال له : قم فقف بجانب خصمك يا أبا الحسن ؛ فقام علي  
ووقف بجانب خصمه والنضب بادٍ على وجهه ؛ فقال له عمر : أنتعصب لأنني  
أمرتك بالوقوف بجانب خصمك ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، إنني غضبت لأنك

لم تسو بيني وبين خصمي ! فقد كنتني<sup>(١)</sup> وسميت خصمي ! وفي التكنية تعظيم  
فأسف عمر ، وقضى بينهما ينتهي العدالة والقسطاس . ١

فهل رأيت أيها القارئ بعد هذا عدلاً وإنصافاً ؟ يأمر عمر بن الخطاب  
على بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله أن يقف بجانب خصمه ؛ وهو رجل من  
آحاد اليهود ؛ فيسارع على بالوقوف إلى جانب اليهودي ، ويرى الغضب في وجهه  
ويعاتب عمر لا لأنه أمره بالوقوف إلى جانب خصمه ، بل لأنه قال له قم  
يا أبا الحسن ، فكناه وفي ذلك ما يشعر بالتمظيم ، على حين أنه سمي خصمه  
باسمه المجرد . ١

وليس هذا بغريب من عمر وعلى ، رضى الله عنهما ، وهما من أكابر أصحاب  
رسول الله ، وحامل لواء الاسلام من بعده ، وقد أثريا في قلوبهما تعاليم الشريعة  
الغراء ، واهتديا بهدى الرسول الاعظم ، وقد شاهدا يوم بدر وهو يطلع  
سواد بن غزية بقذح<sup>(٢)</sup> في بطنه وهو مكشوف ليستوى في الصف ؛ فقال : قد  
أوجعتني يا رسول الله فأقدني ، فكشف له عن بطنه . ١١ فقبل مكان الطعنة  
ونزل عن حقه .

وأنجب من هذا أن رأياه - صلوات الله وسلامه عليه - وهو في مرضه الذي  
لحق فيه بالرفيق الأعلى ، وهو يملن للناس : أن من له حق عنده فليأخذه ، ومن  
له مال فليطلبه ، ومن جلده أو ضربه فليقتص منه . وأذن لرجل أن يضربه حين  
ادعى أنه ضربه ذات يوم ؛ فقال يا رسول الله : إنني كنت عارى الكتف أو الظهر ؛  
فألقى الرداء عن عاتقه الشريف . ١

وشأن الرجلين أن يتمسعا بالنبي العربي الكريم ، ويتوصلا لهذا الشرف  
العظيم ، فهل عرف الناس أجمع عدلاً يوازي هذا العدل ؟ وهل سمعوا بإنصاف  
يساوي هذا الإنصاف ؟ وهل يصدر مثل هذا إلا من رسول صادق أمين ، أعدته  
القدرة الإلهية ليكون المثل الأعلى في العدل ، والعاية القصوى في الإنصاف ؟

(١) التكنية : ما صدرت بأب أو أم . وكنتني : يعني قلت لي يا أبا الحسن .

(٢) القذح : السهم الذي لا نصل له .

ومن صاحبين جليلين ، فسجنا على منواله ، وترسما خطاه : وكان لهما فيه الاسوة الحسنة ، والقُدوة الطيبة ؟

٣ — لما تمت البيعة لأمير المؤمنين على بالعبلة ، وجه عنايته لبيت المال ، ونظم دخله وخرجه - ولقد حدث ذات يوم أن حصر إليه أخوه ، وطلب منه شيئاً من بيت المال ، ولم يكن له فيه حق ؛ فرفض على طلبه ، ولم يعطه شيئاً ؛ فتركه أخوه وانضم إلى أعدائه . فأية أمانة ، وأى حرص على مال المسلمين ، مثل هذا الحرص ، وتلك الأمانة ؟ تدفع الحاجة أخاه إلى أن يطلب منه شيئاً من بيت المال يستعين به ، فيرفض على طلبه ، لأن أخاه لا حق له فيه ؛ وبأبي أمير المؤمنين ألا يأخذ من بيت المال إلا من له فيه حق معلوم ، وإن أدى الأمر إلى غضب أخيه وانضمامه إلى أعدائه ؛ وفي هذا العدل المجسم ، والإنصاف العظيم .

٤ — سار على في الطريق يوماً يتفقد أحوال الرعية ، فوجد قشتين يقتتلان ففرق بينهما ؛ ثم مضى بعد ذلك فسمع صوت مستغيث . فخرج يجرى وهو يقول : أذاك الغوث ، أذاك الغوث ؛ فرأى رجلاً ممسكاً بآخر ، فسأله عن حاله ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، بعث هذا ثوباً بتسعة دراهم ، فأعطى دراهم على غير الشرط ؛ فطلبته منه استعاضة غيرها بها ، فأبى ولطمني ؛ فقال له على : أبدلها له ، فأبدلها . ثم التفت أمير المؤمنين إلى المضروب وقال له : أين بيتك على اللطمة ؟ فأحصرها . فأقعد الضارب وقال للمضروب اقتص منه — فقال : إنى عفوت عنه يا أمير المؤمنين ؛ فضرب على الرجل تسع دراهم ، وقال : هذا حق السلطان .

فانظر أيها القارئ كيف أقعد أمير المؤمنين الضارب وأمر المضروب بأن يأخذ حقه منه بالتقصاص ؟ ونأمل بعد نظره وسداد رأيه في معاقبة الظالم بعد أن عفا عنه المظلم كما تعمل الثيابة الآن ؟ وإلى موقع بأنك ستلصق في هذه الحادثة شدة يقظة على رعيته ، واستمداده لأجاية نداء المستغيث منهم ؛ مما يدل على منتهى الشجاعة والجرأة ، والشهامة والمروءة ، والعدالة والإنصاف .

٥ — كان في بيت المال عقد نفيس من اللؤلؤ ، فأرسلت ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الخازن تطلب منه أن يعيرها هذا العقد لتجمل به يوم عيد الأضحى على أن ترده إليه بعد ثلاثة أيام .

فأرسل الخادم إليها العقد ؛ ولما وضعت في جيبها ، رآه والدها عرفه ؛ فسألها في ذلك ، فقالت : استعرت من خازن بيت المال لأتزين به في العيد ثم أردته إليه .

فبعث أمير المؤمنين في الحال إلى الخازن ، ووجهه على تصرفه في مال المسلمين ؛ ثم أمر برد العقد إلى بيت المال على وجه السرعة — فقالت له ابنته : يا أمير المؤمنين ، أما ابتك ، وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه مني ؟ فقال لها : أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين في العيد بمثل هذا ؟ ثم قال : ويل لابنتي ، لو لم تأخذ العقد على أنه عارية مردودة ، لكانت أول هاشمية قطعت يدها في سرقة . ١

فأى عدل أعظم من هذا ؟ وأي إنصاف فوق هذا الإنصاف ؟ يا أي أمير المؤمنين أن تزين ابنته بعقد اللؤلؤ الذي استعارته من بيت المال ، ويرسل توأ إلى الخازن فيؤنبه ، ويوجه إليه فارص اللوم على هذا التصرف . ولا يكتفى بهذا بل يأمر برد العقد إلى بيت المال في نفس اليوم .

ولا يفوت ابنته أن تستعطفه ، حتى يسمح لها أن تزين به في العيد فيسكتها بحجاب في منتهى الإقناع — وفوق هذا يقر في نفسها أنها لو لم تأخذ العقد بصفة عارية ترد بعد ثلاثة أيام لكانت أول هاشمية يأمر بقطع يدها في سرقة ١

فهل وصلت المدنية الحاضرة إلى هذا ؟ وهل يوجد الآن على ظهر البسيطة أماس يشمرون بالمسؤولية ، مثل هذا الشعور العظيم ؛ فيخلد التاريخ لهم ذلك على صفحاته بكل إجلال وإكبار ؟

إننا لنبتل إلى الله العلي القدير ، الذي خلق أبا الحسن وسواه ، وصوره في أحسن تقويم ، أن يرضى عنه ، وأن يجعل فيه للحكام والرؤساء الأسوة والقُدوة ؛ فلقد كان — فوق أخلاقه وبجايته الطيبة — عادلاً ، منصفاً للناس من نفسه ومن خاصة أهله ؛ مبغضاً الاستئثار بما للجميع فيه سواسية ؛ موقناً بأن الله سبحانه للظالمين بالمرصاد .

# مِنْ خِبَارِ الْعَبَّاسِيِّينَ

للاستاذ الشيخ حسن خطاب الوكيل

بيننا الخيزران أم أميري المؤمنين الهادي والرشيد في دارها المعروفة بأساس ،  
على عهد زوجها أمير المؤمنين المهدي ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء ، وغيرهن  
من بنات بني هاشم ، وهي على بساط أرمني ، ومن على نمارق أرمنية . وزينب  
بنت سليمان بن علي أعلام مرتبة : فيها هي كذلك إذ دخل خادم لها فقال : بالباب  
امرأة ذات حسن وجمال وأطمار رثة ، تأتي أن تخبر ما اسمها ، تروم الدخول عليك .  
فقال الخيزران للخادم : إنذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال ولكنها  
في أطمار رثة . فكلمت فأوضحت عن بيان رائج .

فقلن لها : من أنت ؟ قالت : أنا مريضة امرأة مروان بن محمد آخر خلفاء  
الأمويين ، وقد أصارني الدهر إن ما ترين ، وواقه ما الاطمار الرثة التي على  
الإغارية ، وإنكم لما غلبتموما على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا ، لم نأمن  
مخالطة العامة على ما نحس فيه من الضرر ، على بادرة إلينا نزول موضع الشرف ،  
فقصدناكم لتكون في حجابكم على أية حالة كانت حتى تأتي دعوة من له الدعوة .  
فاغرو رقت عينا الخيزران ، وورقت لهاها : تخافت زينب بنت سليمان أن تقوم  
الخيزران بإجابة مريضة لمطلبها ، فنظرت إلى مريضة منصبة وقالت لها : لا تخف  
الله عنك يا مريضة ، أتذكرين وقد دخلت إليك بحران وأنت على هذا البساط  
بعينه ، فكلمتك في جنة إبراهيم الإمام فاتهريني وأمرت بإخراجي ، وقلت  
ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ، فواقه لند كان مروان أرعى للحق  
منك ، ولقد دخلت إليه خلف أنه ما قتله وهو كاذب وخيرني بين أن يدفعه أو يدفع  
إلي جنته . وعرض علي ما لا قلم أقبله .

فلما سمعت مريضة تأنيبها لها قالت : واقه ما أظن هذه الحالة أدتني إلى ما تريته  
إلا بالفعل الذي كان مني ، وكأنك استحسنيتي فتعرضي الخيزران على فعل مثله .  
ولكن كان يجب عليك أن تحضنها على فعل الخير وترك المناقبة بالشر ، لتستبقى

بذلك نعمتها ، وتصور بها ديبها . قالت لزَيْنَب : يا بنت عم كيف ترين صنع الله بنا في العقوق فتجيب التأمي بما فيه ؟ ثم ولت باكية .

هنالك أشارت الخيزران إلى بعض جواربها أن تعدل بها إلى بعض المقاصير ، وأن لا تمكنها من الخروج من القصر كاسفة البال ، وأمرتها بتغيير حالها والتلطف بها . وبينما الحال على ما وصفنا وإذا بأمر المؤمنين المهدي . فلما استقر به المكان انصرفت زينب بنت سليمان إلى مقصورتها ، وتقدمت الخيزران وقصت عليه ما حدث . فقال : على الجارية التي خرجت وراءها وردتها إلى بعض المقاصير ، فلما حضرت سألها : لما ذهبت مزينة إلى المقصورة ما الذي سمعتها تقول ؟ فأجابته الجارية لحقتها في أحد الممرات وهي تبكي تالية قوله تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » ، فالتفت المهدي إلى الخيزران أم الرشيد ، وقال لها : والله لو لم تعلى بها ما فعلت ما كلنك أبدا . وبكى وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة .

ثم قال إني أنكر ما فعلته زينب بنت سليمان معها ، ولولا أنها أكبر سنا مني لحلفت أن لا أكلها ، ثم أرسل إحدى الجوارى إلى مقصورة مزينة وقال لها إقرني عليها السلام ، وقل لها : يا بنت عم إن إخوانك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن عمك لجئتاك . فجاءت إليه مزينة شاكرة وهي ترفل في أثوابها فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ، ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان ، ثم أفاضوا في أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة ، وتقلها فتركوا لآخر في المجلس كلاما .

فقال لها المهدي : يا بنت عم والله لولا أني أخشى أن أنقص على من أكرمتك لتزوجتك ، ولكن لا شيء أصون لك من حجابي ، وكونك مع أخوانك في قصرى ، لك ما لهن وعليك ما عليهن ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق ، ثم أقطعها مثل ما لهن من الإقطاع ، وأعد لها من الخدم من يقوم بحاجاتها ، وأجازها . فأقامت مزينة في قصر المهدي إلى أن قصى نجبها ، وأيام الهادي . وصدرا من أيام الرشيد ، وماتت في خلافته ؛ وكان لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم . فلما قبضت جزع عليها الرشيد جوعا شديدا ، وأصحت كأن لم تكن بالأس .

قل اللهم مالك الملك توفى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### درس ديني بقصر رأس التين

من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم الاستماع الى دروس دينية تلقى بعد صلاة العشاء ، يشرف جلالتك خلقات بعضها بذاته الكريمة . وقد ألقى الدرس الأول هذه السنة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ علام نصار مفتي الديار المصرية ، وألقى ثانيهما حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر بالسراي الملكية في مساء يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٩ . وهو كما يرى القراء حافل بالتفصيلات عن فريضة الصوم وآدابه ورخصه وشروط صحته وفضائله ، لجاء درساً جامعاً يجب أن يلم به كل مسلم .

#### بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ ثَمَرُهُ . أَيَّامًا مُّعَدُّوَاتٍ ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ، فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ، إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

الصيام في اللغة : الإمساك والكف عن الشيء ، ومن ذلك قوله تعالى :  
 « إني نذرت للرحمن صوماً ، أى صمتاً وكفاً عن الكلام . وفي الشرع :  
 الإمساك عن الأكل والشرب وغشيان الفساء ، من الفجر إلى المغرب ، ابتغاء  
 مرضاة الله .

وقد فرض الله الصوم على المؤمنين كما فرضه على الأمم السابقة ، فكان  
 ركناً من أركان كل دين ، لأنه من أقوى العبادات ، وأفضل وسائل التهذيب ،  
 وتهيئ النفوس لفعل الخير .

وفي إعلامه تعالى لنا أنه فرضه علينا كما فرضه على الأمم السابقة إشعار بأن  
 جميع الديانات التي أنزلها الله تعالى على رسله واحدة في أصولها ومقاصدها وإن  
 اختلفت كيفيتها وأزميتها وأمكنتها .

ثم بين تعالى بقوله « لعلكم تتقون » ، أنه إنما فرض الصيام علينا لمصلحتنا  
 وسعادتنا ؛ فإنه يعد النفوس ويهيئها لقبول الطاعات والبعد عن المعاصي .

والصائم إذا ترك شهوانه التي تعرض له أثناء الصوم امتثالاً لأمر الله تعالى ،  
 وراض نفسه على الصبر كلما أغرتها الطيبات والشهوات ، شعوراً به بأن الله  
 تعالى يراقبه وأنه مطلع على سر نفسه ، وتكرر ذلك منه أيام صيامه - فإنه تربي  
 في نفسه ملكة خشية الله وتمظيمه ، ومراقبته ، وتزكوا نفسه ، وتكون مستعدة  
 لتقوى الله .

ومراقبه الصائم ربه في صيامه هي في الحقيقة رُوح الصيام الذي أَرادَه الله  
 من المؤمنين ، ليسعدوا بالتقوى ، وهو الصيام الذي يربي الإرادة ، ويكبح  
 الشهوات ، وينشئ عاطفة الرحمة والإحسان .

أما مجرد الإمساك عن الطعام والشراب مع عدم مراقبه الله تعالى ، مما  
 يسهل عليه ارتكاب الآثام ، فليس هو الصيام الذي فرضه الله على المؤمنين .  
 وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به  
 فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

فصوموا أيها المؤمنون كما أمر الله ، تظفروا بعظيم الجزاء عند الله : قال

رسول الله صلى عليه وسلم : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

\*\*\*

بين الله الصيام الذي كتبه على المؤمنين بأنه في أيام معدودات . والمحققون من المفسرين كالحسن وابن جرير وأبي مسلم على أن الله جل ثناؤه هنى بقوله : أياماً معدودات ، أيام شهر رمضان .

وقال بعضهم : الأيام المعدودات صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وكان ذلك فرضاً على الناس قبل أن يفرض عليهم شهر رمضان ، ولكن هذا القول لا دليل عليه . وقال ابن جرير المفسر : إنه لم يأت خبر تقوم به حجة بأن صوماً فرض على أهل الإسلام غير صوم رمضان ثم نسخ بصوم شهر رمضان ؛ بل بين الله في سياق الآية أن الصيام الذي كتبه على المؤمنين هو شهر رمضان دون غيره من الأوقات .

ولما كانت فرض الصوم عاماً ، استثنى منه الدين يشق عليهم الصوم ، أو الذين هم بمظنة أن يشق عليهم ، فقال تعالى : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » .

فالمريض والمسافر بمظنة أن يشق عليهم الصيام ، ولهذا رخص لهما في الفطر . ولكن ليس كل مرض يبيح الفطر ، لأن من الأمراض ما يعالج بالصيام ، ومنها اليسير الذي لا يضّر ، وإنما المرض المبيح للفطر هو الذي يؤلم المريض ويؤذيه ، أو يخاف تمانده أو زيده بالصوم . وهو قول جمهور من العلماء ، ومذهب حذاق أصحاب الإمام مالك .

وإذا صام المريض أو المسافر أجزاء الصوم عن فرضه . وإذا أفطر برخصة الله فعليه صوم عدة أيام أحر مكان الأيام التي أفطرها في مرضه أو سفره . وذلك معنى قوله تعالى : « فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » .

والآية في إطلاق الرخصة في الفطر للمريض والمسافر شاملة للمريض الذي يصيبه المرض أثناء النهار فيفطر ، والمسافر الذي يسافر أثناء النهار فيفطر .

وكذلك قوله : « فعدة من أيام أخر » ، عام في قضاء الأيام التي أفطرها المريض أو المسافر متتابعة أو متفرقة .

• • •

وقوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، اختلف في تفسيره أهل التأويل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الآية خاصة بالصبيح الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم ، أو لا يستطيعانه إلا بمجهود ، فيفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكيناً . وفسر قوله : « يطيقونه » ، بمعنى يعلقونه ، أى يتكفونه . والوجه في هذا التفسير أن الإطاقة أدنى درجات المسكنة والقدرة على الشيء ، فلا تقول العرب : أطلق الشيء ، إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث لا يقدر عليه إلا مع الشدة والمشقة ، وهذا بخلاف الوسع الذي يدل على اليسر والسهولة .

وجعل ابن عباس المريض الذي لازمه السقم ، والحلبى والمرضع إذا خافنا على الجنين والضعف في حكم الشيخ والشيخة .

وعلى قياس قوله يرخص أيضاً بالإفطار والإطعام للعالم الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال في المأجور ، والسجونيين الذين يقضون حياة سجنهم في الأعمال الشاقة ، كقطع الأحجار وحمل الأثقال .

وقال كثير من المفسرين : إن الله تعالى فرض شهر رمضان ، وأمر أن يفطره ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فكان من شاء صامه ، ومن شاء أفطاره وأطعم عن كل يوم مسكيناً .

ثم أنزل قوله : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ، — إلى آخر الآية : ففسخ به عموم قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ، وثبتت الآية في الشيخ والشيخة اللذين لا يقدران على الصيام ، وصار معنى الآية : الصيام واجب على الصحيح المقيم ، والفطر والقضاء رخصة للمريض والمسافر ، والفطر والإطعام مسكين عن كل يوم رخصة للشيخ والشيخة اللذين لا يستطيعان الصوم .

وقال الأصم : إن الآية راجعة إلى المريض والمسافر في الآية السابقة ، وذلك لأن المريض والمسافر قد يكون منهما من لا يطبق الصوم ، ومنهما من يطبق . فالذي لا يطبق بين حكمه بقوله : « فن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، والذي يطبق بين حكمه بقوله : « وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين » .

وقول الأصم لا يتفق مع ما ورد في السنة من أن الفطر للرخص والمساكين رخصة من الله ، من شاء منهم صام ومن شاء أفطر وقضى من أيام أخر . وقول الأكثرين وإن كان يتفق في النهاية مع قول ابن عباس إلا في بعض التفريعات ، ولكن تفسير ابن عباس أفضل ، لأنه لا ضرورة للقول بالنسخ في قوله : « وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين » .

وقوله تعالى « فن تطوع خيراً فهو خير له » عام في التطوع بالخير مع الفدية بأن يجمع بين الصوم والفدية ، أو يطعم عن اليوم الواحد أكثر من مسكين ، أو يزيد في طعام المسكين أكثر من الواجب ؛ كل ذلك من الخير الذي يشملها عموم الآية .

« وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » خطاب عام لأهل الرخص من المرضى والمسافرين وغيرهم . والمعنى إنكم إذا علمتم وتدبرتم ما في الصوم من الخير وأنه يورث تقوى الله ، علمتم أن الصيام خير لكم ؛ وهذا إذا لم يصركم الصوم ، لأن الضرر لا خير فيه .

وقوله تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، بيان من الله تعالى بأن الأيام المعدودات هي شهر رمضان ، وأنه إنما فرض صيامه على الناس لأنه شهر كله خير وبركة ، فقد أنزل فيه القرآن في ليلة باركها الله وجعلها خيراً من ألف شهر ؛ والقرآن هو الهداية العامة والنور الساطع ، لخير البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأنه في هدايته آيات بينات من الهدى ، ومنهج واضح للفصل بين الحق والباطل .

وإذا كان القرآن نعمة عظيمة تجلّى الله بها على عباده في هذا الشهر ، فإنه

يكون أنسب أن يجعل هذا الشهر شهر تبثّل ورجوع إلى الله بعبادة الصوم التي تزيّن النفوس ، وتطهر القلوب بما ألم بها ، شكر الله تعالى على هذه النعمة .

\*\*\*

ولما بين الله ما احتص به هذا الشهر من الميزة عنده ، قال : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، أى يجب على من شاهده منكم أى كان حاضراً وقت حلوله - أن يصومه إن كان صحيحاً مقياً ، وإن كان مريضاً أو مسافراً وقت حلوله ، أو طرأ عليه ذلك أثناء الشهر ، حل له أن يفطر ، رخصة من الله ، ويقضى ما أفطر من أيام أخر .

وهذا التفسير أولى بما قاله بعض المفسرين : إن معنى الآية أن من حل عليه رمضان وهو صحيح مقيم وجب عليه صيام الشهر كله ولو سافر في أثناءه ، ومن حل عليه وهو مريض أو مسافر قضى هذه ما أفطر من أيام أخر : لأن تحرير هذا البصر لا يتفق مع عمل النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يصوم بعض أيام الشهر ثم يسافر فيفطر .

وقوله : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » تأكيد للرخصة للمريض والمسافر ، لئلا يظن السامع بعد أن بين الله المزايا العظيمة التي في شهر رمضان ، وبعد أن أمر بصيامه بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » - لئلا يظن أن صيام الشهر كله أمر حتم .

\*\*\*

ومنا يمرض الناظر في قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » أن الآية لا تشمل سكان بلاد الشمال الذين يطول ليالهم ونهارهم ، وقد يصل في بعض الجهات القريبة من القطبين إلى شهور . ومع أن القرآن راعى في تشريع الحكم الأعم الأغلب من بلاد الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك ذلك ، بل وضع له أساساً يتبع في الحكم للمسلمين الذين يصلون إلى هذه الجهات . ففي صحيح مسلم عند ذكر أحداث الدجال ، وأن من أيامه يوماً كسنة ويوماً كقشعر ويوماً كجمعة - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يكنى في يومه

الذي كسنة صلاة يوم واحد ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره ، أى اجعلوا لكل وقت من أوقات الصلاة قدراً من هذا اليوم تؤدونها فيه .

وهذا أصل في التشريع لكل أنواع المبادات الموقوتة ، ومنها الصيام .  
والأظهر أن يكون التقدير حسب الاوقات في أقرب البلاد المعتدلة .

• • •

أشارت الآيات السابقة إلى ما كان من فضل الله علينا ، وسعة رحمته بنا في فرض الصيام حيث جعله سبيلاً إلى التقوى ، وأراح عنا المشقة وسهل لنا صيامه فجعله في أيام معدودات ، لا أبداً ولا في أكثر الاوقات ، ورخص في تأخيرهِ للمرضى والمسافرين ، كما رخص لمن يجهد في الصيام ويشق عليهم في الإفطار والفدية ، وجعله في أخطر الشهور شأناً وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هداية للبشر — فناسب أن يُختتم ذلك كله بالنية على الحكمة في هذه الالطاف المقرنة بهذا التكليف ، فقال تعالى : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتُكملوا العدة ، ولتُكبروا الله على ما عداكم ، ولعلكم تَشْكُرُونَ .

ويبان ذلك أن الله بنى تشريعهُ على اليسر والرفق ، وما جعل علينا في الدين من حرج ، ولذلك جعل الصيام يسراً لا عسراً فيه حيث فرضه في أيام معدودات . ورخص لأصحاب الأعذار من المرضى والمسافرين في تأخيرهِ . كما رخص لمن يشق عليهم الصوم في الإفطار والفدية ، ورخص لنا في إكمال عدة الشهر بقضاء ما فاتنا ، ليكمل لنا الاجر وحسن متوبة الصوم . وهي من تدهونا إلى تكبير الله وتَعْظِيم شأنه على ما هدانا إليه من الخير ، وإلى شكره على هذا الفضل العظيم .

## عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

يبدأ في الجزء الماضي أن عقائد الإسلام الرئيسية تمنع تولد الشقاق بين الجماعات ، فلا تشتغل الجماعات بنفسها عن توحيد قواها للوصول إلى غاياتها في ثقة وطمأنينة لا بد منها لبناء الأصول الراسخة ، وإقامة المباني الشائعة ؛ واليوم نسرده رؤس الأصول الاجتماعية في الإسلام ، ونبين أنها مستودع آياته الباهرة ، ومعجزاته الخالدة ، فنقول :

لكل مجتمع أصول تقوم عليها أركانه ، كما لكل مبنى وطائد يقوم عليها بنيانه ، وبقدر ما تكون تلك الأصول قوية ومستقرة على قرار مكين ، يحى البناء متيناً راسياً لا يتدهى للسقوط ، ولا يحتاج للترميم . وقد جرت السنة الاجتماعية على أن هذه الأصول تكون بدائية في المجتمعات الحديثة الوجود ، ثم تأخذ في التهدب والارتقاء رويداً رويداً تحت تأثير دواع قاهرة ، وعوامل مؤثرة ، تظهر أولاً على صورة مصادمات جدلية ، ثم تتطور إلى ثورات دموية ؛ وعقب كل انقلاب من هذه الانقلابات ترتقي الروابط الاجتماعية درجة في تطورها إلى الديمقراطية المثالية ، التي تقطع معها العوارق الطائفية و الأمة الواحدة . من هنا لا تفتأ الجماعات تهب فيها الثورات من حين إلى آخر ، مدفوعة إليها بعوامل ناموس الارتقاء ، لا بعوامل شر كما يتوهم ذلك من لا بصيرة لهم بعلم الاجتماع .

قلنا : إن الجماعة الإسلامية مضى عليها بعد أن تألفت على حالة ضعيفة ساذجة ، ووصلت إلى درجة ممتازة من النظام الاجتماعي ، والرقى العلمي والعمل ، مما استحققت به خلافة الله في الأرض - قرون كثيرة ، لم تشب فيها ثورة واحدة أثارها ما يشتر غيرهما من طلب المساواة في الحقوق والواجبات الاجتماعية ، وهي الأسباب التي ولدت في جميع العصور شر الثورات ، وأشدّها كلباً ، حتى كانت سبباً في حل جماعات ، وضياح استقلال أخرى ، وجرت وراءها نكبات لا حصر لها لتلك المجتمعات وما جاورها ، ولا يزال الناس يعيدون ذكرى الثورات الرومانية والانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها بما لا يمكن حصره .

وإنما يرد الناس ذكرى هذه الثورات لأنها إنما شئت لتوليد الحقوق الإنسانية الطبيعية ، وتسجيل نشوئها في العالم كأصول أولية لكل نهضة اجتماعية ذات أغراض مدنية أو أدبية .

إذا صح هذا وهو صحيح ، بل هو طبيعي محسوس ، فلماذا لم تحدث مثل هذه الثورات في الأمة الإسلامية ، ويستدعي نهوضها الاجتماعي والمدني قروناً كثيرة كما حدث لغيرها ؛ بل تألفت ولم ينص على تأنيها قرنان حتى أصبحت أعظم أمبرطورية في الأرض ، وأسست مدنية فاقت جميع ما تقدمها ، وحفظت للعالم تراثه العلمي وزادت عليه من جهودها مكتشفات جديدة ، ومعلومات ثمينة ، أتمت كل هذا في قرنين لم يتحلقها أقل اعتراض على الحقوق الاجتماعية ، الأمر الذي احتكر جميع الثورات البشرية ، واستوعب تاريخها كله ؟

السبب في هذا هو ما قدمناه من أن الاسلام جاء مشتملاً على جميع حقوق الأفراد بعضهم حيال بعض ، وعلى كل ضروب المساواة التي تتطلبها الحياة المدنية ، ولا تظهر الحاجة إليها في الشعوب إلا رويداً رويداً ، ففي كل مرحلة من المراحل الاجتماعية يرداد وعي الجماعة بنفسها ، فتطالب الطوائف المحرومة من حقوقها بتلك الحقوق ، ويصر المتمنعون بها على حرمانهم منها ، فيحاول الضعفاء أخذها غلاباً ، فتقع بين الفريقين ثورة قد يتغلب فيها المعتصمون ، فتبدأ الثورات أمدأ محدوداً ، ثم تهب من جديد ؛ ولا تزال تتبع هذا الأسلوب إزاء حصولها على حقوقها الاجتماعية ، حتى تحصل عليها كاملة أو تخيب في منازعة خصومها فتلحق بالمتحلفين .

أرسل الله خاتم رسله بالاسلام ، والام في غيابة من الجبل بحقوقها ، يسوقها رعائها إلى التناحر ، فتتقاد لم اقتياد الخراف لرعائها ، فيدفنون بها إلى أي الأغراض شاءوا ؛ فأعلن صلى الله عليه وسلم الأفراد بحقوقهم وواجباتهم وطالهم بالاعتداد بها والحرص عليها ، وأنهم يحبون حياة طيبة ، ويخضعون أنفسهم والإنسانية أجمع ما داموا عاملين بها ، ومرسمين خطواتها . فإن انحرفوا عنها انحرفت بهم الأحوال ، فإن لم يتيقظوا أدركتهم أدواء الام وهلكوا ولا كرامة .

أول تلك الأصول : المساواة بين الناس كافة في جميع الحقوق الإنسانية لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا تركي على زنجي ولا لغني على فقير ، ولا لوجه

على صعلوك ، فالجميع متساوون في الحقوق والواجبات ، قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا خَلَقْتُكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا فُضْلَ لِمَنْ هَلْ أَعْجَسَ ، وَلَا لَأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالْتَّقْوَى أَوْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ ، كُلُّكُمْ لَأَدَمٍ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ » .

بهذا الأصل الأصيل سقطت في العالم الإسلامي قسمة اعتبار الفقراء والعامّة محرومين ، أو كإشباه المحرومين من الحقوق الوطنية ، والميزات الاجتماعية ، فكل مسلم وإن كان معدما وذا ماضٍ بعيد في الفاقة وحول الذكوة من الحقوق الوطنية ما لا تثرى الأثرياء ، الممثل لأرفع البيوتات ، وأنبأ الطبقات .

فكما فتح الإسلام أمامه باب الارتزاق ، ولم يضع له حدا في طلب الخلال ، مهد له سبيل الخضم الاجتماعية ، فلم يوجد في وجهه بابا يمكن أن يبلغ منه للوصول إلى أرفع الدرجات في المجتمع ، ولم يضع أمامه من العراقيل ما يصرفه عنه إلى غيره . وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ هذا النظام فولى بلالا - وكان مملوكا حبشيا لواحد من الناس - على المدينة ، ليدير أمورها في غيبته ، وكان فيها أبو بكر وعمر وعدد كبير من عظماء الصحابة ، وكبار أصحاب البيوتات .

فهذه ديمقراطية لم يرها العالم المتمسك إلى اليوم ، ولم ينس الناس ما لقي وبلقي السود والحدود وغيرهم من سوء معاملة بعض الأمم المتهددة إلى عهدنا هذا .

وكا رفع الإسلام عن الضعفاء هذا الاصر ، أقرهم في جميع مجالات الحياة مع الكبراء ، وجلة الأثرياء . وسأوى بين الجميع في المعاملات ، بينما كانت الأمم في حين إبحاء الإسلام إلى أواخر القرن الثامن عشر أي إلى عهد الثورة الفرنسية في سنة ( ١٧٩٨ ) ، لا تزال تضع فروقا عظيمة بين الأثرياء والفقراء . جاء في موسوعة لاروس قوله : « في سنة ( ١٧٩٨ ) كان يوجد عدم مساواة شائك في توزيع المناصب العمومية ، وهدم الرقابة عليها ، فبذل وزراء لويز السادس عشر جهدهم لإجراء الإصلاحات التي تتطلبها الأمة : فلم يتجهوا ضد المقاومة العسيفة لرجال الدين والنبلاء ، فرأت الأمة أنه لا يجدى في هذا الأمر غير ثورة تضع مكان جماعة قائمة على اعتبار الامتيازات ، جماعة أخرى يسودها قانون المساواة بين

الجميع ، ٥١ . وليس يخاف هلى القراء ما أحدثته الثورة الفرنسية من الاقلابات ، وما قررته من الإصلاحات ، وكانت سىا فى إيقاظ شعوب أوروبا جميعا من صياتهم ، فلم يلبثوا حتى ثاروا جميعا ضد حكوماتهم طالبين التأسى بحكومة الفرنسيين ، فسكان لهم ما أرادوا ، فانظر كيف تأخر الأوربيون عن المسلمين نحو اثنى عشر قرنا فى التمتع بالحرية ، وبالأصول المستندة الى الديموقراطية الصحيحة التى أساسها المساواة المطلقة بين جميع أفراد الشعب . والله إله الأمر جلل !

هذا تأويل هدم ثورة المسلمين على قادتهم طوال عهد ارتقائهم ، فقد كان ذلك لعدم وجود ما يقتضيه من مع حقوق الصغفاء ، وحصر الشئون العظيمة للطبقات القوية من الأثرياء ، وأصحاب المصريات وعدم وجود مثل هذه الثورات فى الاجتماع الإسلامى فى مدى قرون متوالية ، هو الذى مكسهم من تحقيق مدنية راقية فى مدى قرنين اثنين . أليس من المعجزات الباهرة أن تألف أمة لا هدى لها بوحدة ، ولا بحكومة ، ولا بقانون ، ولا بمثل أعلى ، فنصل فى قرنين الى أبعد ما وصل إليه غيرها فى عشرة قرون ؟

نعم إن هذا الأمر من المعجزات الباهرة ، وأى إعجاز أعظم من إيجاد أمة من العدم ، وتزويدها بأصول اجتماعية تضمن قيامها على أكل نظام ، وبإحدى خلقه تجعل منها أمة مثالية على أرقى حال ؟ ومن العجيب أن هذه الأمة مرت بجميع الأدوار المسكونة للاجتماع ، كما يمر الطفل بجميع أدوار الطفولة حتى يصل الى سن الرجولة . وعند وصولها الى دور الرجولة تنقلب فى أدوارها دون أن يصاب وجودها بأذى ، إلا بما لا مناص منه من لوازم الحروب والمصاومات ، ولكيها لم يترزع لها أساس ، ولم يه لها ركن ، فتحملت جميع هواقب تصرفاتها الحيوية دون أن تصاب فى صميمها بأى عرض .

وقد انتهى بها الأمر فى أدوار الاجتماع الى أن بلغت هذه المرحلة الأخيرة التى تغلب فيها الأجانب على كثير من أقطارها ، ولكنها مع كل هذا شديدة التعلق بدينها ، والحنين إليه ، عازية جميع ما أصابها الى حينها من صراطه ، ومداربتها لمبادئ وأصوله ، غير يائسة من العود إليها لاسترداد مجدها الأئبل ، وعزها التليد .

## اصلاح الاخلاق ورعاية الآداب

[ نص الكتاب الذي توجه به جماعة كبار العلماء إلى  
حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بمناسبة  
الحالة الدينية والحلقية في البلاد ، فتقبله وفضله قبولاً طيباً ]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد :

فإن الله جل شأنه أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليدينه للناس ولا يكتموه ،  
وأمر المؤمنين بأن تكون منهم أمة يدهون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ، وحذر عباده في كتابه العزيز ، وعلى لسان رسوله الكريم  
عواقب الفساد والفتن ، التي لا تصيب الدين ظلوا خاصة ، وضرب لنا الأمثال  
من كان قبلنا من أمم ، استشرى فيها الفساد وفشا فيها المنكر ، فسكت خاصتها على  
عاصمتها حتى أخذوا جميعاً بعذاب الله ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا  
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، . فلو لا كان من القرون  
من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض لإقلا من أجبنا منهم ، وانبع  
الذين ظلوا ما اتروا فيه ، وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم  
وأهلها مصلحون . .

وكأخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب على البلاغ والبيان ، أخذ ميثاق  
أهل الحكم والسلطان أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وأن يحكموا بين الناس  
بالعدل ، ويقبضوا حدود ما أنزل الله على رسوله ، ويكونوا في شعوبهم قوام كل  
مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، يرتادون لهم الطيبات ، ويذودونهم  
عن مواقع الهلكة ويحمونهم كل شر ، ويقودونهم إلى كل خير .

وإن الناظر في حال أمتنا العزيزة وما آل إليه أمر الدين والخلق فيها ، ليهوله  
ما يرى ، ويأخذه كثير من الحزن على حاضرها الذي صارت إليه ، ويخالجه كثير  
من الإشفاق على مستقبلها الذي هي مقبلة عليه ، فقد اسهان الناس بأوامر الدين

ونواحيه، وجنحوا إلى ما يخالف تقاليد الإسلام، ودخل على كثير منهم ما لم يكن يهد من أخلاق الإباحية والتحلل؛ جريا وراء المدنية الزائفة، واغترارا بريقها الخادع، وكثرت عوامل الإفساد والإغراء في البلاد، ولا سيما أمام ناشئها وفتيانها المرجوزين للهوى بها، والّاخذ بيدها في حاضرهما ومستقبلها؛ فن حفلات ماجة خلية يختلط فيها النساء بالرجال على صورة منتهكة جريئة تشرب فيها الخمر، ويرتكب فيها ما يناق المروءة والخلق الكريم، إلى أمدية يباح فيها القمار ويسكب على موائد الذهب الضار، وتبتر فيها الأموال، وتزلزل بسببها البيوت والكرامات إلى ملاعب للسباق والمراهنات، تطوى على ألوان من الفساد وإضاعة المال، إلى مسابقات للجمال، إنما هي مراض للصوق والإثم، يرتكب فيها ما يتدى له جبين الدين والخلق والمروءة، ويباح فيها من المهرمات أكبرها وأخطرهما، إلى شواطئ في الصيف يخلع فيها العذار، ويطلن فيها الأشرار، إلى اخبار ذلك تذكر وتنتشر، وتوصف وتصور، وتقدار بها كوامن الشهوات والفرائز في غير نورع ولا حياء إلى كثير من ألوان المنكرات وقنوق الموبقات. كل هذا يحدث في البلاد، ويمعمل عمله المتواصل في أخلاقنا وتقاليدنا، حتى اشتد الخطب، وجبل الأمر، وأصبح في حاجة إلى علاج سريع.

يا صاحب المقام الرفيع:

لقد أورتنا المدنية الأوروبية وما وعد علينا من واعدات الرذيلة والإباحية، وما غزينا به في أخلاقنا وتقاليدنا الكريمة - أورتنا كل ذلك - عرفا فاسدا، وذوقا مريضا، ومجتمعما صار ينظر إلى هذه المعاصد نظره إلى شيء مألوف، فلا يكاد ينكرها فضلا عن أن يغيرها؛ بل أصبح يراها - إلا قليلا عن عصم الله - آية من آيات التقدم، وعلامة على الموض والرق، ورضيت بها القوانين بل حتمها ونظمتها، وجبت من كسبها الحرام الضرائب والرسوم؛ كما تجبها من الأعمال المشروعة والمكاسب الشريفة.

ألا وإن أكبر الفساد يمد الوقوع في الفساد، أن يرى النفي فيه إرشادا، والفضلال هدى، فإنه حينئذ دليل على تأصل جرائمه، وتمكها من القلوب، وصيرورة الأمة إلى الزمان الذي يرى فيه المعروف منكرا، والمنكر معروفا. والقيح حسنا والحسن قبيحا.

وإن لنا في بعض الأمم الحاضرة لعبرة إذ أفسدها الترف ، وفنت في عضدها الإتحلال : سقطت يوم الجهاد أمام أعدائها ، ولم تلق صبرا على ما أصابها من بأمهم وقوة شكيحتهم ، وقد نادى بذلك قادتها وولاة أمرها ، ولكن بعد فوات الأوان ! وتلاوموا عليه ولكن بعد إن فاتتهم الفرصة ، فأصبحوا على ما فعلوا بادمين !

وقد جعلكم الله - يا صاحب المقام الرفيع - على رأس حكومة الشعب الحريصة على تقويم أمره ، وبث دعائم الإصلاح فيه ، وفي تاريخكم الحافل مواقف مشهودة ، تدل على ما فطركم الله عليه من حب الدين والفضيلة ، والجلوس على هرش مصر ملك عظيم ، يحمل بين جنبيه نفسا كريمة ، ويؤمن بالله وكتابه ، ويعمل على إنشاء أمته نشأة صالحة قوية ، عمادها الخلق وقوامها الصلاح والاستقامة ، ويرجو لها من صميم قلبه منزلة من المزة والسمو تعود بها إلى سالف مجدها ، وقد منح الله مصر بين شقيقتيها الإسلاميه والعربية - بفضل توجيهه السامي - مركز القدوة والقيادة ، فهي تنظر إليها وترقب أعمالها وتستن بسنتها ، وتهتدي بهدى علمائها وزعمائها ، وفيها الأزهر الشريف ، حصن الدين ، ومنابه العلم ، ومشرق شمس الفضيلة والأخلاق السكرية .

كل ذلك - يا صاحب المقام الرفيع - يجعلنا أقوى ما نكون في الإصلاح رجاء ، وأقرب ما نكون إلى النجاح سيلا ، ويجعلنا على أن نناشدكم أمانة الله أن تقوموا الله قومة تقر بها عين الدين ، ويذل بها شيطان الفساد والمنكر ، ويحفظها التاريخ لكم صفحة يضاء ، تنشر يوم القيامة في صحائفكم ، وتوزن في ميزان أعمالكم .

احفظوا ما ضيعه التهاون والتفريط ، وأشعروا أهل الفساد بوزاع السلطان ؛ إذ لم يرتدعوا بوزاع القرآن ، وأعلنوها حربا حامية الوطنيس على كل منكر وفسوق ، وانتشلوا شباب الأمة من مهاوى العبث ، وهواطن الميوعة وأوكر الفجور ، وخذوا على يد كل من تحدته نفسه بالاعتداء على الفضيلة أو الترويج للرذيلة ، أو غرس بذور المجون والخلاعة في الأمة ، إنكم إن فعلتم ذلك رضى الله عنكم ورسوله ، ورضى عنكم عقلاء الأمة وكرام العشيرة ، وإن ذلك هو الفوز العظيم .

وقسكم الله إلى نصر الفضيلة ، ودحر الرذيلة ، وأعز بالفاروق دينه وأمنه ، وأطال في طاعة الله حياته ، وبارك فيها للإسلام والمسلمين . آمين .

## البتاؤلوالالاخلاف

لمعضلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . . دهنوني ما تركتكم ،  
فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم  
بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه . .

\*\*\*

لهذا الحديث سبب ، وهو أنه لما نزل قوله تعالى : . . والله على الناس حجج  
البيت من استطاع إليه سبيلا . . قام النبي صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ،  
فقال : . . أيها الناس : قد رضى الله عليكم الحج فحجوا ، فقام إليه الأقرع  
ابن حابس ، فقال . أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى كرهها مراراً ، ثم قال :  
لو قلت نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم ، وذكر بقية الحديث ، ثم نزل قوله  
تعالى : . . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سُؤُوكُمْ ، الآية .

وجاء من غير وجه أن آية : . . لَا تَسْأَلُوا ، إنما نزلت لما أكثروا السؤال  
له صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها ، وأن منها ما كان يسوء السائل جوابه ،  
مثل : هل أبوه في الجنة أو في النار ؟ وهل أبوه من نسب إليه أو غيره ؟  
ومنها ما كان على وجه التعنت والعبث والاستهزاء ، كما كان يفعل المنافقون  
والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم ، كقول بعضهم : أين ضلّت ناقتي ،  
وكسؤالهم الآيات والاقتراحات ، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده ، ولم يطلعهم  
عليه ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن أمر الروح ، وسؤالهم عن كثير من

الحلال والحرام مما يخشى ان يكون السؤال سبباً لنزول التشديد فيه ، كالسؤال عن الحج ، وهل يجب كل عام ؟

ومن ثم غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، وصعد المنبر وهو غضبان ، وقال للناس : سلوني ، فجعلوا يسألونه وهو يجيب ، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب ، جثا على ركبتيه وقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً . لا تفضحنا بسرارتنا واعف عنا ، عفا الله عنك ، فسرى عنه صلى الله عليه وسلم ، ثم انفت إلى الحائط فقال : لم أركاليوم في الخير والشر ، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط .

• • •

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تقع ، وحرر كثرة السؤال ، لما فيه غالباً من النعنت ، وخشية أن ينزل بسببها وجوب السؤال عنه أو تحريمه ، أو أن تقع الإجابة بأمر يستنقل قد يؤدي إلى ترك الامتثال ، فتقع المخالفة ، بأنهم أنه يحمل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لم يغير أمر شيء ، ولا نهى عن شيء ، وألا يكثروا من الاستفصال عن مواضع لا تقدم ، ولا من التنبيه عما يفضي بهم إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرهم ، ثم ذكر لهم سببين جوهرين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما ، ويتقوا آثارهما الضارة .

فأما السبب الأول ، فهو كثرة السؤال عما ينهيهم من غير ضرورة ، وقد اختلف في المراد بالذين كانوا قبلهم ، قيل : هم قوم عيسى ، سألوه إزال المائدة ، ثم كفروا بها ، وقيل : هم قوم صالح ، سألوه الناقة ، ثم عقروها وكفروا بها ، وقيل : هم قوم موسى ، سألوه أن يريهم الله جهرة ، وأن يبين لهم البقرة التي أسروا بذبحها ، فقتلوا ، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت ، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفها ، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة

واحدة فاشتروها بثمن باهظ ، وقيل : هم بنو إسرائيل مطلقاً ، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أخبروهم كذبوهم ، وقيل : هم قريش ، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهباً ، وأن يبين لهم أنسابهم ، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا : ليس الأمر كذلك .

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهى عنها في الآية ، هي السؤال عن التوازل والأغلوطات <sup>(١)</sup> والتوليدات ، فقد نهى الشارع عنها ، وورد أنه سيكون من الامة أناس بغالطون فقهاء ، بعصل المسائل ، وأهم شرار الامة . وقال الاوزاعي : إن الله تعالى إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقي على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً .

وقيل : المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبحيرة والوصيلة ، والسائبة والحمام ، وعن الآيات ، كسؤال قريش أن يجعل الصفا لهم ذهباً ، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، ونحو ذلك .

وأما ما ثبت في الاحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة ، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية . لا تسألوا ، ، ويحتمل أن الهى في الآية لا يتناول ما يحتاج إليه مما تقرر حكمه أو ما لم بمعرفة حاجة راعية ، كالسؤال عن الذبيح بالنصب ، والسؤال عن وجوب طاعة الامراء إذا أمروا بغير الطاعة ، والسؤال عن أحوال يوم القيامة ، وما فيها من الملاحم والفن ، والأسئلة التي في القرآن ، كسؤالهم عن الكلاله والخز والميسر ، والقتال في الشهر الحرام واليتامى والمحيض والنساء والصيد ، وغير ذلك .

وقال البيهقي في شرح السنة : المسائل على وجهين . أحدهما ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جاز ، بل مأموره ، لقوله تعالى . فاسألوا أهل الذكر . الآية ، وعلى ذلك تنزل أسئلة الصحابة عن الانتقال

(١) صواب المسائل وتداولها .

والكلالة وغيرهما، وثانيهما ما كان على وجه التعمت والتكلف ، وهو المراد في هذا الحديث .

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع ، فقال ما خلاصته : والتحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين : أحدهما أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهها ، فهذا مطلوب ولا مكروه ، بل ربما كان فرضا على من تعين عليه من المجتهدين .

والثاني أن يدقق النظر في وجوه الفروق ، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجع ، أو بالعكس ، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردى مثلا ، فهذا الذي ذمه السلف ، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود : « هلك المنتطمعون » ، فأروا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته ، ومثله إلا كثيرا من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا في الإجماع ، وهي نادرة الوقوع جداً ، فيصرف فيها زمانا كان صرفه في غيرها أولى ، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما يكثر وقوعه ، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبية ، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كیفيتها ، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن الروح ، وعن مدة هذه الأمة ، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف ، والكثير منه لم يثبت فيه شيء ، فيجب الإيمان به من غير بحث ، وأشد من ذلك ، ما توقع كثرة البحث عنه في الشك والخيرة ، كحديث أبي هريرة : « لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ » .

وقد انقسم العلماء إزاء كثرة السؤال إلى أقسام ثلاثة : ففهم من سد باب التساؤل ، وأحكم لإصاده ، حتى قل فهمه وعليه الحدود ما أنزل الله على رسوله ، وصار حامل فقه غير فقيه .

وممن من فتح الباب على مصراعيه ، وتوسع في توليد المسائل ، وتفرع الفروع ، وأسرف في ذلك ، واشتغل بتكلف الجواب عنها ، وكثرة النقاش فيها ،

والجدال عليها ، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب ، واستقرار الأهواء والشحناء  
والعداوة والبغضاء فيها .

ومنهم من جعل حمية موجهة إلى البحث عن معاني كتاب الله ، وما يفسره  
من السنن الصحيحة ، وكلام الصحابة والتابعين لم ياحسان ، وعن سنة رسول الله  
صل الله عليه وسلم ، ومعرفة صحيحها وسقيمها ، والتفقه فيها وفهمها ، والوقوف  
هل معانيها ، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لم ياحسان في أنواع العلوم من  
التفسير والحديث ، ومسائل الحلال والحرام ، وأصول السنة والزهد والرقائق  
وغير ذلك ، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين فمن بعدهم ،  
حتى حدثت الطائفة الثانية ، فمارضتها الطائفة الأولى ، فكثرت بينهم المراء  
والجدال ، وتولدت البغضاء ، وتستمروا خصوما ، وهم أهل دين واحد ، والتوسط  
والاعتدال هو الخير في كل شيء .

وأما السبب الثاني من أسباب هلاك الأمم الماضية ، فهو اختلافهم على  
أنبيائهم ، ومعارضتهم لهم ، وتكذيبهم لأمرائهم ، وخروجهم على وصاياهم ،  
واحرافهم عن مبادئهم ، وإهمالهم العمل بتعاليمهم ، والمراد به — على الجملة —  
كل اختلاف مذموم يؤدي إلى كفر أو بدعة ، ويكون سببا في تفرق القلوب ،  
وتباين الأهواء ، وتعدد الجماعات ، ووجود الانقسامات ، وتوهمين عرى الدين ،  
وإضعاف شوكة الإسلام ، كما وقع بين الخوارج قديما ، فإنهم كانوا يطمعن بعضهم  
في بعض ، ويشترأ بعضهم من بعض .

وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين ، ومساطرة أهل العلم على سبيل  
تحقيق الفائدة ، وإظهار الحق ، وإعلاء كلمة الله ، فغير منهي عنه ، بل مأمور به ،  
وفضيلة ظاهرة ، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن .

• • •

بعد أن أجل النبي صلى الله عليه وسلم هذين السببين المؤثرين في كيان الأمم  
ووجودها ، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم ، والأجدى عليهم أن يتركوا  
التساؤل عما لا ينفيهم ولا يفيدهم ، وأن يشتغلوا بالأمم التي يحتاجون إليه عاجلا ،

وأن ينصرفوا عن كل ما يعوقهم عن ذلك ، وهذا لا يكون إلا بالاعتصار على فعل ما يطيقونه بما يأمرهم به ، واجتناب كل ما ينهاهم عنه ، وقد أوضح لهم ذلك في هيارتين شاملتهم ، وجملتين جامعتين : الجملة الأولى قوله صلى الله عليه وسلم : « فإذا أمرتكم بشئ ، فأتوا منه ما استطعتم ، فإنها - كما قال النووي - من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام ، كالصلاة بأواعها ، فإذا عجز عن بعض أركانها ، أو بعض شروطها أتى بالباقي ، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل ، غسل الممكن ، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته ، أو لنقل النجاسة ، فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات ، أو فطرة جماعة من تلبزمه نفقتهم ، أو نحو ذلك ، وأمكنه البعض ، فعل الممكن ، وإذا وجد ما يستر بعض هورته ، أو حفظ بعض الفاتحة ، أتى بالممكن ، وأشياء ذلك كثيرة غير محصورة ، وهي مشهورة في كتب الفقه .

والجملة الثانية قوله صلى الله عليه وسلم : « وإذا نهيتكم عن شئ ، فدهوه ، » وهي على إطلاقها في إفادة اجتناب كل ممحى عنه ، فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة هـد الضرورة ، وشرب الخمر والتلفط بكلمة الكفر عند الإكراه ، أو نحو ذلك ، فهذا ليس منهيًا عنه في هذه الحال ، كما تدل أيضا على أن انتباه الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات ، لأنه أطلق الإحتتاب في المنهيات ولو مع المشقة في الترك ، وقيد في المأمورات بقدر الطاقة .

وصفة ما يقال في هاتين الجملتين : إن من أمثل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهى عما نهى عنه ، وكان مشتغلا بذلك عن غيره ، حصلت له الهجاء في الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك ، واشتغل بخوافره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، وهدم أقيادهم ، وظاهتهم لرسلهم .

بمناسبة الحكم في قضية كتاب « الفرقان » :

## علموهم ليكونوا الحكم

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدني

المفتش بالازهر

في الشهر الماضي أصدرت « محكمة القضاء الإداري » بمجلس الدولة حكماً في قضية كتاب « الفرقان » الذي ألفه محمد عبد اللطيف افندي ، وكانت الحكومة قد صادرنه بناء على طلب مشيخة الجامع الأزهر ؛ لما تضمنه من مطاعن في القرآن الكريم رسماً وتلاوة ، وفي السنة المطهرة متناوسداً ، فطلب مؤلفه من المحكمة أن تلغى هذه المصادرة ، وأن تحكم له بتعويض كبير قدره بما أصابه من ضرر أدبي ومادي نتيجة لهذه المصادرة .

وقد كان لكاتب هذه السطور وزميلين كريمين له جهد في فحص هذا الكتاب ، ورفع تقرير عنه ، ثم في الاتصال بالفضية ومتابعة أطوارها ، ويهمني أن أبادر بتسجيل شكرى باسم الدين والعلم والازهر لحضرات أعضاء هذه المحكمة العادلة ، ولا سيما رئيسها الجليل سامي مازن بك ، فقد لمست عنايتها الفائقة بالموضوع ، وحرصها الشديد على تتبع كل ما يتصل به ليتجلى لها الحق ، ويسفر أمامها الرأي واضحاً في هذا الموضوع الخطير ، حتى لقد علمت أن حضراتهم قرأوا في موضوع الرسم والقراءات عشرات من الكتب المؤلفة قديماً وحديثاً ، ووقفوا عند كل موضوع من الموضوعات المتصلة بالفضية موقف الناقد البصير ، والقاحص الخبير ، وإن سعادة الرئيس لم يكن يكتبني بهذا ، ولكنه كان يناقش شفويّاً مع العلماء في كل نقطة يرى وجوب استجلائها قبل الحكم ، وقد زار الجامع الأزهر واتصل ببعض علمائه باحثاً متقياً حتى اطمان قلبه .

وكذلك فعل حضرة الأستاذ الكبير هبدي الحلبي بك الجندي المحامي عن الحكومة والأزهر في هذه القضية ، بل المحامي عن القرآن الكريم ، فقد كان مثال المؤمن بآفة وكمالاته ، الغيور على كتابه ، الحريص على تجلية الحق ، والظفر له بحكم يسجله التاريخ ، ولست أنسى ما حيت موقفه يوم الدفاع عن كتاب الله ، وقد أخذته تحمياً الإيمان ، وهزت مشاعره الحاسة الدينية ، فتدفق بيانا بالبراهين الدامغة ، وصدع صوتا بالحق في إخلاص عميق مؤثر ، حتى لكان تبرأته يومئذ نداء من السماء أن خذوا على يد هذا المنيء ، وعلوه أن كتاب الله لا تنال منه الترهات ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فاللهم أشكرهم على ما سمعوا ، وأجزم بالخير على ما رآهم ، وأكثر في المسلمين أمثالهم من يفارون على الحق ، وينصفون في الحكم .

• • •

كتبته هذا الكلام احترافاً بفضل أصحاب الفضل ، وتسجيلاً له ، وأقول بعد هذا :

لقد كثرت في هذا العصر التناول على الدين ، والتجرؤ على حقائقه وأصوله المسئلة ، وأصبحنا نرى كثيراً ممن يريدون الشهرة ، ويلتمسون الرواج ، يعملون سبيلهم إلى ذلك ما يحاولونه من التشكيك في الدين ، أو في قدرة أحكامه ، وتشريعه على النهوض بحاجات الناس ، وكفاته لمعادتهم ، وما مكنا تلمس الشهرة ، ولا يمثل هذا يكون الظهور . فقد كان سلفنا يقضون أعمارهم في البحث والتعمق والظفر بالمناقب ، ويصبرون على متاعب العلم ، ومصاعب التفكير ، ويعملون لأنفسهم حدوداً لا يتعدونها ، فهم في فلك الكتاب والسنة يدورون ، وعلى أساس من العقل السليم ، وأصول الشريعة يحكمون ، لذلك كانت تأليفهم

موفقة ، نافعة ، راشدة ، وكانت أخطاؤهم إن أخطأوا مغفورة ، لأنها أخطاء المخلصين الذين لا يبتغون إلا الحق والمعرفة ، فإن أصابوا أجروا ، وإن أخطأوا أجروا ، غلب من بعدم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون سيفقر لنا ، وإن يأنهم عرض مثله يأخذوه . ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ، والذين بمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المحسنين .

ومن الخير أن نتعرف العوامل التي دعت إلى أن يكثر فينا هذا السف من المؤلفين ذوى الدعاوى المريضة ، والأقلام الطائشة .

وأحسب أن الأزهر إذا اكتفى بأن يصادر كتاباً أو كتابين في كل عام ، فإنه غير مستطیع وقف هذا التيار الذى إن بدا اليوم هادئاً بعض الهدوء ، فسيكون غداً جارفاً مكثجاً .

وفي اعتقادى أن الناس لم يجدوا غذاء دينياً صالحاً يقدم لهم ، فأقبلوا على مثل هذا الغذاء الذى تضوى به العقول ، وهذه سة الله في كل مجتمع ، فإن أى تقصير في بث الأفكار الصالحة فيه ، يستتبع بقدرة إقبالاً على الأفكار الفاسدة ، أو المخطئة ، فلو أن الأزهر أخذ بوسائل العصر الحاضر في توير العقول ، وتجلية الحقائق أمامها ، ومدّها براد طيب لا خبث فيه ولا نكر ، لكانت الأمة كلها كأهل الأزهر ، ولكان بعض أفرادها دعاة ذوى خبرة ، ولو وجد المجتمع الحفيظ بعضه على بعض من الزلل والضلال .

وقد علمتنا تجارب الأمم في الدصور الأخيرة ، أن الشعوب تصاغ ، وأن العقول تحشد وتمجد ، وأن زعيماً مخلصاً لفكرة ، مؤمناً بمقيدة ، يستطيع أن يفتح بها جيلاً بأسره ، أو أجيالاً ، إذا أحسن الدفاع عنها ، وتوجيه العقول إليها .

ونحن في أيدينا أقوم المبادئ ، وأثمن الشرائع ، وليس فيها هرفته البشرية من الأديان ، ما يقف أمام ديننا موقف المنافسة أو المنازعة ، وبين ظهرانينا

كتاب الله وسنة رسوله ، وفي مكتباتنا خيراً ما أنتجت العقول ، وجادت به القرائح وقد أوتينا قسطاً عظيماً من السلطان في الأمة ، والقدرة على توجيهها بما في أيدينا من مناصبها وأموالها ، وبما لنا من نفوذ رواسي ديني لا يتمنع به حزب . ولا تخافنا فيه جماعة ، ولكن نقصنا حسن الانتفاع بهذه المزايا ، وأتانا قد شغلنا عن رسالتنا بأشخاصنا ، وتفرغنا للنازعات والخصومات ، من سرية وعلمية ، فأرمقنا بذلك أعصابنا وعقولنا ، وصار الكلال والتخاذل والتراخي من أبرز الصفات في محيطنا .

يجب أن نعمل ، بل أن نشق ونحرق في العمل ، حتى نستطيع أن نربي ناشئة منا هي فهم الدين والعلم فهما صحيحا ، وعلى عشقهما العشق الذي يعمدنا نفق فيهما ، وتلذذ بما يصينا من نصب في سبيل تحصيلهما وترويضهما في الناس .

يجب علينا أن نثير العقول بما عندنا من العلم ، فقد جربت بنفسي أن كثيراً من المثقفين ثقافة مدنية يقابلون بعض أفكارنا مقابلة فيها جفوة وتسكر ، بل فيها أحيانا سخرية وتهكم ، ثم لا يلبثون إذا شرحت لهم شرحاً دقيقاً ، أن يتبينوا الحق ، ويفيئوا إليه ، ويكفروا من دعائه .

وليس هذا على المجتمعات بغير ، فإنه لسنة الله فيها منذ القدم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمنوا أساطين الشرك ، وأسائيد الكفر ، فاستطاع فرد واحد ، ثم أفراد معه أن يغزوا بهم العالم ، ويغيروا وجه التاريخ .

إننا نشكو من انصراف الأمة عما ، ونغضب حين نرى رجال الحكم فيها يفضون عن مطالبنا ، ولا وسيلة إلى مداواة هذا وذاك إلا بأن نعمل ونعمل ونعمل ، يومئذ يأتي إلينا الدهر معتذرا ، ويطلق أبوابا الذين نظروا اليوم أبوابهم فلا يفتحون .

# مِنْ تَوْجِهَاتِ الْفِرَاقِ

## في تربية الخلق

أ - وإن تموا أقرب لتقوى  
ب - فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكي  
المفتش بالأزهر

أ - هنا : دعوة إلى العفو عن المساءة ، والعفو من صفات الرحمن عز شأنه ، وما يبلغ طرفاً من صفات الله إلا من سلمت إنسانيته من ضراوة الوحشية ، وتسامت به نزعات الخير حتى تهيم له أن يتخلق بأحلاق الرحمن ، وبرق إلى شيء من أسباب ذلك الكمال المطلق .

ومعذرة إلى القارئ إذا استطردت معه قليلاً ، لا بين أن القرآن الكريم حينما يهتف بالإنسان إلى ناحية من نواحي الكمال ، تراه يخاطب فيه مرة إنسانية واعية ، ويعتمد فيه على عقلية تفقه ، فيترقى في خطابه ، إذ يكون الرفق أشبه بمقام الإنسان ، وبه يكون الخطاب أوقع في السمع ، وأسلس في القياد ، وأيضاً لفريضة الاعتداد بالنفس ،

ولك شاهد على هذا أن تقرأ - مثلاً - قوله تعالى : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظملاً ولا مضماً ، « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ، « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يعفو الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » ، « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » .

فأنت إذ تقرأ هذه الآيات ومحورها يجيش في نفسك الأمل أن لك عند الله كرامة ، وبهزك الطرب أنك على مقربة من مرضاته ، وتزغ بك الرغبة إلى

الاستزادة من وسائل الزلفى إليه ، أو ليس يحفزك على الاقدام نحو الكمال أن  
شملك بالخطاب في قوله يا عبادى ، وأن أكد لك الوعد أنك لا تصادف عنده ظلما  
ولا مضيا ؟ وأنك إذا ركنت إلى جانبه ولم تقنط من رحمة فستغفر لك  
الذنوب جميعا ؟

نحس بكل ذلك حينما ترى القرآن يناجيك من ناحية إنسانيتك ، ويفترض  
فيك الصلاحية للخير ، ويفتح أمامك مافد الأمل ، ويوحى إليك إذ أنزلت هذه  
المنزلة ، أنك فوق ما عداك من كائنات أخرى .

غير أنك ترى القرآن في سياق آخر حينما يتجه إلينا بالبيان ، يلحظ في الإنسان  
غرائز جامعة ، ونوازع شاذة ، فيصدف عن الترفق ، ويشتد في القول ، إذ يكون  
الإنسان في هذا الوضع ليس ذلك المخلوق الكريم الذى ترضاه بالين ، وإنما هو  
العاجز المتعاق ، والحقير المتكبر ، والضعيف المتجبر ، وحيثئذ تكون الصرامة  
أجدى في إصلاحه ، وأجمع في تقويمه ، وأوفق لمجوعه ، فإن لم تصلح من شأنه  
ففيها تصوير لهوانه ، ونزول به إلى مهبط وضع ، ورجوع به إلى مكانة ذليلة  
تباين ما افترض لنفسه ، وتصدده عن غلوائه ، وتكشف له عن إمعانه في الباطل .

وشاهدك على هذا أيضاً أن تقرأ - مثلاً - قوله تعالى : « وأنذرهم يوم الحسرة  
إذ قصص الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون » ، ألم أهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا  
الشیطان إنه لكم عدو مبين ، « أولا يذكر الإنسان أما خلقناه من نطفة فإذا هو  
خصيم مبين ، « إن ربك ابره مرصاد ، « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، « وإن  
للطاغين لشر مثاب ، الخ .

فأنت إذ تقرأ هذه الآيات ونحوها بما فيه تهكيت للإنسان ، وغض من  
كبريائه ، وتديد لضعفه ، وإبراز لما خفى عليه من شأنه ، وقبح ما تخير لنفسه ،  
حين تقرأ ذلك لا تحس بشئ مما استشعرته في الآيات الأولى ، فهناك مثله هدى ،  
ونصح في رفق وتكریم ؛ وهنا مثله لوم وتعنيف ، يسمع المرء فيه تهديدا يذيب  
الحشا ، ويحس أن سيكون في ردة الحسك أمام قاض جبار ، ولن يكون في ساحة  
المغفور بين يدي غفور رحيم .

ذلك استطراد أجلته بين يديك ، لأريك به أن القرآن الكريم ، يقف من الإنسان موقف التكريم في الخطاب مرة حيناً يقدر له إنسانيته ؛ وموقف الزرابة به مرة أخرى حيناً يهمل ذلك الجانب ، ويقصد إلى ما في الإنسان من جوح .

ومن القليل الأول صنيع القرآن في توجيهنا إلى التجميل بخاق العفو ، فهو يترقب في الطلب ، ويبين في إيجاز يسير أن العفو ، أقرب للتقوى ، تاركاً لمداركتنا أن تميز الخبيث من الطيب ، ومعتمداً على عقولنا أن نفقه وتستجيب .

على أنه فيما ساق من آيات أخرى ، ركز في عقولنا أن العفو خاق يرجع كثيراً سواء من أخلاق الفضيلة ؛ فهو وسيلة هامة في الحفاظ على حسن العلاقات ، وحسم الشر ، وصيانة الجماعة من عواذى الخلق الذي تشيع من ورائه ظنون السوء ، وينحدر في ظللها الشيطان يعمل عمله في إفساد القلوب ، وتفريق الجماعات .

وكان القرآن — فيما أحسب — أذ يعتبر للعفو هذا الشأن . يراعى إلى جانب ذلك — في تقديره للإنسان — أن العفو محتاج إليه حيناً يحتاج النفس عدوان يحسها ، أو تحيف يصيبها ، فيكون المرء مدفوعاً بالفريرة إلى المقاومة ، ومن حقه ذلك ، فليكن طلب العفو منه ، والتناحى عما ألم به ، طلباً هيباً ، لا يشعره باغتصاب حقه ، وكبت إرادته ، والانحياز به إلى الخنوع .

وليبسه في تلطف إلى أن العفو أقرب للتقوى ؛ إذ فيه عزوف عن الشقاق ، وكف للتعصب ، ومجانبة لما يخشى من الإفراط في الجزاء فتتسع الهوة ، ويتدلج الشر ؛ إذ لا يملك نفسه عند ثورتها ، ويطامن من شموخها إلا من نهضت مداركه ، فاعتدل فيه الرأي ، واستقام له التقدير ، وأطمأن إلى أن العفو جانب من الرفق ، وما كان الرفق في شيء إلا زانه كما هدانا الرسول عليه السلام .. وقليل من يفتن إلى ذلك ، والمتبع لآي الكتاب في صدد العفو يجدها على هذا النحو سلاسة ، ومرونة وترغيباً ، لا تشعرك بضغط ، ولا تم عن إكراه ، وهي لذلك في سياق العرض أدخل إلى النفس ، وأملك للفؤاد .

وإليك ذكر العفو فيما ذكر الله من أسباب مغفرته ، ووسائل رضوانه ، فن هنا وأصلح فأجره على الله ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ، وليصفوا ، وليصفوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، وكذلك أمر نبيه في غير موضع بالعفو حتى مع أعدائه ، فاصفع الصفع الجميل ، فاعف عنهم واصفح ، خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

وجملة القول فيما وصلنا إليه : أن الدعوى من صفات الله ، ومن شمائل الرسول ومن خصال الأنبياء ، وأن في الدهرة إليه على هذا النحو كثرة الشواهد ، ولطف التعبير توجيها إليه ، وإلى اختيار الأسلوب في الدعوة إلى كل غرض كريم ، حتى تكون الوسيلة ملائمة للغاية ، وبذلك تظل التعاليم الصالحة في نمط الدعوة إليها كمعدن نفيس في حرز كريم ، لك دائما من حرزة رواء المنظر ، وفيه صدق المخبر ، وصدق الله فيما رسم ، ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

ب - ومع ما أسلفنا من القول في شأن العفو ديناً ، ودنيا فلدينا الآية الثانية تأمر بالانتقام ، فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، فكيف يلتقي هذا مع ذلك ؟

الأصل ألا نهدر الحقوق ، وأن تكون العدالة ماثلة بين الناس ، بادية في كل شأن عظيم أو هان ، وسبيل ذلك أن يلقى المصير جزاءه ، وأن يُدْرَأ الشر بالشر حتى يستقر الأمر في مجراه ، ويستقيم العدل في نصابه ، وعلى ذلك يكون الاقتصاد مشروعاً ، واستيفاءه حقاً وأن كان في غير خطير .

ولكن بين الناس وشائج تدعو إلى التعاطف ، وتقضى بالترحم ، وتأني المشاققة والتنازع ، وبين الناس اعتبارات معيشية أخرج ما تكون إلى التسامح ؛ فالأمر بحاجة إلى المسالمة ، ومجانبة الغلظة والجمعاء .

فكان من تمام النعمة أن يكون للترحم بين الناس إلى جانب العدل شأن في تدبير الله ، وكان من مظاهر الحكمة أن تكون الرحمة أوفر حظاً في تقدير الله ،

وكان في تقديم العفو على المجازاة ، وترجيح الرحمة على العدل أخذ بمسألة الله فيما اختار لنفسه مع خلقه ، وفيما رضى لنفسه من صفات السكّال .

فمن إذ نرى أنفسنا في حل من مجازاة المسمى بما فعل ، ونرى ذلك عدلا تنقرر به الحقوق ، وتضمن به الكرامات ، نرى دواعي أخرى إلى العفو ، لكبح الضغينة ، وتركيز المحبة ، وتأصيل المودة .

ولعل من وراء ذلك ظفرا بما كان يرجى من العدل والجزاء ؛ مع البعد عما قد يتركه العدل من وحشة وغضاضة ؛ لقيامه على غير المجازاة ، ولترضه أحيانا للمبالغة في التيسير وتجاوز الحد المشروع .

وأما إذا تمتعت آيتنا هذه فبينت فيها تحديداً دقيقاً لتشريع المجازاة عما يرجى إليك ، كأن العفو أصل والجزاء استثناء . فهي - أولاً - بدوئة بقوله تعالى : فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ، وهذا قيد سبق أول الكلام للتنبيه على أن المجازاة على العدوان لا تكون إلا بعد حصوله فعلاً ، أو بعد الشروع الذي يؤذن حتماً بوقوعه على ما هو مبين في الفقه ، وهي - ثانياً - تسمى الجراء اعتداء ، فاعتدوا عليه ، لا لمجرد المشاكلة اللفظية كما يقال : بل لأن الاساءة في حقيقتها عدوان ، وإنما اغتفرت في مقام الجزاء ، وهذه إباحة عارضة لا تغير من حقيقتها أو اسمها . فالجر نحر وإن صلحت دواء في حال من الأحوال . وهي - ثالثاً - تنيد لإباحة الجزاء بأن يكون مثل العدوان لا أريد منه . وهي - رابعاً - مقرونة بالأمر بالقوى ، واثقوا الله واهلوا أن الله مع المتقين ، تحذيراً من المبالغة في الجزاء فلا يكون علاجاً للشر ، وإنما يكون استرسالاً في الشر .

وكذلك ترى كل آية تؤذن بالفصاص محفوفة بقيود تضيق من دائرته ، وتحذر من الإسراف فيه ، بل وتصرف عن الأخذ به . اقرأ مثلاً قوله تعالى : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين .

وقوله تعالى : ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بنى عليه لينصرته الله إن الله لعفو غفور .

وقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصح فأجره على الله ، ففي كل واحدة منها ترغيب عن المجازاة ؛ غير ما رأيت في كل آية من آيات العفو : من الترغيب فيه والثناء عليه . وإلى جانب هذه التوجيهات ترى آيات القصاص لا تبلغ من الكثرة في القرآن ما بلغته آيات العفو ، ولا ترى فيها إلزاما بالقصاص كما ترى في بعض آيات العفو ، بل جاءت هذه في أسلوب البيان لحسب ، ولذلك اتسع سياقها لأن يذكر معها الصبر ، أو العفو أو التقوى وما إلى هذا .

ورب قائل : أيكون العفو في كل شيء مجدياً ، وفي كل حال مطلوباً ، وتكون الدهوة إليه مطردة ؟

والجواب أن كلا الأمرين — العفو ، والقصاص — موطأ بأغراض تملكت به ، وغايات قصدت منه ، فليس العفو مستحسننا مع من يستمره ويكرر عدوانه ، بل ذلك من وضع الندى في موضع السيف ، وهو مصر بالعلا كما قال الشاعر ،

وليس من متعلقات العفو ما يعتبر من الأمور العامة ، مما له اتصال بحياة الناس ، ونظام المجتمع ، كالسرقات ، وانتهاك الحرمات والأعراض ، وقطع الطرقات ، ونحو ذلك مما له خطر على الأمن العام ، أو سياسة الحكم ؛ فأنها أمور لا تستقيم على الهوادة والتساح ، بل يعوزها الصرامة والاختد بالعنف لترجع النفوس الجائعة عن غيها .

ولذلك ترى القرآن يشتد في الأمر بقطع السارق ، والسارقة « جزاء بما كسبا نكالا من الله » ، ويشدد في جلد الزانية والزاني « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية » كما تراه يقسو على قطاع الطريق ، وكما تراه يشتد في تهديد الشاهد إذا زور ، والحاكم إذا جار ، والقاضي إذا انحرف : كل ذلك مما يأبى التسامح لئلا تختل نظم الحياة ، وليظل الأمن موقوراً ، ولينم الناس في دنياهم ، وليرى الله آثار نعمته عليهم فيما يحسنون من عمل ، وفيما يشكرونه من ذمائه .

# لغويات

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي التجار  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

افعلوا الخير ، ذلك خير لكم وأبقى

يرى في هذا المقال أفراد الكاف اللاحقة لاسم الإشارة في حين أن المخاطب جمع ، وكان مقتضى هذا أن يقال : ذلكم . وقد جرى في بعض المجالس حديث في هذا الشأن . وذكر بعض من في المجالس - وهو ذو خطر ومكانة - أنه في حال طلبه العلم وتلقيه على الشيوخ أورد على شيخه بيتا فيه مثل هذا وهو :

قالوا : كلامك هذا وهي مصغية بشفيك . قلت : صحيح ذاك ، لو كانا

فقال له : كيف قال الشاعر : صحيح ذاك ، وهو يخاطب جمعا . ألا ترى إلى قوله : قالوا . ؟ ويقول محدثنا : إن الشيخ أجاب بأن الشاعر نزل الجمع منزلة الواحد لئلا كانوا متفقين في الإجماع ، وكانوا ألبا عليه في القول ، ونازعين في ذلك عن قوس واحدة . وهو منزع لعمري حسن . وقد قيل بمثل ذلك في قوله تعالى : وإن تطاعوا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، فقد جاء ظهير وهو مفرد خبرا هي جبريل وما عطف عليه لما كانوا في المظاهرة بدأ واحدة على من يعاديه .

ولكن يؤخذ على هذا المنجيب أنه سلم بما يتضمنه السؤال : أن هذا الأسلوب خارج عن العربية يحتاج إلى تفريج وجواب عنه والتماس وجه له . وهو يرى كاف الإشارة ككاف التضمير يلاحظ فيها دائما حال المخاطبين ، فتكلف هذا الجواب وتجنس متونة التأويل . وقد بحث ابن هشام في قول الشاعر :

ولست بسائل جارات يتي أغنياب رجالك أم شهود ؟

وموضع البحث قوله : رجالك ، فإن الواجب أن يقول : رجالكن ، فما باله قال : رجالك بالإنفراد ؟ . ويقول ابن هشام في الخروج من هذا : إنه حين يسأل جارات بيته لا يسألن دفعة واحدة بل يسأل كل واحدة : أغائب رجالك أم شاهد ؟ فهذا وجه الأفراد . ويقول التبريزي إن محمل ذلك الضرورة الشعرية لم تمنع للشاعر أن يقول : رجالكن فقال ما تيسر له . وأعود لما نحن فيه فأقول : إن الكاف اللاحقة لاسم الإشارة ليست ككاف الضمير ، فالكاف اللاحقة لاسم الإشارة الكثير فيها والغالب أن يلحق بها ما يبين حال المخاطبين ، فيقال ذلكم وذلكن وذلكا وذلكي . وقد يقال للجمع ذلك بكاف واحدة ، وعلى ذلك جاء البيت الذي كان موضع السؤال . ومما جاء من ذلك قوله تعالى في الآية ٨٥ من البقرة : « ثم أتم هؤلاء يقتلون أنفسكم ويخرجون فريقا منكم من دياركم ، يطاعون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى فتادوهم ، وهو محرم عليكم إحراجهم ، أفتمنون بعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلكم منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » ، فترى قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم فيه إفراد الكاف والمخاطب جمع ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النساء : ذلك لمن خشي العنت منكم ، وورد في الآية ٢٣٤ من البقرة : وإذا طلقتم النساء فلهن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان مسك يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أركي لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وترى أن المخاطبين في الآية جمع وقد جاء اسم الإشارة ذلك ثم جاء ذلكم والخطاب لم يتغير ، وقد أبعد بعضهم فقال : إن الخطاب الأول للنبي صلى الله عليه وسلم . وفي سورة المجادلة جاء قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر ، فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم » ؛ فترى كيف أتى بذلك والخطاب للذين آمنوا . وذلك أن الكاف قصد بها إلى أن تؤدي معنى الخطاب فقط ، ولا ينظر فيها إلى بيان حال المخاطبين . ويقول النجاة في هذا الموضع : إن الكاف فيها ثلاث لغات :

اللغة الأولى . أن تتصرف الكاف فيلحق بها ما يبين عن حال المخاطبين .  
واللغة الثانية : أن تكون الكاف المفتوحة للذكر بأواحه ، والمكسورة  
للنثوث بأواحه .

واللغة الثالثة : أن تكون الكاف المفتوحة للجميع مذكرا ومؤنثا . وعندى  
أن هذا ليس لغات مختلفة ، وإنما هي أوجه في اللغة الواحدة ، ولا يرجع إلى  
اختلاف القبائل واللغات . وذلك أن الشاعر الواحد قد يأبى في كلامه الوجهان .  
ففي شعر طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجملى لا نرى الآدب فينا ينفر  
حين قال الناس في مجلسهم أفتار داك أم ربح 'قطر'  
ومن شعره أيضا :

أخبرت أن الحى فترق بينهم نوى غربة طرارة في كذلك

إردب ، أرادب

الإردب في مصر معروف من قديم . ويقول الأخطل يهجو :  
والخبز كالعبر الهندي عندهم والقمع سيمون إردبا بدينار  
ويجمع الإردب على الآرادب . والجارى على الآلسة تشديد الباء في الجمع  
كما هي مشددة في المفرد . وقد جاء التشديد في اللسان بضبط القلم ؛ ففيه : وجمع  
الإردب أرادب ، وتراه في هذا الصبط بنوع الصرف . ويرى الشيخ عوض  
في تقريره على شرح الخطيب الشربيني لأبي شجاع في فقه الشافعية صرفة . ويعلل  
ذلك بتعليل غريب ، وذلك أنه يرى أن تكون الباء عارض ، وهو من باب  
طراعية وكراهية وملانكة . وهذا غير سائغ ولا مقبول ؛ فإن أصل الجمع  
على هذا أرادب وما عهدنا جمعا على هذه الزنة . هذا إلى أن وزن إردب لإفعل  
واللام سكونها أصلى فليس أصله إردبب وإلا وجب اليان والإظهار ، ولم يحو  
الإدغام لأن هذه زيادة للإلحاق كما في قرادة ، وإذا كان سكون المفرد أصليا

كان سكون الجمع كذلك . وهالك كلام الشيخ عوض : ، ( قوله ستة أرادب ) بصره ، لانه بعد ألف تكسيره ثلاثة أحرف وسطها ليس ساكنة أصالة بل هرضا للإدغام ، فهو كلاتكة وطواعية .

وقواعد الجمع الأقصى في العربية تأتي تشديد باء أرادب وتخفيف البتة . وذلك أن هذا الجمع لا يكون بعد ألف تكسيره ثلاثة أحرف إلا إذا كان أوسطها حرف لين كقناديل وعصافير ، فأما في غير ذلك فلا يكون بعد ألف التكسير إلا حرفان ، فنقول في جمع سفرجل سفارج فتحذف اللام ولا نقول سفارجل لأن هذا لا يستقيم في العربية ، ويقول الخضرى في كتابته هل ابن عقيل في آخر مبحث جمع التكسير . لا يقع بعد ألف التكسير ثلاثة أحرف إلا وأوسطها ساكن معتل كصايح ، وإذا كان مثل سفرجل يحذف منه اللام في الجمع ، وهي حرف أصلي فيقال سفارج ، فأولى بذلك الحذف في إردب وأحد الباءين زائد . ويقول صاحب القاموس في جمع قرشش : وهو الحسن والموى الحال ، فراشب بتخفيف الباء ، وقد جاء هذا الجمع في كتاب سيويه ص ٣٣٧ ج ٢ . وما هو من قبيل الإردب الأسطوئية ، وأسطوة البحر مجتمعه ووسطه ، وفي اللسان أن جمعا الأساطم ، وفيه أن تميزا نقول في الجمع الاساتم ، تعاقب بين الطاء والتاء فيه . فترى أنه لم يقل القراشب بتشديد الباء ولا الاساطم بتشديد الميم ، مع تشديد الحرف في المفرد ، وذلك لأنه لا يستقيم في هذا الجمع أن يكون بعد ألف التكسير ثلاثة أخرى أوسطها ليس حرف لين . وقد بحث النحاة جمع مصور فقالوا إن الجمع معاور ، وذلك أن الواو هنا لما كانت مشددة كانت في قوة المتحركة فلم تكن حرف لين كما في كنهور وعُزْنَيْسَى فيتحال كناهير وغرائيق .

وبعد هذا يتجلى تمام الجلاء خطأ الناس في تشديد الباء في أرادب ، وخطأ الضبط في اللسان ، وأنه من فعل النساخ أو أثر الطبع . واه الموق للصواب .

## المأسورة ، والمواسير

المأسورة تجري في ألفاظ العامة ، وبمجموعها على المواسير ، وهي تقال للآبوية أو للهنة المجوفة . وقد كست لا آبه هذه اللفظة ؛ إذ كانت من الكلمات الكثيرة التي أصبحت عماد اللغة العامية التي أصبح من العسير التعرف مأتاها ، وتلصق منشأها . غير أني وجدت هذه الكلمة في حاشية الجعبري على شرح المنهج في فقه الشافعية في باب الحيض في كلام نقله عن الشيخ على العبد المسمى ، فاسترعت نظري وحدتني على البحث فيها . ويبدو لي أن أصلها المصير وهو المعنى ويجمع على المصيران كما يجمع الكتيب على المكتبان والرغيف على الرغفان . والمصير أجوف فهو يشبه القصة الجوفاء ، غير أنه آلدن غير مُصَلَّب . فأطلق المصير على الهنة المجوّفة ، وجرى فيه من التحريف ما أصاره إلى المأسورة .

## العينة

تطلق العينة على ما يكون نموذجاً للشيء ، فهي قطعة من الثوب ، أو حفنة من الحب ، وما جرى هذا المجرى ، وقد بحثت في منشأها فبدأ لي أن أصلها العينة والعينة للشيء خياره ، والتاجر يقدم في العادة النموذج لما عنده كخبر بضائه وأجودها ، وفي اللسان : وعينة المال : خياره . وهذا ثوب عينة إذا كان حسناً في مرآة العين . واعتان فلان الشيء إذا أخذ عينه وخياره . وجمع العينة عَيْنَيْن . وقال الشاعر :

فاعتان منها عينة فاختارها حتى اشترى بعينه خيارها

## البلاغة

قال أهرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير .

وقال عبد الحميد الكاتب المشهور : البلاغة تهيئ المعنى في الأنفهام ، من أقرب أقرب وجوه الكلام .

وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام .

وقال إبراهيم الإمام : يكفي من البلاغة أن لا يؤق السامع من سوء أفهام الناطق ، ولا يؤق الناطق من سوء فهم السامع .

# مفردات فلسفية

## خلق - أخلاق

أفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ بكلية أصول الدين

أحييت أن أنعم باب « مفردات فلسفية » ، هذا العام من أعوام المجلة بالكلام عن خلق وأخلاق ، ذلك ما يتطلبه الوقت ، وبخاصة وقد رأت « جماعة كبار العلماء » في الأزهر أخيراً أن تلقت الثغرة جادة لسوء الحالة الدينية والخلقية في البلد ، فرفع في ذلك كتاب إلى مقام مولانا الخلك حفظه الله ، وآخر إلى رتبة رئيس الوزراء .

أحييت إذاً أن أعرض لتحديد كلمة « خلق » ، وبيان مفهومها وما صدقها ، لأن المصطلح خلافاً في هذا بين بعض من يتكلمون في إصلاح الأخلاق ههنا وبين العلافه والمصلحين الاجتماعيين بحق ، لهذا يكون من الخير أن نحدد مفهوم هذه الكلمة ، وأن نبين ما صدقها ، حتى إذا ألحقنا في طلب إصلاح الأخلاق نكون على يذنة من أمرنا ومما نريد .

• • •

١ — يذكر الجرجاني في كتاب « التعريفات » ، أن الخلق عبارة عن هيئة للنفس راححة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجيلة سميت خلقاً حسناً ، وإن كانت بحيث تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت خلقاً سيئاً .

٢ — ويذكر التهانوي في « كشاف اصطلاحات الفنون » ، أن الخلق في اللغة : العادة والطبيعة والدين والمرومة ، والجمع الأخلاق ، وفي عرف العلماء ملوكه تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف .

ثم الخلق ينقسم إلى فضيلة هي مبدأ لما هو كال ، ورذيلة هي مبدأ لما هو نقصان ،  
وغيرهما وهو ما يكون مبدأ لما ليس شيئا منهما .

٣ — ويذكر التهانوي أيضا بعد هذا ، أن الخلق العظيم ، هند السالكين  
هو الإعراض عن الكونين والإقبال على الله تعالى بالسكينة ، وأن الخلق  
العظيم ، المشار في قوله تعالى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : « وإنك لمعلم  
خلق عظيم » ، هو القرآن على ما قالت عائشة رضى الله عنها . أتمنى أن القرآن  
كان جبلة للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من غير تكلف .

هذا ما يذكره الجرجاني والتهانوي ، وهو لا يختلف عما يذكره غيرهما من  
أصحاب المآجيم والتأليف الفلسفية . وإذا ، فلا حاجة للإطالة بذكر نقول أخرى .  
٤ — وأخيرا ، نطلق كلمة « خلق » وبرادها أمر آخر غير الهيئة أو الملكة  
التي تصدر عنها الأفعال الطيبة أو الخبيثة ، وذلك الأمر الآخر هو الأفعال نفسها  
مثل العدل والظلم ، والكرم والبخل ، والصدق والكذب ، والبر والفجور .  
وهذا الإطلاق ، كما نرى ، تجاوز في التعبير .

\*\*\*

من أجل ذلك ، يجب ، إذا أردنا أن نكون منطقيين وعمليين في طلب إصلاح  
الخلق ، أن نعلم إلى الشر نحيته من جذوره ، ولئلا نصلحه من أساسه ،  
يجب أن نعلم إلى إصلاح النفوس وبجايها وملكانها التي تصدر عنها ما نضيق  
به ذرعا من الأفعال ، أى الأفعال السيئة الخبيثة ، ومتى صلحت هذه النفوس ،  
امتنع أن يصدر عنها هذا الضرب من الأفعال ، وصارت بحيث لا يصدر عنها  
إلا الأفعال الطيبة والأخلاق الحسنة ، وذلك لأنها اكتسبت ملكات جديدة  
طيبة نأى بها عن الشر وتبعثها إلى الخير .

ونكون مخطئين إذا ، فيما أعتقد ، إن لم نفعل — حين نرى الفساد الخلق  
استشرى بين طبقات الأمة المختلفة — شيئا آخر غير أن نرفع الصوت عاليا  
لإصلاح هذا الحال ؛ ذلك بأن هذا الفساد ، الذى يتمثل فيما تنشره الصحف من  
أعمال تدل على التحلل من التقاليد الطيبة والآداب الدينية ، ليس إلا أمانة على  
شدوذ في النفس يجب أن نطّلب له .

الشذوذ في النفس كالشذوذ في الجسم ، له سببه الأول وعلة الاصلية ، ومن الواجب على طبيب الجسم أن يلتمس أولا علة الداء ، فإذا عرفه واستأصله زالت أعراضه ومظاهره بطبيعة الحال . كذلك على طبيب النفس أن يبحث عن علة ما يصيب النفس أحيانا من شذوذ هذه العلة التي يكون عنها ما تعدد فسادا ونحلا من الدين والأخلاق ، وسبيل هذا ، فيما يرى المصلحون جميعا ، التربية الطيبة للنفس ، والقصدى الصالحة في الرؤساء وأولياء الأمور في هذا البلد ، هذا البلد المنكود بكثير ممن يتصدون للإصلاح الخلق فيه .

علينا إذاً أن نتعاون في سبيل تربية جيل جديد ، تربية قوامها الدين والخلق ، تربية تجعل النفس خيرة تلبث للخير من ذاتها ، وترى النور في القول والعمل امتنانا لها ولكرامتها وأمرأ قبيحاً تنفر منه بطبيعتها .

\*\*\*

ذلك ، وهناك ناحية أخرى يجب أن نلفت لها : إن الأخلاق الميئة التي لا بد من التعاون في سبيل مكافئتها ، بهذه الطريقة أو تلك ، ليست فقط الخلاصة والتهتك وما إلى هذا السبيل . إنها أيضا ، مع هذا سوء فهم العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الحاكم والمحكوم ، والفقير والغني ، هذه العلاقة التي تقوم في غير قليل من الحالات على أسس لا تتفق في شيء والدين وروح العدالة : هي مع هذا ، سوء استغلال الموظف الكبير لمركزه الذي جعل فيه ليخدم الأمة : هي مع هذا أن يشقى صاحب الحق ، فلا يكاد ياله إلا بتضحيات من الكرامة والمال أحيانا يدفعها لمن يبهه الأمر !

كل هذا نحسه جميعا ، وكل هذا نخجل له ونألم منه بالغ الألم . وإذا كل هذا ونحوه يجب أن يدخل في الحساب حين نفكر في الثورة للأخلاق ، وحين نأخذ في التعاون لإصلاح الأخلاق ؛ لأنه ليس من الدين ولا من الخلق في شيء أن يحسن الرجل أداء الصلاة وغيرها من شعائر الدين ، ثم لا يؤدي بعض ما يجب عليه من عمل بحكم منصبه إلا إذا قدم له صاحب الحق أو العمل بين يدي نجواه هدية ... !

إنني لأعرف كثيرين يحال بينهم وبين حقوق لهم ، ثم لا يجدون لهم معينا أو شفيعا لدى السادة الرؤساء أصحاب الدواوين ، ويكاد هذا الحال يقتل

في نفوسهم الثقة بالله وعذاته ، بالإيمان بالإنسانية ووجود « إنسانيين » ، يعملون للخير ولتقاربة المثل العليا .

هذه الحقائق : وهذا الظلم الاجتماعي : وهذا الفهم الخاطئ من صاحب المنصب لمُنصبه ، ومن النائب لرسالته : وهذه الصيائر التي عانت أو في طريقها للبوت : وهذه النفوس التي فسدت طبيعتها فصارت ترى العرف نكراً ، والنكر عرفاً - كل هذا وما إليه ، هو ما يجب أن يكون همُّ المطالبين بإصلاح الأخلاق ، المشفقين على مجتمعتنا وأمتنا .

يجب أن نكون منطقيين وعلميين ، وذلك يقتضيه - نحن رجال الأزهر - أن نعمل على تكوين جيل جديد تصاغ نفوسه على حب الخير فتنبعث إليه ، وعلى كراهة الشر فتأبى عنه من ذاتها . وأن نكون صرحاء شجعاناً ؛ فطالب أيضاً بتصحيح الأوضاع الاجتماعية بجعلها تجري على سنن الدين والعدل ، حتى يؤدي كل واجبه دون حاجة لزلزلي أو قربة من القربات .

يجب أن يتعاون رجال التعليم في الأزهر والوزارة والجامعة على جعل الغرض من التعليم تحصيل العلم الحق ، وتكوين الخلق الطيب ، وتحقيق الرجولة الناضجة ، وعلى أن تكون دور التعليم باعثة على هذا كله ، بالجو الذي يسود فيها ، والقدي الطيبة والمثل العليا التي تتجسم في القائمين عليها ، لا فرق بين أستاذ وأستاذ ، لا فرق بين مدرس الدين أو مدرس الآداب أو مدرس العلوم ؛ بذلك تتشرب روح التليذ ما نريد له من تربية ، وما نحب أن ينشأ عليه من طباع ؛ بحيث يشب وقد اتخذت نفسه هيئة طيبة هي ما نسماها خلقاً حسناً ، ومن هذه الهيئة تكون الأفعال الطيبة الحسنة بسهولة ويسر .

وحق يكون لنا هذا الجيل الجديد ، لا نجد بداً من أن نطالب من يديم السلطان أن يطهروا لهذا الفساد الخلق الذي يكاد يعم الأمة ، وذلك بالتشريع والحزم في تطبيق القانون . كما لا يرى بداً من أن نحزم هذه الكلمة بالحديث المشهور الذي يقول : « صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسادا فسد الناس : العلماء والأمراء » .

واقه بقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

## عمار بن ياسر

لفضيلة الامتاز الجليل الشيخ عبد الله المراغي  
مدير المساجد

للمصاحبة فضل عظيم ومقام جليل ، وفيهم القدوة الحسنة والمثل الصالحة للسير  
على منهاجهم ، وهم يتفاوتون في الفضل وفي السبق إلى الإسلام ؛ كما يتفاوتون  
في التفقه والإلمام بالأحاديث النبوية ، والعلم والحذق في فهم كتاب الله تعالى  
وسنة رسوله .

ولقد كان عمار بن ياسر من هؤلاء الذين علت أقدارهم ، ومحت مداركهم  
واستأنروا وامتنازوا بسبق إسلامهم ، ورضى رسول الله عنهم ووصفهم بالوصاف  
الكريمة ، فقد روى عن رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جاء عمار  
يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب »  
وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أبشر عمار  
تقتلك الفئة الباغية » ، ولقد تحققت تلك النبوة - وسترى كيف تحققت هذه  
النبوة الصادقة . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرحمهما ، وعمار هذا هو ابن ياسر ويمكنني  
بأبي اليقظان وجده عامر السكناني المذحجي العنسي وأمه سمية .

ولقد كانت أسرة عمار من الأسر المستضعفة في بدء الإسلام ، حين كانت  
للمشركين صولة ، وللطاعين دولة ، وللباطل سلطان وللشرك صولجان ، فقد ماتت  
سمية والدة عمار في العذاب على يد أبي جهل ، فكانت أول شهداء الإسلام .  
ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على أسرة عمار وهم يعذبون في الله من أجل إيمانهم  
فقال : « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

ولقد امتاز عمار بنشاط ملحوظ مادي ومعنوي ، فلقد كان جريئاً في إسلامه شجاعاً في الدفاع عن عقيدته ، مضحياً من أجلها بروحه ودمه ، فقد حدث عن إسلامه فقال : لقيت ، صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلت ما تريد ؟ قال : وما تريد أنت ، قلت أريد أن أدخل فأسمع كلام محمد فقال : وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، وكذلك أسلم والده وأمه وأخيه عبد الله بن ياسر .

ولما سطع نور الإسلام بالمدينة وأصبحت هي القلعة المنيعه ، والحصن المكين للإسلام ، حرم عمار على المساهمة في اعلاء كلمة الإسلام ، وتمكين دعائه يثرب ؛ فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى المدينة فأذن له . وكان عمار أول من بنى مسجداً في الإسلام بناء في المدينة وسماه قباء .

ولم يكن عمار من الحاملين أو الكسالى الذين يهابون الحرب ، وبرهون الوغى فقد شهد بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان ، وبجانب هذه الشجاعة والروح الحربية ، والقوة المعنوية التي امتاز بها عمار كان معروفًا بسداد الرأي ، وسعة الحيلة ، والخبرة بالثبوت العامة ، فقد ولاه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، أمر الكوفة فكتب بذلك إلى أهلها يقول : أما بعد فقد بعثت إليكم عماراً أميراً ، وابن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من نجب أصحاب محمد فافتدوا بهما .

فهذه شهادة من عمر الذي كان يعرف أقدار الرجال ، ويعرف كيف ينتخب ولاته وكيف ينقب عن صفات الرجال الذين يصلحون لتدبير الأعمال ، ويمتازون بالخبرة والنزاهة في سيرتهم ويؤدون للرعية ما لها .

ولقد كان عمار يعرف منزلة الكرامة ومكانتها في دين الرجل ، فما كان يرضى الدنية ولا يقبل الضيم ولا يرضى الذلة ، فقد عاصمه خالد بن الوليد يوماً فأغلط له فانطلق عمار إلى الرسول يشكو ، فجاء خالد وعمار يشكو لجميل يغلظ له أيضاً ، والبي صلى الله عليه وسلم ساكت فقال : عمار يا رسول الله ألا تراه كيف يفعل ؟ فرفع رسول الله رأسه وقال : من عادى عماراً عاداه الله ، ومن أبغض عماراً

أبغضه الله ، قال خالد : فخرجت فما كان أحب إلى بعد من رضا عمار فلقيته فاسترضيته فرضى .

والناحية الهامة في التشريع التي امتاز بها عمار أنه كان مقتنيا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان خبيراً بالأحكام وظلها ، غواصاً على المعاني والبواعث والحكم والتي شرعت من أجلها الأحكام ، فقد كان يسهل عليه الجواب حين يفاجأ بالسؤال فكان الاستفتاء لا يذم له ولا يذمسه ، كما يحدث لمن قصرت مداركهم فلا يحسنون الانتفاع بما يحفظون ، ولا يستطيعون استنباطاً طامحاً يروون . ولقد جمع إلى هذا الفكر المستثير والرأي الصائب والفهم الحاذق إحاطة لعدد وفير من أساديت الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى له في الصحيحين اثنتان وستون حديثاً .

وقد كان ثباتاً ثقة في خلقه ودينه ، وأخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وأبو موسى الأشعري ، وجابر ابن عبد الله ، وعدد وفير من الصحابة ، كما روى عنه من التابعين ابنه محمد وسعيد ابن المسيب ومحمد بن الحنفية وغيرهم .

ولقد تحققت عند موته نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم التي سبق أن أشرنا إليها ، فقد كان عمار في جيش علي ، فقتله أصحاب معاوية في واقعة صفين التي حدثت بينهم وبين أصحاب علي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، وعمره أربع وتسعون سنة ، ولما بلغ مقتله عمرو بن العاص قال : والله لو ددت أن أكون ميت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، ودفعه علي بن أبي طالب ولم يكفنه ، ولم يفسله ، لأنه شهيد .

فرحم الله عماراً فقد كان سباقاً إلى الإسلام ، سباقاً إلى الجهاد ، سباقاً إلى الحق ، مضجياً في سبيل عقيدته ومبدئه بروحه ودمه ، وجعل الله لنا فيه القدوة الحسنة .

# صَفَايَا الرُّسَاةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المتعال الصعيدي  
الأستاذ بكلية اللغة العربية

كان الرؤساء في الجاهلية صفايا جميعا عبد الله بن غنم الضبي في قوله يخاطب  
بسطام بن قيس من رؤساء القبائل :

لك المربعُ منها والصفايا وحكك والنسيطة والفضول

فكان كل رئيس إذا حارب هو وقومه يختص نفسه من الغنيمة بهذه  
الأمور ، ينفضها على نفسه ، ويحبس بمضاهيها قد يطرا على القبيلة ، أو يتحمل من  
التفقات ، والمربع ربع الغنيمة ، وقد قيل في ذلك مربع كما قيل في العشر  
مشار ولم يسمع في غيرهما ، والصفايا جمع صفي أو صفية ، وهو ما كان يختاره  
الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيرها ، والنسيطة  
ما يغنمه المحاربون في الطريق قبل الموضع الذي قصدوه بالغزو ، وقيل : هو  
ما انتشط من الغنائم ولم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب ، والفضول : هو ما يبقى  
من الغنائم بعد القسمة مما لا يصح قسمته على عدد المحاربين ، وقيل هو ما أبجز  
أن يقسم لفته ، وكان الرئيس يملك كل ما يأخذه من هذا ملكا خالصا ، فيفق  
منه على نفسه كيف شاء ، ويورث عنه بعد موته كما يورث سائر الملوك .

فلما جاء الإسلام أبطل من ذلك ثلاثة وأبقى واحدا ، فأبطل المربع  
والنسيطة والفضول ، وأبقى الصفايا ، ومما جاء في إبطال المربع قول النبي  
صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم قبل إسلامه : « إنك لنا كل المربع ، وهو لا يملك  
لك في دينك » . وكان عدي يدين بالصرانية ، والمربع من عوائد الجاهلية ، وإنما  
أبطل الإسلام المربع والنسيطة والفضول ؛ لأنها كانت حقا مقررا يأخذه الرئيس  
من كل ما يغنم ، ويمتاز به على قومه دائما ، لأنه حق لا ينزع فيه ، وليس

موكولا إلى اختياره ، أما الصفايا فكانت حقا اختياريا ، إن شاء الرئيس أخذه لنفسه ، وإن شاء تركه لقومه ، والإسلام أعدل من أن يجعل من هذه العادات الظالمة حقا مقرا للرؤساء ، يأخذونه من كل مغم ، ويختصون به لغوسهم دائما ، وهو حق كثير جدا عليهم ، ولا يصح أن يستأثروا به دون قومهم .

ولما كانت الصفايا ليست حقا مقرا فقد أبقاها الإسلام ، لأنه يمكن إخضاعها لحكم الظروف والأحوال ، وكثيرا ما توجد ظروف وأحوال تقضى بإبشار الرئيس بشيء من المغم ، ولا يكون إثارة به خروجاً على ما يقضى به العدل ، لأنه يكون حسبا لخلاف بين المحاربين على شيء من الغنيمة ، لمعاسته أولئحو ذلك مما يكون سببا في إثارة المطامع وتطلع العيون ، فإذا أخذه الرئيس لنفسه حصل الرضا ، وقضى على سبب الخلاف ، وقد اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر سيف صبيته بالحجاج ، وفي يوم المريسيم جويرة بنت الحارث سيد بني المصطلق ثم أعتقها وتزوجها ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله لا يصح أسرهم ، ففوا عليهم بالعق ، وكان هذا سببا في إسلامهم ، فكانت جويرة أئمن امرأة على قومها ، وكذلك اصطفى لنفسه صفية بنت حيي سيد بني النضير من اليهود في غزوة خيبر ، وكان دحية بن خليفة الكلبي قد طلب منه أن يعطيه جارية من السبي ، فقال له : اذهب فخذ جارية . فذهب فأخذ صفية .

لجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير — وكانت أمها من بني قريظة — ما تصلح إلا لك . وهنا وجد النبي صلى الله عليه وسلم أن دحية لم يأخذ جارية من حشو السبي ، بل اختار أثرف نساءه نسا ، وكانت صفية إلى هذا ذات جمال عظيم ، فإنها كانت من أجمى ما يكون من النساء ، فلا ترضى نفسها بدحية ، وقد استكثرها عليه ذلك الرجل وغيره ، ومثل هذا يؤدي إلى خلاف بينهم ، ولو أنه أخذها منه وأعطاهما غيره من كبار الصحابة ، لكان هذا له أثر شديد في نفسه ، فلم ير إلا أن يأخذها صلى الله عليه وسلم زوجاً له ، فأعتقها وتزوجها ، وقال لدحية : خذ جارية من السبي غيرها . لأنه إنما أذن له في جارية من حشو السبي لا من أفضلهن ، فلما رآه أخذ أنفسهن نساء وشرفا ، وجمالا استرجعها . لئلا يتميز بها على سائر الجيش

مع أن فيهم من هو أفضل منه ، وهذا إلى ما فيه من انتهاكها ، مع علو قدرها ، وربما ترتب عليه شقاق بينهما ، فندسه عشرتهما ، ولا يكون فيها ما يجب في عشرة الزوجين من مودة وإخلاص ، ولو تبمنا غير هذا من صفايا النبي صلى الله عليه وسلم لوجدناه يقوم على مثل تلك المصالح العامة ، ولا يدخل فيه شيء من مصالحه الخاصة ، كما كان شأن صفايا الرؤساء في الجاهلية .

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وليس له إلا صفايا ثلاث : بنو النضير ، وغيره ، وقدك . فأما بنو النضير فهي صدقة بالمدينة ، وكانت محلا لبي النضير أعادها الله عليه من غير خيل ولا ركاب ، وأعطى أكثرها للمهاجرين ، بدلا من أموالهم التي أخذها منهم أهل مكة حين هاجروا منها إلى المدينة ، وما بقي منها حصه لوائبه ، ولم تكن نوائبه إلا نوائب المسلمين في حريمهم وسلمهم ، وغير هذا من نوائبهم .

وأما حبير فإنه كان قد قسمها قسمين . نصفها للمسلمين ، ونصفها لوائبه وحاجته ، فكان يأخذ منه نفقة أهله ، وما فضل ينفقه على فقراء المسلمين ، وفي مشترى السلاح والكرام ، وكان ما يأخذه لفقة أهله يقدر بسنة ، وإذا أخذه لا يأخذ شيئا بعده ، وكان لا يكفيه إلى آخر السنة ، فكان يقرض ما يسد به حاجة أهله ، ولهذا مات ودرعه مرهونة عند يهودي .

وأما فدك . وهي قرية على ثلاث مراحل من المدينة . فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كبنى النضير ، فكان ينفق منها ويأكل على قدر حاجته ، وقد سبق أن ما كان يأخذه لا يفي بها إلى آخر السنة ، وكان يمود منها أيضاً على فقراء بني هاشم ، ويزوج أيتهم ، وينفق على أبناء السبيل ونحوهم .

وقد اختلف أبو بكر وفاطمة رضي الله عنهما في أمر هذه الصفايا ، فروى أن فاطمة أتته وقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لي فدك ، فأعطى إياها . فطلب منها البيعة على هذا ، فشهد لها زوجها على رضي الله عنه ، فوالها شاهداً آخر ، شهدتها لها أم أيمن ، فقال لها : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، ولم يحكم لها بما طلبت .

وروى أيضا أنها جاءتته فقالت له : أعطني فذلك ، فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لي . فسألها البينة ، فجاءت بأمر أمين ورباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشهدا لها بذلك ، فقال لها : إن هذا الأمر لا يجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين .

وروى أيضا أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله فذلك ، فقال لها : ما كان لك أن تسأليني ، وما كان لي أن أعطيك . وهذه الرواية تناقض الروايتين السابقتين .

وهناك روايات أخرى في ذلك تفيد أن فاطمة طالبت ذلك من أبي بكر لأنه إرثها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يطالبها أبو بكر بشهود عليه ، لأن حق الإرث لا يحتاج إلى شهود ، وإنما نازعها في ذلك الإرث ، فقالت له : من يرثك إذا مت ؟ فقال : ولدي وأهل . فقالت : فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ؟ فقال : والله يا بنت رسول الله ما ورثت أباك ذهابا ولا فضا ، ولا كذا ولا كذا . فقالت : سهمنا بخير ، وصدقنا فذلك . فقال : يا بنت رسول الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما هي طعمة أطعمتها الله حياتي ، فإذا مت فهي بين المسلمين .

وقيل إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي صلى الله عليه وسلم في فذلك وخير ، فقال لها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال . ثم قال : والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته .

وقيل إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه مواردتهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وفذلك ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما هذا المال لآل محمد ، لنا بهنهم وضيعهم ، فإذا مت فهو إلى وإلى الأمر بعدى .

وقد جاء بعد هذا فقهاء أهل السنة والشيعة فاختلفوا في إرث النبي مطلقا ، فذهب أهل السنة إلى أنه لا يرث . وذهب الشيعة إلى أنه يرث ، ولم يقيدوا

الخلاف بأمر هذه الصفايا التي قام الخلاف فيها بين أبي بكر وفاطمة ؛ ومن يطالع هذه الروايات السابقة يجد فيها ما يفيد قصر الخلاف في إرث النبي صلى الله عليه وسلم هل هذه الصفايا ، وأن أبا بكر كان يرى أنها لم تدخل في ملك النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورث عنه ، وإنما كان له حق الفقة منها في حياته على الوجه السابق ، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له ما يملكه غير هذه الصفايا من منقول ونحوه وإن كان قليلا ، وهذا لم يرد فيه نزاع بين أبي بكر وفاطمة ، لأنه لا يصح النزاع في إرثه ، والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له على هذه الصفايا إلا حق الولاية ، فتكون ولايتها لمن يلى أمر المسلمين بعده .

### قلة الكرام

قالت الحسكة : الكرام في الشام كالنخلة في الفرس . قال السموءل :

نميرنا أنا قليل عديدنا	قللت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا	هزير وجار الأكثرين ذليل

وقال أبو تمام :

ولقد يكون ولا كريم تاله	حتى تخوض إليه ألف لثيم
-------------------------	------------------------

وقال ابن أبي حازم :

وقلوا مدحت في كريما	قلعه وكيف لي بفي كريم
بلوت ومرت في خموص حولا	وحسبك بالنجرب من هليم
فلا أحد يمد ليوم طول	ولا أحد يمد على هديم

وقال دحبل :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم	واقه يعلم أني لم أفل فسدنا
إني لأغلق هيبي ثم أفتحها	على كثير ولكن ما أرى أحدا

## على نزائف طالك

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى  
وكيل معهد أسيوط

### بلاغته :

قال الأستاذ الأديب محمد المرصني شارح نهج البلاغة ، وهو يتحدث عن اللغة العربية في مقدمة شرحه : « وبين هذه وتلك منزلة هي عليا مازل الكلام فيها نعلم ، وأشرفها مكانا وأجلها خطراً ، أقام فيها صدر الإسلام وشطرا من حلاقة بنى أمية ، جمعوا فيها بين جمال الحضارة الجديدة وجلال البداوة القديمة ، وبشاشة القرآن الكريم . بهذه الخصال الثلاث امتاز الخلفاء الراشدون ومن تأثرهم ، كزياد والحجاج وقطربى بن العجامة . وقد كان المجلى في هذه الخلبة هي صلوات الله عليه . وما أحسبى أحتاج في إنبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذى أقامه الله حجة واضحة على أن عليا قد كان أحسن مثال حتى لنور القرآن وحكمته ، وعلمه وهدايته ، وإيجازه وفصاحته .

اجتمع لعل في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأعداد الفلاسفة ونوائغ الربانيين : من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفصل وحسن الأثر .

عاض على في هذا الكتاب لجنة العلم والسياسة والدين ، فكأن في كل هذه المسائل ناعمة مبرزا . ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم ، فليس في وسع الكاتب المترسل ، والخطيب المصقع ، والشاعر المطلق أن يبلغ العاية من وصفه ، أو النهاية من تفريله .

وحسب أن نقول : إنه الملتقى الفذ الذى التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة ، والمزول المفرد الذى اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه ، وتأوى إليه بعد أن زلت بها المنارل في كل لغة ، وسأحاول أن أحلل بعض عوامل هذه

العبقرية العلوية في بعض نواحيها بما يشوق إلى مطلبها ، حتى لا يحمل تلك السكوز  
الثنية التي عرفها رواد الأدب الرفيع وطلاب الأسلوب السامي .

ولا غرو ، فقد كان على في الصميم من هاشم من ملكوا زمام الفصاحة في  
في العرب ، واستبدوا بآياي الأدب .

وقد نشأ على في بيت النبوة حيث تتلى آيات الله والحكمة ، فيحظى بالنصيب  
الأول من فيوضات الإسلام ، التي هي المادة الخصية لكل أديب ، ثم سعد  
بعد ذلك بعض النبوة فاطمة الزهراء تزيده أدباً إلى أدبه ، وتمده ببعض ما أخذت  
عن أبيها من درنه ، وقد حفظ على القرآن كله وقل أن يجتمع ذلك لغيره ، فوقف  
على أسرارها واختلط به لحمه ودمه . والقارئ يرى ذلك في سجع البلاغة ويلس فيه  
مقدار استفادة على من بيانه وحكمته . وناهيك بالقرآن مؤدباً ومهذباً ، يستنطق  
البكاه الأبكم فيفتق لسانه بالبيان الساحر والفصاحة العالية ، فكيف إذا كان مثل  
على في حصونه وعبقريته ، واستعداده من صفت نفوسهم وأعرضوا عن الدنيا  
وأخلصوا للدين ، لجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم على ألسنتهم متدفقة كالحبوبات ،  
تجمرى بالسلس العذب من الكلمات ؟

وهل كان الحسن البصري في زواجر وعظه ، وبالغ منطقته إلا أثراً من على  
وقطرة عن محيط أدبه ، ففتن الناس بعبارة وخطب ألباهم بحمله ، فكيف يكون  
الاستاد العليم والإمام الحكيم على بن أبي طالب ؟

لقد كان الإمام على في خطبه المتدفقة يمثل بحراً خصبا من العلماء الربانيين ،  
وأسلوباً جديداً لم يكن إلا لسيد المرسلين ، وطرق بحثاً من التوحيد لم تكن  
تخص في الخطابة إلا مثله ، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله ، فدانت لبيانه  
وسلست في منطقته وأدبه .

وخاض في أسرار الكون وطبائع الناس وتشریح النفوس ، وبيان خصائصها  
وأصنافها ، وعرض لمداخل الشيطان ومخارجة وفتن الدنيا وآفاتنا ، وتكلم في الموت  
وأحواله ، وفي بدء الخلق ووصف الأرض وفي شأن السماء وما يمرج فيها  
من أملاك وما يحف بها من أفلاك ؛ كما عرض لملك الموت ووصفه وأطال  
في وصفه .

وخطب على في السياسة وفي شئون البيعة والعهد الرفاه واختيار اللاحق ، وما أحاط بذلك من ظروف وصروف كتحكيم صفين ، وما تبعه من آثار سيئة وتفريق في الكلمة .

ولم يفت أن ينوه في خطبه بأصهار الحق وأحوان الخير ، والدعوة إلى الجهاد ، وفيها حاجة للخوارج ونصح لهم ولأمثالهم باتباع الحق ، وغير ذلك مما يمكن فيه ضرب المثل ولفت النظر .

غير أن ناحية عجيبة غريبة امتاز بها الإمام ، هي مما اختص به القديسون من الانبياء ، ومن على شاكلتهم كانت تظهر في بعض تجلياته ، وأشار إليها في بعض مقاماته ولم يسلك فيها سواه إلا أن يكون رسول الله .

فقد ذكر كثيراً من مستقبل الامة ، وأورد ما يكون لبعض أحزابها كالخوارج وغيرهم ، ومن ذلك وصفه لصاحب الزنج وذكر الكثير من أحواله . وذلك من غير شك لون من الكرامات ، وقد قال له بعض أصحابه إذ ذاك : لقد أوتيت يا أمير المؤمنين علم الغيب . فضحك وقال للرجل وكان كليياً :

« يا أعاكب ، ليس هو بعلم غيب ، وإنما هو تعلم من ذى علم ، إنما علم الغيب علم الساعة وما عتد الله بقوله ، ان الله عنده علم الساعة ... الآية ، فعلم الله سبحانه وتعالى ما في الأرحام من ذكر أو أنثى ، وقبيح أو جميل وسخى أو جميل وشقي أو سعيد ومن يكون في النار حطبياً ، أو في الجان للنيين مرافقاً ، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ، وما سوى ذلك فعلم علم الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بأن يعمه صدرى وتضطم عليه جوامعي ، .

هذا إلى أنه طرق نواحي من القول ، كانت من خواص الشعر إذ ذاك ، ولكنه ضمنها خطبة ؛ فوصف الطب وعرض للخفاش وما فيه من عجائب ، والطاووس وما يحويه من أسرار ، وما في الإنسان من عجائب الخلق وآيات المبدع الحق ، وأحيلك في ذلك كله على نهج البلاغة ، ولكني أنمجل لك جملاً من قوله في الخفاش وهو يذكر بآله سبحانه ، من لطائف صفته وعجائب حكته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش ، التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ، ويبسطها الظلام القابض لكل شيء ، وكيف عشت أعينها عن أن تستمد من

الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها ؟ وتصل بملاية برهان الشمس إلى معارفها ، ردعها ثلاث ضيائاتها عن المضي في سبحات إشراقها ، وأكنها في مكانها عن الذهاب في بلج اتلاقها ، فهي مسدلة الجفون بالهار على أحداقها ، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في القاس أرزاقها ، تسبحان من جعل لها الليل نهاراً ومعاشاً والنهار مسكناً وقراراً .

ووصف الطائوس وهو يتحدث عن الطير . فقال :

« ومن أعجبها خلقاً الطائوس الذي أقامه الله في أحكم تعديل ، وفنّد أصفاه في أحسن تضيد : بجناح أشرع قصبه ، وذنب أطال مسجبه وإذا درج إلى الآتي نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه . إلى أن يقول يفصى كإفصاء الديكة ، أو يؤر بملاصحه أرّ الفعول المعتلة في الضراب : فإن شبهته بما أنبت الأرض قلت : جنى جنى من زهره كل ربيع ، وأن ضامته بالملايس فهو كوشى الحلّى ، أو مرتق عصب الهم ، وأن شاكنه بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت بالجين المكمل . . . »

وهكذا تجد في أدب عليّ الدين والسياسة والأدب ، والحكمة والوصف العجيب ، والبيان الزاخر .

هذا كتاب إلى شريح القاضي يعظه ، وقد اشترى داراً ويحفزه أن تكون من مال المسلمين في معان هجينة وأسلوب غلاب ،

وهذا إلى معارية يجادله في الأحق بالخلافة ، وقتله عثمان في معان لا يحسنها سواء ، وذلك كتب إلى العاملين على الصدقات ، يعلمهم فيها واجباتهم في جميع ملايساتهم .

وذلك هذه إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر ، وتلك وصيته إلى الحسن عند منصرفه من صفين ، لم يدع فيها معنى تتطلبه الحياة لمنسله إلا وجهه فيه أسمى توجيه ، في فلسفة خصيية ، وحكم راتعة مفيدة ، وكل تلك النواحي والأغراض في معان سامية مبسطة ، يعلو بها العلم الرباني العزيز ، والروح السامية الرفيعة وتدنو بها تلك القوة الجبارة على امتلاك أزمة القول ، كأنما نشر كنانته بين يديه فوضع لكل معنى لفظه في أدق استعمال .

ولعلك لم تنس ما قدمت لك من وصف الخفاش وتفصيل أجزاء الطاووس .  
 فاسمع هذه أيضاً ولم أتعهد في نقلها اليك اختياراً ولا تعمقاً : قام إليه رجل  
 من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرت بها فما ندرى أى الأمرين أرشد ؟  
 فصفق إحدى يديه على الأخرى ثم قال : . هذا جزاء من ترك العقيدة ،  
 أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه  
 خيراً ، فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم ، وإن أبيتكم تداركتكم لكانت  
 الوثق . ولكن بمن وإلى من ؟ أريد أن أداوى بكم وأنتم دائى كعاش الشوكة  
 بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها . اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى ، وكلت  
 النزعة بأشطان الركي . أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرءوا القرآن  
 فأحكروه ، وهيجوا إلى اللقاء فوطوا وله اللقاح إلى أولادها ، وسلبوا السيوف  
 أغنادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً ، وصفاصفاً بعصه هلك وبعضه نجا ،  
 لا يبشرون بالأحياء ولا يعززون عن الموتي ، قرح العيون من البكاء ، خصس البطون  
 من الصيام ، دين الشعاء من الدماء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم عبرة  
 الخاشعين ، أولئك أصحابي الذاهبون . ، فانظر إلى قوة الحجة والإلجاء إلى الحق ،  
 وخرابة التشابه وروعة الاستعارات ، وسعوع التصوير والسجام المعاني وتأخذها .  
 ولقد يضيق بي القول فأقف سائراً عاجراً عن شرح ما يحول بنفسى من تقدير تلك  
 المعاني السامية ، فيسعدني تصوير الاستاذ الإمام له وهو يقدم نهج البلاغة حين يقول :  
 فكان يخيل إلى في كل مقام أن حروياً شبت ، وغارات شفت وإن للبلاغة  
 دولة : وللصاحبة صولة ، وإن للأروام عرامة ، ولالرب دعارة ، وإن جعائل  
 الخطاية وكتائب الذرابة في عتود النظام ، وحفوف الانتظام ، تافع بالمضيق  
 الأبلج ، والفويم الأملج ، وتمتلك الموج برواتع الحجج ، تغل من دعارة الوسوس  
 وتصيب مقاتل الخوائس ، فما أما إلا والحق متصر والباطل منكسر ، ومرج  
 الشك في جمود ، وهرج الريب في ركود ، وإن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك  
 الصولة ، هو أمير المؤمنين الغالب على بن أبي طالب . . .  
 أما الأسلوب فينبغي لك ما يأتي .

(١) الثروة من الألفاظ العربية في مفرداتها وجمعها ، ومذكرها ومؤنثها  
 وحقيقتها ومجازها .

(٢) المجازات والكنائيات في معرض أنيق وقالب بديع .  
(٣) الإيجاز الدقيق مع الاطناب في مقامه ، ويظهر ذلك في فقره وبجساته  
العريضة التي يحمل بكل أديب أن يحفظ الكثير منها ليكون بيانه التكوين العربي  
السلام .

(٤) المحسنات البديعية في نمط ممتاز من جناس إلى طباق وترصيع وإلى قلب  
وعكس ، تزدان بجمالها البلاغة ويكمل بها حسن الموقع .

(٥) الجرس والموسيقى وجمال الإيقاع مما يدركه أهل الذوق الفنى .  
ويمكن قبل الختام أن أشير إلى ما نوه به صاحب الطراز الإمام يحيى الحماني ،  
فقد تكرر ذلك في عدة مناسبات ، وأولها تمثيلة للبلاغة في أول كتابه قال وهو  
في ذلك الصدد : فن معنى كلامه ارتوى كل مصقع خطيب ، وعلى منواله نسج كل  
واعظ بليغ ؛ إذ كان عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، وعطى البلاغة  
ومولدها ، وهيدب منها السالك ومتعجر ودقها الهاطل . وعن هذا قال أمير  
المؤمنين في بعض كلامه : نحن أمراء الكلام وفيها تشبثت عروقه ، وعلينا تهذبت  
أغصانه ، ثم أورد مثالا من أول خطبة في نهج البلاغة وقال : المعجب من علماء  
البيان والجماهير من حذاق المعاني ، كيف أعرضوا عن كلامه مع علمهم بأنه الغاية  
التي لا مرتبة فوقها ، ومنتهى كل مطلب ، وغاية كل مقصد في جميع ما يطلبونه  
من المجازات والتشليل والكنائية ، وقد أثر عن فارس البلاغة وأمير البيان الجاحظ  
أنه قال : ما قرع سمى كلام بعد كلام الله وكلام رسوله إلا عارضته إلا كلمات  
لأمير المؤمنين كرم الله وجهه ، فاقدرت على معارضته وهي مثل قوله : ما هلك  
أمرؤ عرف قدره ، ، استغن عن شئت تمكن نظيره ، وأحسن إلى من شئت  
تمكن أمير ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

وبعد فقد خرج هذا الأدب السامي العلوي ، والبيان العبقري المطلي نواحي  
هذه الأمة في القديم والحديث ، من أمثال ابن عباس والحسن البصري ، ثم زياد  
والحجاج وقطري ثم عبد الحميد الكاتب وابن المنفع .

ثم الأستاذ الإمام محمد عبده ، والزعيم سعد زغلول والهابوي ، وغيرهم من  
قادة الفكر والهداة في كل عصر ، فهل من يسلك نهجهم في التفاهت على ذلك التراث  
الثمين والسكنز الدفين ؛ إن يكن الخير للغة فعسى أن يكون ذلك قريبا .

## جَزَاءُ وَجَزَاءُ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب  
مفتش الوعظ بالأزهر

يقول الله عز وجله في كتابه الحكيم :

« وفي ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللغز ، إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أتم أجنحة في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى . »

تنطق هذه الآية الكريمة بوصفين ، وترتب جزاءين ، تنطق بوصف قوم بأنهم أساءوا ، وترتب على الإساءة جزاءها ، وتنطق بوصف قوم بأنهم أحسنوا ، وترتب على الإحسان جزاءه .

والمحسنون ، والمسيئون مملوكون لله خالقهم والله مالكهم ، والله مالك ما في السموات وما في الأرض جميعا ، ومن حقه عز شأنه ، بعد أن منح الناس نعمة الوجود ، وجعلهم بأحسن تقويم وأبدع تصوير ، وألبسهم من سابغ فضله ، وحجابه بكريم صفته ، من حقه أن يطلب إليهم شكر نعمته ، والتزام طاعته ، وجمال تقواه ، لا لحاجته - سبحانه - فهو الواحد الصمد ، العزيز بسلطانه ، العظيم بجلاله وقدرته ، الغنى بملكه ، ولكن الناس هم المفتقرون ، في طاعتهم شغاف ، وفي شكرهم هزيم ، وفي استجاباتهم معاداتهم . . . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين . »

فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، وأما من تجاوز حدود الله واستكبر على طاعة الله ، وشمخ بأنفه سلفا وعنوا ، وأما من عاث في الأرض الفساد ، وصيع حقوق العباد ، واستلهم وحى الشيطان ، فأنتم سعيه وساء عمله ، فإن جزاء هؤلاء جميعا ، ذلة تلك من عتوم ، وغضب يزلزل من مقامهم ، وظلة تحيط بهم في دنياهم ، وتشتت يكبوهم في مسعاهم ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، قال تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم ، كأنما أغنيت وجوعهم قطعا من الليل مظلا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . »

ألا هل يبلغ أصحاب الأموال ، الذين أساموا في حبس زكاتها عن الفقراء ، وأساموا في حبس استثمارها لصالح الوطن ، وأساموا في منع النفقة المشروعة حتى عن الأهل والعشيرة ، أن جزاءهم حبس رحمة الله عنهم ، وأن جزاءهم لعنة الوطن الذين أعزهم فأذلوه ، وأسعدهم فأشفقوه ، وأن جزاءهم بغض الأهل والعشيرة ، الذين تشكروا لهم ، وتبرموا بهم ، ثم بعد ذلك كله حبس الله في نار جهنم حتى تتمحى كدورتهم ويذول خبثهم . والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بمذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفزون . »

ألا هل من يبلغ أصحاب الجاه والمناصب ، الذين تصلفت أعتاقهم ، وتجهمت أسارىهم ، ولوحوا بالشر ، ونكصوا عن الخير ، أنهم أساموا إلى نعمة الله حين أشاحوا بجاههم عن حاجات المحتاجين ، ورغبات المستضعفين ، وحين استمروا في مناصبهم لذة الأمر والنهي لا لمصلحة ، ولا في محمدة ، هل يعلم هؤلاء أنهم أساموا إلى جاههم ، وأساموا إلى مناصبهم ، وأساموا إلى نفوسهم ؟ .

ثم أساموا إلى هذه الآمال المرجوة العادلة فكبتوها وضيعوها ، ورزأوا أصحابها ، ألا وإن جزاء هؤلاء وأولئك كراهية الله والناس ، وفي كراهية الله العذاب ، وفي كراهية الناس المقت والازدراء . .

أما أن يجزى الله المحسنين بالحسن ، وروائهم بالخير والمثوبة ، في الأولى والآخرة ، فذلك جمال الإحسان في الإحسان ، وذلك وعد الله الذي لا يتخلف وبره الذي يشمل الأبرار الأخيار ، يتمتعهم في الدنيا بنعمه الرضا ، والقناعة . والاطمئنان ، وحب الله ، وحب الناس ، ولا والله لا يطاول شيء في الدنيا هذه المتعة ، ولا ينفو قلب الى أبعد من هذه الغاية .

أما في الآخرة ففرصة المحبين ، وجنة المتقين وسعادة الخالدين ، وصدق الله العظيم . من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

وليس شيء أدل على فضل الله من رحمته ومغفرته لأولئك الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وهي الذنوب التي غشت وخبثت ، إذا ألم هؤلاء بشيء من صفات الذنوب فإن ربك يتجاوز عنها فضلا ورحمة ، إن ربك واسع المغفرة ، هو أهل بكم من يوم أنشأكم بنشأة أيكم آدم من الأرض ، وهو أعلم بكم في الخفاء المستور وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم إعداء ولا رياء ؛ بل زكوها طهارة وكرامة وصفاء ؛ فإنه سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمعتقين .

كتب رجل إلى أبي العنابي رحمه الله يقول :

يا أبا إسحاق إني واثق منك بوجدك  
فأعني بأبي أنت على عبي برشدك

فاجابه أبو العنابي بقوله :

أطلع الله بجهدك راغبا أو دون جهدك  
أعط مولاك الذي تطلب من طاعة عبدك

## سؤال الناس

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم علي أبو الحشب  
المدرس بكلية الشريعة

يعني الدين الإسلامي في تربيته للأفراد والجماعات هناية تامة بتموية روح  
المعزة والكرامة ، والإبلاء والشم ، والتعالى والسمو ، بحيث يتحقق فيهم ذلك  
المعنى الذي تقصد اليه الآية ، ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم  
من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .

وإذا كانت التكاليف التي تعبدنا سبحانه وتعالى بها ، تنتهي بالإنسان  
إلى أن يكون عبداً لله وحده لا شريك له ، يختصه بالخضوع والتواضع ،  
والانكسار والذلة ، والابتهال والزلني ، والرجاء والخوف ، وعلى قدر ما يكون  
الإخلاص في ذلك كله تقوى أسرته بربه ، وتزيد علاقته بمولاه ، حتى لكانه  
سمعه الذي به يسمع ، وبصره الذي به يبصر ، ، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب  
أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ،  
فإنها - كذلك - توجه الفرد إلى أن يبذل للأسرة الأدمية برة ومعرفة ،  
ومعونة وإحسانه ، وأن يكون في سبيل ذلك أشبه بالجندى المجهول الذي يلقى  
نفسه من أجل المصلحة العامة ، ويقدمها رخيصة للنهوض بالمجتمع الذي يعيش فيه ،  
وليس معنى هذا أن يتواكل غيره في مقابلة جده ، ويتكاسل سواء لأن هنالك  
من يكفيه مؤونة العمل ، بل إن فيه من صريح النصوص ما يستلزم في الحياة  
على حساب الناس ، وتحت رحمة المخلوقات ، ويرى أن السعي في طلب الرزق ،  
والكد لتجصيل القوت ، من أفضل أنواع العبادة ، وخير أبواب  
الطاعة ...

وقد صح أن جماعة سألوا الصادق المصدوق في رجل تبذل لله ، واعتكف في المسجد ، وانقطع عن أعمال الدنيا يريدون أن يعرفوا قيمة صنيعة ، وجزاء عبادته ، ومقدار ما وصل إليه من الرضا والقبول .

فقال : ومن يصلح له أمره ، ويكفيه ما يهجه ؟ فقالوا : كلنا يا رسول الله ! فقال : كلكم خير منه ، وبهذا الفهم درج السلف الصالح من هذه الأمة منذ فجر الإسلام ، فلم يكن فيهم متحول ، ولم يظهر من بينهم مستجد ، ولم ينبشأ التاريخ أنهم كانوا عالة على الناس .

والقرآن الكريم بمدح المتعفين ، ويشيد بمنزلة الزاهدين ، ويعالى في الثناء على الذين يعتزون برب الأرباب ، يتولون عليه ، ولا تتحول وجوههم إلا إليه . يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، لأنهم بهذا الخلق يطرحون بآمالهم بين يديه وكفى ، وقته المزة ولرسوله وللؤمنين .

ومن النظريات المسلم بها في طبائع الفطر ما يقول جل جلاله : « وأحصرت الانفس الشج » ولذلك دأب أصحاب المال ألا يجودوا به إلا لللحف الملح ، والراجي الذي يصمر خده ، ورأينا الشمرء يستدرون الندى بما يصل بهؤلاء إلى درجة الألوهية ، ويصمومهم عن مستوى الإنسانية ، وهو كفر يستوجب اللعنة والغضب ، والنقمة والسخط .

وكان من أدبه صلى الله عليه وسلم ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . ولعل ذلك مما يتعلق بنظام العمران أكثر من تعلقه بالدين والأخلاق ، والإباء والكرامة ، فإنا نعلم أن التكافؤ الاقتصادي ، والمساواة الأدبية ، من أسباب الروابط ، ودوام الوشائج ، والام في ذلك كالأفراد ، ولا يحى الاستعمار ، وتسيقظ مطاعم الاحتلال ، إلا من ناحيه الضعف والحاجة : والشعار القائم الآن على وجه الأرض ، لا يعدو أن يكون صراعا بين طرفين ، لا يتلاقيان عند قوة واحدة من الغنى والفقر .

ولا يظن ظان أن السؤال في الحديث بمعناه المتعارف ، إذ يرفع المسلم يده

بالدعاء، وبوجه قلبه بالرجاء، وإلا كان من عناهم عمر بن الخطاب بكلمته، لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، وهو يقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، بل هو عام في كل ما كان أخذاً في الأسباب، وطرقاً للأبواب. ولعل من النبوءات الحكيمة، والفلسفة البعيدة المدى، قول النبي العظيم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصاص، قالوا أمن قلة نحن بأمرسول الله؟ - حيثئذ - قال: «لا ولكنكم كثرة كغناء الصيل».

وربما كانت هي هذه الكثرة الفاشلة، والسواد الذي يزيد به الأمة في الحكم لا في الكيف، حيث تسود البطالة، ويفشو التواكل، وتخور المرائم، وتضعف الثقة، ويسأل الإنسان الإنسان، ويعبد المخلوق غير الخالق، ويتفنن في الملق، ويتأنق في الرياء، ويبالغ في التفافق، ومن هذه يستشري خراب الضيائر، وفساد الذمم.

فمن للسليين أن يتأدبوا بهذا الأدب، وينهلوا من ذلك المعين، ويسيروا على هداية نبيهم، وصراط رسولهم «قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، لأن أسلافهم الذين تقدموا، وأجدادهم الذين مضوا، ساروا على هذا الدرب، وخفوا على ذاك الأثر، فتطامن لهم جيد الزمن، وتلفت إليهم عنق الأيام، ودانت لهم الأرض، وصاغت لهم تيجان الملوك، وسجلت الحوادث حياتهم بمداد من النور، وما هي ذى لا تزال في الأفواه حلالة، وفي الأسماع نفاء، وفي الأبصار متعة، يتمثل بهم المتمثل، ويتطلع إلى غايتهم المجد، ثم يرجع خائر الحس، راهي النفس، كما يرى الصاري القمر دون أن يناله، وينظر الظمآن إلى الماء في الزجاج ولا يصيب منه بُلالة».

وقه تلك الأمثال يضربها الله للناس فلا يتصورونها إلا من الشعر، ولا يتخيّلونها إلا من الشعر:

يمشون تُغضى الأرض منهم هية      ولم حيال نعيمها إغضاء  
حتى إذا دانت لهم أطرافها      لم يظفهم زرف ولا نعماء

# اعلام الانبياء

الشيخ عبد الكريم سلمان

المتوفى سنة (١٣٣٦ هـ) (١٩١٨ م)

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس فى كلية اللغة العربية

نشأته وحياته :

ولد رحمه الله فى القاهرة يوم الخميس غرة شعبان سنة ١٢٦٥ هـ من أبوين ألباني الأصل ، فقد وفد إلى مصر من ألبانيا ، جده لايه المرحوم ، سلمان افندى أخاً فى عهد محمد على باشا ، ووظف بمجده ، وكان ابنه ، حسين افندى ، قد اتصل بأسرة من جنسه بقرية ، جنوباً ، من أعمال مركز ، إيتى البارود ، بمديرية ، البحيرة ، فأصر إليها ، ولبت هذه القرية على هوى منه ، وزهد فى وظيفته بما اشتراه من عقار فى هذه الجهة ، وقد رزق عدة بنين كان المرحوم ، الشيخ عبد الكريم ، ثانيهم سناً ، وقد أصيب ، الشيخ عبد الكريم ، بالجدرى وهو طفل فكاد يذهب ببصره ، لولا أن القدر هباً له أخاه فى الطفولة ، فبينما كانا يلعبان على سطح الدار إذا بأخيه يقذف به فيبط من حائق وتشج جبهته وحاجبه ، ويتدفق منها دم غزير انكشفت به غشاوة عن إحدى عينيه ، فأبصر بها .

وقد حال ضعف بصره دون إلحاقه بالمدارس ، فالتحق بكتاب القرية ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وأنتم القرآن بها ، ثم أشرب حب الازهر وتملكه هواه فتسلل خفية إليه ، وقد اتقى طريقه إلى الازهر برجل من قريته ، فسأله الرجل عن مقصده فقصى جوابه ، وإذ ذاك عاد به الرجل إلى القرية وأسلمه لوالده ، ولم يشأ والده أن يصرفه عن حب الازهر ، فأوفده إليه فى سنة ١٢٨٨ هـ فانكب على العلم وطالعه برغبة وشوق ، وكان معروفاً بالذكاء والتفوق على الأقران ،

وجعته صداقة الصبا بجمهرة من نابغى الأزهر كالطلاب ، - محمد زغلول ، و - محمد عبده ، و - إبراهيم الحلبي ، وغيرهم .

وفي أواخر دراسته بالأزهر وفد إلى مصر ، السيد جمال الدين الأفغانى ، فوصل بينهما ، الشيخ محمد عبده ، واكد ودّهما ، فتلقى ، الشيخ عبد الكريم ، عن الأفغانى ما كان ينشره بمصر من العلوم ، ودرب فيمن درهم على الكتابة ومعالجة الشئون ، ومنذ ذلك الحين شرع يكتب فى الصحف ، ويتناول الدواحي الوطنية والخفية والاجتماعية ، وذاع اسمه بين الكتاب الباهين ، وكان قلبه يدر عليه اليسر والرعد ، ونال شهادة العالمية من الدرجة الأولى فى سنة ١٣١٥ هـ .

#### أعماله :

انجذبت رغبة المرحوم ، رياض باشا ، وكان ناظر النظار إلى إصلاح جريدة ، الوقائع المصرية ، فقلب بصره باحثاً عن محارير الكتاب وجمابذتهم ، فاحتاره فيمن احتارهم لتحريرها ، كـ محمد زغلول ، و - سيد وفا ، وغيرهما تحت رئاسة ، الشيخ محمد عبده ، سنة ١٨٨٠ م . وكان رياض باشا ، قد اهتدى إليه بمقال كتبه قبل ذلك تناول فيه بالقلم بعض أعيان الحكومة ؛ فدعاه على أثر ذلك وغيره بين الكف عن الكناية والتزام قريته ، فأثر الثانية ، ثم دعاه منها لهذا العمل ، فكان أحد الذين سموا بلفظ الوقائع ونهضوا بتحريرها ، وخلصوها مما كانت ترسف فى أغلاله من السجع المرفول والصناعة المستكرمة .

ولما حوكم ، الشيخ محمد عبده ، عقب الثورة العرابية ، وقضى بنفيه إلى الشام حل ، الشيخ عبد الكريم ، محله فى رئاسة الوقائع ، وظل بها إلى أواخر سنة ١٨٩٧ وهى السنة التى فيها القسم الأدبى من الوقائع ، فعادت إلى ما كانت عليه صحيفة أوامر وقوانين .

ثم عين فى أول يناير سنة ١٨٩٨ م عضواً بالمحكمة الشرعية العليا ، وكان قد حصل على شهادة العالمية فى فقه الأحناف لأنه فقيهاً شافئى المذهب ، ولا يتقلد قضاء مصر إلا الحنفية ، وقد أبدى دكاء غريباً فى دراسة فقه الجديد ، فإنه تفضل فيه واستمكن ، فى وجيز من الزمن .

وفي أول أبريل من سنة ١٩١٠ م عين مفتشاً عاماً بالمحاكم الشرعية ، وطاف بمحاكم البلاد جميعها ، وكتب تقريراً مبدياً بين فيه ما شاهده من علل ونقص ، وأشار بكثير من ضروب العلاج والإصلاح الإداري والفقهي ، ثم لقي هنا أثر به الاستقالة في نوفمبر سنة ١٩١٢ م .

صلته . بالشيخ محمد عبده . :

وقد نشأ ملازماً للشيخ محمد عبده متأخياً معه ، لا يغادر أحدهما الآخر منذ صباه ، ولقد ضرب الشيخ محمد عبده في أثناء دروسه مثلاً يصور به تلازمهما فقال : كأن يسأل السائل هل رأيت الشيخ محمد عبده ؟ فتقول : ولا . الشيخ عبد الكريم سليمان ، وكان بينهما تقارب في الرأي وتناسب في الفكر ، وتشابه في الشعور ، وكانهما أرادا أن تدوم صلتهما في الآخرة كما دامت في الأولى ؛ فابتيا قبراً واحداً ضم رفاتهما ، فابلغ ذلك وفاة .

لازم . الشيخ عبد الكريم ، صديقه الإمام أكثر من عشر سنين بذلاً فيها معاً جهوداً موفقة في خدمة الأزهر وإصلاح شئونه ، وكثيراً ما عاون الشيخ عبد الكريم ، زميله الإمام في مشروعاته المثمرة وعاضده في إنجازها ، على رغم ما يدبر له من كيد أعدائه وأعداء الإصلاح ، حتى أنجز في ظلها ورعايتهما للأزهر إصلاح واسع الأفق فصله . الشيخ عبد الكريم ، في كتابه الذي سماه : أعمال مجلس إدارة الأزهر ، وقد طبعه المرحوم . السيد رشيد رضا ، مجرداً من اسم صاحبه لما حواه من حقائق تتصل بالتحديوي إذ ذاك ، ولما قدم الإمام استقالته من مجلس إدارة الأزهر قدم هو الآخر استقالته في الأسبوع نفسه<sup>(١)</sup> وبما قال الإمام في تقديره . وأكثنته كثر فادنيه مني ، وجعلت في مكان النحو من ابن جني .

وما زال كذلك حركة دائبة في الإصلاح ؛ وآية فذة في العلم والأدب حتى

(١) تاريخ الإمام ج ٣ ص ١٦٥ وقد تبعا بالاستقالة عضو آخر هو الشيخ سيد أحمد الحنبلي ، كان هذه الاستقالات استقالة الشيخ علي اليلوي شيخ الأزهر لعمده . وسبب ذلك معارضة العديري لمحمد عبده في إصلاحات الأزهر لأنه كان يريد أن يتخذ منه أداة لتفويه نفوذه السياسي وكان محمد عبده يفت في سبيل ذلك . [ تاريخ الإمام ج ١ ص ( ٥٦٢ - ٥٦٦ ) ]

قبض رحمه الله في يوم الجمعة السابع عشر من مايو سنة ١٩١٨ ، على أثر نوبة قلبية لم تم له ، وقد نقل جثمانه من « الرحانية » إلى القاهرة في حفل رهيب ، وسعى إليه سعد زغلول وعلماء الأمة وعظماؤها وأدباؤها وكبرائها .

#### أخلاقه :

هذا وقد كان رحمه الله أبليغ الأمثال في الإباء والاعتزاز بالكرامة ، رحباً يرثى للمكويين ، ويفدق خفيه على المموزين ، ويسعى لقضاء مصالح الناس فلا ترد له كلمة ولا تفتكس له شفاعاة ، يؤثر غيره على نفسه ، ولو كان به خصاصة ، ويقدم سواء فيما هو أهل له ، رجا صديقه الإمام وسعدا يوماً ما في تعيين بعض الأصدقاء ، وقد توسط به في منصب كبير فقال له الإمام : إنني و « سعدا » نذكر هذا المنصب لك وأنت أجدر الناس به ، فقال : لا . لن أقبله ، إنما هو لصاحبي فقد أعطيته كلمة .

وبلغ من الرثاء للمحتاجين البائسين أنه كان يجمع من كثير من الأغنياء صدقة يوزعها عليهم ترفها عنهم .

#### كتابه :

اشتغل رحمه الله بالكتابة والتحرير في الصحف وهو يطلب العلم في الأزهر ، وبكثرة صيته بالكتابة الأدبية القيمة التي نشرها في « الوقائع المصرية » ، « والمقطم » ، « الجريدة » ، « الآداب » ، « المؤيد » وغير ما من الصحف . وبما يذكر له بالفضل ما بذله من صادق المجهود في تخلص الكتابة من رتبة السجع والمحسنات والزخرف ، وكان أشد الناس بغضا للتحويل والمبالغة ، « يالا إلى القصد والاعتدال في الكتابة ، واضح الغرض ، سهل العبارة ، فصيح التعبير ، مسلسل المعركة ، قوى الحجة ، سليم المنطق .

ولنا لنجد في بعض كتابته طرفاً من السجع ولكنه قليل ضئيل ، بالنسبة لما كتبه مما استرسل فيه وآتى به طلقاً مشرق الديباجة ، أبلغ الغرض ، مسيراً بحجته وطبيعته التي لا تميل إلى السجع إلا إن وافاها عفوا دون طلب .

## نماذج من كتابته

كتب إلى كريمته ، السيدة رابعة ، ، وقد انتقلت إلى منزل زوجها في بلد آخر ، وكان يحبها حباً لم يعلق معه توديعها .  
 ، عزيزتي رابعة ، سلام عليك وعلى من تحبين .

وبعد

فبم الله يا عزيزتي اني ما سافرت لمفعة أستجلبها ، ولا لمضرة أتسكبها ، ولكنني أشققت أن أراك وأنت ترحلين يتي إلى بيتك الجديد ، وهذا لا يستغرب مع شيخوختي وضعف عزيمتي ، هن مقاومة التأثيرات ، ولقد أحسست اليوم عند خروجي بما هراك ، ثم رأيته يميني عندما قبلتك قبلة التوديع ، ووجدت من نفسي هزيمة كبيرة أمام هذه الحالة ، ولكنني عدت فأمنت بأن هذه سنة الدهر ، وأدركت أن هذه الفرقة إنما هي فرقة الجسم ، أما الصلة القلبية ، والمودة الابدية ، والشفقة والحنان ، فكل هذا دائم لا يزول .

ولقد أخفيت أمر سفرى وجعلته لسبي ، والحقيقة ما كاشفك به وهو خشية ذلك الموقف الخطير ، والصدق يا عزيزتي هو أفضل الفتنائل ، وأنت تعدلين محافظي عليه ، ولذلك لم أستطع بقائي مصرأ على ذلك الكتمان ، فأعلنتك بأمرى ، وانتهزام صبرى ، وعلى الله أجرى والسلام .

وكتبت في صفحة أخرى من الخطاب إلى صهره :

لاني وضعت أمانتي بين يديك ، ورصيتك لها حافظاً أميناً ، فمليكم بقوى الله في العناية بها ، والاهتمام بشأها ، وما أريدك إلا أحداً يحفظك وإنما يواجبك ، ولم أوصها بمثل هذه الوصية لأنها منك بمنزلة الامانة ، وليس للوديعة في يد المخدوع إلا الحفظ ، وما عليها وهي في يده إلا أن تكون حيث يضعها من أمكة الحفظ والصيانة .

وقد سهل على أمر فراقكما أن هذه سنة الله في خلقه ، واحترام كل منكما صاحبه كامل الاحترام ، أدام الله لكما هذا التوفيق السار ، وتخفف لآلام البعد ، وصعوبة الاقتران .

وأهدى كتاباً إلى صديق له وكتب إليه :

« الإنسان الكامل ، والمولى العاضل ، دام كاله ، وزاد إقباله .

كتبت إلى الأستاذ والمهديا يزيد في النواد ، وتوسع في قوة الارتباط ،  
إن كانت لمير من حظهما عليه الشرع القويم ، والشيخ مئى بمنزلة الأخ من أخيه ،  
وأنا منه بمثابة الولد من أبيه ، ولا داعية لى إليه سوى الصلة به ، ولا أريد منه  
غير الوداد . قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ، وقد اخترت لك  
من كتب الأدب العربي القديم كتاباً حديث العهد بالوجود ، بعثته إلى حضرتك  
متمنياً بأنه نمودج فضلك ، ومعنى أدبك ، يعترف لك مهديه ، بأنه لاحظ المناسبات  
ونظراً إلى الرغبات ، وقبل أن تشتمل بالبحث فيه عن اسمه والأوصاف ، أعلمك  
بأنه كتاب المنسوب والمصنف ، فهنيئاً له بالشيخ يقدره حق قدره ، وهنيئاً  
للشيخ به بزيده في أمره ، وإن قبل الأستاذ لمديني مكفول بحق أخلاقه ،  
وطهارة أعرافه ، ونبله بأن النفع بها وهي عنده أم وأوفى ، فله الحمد على ما قبل ،  
والشكر على ما أولى . .

### لا يفوته

لم يقل أحد في معنى عدم إمكان الإفلات منه أحسن من قول النابغة الذبياني  
الشاعر المشهور من قصيدة لئنما بن المذمر ملك العرب :

فإيك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المتأى هنك واسع  
وهذا البيت ضمن أبيات أخرى هي :

أماي أبيت اللعن إيك لمثني      ونلك التي تصطك مها المسامع  
فبت كأني ساورتي ضليلة      من الرقش في أنيابها السم ناعم  
كلفتني ذنب امرئ وتركته      كدى العر تكوى عره وهو رائع ،  
والعر هو الجرب .

# الأدب والاديب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد محمود السلوت  
المدرس بكلية اللغة العربية

يتساءل الباحث ويجهد نفسه في بحثه وتساؤه : من هو الاديب الذى يستطيع  
أن يقوم برسالة الادب وينهض بأعبائه ؟ وكيف يكون الاديب المبين الذى  
يخلق من القبع حسناء ، ومن الدمامة جمالا ، ويجعل الحياة المظلمة العابسة المتجهمة  
أمام أهيقنا ضاحكة مشرقة تضيئ منها البهجة والمتعة ؟

ما هى الحدود والفواصل التى تفرق بين الادباء والادهياء ، بين الفن الحر  
والفن الزائف ، بين من يمدون أعناقهم إلى منازل الادب الرفيع وأعينهم كلية  
وقلوبهم هواء ؟

إن مما يدعو إلى الأسف ويثير الروع والمضاجعة أننا لا نرى ميدانا أوسع  
فوضى ، وأشد اضطرابا ، وأكثر ادعاء ، وأحفل بالمزاعم الكاذبة من ميدان  
الادب ؛ فكل من يحمل قلبا يزعم أنه أديب له فى دولة الادب صولة ،  
بل صولات وفى أرياضه ومروجه جولة بل جولات ، وكل من يستطيع تحرير  
خطاب تأخذه العزة به ، ويدخله الغرور ، ويستولى عليه الزهو ، ويظن فى نفسه  
أنه يستطيع أن يكون من كبار الكتاب وأعلام المؤلفين :

فكل يدعى وصلا ليلي وللى لا تهر لم بذاكا

ولكن ما دامت المعالم غير واضحة ولا ممروقة ، والحدود غير مستبينة ،  
ولا مرسومة ، فليدع من شاء ما شاء ، فلعل بعض الادعاءات أن تصيب لها  
من بعض الغافلين سميعا .

إن الاديب الذى ننشده ونعنيه هو الذى يستطيع أن يستشف صور الحياة ،  
ويكتنه أسرار الكون ، ويصوغ من كل ما يحيط به ويتصل بحسه ويثير نوازع

وهواجه صوراً نابضة بالحياة ، مشرقة بالعبرة مضيئة بجلال العظمة ، نافذة إلى القلب حتى يسكن إليها ، حكمة الاواصر بأغوار النفس حتى تطمئن لها وتتفعل بها .  
الاديب هو الذى يفتح عيونه لكل ما يمر به من مناظر وصور ، يحاول أن يتفحص بحيرها ويأخذ العبرة من شرها ، ويلقى ببيانه الساحر وتصويره البارع لونا براقاً ، يجعل الصعب من الامور سهلاً والعسير يسيراً والمرحوا ؛ لتخف أعباء الحياة . والاديب البارع هو الذى ينتزع صوره ويبدع منه مما يحيط به من المظاهر ، وما يستشفه من خلجات الافئدة ونزعات النفوس ومحسات القلوب ، وما يسيطر على بيئته من تشاؤم وظلّة ، أو يغمرها من تفاؤل ونور .

ثم هو يحبل خياله ويعمل فيه في سوق هذه الاحايس والانفعالات ، وعرض تلك الصور والرسوم ؛ لتحرك في القلوب ألوان الرضا والابتهاج ، أو تثير في النفوس أسباب الإشفاق والرثاء .

لكننا نعود إلى تساؤلنا من جديد ما السبيل إلى تكوين الاديب هل هذا الوضع ؟ وما الطريقة التي نستطيع بها تنمية فته ، وصقل مواهبه ؟ هل السبيل إلى ذلك العكوف على الكتاب والإقبال على الدرس فحسب ؟ هنا يكون الخطأ في الرأي ، والضلال في الفكرة ، وهنا سر ما نلحه من تهاقت واحطراب في أدب بعض الأدباء ، وتفكير بعض المفكرين ؛ إذ يعيشون في بيئة ويفكرون بتفكير بيئات أخرى عنى عليها الزمن وطوتها صحائف التاريخ .

إنما السبيل إلى تكوين الاديب تكويننا صحيحاً ترتجي ثمرته ، وزرغب فائدته ، الإحساس الحق بالحياة التي نعيشها ، والإيمان العميق بالبيئة التي نعيش فيها ، والشعور بما تشمر به ، والتفكير فيما تفكر فيه فالذى يعيش في بلد أداة الرحلة فيه الفطار والسيارة والطيارة ، لا ينبغي له أن يتخيل أنه قطع المفاوز وجاب الغفار على متن :

مكر مفر مقبل مدبر معاً	كجلود صخر حطه السيل من هل
.....	منجرد قيد الاوابد هيكل
.....	أو عوجاء من قال تروح وتفتدى

فليست هذه الأوصاف ولا تلك العتوت ولا هاتيك الموصوفات مما يتصل بحياته بسبب أو يمت إليها بنسب .

ولا يظن أحد أتى أدعو إلى أن نسقط من حسابنا هذه الأوصاف ، ونفرض من تلك السمات التي صاغها الفكر المبدع ، والدهن الصافي ، والخيال الوثاب ، ونفرض على تلك الثروة الأدبية الفاخرة التي تمتزج بها لغتنا ، ويشرق أدبنا ، ويحتفظ بها التاريخ في سجل المجد والمخار ، ولكنني أدعو جامداً محلياً لتصح أداقنا ، وتستقيم وجهتنا وتخلص عايقتنا ؛ أدعو إلى الصدق في التصوير ، أدعو الأديب الذي رحل في طائفة ، أن يحذف الطائفة أو ركب من دابة ، أن يصف الدابة ، أو قطع البحار في باخرة ، أن يصف هذه الباخرة ، وسيجد في كل منها متبعا قياساً لا يفيض معيته ، ولا تفقد ذخيرته ، لأنه يتصل بنفسه وإحساسه ، وما لقيه من مرور وجمجمة ، أو كابته من إجهاد وإرهاق ؛ وإن الذي يصف واقفاً أو يتحدث من عيان ومشاهدة جدير ألا يقع في اضطراب ، وألا يصيب فكرته أو أسلوبه ضعف أو خلل .

يأتي بعد ذلك — بعد تصحيح الفكرة واستيفاء المعنى — دور الصياغة وطريقة الأداء وبها تأخذ الفكرة سمت القبول والرضا والامتساع ، أو تقابل بالتهجم والسخط والامتناع .

إن الفكرة تصبح أخرى بالرضا وأدعى إلى القبول واكتساب الأنصار ، إذا لبست ثوبا قشيباً وممتا انيقاً من اللفظ الممّيز الجميل ، والحبك المستوي والأداء المستقيم والأسلوب الرائع الذي ينفذ إلى القلب ، ويمارح النفس ويشير المشاعر الغامضة ، ويوقظ الأحاسيس الملاحمة ، وكل ما كان السمت الذي تلبسه الفكرة موثقاً مشرقاً متلائم النسيج متلائم الصلة ، لا تساوره حفوة اللفظ ولا تداخله وعورة المنزع ولا غرابة التحيل ولا يمد المأخذ ، كانت الفكرة أمراً اتصالاً بالنفس والعف مدخلا إلى القلب وأدعى إلى إثارة الإعجاب والتقدير .

والسبيل إلى ذلك دائماً ، هو المرادة والارتياض بقصور القول ، وطول الصعوبة لأساليب الناس ، والوقوف طويلاً عند صورهم الباردة ، التي اجتمع فيها سمو البيان ، وجمال الفن ، وجودة الصياغة .

وأذكر أن أحد كبار الأدباء كان يختار القطعة الفريدة النادرة من كلام الجاحظ أو غيره ، ثم يأخذ في عرض ألوان جمالها ، وحسن شيائها ، والميزات

التي أفاضت عليها البهاء ، والرونق من استعارة جميلة ، ومجاز بديع ، وخيال علق  
طريف ، وأسلوب سلس ، ولغظ جذاب ، ثم يقف طويلاً عند منزع الفكرة ،  
ومعرضها يتملى ويستمل ، ويقبس شيئاً بشيء ، ويقرب معنى إلى معنى ، ويولد  
خاطرة من خاطرة ، ويمتنس فكرة من فكرة . ويحاول بمقد ذلك أن يخلق  
صورة تشبه هذه الصورة ، وينمق قطعه تطول هذه القطعة ، أو تفرعها ، حتى  
يصيب الخير الكثير من وراء هذه المحاكاة وتلك المسابقة .

يقول المرحوم الراقى (١) :

« فسر النبوع في الادب هو التوليد ، وسر التوليد في نضج الذهن المبدأ  
بأدواته العصبية المتجهة إلى المجهول ومما يه ، كما تنجح كل آلات المرصد الفلكي  
إلى السماء وأجرامها .

« وبذلك النهر الذهب يزد النائمة على غيره ، كما يزد الماس على الزجاج ،  
والجواهر على الحجر ، والفولاذ على الحديد ، والذهب على الحامس ، فهذه كلها  
نبغت نبوغها بالتوليد في سر تركيبها ، وتتفاوت التوابخ أنفسهم في قوة هذه الملكة ،  
فبعضهم فيها أكل من بعض ، وتمدد لهم في الخلاف أحوال أزمانهم ومعايشهم  
ونحوها ، وبهذه المبدأية تجتمع لكل مهم شخصية ، وتنسق له طريقة ، وبذلك  
تنوع الأساليب ويعد الكلام غير ما كان في نفسه ، وتجدد الدنيا بمعانها في ذهن  
كل أديب يفهم الدنيا ، وتتخذ الأشياء الجارية في العادة غرابة ليست في العادة ،  
ويرجع الحقيق أكثر من حقيقته . »

نخلص من ذلك كله إلى أن الاديب الخالد لا يتبأ له الخلود ، ولا يتوفى  
لديه السمو والابداع إلا حين تنجح له المعركة النافذة ، والمعنى السديد والرأى  
الناضج ، ثم يتبأ له الأسلوب المشرق ، والعبارة التي تزينها خلاصة البيان وروعة  
المنطق وسمو الخيال .

وسبيل ذلك كله الاندماج في الحياة وتمحيص ظواهرها ، وإرهاق الحس  
لكل ما يضطرم فيها من خواج وما يمر بها من صور .

وسيله كذلك إدمان القراءة ومواصلة الاطلاع ، ومحاولة الخلق والإنتاج والإبداع ، ومتابعة نتائج الفكر حتى يقف المرء على كل جديد .

ولقد رسم القدماء هذه الطريقة المثلى لتكوين الاديب ، واستمعوا إلى ما يقوله الجرجاني في الوساطة ص ٢١ : « أنا أقول أيدك الله : إن الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرر ، ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ، ولست أفضل في هذه القضية ابن القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والأعرابي والمولد ، إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أسس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أقصر . »

أما ما ينبغي أن يسلكه الاديب من سبل تزيد ثقافته ، وتعمق معرفته ، وينضج فنه ، فلنا إليه عودة .

## جوهرتان

أنشد علي بن الجهم جعفر المتوكل شعره الذي أوله : هي النفس ما حملتها تتحمل ، وكان في يد أمير المؤمنين جوهرتان ، فأعطاه التي في يمينه جائزة له على ما أنشده من مدح : فأطرق ابن الجهم متفكراً في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره فقال له الخليفة مالك مفكراً ، إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى . خذها لا بورك لك فيها . فأنشأ ابن الجهم بقول :

بسر من رأى امام عدل	تغرف من بحره البحار
يرجى ويخشى لكل أمر	كأنه ( حنة ) ونار
الملك فيه وفي بنيه	ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرتان	عليه كلتاها تغار
لم تأت منه اليمين شيئا	إلا أتت مثله اليسار

## الأخصر في العمل

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ صادق خطاب

المدرس بكلية اللغة العربية

كل إنسان له في الحياة رسالة يجب أن يقوم بها ، ومهمة ينبغي أن ينهض بأعبائها دون إهمال أو تكاسل ، ومما كانت قيمة العمل الذي يؤديه المرء ، ومما صغر وضعه وقل شأنه ؛ فهو عمل تنتظم به الحياة وتستقيم الأمور ، وتسير الأمة به في سبيل الرقي والكمال ، فالعلم والصانع والتاجر والزارع كل منهم يضع لبنه في بناء أمة ، ويقوم حجراً في صرح وطنه . إن أقامه بإخلاص ووضع بحكمة وأمانة ، استقام للأمة أمرها وصلاح حالها ، واتجهت بطلبها ووضعها إلى طريق الكمال وسبيل السعادة ، وما دام كل إنسان يقوم بدوره ويهض بواجبه ؛ فحال أن تحق دورة الأمة أو يحول بينها وبين العظمة والسيادة حائل .

أما إذا أهمل كل إنسان في عمله ، وتراخى في مهمته وتغافل عن وظيفته ، فلا بد أن تختل الأوضاع وتفسد الطباع ، وتبطل الأحاسيس والمشاعر ، ويمتري الأمة حالات من الفتور والإعياء والضعف الاجتماعي الذي يسلبها قوتها ، ويمتص حيويتها ويقضى على ما فيها من عزة ونخوة ، نحن نشاهد أن هناك دولة قوية ناهضة وأخرى ضعيفة متخاذلة ، نشاهد أن هناك دولة تبسط سلطانها وسيادتها ، وتفرض على الأمم احترامها وإجلالها ، وقد تحطو خطوة أخرى فتستمر ونحكم ، وبجانب ذلك دولة أخرى خاضعة نائمة غافية مستسلمة لا تمس مضها ولا تنكر ظملا ولا تظهر ألما ؛ لأن كل ما فيها من حس وشعور قد تبدل وخمد ؛ بل استحال إلى عبودية راضية قانعة . هناك دولة تهمس بكلمة فتهتز الدنيا وترتجف ، ودولة تملأ الآفاق صراخا وعويلًا فلا يحس لها أحد صوتا ، ولا يرى أثرا ، فما هو

السر في ذلك؟ ما هو السر الذي لم نفعمه؟ والعامل الذي لم نعله؟ بل ما هي الحكمة التي لم نأخذ بأسبابها، ولم ننفذ إلى مسالكها وأبوابها؟

ليس للقوة أسباب ولا أسرار، وليس للسيادة عوامل ولا دوافع، إلا الإخلاص في العمل وحسن انتظامه وصدق انقياد بالواجب، وهكوف كل إنسان على شأنه وإقباله على عمله يؤديه في دأب، ويمض بأعبائه في صبر وتمهده نفسه بقمع شهواتها، ويحد من مطامعها وأهوائها وزوانها.

وليس للضعف والهزال بواعث إلا الاستهانة بالواجب، والتواني في أداء الأعمال، وعدم الإخلاص في الرسالة التي يكلف بها الإنسان في الحياة؛ وبهذا تتأخر الأمم وتنتكس، وتضعف وتموت.

يجب أن يدرك الإنسان أنه حين يكسل عن عمله ويفرط في واجبه إما يضر نفسه، ويؤذي مميسته وفضلا عن ذلك يضر أمته ويؤخر عوامل التقدم والارتقاء فيها... قد يستعين بعمله لأنه صغير ضئيل ويزدرجه لأنه فيما يرى ليس بذى قيمة تذكر، ولكن هذا العمل على ضآلته وحقارته وعلى قلة جدواه وهزال ثمراته، هو من متمات الحياة للامة بل من عناصر البقاء بها، فإذا لم يؤد هذا العمل الصغير، تظلم ركن من أركان الحياة وجانب من جوانب البقاء فيها.

في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعملوا فكل ميسر لما خلق له»، وفي كلام رب المزة جل شأنه: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وورسوله والمؤمنون»، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون».

يقرأ الإنسان هذه العظات البالعات، ويصحبها حق الفهم ويرى عواقب الكسل وآثار الإهمال، ضمة وتأخرا وضعف شخصية والخلال ذاته، ومع ذلك ومع هذه العبر التي تلاحقه في كل مظهر، وتأخذ عليه سبيله في كل ناحية تنحكم فيه موازع الإهمال، ويتمكن منه إنباره للراحة وإحلاله للدعة، فإذا به يتهاون في مهمته فلا يؤديها بصدق ورغبة وحرارة لإخلاص، وقد يام عن أدائها كما يام عن عاقبة التفريط فلا يحسبها، ولا يشعر بحرارتها إلا بعد أن تصدمه صدمة مرهقة، وتظهره عاجلا متبطلا خائر النفس متخافا القوة.

ومكذا تكون آثار الإهمال وجنابات الإهمال على الأمة ؛ نبت يصوح وهو في شباب حياته ورييح نمائه ، وذهور تدبيل وهي في إبان الضوج والفتح ، وغرس ينهم ويتحطم عوده قبل أن يؤتي ثمره ؛ ألا لشمر جميعا بالآلم والحبيسة وبالمرارة وشدة الفجيمة حين ترى جموعا حاشدة تزحف في الشوارع كالجليوش الجمرارة الزاخرة تلمس المسألة ، وتبني التكفف ولا تحاول أن تجرب العمل ؟ ! تذل ما أعزه الله ، وتبين ما أكرمه ، وتريق ماء صانه وعظمه ؛ ولو سئلت أن تعمل لتأبت ؛ ولو طلب منها أن تشتغل لادعت العجز واصططعت الضعف والإعياء ؛

إن مبادئ العمل التي تتطلبها الحياة كثيرة متنوعة ، لا ترد طالباً ولا تفلح دون راغب ، ولكي الشيطان أعمام ، ودافع الجشع أضلهم وأغواهم ، فلم يعرفوا إلا السؤال وذلة وامتهانه ، لأنه سهل مريح مريح لا عناء فيه ولا كلفة ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم » .

نرى بجانب هؤلاء السائلين المتكسفين نوعاً آخر من الناس مردوا على الفسك وألوا البطالة ، وأخذوا للدعة والراحة ، هم صناع ، صناعهم في أيديهم ، لكنهم لا يعرفون العمل إلا حين يقتلهم الجوع ويجهدهم العرى ؛ إذا تهاى القرش لهم ، وأخذ سبيله إلى أيديهم أناسهم بهم وواجهم ، وألهمهم هن كل طاعة وكل هداية ، وبجانب أولئك هؤلاء شباب ناضر قوى ، يفيض صحة وقوة ، ويقطر حيوية وفتوة واكتمال شباب ، ولكن ليس لهم عمل إلا التسكع في الطرقات ، والقرع في القهوات ليلاً ونهاراً كأنما ليس لهم بيوت تحتاج إلى كدوم وعلمهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المسكنى الفارع » ( أي الساطل الذي يكفيه غيره طعامه وشرابه ) ، فما أجدر المسلمين وهم يرون الأمم تستيق في ميادين الرقي والتقدم ، بالفضاء على هذه الآفات والتغلب على تلك العورات والزلات ؛ لتقوى نفوسهم ، وتعر أعينهم وتسد أوطانهم .

# المج

• وأذن في الناس بالمج يأتوك رجالا وعلى  
كل ضامر يأتين من كل فج عميق .  
قرآن كريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم هلى أبو سعيد

ما من عبادة شرعت في الإسلام ، وما من طاعة دعا إليها القرآن ، إلا كان لها أبلغ الأثر في تطهير النفوس ، وتهذيب الأخلاق ودعوة الناس إلى السعادة الدائمة ، والعزة الكريمة .

دعا الإسلام إلى الصلاة وجعل ثوابها في جماعة أفضل من ثوابها على انفراد بسبع وعشرين درجة ؛ ليكون اجتماع المسلم بأخيه ، ووقوفه بين يدي الله إلى جانبه ، داعيا إلى التآلف والتآزر ، موجبا للتعاون والتناصر ، باعثا على المحبة وصدق المودة ، قاضيا على ما في النفوس من حقد أو ضغينة أو نفرة .

كذلك أمر الله بإجتماع أكبر يفقد كل أسبوع ، يتذاكر فيه المسلمون في كل بلد غيرهم ، ومحاسنهم ، ويمالجون عالمهم وأمراضهم ، ثم ينفض الاجتماع وقد اطمان كل إلى حال أخيه وزوده بالعظة النافعة ، أو اكتسب منه النصيحة الخالصة .

تلمس هذه المعاني الكريمة بما فيها من سمو وجمال وجلال وقدااسة في الجمعة والميدين ، وتقوى هذه المعاني ، وتعظم العبرة فيها ، وتشرق المافع منها في الاجتماع الأعظم ، والموقف الأكبر عند بيت الله ، الذي جعله مثابة للناس

وأمناء، وألف حوله القلوب، وجمع إليه النفوس، وحجب فيه أئمة الناس، وجعلهم ينصرفون إليه من كل صوب، ويفدون نحوه من كل فج عميق؛ ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

ودائماً لا يلتقي المؤمن الصادق بأخيه إلا استفاد منه حكمة نافعة، أو كلمة طيبة أو رأياً ناصحاً، أو تجربة في الدنيا، أو تبصرة في الدين.

وفي الحج يجتمع المسلمون من كل أطراف الدنيا، ويلتقي المؤمنون من جميع بقاع الأرض، وليس في القلوب إلا الطاه الخالصة، والرغبة الصادقة في عفو الله ورحمته، فهو اجتماع ليس فيه تنافس على دنيا، ولا نزاحم على إطل، ولا اندفاع إلى هوى، ولا انقياد لشهوة، وهو اجتماع نزول فيه الفوارق بين الكبير والصغير، والغنى والفقر، وسمون فيه قيمة الدنيا، وإسفر ما فيها من جاء ومناجى.

هناك يشعر المسلم بالفروق الأرضية وقد زالت، والحواجز الجنسية وقد انمحت؛ فليس هناك إلا رابطة الإسلام، تسير على النفوس، وراية الدين ترفرف فوق الرؤوس، وغرض واحد يأنفح حوله جميع الناس، غايتهم الطاعة، وهدفهم العبادة، قلوبهم حاشعة، وقفوسهم ضارعة، يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

الحج مؤتمر إسلامي لم يدع إليه صاحب هوى، أو ذو غرض من الناس، يلتبس من ورائه جاهاً، أو يبتغي شهرة، إنما دعا إليه رب العالمين — وهو الغنى عنهم —؛ ليتعرف المسلمون إلى ماضيتهم وحاضرهم، ويستعرضوا حالهم، وما تتطلبه من إصلاح، وتستدعيه من نهوض.

وقد جعله الله تعالى ركن الإسلام وتتمام الإيمان فقال: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ثم قال: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» تنبيهاً للناس إلى أن عدم الحج مع القدرة عليه كفر أو بمنزلة الكفر.

فإنه جل شأنه يقول: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» والرسول الكريم يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

فالإسلام ليس به وساحته ، ورحته بالباد ، ورفقه بالناس به جميع تكاليفه على السهولة واللين ؛ فلم يكف أحداً بما يشق احتماله ، أو يمسر أداؤه ، أو يتعذر فعله . ما جعل الله عليكم في الدين من حرج ، ، لا يكف الله نفساً إلا وسعها ، فن استطاع الحج فقد لزمه الفرض ، وتعلق به الواجب ، ومن لم يستطع فليس عليه إلا العزم الطيب ، والاتجاه الصادق ، والله يهيء له الأسباب ، ويمد له الوسائل ويمدد الخطوات .

وتيسيراً على الناس ورفقاً بهم لم يكفهم رجم بالحج إلا مرة واحدة في الحياة مع القدرة والاستطاعة . خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم . ثم قال : رروني ما تركتكم : فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه .

إن بعض ضعفاء الإيمان يظنون أن الحج أمر ثانوي لا عقوبة في تركه ؛ لأنه غير الأداء كبير المشقة ، وفاتهم أن وجوبه كوجوب الصوم والصلاة ، وأن من تركه دون عذر قاهر ، لا يستطيع دفعه ؛ فمقابله صارم وذنبه عند الله عظيم .

وبعضهم يزعم أنه لا يستطيع الحج ويفسر الاستطاعة على حسب هواه ، ووفق ميوله : يكون في سعة من الرزق وبسطة من العيش والعنى ، ويظن أنه عاجز عن نفقات الحج ، وفي الوقت نفسه يمنح نفسه ما تشتهى من المنام والذات ، وما تطمح إليه من الأهواء والشهوات ، عجز عن طاعة الله ، وإسراع وخفة إلى إرضاء الشيطان .

وبحجاب هذا رجل لا يستطيع الحج ولا يقدر على أدائه . ولكنه يتدفع إليه رياء وتفاخراً ، والتماساً لحسن السمعة ، وجرياً وراء القلب : يتعرض بالربا ويجمع من حرام ليحج وهو يعلم أن الحرام لا يوصل إلى ثواب ، ولا ينتج إلا أسوأ العواقب .

إن الحج واجب على القادر الذي ليس في ماله شائبة من حرام ، فمن قدر عليه ثم نام عنه فإيمانه ناقص ، وعمله أتر ، وإذا مات لقي الله وهو عليه غضبان ! يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « لقد سمعت أن أكتب في الأمار بفرض الجزية على من لم يحج من يستطيع إليه سبيلاً » .

هكذا مع أن الجزية لا تفرض إلا على منع عن الدخول في الإسلام .

وكان بعض البابيين يقول : لو علما رجلا غنيا ، وجب عليه الحج ثم مات ولم يحج ما صلينا عليه !

وبعض العلماء الصالحين كان له جبار من الأغنياء مات ولم يحج فلم يصل عليه !

قال ابن عباس رضى الله عنه : « من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا » ، وقوله تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت ، قال رب أرجعون لملى أعمل صالحاً فيما تركت . كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » .

رزقنا الله فهم ديننا والفق في إنه سمع مجيب .

## الجود

الجود صفة من أعلى الصفات رتبة ، وقد خصها الناس بالإجلال والإكبار في كل زمان ومكان ، لأنها أدل شيء على سمو النفس . ألا ترى أن قيس بن عاصم المذنب المشهور بالجود ، لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال هذا سيد الوير ، ولما توفي قيس قال فيه الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم      ورحته ما شاء أن يترحمها  
نحية من ألبته ملك ذممة      إذا زار عن شحط بلادك سلماً  
وما كان قيس ملكك واحد      ولكنه بنيان قوم تهدما

## من دول الاسلام :

### الباكستان (\*)

لمحاضرة الأستاذ عمر طلعت زهران  
أستاذ في الآداب

[ في اليوم الأخير من عام ١٩٤٠ م تكونت في إنجلترا شركة الهند الشرقية ، لتقوم بأعمال تجارية ، انتهت باحتلال إنجلترا الهند ، بعد صراع عصف مع البرتغاليين والفرنسيين والهنود . وفي الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ صفت إنجلترا أمبراطوريتهما ، وخرجت من الهند ، التي انقسمت بدورها إلى دولتين : الهندوستان ، وباكستان ]

تبلغ مساحة الباكستان ما يقرب من ٣٥٨ ألفاً من الأميال المربعة ، وهي مساحة تعادل مساحة فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا معا . أما سكانها فيبلغون حوالي ٧٩ مليوناً من الأنفس .

وتتكون الباكستان من إقليمين : الباكستان الشرقية والباكستان الغربية ، تقعان في الشمال الشرقي والشمال الغربي من شبه جزيرة الهند . تحتضن الباكستان الغربية وادي نهر السند وفروعه وروافده ، بينما تغطي أرض الباكستان الشرقية ، أدنى وادي نهر براهما بوترا . ويفصل الإقليمين عن بعضهما نحو ألف ميل من الأراضي الهندوكية ، كما توجد مقاطعة هندوكية<sup>(١)</sup> غرب الباكستان الشرقية . وأغلبية السكان المظلي في الإقليمين من المسلمين ، وللاقليمين مصالح اقتصادية متكاملة ، وترابطهما ، فوق ذلك ، روابط متينة من الدين والثقافة والمبادئ .

(\*) أخذت بيانات هذا المقال من « هذه هي الباكستان » ، Introducing Pakistan ، نشرها المعهد الباكستاني للبحوث التاريخية - كراتشي سنة ١٩٤٨ .

(١) هي مقاطعة أسام ، مجدها اثبت وروما والبنغال وعاصمتها شيلونغ ، وبها كثير من المسلمين .

الباكستان الغربية : تقرب مساحتها من ٣٠٤ ألفاً من الأيال المربعة ، ويبلغ سكانها حوالي ٣٧ مليوناً ، وتتكون من مقاطعات البنجاب الغربية ، والسند ، وبالوخستان ، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية ، وعدد من الولايات والمناطق القبلية على حدود أفغانستان . وتعتبر ولايتا كشمير وجامو من الباكستان جغرافياً وثقافياً ودينياً ، ولكنهما اضطرتا إلى الانضمام إلى الهند على غير رغبة السكان فيهما .

والباكستان الغربية موطن عريق للندنية ، دلت الحفريات في بعض مدن السند وغرب البنجاب على قيام حضارة ، ازدهرت منذ خمسة آلاف عام ، عاصرت حضارات وادي النيل والدجلة والفرات . وبدأ اتصال هذا الاقليم بالغرب حينما غزاها كسرى ، ملك فارس ( ٥٥٨ - ٥٣٠ ق . م ) وضم إلى بلاده الأراضي الواقعة حول بيشاور . ثم أرسل دارا ، حملة بحرية إلى السند ، واستولى على اجزر ككيس ، على بعض الإمارات ، وظل الحال كذلك حتى القرن الرابع .

وعرفت أوروبا هذه المناطق حينما غزاها الإسكندر الأكبر ، فأخذت مكانها في أدب الإغريق وتاريخهم ، اخترق الإسكندر جبال هندكوش ثم نهر السند ، واستولى على الأرض التي تعرف الآن باسم غرب البنجاب ، ونزل جنوباً في نهر السند حتى بحر العرب ، مبحراً إلى بابل .

وأعظم الحوادث أثراً في تاريخ وادي السند هو غزو العرب لها سنة ٧١٢ م . إذ نزل محمد بن القاسم أمير البحار العربي في دلتا السند ، ليفرض على القراصنة الذين كانوا يهددون تجارة العرب البحرية . ومنذ ذلك الحين بدأ الإسلام يسود جزيرة الهند ، وهي سيادة ظلت أكثر من ألف عام ، حتى جاء الإنجليز ، وظلت الباكستان الغربية طيلة هذا الزمن تحت الحكم الإسلامي ، عدا فترة وجيزة ، حكم السيخ فيها أرض البنجاب . وسادت الثقافة والمعاداة الإسلامية هذه المناطق وما زالت قائمة عزيزة الجانب .

واعتنق الكثيرون من الوثنيين الإسلام ، وتزايد عددهم ، وانضم إليهم المسلمون الذين جاءوا عبر الحدود في جماعات كبيرة ، كان يدفعهم إلى الهجرة ،

عدم الاستقرار في أواسط آسيا ، بسبب غارات المغول ، كما كان يحى مع كل غاز مسلم : جنوده ومرافقو جيشه ، وكلهم مسلمون ، أقاموا جميعاً في هذه الأرض الطيبة ، كما وفد على هذا الاقليم الكثير من العلماء : والعرب إذ ذاك هم قادة العالم ومداته . فناً وعلمياً ومدنية ، ومن هنا صارت أغلبية السكان المعظمى من المسلمين حتى بلغوا حوالى ٧٦١٥٪ من عدد السكان سنة ١٩٤٧ ، وإن كانت هذه النسبة قد ارتفعت نتيجة لهجرة الهندوس منها ، وهجرة المسلمين إليها .

وأرض هذا الاقليم خصبة ، من أغنى الأراضى الزراعية ، يسكنها قوم أقوياء البنية ، ملاح الوجوه ، كرام النفوس ، فلاحون يمتارون ، وجود لا يضارعون . وأهم مدن الباكستان العربية هى كراتشى ، عاصمة إقليم السند والباكستان جميعاً ، من أهم موانئ آسيا يسكنها حوالى المليون ، وتربها عدة خطوط جوية حيوية ، وفيها جامعة كبيرة بها كليات للآداب والعلوم والهندسة والطب والزراعة ، وتلونها فى الأهمية ، لاهور ، عاصمة مقاطعة غرب البنجاب : ثم بيشاور ، وفى كليتهما جامعة كبيرة .

• • •

الباكستان الشرقية : تشمل مقاطعتى البنغال الشرقية وسيلت ، وتزيد مساحتها قليلاً عن ٥٤ الف ميل مربع ، وسكانها ٤٤ مليوناً ، ٧١٪ منهم من المسلمين . خضع هذا الاقليم لمؤثرات عدة على مر التاريخ ، بدأت بالمدينة الصينية ، ثم أقام فيه الهندوس والبوذيون قبيل العصر الإسلامى ، وانتشر الإسلام فيه لنفس العوامل التى أدت إلى انتشاره فى الباكستان العربية . وظهر اثر الإسلام قوياً واضحاً ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى حين غزاها قائد من قواد قطب الدين أيلك أول ملك مسلم لامبراطورية دلهى ، وظلت تحت الحكم الإسلامى - منذ ذلك الحين حتى جاءها الانجليز سنة ١٧٥٧ م - ، سواء كملكة مستقلة ، أو مقاطعة فى امبراطورية دلهى .

والباكستان الشرقية على الرغم من التلال التى تكتنفها شمالاً وشرقاً ، أرض سهلية تروىها مياه براهما بوترا وفروع نهر الكنج ، وتسقط عليها أمطار غزيرة ،

تكسو أرضها الخضرة طول العام فتكسيها منظراً بديعاً قائماً ، وتمجر أنهارها السفن ، ويهيش الآلهون في قرايم على الزراعة وصيد الأسماك . وأم المدن في هذا الأقليم هي : داکا ، ثم : شيتاجونج ، في خليج البنغال .

• • •

الإسلام دين توحيد ، لا يعرف النظام الكفسي ، وليست به هيئة كنيسية ، من أم تعاليمه الإخاء ، فلا يعرف نظام المبودين ، ويتميز بما فيه من تسامح ديني عظيم . تجلى هذا التسامح في أيام الرسول عليه السلام ، وتميز به المسلمون بعده ، في كل مكان ، وحجتنا ما تلقاه الأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية من معاملة ، يسارون فيها مع المسلمين في الحقوق والواجبات .

طبقت الباكستان هذا المبدأ الديني أروع تطبيق ، حينما وقف رئيسها الراحل ، محمد علي جناح ، أكرم الله مثواه ، يعلن أنه لن يفرق بين الناس بسبب الدين أو العاطقة أو اللون ، وأنه سيكون للباكستانيين جميعاً نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .

## الجود

ما أطلق ألسنة الشعراء ، وألهمهم روائع المعاني مثل الجود . قال القاسم ابن هبسي في أبي دلف العجلي من أهل القرن الثالث الهجري :

تكاد عطاياه يمن جودها إذا لم يعوذها بنعمة طاب  
تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق إلى كل راكب  
وقال أبو الطيب المتنبي في بدر بن عمار :

طربت مراكبنا نخلنا أنها لولا حياء عافها رقصت بنا  
لو تمقل الشجر التي قابلتنا مدت عية إليك الأغصنا  
وقال البيهقي :

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما في ربه لمشي إليك المنبر

# كنز الادب الفاطمي

لحضرة الاستاذ محمد حسن الاعظمي

عميد كلية اللغة العربية بالباكستان

تقوم دار الكتب الملكية الآن بطبع ديوان الامير نجم ابن المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة ومشيد الازهر ، وهذا الديوان كنز من كنوز الادب العالية ، استطعت أن استخرجه أولا من مكتبة الفاطميين المحفوظة في الهند لدى خلفائهم وورثتهم ، وهم أحفاد أولئك الذين حملوا تراثنا وفيرا من العلم والادب إلى هذه الاقطار بعد انهيار الدولة الفاطمية في مصر ، وتغلب الدولة الايوبية على البقية الباقية منها . وقد عاش هذا التراث بين جبال اليمن عدة قرون ، ثم رأى هؤلاء الحافظون لتركه الفاطميين أن يعزبوا بها في أرض لا يعرف أهلها العربية ؛ وذلك لكي يبقى هذا الكنز بعيدا عن متناول الايدي ، بحمول القيمة والقدر حتى لا يفلتن اليه أحد ، فيصيه ما أصاب غيره من السكثور التي تبددت بين تلاعب الايدي وعيث الرواة وتحريف الناقلين ، وقد دفعني شغفي بالبحث وحيي للاطلاع إلى أن أجوب معاهد الهند ومكاتبها الموزعة بين طوائفها المختلفة ، ولم يكن يعني من ذلك كله سوى محاولة العثور على وثائق تاريخية أو أدبية يفيد منها المعنيون بالدراسات الاسلامية ، وكانت مملكة الفاطميين الصغيرة في الهند إحدى المناطق التي زرتها واختلفت اليها ، وأمكنتني أن استنسخ منها عددا من المخطوطات الهامة ، والكتب العلمية الاثرية بما صنفته ملوك الفاطميين ووزراء الدعاية في دولتهم ، فمن مشورها محاضرات المؤيد الشيرازي الثمانمائة التي ألقيها بالازهر منذ ألف عام ، وهي نماذج رائدة في الادب الكلامي وبلاغة الشر العربي ، والحوار المطلق والفلسفي ، ومن منظومها ديوان هذا الامير الذي يتكئ باسمه

المعز لدين الله إذ يقال له أبو تميم ، وكان لهذا العامل الفاطمي الاول في مصر  
أبنان أكبرهما تسنم دولة الشعر ، وكان أصغرهما ولي عهد أبيه وهو العزيز بالله .  
وقد أتبع لي أن أراجع ديوان تميم هذه هي سبع نسخ مخطوطة أخرى ،  
ثم كان لزاما علي أن أقوم بشرح وتعليق لبعض المصطلحات والألفاظ العربية ،  
وأن أضع للكتاب مقدمة مسببة تكشف القاب عن تسلسل هذه الدولة الفاطمية  
إلى أن شكلت حكومتها في القاهرة .

أما الديوان نفسه فهو قبل كل شيء صورة من الادب المصري ، فيه الخصائص  
المصرية بقدر ما فيه من الخصائص العربية ، فهو شاعر مصري حميم ، وإن لم يكن  
مصري المولد والنشأة والتربية .

يرى المتتبع هذا الديوان أسماء لمواطن وأوصافا لجهات معروفة بالقاهرة  
وضواحيها حتى اليوم ؛ كما يكشف هذا الكتاب عن الحالة الأدبية في العصر الفاطمي ،  
وكذلك المذاهب الإسلامية والحوار المذهبي في ذلك العهد ، والاحتفاظ بهذا  
الديوان ضروري للتاريخ والادب المصريين ، ولا سيما إذا عرفنا أن العصر الفاطمي  
قد ذهبت آثاره ، وانفلوى سجل التاريخ على مخلفاته ، فلم يفتح إلا على القليل منها .  
فقد قرأ في المصادر التاريخية أن مائة من الشعراء هأوا أو رثوا أو مدحوا أحد  
الخلفاء الفاطميين ، ثم لا تجد هؤلاء الشعراء ولا أشعارهم قد أحرقوا مكتبات  
وضاع بعضها بين تموج الحوادث وأعاصير الانقلاب السياسي ، فكل ورقة تعثر  
عليها الآن تعد ذات قيمة غالية بالنسبة لموضوع الادب المصري بالذات ، وهذا  
هو الذي دفعني لتقديم الكتاب الى الحكومة المصرية ، بمناسبة العيد الالفي  
للقاهرة والأزهر .

وقد هيئة الحكومة منذ اثني عشر عاما لجنة من أعلام الادب في مصر لمراجعة  
هذا الديوان ، ثم انتهى الأمر باقرار طبعه ونشره ، وتولت دار الكتب القيام  
بذلك ، ولم يحل دون انتمام الطبع ، وإيجاره سوى أزمة الورق أثناء الحرب  
الاخيرة ، وكانت تلك اللجنة الموقرة مشكلة من الدكتور عبد الوهاب عزام بك ،  
والدكتور طه حسين بك والاستاذ أحمد بك .

ولما عدت إلى القاهرة لتشكيل فرع لمؤتمر العالم الإسلامي الدائم ، رأيت

أن أضيف إلى عمل لخدمة الإسلام جهداً أدبياً آخر، وهو أن أذكر إدارة الكتب بمعاودة العمل على نشر ديوان تميم، وقد أبدت دار الكتب نشاطاً ملحوظاً في استئناف طبع الديوان، وقطعت في ذلك شوطاً كبيراً، ولعل في هذا ما يبعث الطمأنينة إلى من ينتظرون صدور هذا الكتاب سواء أكانوا من الحريصين على ترفيع كل جديد من الأدب المصري، أم كانوا من طلبة كلية الآداب باعتباره مادة من موضوع الآداب المصرية ومثالا من إنتاج القومية المصرية؟ فإني أول من يرى في هذا الديوان ظاهرة جديرة بالظر، وهي أن تميم مع كونه نشأ في بلاد المغرب ونقل ثقافته الأولى في عهد آبائه وأجداده نزاه ما يكاد يحل بمصر حتى تصبح وطنه وأشودة آماله وأغنية أحلامه وقبلة تفكيره، فكأنه قد نسي كل شيء في وجوده ليدكر شيئاً واحداً هو أنه في مصر التي يعيش بها، ويترجم عن حبه لها وشعوره بحمال الحياة فيها.

والى أن يمد القارئ هذا الديوان منشوراً، فإني أضع بين يديه هذه النماذج دون تعليق أو شرح استكمالاً لهذه المجالة القصيرة التي قدمتها للتعريف بتميم.

قال الأمير يصف القرافة ويتضرع إلى الله :

إذا كنت مصطفياً مريباً	نخص القرافة (١) بالاصطفاء
منازل معمورة بالدفاف	ومخصوصة بالقى والبهاء
كأن العبير لها نربة	تصوع في صبيحها والمساء
ولا حيرة في حياة امرئ	إذا لم يحف فصل يوم القضا
رجسوتك يا رب ألا أن	أطعنك طوع أولى الانتهاء
ولكى وزن موقن	بأملك رب الورى والسماء
وما لى يا رب من شامع	إليك سوى خاتم الانبياء

(١) القرافة في الأصل بطن من الممارير يفيض بن الحارث بن مرة . وطاعة الممارير بمصر . ولهم حجة تعرف بالقرافة وهي على اسم أمهم ( شرح القاموس مادة قرف ) . وجاء في ابن حنكاه : ومن بني عافق بطن يعرفون بالقرافة مدحوا أسطخ المنظم أيام الفتح العربي ، ثم تركوا أمماكمهم وتفرقوا في البلاد المصرية ، وصار مكانهم مقبرة للسلبيين . سميت المقبرة في مصر نسب هؤلاء القوم .

وقال أيضاً :

حارب الناس قبلنا الاعداء      حين كانوا أعزة أكفاء  
أترانا أذلة ومن القو      م بنا أن نتازل الجباء  
هل نروم الثعالب اليك أم هل      تطمع الأرض أن تطول السماء  
لا ومن صير الأئمة من نسل      وصي النبي لي آباء

وقال يمدح العزيز بالله أخاه :

لكل ملك من الورى شبه      وما أرى للعزيز أشباهها  
أقول يا مالك المملوك ولا      أقول في مدحه شهنشاهها  
سمى وطال الهجوم مبتدئنا      بهمة يستقل مسعاها  
نفس كأن السماء مسكنها      ومة كالزمان أدناها  
دانت الأرض والعباد معاً      والوحش في وعرها وصحراها  
فهو لسان التقى ومقلته      وهو يمين العلاء ويسراها  
صور من جوهر النبوة إذ      كان الورى طينة وأموها

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله في وقت تمام عمل الشمسية لبيت

الله الحرام :

إليك مدت رقابها العرب      والمملك ماء عليك منسكب  
وأنت من دوحة النبوة لا      تألف إلا عذاتك الرب  
وحبذا الشمسية التي نصبت      يقصر عنها المديح والخطب  
كأنما درها وجوهرها      نجم ليل سماؤها ذهب  
كأنما رصعت مناقبك الغد      ر عليها وأفرغ الحسب  
في كيد المسجد الحرام لها      شوق والبيت نحوها طرب

# كلمة الحق

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي حسن العباري  
المدرس بالمعهد العلمي بأم درمان

لا أجد شيئاً في هذه الحياة طيب الذكر ، حسن الميرة ، طاهر الذيل ، كثير النفع قليل الضرر ، جميل الوجه ، سامي النفس ، وهو مع ذلك يلاقى من ظلم الناس وشرهم ، وبغصهم له ، وكرهيتهم لوجهه الجليل ، وفقرهم من روحه السامية ككلمة الحق ؛ كل يدعى وصلها ويزعم أنه متم في هواها ، يحبها ويؤثرها ويمجدها ويقدمها ، فإذا وقفت في سبيل أغراضه ، أو اعترضت طريق مطامعه وأهوائه كرهها أشد الكراهية ، ومقتها أشد المقت ، ولا ينسى في هذا الوقت نفسه أن يشيد بحجة الحق ، وخضوعه له وإيمانه به .

والناس — إلا أقلهم — يعيشون بعيداً عن هذا الوجه الجليل ، وهذا المير الحبيب ، لأن أكثر أغراضهم وميولهم وأهوائهم — وعليها يعيشون — لا تتفق والحق ، ولا يجمعها معه طريق وهم يخوضون الباطل إلى أغراضهم خصوصاً ، لا يبالون أين وقعوا .

والمحجوب عندهم الأثير لديهم هو الذي لا تجري كلمة الحق على لسانه ، ولا يخطر منها ما الجليل في قلبه ، فهو إذا قدس أعمالهم ، وآمن بمواهبهم ، واخترع لهم المحامد والمكارم وتكذب واقترى ، وزين كل عمل يعملونه ، وحارب كل رأي يحاربونه ، إذا كان كذلك فهو الطريف اللطيف المذهب ، أما إذا كان يسير على نهج قويم ؛ ويجري في قوله وفعله على خط مستقيم فلا يصف الليل في السرار بأنه يسطع بدره ، ويشع نوره ؛ ولا ينكر على شمس الصيف نارها ونورها ولا يقول في الشيء إلا ما فيه ، ولا يمتليه من الثناء أكثر مما يستحق ؛ إذا كان كذلك فهو ثقيل الظل ، سيء الخلق ، ضعيف الترية فاسد الذوق ، يجب أن يطرح قوله ، وأن تجتنب معاشرته ، وأن يكاد له عند من يملكون أن يبطشوا به ؛ حتى يستقيم على الجادة ، ويعرف كيف يحترم الناس ، ويحسن الأدب معهم .

وإذا كنت ممن يحبون الإنصاف ، ويؤثرون العدل ، ويؤمنون بالاخلاق  
الفاضلة ، فجعلت تنافح عن هذا الرجل ، وتجادل دونه ، وتبرر عمله ، وتشد  
أزره ، رموك بالهوى والغرض ، والمساعدة على إفساد الاخلاق ، ثم قالوا لك :  
الناس كلهم كذلك فلماذا تهتد هو ؟ أم هو — وحده — الذى يغار على الحق  
ويعرف قدر العدالة ، وما دام الزمن يسير على رأسه ، فلماذا يحاول هو أن يسيره  
على رجليه ؟ وإذا كان الناس يعمدون بجلا فلماذا لا يقدم له الطعام مع المقدمين ؟  
ولا ينسون أن يقولوا لك : يداقه مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم  
القاصية ... وهكذا .

وقد نجد رجلا عيبة جهل ، ومستنفع فساد وإفساد ، قد اتخذ الادعاء  
والندجيل طريقا للشهرة ، يدعو الناس فيؤمن به كثير منهم ؛ ويسخرهم في  
أغراضه ، فيلبون بإيمان عجيب . فإذا جمعت وإياه مجلس لا يبالي بك مهما كنت  
خبيرا بشئون الحياة ، عارفا بأغراض النفوس ، مسلحا بأنواع العلوم والمعارف  
ويبدأ بدجل ويشموذ ، ويرغم لنفسه الفضائل ؛ ويحيطها بهالة من النور والقداسة ،  
فإذا ضاق صدرك ونفذ صبرك ، وقلت له : يا هذا . نحن في عصر النور والمعرفة  
ومثل هذا الأسلوب إن جاز على بسطاء القول فلا يجوز أمام المثقفين العارفين ،  
إذا قلت ذلك لا تشعر إلا وأنت مرفوح على الأبدى ، مائق على قارعة الطريق !  
ومن عجب أن بعض الذين حصلوا قدراً من العلم ، لا يزال يجهل الطريق  
الصحيح الذى يؤدي إلى احترام الناس ، وإكبارهم .

ترى الواحد من هؤلاء لا يكاد يعترف بعير ما يقوله هو ، فإذا ماقتشته في  
مسألة عليية ، أو جادلته في ظاهرة اجتماعية فالقول قوله ، والحق ما ينطق به لسانه ،  
ومهما برهنت له على خطئه ، ومهما سقت من الحجج على وجهه فظرك فإنك لست  
بمزعزعه عن موقفه ، وكيف يخضع لرأيك ، أو يعترف بأن الحق معك وهو  
عند نفسه أعلم الأولين والآخرين .

وربما أدهشك وأنت تسمعه يجادل أن ينحرف عن الحق ، والحق كفتل  
الصباح ، وأن يتمسك بالباطل ، والباطل يصبح به أنه الباطل ، وترجع إلى نفسك  
وتسألها ، كيف يقف هذا الرجل مع حله وفضله ، مثل هذا الموقف المحجل ،  
ولكنك تذكر لساعتك قصة ذلك الرجل الذى كان يسير مع أحد أصحابه فرأيا

حيواناً بعيداً عنهما ، فقال صاحبه . هذه إوزة ، وقال الرجل : بل هي عذرة . وتجاذلا طويلاً ، وكل منهما يصصر على قوله ، حتى وصلا إلى الحيوان فهاجه الصاحب فطارت الإوزة ، فالتفت إلى الرجل قائلاً : أصدقت أنها إوزة ؟ وظن أنه بذلك ألزمه الحجة ، وأوقفه على الدليل ، ولكن الرجل قال في برود ظاهر : عذرة ولو طارت !

وهكذا شأن هذا الصنف من الناس لا تطلع فيهم أن يرجعوا إلى الحق ، ولو جهدت جهودك ، وحملت نفسك مالا تطيق في سبيل إقناعهم .

على أن هذا التمسك بالباطل لا يعود عليهم بفائدة ، بل بالعكس يجلب عليهم احتقار المتصفين وسخريتهم ، ولعل أنجب ما في الأمر أنهم يتمسكون بالباطل ، وهم على يقين من أن مجادهم يدرك كل الإدراك أنهم يتمسكون بباطل ، ولا يتفاجه أدنى شك في أنهم يخضعون لشهوة المراء ، وحسب العلب ، ولو في الظاهر .

ويظهر أن هذا الصنف من الناس قديم الميلاد ، وجد في كل عصر ، عاش فيه علماء لم يطلبوا العلم لله ، ولم يؤمنوا بأن فوق كل دى علم عليم ، وأن الحق أحق أن يتبع ، ولذلك يجد الإمام الجليل أباحامد الغزالي ، رحمه الله تعالى يحدثنا عن هذا الصنف ، وهو يتحدث عن شروط المناظرة النافعة المفيدة التي هي من شأن العلماء العاملين فيقول : « أن يكون - يريد الماظر - في طلب الحق ، كناشد ضالة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيلاً لا خصماً ، ويشكره إذا عرفه الخطأ ، وأظهر له الحق ، ومناظر زماننا يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ، ويخجل ، ويجهل في مجادته بأقصى قدرته ويذم من أخذه طول عمره .

أليس هذا الصنف جديراً بأن تكبره ، وأن تحقره ، وتسخر منه ما وسعت الكراهة والاحتقار والسخرية ، ثم أليست هذه الكراهة تزداد إذا علمت أن هذا الماخذ للحق هو ممن يفخرون بنصرة الحق والذب عنه ؟

لقد قال حكيم الرب أكثم بن صبيح : إن قول الحق لم يترك لي صديقاً . ومن قبله قال فليسوف اليونان لصاحبه : أنت صديق ، والحق صديق ، ولكن الحق أحب إلى منك .

# لمحة في التشريع المقارن

لمحاضرة الأستاذ نضر الدين صاحب  
مخرج الأزهر وجامعة باريس

١ — نظرية الحق المكتسب في الأحكام الجزائية في الوقت الحاضر .

لقد ازدهرت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في أوروبا مدرستان هما المدرسة التقليدية ، والتقليدية الحديثة ، ووقفنا بجانب الفرد ضد المجموع ، ووقفت من جهة أخرى المدرسة الوضعية تحالفاً للرأي في ذلك ، وذهبت إلى تفصيل حق المجموع على حق الفرد ، وإن الذين غالوا بهذه الفردية توصلوا في مغالاهم إلى النظرية المسماة بنظرية الحق المكتسب ( *Teorie de droit acquis* )<sup>(١)</sup> التي نحم احترام الأحكام الجزائية حتى ولو كانت مبينة على الخطأ إذا كان ذلك في صالح المتهم وفقاً لنظرية القضية المحككة ( *Respect de la chose jugée* ) وقد اعتبروا أن للتهمة من هذا الحكم حقاً مكتسباً ، ولم يقبلوا إلا النقص لمصلحة القانون ، وقد أخذ التشريع السوري المعمول به الآن بهذه النظرية في المادة (٣١٥) من أصول المحاكمات الجزائية التي تنص على أنه : عند رامة المتهم يسوغ أن يطلب المدعي العمومي نقض الإعلام المتضمن الحكم بذلك ، ونقض ما سواه من المعاملات والتحقيقات بوجه التمييز ، وذلك لمجرد إحسان مجرى القانون على شرط أن لا يطرأ خلل على حكم البراءة .

وكذلك المادة (٣٤٧) والمادة (٣٤٨) من نفس القانون ، والمادة (٤٤٢) من أصول المحاكمات الجزائية الفرنسية أخذت بنفس النظرية ، فقد جاء في شرح المادة (٣٤٧) لسليم بازماياني<sup>(٢)</sup> : إن نقض الإعلام بالاستناد إلى هذه المادة لا يمكن أن يؤثر فيما اكتسبه المحكوم عليه ، وصار حقاً مقررأ له بمضى المادة القانونية ، ولكنه يؤثر فيما سوى ذلك والخصوص فيما كان عائداً على المتهم بالضرر

(١) قانون الجراء الصادر ببارد (R. Garraut) الجزء الخامس ص [٥١٨] .

(٢) ص (٨٤٦) .

وهل هذا لو نقض الإعلام لأن الجزاء المحكوم به أخف من الجراء القانوني، أو لأن المحكة برأت المظنون فيه أو حكمت بعدم مسؤوليته، فلا يمس الحكم بل يبقى على حاله لأن ما أولاه المحكوم عليه أصبح حقاً مقررأ له باكتساب الحكم الدرجة القطعية، فلا يجوز أن يسلب منه، أما لو كان نقض الحكم مقبداً للمحكوم عليه فيمكنه أن يستفيد منه. لأن من شأن القانون أن يتلاقى الظلم ولو رضى به المظلوم.

## ٢ — نظرية الحق المكتسب في الأحكام الجزائية في الشريعة الإسلامية .

إذا ألقينا نظرة خاطفة على الأسباب الداعية لوضع هذه النظرية؛ لذهبنا إلى عدم صحتها وأجفافها بحق المجموع، ولقمنا بمخالفتها للنطق والقياس، وقد ذهب خطأ إلى القول إلى أن علماء الإسلام ورجال التشريع منهم لم يذهبوا إلى الأخذ بهذه النظرية<sup>(١)</sup> إلا أتى قد توفقت الآن إلى نصوص تثبت عكس ذلك، وتشير صراحة إلى أن الشريعة الإسلامية، تدين بهذه النظرية بالفعل، فهي إذن تحترم الأحكام الجزائية حتى ولو كانت مبنية على الخطأ، إذا كان ذلك في صالح المتهم وفقاً لنظرية القضية المحكة، وأتى لبيان ذلك أورد مادار في إحدى القضايا المشهورة في صدر الإسلام، والتي قضى فيها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الأمي .

فقد أخرج البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سماء . فقال النبي : « البينة أوحد في ظهرك » . فقال يارسول الله : إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً يطلق يلتمس البينة ؟ ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة أوحد ظهرك » .

فقال الرجل — « والذي بمنك بالحق أتى لصادق، وليزول الله تعالى ما يرى ظهري من الحد، فزل جبريل عليه السلام وأزل عليه، والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم، وشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين، وبدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، الآية .

(١) راجع ما كتبه في مجلة نقابة المحامين بمصر في أيلول سنة ١٩٤٧ ومجلة الأزهر سنة ١٩٤٨ .

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما ، وجلس للحكم ، — فجاء هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : الله يعلم أن أحديكما ، كاذب فهل منكما تائب ، ... ثم قامت الزوجة فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة أوقفوها وقالوا لها : إنها موجهة ، قال ابن عباس — ، فتلكأت ونكصت وعلتنا أنها ترجع ثم قالت : والله لا أفضح قوى سائر اليوم ، فضمت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبصروها ، فإن جاءت به أكحل العينين ، سابغ الإليتين خدج الساقين فهو لشريك ابن سحاء ، فجاءت به كذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم — : د لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن ، — ا هـ .

ففي هذه القضية إشارة صريحة إلى أن المحكمة إذا فصلت دعوى جزائية وانتهى أمر النظر فيها ، لا يمكن رؤيتها مرة أخرى حتى ولو ثبت عدم صحة ما دار فيها من التحقيقات والافادات أثناء المحاكمة ، قصد جلس نينا محمد بن عبد الله للحكم في هذه القضية ، وطبق قانون السماء الوارد في آية اللعان ، وكان أحد الطرفين في الدعوى عند رؤيتها وفصلها كاذبا لا محالة ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم — : الله يعلم أن أحديكما كاذب فهل منكما تائب ، — فالزوج يجب عليه حد القذف إن كان كاذبا بما رماها به من الزنا ، والزوجة يجب عليها حد الرجم إن كانت غير صادقة في إيمانها ، وقد تأيد كذب الزوجة بعد اكتساب الحكم الدرجة القطعية ، ومرور ( ٩ ) أشهر ونيف على انتهاء القضية حيث ثبت أن الزوجة هي الكاذبة . لأن الولد كان لشريك لا لهلال ابن أمية ، ومع ذلك لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد المحاكمة ، ويتم عليها الحد ، بل ذهب إلى عكس ذلك ، واعتبرها قضية محكمة ، وقضية مقضية واحترم اكتسابها الدرجة القطعية ، رغما عن ثبوت الكذب والخطأ بها ، وقال كلمته المأثورة : د لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن ، الحديث .

وهكذا يكون الإسلام قد سبق علماء الغرب ومحاكمها في هذه النظرية ، وطبقها بالفعل قبل ألف سنة ونيف ، حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : د لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن ، وأبى ساطرق حكمه مشروعية هذه النظرية عند المسلمين في بحث مستقل والله أعلم .

# الشعر والحياة

بقلم الشيخ سعد الدين موسى كله

بين الشعر والحياة صلة وثقى وعروة لا انفصام لها . . ولا أكون مبالغا إذا قلت . إن الشعر ميزان الحياة ومفتاحها . . فما لم تشعر وتدرك وتفتح آفاق شخصيتك على معالم الكون وما فيه من روائع ومباهج ؛ فما أنت بحى وإن عددت في سيجلات الأحياء . . ومن هنا كان الشعر مشتقا من الشعور ، وهو معاناة الحساسة الدافقة الدقيقة في الإنسان ، ومن هنا كان الشاعر الفنان المجيد هو الشخص المثالي ، الذي تنفخ بحترمه عرائس الخواطر وزهور المعاني ؛ فتداعب خياله وتسترل وحيه ؛ فيندفق إحساسه ، وينفث ذهنه الولود عن الغواني الأبتكار من الأغاريد والتصورات والأفكار . . ومن هنا أيضاً كانت رسالة الشعر هي تطهير العرائز من أدرانها المادية ، وعلاقتها الترابية ؛ حيث تسبح بالنفس في أجواء سامقة من الملائكية والأمثلة العليا ، ثم إبهاج الأئدة الحزنية ، والكبود المحترقة على سفود الحادثات بما تطوى بين جوانبها من ترويض ، وانبساط ومتعة وعذوبة ، وتسلية وترفية ، وسمو وإشراق ، ومرح وانطلاق . وأحسب أنه من الخطأ أن يقال إن الشعر بمناء العام ، وهو الإدراك والإحساس ، أو التخيلات والمخاطرات مقصور على فئة من البشر . . كلا . . فإن بنايع الشعر كاتبة في كل إنسان ، مودعة بوساطة يد الخلاق العليا في الصدر والجان . .

ألا تنبسط أسارب الناس جميعا إذا فوجئت بنبا سار ، أو حديث مبهج ، أو فكاهة حلوة أو نكتة بديعة ؟ . ألا تقبض الصدور وتكلمح الأوجه ، وتتجهم الميول إذا دهمتها نازلة من بنات الأيام أو مسها القضاء بترح ؟ . . ولكن لما كان عامة الناس لا يستطيعون التعبير عما يجيش بفوسهم من أفراس وأتراح بلغة ذات ألفاظ وأصوات ، وحروف ومعان يترجموها عن المخاطر

والوجدان . ، وكان تعبير العقل الساذج إذا ابتأس أو طيب هو الاكتئاب والبكاء ، أو الرقص والانتشاء . . . كال من الضروري وجود طائفة أخرى أقوى شعوراً ، وأسمى إدراكاً ، حلقت في سماء الخيال ، وغاصت في مناجم الحقيقة ، وضربت بسهم في البلاغة والفصاحة ، واطلمت على صافى الحكمة ، وثمرات القرائح ورياض الادب ؛ فصقلت حواشيها وصفت مرآتها ، وزرقت بماء الجمال والبهاء أسلوبها ، وتنضر بنضرة النسيم بيانها ، حتى ذهب عنها ما كان يعروها من حبيسة واستغلاق ، وعى وحصر فأصبحت ذات ملكة واسعة متغلغلة في الأعماق ، تقبل من اللقاح الفكري الخصب ما يشجذ قواها ، ويجمع قوتها ، ويحفظ عليها شبابها وجدتها . هذه الملكة تفتح بعد عن براعمها وأكامها ، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وتمجد على الظالمين بحلو ربها ، وثمار غرسها ، كشجرة طيبة تؤدى رسالتها في صمت العيلسوف الداطق ، ووقار الشيخ السالك ! .

ولا نحسب أنى أغرب عليك ، فإنها ملكة الشعراء وسل الخيال وأنبياء الجمال ، يهبون مسرح الحياة فيحسبون آلامنا : فيصورونها بدواطمعهم ، ويلونونها بريشتهم فنبتكي العبي والمنطيق ، والجامدات من الكائنات ، ويشعرون بآمالنا فيسجلونها على أسطوانة مخيلاتهم ليهذبوا من أطرافها ، وبعدئذ يصوغونها في عبارات مشرقاات كأنها الروحانيات العلوية أو النسابيح الفجرية ! .

وما الشعر إلا روح عنصره المادة أو مادة عنصرها الروح ؛ إذ هو الوثبة السماوية الخاطفة ، أو اللمة البرقية السارية في خايا الضلوع الإنسانية ، تصهرها في بوتقة الفكر ، ثم نضعها في قالبها اللعوى المصنوع لها لتخرج إلى الناس نشراً سويها ، وتطلع عليهم كأننا حيا . . . ومن أجل ذلك كان الشعر الرفيع الحى هو هذا الكلام الطلى المشرق المحيا ، العطر الأردان ، الجليل المعطف الصاى البشرة ، سواء كان موزوناً مقفى ، كما اشترط الاولون أم كان مطلقاً حراً أياً على القيود والسدود ، متمرداً على الوزن والتقفية . . . بيد أن الشعر لما علم أنه شقيق الموسيقى بما له من رنات وأصدااء ، ونغم وتوقيع ولحن وتطريب وحسن أداء وجمل إلقاء ، كان من تمام هيكله ، وتحسين هيئته ، وبديع أمره أن يكون حبيس الأوزان والقوافى ، لا سيما شعر الهزج والإشاد ، والمطارحة والشدو والغناء .

وبعد فالحياة هي العمر ، والشعر هو الحياة : فكس شاعرا لنحيا ونخلد في الخالدين ، واعلم أن السموات يتنام أول من يغط ويستحق الحياة ، لذلك كانت مراتبهم فوق أجواز العلك ومسط الثريا ، وإن كانوا يتنا يسمون على الأرض ، يأكلون الطعام ويشربون الماء ويمشون في الأسواق ١ .

وما قيمة الوجود في نظرة البصير إذا كان كله أشواك جوارح لازهور فيها ؟ . والشاهر ما هو الزهرة النضرة التي تنضج بالمطر الأنفج ، والحسن الأسر ، والروض الباسم الفرد ، إذا صافح هزازه ، وتناول قيثاره ، وجمع حوله بلبله وأطياره ١ .

ولامر ما نرى الله على جامدى السواطف ، من متعجى الفكر ورا كدى الإحساس غفلتهم ، وإلغام عقولهم عن اجتلاء وحدانيته من وراء سطور الكون ، وهو كتابه العريض الأعظم ، وضالم وعمايتهم عن آياته الشاهدات بقدرته التواطي بقوته ، فدعوا من دونه أحجاراً خرسا لا ينبغى للفكر الشاعر ، أو الحس المفكر أن يشعر حياها برهبة أو سلطان ١ . . نرى عليهم ذلك فقال لصفوة دعائه صلوات الله وتسليته عليه : « إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين » ١ وقال : « وما أنت بمسمع من فى القبور » ، وقال : « والذين يدهون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يمشون ، فقد سمهم أمواتا وجردهم من مضيلة الشعور ١

وكل ما فى الطبيعة من ناطق وصامت ، لو أنعمت النظر فيه يوحى إليك بالتأملات والتصورات البهجة والأخيلة البارعة الجيلة ، كما يمتك على التفكير واستبطاء العبر . فكيف يقال إذن إن رجلا ركب رأسه واتبع هواه ، فأوغل فى ظلمات الأرض ووثنياتها ، وحل عن أبواب الروح وأوار السماء ، غلا قلبه من الأذواق المرفقة ، والمشاهر الحية ، واقفرت نفسه من الخراط المؤمنة ، والأحاسيس المشرقة ، والوجدانيات الرقيقة ١ كيف يقال إنه حى فى الأحياء ، وأمهات من السعداء ؟ هيات هيات .

# حول الاذان المحمدى

للشيخ جاويد صونار

حلت إلينا الصحف نبأ القرار الصائب الذى اتخذته حكومة الجمهورية التركية بشأن قراءة الاذان المحمدى ، بلسانه الخاص ، أى بالعربية .  
لا أقصد بكلمتى هذه التعليق على الموضوع من ناحية الترجمة بالذات ، وإمكان قراءة الاذان المحمدى بالتركية ، فأتى مع اعتقادى بأن أبة ترجمة قد تودى أغراضها على الوجه الاكمل ، أترك الإدلاء بالرأى فى ذلك إلى أهل الاختصاص فى اللغات ؛ ليقرروا ما إذا كان ممكناً أن تودى الترجمة من لغة لأخرى مهمتها تماماً من حيث المصافى — لا عرض للموضوع من ناحية أخرى جوهرية .

فإننا إذا استثنينا العلوم المادية أى المثبتة ، ولقننا الواضحة المبسطة الخاصة بها ، فهل فى استطاعتنا أن نميز تمام التعبير عن أفكارنا ، وخطجات نفوسنا بلقننا الأصلية ، فى ميادين العلوم المعنوية ؟ وبعبارة أخرى هل تستطيع المدلولات التى هى وسائل الفهم والتفاهم ، والكلمات التى هى قوالها المادية ، والسطور التى تتألف من تلك الكلمات ، هل تستطيع هذه الوسائل أن نميز عن حياتنا المعنوية كل التعبير ، وأن تلم بها كل الإلham ؟ ليس فى وسعنا إلا أن نجيب بالنفى على مثل هذا السؤال ، لأن العلوم المعنوية ، تخاطب عقولنا وأرواحنا أكثر مما تخاطب حواسنا الخمس ، أى أنها متصلة بكياننا المعنوى ، لهذا كانت الرموز والأمثال ، فى مثل هذه المعنويات هى وسيلة التفهيم والتفاهم ، ولهذا أيضاً كانت بحاجة إلى التفسير والتأويل .  
وإذا نظرنا كذلك إلى علم الحقيقة أى الدين وهو أرق العلوم المعنوية شأماً ، نجد ما للتفسير والتأويل من أهمية خاصة فى إدراك معناه ، وبالاخص فى الإلham بحقيقة الأفعال والحركات الملازمة له . وإنه لفرض علينا أن نعمل بعلم الحقيقة فى أفعالنا وحركاتنا التى تنهج بها الى الحقيقة العظمى أى الدين ؛ وكأن العلم بلا

عمل في حكم المفقود كذلك العمل بلا علم لا يفيد أى معنى ، من هذا يتضح جلياً وجوب معرفة اللسان الحقيقي لذلك العلم أى علم الحقيقة ، وهو الدين بالطريقة التى تؤدى الى الفهم بالرمز والمثال أكثر من لغة التخاطب .

مثال ذلك أننا نجد في قراءة الأذان بأداء مخصوص ، وكيفية مخصوصة من المعاني أكثر مما تدل عليه الالفاظ المجردة . فإن المؤذن عند ما يتجه إلى القبلة ويكرر جملة ( الله أكبر ) أربع دفعات ، يرمز إلى المراتب الالهية الخمس الموجودة في العائنة الشريفة التي هي أم القرآن ، كما يرمز المؤذن أن يقول : الله أكبر من تلك المراتب التي تنتظم في سلك ( الحمد لله — وهي مرتبة الألوهية ) و ( رب العالمين — وهي مرتبة الربوبية ) و ( الرحمن — وهي مرتبة الرحمانية ) و ( الرحيم — وهي مرتبة الرحمة ) و ( مالك يوم الدين — وهي مرتبة المالكية ) . ذلك لأن مرتبة الألوهية أكثر عموماً وتشملها جميعاً .

ويرمز المؤذن في ندائه . ( أشهد أن لا إله إلا الله ) دفعتين إلى الجمع الظاهر والجمع الباطن ، كما يرمز بقوله للبلا أشهد إلا إله غيره في الظاهر والباطن ، والظاهر هو مقام الشريعة أما الباطن فهو مقام الحقيقة ، ويرمز بقوله دفعتين : ( أشهد أن محمداً رسول الله ) إلى دعوة الأنس في الأولى ودعوة الجن في الثانية إلى الإيمان برسالته . ويريد المؤذن بقوله : ( حى على الصلاة ) دفعتين وهو يلتفت إلى يمينه ، دعوة سعداء الأنس ثم سعداء الجن وبقوله . ( حى على العلاج ) دفعتين وهو يلتفت إلى اليسار دعوة أشقياء الأنس وكذلك أشقياء الجن إلى الوحدة . أما جملة ( الله أكبر ) التي يكررها المؤذن وهو يتوجه إلى القبلة فإنها إشارة إلى حضرة الغيب ، ثم إلى حضرة الشهادة وإلى أن الهيب أكبر من الشهود . أما جملة ( لا إله إلا الله ) التي يقولها أخيراً فإنها تعيد أحديته تعالى في ذاته .

هذه هي الفكرة في الأذان بأبسط صورها ومعانيها ، فكم يبلغ عدد المسلمين الذين يستمعون إلى الأذان ، وقد شملتهم هذه الفكرة المعنوية ، ثم يقومون بعدها إلى أداء فريضة الصلاة التي تحمل الشيء الكثير من المعاني السامية ، بنفس اللذة المعنوية التي استثمروها في نفوسهم عند الاستماع للأذان ؟

# فهرس

## المجلد الحادى والعشرون

(لسنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م)

الموضوع	بسم	صفحة
(١)		
ابراهيم والتوحيد ... ..	فضيلة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى	٨٣٦
أبو تمام ... ..	سماحة و د السيد	٦٥
أحاديث الأستاذ الأكبر ... ..	... ..	١٩٣-١٨١
احتفال البعوث بعيد الجلوس الملكى	... ..	٦٧٣-٦٧٨
الازهر بالامام المجرى	... ..	٥
عيد الميلاد الملكى	... ..	٣٨٥
احتفال الازهر بذكرى المعجزة محمد على باشا كبر	... ..	٩٧
الإخلاص فى العمل ... ..	فضيلة الأستاذ صادق خطاب	٩٣٥
الأدب والأدب ... ..	عبد الحميد المسلول	١٨١٦-٩٣٥
الأدب تحت راية الله رآن ... ..	أحمد شاهين	١٨٧
أدب الحديث ... ..	كامل مجلان	٣٧٨
أدب الجوار ... ..	عبد المنعم أبو سعيد	٦٤٧
الأدب الدينى ... ..	ابراهيم أبو الخشب	٦١٤
الإسلام والتبني ... ..	أحمد الشرباصى	٦٦١
دين الأمن والعمران ... ..	فضيلة د على رفاهى	١٦٨
فى سيراليون ... ..	حضرة د عمر طلعت زهران	٢٨١
والصين ... ..	... ..	٧٥٥
والمثل العليا ... ..	محمد عبد المنعم خفاجى	٨١

صفحة	بقلم	الموضوع
٦٣٤	فضيلة الأستاذ محمود أحمد جميلة	الإسلام فى وحدته وتعاليمه
٨٧٦	كتاب جماعة كبار العلماء المدعوين للوراء	إصلاح الأخلاق ورعاية الآداب
٥٠٩٤٠٣	الدكتور محمد الفحام	الإصلاح الاجتماعى
٤٤٧٠٣٤٥٢٣٠		
٧٢٩٢٦٧٠٥٤٥	محمد كامل الفتى	أعلام الأزهر
١٢٢		
١٦١	حضرة الأستاذ صالح بكير	الالتزامات المركبة
٥٦٦	فضيلة كامل عجلان	ألوان أمملت
٤٥	محمود النواوى	الإمام البخارى
٨٠٩	ابراهيم أبو الخشب	أم المؤمنين عائشة
٨٢٠	منصور رجب	أنس بن مالك
٢٤١	حضرة عبد المنعم الصانغ	أهداف الحرب فى الإسلام
٩٨	فضيلة فكري ياسين	أهداف الهجرة
٦٣٨	منصور رجب	الإيلاء
٨٩	حضرة عمر طلعت زهران	الإيمان
		(ب)
٧١٣	لجنة الفتوى	باب الأسئلة والفتاوى
٩٤٢	حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	الباكستان
٣٣٠	سميحة السيد	البيان لا المعجزة
٢٤	فضيلة عبد اللطيف السبكى	بين الشريعة والقانون
٥١٠٠٣١٥	عبد الله المراغى	بين مالك والبيث
		(ت)
٣٥٠	فضيلة الأستاذ عبد الخيد المسلول	تأثر الشعر العربى برسالة الإسلام
٦٣	لجنة الفتوى	نبي المسيحى للطفل المسلم
٤٧٠	حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	تدمير اورشليم
٣٧٢	فضيلة عبد المنعم أبو سعيد	تجاوب الشعور
٨٧٦	فكري ياسين	التساؤل والاختلاف
٧١٧٤١٧١٤١٥	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	تأريظ

الموضوع	بقلم	صفحة
التقليد وخطره ... ..	الدكتور محمد يوسف موسى	٥٩٩، ٥٥٦
(ج)		
وجاهدوا في الله حق جهاده ... ..	فضيلة الأستاذ محمود جنية	٨١٢
جزاء وجزاء ... ..	• • محمد عبد التواب	٩١٨
جولة في ملكوت الله ... ..	• • محمود جنية	٢٤٩
(ح)		
الحب المفيف للزوج ... ..	لجنة الفتوى	٩١
الحلج ... ..	فضيلة الأستاذ عبد المسم أبو سيد	٩٣٨
الحداد ... ..	• • فكرى يس	٣٩٣
حرية الرأى ... ..	• • إبراهيم أبو الخشب	٥١
الحسين بن منصور الخلاج ... ..	• • محمود النواوى	١٣٤
حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدى	• • محمود شلتوت	١٣
الحكام السبعة ... ..	الدكتور أحمد فؤاد الأهواني	٢٤٥
الحكام السبعة عند العرب ... ..	فضيلة الأستاذ عبد المتعال الصبدي	٧١٧
حكمة التعاوت بين الناس ... ..	• • محمد محمد المدني	٤٩٥
حكومة الرسول بعد الهجرة ... ..	حضرة الأستاذ أحمد صلاح الدين عبد الرحمن	١٨٠
حول الأذان المحمدى ... ..	الشيخ جاويد صونار	٩٥٩
(خ)		
خصاص الشيب ... ..	فضيلة الأستاذ فكرى يس	١٠٨
الخيال الشعرى ... ..	الشيخ أحمد محمد صفر	٥٦٩
(د)		
درس دينى بقصر رأس التين العامر	حضرة صاحب فضيلة وكيل الأمر	٨٦٥
دعوة الى تعميم اللغة العربية ... ..	حضرة الأستاذ عبد حسن الاعظمى	١٧٢
الدنيا والدين ... ..	فضيلة • • محمد عبد التواب	٢٥٣
دوحة النور ... ..	• • سماحة • • السيد •	٦٦٥

الموضوع	بسم	صفحة
الدين والاخلاق ... ..	الدكتور محمد يوسف موسى	٤٠٨
الدين والدنيا معاً ... ..	صاحب العزة مدير المجلة	٣٨٨
الدين والسياسة ... ..	فضيلة الأستاذ عبد المنعم أبو سعيد	٧٥١ و ٥٥٨
(ذ)		
ذكرى ميلاد الرسول ... ..	المنشاوى عبود الخولى	٢٧٤
ذكرى وفاة الملك فؤاد الاول ... ..	سحر صاحبة فضيلة الأستاذ وكيل الأهر	٦٨٩
الدوق فى القرآن ... ..	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	٣٤٢
(ر)		
رسالة الحياة وكيف تؤدى ... ..	على دقاهى	٤٣٩
الركن الشرعى للجريمة ... ..	الدكتور أحمد محمد إبراهيم	١٢٣ و ٣٧
(ز)		
زيارة ملك الأعمار للأهر ... ..	... ..	٤٨٣
(س)		
سميد بن المسيب ... ..	فضيلة الأستاذ محمود النواوى	٢٢٦ و ٢٢٧
سؤال الناس ... ..	إبراهيم أبو الخشب	٩٢١
الصوفسطينيون فى نظر العرب ... ..	أحمد شاهين	٧٦٠ و ٢٧٤
سيويه ... ..	الدكتور محمد الفحام	٧٨٥
السيرافى ... ..	... ..	٥٩٥
السيرة المحمدية ... ..	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	١٤٠
(ش)		
شاعران يتناولان الجائزة ... ..	فضيلة الأستاذ حسن جاد	٨٢٤
الشعر والحياة ... ..	الشيخ سعد الدين موسى كله	٩٥٦
الشرط فى الفقه الإسلامى ... ..	فضيلة الأستاذ صالح بكير	٨٢٨

صفحة	بـقـلـم	الموضوع
٣٣٣	فضيلة الاستاذ أبو الوفا المراغى	الشريعة الإسلامية وقانون من أن لك هذا
١٦٤	• محمد حسين الفار	الشعر في عصر إسماعيل ...
١٨٦	• حضرت • محمد فؤاد عبد الباقي	السيرية والإسلام ...
		(ص)
٧٤٧٦١٥٧٦١٥٥	فضيلة الاستاذ أحمد موسى	الصيغ البدعى في مدرسة السكاكى
٩٠٧	• عبد المتال الصمدى	صفايا الرؤساء ...
٢٠٢	• فكرى يس	صفة رسول الله في التوراة ...
٦٩٩	• محمد عبد التواب	صنائع المعروف ...
٨٤٢	• عبد المنعم أبو سعيد	الصوم تأديب وتهذيب ...
		(ط)
٥٢٧	فضيلة الاستاذ محمود النواوى	طالب العلم بين ماضيه وحاضره ...
٣٥٥	الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى	طاليس ...
٦٢٨	فضيلة الاستاذ حسن جاد	الطبيعة في شعر ابن زيدون ...
٦٠٨	• أبو الوفا المراغى	الطفولة الضائعة ...
		(ع)
٢٠٨	• محمد محمد المدنى	عبدة الأسماء ...
٢٩	• الطيب النجار	عبرة وعظة ...
٤١٢	• محمد عبد التواب	العبرة في ذكريات العظماء ...
٨٥	• كامل مجلان	عجالات في الشوقيات ...
٨٥٩	• أحمد على منصور	المدالة في الإسلام ...
٢٦٦ & ٢٦٦	• على حسن المهارى	المزبن عبد السلام ...
٧٢٨ & ٦٤٢	• بدر المتولى عبد الباسط	المقيدة الإسلامية ...
٦٥٢	• حضرت • عمر طلعت زهران	علماء المسلمين وقدم العلوم ...
٨٨٥	• فضيلة • محمد محمد المدنى	علومهم يكونوا لكم ...

المرضوع	بقلم	صفحة
على بن أبى طالب ... ..	فضيلة الأستاذ محمود النواوى	٩١٢٠٧٢٠
على هامش الادب ... ..	د . أبو الوفا المراكى	٥٢٣
عمار بن ياسر ... ..	د . عبد الله المراكى	٩٠٤
عمر بن الخطاب ... ..	د . إبراهيم أبو الخشب	٥٢٨
عناصر المدنية فى الديانة الإسلامية	صاحب العزة مدير المجلة	٦٨٥٥٧٧١٤٨٧ ٨٧٢٥ ٧٦٩
(غ)		
غلبة عالم منى على دولة المأمون	فضيلة الأستاذ عبد المتعال الصميدى	٥٣٣
(ف)		
فائحة السنة الحادية والعشرين	صاحب العزة مدير المجلة	٣
فتح القسطنطينية ... ..	حضرة الأستاذ أحمد صلاح الدين	٣٨٠
الفضيلة هند أرسطو ... ..	د . سعيد زايد	٧٤٧
فى أنهار الجنة ... ..	فضيلة د . فكرى ياسين	٧٧٣
فى ذكرى المولد ... ..	د . محمود جملة	٦٩
فى عالم المؤلفات ... ..	... ..	٦٦٧
فى العدل والجور ... ..	فضيلة الأستاذ محمود النواوى	٢١٢
فى علم الكلام ودراسة ... ..	د . الدكتور محمد يوسف موسى	١٢٩
فى قصر الرشيد ... ..	د . الأستاذ حسن خطاب	٥٧٣١٢٨٦١٩٢
فى كتاب الله ... ..	د . أبو الخشب	٤٤٣
فى محراب اقبال ... ..	د . كامل مجلان	٧٦٤
(ق)		
القتل غية فى الإسلام ... ..	فضيلة الأستاذ عبد المتعال الصميدى	٣١١
قرآنية البسملة ... ..	د . الطيب النجار	١١٥
قصص القرآن ... ..	د . عبد الغنى الراجحى	٣٦٧
قوانين الفكر الضرورية ... ..	حضرة د . سعيد زايد	٢٦١
(ك)		
كلية الحق ... ..	فضيلة الأستاذ على حسن البهارى	٩٥٠
كنز الأدب الفاطمى ... ..	حضرة د . محمد حسن الأعظمى	٩٤٦

الموضوع	بقلم	صفحة
(ل)		
لا تياسوا من روح الله ...	فضيلة الاستاذ محمد محمد المدنى	٣٠٢
لا تمارض فى آيات الكتاب الكريم	الطيب النجار	٢١٨
لا تغضب ...	صادق خطاب	٨٣٢
لغويات ...	محمد على النجار	٠٥١٨٤٢٢٠٣٢٤ ٨٩٥٤٧٨٩٤٧٠٤
اللسان ...	عبد الحميد المسلول	٦٢٣
لغات خالدة ...	كامل مجلان	٣٧٦
لمحة فى التشريع المقارن ...	حضرة نجر الدين الصاحب	٩٥٣
(م)		
محاضرات فى الازهر الشريف ...	حضرة الاستاذ حسن الاعظمى	٢٦٧
محمد رسول الله ...	فضيلة عبد العزيز موسى	٢٧٢
المجة الخالصة ...	محمد عبد التواب	٧٨
المجتمع والسياسة ...	نور الدين شريفة	١٧٥
مذهب الصرفة ...	على حسن العمارى	٦٥٦٤٧١٤٤١١
المسبعة من عظم الفيل ...	لجنة الفتوى	٦٢
مراقبة الدائن أموال مدينه ...	حضرة الاستاذ صالح بكير	٤١٨
المروءة ...	فضيلة على رفاعى	٧٣٤
مع الشعراء ...	فضيلة الاستاذ إبراهيم أبو الخشب	٧٢٦
المعاهدة الإسلامية ...	المنشارى هبوالخولى	٥٥٣
معرفة الغيب ...	عبد الحميد المسلول	٥٤٧
مفردات فلسفية ...	الدكتور محمد يوسف موسى	٢٧١٦٢١٢٤٢٢ ٩٠٠٠٧٨٥١٧٠٩
مكارم الاخلاق ...	فضيلة الاستاذ أبو بكر ذكرى	١٩٥٠٦٠٢٤٤٦٥
مكانة علم الاخلاق من الفلسفة ...	منصور رجب	١٤٧
من أخبار العباسيين ...	حسن خطاب	٨٦٣

صفحة	بـ قـ لـ م	الموضوع
٨٨٩٠٦٩٨١٥٩٠	فضيلة الأستاذ عبد العليق السبكى	من توجيهات القرآن ... ..
٤٩١	فكرى يس	من خصال الفطرة ... ..
٥٦٢	حامد عوى	من طبائع الشعر الجاهل ... ..
٨٤٦ ١٥٥	عبد القى الراجى	من طرائق القرآن ... ..
٧٧٧	محمد محمد المدنى	من فقه عمر ... ..
٨٠٤	أبو الوفا المرافى	منهج الإسلام فى تربية الأولاد ...
٤٦٢	منصور رجب	موضوع علم الأخلاق ... ..
٨٠١	محمد عبد التواب	المؤمنون الصادقون ... ..
٢٨٩	حضرة صاحب فضيلة الأستاذ الأكبر	ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ...
٢٥٦	فضيلة الأستاذ محمد عبد المنعم خطابى	ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ...
(ن)		
٦٩٥٥٨٦	فضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى	ناحية من أسلوب القرآن فى القصص
١٠٤١٩	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	الناموس الأدبى العام ... ..
٤٥٢	فضيلة الأستاذ عبد الحميد المسلوت	النبي والشعر ... ..
١٢٤	أبو الوفا المرافى	نذير من الغرب ... ..
٢٢٧	ابراهيم أبو الحشب	نظام الأسرة ... ..
٣٠٦١١٣	عبد العليق السبكى	نظرات فى توثيق المعاملات ... ..
٤٩٨ ٤٣٤		(هـ)
١٥٢	حسن بجاد	الهجرة النبوية - قصيدة ... ..
٤٦٤	عبد المنعم أبو سعيد	هدى الإسلام فى الزواج ... ..
(و)		
٨٥٣	المنشاوى عبود الخولى	الوحدة فى تعاليم الإسلام ... ..
٦٨٩	فكرى ياسين	ولاية المرأة ... ..
(ى)		
٣٩٨	محمد محمد المدنى	يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل